

انصیل
فی
تاریخ العرب قبل الاسلام
۳

obeikandi.com

افصل
في
تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف
الدكتور هبّار علي

مساعدة جامعة بغداد على نشره

الجزء الأول

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الفصل الرابع والثلاثون

مملكة النبط

مملكة النبط ، مملكة عربية لم يعرف الأخباريون من أمرها شيئاً . سداها ولحمتها النبط . وهم قوم من جيلة العرب ، وإن تسبوا العرب منهم ، وعبروا بهم ، وأبعدوا أنفسهم عنهم ، وعابوا عليهم لغتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم ، وقالوا إنهم نبط ، وإن في لسان من استعرب منهم رطانة . وسبب ذلك ، هو أنهم كانوا قد تنقفوا بشافة بني إرم ، وكتبوا بكسايتهم ، وتأثروا بلغتهم ، حتى غلبت الإرمية عليهم ، ولأنهم فضلاً عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة والرعي واحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي العجمي ، ويُعتبر من يقوم بها ويحترفها .

ونكمن عوامل ظهور النبط وغلبيتهم على المنطقة التي عرفت بهم ، وتكوينهم دولة بعد أن كانوا أعراباً يعيشون عيشة ساذجة ، نكمن في أسباب وأسس اقتصادية فقد تمكن هؤلاء النبط الأذكياء من استغلال موقع بلادهم لممر شرايين التجارة بين العربية الجنوبية وبلاد الشام بها ، فعرضوا ضرائب على التجار وعلى التجارة عادت عليهم بفوائد كبيرة ، كما قاموا أنفسهم بالوساطة في نقل التجارة بين بلاد الشام ومصر ومواقع من جزيرة العرب ، فدرت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية بالنسبة إلى غيرهم ممن يسكنون البوادي ، والمواقع المقفرة المنزلة .

وقد كان ميناء (غزة) ميناء النبط المتفضل على البحر المتوسط . وهو في الواقع ميناء كل التجار العرب ، إذ كان المرفأ الوحيد الذي ترفأ اليه تجارة العرب . وقد استفادوا منه كثيراً لقربه من النبط ، صاروا يشترون منه ما يرد عليه من بضائع من موانئ البحر المتوسط ، ثم يحملونها الى بلادهم فيبيعونها للتجار العرب القادمين اليهم من الحجاز ومن العربية الجنوبية ومن أماكن أخرى من جزيرة العرب ، كما أنهم صاروا يشترون من التجار العرب ما عندهم من تجارة ، ثم يحملونها الى ذلك الميناء لبيعه في أسواقه ، وبذلك حصلوا على أرباح من هذه الوساطة في الاتجار .

وقد نشأت دولة النبط التي نتحدث عنها قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب ، في المكان السلي عرف باسم (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) عند اليونان والرومان .

وأما أخبارنا عنها ، فستمدة من كتب الكلاسيكيين ، ومن مؤلفات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) (٣٧ - ١٠٠ بعد الميلاد) . صاحب (Ioudaïke Archaeologia) و (Periton Ioudaikon Polemon)^١ ، ومن كتابات عثر عليها في (العربية الحجرية) وفي الأخرى التي خضعت لحكمها وهي نبطية ولاينية ويونانية . وعلى هذه الموارد يعول المؤرخ الحديث في تدوين تأريخ قوم كان لهم نفوذ وسلطان وصوت مسموع وكلمة ، ثم اذا هم في اللاهين (وتلك الأيام نداولها بين الناس)^٢ .

وقد تضمن القسم الأكبر من كتابات النبط ، كتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum وقد أشير فيه الى المواضع التي عثر فيها على تلك الكتابات ، والى السمات التي وصفت بها لتتميز بعضها عن بعض . وأسهمت كتب أخرى بالطبع في هذا المجهود العسير ، مجهود نشر الكتابات النبطية القديمة وغيرها ، ككتاب : (Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik) ، وكتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum ، للعالم المعروف (مارك ليدزيارسكي)

١ Harvey, P. 228, A. R. Shilleto, The Works of Flavius Josephus in 5 Vols.,
(Bohn's Standard Library).

٢ سورة ال عمران : رقم ٣ ، الآية ١٤٠ .

(A Text Book of North-Semitic : وكتاب^١) (Mark Lidzbarski)
 Inscriptions (كوك) (G. A. Cooke)^٢ وكتاب (REP. EPIG)^٣ ،
 وكتب أخرى سائير إليها في أثناء الحديث ، يضاف إليها ما نشر في المجلات
 العلمية الاستشرافية كمجلة : (ZDMG) وأمثالها^٤ .

أما لغة النصوص النبطية ، فلهذا (بني لرم)^٥ ، وأما خطها فبالقلم الإرمي ،
 ولكنه (لرمي) مأخوذ من القلم الإرمي القديم ، وقد عرف عند المشرقين
 بـ (القلم البطي) تمييزاً له عن بقية الأقلام^٦ . وأما المواضع التي عثر على هذه
 الكتابات فيها فهي عديدة ، منها (بطرا) و (الحجر) (Hegra) و (العلاء)
 و (نهاء) و (خيبر) و (صيدا) (Sidon) و (دمشق) ومواقع متعددة
 من (حوران) ومن (النجاة)^٧ و (طور سيناء) والجوف واليمن ومصر وإيطاليا
 وأماكن أخرى سرد أسماؤها في ثنايا هذا الفصل^٨ .

وتختلف الكتابات النبطية القديمة ، من حيث رسم الحروف ، بعض الاختلاف
 عن الكتابات النبطية المتأخرة المدونة بعد الميلاد ، وتختلف أيضاً باختلاف الأماكن
 التي وجدت فيها ، فلكتابات (طور سيناء) مثلاً خصائص كتابية محلية لا نجدها
 في النصوص الأخرى . وتفيدنا هذه الخصائص المحلية والتطورات التي طرأت بمرور
 العصور على أشكال الحروف في مثل (التريسيح) والانتقال والاتصال وتغاربها
 وتباعدها من الخط الكوفي في دراسة تطور الخطوط السامية ، وعلاقتها بعضها
 ببعض^٩ .

-
- | | |
|---|---|
| Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik nebst Aus- | ١ |
| gewählten Inschriften. Weimar, 1898, Ephemeris für Semitische Epigraphik, | |
| 1, Glessen 1901. 11, 1903. III, 1912. | |
| G. A. Cooke, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions ; Moabite, Hebrew, | ٢ |
| Phoenician, Aramaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903. | |
| Repertoire D'Épigraphie Semitique, | ٣ |
| Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. | ٤ |
| (بنو لرم) - الطبري (٢٢٠/١) (طبعة ليدن) | ٥ |
| Lidzbarski Nord. Epig., I, S. 180. | ٦ |
| البلدان (٢٢٢/٧) | ٧ |
| Musil, Deserta, P., 473, Lidzbarski, I, S. 121, 122. | ٨ |
| Lidzbarski, I, S. 123, 194. | ٩ |

وهي على اختلافها تشارك الكتابات العربية التي عثر عليها في العربية الجنوبية أو في المواضع الأخرى من جزيرة العرب في كونها شخصية في الغالب . كتبت في أمور خاصة ، لا علاقة لها بالجموع . فهي لا تفيد المؤرخ لفائدة مباشرة ، ولكنها تفيد الباحثين من غير شك في أمور أخرى ، تفيدهم في الدراسات اللغوية مثلاً ، فهي كثر لا يفدر بشئ من هذه الناحية . أما الكتابات العامة ، أعني النصوص التي لها علاقة مباشرة بالدولة وحياة الشعب وبساسة الحكومة أيام السلم أو الحرب ، فهي قليلة جداً - ويا للأسف - مع أنها المادة الأساسية في كتابة التاريخ^١ .

والكتابات النبطية المؤرخة مثل الكتابات السامية الأخرى ، قليلة بالنسبة إلى الكتابات الغفلة من التاريخ . أما طرائق تواريخ الحوادث عند النبط ، فكانت متعددة منها التواريخ بأيام الملوك كأن يذكر اسم الشهر الذي دُون فيه النص ، ثم يذكر بعده عام التثوين ، فيقال مثلاً : (في شهر كذا من سنة كذا من حكم الملك) (يرح شنت ملك نبطو) . وقد استعملت هذه الطريقة في أيام استقلال النبط خاصة . والتواريخ بسني حكم قياصرة (رومة) وذلك بذكر الشهر الذي دُونت فيه الكتابة ، ثم السنة المصادقة من سني حكم القيصر الذي في أيامه جرى التثوين ، أو السنة المصادقة دون الإشارة إلى اسم الشهر^٢ .

وقد عثر على كتابات مؤرخة بسني حكم (القناصل) ، وعلى كتابات أخرى أرخت بتقويم (بصرى) ، ومبدأه اليوم الثاني والعشرون من شهر (آذار) من سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، وقد أرخ به في كتابات (طور سيناء) كذلك^٣ . وظلت الأقسام الجنوبية من (الكورة العربية) تؤرخ به حتى بعد فصلها من هذه الكورة وإلحاقها بـ (كورة فلسطين)^٤ . وأرخ بالتقويم (السلوقي) ، وأوله

1 Lidzbarski, I, B., 183.

2 Lidzbarski, I, B., 112, REP. EP10., 128, I, II, P., 113, Euting. Sinai. Inschr., No : 457.

3 Lidzbarski, I, B., 113, Euting 319, 457, 483, Berger, No : 1060.

4 Provincia, III, B., 303.

اليوم الأول من شهر (تشرين الأول) (أكتوبر) من سنة (٣١٢) قبل الميلاد .
وأرخ بأبام القبصر (يوميسوس) حيث اتخذت مبدأ لتقوم يبدأ بشهر (تشرين
الأول) ، (أكتوبر) من سنة (٦٣) قبل الميلاد ، أرخ به في الكتابات وفي
النقود^١ .

وأرخ في بعض الكتابات النبطية بتاريخ محلية كانت متعارفة عندهم مشهورة .
كما فعل غيرهم في جزيرة العرب حيث أرخوا بالحوادث المحلية المهمة ، نظراً لما
كان لها من شهرة بينهم . وقد تمكن العلماء من تشخيص بعض منها ، ولم يتمكنوا
من تشخيص بعض آخر . ومن الكتابات المؤرخة بتاريخ محلية كتابة عثر عليها
في مدينة (فيليبوبولس) (Philippopolis) ، وقد أرخت بتقوم يبدأ سنة (٢٤٨)
تقريباً أو بين سنة (٢٤٧) وسنة (٢٤٩)^٢ . ومدينة (شقا) (شقة) ، وقد
أرخت في عدد من كتاباتها سنة (٩٢) بعد الميلاد . ومدينة (Constantia)
وهي (البراك) في (اللجاة) وفي عدد من الكتابات التي عثر عليها في موضع
(شيخ مسكين) ، وهو (Maximinopolis) على رأي بعض الناس^٣ .

والرأي السائد اليوم بين العلماء أن النبط عرب مثل سائر العرب ، وإن استعملوا
الإرمية في كتاباتهم ، بدليل أن أسماءهم هي أسماء عربية خالصة ، وأنهم يشاركون
العرب في عبادة الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز ، مثل (ذي الشرى) و (اللات)
و (العزى) ، وأنهم رصعوا كتاباتهم الإرمية بكثير من الألفاظ العربية ، وبدليل
إطلاق اليونان واللاتين والمؤرخ اليهودي (يوسفوس) كلمة (العرب) على النبط ،
وإطلاق اسم (Arabia Petraea) أي (العربية الحجرية) على أرضهم ، ولو لم
يكن النبط عرباً ، لما أطلق (الكلاسيكيون) كلمة العرب عليهم ، وما كانوا
يدخلون بلادهم في ضمن العربية ويجعلونها جزءاً من أجزائها الثلاثة .

وقد كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البوادي إلى

Berytus, Archeological Studies, Published by the Museum of Archeology
of the American University of Beirut, Vol. I. American Press Beirut, 1934.

P., 36.

Provincia, III, S., 304.

Provincia, III, S., 305.

Provincia, III, S., 305, 306.

أعالي الحجاز فأقاموا بها، ثم سرعان ما استقروا ونحضرُوا وأقاموا بقلحون الأرض ويزرعونها ، فأقاموا ثم مستوطنات زراعية ، واستقروا في المدن والقرى، محترفين بمختلف الحرف وفي طبيعتها التجارة وبالاكتغال بالقوافل التجارية التي تنقل التجارة بين مختلف الأمكنة ، فجمعوا من ذلك مالا وثرا . وقد ذهب بعضهم الى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة وبالعجارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ العهود القديمة .

ولقد وجدنا طائفة من العلماء تنكر لهذا الرأي ولا تراه ، وترى في الألفاظ العربية المزوجة في الإرامية بكثرة، وفي تشابه الأسماء واشتراكها بين النبط والعرب، أثراً من آثار الاختلاط والانسال بحكم السكنى المشتركة والجوار ، ولا علاقة له بوحدة الجنس ، وترى لذلك أن النبط لزمبون احتكوا بالعرب وتساثروا بهم ، أو أنهم لزمبون استعربوا من بعد .

أما أن النبط من بني (لدم) لأنهم كتبوا بلغتهم ، واستخدموا قلمهم، فهو قول مردود ، فقد كتب غير النبط ومن غير (بني لدم) بلغة (لدم) ويغلم (لدم) ، ولم يقل أحد من العلماء إن جميع من كتب بلغة الإرميين وبقلمهم هم من (بني لدم) حتماً . ولا يمكن أن يقال ذلك ، لأن الإرامية كانت قد تغلبت على أكثر لغات الشرق الأدنى وصارت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون . تغلبت على العبرانية مثلاً وزاحتها حتى فضلت عليها عند المتكلمين بها من الخاصة والسواد الى نهاية القرن السابع بعد الميلاد ، فدونت بها كتب من (التركوم) والأدعية والشروح و (مجلة تعنيت) و (أنطيوخوس) وغيرها من مؤلفات القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . وألفت بها فيم بعد الميلاد ، فلا عجب إذن إذا ما دوت النبط أو غيرهم من العرب بالإرامية لغة الفكر والثقافة ، وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان . وقد كان الأعاجم في الإسلام يتكلمون باللسنة أعجمية ، ويدوتون باللسان العربي لسان العلم والفكر والقرآن .

Delile, P., 4.

Kennedy, P., 34.

قاموس الكتاب المقدس (٥٨/١) .

Ency. Bibl., P., 271, 282.

تلك هي آراء المشرقين في أصل النبط . أما رأي أصحابنا الأخباريين فيهم
فخلاصته ان النبط « جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين ، صمّموا بذلك
لكثرة النبط عندهم ، وهو الماء . وصمّموا أولاد شيت أنباطاً لأنهم نزلوا هناك .
هذا أصله ، ثم استعمل في عوام الناس وأحلامهم ...^١ والعرب تنفر من النبط
وتنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، وإذا أراد أحدهم الاستهانة بأحد قال له
« يا نبطي » . (وفي حديث الشعبي ان رجلاً قال لآخر يا نبطي ، فقال :
لا حدث عليه كلنا نبط ، يريد الجوار والمبار دون الولادة)^٢ . وورد في الأخبار :
« أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا »^٣ . وضرب المثل
في رطانة كلام النبط بالعربية وقبحه : « وقد قبح الكلام ، وصار على كلام
النبط »^٤ الى غير ذلك من كلام فيهم يشير الى ازدراء العسرب بنبط العراق ،
ونبط الشام وبالنبط عامة .

وقد أشار السعودي الى ان « من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط .. »
وقال في معرض حديثه عن أهل نينوى : « وكان أهل نينوى ممن سمينا نبطاً
وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وإنما بان النبط عنها بأحرف يسيرة
في لغتهم ، والمقالة واحدة » . وجعل النبط أهل بابل ، وملوك بابل هم ملوك
النبط . وذكر أيضاً ان هناك من يزعم ان النبط هم (نبط بن ماش بن إرم
ابن سام بن نوح)^٥ . فيفهم من كلام (السعودي) انه لم يكن على علم واضح
بأصل أهل نينوى وبأصل أهل بابل ، فجعلهم من السريان ومن النبط . والسعودي
مثل بقية الأخباريين عني بالنبط المتكلمين بالإرامية (الآرامية) من أهل العراق .
والسريانية كلمة حديثة عهد ، يراد بها لغة بني إرم ، أي (الإرامية) . ولا
يرتقي اسم (السريان) (Syrians) على كل حال أكثر من خمسة مئة أو أربع مئة

- ١ تاج العروس (٢٢٩/٥) ، الفاموس (٢٨٧/٢) ، اللسان (٢٨٨/٩) وما بعدها .
- ٢ تاج العروس (٢٢٠/٥) .
- ٣ استعجم العرب في التوامي بمسك . واستعرب النبطي
- ٤ الاغانى (٦١/٥) ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار . محمد بن عبد الله بن يلهود النجدي ، القاهرة (١٩٥٠ م) (١٨٩/٢) .
- ٥ الاغانى (١٦/٥) .
- ٥ مروج الذهب (١٢٩/١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٦٦) ، (طبعة المطبعة البهية) .

سنة قبل الميلاد . وأما اطلاق اسم السريان على الإرميين الشرقيين ، أي إرمي العراق ، فقد حدث بعد الميلاد . أطلق على متصرة الإرميين ليميزوا عن بني جنسهم الوثنيين ، فصار له مفهوم خاص ، وصارت كلمة (إرمي) (آرامي) تعني الصابئة والوثني أما كلمة (سرياني) فتعني النصراني حتى اليوم^١ .

أما (ماش) (Mash) ، فهو أحد أبناء (أرام) ذكر في (التكوين) ، مع (عوص وحول وجائر) بمعنى أنهم اخوته^٢ . ودعي (ماشك) في (أخبار الأيام الأول) ^٣ . ويقن أنهم سكان (ماش) (ماشو) في النصوص الآشورية، أي بادية الشام^٤ . و (إرم) هو ابن (سام بن نوح) في التوراة^٥ . وتنسق رواية (المسعودي) المأخوذة من أقوال أهل الكتاب ولا شك ، مع ما جاء في التوراة من أن (ماش) هو ابن (آرام) ، وهو (إرم) . وأما ما ذكره على لسان غيره أو لسانه من أن النبط هم (نيبط) وأن (نيبطاً) هو ابن (ماش) ، فهو قول لم يرد في التوراة . ولا يعرف العهد القديم شخصاً اسمه (نيبط بن ماش بن آرام) . ويقصد المسعودي من (نيبط) (نبايوت) ، ولا شك و (نبايوت) هو الابن البكر لاسماعيل في التوراة^٦ .

أما أنهم سموا نبطاً لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، أو لاستنباطهم الماء ، وإنباطهم الآبار ، وما شاكل ذلك من تفسير وردت في معنى النبط^٧ ، فهو كلام كان يسمع في القديم . أما اليوم فلا يمكن أن يقام له وزن . والنبط في عرف الباحثين هم (نبط) و (نبطو) في الكتابات^٨ ، والكلمة

١ معرفة ما قيل في أصل لفظة (السريان) وتكوينها . راجع : (دليل الراميين في لغة الاراميين) تأليف الفس يعقوب أوجي حنا الكلداني ، طبع مطبعة ديسر الاياد القومليكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م (ص ٩ وما بعدها) .

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٧/٢) الاصحاح الاول ، الآية ١٧ ، Ency. Bibl., P., 2972

Hastings, PP., 608.

٤ التكوين : الاصحاح العاشر ، الآية ٢٢ .

٥ التكوين : الاصحاح ٢٥ ، الآية ٣ ، اخبار الاسام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٩ .

٦ ابن دريد : الاستغاثي (٢٣٦/٢) (طبعة وستفالد) .

٨ (نبطو) ، CIB, II, I, II, P., 184, II, 187.

اسم علم ليس غير مثل سائر أسماء الأعلام ، لا علاقة له لا بالماء ولا باستنباط الماء . حار الأخباريون فيه فعالجوه على مألوف طريقتهم بإيجاد معان للأسماء ، وتعليلات وأسباب ، وظنوا أنهم بهذا التعليل وجدوا سر التسمية ووقفوا عليه ، ولا سببا أن النبط زراع ، ولهم مياه غزيرة وعلم بالماء ، وأن النبط : الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت ، فقالوا : النبط من نبط ، فالمسألة إذن سهلة هينة . أنهم سمّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين ، وهو الماء^١ .

وأشير إلى النبط في حديث عمر : « تمعدوا ولا تستنبطوا » ، أي تشبهوا بمعد ولا تشبهوا بالنبط . وفي الحديث الآخر : « لا تنبطوا في المداين » أي لا تشبهوا بالنبط في سكتها وانحاذ العقار والمك . وورد ذكر النبط في خبر مرفوع إلى ابن عباس : « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ريثا » قيل : إن إبراهيم الخليل ولد بها ، وكان النبط سكانها^٢ . وورد في حديث (عمرو بن معديكرب) حين سأله (عمر) عن (سعد بن أبي وقاص) ، فقال : « أعرابي في جيبوته ، نبطي في جيبوته » ، أراد الله في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط خلقاً بها ومهارة فيها ، لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها . وفي حديث أبي أوفى : « كنا نسلط نبط أهل الشام »^٣ .

ويقال الآن في نجد للشعر العامي (الشعر النبطي) أو (شعر النبط) ، ويرى الباحثون في هذا النوع من الشعر أنه منسوب إلى نبط العراق^٤ . وعلى كل فإن هذه التسمية علاقة بأسم هذا الشعب العربي القديم الذي نتحدث عنه .

والنبط الذين قصدهم الأخباريون إذن ، هم قبض آخر لا نريد لهم نحن في هذا الفصل ولا نقصد لهم ، هم يقصدون بقايا الشعوب القديمة خاصة التالزين في البطائح منهم ، ومنهم مترسبات الإرميين في العراق والشام ، وذلك قبل الإسلام وفي الإسلام ، وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برماتة أعجمية وبلكنة غريبة

١ اللسان (٤١١/٧) (صادر) ، البستان (٢٢٥٠/٢) .

٢ اللسان (٤١١/٧) .

٣ اللسان (٤١٢/٧) .

٤ خالد بن محمد المروج : ديوان النبط ، مجموعة من الشعر العامي في نجد . دمشق ١٩٥٢ م (ط ١) ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجفي : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، القاهرة ، ١٩٥١ م (١٨٩/٢) .

ظاهرة . أما نبطنا ، فهم أصحاب كتابات مدونة بالإرامية ، وقد عاشوا في (العربية الحجرية) وفي مناطق أخرى خضعت لسلطانهم لم تكن البطائح منها على كل حال ، كما عاش فرع آخر منهم في (تدمر) ، وسبأني الحديث عنهم .

وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بـ (العرب الجنوبيين) . والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام . وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي ، وقد قلت إن من العلماء من يرى أن قلماً هذا مأخوذ من قلم النبط . يضاف إلى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدونة بالإرامية ، هي عربية خالصة من نوع عربية القرآن الكريم . هذه الأسباب أرى أن النبط أقرب إلى قريش وإلى العدنانيين على حد تعبير التسابيين من العرب الجنوبيين الذين تتبعوا أسماؤهم وأسماء أصنامهم بعداً كبيراً عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين . أضف إلى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن (نيايوت) وهو (نابت) أهل الأخبار ، هو الابن الأكبر لإسماعيل ، وإسماعيل في عرف التسابيين هو جد العرب العدنانيين .

وقد سبب تدوين النبط كتاباتهم بالإرامية خسارة فادحة لنا لا نقدر بشئ ، لأنه حرمتنا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة نحن في أشد الحاجة إليها ، لما لها من فائدة في دراسة تطور اللهجات العربية واللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والمراحل التي مرت بها . وخاصة أننا لا نملك من النصوص العربية المدونة باللهجات العربية الشمالية القريبة من عربية القرآن سوى بضعة نصوص .

ويعتد (ديودورس الصقلي) أقدم كاتب (كلاسيكي) تحدث عن النبط . يليه (سترابون) ، فبقية (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعدهما . وفي تأريخ (يوسيفوس) اليهودي المتوفى حوالي سنة (٩٥) بعد الميلاد ، أخبار مفيدة عن النبط، ولا سيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم بسبب الجوار .

وقد تطرق (سترابون) إلى أمور لم يتطرق لها (ديودورس) ، أخذها من صديق له اسمه (أثينودورس) (Athenodorus) ، وكان فيلسوفاً ولد بين النبط وعاش بينهم . وقد حدثه هذا الفيلسوف أن عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء

من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين النبط ، وكانوا في نزاع وخصام بينهم .
أما النبط فكانوا على صفاء ووثاق ، يعيشون عيشة سلام وراحة . ويتبين أثر
اختلاط الغرباء بالنبط ، في الآثار الباقية وفي الكتابات اليونانية والرومانية التي عثر
عليها في أرض النبط وعلى النقود .

وقد شملت مملكة النبط في أوج أيامها منطقة واسعة ضمت (دمشق) و (سهل
البقاع) (بقاآث هـ - لبنان) (Biq'ath Ha-Lebanon) (Coele Syria) ،
والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحووران و (أدوم) (Idumaea) ،
ومدين إلى (ددن) (ددان) وسواحل البحر الأحمر . وثبت أيضاً أن جماعة
من النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دنا) النيل ، وقد تركت لنا عدداً
من الكتابات .

ولا يعرف الموطن الأصلي الذي جاء منه النبط على وجه التحقيق ، ولا الزمان
الذي هاجروا فيه منه . ويظن بوجه عام أنهم كانوا يبدؤا في الأصل من سكان
البادية الواقعة شرق شرق الأردن ، ثم ارتحلوا نحو الغرب فتركوا أرض (أدوم)
وضابقوا الأدوميين الذين ارتحلوا نحو الشمال والغرب اختيباراً أو كرهاً ، فسكنوا
في المناطق الخصبية المشرفة على البحر المتوسط . وكان ذلك حوالي (٥٨٧) قبل
الميلاد . ولا يعرف على وجه العموم في الزمن الحاضر شيء ما عن مبدأ تاريخ النبط .

ويرى بعض العلماء أن النبط هم (نيباطي) المذكورون في أخبار الملك
(آشور بنال) (Aschurhanipal) ، وهم أيضاً (نابوت) (Nebojot) =
(Nabatene) أولاد إسماعيل في التوراة . وهم سكان أرض (Nabatene) .

Sir Alexander B.W. Kennedy, Petra, its History and Monuments, London,
1923, P. 33.

وسيكون رمزها : Kennedy

Ency. Vol. III, P. 381, Clermont Ganneau, Les Nabatiens en Egypte, in
Revue d'Arch. Or., VIII, 1924, PP. 339.

Kennedy, P. 29.

J. Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. IX, P. 121.

ENCY. RELIG. : وسيكون رمزها

Josephus Flavius, Antiquities of the Jews, I, XII, 4, Col. I, P. 103, A. R.
Shilleto, London, 1911, (Bell and Sons).

ويعارض هذا الرأي بعض آخر ، ولا يرى وجود صلة ما بين النبط و (نباطي) أو (نابات)^١ . وأما النبط المذكورون في (المكابيين) ، فهم النبط جماعة الذين تحدث عنهم الآن^٢ .

وقد أطلق (يوسفوس) اسم (النبطية) (Nabathae) على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتصل بحدود الشام الى البحر الأحمر ، وهي من مناطق أولاد اسماعيل^٣ . ويظهر من تأريخ (يوسفوس) أن مؤلف هذا التأريخ كان يرى وجود صلة بين اسم (نابات) وهو اسم ابن (يشمعيل) (اسماعيل) وبين اسم النبط ، والى هذا الرأي ذهب أيضاً (جيروم) (Jerome)^٤ .

ومن أخبار (ديودورس) عنهم أن معظم بلادهم قفرة قليلة الماء والقسم المئب منها قليل ، لذلك عاش سكانها عيشة أهراية ، على الغزو ، وعلى التحرش بحدود جيرانهم ، لعلهم أن من الصعب على الجيوش تعقب آثارهم والاتحام بهم في البادية قلة الماء ، وإلا تعرضت للهلكة والموت عطشاً .

أما هم ، فلهم آبار عظيمة ، وكهاريب أغلقت ففتحها ، فلا يعلم أحد من الناس سواهم أين هي ؟ يشربون منها متى شاموا ، ويأخذون منها ما يحتاجون اليه . وهم قوم يحبون الحرية ويقدمونها ، ويأبون الخضوع لحكم الغرباء . ولهذا لم يخضعوا لحكم الآشوريين أو الميديين أو الفرس أو لحكم ملوك المقدونيين ، مع أن هذه الدول أرادت استعبادهم فأرسلت عليهم جيوشاً قوية ، ولكنها لم تنجح في تحقيق ما أرادت ، ولم تتمكن من السيطرة على هؤلاء الأنباط^٥ .

وقد ذكر عنهم أنهم كانوا يجمعون المطر ويخزنونه في الصهاريج ، التي لا يعرف مواقعها أحد غيرهم ، وأنهم كانوا لا يلبقون ماشيتهم الماء إلا في كل ثلاثة أيام ، حتى تتحمل عطش البادية وقلة مائها ، وبذلك تتعبد هذه البوادي القاسية.

١ E. Schrader, K.L.T., B., 151.

٢ المكابيون الأول ، الإصحاح الخامس ، الآية ٢٥ ، الإصحاح التاسع ، الآية ٣٥ ، Hastings, P., 649.

٣ Josephus, Antiqu., I, 12, 4.

٤ Ency. Bibl., P., 3254.

٥ Diodorus, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, L. B. 31, 384, J. Cantlineau, Nabathéens et Arabes, I, in L'Inst. des Etudes Orient d'Alger, 1934-1935, 4.

أما الناس ، فكأنوا يعيشون على اللحوم والحليب ، يضاف إلى ذلك نوع من (النفل) ولب بعض الشجر ، حيث تخطط بالماء^١ .

وقد أخذ (ديودورس) أخباره عن النبط من مؤرخ قبله هو (Hieronymos of Kardia) = (Hieronymos of Cardia) ، ويعود خبره إلى حوالي السنة (٣١٢) قبل الميلاد ، إذ تحدث هذا المؤلف عن حملة (أنطيوخس) (Antiochos) على القبائل العربية ، فذكر (النبط) (Nabataei) = (Nabatoloi) وأشار إلى الحملة التي أرسلت عليهم^٢ .

ويبين من أقدم الأخبار الواردة في الكتب (الكلاسيكية) عن النبط أنهم كانوا في بادئ أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافل يتعاملون التجارة ، ويقبضون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون (الأسفلت) من سواحله الشرقية فيحملونه إلى مصر لبيعه إلى المصريين^٣ . وكانت لهم أماكن محصنة تحميهم طبيعياً ينتحون إليها فيصعب على العدو مهاجمتهم ومهاجمتهم في هذه الحصون ، كما أن لهم علماء بصحاريهم ومواضع الماء فيها ، يحتمون بها عند الحاجة ، ويتخلصون بذلك من تعقيب الجيوش . ويذكر أنهم جنوا أرباحاً كثيرة من تجارتهم بالأسفلت ، إذ كان المصريون يشترونه منهم لاستعماله في (المومياة) ، ولذا أقبلوا عليه إقبالاً كبيراً ، در على النبط ربحاً طيباً^٤ .

وقد وصفوا بأنهم كانوا يكرهون الزراعة ويزدرونها ، كما كانوا يزدرون السكنى في بيوت مستقرة ، وكانوا رعاة يربون الأغنام وبقية الماشية . وإذا وجدوا غريباً بينهم قتلوه ، لأنهم كانوا يخشون أن يقيموا تحت حكم الأجانب فيفقدوا حريتهم^٥ . ووصف (سترابو) النبط ، فقال : إنهم تجار ، أقاموا في بيوت من الحجر ، وقد اشغل قوم منهم بالزراعة^٦ .

لقد أظهر هؤلاء الرعاة مقدرة فائقة وكفاية لا تقدر في تكييف أنفسهم وفي

^١ Diodorus, 19, 49, Die Araber, I, 8, 32.

^٢ Diodorus, 19, 94, 1-100, I, Die Araber, I, 31.

^٣ Ency., Vol., III, P., 803, Dieties, P. 4.

^٤ Die Araber, I, 8, 34.

^٥ Die Araber, I, 8, 203.

^٦ Dieties, P., 4.

أحلهم بالأساليب الحديثة في الحياة . تمكنوا من استغلال أرضهم وما فيها من موارد طبيعية ، وتعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في (أدوم) ، واستخدام هذين المعدنين المهمين في صنع المواد اللازمة لشؤون الحياة . وأخذوا من (الفيلينية) تنظيم المدن وأصول الإدارة والفن وحولوا مدنهم الصخرية الى مدينة حديثة جميلة تنطق حتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابلياتهم المدنية . كما اقتبسوا من (القرث) (Parthian) ما يلائمهم ويوائم حياتهم وحاجاتهم . وضرروا التقود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا في صنعها وأجادوا وأثبتوا أن العربي كبقا كان أمره قابل للتطور والابداع والأخذ والافتباس ، وأنه إذا هبت له الظروف وأرشدته المرشدون ووجهوه توجيهاً حسناً ، أفاد نفسه وقومه والبشرية خير افادة .

ومن النبط انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشام أو في بطرا الى اليمن ، وقد كانوا واسطة لنقل (الفيلينية) الى العرب الجنوبيين . وقد عثر في (بحولان) من اليمن على رأس مصنوع من النحاس ، محفوظ الآن في المتحف البريطاني ، يشبه وجهه الوجه المطبوعة على النقود النبطية المضروبة في القرن الأخير قبل الميلاد ، لذلك يرى الباحثون أنه من صادرات مملكة النبط الى اليمن ، وأنه من المصنوعات المتأثرة بالطابع (الفيليني)^٢ .

ويعتدنا (ديودورس) أن (أنطيجونس) (Antigonus) الذي خلف الاسكندر في سورية ، جرّد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندي من المشاة وسبعة فارس جعلها في قيادة صديقه (أثينوس) (Athenaeus) ليجهزهم على التحالف معه وتأييد مصالحه . وأمره بماغتنهم وسلب كل ما يمتلكون من ماشية . فار القائد من مقاطعة (أدوم) (Idumaea) بكل حبله وتكتم لكيلا يعلم أحد من النبط به . وباغت الصخرة في منتصف الليل ، قتل من حاول المقاومة وأسر خلقاً منهم ، وترك الجرحى ، واستولى على ما وقعت عليه يده من البخور والتوابل والطيب والفضة . ثم أمر قوته بالأسراع بالرجوع ، فلما قطعت مسافة مبني (اسطاديون) أضناها التعب ، ونهكها قطع الطريق ، فاضطرت الى قطع

M. Rostovtzeff, II, PP. 853.

Rostovtzeff, II, P. 845, R. P. Hings, in British Museum Quarterly, XI,

1937, PP., 153, H. Shlobies, Forschungen und Fortschritte X, 1934, S. 242.

السير للاستراحة في معسكر أقامته . وفيما كان الجنود ينعمون بنومهم ، هاجمهم النبط وأعملوا فيهم السيوف ، فلم ينج من رجال الحملة الا لحسون فارساً هربوا بسلام بعد أن أنقذ أكثرهم بالجراح . وكان ذلك كما يزعم (ديودورس) بسبب تهاون رجال الحملة بأمر الحراسة وعدم تصورهم ملاحقة النبط لهم ، وتمكنهم من الوصول الى هذا الموضع في خلال يومين أو ثلاث^١ .

وذكر (ديودورس) ان اليونان تخيروا الوقت المناسب حينما باغتوا (الصخرة) فقد كان من عادة أهلها الذهاب الى أسواق مجاورهم للتجار ولبيادة سلعهم يطلع يحتاجون اليها من جيرانهم ، تاركين في صخرتهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم وعجرتهم وشيوخهم . ولم تكن الصخرة مع حصانها ، مسورة ، فانهز رجال الحملة هذه القرصة ، وباغتوا الحصن على نحو ما ذكرت . فلما بلغ الخبر النبط، تركوا السوق وتراكضوا الى الصخرة ، وأسرعوا بتعقبون أنسر اليونان حتى أدركوهم في ذلك الموضع ، فانضموا منهم شر انتقام ، وعلموهم درساً لا ينسى ولا شك في وجوب اتخاذ الحذر والحيلة وتقدير كل أمر حتى قدره مها صغر وتفه، وقد تأتى التوافة بنتائج لا تأتى من عظام الأمور . أما تأريخ إرسال هذه الحملة ، فكان في سنة (٣١٢) قبل الميلاد^٢ .

وبعد انتقام النبط ممن حاول استرقاقهم ، عادوا الى الصخرة راضين مطمئنين ، فنظموا أمورهم ، ثم كتبوا الى الملك (انطيوخوس) كتاباً كتب بالأبجدية السريانية يلومون فيه (أثينوس) (Athenaeus) على ما فعل بهم، ويعتلرون فيه عما يقدرون منهم ، ويحملون صاحبه وزر صنعه . وقد أجابهم الملك بأن ما حدث لم يكن بعلمه ورضاه ، وأن قائده عمل برأيه فخالف أمره ، ولذلك فهو بحمله وزره ، ويرجو أن تتحسن العلاقات فيما بينهم وبینه . وأن ينسى ما حدث ، وكان غرضه من هذا الكلام التأثير عليهم ، وجلبهم اليه ولو الى حين حتى يرى أمره ، فان أبوا ضرب ضربته . ونال ما أراد .

وبعد مدة هباً قوة قوامها أربعة آلاف مسلح من المشاة ، وأربعة آلاف من الفرسان جعل قيادتها تحت إمرة ابنه (ديميتريوس) (Demetrius) ، للانتقام

Die Araber, I, S., 33, J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 1932, II.
Booth, P., Book, XIX, VI, Kennedy, PP., 30, Deities, P., Ency. Relig., Vol., 9,
P. 121, Ency., III, P., 801, Die Araber, I, S., 33.

من النبط بأية طريقة كانت . فلما سمع النبط بقدومها ، أنشأ أموالهم في مواضع حصينة يصعب الوصول إليها ، ووضعوا عليها حراسة كافية ، وسلكوا طرقاً متعددة تؤدي بهم إلى البادية . فلما وصل (ديمتريوس) إلى (الصخرة) ، هاجمها بغتة وشدة ، غير أنه لم يفلح في اقتحامها والاستيلاء عليها ، ورجع بجيوشه قائماً بالهدايا التي قدمت إليه^١ .

ويذكر (ديودورس) أن النبط كانوا قد لجأوا إلى اتخاذ أماكن حراسة وضعوا فيها حراساً ، واجههم تنبيه النبط حين تبدو ظاهرة لخطر عليهم ، بإيقاد نيران في مواضع مرتفعة من تلك الأماكن ، تكون علامة على وجود الخطر . فلما ظهر (ديمتريوس) متجهاً نحو الصخرة ، أوقف الحراس النار ، فهرب النبط إلى مواضع آمنة من البادية ، وتخلصوا مع أموالهم منه ، لأنه خاف من ملاحظتهم لعدم تمكن جيشه من تعقب آثارهم والخوفهم من ولوج البادية . وقد كان (القبطونيون) يخشون من دخولها^٢ .

كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة، واكثرت الذهب والفضة بفضل اشتغالها في التجارة وموقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة طرق تجارية برية كانت عماد طرق القوافل في ذلك الزمن إليها يصل طريق اليمن والعربية الجنوبية المهم الموازي للبحر الأحمر ، ومنها يتفرع الطريق إلى مصر والشام وغزة والمثلث الفينيقية على البحر المتوسط ، وإليها يصل طريق تجاري آخر مهم يصل الخليج بمدينة (بغداد) . ويصل مدينة تجارية أخرى لم يكن شأنها في التجارة أقل من شأن عاصمة النبط ، وأعني بها مدينة جرعا Gercha على الخليج . فتحمل إليها تجارة الهند وما وراء الهند ، وحاصلات إيران والعربية الشرقية لتوزع منها في الشام ومصر وموانئ البحر المتوسط . وقد عمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم^٣ . وقد اقتضى ذلك بالطبع وضع حرس قوي لحماية القوافل وأجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها والاتفاق مع سادات القبائل لضمان سلامتها مقابل مبالغ تدفع لهم عن المرور (الرانزيت) .

Booth, PP., 656, Book, XIX, VI, Kennedy, P., 31, Dde Araber, I, 8, 32. ١

Diodorus, 19, 94, 6, 19, 2, Dde Araber, I, 8, 384. ٢

M. Rostovizoff, The Social, II, P., 841. ٣

وقد أدت سياسة البطالة الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية الى إلحاق أضرار فادحة بالنبط وبغيرهم من العرب الذين كانوا يتاجرون في البحر الأحمر . فاضطر النبط الى التحرش بسفن البطالة ومهاجمة السفن التي تنجّه نحو مصر وبأخذ ما فيها ، فاضطر (بطلمبوس الثاني) (٢٨٥ - ٢٤٦ قبل الميلاد) الى انشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية ، وقد ألحقت هذه القوة تحسائر فادحة بأسطول النبط ، منعت النبط أمداً من التعرض لقوافل البطالة ، غير ان النبط كانوا ينتهزون الفرص ، فلما انشغل (بطلمبوس) بالحرب مع (سلوقي) سورية عادوا الى مهاجمة سفن البطالة والسفن الناهبة أو الآتية من مصر^١ .

واللحقت سياسة (بطلمبوس فيلادلفيوس) ومشروعاته الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارة البلاد الحارة، أضراراً خطيرة بالتجارة العربية ، أثرت تأثيراً سيئاً جداً في الوضع السياسي في جزيرة العرب . إذ أفقدت العرب السيطرة على البحر الأحمر وأوجدت لهم منافسين خطيرين نافسهم في أسواق إفريقيا والهند ، ولم يكن من السهل التغلب عليهم ، بفضل ما أدخلوا على سفنهم من تحسينات فنية وابتكارات ، وما خصصوا بها من قوات لحمايتهم من تعرض سفن العرب لها . وقد أبنى (بطلمبوس فيلادلفوس) مدينة (Berenice) على خليج العقبة (Atlantic Gulf) لحماية التجار والسفن من تعرض النبط . ولعل ميناء (امبلونه) (Ampelone) الذي أسسه تجار الروم في جزيرة العرب على ساحل البحر الأحمر تجاه (العلا) على رأي بعضهم ، هو من المواضع التي أنشئت لهذه الغاية في هذا الزمن^٢ . وبإنشاء هذه المواضع سيطر اليونان على البحر والطريق التجاري القريب منه ، كما تمكنوا من ضمان الحصول على حاجاتهم بشراء ما يريدون من حاصلات الجزيرة ومن بيع ما يريدون يبعه في هذه الموانئ أيضاً .

وكان من نتائج هذه السياسة السيئة اقضي أثرها من جاء بعد (بطلمبوس فيلادلفوس) من الملوك والقيصرة ، مشاطرة تجار العرب أرباحهم العظيمة التي

١ Strabo, III, P., 264.

٢ Murry, The Rock City Petra, P., 80, Die Araber, I, S., 285.

٣ M. Rostovtzeff, The Social, Vol., I, P., 287.

كانوا يجنونها من الاتجار مع مصر والشام . فلم يدخل في امكانهم وضع الأسعار كما يريدون ويشتھون كما كان ذلك سابقاً . إذ وضع سادة بلاد الشام ومصر الجدد أسعاراً ثابتة لبضائع العربية والهندية التي تصل الى بلادهم ، كما فرضوا عليها ضرائب معينة بحسب قوائم جديدة . وبذلك تحكموا في الأسعار التجارية العالمية ، وحرّموا تجارة جزيرة العرب وسادتها من ملوك متاجرين وأسر غنية منتفلة وبحراً عظيماً ، وألحقوا غزائهم خسائر كبيرة . وكان من أثر هذه السياسة الصارمة هبوط الأسعار هبوطاً شديداً في الأسواق^١ .

وقد تمكن الباحثون في تاريخ النبط من ضبط أسماء جملة ملوك حكموا النبط. ولا نستطيع اليوم ذكر اسم أول من أسس مملكة النبط، ولا الزمن الذي أسست فيه تلك المملكة ولا الأسرة التي نلت أولئك الملوك . وكل ما نستطيع قوله هو أن استقلال النبط كان قبل الميلاد ، وإنما نعرف أسماء ملوك حكموا قبل الميلاد ، بصورة أكيدة لا مجال فيها لأي شك ، كما نعرف أسماء ملوك كان حكمهم بعد الميلاد .

ويكثر اسم (الحارث) (أرثاس) (أرثاس) (Arctas) = (Arethas) بين أسماء الملوك ، حتى لقد ذهب الظن ببعض الباحثين الى ان هذا الاسم هو لقب ، وأنه في معنى (فرعون) بالنسبة الى ملوك مصر ، و (قيصر) بالنسبة الى ملوك الرومان والروم ، و (النجاشي) بالنسبة الى ملوك الحبشة ، و (كسرى) بالنسبة الى ملوك الفرس ، و (تيج) بالنسبة الى ملوك اليمن^٢ . أما الاسم الذي يليه في المرتبة فهو (عبادة) و (مالك) و (رب ال) (رب ايسل) . وذهب بعض آخر الى ان لفظة (Aretas) هي اسم الأسرة الحاكمة التي حكمت النبط ، وأنها من أصل (آرامي) هو (حرث) (Charethath)^٣ .

وفي الفصل الخامس من أسفار (المكابيين الثاني) ان (أرثاس) زعيم العرب طرد (ياسون) (Jason) من أرضه (فجعل يفر من مدينة الى مدينة والجميع يتلذذونه ويغضونه بغضه من هارث عن الشريعة ، وعقبتونه مقت من هو قتال لأهل

1. Hostovitzeff, The Social, Vol., I, P. 387.

2. The Bible Dictionary, Vol., I, P. 192.

3. Hastings, P. 48.

وطنه حتى دحر الى مصر) ^١ . ويظهر من هذه الآية ان الحارث كان قد طرد (ياسون) من أرضه . وتغلب عليه ، وصار يتعقبه حتى هرب الى مصر . وكان (ياسون) قد اختلف مع أخيه (أونياس الثالث) (Onias III) في يهوذا على الكهانة العظمى . وقد حكم (لرتانس) أي (الحارث) المعروف بـ (حرث) (حرث) (حارث) (Harithat) في الكتابة النبطية في حوالي سنة (١٦٩) قبل الميلاد . ونظراً الى انه أول ملك وصل اسمه اليّا في الأخبار ، أطلق الباحثون عليه لقب (الأول) تمييزاً له عن بقية من جاء بعده حاملاً هذا الاسم ^٢ .

ويلاحظ أن الآية المذكورة لم تلقب (الحارث) بلقب (ملك) ، وإنما نعتته بـ (زعيم) ، أو بما شابه ذلك من معان ، هي دون درجة (ملك) . أما الموارد التلويحية ، فقد لقيته بلقب (ملك) ^٣ .

وقد وردت كلمة (النباطين) ، وهم النبط ، في موضع من الفصل الخامس من سفر المكابيين الأول ، وذكرت بعدها بجملة آيات كلمة (العرب) . وكان هؤلاء العرب يشدون أزر (يعمونائوس) الذي حارب (يهوذا المكابي) (يهوذا مكابوس) (Judas Maccabaeus) (١٦١ ق. م.) ^٤ أما النبط فكانوا على وئام مع المكابيين (يهوذا المكابي) وأخوه (يوثان) وكانت صلاتهم بحبرائهم المكابيين حسنة . ويظهر من الآية التي ذكر فيها اسم (العرب) أن (يعمونائوس) وأنصاره كانوا قد استأجروا العرب للقتال معهم* . وأغلب الظن أن المراد بـ (العرب) في هذه الآية هم جماعة من الأعراب .

وطلب (يوثان) (المتوفى سنة ١٤٣ ق. م.) - الذي انتخب مكان أخيه يهوذا المكابي بعد مقتله - من النبط مساعدتهم ، أن يعبروه عدة يستعين بها على أعدائه ، وذلك حين طلب (بكيديس) قتله . وأرسل (يوحنا أخاه في جماعة

١ المكابيون الثاني ، الفصل الخامس ، الآية ٨ .

٢ Ency. Bibl., Vol. 9, P. 121, 296.

٣ Die Araber, I, S. 290.

٤ Ency., Vol. III, P. 803, Ency. Relig., Vol. 9, P. 121, E. Schrader, KLT, S. 152, Ency. Bibl., P. 2853.

٥ المكابيون الاول ، الفصل الخامس ، الآية ٢٤ وما بعدها .

بقيادته يسأل النباطين أوليائه . أن يعبروهم عندهم الواقعة (١) ، فلما كان يوحنا في (ميدبا) (مادبا) ، خرج عليه (بنو يمرى) وقبضوا عليه وعمل كل من كان معه وذهبوا بالجميع^٢ . ويظهر من ارسال (يوناتان) أخاه النبط ومن جملة (يسأل النباطين أوليائه) الواردة في (المكابيين) أن علاقة المكابيين بالنبط كانت حنة جداً ، وأن النبط كانوا إذ ذاك أقوى أصحاب عدة وعناد .

وأما (بنو يمرى) Bene-Amri/Jambri الذين قتلوا (يوحنا) شقيق (يوناتان) ، وهو المعروف بـ (يوحنا المكابسي)^٣ ، فقبيلة عربية يظهر أن منازلها كانت في (ميدبا) (مادبا) من أقدم مدن (مؤاب)^٤ ، وهي تبعد ثمانية أميال إلى الجنوب الشرقي من (حسيان) (Heshbon) و (١٤) ميلاً^٥ شرقي بحر (لوط)^٦ ، وهي مدينة (Mydava) التي ذكرها (بطليموس) وذكر أنها تقع في (العربية النبطية) (Arabia Petraea) و (اندبه) (Undaba) و (Ueddaba) لدى (أوسيوس) و (Medaba) لدى (جيروم)^٧ . وصارت في العصور المسيحية مركزاً لأسقف المقاطعة المعروفة باسم (المقاطعة العربية) (Provincia Arabia) . ولا نعرف في الزمن الحاضر شيئاً من أمر هذه القبيلة (Bene Amri) ، التي لا يستبعد أن يكون اسمها الصحيح (بنو عمرو) .

وذكر (يوسفوس) أن (يوناتان) وشقيقه (سمعان) (Simon) سمعا أن (بني يمرى) (Bene Amri) (Amaraeus) سيقمون عرساً عظيماً ويزفون العروس من مدينة (Gabatha) = (Gabbatha) ، وهي من أشراف العرب ، فقرر الانتقام من قتل شقيقها ، فلحقها مع قوة كبيرة ووضعها كميناً في (ميدبا) (مادبا) . فلما وصل المركب ، خرج الكمين ، فسقط قتل كثيرون ، وهرب من تمكن من التوجه إلى الجبل^٨ .

- ١ سفر المكابيين الأول ، الفصل التاسع ، الآية ٣٥ .
- ٢ سفر المكابيين الأول ، الفصل التاسع ، الآية ٣٦ .
- ٣ (يوحنا مكابيسوس) ، قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٣٩٧) .
- ٤ (مادبا) ، Dubnow, II, 8, 79 .
- ٥ قاموس الكتاب المقدس (٢ / ٣٩٧) .
- ٦ Ency. Bibl., P. 3002 .
- ٧ Josephus, Antiq., XIII, I, IV .

وحكم بعد (الحارث الأول) الملك (زيد ال) (زيد ايل) ، وذلك في حوالي السنة (١٤٦) قبل الميلاد . ثم الملك (الحارث الثاني) (حرت) (حرت) ، الذي حكم حوالي سنة (١١٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى حوالي عام (٩٦) قبل الميلاد .

ويرى (شرادر) أنه حكم حوالي سنة (١٣٩) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩٧) قبل الميلاد . ويرى بعض آخر أنه حكم حوالي سنة (١٢٠ ق.م.)^١ ويظهر أنه كان يعرف بـ (ابروتيموس) (Erotimus) = (Herotimus)^٢ ويظن (شرادر) أنه هو الذي قصده (يوسفوس) حين ذكره في حوادث سنة (٩٧) قبل الميلاد .

وتوقف بعض آخر في تثبيت اسم من حكم بعد الحارث الأول ، فوضع فراخاً قدره بنحو نصف قرن ، ذكر أنه لا يندري من حكم فيه ، ثم وضع بعده اسم (الحارث) الثاني المعروف بـ (Erotimus II) ، وقد قدر حكمه فيما بين السنة (١٢٠) والسنة (٩٦) قبل الميلاد .

ولم تصل البنا أخبار واضحة أكيدة عن هذا (الحارث) . ويذكر المؤرخ اليهودي (يوسفوس) أن أهل (غزة) طلبوا منه العون والمساعدة ليتمكنوا من الثبات أمام محاصرة (اسکندر جنيوس) (Alexander Jannaeus) لمدينتهم ، غير أنه عجباً آملمهم ، فلم يساعدهم . وقد نعت هذا المؤرخ بـ (ملك) ، مما يدل على أن هذا القبط صار لقباً رسمياً لحكام القبط في هذا العهد .

وذكر أن (ابروتيمس) (Erotimus) = (Herotimus) (الحارث الثاني) ، كان قد اعتزل قرصة ضعف الأوضاع في مصر وبلاد الشام ، فهاجم بأولاده وبجنوده تلك الأرضين ، وغنم منها غنائم كثيرة ، فكانت بذلك لنفسه وللعرب

Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121. ١
Schrader, KLT, S. 153. ٢
Die Araber, I, S., 290. ٣
Ency., III, P., 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121. ٤
Schrader, KLT, S., 153. ٥
Deffies, P. 540. ٦
Josephos, Ant., 13, 368, Die Araber, I, S., 290. ٧

صيناً بعيداً^١ .

وتبين لنبط على ما يظهر أنهم إذا استمروا في تأييدهم ومساعداتهم للحشمونيين (Hasmoneans) المناضلين للخلاص من حكم السلوقيين السوريين ، ألقوا أضراراً بمصالحهم الخاصة وبمحكومتهم نفسها ، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي ، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن والتوغل في مناطق النبط نفسها ، وإنشاء حكومة قوية قد تراحم حكومتهم في يوم من الأيام ، فملأوا أن من الخير لهم أن يدعوا هذا التأييد ، وأن يقاوموا أن احتاج الأمر إلى المقاومة . وقد حدث ذلك بالفعل في عهد الملك المكابي (اسكندر جنيوس) (اسكندر ينوس) (Alexander Jannaeus) (١٠٣ - ٧٦ قبل الميلاد) حيث وقعت حرب بينه وبين النبط بسبب الأردن^٢ .

فلما تمكن الملك المكابي مستعيناً بمجنود مرتزقة من اليونان ومن أهل آسية الصغرى ومن (المزاييين) ومن (الجلعاديين) أهل (جلعاد) ، وهم من العرب كما يقول المؤرخ اليهودي (يوسفوس)^٣ ، وأجبرهم على دفع الجزية اصطدم بمعارضة الملك (عبادة) (Obedas) الذي أعلن حرباً عليه ، كاد (اسكندر) يهلك فيها لولا الأعداء التي احتضنته ففر مسرعاً هارباً بنفسه إلى القدس ، وبذلك كتب لنفسه السلامة والنجاة^٤ .

إن (عبادة) (Obedas) = (Obodas) = (Obadath) هذا الذي ذكره (يوسفوس) ، هو (عبادة) المعروف عند المؤرخين بـ (عبادة الأول) تمييزاً له عن ملوك آخرين عرفوا بـ Obedas ، وقد حكم حوالي سنة تسعين قبل الميلاد^٥ . وجعل (شراذر) حكمه في عام (٩٣) قبل الميلاد . وقد ورد اسمه مضروباً على النقود^٦ .

^١ Dée Araber, I. S. 290.

^٢ The Universal Jewish Encyclopedia, Vol. 8, P. 79.

^٣ Josephus, Antiq., XIII, XIII 5, The Jewish War, Book, I, IV, 3-4.

^٤ Jacobson, II, S. 146, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, PP. 389.

^٥ Ency. Reliq., Vol. 9, P. 121, Ency., III, P. 801, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 489.

^٦ Dée Araber, I. S. 291, Schrader, KLT., S. 153.

لم ينعم (اسكندر جنيوس) (اسكندر يانيوس) بعد عودته الى القدس بأيام طيبة هادئة ، فقلد جوبسه بمعارضة قوية وبجماعة شديدة أخذت تعارض سياسته وتقاومه ، ودبت الفتنة في كل مكان من مملكته وبلغ من حقد الجماعة عليه أنها استدعت (ديمتريوس أويكروس) (Demetrius Eukarus III) المعروف بالثالث من بقايا حكام مملكة السلوقيين السوريين المتداعية ونصبته ملكاً عليها وحاكماً^١ . وهكذا نجد الشعب اليهودي الذي استعاد استقلاله يعود الى طبيعته الأولى ، فينقسم على نفسه ، ويشعل نار حرب أهلية في مملكته ، ويفضل حكم الغرياء على حكم أبنائه . ولما وجد الملك المكابي مركزه حرجاً وخصمه قوياً وأنه قد ينقلب عليه ، وأن له في الجنوب خصماً آخر طموحاً أقوى من خصمه (ديمتريوس) وأعتف ، رأى التودد الى العرب والتحبب اليهم ، فترل لهم عن (موتاب) و (جلعاد) وعن أماكن أخرى كان يخشى من احتمال انضمامها الى خصومه ، وقدّمها إلى ملك الببط وتساهل في أمور أخرى ليأمن على ما تبقى من مملكته على الأقل^٢ .

وأما (ديمتريوس) الذي ترك (يهوذا) (Judaea) وارتحل عنها ، فقد ذهب الى (حلب) (Beroea) ، وانتصر على أخيه (فيليب) (Philip)^٣ . غير أن (ستراتو) (Strato) حليف (فيليب) وأحد حكامه ، أسرع فاستجد في (Zizus) بساتات القبائل العربية وبالفرث (Parthians) ، فأنجذوه وساروا بقوات كبيرة على (ديمتريوس) فانتصروا عليه^٤ .

وحكم بعد (عبادة الأول) ملك اسمه (رب آل) (Rabb'il) = (Rab'ilus) . يظهر أن حكمه كان حوالي السنة (٨٧) أو (٨٦) قبل الميلاد . ويعرف عند المؤرخين بـ (رب ايل الأول) تمييزاً له عن عدد من الملوك حكموا بعده عرفوا باسم (رب ايل)^٥ . وقد عثر على كتابة وسمت بـ (CIS II, 349)^٦ ، مؤرخة في شهر (كسلو) وشهر (شمادا) (Schemada) في قرامة^٧ و (شمارة)

Dubnow, II, 166.

Josephus, Antiq. XIII, XIV, 3, Note 2.

Josephus, Antiq. XIII, XIV, 3, Note 2.

المصدر نفسه .

Ency., III, P. 802, Ency. Reli., Vol. 9, P. 121, Schrader, KLT, S., 151.

CIS, Pars. Secunda, Tomus, I, Fasculus Tertius, P. 306.

CIS وسيمكون رمزه :

Provincia Arabia, I, S., 312.

(شمرة) (Schamara) في قراءة أخرى^١ من سنة (١٨) على قراءة^٢ أو سنة (١٦) على قراءة أخرى من سني ملك اسمه (حرت ملك) ، أي (حارث الملك) ، أو (الملك الحارث) بتعبير أصح . وقد دوت هذه الكتابة على قاعدة تمثال عثر عليه سنة (١٨٩٨ م) عند (بطرا) (Petra) دوت عليها : وهذا تمثال رب إيل ملك النبط بن ت ملك النبط عملها ب رحيم (حيم) (تي) (مجي) الأقدم^٣ . فيظهر من هذه الكتابة ان تمثالا^٤ أقيم لملك (رب إيل) عمل في السنة الثامنة عشرة أو السادسة عشرة من سني ملك اسمه (حرت) ، أي (الحارث) ، وان الذي عمل التمثال شخص لعب القدر بعض حروف اسمه الأول ، فلم يبق منه إلا الحرف الأخير ، وهو (ب) ، كما لعب في طمس معالم بعض الحروف الأخرى من الاسم ، حل الباحثين على الاختلاف في قراءتها .

أما اسم الملك وهو (رب ال ملك نبطو) ، فهو ظاهر واضح . وأما اسم أبيه الذي هو (ملك نبطو) أي ملك النبط ، فقد سقطت حروفه ولم يبق منه إلا الحرف الأخير وهو (ت) ، للملك اختلف فيه الباحثون ، فمنهم من قرأه (عبت) ، أي (عبادة) ، فجعل لذلك (رب إيل) ابناً له ، أي لـ (عبادة الأول) ، ومنهم من قرأه (حرت) ، أي (الحارث) ، فجعل أباه ملكاً اسمه (الحارث)^٥ .

ولا نعرف شيئاً يذكر من أعمال (رب إيل) . ولعل ما ذكره (اصطيفان البيزنطي) (Stephanos of Byzanz) نقلاً عن (أورانيوس) من أن ملك العرب المسمى (ريلبيوس) (Rabllos) = (Rabllos) قتل (انثيغونس) (Antigonos) المقدوني في موضع يقال له (Mantho) ، وهو قرية عربية ، أريد به الملك (رب إيل) الذي نتحدث عنه . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن المراد

CIS, II, I, III, P. 304.

Provincia Arabia, I, S., 312.

Provincia Arabia, I, S., 312, Nr. 405, J. Cantineau, 2, I.

CIS, II, I, III, P. 306, Provincia Arabia, I, S., 312, Clermont-Ganneau, Re-

cueil d'Archéol. Orientale, II, PP. 221, Syria, Tome, IV, 1923, P. 152.

Dés Arabes, I, S., 265, Delile, P. 540.

من لفظة (موتو) (موتو) الموت ، وإن القصد موضع الموت أو قرية الموت ، لما وقع فيها من موت ، فعرفت به^١ .

ولا نعلم من أمر (رب ايل) شيئاً يذكر ، والظاهر ان حكمه كان قصيراً ، جعله بعضهم نحو سنة ، أي سنة (٨٧) قبل الميلاد ، ثم وضع بعده حكم (الحارث) المعروف بالثالث^٢ . وهو من أشهر الملوك المتقدمين من النبط ، وأخباره أوضح من أخبار من تقدمه ممن ذكرت . وقد ذهب بعضهم الى احتمال كونه هو (اروتيموس) (Erotimus) المذكور في التواريخ اليونانية^٣ . وذهب بعض الباحثين الى أن حكم الحارث كان من سنة (٨٥) حتى سنة (٦٠) قبل الميلاد ، أو من سنة (٨٧) حتى سنة (٦٢) قبل الميلاد^٤ . وإذا صح أنه أدرك سنة (٦٢) أو (٦٠) قبل الميلاد ، يكون الرومان قد استعادوا مدينة دمشق في أيام هذا الملك ، إذ يرى كثير من المؤرخين أن (اللجيونات) الرومانية العاملة بإمرة القائد (لوليوس) (Lollius) و (ميتيلوس) (Metellus) قد احتلت المدينة عام (٦٥) قبل الميلاد ، ثم دخلها (يومبيوس) في سنة (٦٤) قبل الميلاد^٥ . وذهب بعض الباحثين إلى أنه اضطر الى إخلاء (دمشق) سنة (٧٠) قبل الميلاد ، إذ لم تستطع جيوشه الوقوف أمام جيش الملك الأرمني (تيكرانس) (Tigranes) التي زحفت على بلاد الشام^٦ .

وقد عرف الحارث الثالث بـ (فيلهيان) (Philhellen) ، وهو لقب يوناني (Aretas Philhellene) ، معناه محب اليونان . وقد اشتهر بتوسيعه رقعة ملك النبط . فلما هاجمه (أنطيوخس الثاني عشر) (Antiochus XII) وأخذ يتوغل في أرض النبط ، أسرع (الحارث) فجمع قواته ووقف بحزم أمام القوات المهاجمة ، ثم اصطدم به عند موضع (Kana) (Cana) ، حيث قضى على معظم جيش (أنطيوخس) وألحقه مع من قتل بالعالم الآخر . وقد

Die Araber, I, S., 294. ١

Die Araber, I, S., 291. ٢

Die Araber, I, S., 292. ٣

Schrader, KLT, S., Deities, P. 540. ٤

Ency. Bibl., P. 601, Deities, P. 540. ٥

Deities, P. 541. ٦

وقعت هذه المعركة في سنة (٨٦) أو (٨٤ - ٨٣) قبل الميلاد .

ويرى بعض الباحثين استناداً الى النقود التي ضربت باسم (أنطيوخس) ، سنة (٨٧ - ٨٦) قبل الميلاد ، والتي اشتمل ضربها ثلاث أو أربع سنين ثم انقطعت أن نهاية هذا الملك كانت سنة (٨٥ - ٨٤) أو (٨٤ - ٨٣) ، وهي السنة التي قتل فيها ، وانتهت بانتصار (الحارث) عليه .

وقد مكن سقوط (أنطيوخس) في تلك المعركة التبط من تقوية أنفسهم ومن شد عزيمتهم ، فلما مات الملك (رب ايل) الأول سنة (٨٧) قبل الميلاد على بعض الآراء ، وتولى (الحارث) الثالث (حارثة) (Aretas) الحكم من بعده انتهز تلك الفرصة فاستولى سنة (٨٥ ق.م.) على دمشق ، وتوسعت بذلك رقعة مملكته وأحاطت بمملكة المكاين من الشرق والجنوب^١ .

وقد افتتح عهد (الحارث الثالث) باستيلائه على (دمشق) وعلى (سهل البقاع) (Kolle-Syria) = (Kolle-Syria) ، فقد استعاده أهلها لانقاذهم من مهاجمة (البطورين) (Ituræer) لهم ، بقيادة ملكهم (بطلميوس بن منيوس) (Ptolemaios Mennaios) ، أي (بطلميوس بن من) . وهو من أصل عربي أيضاً ، فأسرع اليها ، وكانت يومئذ قسبة (السلوقيين) ، فاستولى عليها ، ودخلت في جملة أملاكه^٢ ، ولقبه أهلها (محب اليونان وحاميهم) (Philhellen) ، لأنه أنقذهم من (غزو الأعراب) لهم^٣ .

الآن وقد أصبح (الحارث) ملكاً على مملكة واسعة الأطراف ، وتشرف على مملكة (يهودا) المتداعية ، وإمارته جيش قوي ، كان لا بد له من التدخل في

١ (Kana) (Cana) على ساحل البحر المتوسط عند (يافا) ،
The Cambridge Ancient History, Vol. 9, P. 490, Josephus, Antiq., XIII, XV,
I, Vol. 2, P. 428. The Jewish War, Book, I, IV, 7-8, Die Araber, I, S., 294,
Dubsow, II, S., 163, Hastings, P. 147, Deities, P. 546.
٢ Die Araber, I, S., 294.
Bernhard Stade, Geschichte des Volkes Israel, II, S., 504, Berlin, 1898,
Deities, P. 540.
٣ Die Araber, I, S., 294, H. Stade, II, S., 405.
Die Araber, I, S., 298, R. Dussaud, Penetration, 55, A. Kammerer, Petra
et La Nabatene, 1929, I, 515, A. H. Bellinger, 71.

شؤون هذه الجماعات المتخصصة المتنافرة التي تكون مملكة ، ولكنها لا تخضع ملك ولا لسلطان . وإذا لم يتدخل هو بنفسه فإن الأحزاب اليهودية نفسها لا تتركه على الحياذ . وهذا ما حدث . ففزا (الحارث) أرض يهوذا ، وفي معركة واحدة وقعت عند موضع (اديدا) (Addida) = (Adida) أنهار الجيش اليهودي ، ونشبت شعله ، فلم يبق أمام (اسكندر بنيس) (Alexander Jannaeus) = (Alexandros Iannaios) غير طلب الصلح ، فعقد الصلح ، وعاد البيط الى ديارهم الى حين^١ . ولم يشر المؤرخ (يوسفوس) الى محتويات معاهدة الصلح^٢ .

أما (Adida) = (Addida) المكان الذي وقعت فيه المعركة ، فهو (الحديثة) على مقربة من (الد) (Ludda) ، المسماة أيضاً باسم (Diospolis)^٣ ، وقد عرفت (Adida) باسم (حاديد) (Hadid) و (حديد) (Hadid) و (Aditha)^٤ .

لقد تمكن (الحارث) من بناء جيش يعتمد عليه في المعارك ، فبعد أن كان جيش البيط في يادى أمره جماعات غزو غير منظمة ولا منسقة تهاجم عدوها وتهاخته على طريقة الأعراب ثم تراجع ، يستترها العُرف القبلي ، تحسن جيش البيط بعض التحسن ، وأدخلت على القوات الراكبة بعض الإصلاحات ، غير أنها بقيت مع ذلك متأثرة بروح البداوة ، التي لا تقبل الخضوع للأنظمة والأوامر ، والتي لا تهتم إلا بالغنائم ، فإذا حصلت عليها رجعت الى مواطنها دون تفكير في العاقبة . فلما استولى (الحارث) على دمشق ، وفيها عدد كبير من اليونان ، انضم بعضهم اليه ، فعملوا على تحسين جيشه وتدريبه ، وعلى تكوين جيش مدرب نظامي ، استعان به في تقوية مركزه حتى صار به من أقوى ملوك البيط الذين حكموا حتى أيامه ، مما حمله على التدخل في شؤون مملكة يهوذا ، ثم على مجابهة الرومان ، وهم أصحاب جيوش منظمة مدربة ، بجيش لم يتعود دخول الحروب النظامية ، فتغلب الرومان من ثم عليه .

Josephus, XIII, XV, 2, Vol. II, P. 423, Duhnrow, II, S. 163, The Cambridge Ancient History, Vol. IX, P. 400.

Doe Araber, I, S. 298.

Hastings, P. 12, 324, Ency. Bibl., P. 1032.

الكاتبون الاول ، الفصل الثاني عشر ، الآية ٢٨ ، الفصل الثالث عشر ، الآية ١٧ ، Ency. Bibl., P. 68, 1932, Jerome, Onom., 92, Doe Araber, I, S. 298.

فلما دب الخلاف بين الأخوين (أرسطوبولس) (Aristobolus) و(هركانوس) (Hyrcanus)، ابني (اسكندرة) (Alexandra) على الملك، وانقسمت (يهوذا) إلى أحزاب وجاعات أبرزها جماعة (الفريسيين) (Pharisees)، يؤيدون (هركانوس) وجماعة (الصدوقيين) (Sadducees) أنصار (أرسطوبولس)، وجميع (أرسطوبولس) حوله أنصاره وجيشاً من العرب ومن جنود مرتزقة، وتفوق على أخيه، طلب (هركانوس) مساعدة النبط، وبعث صديقه (انتيطر) (Antipater) إلى (بطرا) ليتوسط لدى (الحارث)، وكان صديقاً له، في أمر مساعدة (هركانوس) وفي أمر الانسحاب إليه. فلما نجحت الوساطة، هرب من القدس ليلاً متجهاً إلى النبط، وطلب من الملك إلحاح أن يعيده إلى (يهوذا)، وأن يأخذ له التاج من أخيه، ويثبته في ملكه، ويتعهد في مقابل هذه المساعدة بإعادة المدن الاثني عشرة التي أخذها أبوه (اسكندر) من العرب، وهي: (مادبا) (Madaaba)، (مادبا) (Medaba) و(نبالو) (Naballo) و(ليباس) (Libias) و(ثربة) (Tharabasa) و(أكلة) (Agalla) و(اثونه) (Athone) و(زوره) (Zoara) و(أوروته) (Oronae) و(ريده) (Rydda) و(أوسه) (Lusa) و(أوريه) (Oryba) و(مريسه) (Marissa) إلى النبط. فوافق (الحارث) على هذه الشروط، وهجم على (يهوذا) (٦٦ - ٦٥ ق. م.) بجيش قوامه خمسون ألف جندي راجل وفارس شنت شمل أصحاب (أرسطوبولس) وتركه وحده، فهرب إلى القدس. فتعقبه الحارث على رأس جيش عربي يهودي كبير، وأحكم عليه الحصار، وكادت العاصمة تسقط في يديه لولا حدوث تطور سياسي عسكري خطير قلب الوضع، ذلك هو هجوم الرومان فجأة في أيام (يوميوس) على دمشق وسورية وهجوم قائدهم (سكورس) (Scaurus) على (يهوذا) وتدخله في هذا النزاع. لقد كان تقدم الرومان هذا في بلاد الشام تهديداً صريحاً لليهود والنبط، أدى بعد قرون إلى الاستيلاء التام على كسل فلسطين والأردن وإلحاقها بالمستعمرات الرومانية. وقد كانت فاتحة ذلك تدخل الرومان في شؤون يهوذا، وتوجيه انظار

Josephus, XIV, I, 4, II, 1-2, Dubnow, II, 8, 172, Josephus, The Jewish War, 302.

تاريخ يوسفوس اليهودي، الطبعة العلمية، بيروت (ص ١١٥).

الى (الحارث) بوجوب فك الحصار عن (القدس) والتراجع عن يهوذا مع جميع جيشه فوراً ان أراد أن تكون علاقاته بـ (رومة) حسنة ، والا عدواً لها ومشاكساً . وقد أدرك (الحارث) ان جيشه لا يستطيع الوقوف أمام جيوش الرومان المدربة المنظمة المسلحة تسليحاً جيداً حديثاً بالنسبة الى أسلحة النبط . ففك الحصار ، وتراجع ومعه (هركاتوس) ، فانغتم (أرسطوبولس) القرصة ، وكان قد اكتسب ثقة (سكوروس) قائد الرومان ، وتعقب المترجمين في طريقهم الى (ريت - عمان) (فيلادلفيا) (عمان) ، فالتحم بهم في معركة عند موضع اسمه (بابرون) (Papyron) ، فانتصر على (الحارث) وقتل ستة آلاف من أتباعه .

وتعقدت الأمور ثانية بين الرومان والنبط ، وهدد (سكوروس) النبط بالزحف عليهم وتخريب بلادهم ، وقرر الحارث في بادئ الأمر تحديده ، ثم وجد ان من السهل عليه الثبات له ، وتوسط (انيباتر) فيها بينه وبين (سكوروس) بأن يدفع الحارث جعالة للرومان ، وتصلح بذلك معهم . وقد سرّ (بومبيوس) من هذه النتيجة حتى اتته أمر بوضع صورة (الحارث) في موكب نصره ، كما سرّ (سكوروس) بذلك اذ أمر بضرب نقد ، صور الحارث عليه وقد أحنى رأسه راكمًا وحاملًا معقة تعبيراً عن استسلامه له .

لقد وقع كل ذلك في حوالي السنة (٦٢) قبل الميلاد ، السنة التي هلك فيها هذا الملك ، وذهبت يوفاته مع كل آماله وأحلامه في أن يكون ورث مملكة السلوقين في بلاد الشام . ولعل التركة التي وقعت له قد أثرت فيه ففعلت منه.

وقد ورد اسم (الحارث) في كتابة عثر عليها في القسم المعروف بـ (المدراس) (المدرس) (Elmadras) من (بطرا)^٢ . و (المدراس) معبد خصص لعبادة الإله (ذو الشرى) (Duschara) إله النبط الكبير . وقد دوتها أحد قواد الملك في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من حكم (حرتت) (Haritit)

Josephus, XIV, II, 1-3, Vol. 3, PP. 4, Dubnow, II, S. 174, The Cambridge Ancient History, Vol. IX, P. 382, Die Araber, I, S. 302. ١
Die Araber, I, S. 303, J. De Morgan, Manuel de Numisme Orient., 2, 1924, 237. ٢
Provincia Arabia, I, S. 209. ٣

في مناسبة تخبره الى الإله (ذو الشرى) بصم نخيره ونخيره ملكه^١ .

وحكم بعد (الحارث الثالث) ابنه الملك (عبادة الثاني) ، حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو من سنة (٦٢) حتى سنة (٦٠) على رأي آخر^٢ . ولا نكاد نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد عثر على نقد من الفضة ضرب بأمره وهو من فئة الـ (دراخما) (Dirakhma) ، ضرب في السنة الثانية أو الثالثة من سني حكمه . وقد صور عليه وجه الملك حليفاً ، وشعر رأسه قصيراً^٣ .

ويظهر من رواية أوردها المؤرخ (يوسفوس) أن القائد (A. Gabinius) ، انتصر على النبط في إحدى المعارك ، وأن النبط قد هزموا هزيمة منكرة . ولم يذكر اسم الملك الذي انتصر عليه هذا القائد . وإنما أخذنا برواية من يجعل هذا الانتصار في السنة (٥٥) قبل الميلاد^٤ ، فنعني هذا أن الملك المغلوب هو (عبادة الثاني) على رأي من يرى أنه حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو في أيام (مالك الأول) على رأي من يجعل ابتداء حكم هذا الملك من سنة (٦٠) قبل الميلاد .

وحكم الملك (مالك) (Malichus) = (Malchus) المعروف بـ (الأول) بعد (عبادة الثاني) ، وهو ابنه ، من سنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) على رأي . ومن سنة (٥٠) أو حوالي السنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) قبل الميلاد على رأي آخر^٥ . وذهب بعض المؤرخين الى أن (مالكا) كان قد حكم بعد (الحارث الثالث) ، وأن حكمه كان فيما بين السنة (٦٢) والسنة (٣٠) قبل الميلاد^٦ .

وقد أجد النبط في أيام ملكهم (ملكوس) (Malchus)

Provincia Arabia, I, B., 210, CBB, II, 442, Euting 16, Lagrange 56, Lagrange, ١
Revue Biblique, VII, 1888, P. 165, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archeol.
Orient., II, P. 379.

٢ اختلف في تاريخ حكمه وبعض الباحثين رأي آخر ، راجع :
Ency., III, P. 801, Dillmann, Neue Petra-Forschungen, 1912, S. 99.

٣ HIL, P. XII, 3, PL., XLIX, 2, 3.

٤ Josephus, Antiqu., 14, 163, Fad., I, 178, Die Araber, I, B., 306.

٥ HIL, P. XIII, Ency. Relig. Vol. 9, P. 121, Ency., Vol. III, P. Schrader, KLT., ١
S. 153.

٦ Dittler, P. 541.

أي (مالك الأول) ، (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) سنة (٤٧) أو (٤٨) قبل الميلاد في حصاره لمدينة الاسكندرية ، فأمدته بقوة من جيشه^١ . كما ساعده أيضاً عدد من سادات القبائل توسط في إرسالهم اليه (أنتياطر) (Antipater) ، لعلهم من سادات قبائل طور سيناء^٢ .

وكان (انتيباتر) قد تزوج امرأة عربية من أسرة كبيرة معروفة ، نجت له أربعة أولاد وبنتاً ، وتمكن بهذا الزواج من تكوين صداقة متينة مع ملك العرب (النبط) كما يقول ذلك (يوسفوس) . ولما وقعت الحرب بينه وبين (ارستوبولس) (Aristobulus) ، أرسل أولاده الي جندهم ملك العرب ليكونوا في مأمن هناك^٣ .

وكان له (بطرا) أثر مهم في الخصومات الشخصية التي وقعت في مملكة (يهوذا) أيام الملك (هركانوس بن اسكندر) ، هذه الخصومات التي أدت الي تدخل (القرث) (Parthians) من جهة ، والى تدخل الرومان من جهة أخرى في شؤون مملكة يهوذا ، ولكل دولة مصلحة في هذا الجزء المهم من الشرق الأدنى ومطعم . وللدولتين أنصار وأعوان ، وطامعون في الملك يريدون المساعدة والعونة للحصول على العرش . والطامعون في العرش والراغبون في الفتن والخصومات في (يهوذا) كثيرون . فلما بلغت جيوش القرث حدود (القدس) ، بتحريض من (انطيفونس) ابن أخ (هركانوس)^٤ ، أسرع (هيرودوس) (Herodus) ابن القنبل (انتيباتر) الذي كان الحاكم الحقيقي في (يهوذا) ، وصاحب النفوذ في المملكة ، وصاحب الخطوة عند الرومان ، فهرب الي النبط ، الي ملكهم (مالك) (Malchus) في عاصمة (بطرا) ، يلتمس منه العون والمساعدة والمآل على سبيل القبة أو الدين لما كان لوائده القنبل من صداقة به ، ليرشو به من ينقل حياة أخيه . فلما كان في طريقه الي بطرا وصلت رسل الملك تخبره أن الملك لن يتمكن من مقابله ، وذلك بناءً على طلب ورجاء تقدم به القرث اليه ، واتصل عندئذ بسادات قبائل عربية كانت لهم صلات وصداقة بوالده ، فلما رأى ذلك أثر

1. Delile, P. 541, Die Araber, I. 8., 306.

2. Josephus, Antiq., XIV, VIII, I. Vol., 3, P. 22.

3. Josephus, The Jewish War, Book, I, VIII, 8.

4. تاريخ يوسفوس (ص ١١٦) (Antigonus)

Josephus, Antiqua., XIV, XIII, 3. Dubnow, II, 8., 250.

الذهاب الى مصر ومنها الى ايطاليا حيث كان له فيها أصدقاء يساعدوه في الانتقام من قطة أبيه^١ . والى هذا الملك ، أي ملك النبط (مالك) هرب (يوسف) (Joseph) شقيق (هيرودس) مع مثنى رجل من رجاله ، عسى أثر هجوم (انطيفونس) ، وحيناً بلغه تغير رأيه بالنسبة الى (هيرودس) أخيه^٢ .

وعاد (هيرودس) من (رومة) ملكاً ، لقد تفضل (أغسطس) و (أنطونيوس) ومشايخ الرومان عليه فنصبوه ملكاً على اليهود ، على مملكة يعين ملوكها الرومان أو القرث . عاد بفضل الرومان ، فصار بالطبع آلة في أيدي سادة (رومة) . ولما نشبت الحرب بين (أنطونيوس) و (أوكتافيوس) سنة (٣٢) قبل الميلاد ، انضم الى حزب (أنطونيوس) صاحب التفضل عليه . أما وأبيه الذي كلفه ، فقد كان محاربة النبط ، الذين رفضوا دفع الجزية للرومان ، وأبوا الخضوع لهم ، والذين أيدوا القرث . ولما تمكن القائد (فنتديوس باسوس) (Ventidius Bassus) من ضرب القرث ومن انزال هزيمة بهم ، أصاب الضرر الملك (مالك) حليف (القرث) فالتزعت منه بعض أملاكه . لذلك فرح (هيرودس) بهذا التكليف ، وشجعت على ذلك (كليبوطرة) ملكة مصر وصاحبة (أنطونيوس) ، التي طلبت منه الإسراع في محاربة (ملك العرب) الذي أبى دفع الجزية لها ، وكانت تكره (هيرودس) وتريد هلاكه ان أمكن ، فأرادت بعملها هذا أن تقضي عليه ، أو أن تضعف من مركزه ومن مركز ملك العرب ، بمحاربتها بعضها بعضاً فتتمكن من الملكين فيخضعان لها وتكون سيادة (العربية) . وبأمر (هيرودس) بمحاربة النبط ، فالتقى بهم عند (اللد) (Diospolis) وانتصر عليهم ، ثم التحم بهم في (قنا) (Cana) (قنات) (Canatha) في البقاع (Coele Syria) وكاد يتغلب عليهم لولا هجوم (أنتيوس) (Atheniaus) فتغيرت الحال ، وهاجمه النبط أيضاً فقط عدد كبير من جيشه في ساحات القتال وأسروا من فر منهم الى (Ormiza) فاضطر عندئذ الى الرجوع الى (القدس)^٣ .

Josephus, Antiq., XIV, XIV, 1-3, The Jewish War, I, XIII, 8, Book, I, XIV, 1-2.

Josephus, The Jewish War, Book, I, XV, 1.

تاريخ يوسفوس ص ١٦٨ وما بعدها .

Josephus, Antiq., XV, 110, 119, The Jewish War, I, XVIII, 4, 1-4, Die Araber, I, B., 306, 307.

وفي القدس أخذ (هيرودس) يحرص قومه على الانضمام من العرب ، والأخذ بالثأر ، ولا سيما بعد هجوم العرب على مملكته ومباغته مدنه . فشبت سلسلة من الحروب كلفت اليهود والعرب خسائر كبيرة ، إذ طالت الحروب ، ولم تنته الا بعد مشقة . وبدعي المؤرخ (يوسفوس) ان النصر كان في الحانسة في جانب اليهود . فقد جمع (هيرودس) كل قواته وأعاد تنظيمها ، ثم عبر الأردن . ولما بلغ (عمان) (Philadelpia) التحم بالنبط ، فأزله بهم خسائر كبيرة ، إذ سقط منهم خمسة آلاف قتيل ، واستسلم منهم أربعة آلاف رجل كانوا قد تحصنوا في معسكر حصين ، ولكن أجبرهم العطش في الأخير على الاستسلام . كما قتل سبعة آلاف آخرون كانوا حاولوا الفرار من الحصار ، فقتلهم اليهود وقتلهم . واضطر النبط عندئذ الى دفع الجزية الى (هيرودس) ، وعقدوا صلحاً معه ، ولم يخالفه العرب بعد ذلك .

يقول (يوسفوس) : إن العرب كانوا يكرهون (هيرودس) وحاولوا الثورة عليه والانضمام منه حتى بعد عقد هذا الصلح . وقد كان في جملة من دفع الجزية اليه العرب الساكنون في (حوران) (Auranitis) ، يحكم نبرع القيصر (أغسطس) بأرضهم له ، إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية اليه أحياناً ، وكانوا يمتنعون من دفعها أحياناً ، أخرى ، ويحاولون التخلص منه . ولم تكن قوة (هيرودس) في الخليفة هي التي جعلت هؤلاء الأعراب يقبلون بمصالحة اليهود أو دفع الجزية لهم ، إنما كانت قوة الرومان التي تسخرها أيدي إدارية قوية تحسن التوجيه للبطش في القبائل المتعادية وفي سادات القبائل المتنافسين على الزعامة الشباقيين ، وفي العساكر المسخرين الذين أكرهوا على القتال ، ولم يكن لديهم علم بأسلوب القتال ولا بكيفية استخدام الأسلحة ، ولا عزم على الوقوف في وجه الخصم ، وليس لهم ضباط وقادة مجربون محنكون ، لهم هدف وطني وخبرة بأساليب القتال ، ولم يكونوا يرون في الفرار ما لا يتفق مع واجبه العسكري .

ولا تدري متى كانت نهاية الملك (مالك) بعد هذه الخسائر التي حلت بالنبط . والظاهر انه لم يعمر بعدها طويلاً ، أو انه مات في أثنائها ، فإن المؤرخ (يوسفوس)

1 Josephus, Antiq., 15, 153, 157-158, Jewish War, I, 383. Die Araber, I, 8, 306.

2 تاريخ يوسفوس (ص ١٦٨ وما بعدها) .
Josephus, Antiq., XV, V, 1-5, The Jewish War, Book, I, XIX, 1-6.

التي هو مرجعنا في أخبار هذه الحروب لم يشر اليه ولم يذكره في الغارة الانتقامية التي أنفذها النبط على أسطول (كاليبتره) عند موضع (Actium) التي أدت إلى إحراق السفن المتجمعة هناك^١.

وقد خلف (عبادة) (Obodas) المعروف بالثاني عند بعض المؤرخين وبالثالث عند بعض آخر الملك (مالك الأول) . خلفه على الحكم سنة (٣٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩) قبل الميلاد . ويظن أنه مات مسموماً سنة (٩ ق. م.) سمه وزيره ومستشاره (صالح) (Syllaues) الذي قطع رأسه في (رومة) سنة (٥) قبل الميلاد^٢.

وفي أيام هذا الملك كانت حملة الرومان التي أرسلها (أغسطس) بقيادة (أوليوس غالوس) لفتح بلاد اليمن . وهي حملة أسهم فيها النبط بتقديم قوات لمساعدة الرومان ، كما أسهم فيها (هيرودس) ملك (يهوذا) بمخمسة رجل يهودي ، ضمنهم الرومان وسار بهم إلى اليمن ، كما تحدثت عنها في كلامي على السنين . ووصف (يوسفوس) (عبادة) بالضعف وفقر الفضة والكل ، ووصف وزيره (صالح) (Syllaues) بالقدره والكفاية على صغر سنه . وأنه لذلك كان هو المنصرف في الأمر والمدير لشؤون المملكة ورجل الدولة الحقيقي . وكان صديقاً لـ (هيرودس) يزوره ويتزل عليه . وكاد يتزوج أخته لولا اختلاف الدين ، ورفض (Syllaues) الدخول في الديانة اليهودية ليسمح له بالزواج^٣.

وقد انقلب المودة التي كانت بين (هيرودس) و (صالح) (Syllaues) عداوة شديدة ، فعلى (صالح) حين ذهب إلى (رومة) لاثارة حفيظة (أغسطس) على (هيرودس) بسبب الحملات العسكرية التي قام بها على أرض (النجاة) (Trachonites)^٤ ، وعلى العرب الذين آووا أهل (النجاة) وساعدوهم . فلما

١ Dio, 51, 7, 1, Zon., 10, 30, Ptolemy, Antiq., 6, 1, Die Araber, I, 8, 301.
Dellès, P. 541, Ency., III, P. 501, Ency., Relig., Vol. 9, P. 121, Die Araber, I, 8, 286.

٢ Josephus, Antiq., XVI, VII, 6, The Jewish War, Book, I, XXVII, 1, XXIII, 6.

٣ والنجاة اسم للحره السوداء التي يارض صليخه من نواحي الشام فيها قرى ومزارع وعماره واسمه يشملها هذا الاسم ، البلدان (٣٦٣ / ٢) .
Josephus, Vol. 3, P. 188, Note : 1, The Jewish War, Book, I, XXIV, 6, Antiq., XVI, IX, 1-4.

ذهب (هيرودس) الى (رومة) ليرفع شكايته عن ابنه (اسكندر) الى القيصر ،
والثامه من القيصر شمول ابنه الآخر (انتياتر) بالعطف والحماية ، انهرز أهل
النجاة (Trachonites) فرصة غيابه فأعلنوا الثورة وهاجموا الحدود ، وعادوا
الى الغزو ، وكان (هيرودس) قد متعهم منه ، وضرب على أيديهم بشدة .
فلما لمعهم وكلام (هيرودس) وقتلوا خلقاً منهم ، هرب عدد من رؤسائهم
الى النبط واحتموا بهم . ولما عاد (هيرودس) أراد الانتقام منهم ، فطلب الاذن
من حكام سورية الرومان بتأديبهم والموافقة على ارسال قواته الى المقاطعة لمقاتلتهم .
ورجا من (عبادة) ومن وزيره (صالح) اجلاء رؤساء أهل (النجاة) عن
أرض النبط وعدم حمايتهم . فلما رفضا ذلك ، طلب من (صالح) إعادة المال
الذي اقترضه منه (عبادة) بوساطته . ولما لم تثمر المفاوضات شيئاً ، هجمت
قوات (هيرودس) على المناطق التي التجأ اليها الهاربون من أهل (النجاة) ،
فاستولت على (Raipia) معقلهم وهدمته . فلما سمع النبط بذلك ، بادرت جماعة
منهم برئاسة قائد يدعى (Nacebus) لمساعدتهم ، فاصطدمت بجنود (هيرودس)
وسقط (Nacebus) مع زهاء عشرين رجلاً من أتباعه قتل في هذه المعركة .
ثم أمر (هيرودس) بإسكان الأذوميين في (النجاة) ، وكتب بذلك الى حاكم
(فينيقية) يبين له الأسباب التي حملته على ارسال هذه الحملة على (التراخونيين)
أهل النجاة . ويدعي (يوسفوس) ان (Syllaues) استغل فرصة وجوده في
(رومة) وذهب الى القيصر شاكياً من العمل الذي قام به (هيرودس) ووشى
به كثيراً ، فغضب عليه (أغسطس)^١ . غير ان القيصر بذلك رأيه في (صالح)
حين اطلع على الخبر الصحيح ، ولما بلغته أخبار وفاة الملك (عبادة) وانتقال
العرش الى (Aeneas) الذي غير اسمه حيناً تولي الملك ودعا نفسه (Aretas) على
عادة أكثر ملوك النبط دون أن يكتب ملك النبط اليه ويخبره بالحدث ، فغضب
على (صالح) وأمر بمعالقته^٢ . ويدعي (يوسفوس) ان الملك الجديد كان
مبغضاً لـ (صالح) ، لأنه كان يعتقد انه كان نفسه يطمع في الملك لما كان له
من نفوذ ومال ، وانه كتب الى (أغسطس) يخبره بأنه سم (عبادة) الملك

Josephus, Antiqu., XVI, IX, 1-4. ١

Josephus, Antiqu., XVI, IX, 4, X, 8. ٢

السابق ، وأنه قتل عدداً من أشراف المملكة في (بطرا) ، من بينهم (Sohemus) السيد النبيل ، الذي يحترمه قومه ويحجلونه ، وأنه قتل (Fabatus) خادماً (أغسطس) وفعل أموراً أخرى متكررة تستوجب العقاب^١ .

أما (Nacebus) الذي قتل في معركة (Raipia) ، وهو في موضع في العربية ، فكان صديقاً لـ (Syllaenus) ومن أبناء عشيرته . وبخيل إلى أن كلمة (Nacebus) ليست علماً لفائدة الحملة ، وإنما هي درجة ومترلة ، وأن معناها (نقيب) ، وهي درجة من درجات الجيش ، ولكنني لا استبعد كونها اسماً حرف في اليونانية حتى صار على الشكل المذكور ، وأن الأصل هو (نقيب) أو (نسب) أو (نجيب) أو ما شاكل ذلك من أسماء . وأما (Sohemus) ، فهو اسم علم قد يكون (سخيماً) أو (سحيماً) أو (سهيماً) ، وكلها أسماء معروفة في الجاهلية .

وقد أشار (موسل) إلى رواية ذكرها (أورانيوس) (Uranius) و(أصطيقان البيزنطي) عن تأسيس مدينة (Anara) في أيام الملك (عبادة) ، خلاصتها أن (حارثة) (Aretas) ابن الملك حلم أن والده سينتقم مدينة ، وأن هذه المدينة هي (Anara) من كلمة (حوراء) أي (البقيعاء) . فلما قص (حارثة) حلمه على والده ، أخذ يقتش عن موضع أبيض ينشأ عليه المدينة ، وبينما كان يقتش عن هذا الموضع تراءى له شيخ رجل أبيض على جعل أبيض استخفى فجأة . فلما دنا من مكان الشيخ ، وجد بقايا شجرة ذات عروق ممندة ، فأمر أن يكون موضع (حوراء) (Anara)^٢ .

ويرى (موسل) أن هذه المدينة هي (الحميعة)^٣ ، وهي أيضاً (Anara) التي ذكرها (بطلمبوس) وتقع في (العريسة الحجرية) (Arabia Petraea) على الطريق بين (أيلة) و (بطرا)^٤ ، وأن الملك المقصود هو (عبادة الأول) . وأما الوقت ، فكان في حوالي سنة (٩٣) قبل الميلاد . وقد ذكرت أنه حكم على

Josephus, Antic., XVII, IV, 2.

Musil, Hegaz, P. 56, Note 20, Uranius, Arabien. (Müller, Fragmenta), Vol.

4, P. 523, Stephen of Byzantium, Ethnica, (Meineke), Vol. 1, P. 144.

البلدان (٢٤٦/٢) .

Musil, Hegaz, P. 60, Tabula Paulingeriana, Sheet, 8, (Vienna), 1883.

رأي أكثر الباحثين حوالي سنة (٩٠٠) قبل الميلاد . ولأرى أن (Obadas) الذي ذكر (أورانيوس) و (اصطيقانوس البيزنطي) أنه كان صاحب ولد اسمه (حارثة) (Areta) ، هو (عبادة) الثالث ، فقد كان صاحب ولد اسمه (حارثة) وهو المعروف عندنا بـ (Aretas) الرابع . أما (عبادة) ، فالذي خلقه هو (رب اهل) ، لذلك يكون (عبادة) الثالث الذي نتحدث عنه أكثر ملاءمة لرواية المؤرخين من (عبادة الأول) .

وحكم بعد (عبادة الثالث) الملك (الحارث) (حرث) (Aretas) المعروف بـ (الرابع) والملقب بـ (راحم عمه) (Philopatrís) وبـ (ملك تبط)¹. وقد حكم من حوالي سنة (٩) قبل الميلاد حتى حوالي سنة (٤٠) بعد الميلاد . وورد اسمه في عدد من الكتابات ، منها النصوص المرفقة بـ (CIS 11, 160) و (CIS II, 197-217) و (CIS II, 354) . أما الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 160) فقد أرخت بالعام الخامس من حكمه ، أي سنة (٤) قبل الميلاد² ، وقد ورد فيها اسم الإله (دوشرا) أي (ذو الشرى)³ .

وأما النص الموسوم بـ (CIS 11, 197) ، فأرخ بشهر نيسان من السنة التاسعة من حكم (حرث) (الحارث) ، (يروح نيسان شت تنع لحرث ملك تبط)⁴ ، أي في السنة الأولى للميلاد ، وورد فيه أسماء الآلهة : (دوشرا) (ذو الشرى) ، و (منوتو) (منة) (Manutu) و (قيشع)⁵ . وقد ذكرت في هذا النص بعد جملة : (لحرث ملك تبط) جملة (رحم عمه) ، أي (حب شعبه) ، وهي من النعوت التي ظهرت في الكتابات في هذا العهد .

ولأرخ بأيام صاحبنا (حرث) (الحارث) النص المعروف بـ (CIS 11, 198) وهو أيضاً من النصوص التي عثر عليها في (الحجر)⁶ . ويعود عهده إلى شهر

Ency. Relig., Vol. 9, P. 121.

Ency., III, P. 801. Ency. Relig., Vol. 9, P. 121, Schrader, KLT, 8, Provincia

Arabia, 1, 8., 152. Die Araber, 1, 8., 304.

CIS II, 160. M. A. Levy. In ZDMG., 1899, XXIII, P. 435.

CIS II, I, II, PP. 223. CIS II, P. 194, 4, 197.

CIS II, 197, 5, Huber, 20. Enting 2.

CIS II, I, II, P. 224. Deatthy 2. Enting 3.

(طبت) من السنة التاسعة من حكم هذا الملك ، أي الى السنة الأولى للميلاد .
وقد وردت فيه بعض الأسماء ، مثل (كعمك) (كعمكام) و (ودلست)
و (ودكلات) و (حرم) (حرام) و (كلبت) (كلبة) (كلييت)
(كلية) و (وهب اللات) و (عبد حيادة) . وأسماء الآلهة : (دوشرا)
و (هبلو) و (هيل) و (منوتو) (مناة) و (اللت) (اللات) .

أما النص (CIS 11, 199) ، فقد كتب في شهر (شباط) من السنة الثالثة
عشرة من سني حكم (الحارث) (حرث) وهي السنة الرابعة بعد الميلاد .
وقد أرخت بقية النصوص من (CIS 11, 200) حتى (CIS 11, 217) بسني (الحارث)
كذلك ، وهي تفيد مثل غيرها فائدة كبيرة من حيث تتبع تأريخ الأسماء، فوردت
فيها أسماء كثيرة مثل (كهلن) (كهلان) و (وعلن) (وعلان) و (سعد الله)
و (مرث) (مرة) و (سكينت) (سكينه) و (حميد) و (حوشب)
و (خلف) و (قين) و (جلهمة) و (تيم الله) و (عميرت) (عميرة)
و (وهب) وأمثالها مما كان شائعاً معروفاً عند العرب قبل الإسلام .

وذكرت في الكتابة (CIS 11, 354) مع اسم (الحارث) أسماء (شقيلت) (شقيلة)
ملكة الببط و (مالك) و (عبادت) (عيادة) و (رب ال) (رب ايل) .
وقد دونت في السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك ، وهي سنة عشرين بعد
الميلاد ، وذلك عند صنع صنم يوضع في معبد (بطمون) . ويلاحظ أن معظم
المقابر الكبيرة التي عثر عليها في (الحجر) هي من السنين الأخيرة من حكم
(الحارث)^١ .

والى هذا الملك يرجع النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 54) ويرجع تأريخه الى
السنة الثالثة والأربعين من حكم (الحارث) ، وقد دعي فيه بـ (محب شعبه)
(رجم عمه) (رجم عمه) كما ذكر فيه اسم زوجته (شقيلة)^٢ . وكذلك

CIS II, I, II, P. 226. ١

CIS II, 199, Huber 30, Euting 4, CIS II, I, 11, P. 227. ٢

CIS II, I, II, P. 229. ٣

CIS II, 354, Euting 47, Cooke, North-Semitic Inscriptions, PP. 244, Provincia Arabia, I, B. 283. ٤

REP. EPIG., I, II, P. 44. ٥

النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 1103) المكتوب في سنة (٤٠) من حكم
(الحارث) ، أي سنة (٣١) للميلاد ، وهو من النصوص التي عُثِرَ عليها في
(مدائن صالح)^١ .

وأرخ بحكم هذا الملك النص (REP. EPIG. 674) ، وهو شاهد قبر من مدينة
(مادبا) يرجع تاريخه إلى سنة (٣٧) بعد الميلاد^٢ .

و (الحارث) (Aretas) الذي أمد القائد الروماني (واريوس) (فاروس)
(Varus) بقوة من المشاة والفرسان حين زحف على (يهودا) ، هو (الحارث)
الرابع الذي تحدث عنه ، فعل ذلك كما يقول (يوسفوس) انضماماً من (هيرودس)
وتقرباً إلى الرومان . وبعد أن استولى (فاروس) على مدن عدة وهو ذاهب إلى
القدس ، منها مدينة (عكا) (Ptolemais)^٣ (Acco) ، أتجه نحو (الجليل)
(Gallée) ثم السامرة فالقدس . أما القوات العريضة ، فقد سارت إلى مدينة
(Arus) فأحرقها ثم سارت إلى مدينة (Sampho) وهي مدينة محصنة جداً فاستولت
عليها وأحرقها ، واستولت على أماكن أخرى . حدث ذلك حوالي سنة (٤) قبل
الميلاد^٤ .

واصطدم الأنبط باليهود في أيام القيصر (طياريوس)^٥ و (هيرودس) ملك
(يهوذا) المعروف بـ (هيرود أنتيباس) (Herodes Antipas)^٦ ، وذلك في
سنة (٣٦) بعد الميلاد^٧ ، بسبب زواج (هيرودس) من زوج أخته على زوجه
الأولى ، وهي ابنة (الحارث) (حرث) . وبسبب اختلافها على حدود منطقة
(Gamalites) ، فجرت حروب بين الطرفين انتهت بانتصار (الحارث) على
خصمه انتصاراً كبيراً في (جلعاد) (Gilead) وبشيث شمل جيوشه ، فاستجد
(هيرودس) بيده وحاميه القيصر (طياريوس) ، فغضب القيصر وكتب إلى

REP. EPIG., II, III, P. 377.

REP. EPIG., II, I, P. 100, CHS, II, 196.

Josephus, Antiq., Vol. 3, P. 253, (Bohn's Standard Library), XVII, X, 9.

Dubnow, II, 8, 302.

(طياريوس بن انطونيوس) ، الطبري (٧١١ / ٧١٤) ، (طبعة لندن) .

Dubnow, II, 8, 381, Josephus, 3, P. 283.

Dubnow, II, 8, 384, The Bible Dictionary, I, P. 107.

عامله على سورية (فيتليوس) (Vitelius) ان يسير فوراً بجيشه لمحاربة (الحارث) والقبض عليه جاً وارسله مكبلاً بالسلاسل الى (رومة) أو ارسال رأسه اليه إن قتل^١. وبينما كان العامل بهم بالترحف على مملكة النبط وتنفيذ أمر القيصر، جاءته الأخبار بوفاة (طياربوس) سنة (٣٧) بعد الميلاد فتوقف عن الحرب، وقرر الرجوع الى مكانه. وساء موقف (هيرودس) ثم تخاف الرومان عن عرشه ونفوه الى (اسبانية)، حيث مات هناك^٢.

ويظهر من رسالة (بولس) الرسول الثانية الى أهل (كورنتوس) ان (دمشق) كانت في أيدي ملك اسمه (الحارث)، وانه هم بالقبض عليه، غير انه هرب ونجا منه. قال: «في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة التعشقين يريد أن يحسن، فتليت من طاعة في زنبيل من السور ونجوت من يديه»^٣. ونرى (بولس الرسول) أيضاً في رسالته الى أهل (غلاطية) وفي حديثه عن نفسه وعن كيفية اعتناقه الى ديانة المسيح، يقول: «ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت الى العربية، ثم رجعت أيضاً الى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرّف ببطرس فكنيت عنده خسة عشر يوماً»^٤. فهو يذكر هنا العربية وبعدها دمشق. فهل أراد بالعربية البادية؟ أو أراد بها عربية النبط، وانه من عربية النبط أو البادية عاد الى دمشق؟.

والرأي الراجح بين علماء العهد الجديد، هو أن (الحارث) الذي قصده (بولس الرسول) هو هذا (الحارث)، أي (الحارث) الرابع، وأما الوقت الذي استولى فيه (الحارث) على دمشق، فقد كان في حوالي سنة (٣٧) بعد الميلاد، وذلك على أثر الحرب التي شنها على (هيرود انتياس)، وتدخل

١ الجيل مرقس، الإصحاح السادس، الآية ١٧ وما بعدها تاريخ يوسفوس (ص ٢١٢)، Josephus, Antiq., XVIII, V, I, 4.

٢ Josephus, Antiq., XVIII, V, I, Dubnow, II, 8, 384.

Josephus, Antiq., V, 3.

تاريخ يوسفوس ص (٢١١ وما بعدها).

٣ رسالة بولس الرسول الثانية الى أهل كورنتوس، الإصحاح الحادي عشر، الآية ٣٢ وما بعدها.

٤ رسالة بولس الرسول الى أهل غلاطية، الإصحاح الاول، الآية ١٧ وما بعدها، N. Gluck, Delttes and Dolphins, P. 542, The Story of the Nabataeans, New York, 1963.

(طياربوس) في الموضوع^١ ، ويظهر أن تدخل الرومان هذا آثار غضب (الחרث) عليهم ، فسار بعد انتصاره على (يهوذا) إلى (دمشق) فاستولى عليها وأعادها بذلك مدة لا نعلم طولها إلى مملكة النبط . ويتخذ هؤلاء من وجود فجوة في التقود الرومانية الدمشقية ، تبدأ سنة (٣٤) بعد الميلاد وتنتهي سنة (٦٢ - ٦٣) بعد الميلاد دليلاً على صحة نظريتهم في أن المدينة تحررت في خلال هذه الفجوة من حكم الرومان ودخلت في حكم النبط ، ولهذا السبب حدثت هذه الفترة في ضرب التقود الرومانية في الشام^٢ .

وفي أيام هذا الملك دُوِّنت الكتابة المروقة بـ (REP. EPIG. 1108) ، وهي من الكتابات المدونة في (الحجر) (Hegra) ، أي (مدائن صالح) ، دُوِّنت في السنة (٣٨) للميلاد وفي جملة الأسماء المذكورة في هذا النص اسم (عبدعدنان) أي (عبدعدنان)^٣ .

وقد عثر على كتابة قديمة مؤرخة بالتقويم السلوقي من سنة (٤ - ٥) قبل الميلاد ، وهي أيام حكم (الחרث) الرابع ، صاحبها رجل اسمه (قصي بن تعجلة) ، ولم يشر في الكتابة إلى حكم ملك النبط الذي في أيامه دُوِّنت هذه الكتابة . ويرى (ليمان) أن الذي حمل (قصي) على إغفال الإشارة إلى اسم الملك هو أن القيصر (أنطس) كان قد فوض أمر (Trachonitis) و (Batanaea) (Auranitis) في عام (٢٣) قبل الميلاد إلى ملك (يهوذا) (هيرودس) (Herodes) ، وقد كان صاحب الكتابة من سكان هذه الأرضين ، فلم يؤرخ بسني حكم ملك النبط الذي في أيامه أنشأ ذلك القبر^٤ .

لقد كان الخارث الرابع من المتأثرين بالثقافة الهلينية وبالحياة الهلينية . ويظهر هذا الأثر في المباني العامة التي أقيمت في أيامه^٥ وفي الكتابات اليونانية من عهده . ولا يستبعد أن يكون قد أثقن اللغة اليونانية وأخذ يتكلم بها مع اللسان الإرمي والنبطي ، إذ كانت تلك اللغة هي لغة القوة والثقافة في تلك الأيام .

Hastings, P. 48, Ency. Bibl., PP. 206.

Hastings, P. 48.

REP. EPIG., II, III, P. 381.

Ephemeris, II, B., 259.

N. Glueck, Rivers, P. 106.

وحكم بعد (الحارث الرابع) ابنه الملك (ملكو) (مالك) المعروف بالثاني ، وذلك من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) أو (٧٥) بعد الميلاد^١ . ويظهر أن النص المعروف بـ (CIS 11, 195) لصاحبه (عبد ملكو بن عيشو) ، أي (عبد الملك ابن عيش) والمؤرخ بالسنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك) ، قصد بـ (ملكو) (مالك الثاني) هذا^٢ ، ويرجع تأريخه إلى سنة (٤١) بعد الميلاد . أما ناشر النص في (CIS 11) ، فقد ذهب إلى أنه (مالك الثالث) ، وأنه كتب في حوالي سنة (٣٩) بعد الميلاد . ومعنى هذا أن (مالك الثالث) حكم في سنة (٣٨) بعد الميلاد ، وهو وهم . وقد عثر على هذا النص في موضع (أم الرصاص)^٣ .

وفي السنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك) دوكت الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 218)^٤ . وقد ذكر ناشرها أن (ملكو) المقصود هو (ملكو) الثالث ، وأن تأريخها يرجع إلى سنة (٣٩) بعد الميلاد^٥ ، وهو وهم . وأما النص (CIS 11, 182)^٦ ، فقد أرخ كذلك بأيام (ملكو) ، أرخ شهر (اب) (آب) من السنة السابعة عشرة من حكم (ملكو ملك نيطو برحرت)^٧ ، أي من حكم الملك (مالك النبط بن حارثة) . ويصادف هذا التاريخ عام (٥٧) بعد الميلاد . أما ناشر النص ، فقد جعله أيضاً (ملكو) (مالك) ، وجعل تأريخ التدوين في حوالي سنة (٥٠) بعد الميلاد^٨ . وهو يتناقض ما ذهب إليه كثير من الباحثين من أن حكم الملك (مالك الثاني) كان من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) بعد الميلاد . ثم إن ما ذهب إليه ناشر النص من أن تأريخه يوافق سنة (٥٠) بعد الميلاد ، هو وهم أيضاً ، إذ يجب أن يكون سنة (٥٧) للميلاد ، لأن ابتداء حكم هذا الملك

Ency., Vol. III, P. 881, Ency. Relig., Vol. 9, P. 121, Hill, P. XIX, Listmann, in Princeton University Archaeological Expedition to Syria in 1904-1905, Div., IV, Sect. A, P. 21, W. G. Decker, Delties, P. 542.

CIS II, 195, CIS, II, I, II, P. 217.

CIS, II, I, II, P. 218.

CIS, II, 218, Boring 21, Doughty, I.

CIS, II, I, II, P. 254.

CIS, II, 182, Vogue, N. 4.

CIS, II, I, II, PP. 204.

CIS, II, I, II, P. 207.

كان سنة (4٠) . ولما كان النص قد أُرِخ بالسنة السابعة عشرة من حكمه نكون السنة إذن سنة (٥٧) للميلاد .

لقد انتزعت (دمشق) من حكم (مالك الثاني) ، في زمن لا نعرفه ، إلا أن الأرضين في شرقها وفي جنوب شرقها بقيت جزءاً من مملكة البطر .

وانتقل الحكم إلى (رب ال) (رب ايل) (ريشيل) الثاني المعروف بـ (سوتر) (سوتر) (Soter) بعد وفاة (ملكو) (مالك) الثاني . وقد حكم من حوالي سنة (٧٠) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على رأيي، ومن سنة (٧٥) حتى سنة (١٠١) على رأي آخر ، أو شيئاً آخر قريباً من ذلك أو بعيداً بعضاً قليلاً ، بحسب تعدد أنظار الباحثين ، لعدم وجود تقاويم ثابتة لدينا أو كتابات تنص على تواريخ حكم كل ملك من هؤلاء الملوك .

والى عهد هذا الملك تعود الكتابة المعروفة بـ (CIS 11, 183) المؤرخة في السنة الخامسة والعشرين من سني حكم (رب ال) (رب ايل) . وصاحبها رجسلى اسمه (قصي بن ادبنت) ، أي (قصي بن أذبنه)^١ . وتكون سنة تدوين هذه الكتابة إذن في سنة (٩٥) أو (١٠٠) بعد الميلاد . أما الكتابة (CIS 11, 161) ، فتعود إلى أيامه كذلك ، وقد دونت في شهر (أيار) من السنة الرابعة والعشرين من حكم (رب ايل) ، وقد دونت مع التاريخ النبطي ما يقابله بالتقويم المستعمل عند الرومان آنذاك وهو سنة (4٠٥)^٢ .

والتقويم الروماني هو تقويم السلوقيين . ونقابل هذه السنة سنة (٩4) للميلاد ويكون مبدأ حكم (رب ايل) إذن في سنة (٣٨١) من التقويم السلوقي ، أي سنة (٧٠) بعد الميلاد . ووردت في هذه الكتابة بعض الأسماء ، مثل : (هني) (هاني) و (جدلت) (جدلة) و (بمرت) (بجرة) (بجرة) و (اندرم) و (عبد الملك) ، وهي من الأسماء المعروفة أيضاً عند عرب الحجاز ونجد^٣ .

Delties, P. 543.

Ency., III, P. 801, Ency. Religi., Vol., 9, P. 121.

CIS II, I, II, PP. 206, Levy, In ZDMG., 1888, I, XXII, 8, 262, Vogue, Syrie

Centr., Inscr. Semit., P. 112.

CIS II, I, II, P. 191, CIS II, 161.

CIS II, I, II, P. 192.

والى عهد الملك (رب ايل) الثاني تعود كذلك الكتابة التي دوتها (منعت بن جدبو) (منعة بن جدي) (بيسرايشث ٢٣ لرب ايل ملكا ملك بطلو) ، أي بمدينة (بصرى) ، وذلك في السنة الثالثة والعشرين لحكم (رب ايل) ملك النبط . وقد دوت هذه الكتابة بمناسبة تقرب صاحبها الى الإله (دوشرى وأعرى) بتقدمه مذبحاً الى معبده في مدينة (بصرى)^١ . ويكون تأريخ تدوين هذه الكتابة سنة (٩٣) للميلاد . وكذلك الكتابة القبرية المؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكم (رب ايل) ، أي في سنة (٩٣) للميلاد^٢ . ولدينا كتابة أخرى سجلت في أيام هذا الملك صاحبها رجل اسمه (علرو برجشمو) ، أي (علفر بن جشم) (علره بن جشم) (علفر بن جشم) (علر بن جشم) ، ورد فيها اسم الإله (شيع القوم) دوتها في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك ، أي في حوالي سنة (٩٦) بعد الميلاد^٣ .

وترينا الكتابة الموسومة بـ (REP. EPIG. 1434) أن للملك شقيقين هما : (جميلت) أي (جميلة) و (هجرو) أي (هاجر) ، وقد نعتا فيها بـ (ملكتي النبط) . ويظهر ان هناك شقيقة ثالثة اسمها (فصائل) ، وربما كانت له شقيقة رابعة سقط اسمها من النص^٤ .

وقد ذكرت (شقيبت) (شقبلة) أم الملك (رب ايل) الثاني مع ابنها في نقد ، وذلك في أثناء عهد وصايتها عليه حين انتقل العرش اليه ، وكان على ما يظهر صغيراً . وكان للملك شقيبت ساعداً في تحمل أعباء الحكم اسمه (اتيشو) (Oneishu) لعله (أنيس) . ولما تزوج (رب ايل) من زوجه (جميلت) (جميلة) (Gamilath) أمر بضرب اسمها مع اسمه على النقود^٥ .

وقد ذكر بعض الباحثين ان بعض ملوك النبط ولا سيما المتأخرين منهم ، أقاموا في أكثر أوقاتهم في (بصرى) (Bostra) ، مما أدى الى انحصاف شأن

Mark Lidzbarski, Ephemeris Semitische Epigraphik, S. 330. (Gießen 1902).

Clermont-Ganneau, Recueil, P. 170, Rep. Epig. 83.

REP. EPIG. 83, I, II, P. 67.

Ephemeris, II, 1, S. 252, REP. EPIG. 461.

Ephemeris, S. 332, Recueil, P. 173, REP. EPIG. 886.

REP. EPIG., III, I, P. 141.

III, P. XX, 12-13, Pl., II, 18-23.

عاصمتهم القديمة (بئرا) وإلى الصعاف إدارة أمور النبط^١ .

وأخر ملك نعرفه من ملوك النبط ، هو الملك (ملكو) (مالك) الثالث ، الذي حكم من سنة (١٠١) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على بعض الآراء . وفي أيامه قضى (تراجان) في سنة (١٠٦) بعد الميلاد على استقلال هذه المملكة وجعلها تحت حكم حاكم (سورية) (كورنيليوس بالما) (Cornelius Palma) (٩٨ - ١١٧ م) ، وأطلق عليها اسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia)^٢ . وقد نقل مقر الحكم من (بئرا) إلى (بصرى) ، فتنضم إلى تلك شأن العاصمة القديمة فلما كان القرن الثالث للميلاد ، صارت (بئرا) مجرد موضع قليل الشأن^٣ .

لقد قضى الرومان على استقلال النبط في العربية الحجرية ، فأضافوا بلادهم إلى جملة الأراضين التي استولوا عليها . وخسر النبط ملكهم ودولتهم ، ثم خسروا أرضهم فيها بعد . واضطروهم ضغط القبائل العربية الأخرى عليها إلى الرحيل إلى أماكن أخرى ، والمهجرة إلى مواطن جديدة طلباً للرزق . كما هاجر من قبلهم سكان الأراضين التي استولوا عليها في أيام عزهم وملكهم واندمج أكثرهم في القبائل الجديدة القوية التي سادت على أرض النبط ، وتسموا باسمهم وانسبوا إليهم حتى نسوا أصلهم القديم فزال النبط بزوال دولتهم ، وبقي اسمهم ، وبعض رسومهم التي يعود الفضل في إحيائها إلى المستشرقين .

وقد بقي النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم كما يتبين من بعض الكتابات النبطية المؤرخة التي عثر عليها في (طور سيناء) وفي مصر . ومنها كتابة مؤرخة سنة (١٦٠) من تقويم (بصرى) المقابلة لسنة (٢٦٦) بعد الميلاد . وقد تبين أن أكثر الكتابات التي عثر عليها في الأماكن المذكورة وفي أماكن أخرى هي كتابات وجددها العلماء والباحثون والسياح على الطرق القديمة الموصلة إلى جزيرة العرب أو البحر الأحمر ، وفي وجودها في هذه الأماكن دلالة على أن أصحابها كانوا أصحاب تجارة يتجرون بين مصر وجزيرة العرب

Delile, P. 543.

Die Araber, I. S., 304. Groag Stein, Prosopographia, 2, 346, NR : 1412.

1936, Schrader, KLT, B., 153.

N. Glueck, The Story of the Nabataeans, P. 543.

ومواتىء ساحل البحر الأحمر ولا سوا ساحل النبط المقابل لبر مصر^١ .
ويظن جماعة من المشرقين أن عرب (الحويطات) الساكنين في منطقة (حسمى)
في الأقسام الشمالية من الحجاز ، في المنطقة التي كانت تسكنها (جنام) ، هم
من بقايا النبط^٢ .

وتنسب (الحويطات) إلى جد^٣ أهل لهم اسمه (حويط) ، وهو على زعمهم
من أهل مصر ، جاء بيت الله الحرام حاجاً فات في (العقبة) ودفن في (حسمى).
وهم عشائر يترأوس عددها من عشر عشائر إلى اثني عشرة عشيرة تسكن في
طور سيناء وفلسطين والحجاز^٤ ، وتجاور قبيلتي (بل) و (جهينة)^٥ . وهم
في الجملة ميالون إلى الحرب والغزو ، ولذلك كانوا يغزون العشائر المجاورة لهم ،
ويأخذون الأثاوة من القرى والمدن الواقعة في مناطق نفوذهم في أيام العثمانيين^٦ .

وتتألف (الحويطات) من ثلاثة بطون هي : (حويطات التهمة) و (حويطات
العلويون) (العلويين) ويعرفون أيضاً بـ (حويطات ابن جاد) (حويطات
ابن جازي)^٧ . وتتألف (حويطات التهمة) (حويطات التهم) التي تقع
منازلها على ساحل البحر الأحمر حتى (الوجه) في الجنوب ، من عشائر عديدة
هي : (العمران)^٨ و (العميرات) و (المساعيد) والذبابين والزماهرة والقطيفات
والسليابيين والجرايين والعميرات والمواصة والمشاهير والقرعان والجواهررة والقيضات
والفحاميين . ولما (حويطات العلويون) ، تتألف من : (الصوياحين) و (المقابلة)

Winkler, Rock Drawing of South Upper Egypt, (1938), L.A. Tregena and Dr.
John Walker, Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad University, Vol. XI,
Part II, December, 1949. Enno Littmann, Nabataean Inscriptions from
Egypt, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Univer-
sity of London, 1933, pp. 1.

Ency., Vol. I, P. 358, III, P. 802

Ency., II, P. 349, Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, London,
1831, P. 29, Doughty, Travels in Arabia Deserta, I, 16, 29, 45, 66, 137, 233,
360, II, 24, 323.

Ency., II, P. 349, Musil, Arabia Petraea, III, P. 48

Euting, Tabuch einer Reise in Inner-Arabien, II, S. 103, Ency., II, P. 349.

قلب جزيرة العرب (ص ١١٤) .

Musil, Hegaz, P. 6, Petraea, BD., BD. 3, S., 48, 51.

(حويطات التهم) قلب جزيرة العرب (ص ٧٢ ، ١٣١ ، ١٢٥) ، (حويطات
التهمة) ، (عمران) . Ency., II, P. 349.

و (المحاميد) و (الحضيرات) و (السلامين) و (العرايين) و (القدمان)
و (العواجة) و (السلمات) . ومن (حويطات ابن جازي) (المطالقة)
و (الدراوشة) و (العامرة) و (المراجع) و (الدمايسية) و (العطون)
و (النواية)^١ .

لقد عثر على كتابات مدونة بالنبطية وعلى كتابات مدونة بثلاث لغات هي
النبطية والإرمية واليونانية ، بعضها من بعد ضم مملكة النبط الى (الكورة العربية) ،
أي بعد سقوطها في أيدي الرومان ، وقد تبين منها أن النبط بقوا أمداً يكتبون
ويدونون بلغتهم ، وإن كانوا يستعملون معها اليونانية أو الإرمية أو كلتا اللغتين
في بعض الأحيان ، كما تبين أن اليهود دونوا بالنبطية أيضاً ، أولئك اليهود الذين
كانوا على اتصال بالنبط ، وكانت لهم صلات تجارية بهم . وقد دونوا بهذه
اللغة حتى بعد سقوط دولة النبط . وقد وصلت كتابات أصحابها يهود فيها عقود
بيع وشراء مع النبط ، كما وصلت كتابات نجد فيها خلاصات من عقود ومكاتبات
دونت باليونانية أو بالإرمية ، على حين دونت الخلاصات بالنبطية وبالعكس^٢ .

ولا نعرف شيئاً يذكر عن أصول تنظيم الدولة وكيفيةها عند النبط . والملك
بالطبع هو رئيس الدولة والشخص الوحيد الأعلى للحكومة . وهو الذي يختار من
يوكل اليهم ادارة الأعمال وتسيير أمور الرعية . والملك حاشية القرية عنده ، وكل
اليها النظر في المسائل العليا للدولة وتقديم الاستشارة الى الملك ، ويقال للواحد منها
(اخ ملكا) ، أي (أخو الملك) . ويظهر أنها كانت طبقة خاصة من الطبقات
الأرستقراطية انحصرت فيها هذه الوظائف انحصار الملكية في الأسر المالكة^٣ .

ومما يلاحظ على النبط أن ملوكهم كانوا ينتحون أنفسهم بنعوت لا نجد لها في
الكتابات العربية الأخرى ، فجملة : (ملك رحم عمه) ، أي (الملك الرحيم
بشعبه) ، أو (الملك المحب لشعبه) لا نجد لها مثيلاً في الكتابات الأخرى من
كتابات ما قبل الاسلام . لكنهم لم يتركوا الجمل التي تنعتهم أيضاً به (ملوك

١ وأسماء أخرى ، راجع : قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،

Ency., II, P. 349, Musil, Petraea, III, 48, 51, 407.

Deltles, P. 8.

٢ REP. EPIG. 675, 1106, M. Lidbarski, In Ephemeris, 3, (1909-1915), 89, 297,

Die Araber, I, 8, 287.

النبط) ، اذ نجدهم يكتبون بعد اسمهم : (ملك ملك نبطو) ، أي (الملك : ملك النبط) .

ويلاحظ انه قد كان للمرأة منزلة رفيعة عند النبط ، بدليل ما نجده في كتاباتهم وفي نقودهم من ذكر اسم الملكات مع الملوك . فقد كان من عاداتهم ورسومهم ذكر الملكات مع الملوك رسمياً ، فقد ورد مثلاً : (شقيلت أخته ، ملكت نبطو) . أي (شقيلة أخته ، ملكة النبط) . وورد : (شقيلت أمه ، ملكت نبطو) ، أي : (شقيلة أمه : ملكة النبط) ، وهكذا . ونجد النقود النبطية وقد أشارت الى اسم الملك الذي أمر بضرب ذلك النقد ، كما نجد اسم زوجته أو أمه معه . وقد ضربت صورة رأس الملك ورأس الملكة معه في النقود المضروبة باليونانية^١ . وبالرغم من حظير العلماء بنقود نبطية ويونانية ، لم يتمكنوا حتى الآن من الاتفاق على تثبيت أسماء ملوك النبط تثبيتاً زمنياً ، ولم يتمكنوا أيضاً من تعيين مدة حكم كل واحد منهم تعييناً مضبوطاً قاطعاً ، فما سنذكره عنهم لا يعني إذن انه شيء ثابت وأكيد^٢ .

وقد تأثر النبط بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً . ويظهر هذا الأثر في نقودهم ، إذ قلدوا في ضربها النقود اليونانية ، بل ضربوها بكتابة يونانية في الغالب . وقد نعت (عبادة) الثالث نفسه بـ (الها) في نقد ضربه باسمه ، محاكاة للسوقين الذين لقبوا أنفسهم بـ (ديوس) (Deos) ، أي (الإله) . كما يظهر هذا الأثر في إدارة الدولة وفي الحجارة المكتوبة ، إذ نجد أصحابها يكتبون بالنبطية وباليونانية ، بل نجد هذا الأثر على شواهد القبور وغير ذلك^٣ . ولعلمهم كسانوا قد أدخلوا من مناهل العلم اليوناني ، وتعلموا العلوم الشائعة في ذلك العهد من اليونان الذين سكنوا بين النبط ، ومن بلاد الشام حيث كانوا على اتصال دائم بها ، وفي بلاد الشام جاليات قوية من الرومان واليونان . ولهذا ظهر أثر اللاتينية واليونانية في الأنيباط^٤ .

1. Delile, P. 11.

2. J. Cantelane, Le Nabatéen, I, 6. R. Dassaud, Pénétration, 51. Die Araber, I, 8, 389.

3. Le Nabatéen, 2, (1932), P. 5, 6, 192. Die Araber, I, 8, 388.

4. N. Glueck, Rivers, P. 194.

ويظهر أن النبط كانوا مولعين بالشراب وبالخمر ، ونجد لصور الكروم مكانة بارزة في فن النحت والنقش عندهم . وقد أظهروا براعة فائقة في حفر صور الكروم وعناقيدها على الألواح ، كما يظهر ذلك من آثارهم التي درسها الباحثون في النبطيات^١ .

مدن النبط :

و (بَترَا) (البَترَاء) (بطرا) (Petra) ، هي عاصمة النبط القديمة . ومعنى (Petra) (بطرا) في العربية (الصخر) . أما اسمها القديم فـ (هـ - سلع) (ها - سلع) ، (Sela) = (Selah) ، ويعني أيضاً (الصخر) لغة الأدوميين . وهي على خمسين ميلاً تقريباً إلى الجنوب من البحر الميت . ولما اقتتحها (أمصيا) (٨٣٧ - ٨٠٩ ق. م.) ، سمّاها (بقتيل) أي (الخاضع لله)^٢ . وكانت عاصمة (أدوم) . وكانت من أشهر المدن في العالم القديم ، ثم صارت لمؤاب^٣ . وقد ذكرها (يافوت الحموي) في مادة (سلع) ، فقال : « وسلع أيضاً حصن يواذي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس »^٤ . وتقع آثار المدينة وبقاياها اليوم في وادي موسى ، ويسمى أيضاً (وادي السبق)^٥ . وقد عرف هذا الوادي يواذي موسى ، لما زعم أن موسى ضرب الصخر بعصاه فشق فجري الماء من موضع العين إلى النهر ، فسميت لذلك بعين موسى . وكان السبق مبلطاً ، ولا تزال آثار التبلط باقية في بعض المواضع . ونجاء نهاية السبق هيكل منحوت في الصخر ، يسمى : (خزانة فرعون) ، وداخل باب الهيكل دار ، وعلى بعد (٦٠٠) قدم تقريباً من هذا الهيكل بقايا آثار مسرح عظيم منحوت في الصخر يتسع لثلاثمائة أربعة آلاف إنسان .

Delties, P. 4.

١ قاموس الكتاب المقدس ، (٥٢٨/١) .

٢ Die Araber, I, S. 283, Kennedy, PP. 78, Hastings, P. 835.

٣ قاموس الكتاب المقدس ، (٥٢٨/١) .

٤ Enzy. Bibl., P. 4344, Noldeke, IN ZDMG., 55, S. 259 (١٠٧/٥) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٩/١ وما بعدها) ، (باب السبق) .
Provincia, I, S. 195, 215.

ومن آثارها المهمة ، الأثر المعروف باسم (خزنة فرعون)^١ ، وقوس النصر وهياكل وقبور عدة ، بعضها على الطراز النبطي القديم ، وبعضها متأثرة بالفن المصري الآشوري أو اليوناني أو الروماني^٢ .

وتشاهد في (بطرا) كتابات كثيرة ، منها ما هو مؤرخ يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، أكثرها كتابات نبطية من نوع الكتابات التي توضع على القبور ، وبعضها لاتينية وأخرى يونانية . ووجدت كتابة باليونانية دوتها أسقف سكن معبداً من معابد المدينة القديمة التي تعود الى ما قبل الميلاد في حوالي سنة (٤٤٧) للميلاد . كما وجدت كتابة لاتينية على قبر بني على النمط (الروماني) صاحبها ضابط روماني اسمه (سكستوس فلورنتينوس) (Sextius Florentinus) لا يعلم زمانه على وجه الصحة ، ويرى بعضهم انه من أيام (هادريانوس) (Hadrianus) أو (أنطونيوس بيوس) (Antoninus Pius)^٣ .

وقد منحت (بطرا) درجة (Colonia) رومانية في أيام حكم الرومان كما يظهر ذلك من بعض النقود الرومانية التي عُثر عليها . ويرى بعض الباحثين أن ذلك كان في أيام حكم (Elagabalus) (٢١٨ - ٢٢٢) للميلاد^٤ ، ولكن هناك من يعارض هذا الرأي من الباحثين في علم النميات^٥ .

وقد وصف (سترابو) (بطرا) (بتر) بقوله : كانت (بطرا) عاصمة النبط ومقر حكمهم ودولتهم وهي لا تبعد إلا أربعة أيام عن (أريحا) (Jericho) وخسة أيام عن غابة التحيل (بوسيدون) (Poseidion) . وهي موضع غني بالماء كثير البساتين بالنسبة الى من يأتي إليها من الوادي القاحلة الجرد . وقد زارها (أثينودور) (Athenodor) صديق (سترابو) ، فوصفها له ، وذكر له انه وجد بها أجانب ، بينهم جمع من الروم . ويظهر من أخبار (سترابو) أن النبط

١ راجع وصف (خزنة فرعون) في الجزء ١ (٢١) من السنة الثامنة من مجلة المشرق الصادر في ١ تشرين الثاني من سنة (١٩٠٥) (ص ٩٦٥ وما بعدها) .
٢ قاموس الكتاب المقدس (٥٢٩/١ وما بعدها) .

Kernedy, P. 76.

Provincia, III, B., 291.

Berytus, Vol., IX, Fasc, I, 1918, P. 40, « Petra, Colonia », By Stella Ben-Dor.

De Saulcy, Numismatique de La Terre Sainte, 1874, PP. 292, 363.

كانوا قد بنوا بيوتاً لهم في هذه المدينة كذلك . وقد أبدت التغيرات التي أجريت عند مدخل المدينة هذا الرأي^١ .

الحجر :

أما (الحجر) ، فمدينة من مدن النبط القديمة المهمة ، تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي (Egra) = (Hegra) التي أشار إليها (سترابو) في أثناء حديثه عن حملة (أوليوس غبالوس) و (Haegra) = (Hagra) التي ذكرها (بلينيوس) على أنها مقر القبيلة المسماة (لباتية) (Laenitae)^٢ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها (مدائن صالح)^٣ ، وذهب بعض آخر إلى أن (مدائن صالح) ، هي (العلا) لا (الحجر)^٤ . ولحق بعض آخر بسين موضع مدائن صالح و (العلا)^٥ .

وقد ذكر (بطليموس) المدينة أيضاً ، وذكرها المؤرخ (اصطغانوس البزنطي) كذلك^٦ . وقد كانت من مواضع النبط المهمة ، وقد عثر على خمس كتابات في (مدائن صالح) خرج بعض الباحثين من دراستها إلى أن (الحجر) هي من الأماكن التي أنشأها (المعينون) . وقد كان اسمها القديم (حجرا) (هجرا) أو (حجرو) (هجرو) و (إل - حجر) في الكتابات^٧ .

و (حجرو) و (إل - حجرو) هي (الحجر) في العربية . وقد ذكر هذا التوضع في المؤلفات العربية . وذكر (ابن حبيب) أن قوم ثمود نزلوا الحجر^٨ . وذكر علماء اللغة أن (الحجر) ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى ،

Die Araber, I, 8., 285, Strabo, 16, 779, A. Kramer, Petra et la Nabatene, 1929, P. 510.

Musil, Hegaz, P. 291, 299.

Arabien, 8., 55, 59.

Arabien, 4, 15.

Arabien, 8., 39, 40.

Ptolemaeus, VI, 7, 29, Stephanus Byzantius, I, 369, Arabien, 8., 44.

Jausen-Savignac, I, 151, NR. 9, Arabien, 8., 39.

الحجر (ص ٣٨٤)

وهم قوم صالح النبي، وقد جاء ذكر الموضع في القرآن : (وقد كذب أصحاب الحجر للرسلين)^١ ، كما جاء ذكره في كتب الحديث^٢ . وقد تضاعف شأنها في الإسلام ، حتى صارت قرية صغيرة في القرن العاشر للميلاد ، ثم تركها أهلها ، ونزع خرائبها اليوم بين (جبل التل) و (قصر البنت) وخط سكة حديد الحجاز ، حيث تشاهد آثار حصن قديم وبعض بقايا أبراج وآثار سور ، كما عثر على بقايا تيجان أعمدة قديمة وعلى مزولة خشبية ، وعلى نقود يرجع عهدها إلى (الحارث الرابع) . ويظهر من أسس بعض الدور أنها بنيت بالحجارة . أما الجنزان ، فقد بني أكثرها بالطين . وتقع خرائب (العلا) إلى الجنوب من (الحجر)^٣ .

وقد عثر الباحثون على قبور من بقايا قبور الحجر القديمة ، نقشت مداخلها وجدرانها بنقوش تدل على حلق ومهارة ، ولا سيما المقبرة التي هي من القرن الأول للميلاد ، ومن عهد الملك (الحارث الرابع) . وقد تألفت من غرف تحث في الصخور ، وبعضها دروب وطرق توصل بعضها ببعض . وهي قبور لأمر ، ومن هذه للقبائر الموضع المعروف بـ (قصر البنت) ، وقد تحث في داخل تل ، وبعد من أغفى تلك المقابر من الناحية الفنية ، وله مدخل خارجي ، ارتفاعه عشرون متراً . وقد زين بالرخازف والنقوش^٤ .

وبعد الموضع المعروف بـ (ديوان) من الآثار القيمة الباقية من (الحجر) . وقد عمل في (جبل التل) . وهو معبد يذكرنا بمعابد (بطرا) . وهو على قاعة ذات زوايا مربعة ، عرضها عشرة أمتار ، وعمقها اثنا عشر متراً ، وارتفاعها ثمانية أمتار ، ولها مدخل عرضه ثمانية أمتار و (٣٥) مستمراً ، وارتفاعه سبعة أمتار وزهاء خمسة مستمترات ، على كل جانب منه عمود من حجر ، جعلت زواياه مربعة . أما الباب ، فقد ثلث . ويوصل إلى هذا المدخل مدرج . وهناك معبد آخر صغير يقع على مسافة (١٥٠) متراً إلى الجنوب من (جبل التل)^٥ .

١ الحجر ، الرقم ١٥ ، الآية ٨٠ . المفردات (١٠٧) ، تفسير القرطبي (١٠ / ٤٥ وما بعدها) .

٢ النسان (١٧٠ / ١) .

٣ Arabien, S., 44.

٤ Arabien, S., 60, Jaussen-Bavignat, Mission, I, 218.

٥ Arabien, S., 66, Jaussen-Bavignat, Mission, I, 118, 405, Doughty, I, 118.

Mosil, Arabia Petraea, (1907) 113, 146.

وقد وجدت في (القرية) بالحجاز وهي أطلال ، مدينة قديمة على لجنة وأربعين ميلاً إلى الشمال الغربي من (تبوك) في أرض (حسي) كتابات نبطية ويونانية ، كما عثر على معبد قريب منها في البادية دعاه (موسى) (غواقة) و (روافقة) ، وجدت عليه كتابة نبطية يونانية مطبوعة ورد فيها اسم (مارقوس أورليوس انطولينوس) (Marcus Aurelius Antoninus) و (لوقيوس أورليوس فيروس) (Lucius Aurelius Verus)^١ . ويظهر أن هذه المدينة كان لها شأن في أيام النبط ، ولا سيما في أواخر أيام مملكتهم ، وإن هذا المعبد كان قد ابتداء قوم نمود في أوائل منتصف القرن الثاني للميلاد^٢ .

الكورة العربية :

ضمت (العربية النبطية) سنة (١٠٥) أو (١٠٦) بعد الميلاد إلى الأملاك الرومانية وكون منها ومن أرضين أخرى ضمت إليها مقاطعة جديدة عرفت باسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia) (المقاطعة العربية) وجعلت تحت حكم حاكم بلاد الشام المدعو (كورنيليوس بالما) (A. Cornelius Palma)^٣ . ولا يعلم على وجه التحقيق أين الرومان والياً على هذه الكورة حال تكوينها ، أم أنها جعلت تحت إدارة حاكم (سورية) المباشرة ثم عين لها حاكم خاص . والمعروف أن أول والٍ (Legat) عين عليها إنما عين في سنة (١١١) بعد الميلاد^٤ .

ولم تكن حدود (الكورة العربية) (المقاطعة العربية) ثابتة، بل كانت تتغير وتبديل ، وتتقلص وتتوسع تبعاً لمراكز الحكام ومنازلهم . ففي سنة (١٩٥) بعد الميلاد مثلاً أضيف إليها بعض الأرضين الجنوبية من مقاطعة (سورية القينقية) (Syria Phoenice) ، ولكن هذه الحدود تغيرت مراراً قبل هذا التاريخ وبعده . وتساعدنا (السكة الرومانية) التي أنشأها (تراجان) ثم وسعت فيما بعد مساعدة

Musil, Hegaz, P. 185, 258.

Musil, Hegaz, P. 185, 258, The Geographical Journal, Vol. CXVII, Part. 4, 1951, PP. 448, « The Ruins of Qaradya », By H. ST. J. B. Philby.

Provincia, III, 8, 250.

Provincia, III, 8, 250.

كبيرة في تعيين حدود ومساحة هذه المقاطعة . وقد أنشئت هذه السكة لأغراض عسكرية لتيسر للجيش الروماني الوصول بسرعة الى المواضع المهمة من الوجهة العربية ، ولتتمكن بواسطتها من السيطرة على الوطنيين وضبط الأمن^١ .

ويمكن الاستدلال من أنصاب الأميال ، التي وضعها الحاكم (كلوديوس سيوروس) (كلوديوس سيفيروس) (Claudius Severus) على هذه الطرق للوقوف بواسطتها على الأبعاد والمسافات والاتجاه ، على معرفة طريقين مهمين : أولهما طريق جديد انتهى منه في سنة (١١١) للميلاد ، يمتد من الحدود الشمالية للمقاطعة العربية أي من بلاد الشام الى (بصرى) (Bostra) ثم الى (فيلادلفيا) (عمان) (Philadelphia) ، ومنها في اتجاه الجنوب ثم الغرب على طريق (بطرا) حتى البحر الأحمر . وثانيها الطريق الممتد من (فيلادلفيا) ماراً بـ (جرش) (Gerasa) وربما بـ (أذرح) (Adra) نحو (بصرى) (Bostra) . وقد كان هذا الطريق معروفاً قبل سنة (١٠٥) للميلاد ، غير أنه أصلح وجرى ، وربما حوّل الى طريق عسكري في سنة (١١٢) للميلاد ، أي في أيام (تراجان)^٢ .

وقد عرفت أسماء أكثر الحكام الذين تولوا منصب حاكم المقاطعة العربية من رومان وبيزنطيين، وردت أسماءهم مدونة على أنصاب الأميال وفي الكتابات الأخرى التي عثر عليها في مواضع متعددة من هذه المقاطعة . وأولهم (كورنيليوس بالما) . وقد تبين أن الألقاب الرسمية التي كان يتلقب بها حكام هذه المقاطعة في القرن الثاني بعد الميلاد كانت من درجة الألقاب الرفيعة التي تمنح عادة لحكام مقاطعة (قيصرية) مثل لقب : (Legatus Augusti Pro Praetore) أو (Augustorum) تضاف إليه جملة : (Consul Designatus) متى يكون الحاكم في درجة (قنصل) (Consul) ، وذلك يكون عادة بالنسبة الى حكام المقاطعات من درجة (Legatus Pro Praetore) وقد يقتصر اللقب على كلمة (Consulares) إذا كان صاحبه قنصلاً . غير أن هذه الألقاب الرسمية لم تكن ثابتة ، بل كانت تتغير بحسب أهمية الحاكم ومرتزته ، والوظيفة التي يشغلها ، والزمان الذي حكم فيه^٣ .

Provincia, III, S., 260, 264.

المشرق : السنة الثامنة ، العدد ١٠ ، ١٥ أيار ١٩٠٥ ، ص ١٥٧ وما بعدها .

Provincia, III, S., 264.

Provincia, III, S., 261.

وتقليداً وثائق المجامع الكنسية التي انعقدت في أوقات مختلفة لمعالجة المشكلات التي جابهت الكنيسة ، وحضرها ممثلون عن كنائس (الكورة العربية) فائدة كبيرة في تعيين أسماء مدن هذه الكورة وتأريخها . ومن هذه المجالس مجلس (نقية) (Nicaea) الذي انعقد في سنة (٣٢٥) بعد الميلاد^١ ، ومجمع (انطاكية) (Antiochia) المعقود في سنة (٣٤١) بعد الميلاد^٢ ، ومجمع (Sardica) الملتئم عام (٣٤٧) للميلاد^٣ ، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) بعد الميلاد ، ومجمع (أفسس) (Ephesus) الملتئم عام (٤٣١) ، ومجمع (خلقدونية) (Chalcedon) الذي انعقد في عام (٤٥١) ، للميلاد ، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد سنة (٥٣٦) للميلاد ، ومجمع (القدس) الملتئم عام (٥٣٦) بعد الميلاد ، وغيرها من المجالس والمجامع الدينية^٤ .

وقد عثر على نقود ضربت في أيام الرومان والبيزنطيين في عدد من مدن (الكورة العربية)^٥ . مثل (Adra) (أذرعات) و (بصرى) (Charachmoba) و (ديوم) (Dium) و (Eboda) و (Ebu) و (جرش) (ومأدبا) (Medaba) و (Moca) و (بطرا) و (فيلادلفيا) (Philadelphia) و (قليب بوليس) (Philippolis) و (Rabbathmoba)^٦ .

أما (Adra) ، فهي (أذرعات) المشهورة عند العرب في الجاهلية والإسلام^٧ . وتعرف في الزمن الحاضر بـ (درعة) و (درعا) كذلك ، وهي (أذرعى) (Edrei) في التوراة ، بمعنى قوة أو حصن^٨ . وهي من مدن (باشان)

1 Provincia, III, S. 253, Gelzer, Geographische Bemerkungen zu dem Verzeichnis der Väter von Nikaia, In der Festschrift für Heinrich Kalpert. Berlin, 1896, S. 47-48.

2 Provincia, III, S. 253, Ency., I, P. 329.

3 Provincia, III, S. 253.

4 Provincia, III, S. 255.

5 III, P. XXII, Journal of Roman Studies, Vol. VI, (1961).

6 III, P. XXII — XXIV.

7 البلدان (١٦٢/١ وما بعدها) ، البكري (٨٣/١) ، القدس (ص ١٦٢) ،
الاب ١٠١ س. - مرجعي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية - مطبعة (جنان

دارك) ، بيروت ، ١٩٤٨ م (ص ٤) .

8 Ency. Echl., PP. 118, Hastings, P. 263.

العظيمة^١ . وقد اشتهرت (أذرعات) بخمرها عند العرب ، وقال عنها علماء اللغة لأنها موضع بالشلم تنسب إليه الخمرور^٢ .

و (أذرعات) موطن (عوج) (Og) ملك (باشان) ، وكان جباراً قامة وبأساً^٣ ، من سلالة الرقائين ، حاول أن يمنع مرور بني اسرائيل بأرضه ، فاصطدم بهم بأذرعات ، وتغلبوا عليه ، فقتل هو وبنوه ، وانقسمت مدنه الشون المحصنة بين (الرؤينين) و (الجاديين) ونصف سبط (مني)^٤ . وتقع (أذرعات) في وادي يكون القسم الجنوبي من وادي (حوران) وعلى مسافة ستة أميال الى الشرق من طريق الحج ، وفيها كهوف عديدة وصهاريج كبيرة ، وبها خرائب وآثار يقرب محيطها من ميلين يظهر أنها من عهد الرومان^٥ . ومن بقاياها (قناة فرعون) ، وهي تأخذ مياهها من بحيرة صغيرة قرب موضع (يابس) في حوران . ومسجد يشبه بناؤه (كاتدرائية) بصرى ، وآثار الشوارع والحواليات التي كانت عليها ، وموضع سوق . وعصر في خرائبها على كتابات باليونانية كما عثر فيها على نقود ضربت فيها من سنة (٨٣) قبل الميلاد . وقد ألحقها (بومبيوس) (Pompeius) بمقاطعة سورية الرومانية ، وألحقها (تراجان) بالمقاطعة العربية ، وذكر (أوسيبوس) (Eusebius) و (جيروم) أنها من أشهر مدن (العربية) ، وكان بها أسقف حضر مع من حضر من الأساقفة في المجالس الكنسية التي انعقدت في (سلوقية) (Seleucia) و (القسطنطينية) و (خلقدونية) (Chalcedon) (٤٥ م)^٦ .

وفي المتحف البريطاني قطع من النقود المضروب في هذه المدينة ، وقد أشير في

١ قاموس الكتاب المقدس (٥٦/١) . التثنية ، الإصحاح الأول ، الآية (٤) ،

Ency. Bibl., PP. 1188, III, P. XXIII.

٢ اللسان (٩٧/٨) .

٣ التثنية ، الإصحاح الثالث ، الآية ١١ ، يشوع ، الإصحاح الثالث عشر ، الآية ١٢

٤ العدد ، الإصحاح ٣٢ ، الآية ٢ وما بعدها ، تثنية ، الإصحاح الثالث ، الآية ٣ وما بعدها ، و ١٢ - ١٧ ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٤/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (٥٦/١) و Ency. Bibl., P. 1189.

٦ Ency. Bibl., P. 1189, Wetstein, Ausgewählte Griechische und Lateinische Inschriften, gesammelt auf Reisen in den Trachonen des Haurangebirges, Reiseberichte über Hauran und Trachonen, 47, on Max., 118, 4, 213, 379, Hastings, P. 203.

بعضها الى (دوشري) (ذي الشرى) لآله النبط . كما صور على بعضها صور
القيصرة الذين في أيامهم ضرب ذلك التقدي .

و (باشان) ، ومعناها (التربة الخفيفة) ، مقاطعة من أرض كتعان واقعة
شرقي الأردن بين جلي حرمون و (جلعاد) ، وسيت (باشان) من جبل في
البلاد . وسكانها القدماء هم (الرفاثيون) (Rephathite) ، ولهم مملكة ذكر
في التوراة من ملوكهم اسم الملك (عوج) الذي قتله الاسراييليون ، وهو المعروف
بـ (عوج بن عوق) عند أهل الأخبار ، والمعروف بـ (عوج بن عوق) عند
العوام . وقد ذكر الاخباريون انه رجل (ذكر من عظم خلقه شناعة) ، وانه
كان ولد في منزل آدم فعاش الى زمن موسى ، وقد قتله موسى . وقد أغلوا
أخبارهم هذه عنه عن أهل الكتاب ، أو من وقوفهم على ما جاء في أسفار
(التثنية) و (يشوع) و (العدد) عنه . وكان قد حاول منع الاسراييليين
من المرور بأرضه ، فقتلوه ، وجاء انه كان ينام على سرير من حديد طوله تسع
أذرع وعرضه أربع أذرع ، وذلك لبيان ضخامة جسمه . ونجد في الأسفار المذكورة
أخباره مع بني اسرائيل ومقاومته لهم* .

وكانت باشان تشمل حوران والجولان واللجاة ، وكلها مؤلفة من صخور
وأثرية بركانية ، وتربتها غصبة ، وماؤها غزير ، ويحدها شمالاً أرض دمشق ،
وشرقاً بادية الشام ، وجنوباً أرض (جلعاد) ، وغرباً (غور الأردن) ،
ويحترق جانبها الشرقي جبل الدروز ، وهو جبل (باشان) القديم . ويمر بالجولان
سلسلة تلال من الشمال الى الجنوب . أما مقاطعة (اللجاة) ، فهي حقل من
(اللقا) أي الصخر البركاني ، سالت من (تل شبحان) ، وهو قم بركان

1. HIL, P. XXIII, Dussaud, Notes de Mythologie Syrienne, PP. 167, De Saulley, Terre Sainte, PP. 373.

2. قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) ، الزامير ، ٦٨ ، الآية ١٥ .

3. اللسان (٢٢٥/٢) ، (٢٨١/١٠) .

4. التثنية ، الاصحاح الثالث ، الآية ١١ وما بعدها .

5. التثنية ، الآية ١ وما بعدها ، والاصحاح ٣ ، الآية ١ وما بعدها ، ويشوع ،
الاصحاح ١٣ ، الآية ١١ وما بعدها ، والعدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ٢٤ ، و ٢٢ ،
الآية ٢ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (١٢٤/٢) .

قديم بقرب شحبة^١ .

ومن أشهر مدن (باشان) (الجولان) (Golan) ، وهي من منطقة (الجولان) (Gaulanitis) ، وتعني الكلمة (الدائرة) ، وأصلها مدينة (جولان) ، وبها سميت المقاطعة . وتقع في (باشان)^٢ و (عشاروت) (عشتروت) (عشرة) (Ashtaroth) = (Ashtoreth) = (Be-Eshterah) ، ويظهر أنها (تل عشرة) (تل أشعري) في الجولان^٣ . ومدينة (عشاروت قرنايم) (Asher Karnaim) وهي (قرنيون) (Carnion) أو (قرنين) (Carnaim) التي استولى عليها (يهوذا المكابي) (Judas Maccabaeus) سنة (١٦٤) قبل الميلاد على ما يظن . وهي من مدن (الرفاتين) في (باشان)^٤ . وقد اختلف الباحثون في مكانها في هذا اليوم ، فذهب بعضهم إلى أنها (الصيان) وذهب بعض آخر إلى أنها (فتوات) وذهب آخرون إلى أنها (تل عشرة)^٥ .

ويظهر أن كثيراً من (الباشانيين) كانوا يعيشون عبثة سكان المغاور والكهوف (Troglydtes) ، إذ تبين أن قسماً منهم سكن الكهوف والمغاور ، وسكن بعض منهم في أنفاق وكهوف تحت الأرض يبلغ طولها (١٥٠) قدماً ، وتفرع منها أزقة تحت الأرض بجانبها بيوت تتفتح كواها في سقوفها ، فهي في الواقع مدن تحت الأرض . وفضل نفر آخر السكنى في بيوت متفورة في الصخر . وسكن بعض منهم في بيوت متفرقة مبنية من الحجر^٦ .

وأما (بصرى) وتعرف بـ (Bostra) ، فقصبة (حوران) ، ومن أشهر مدنها^٧ . وقد عرفت في أيام الرومان بـ (Nova Trajana Bostra)^٨ . وقد ألحقت بالمقاطعة العربية في مبدأ تأسيس هذه المقاطعة ، أي في أيام (تراجان) ،

١ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (٢٤٥/١) .

Hastings, P. 303, Schumacher, Across the Jordan, 92.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) . Hastings, P. 57.

٤ التكوين ، الإصحاح الرابع عشر ، الآية ٥ . قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (١٠٢/٢) . Hastings, P. 57.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٦/١) . Ency. Bibl., P. 4976.

٧ البلدان (٢٠٨/٢) ، المشترك (طبعة وستنفلد) (٥٧) ، بلدانية فلسطين (ص ٢٢ وما بعدها) .

٨ عيون الأخبار (٢٢١/٢) .

Ency., I, P. 765, Hill, P. XXIV.

وصارت عاصمتها وقصبتها العظمى بعد أيام (ديوقليتيان) (Diocletian) (٢٨٦ - ٣٣٧) بعد الميلاد^١ ، ومركزاً من مراكز النصرانية المهمة . وفي القرن السادس للميلاد كانت أسقفية (Avara) ، وهي (الحبيبة) على رأي (موسل) تراجع (بصرى)^٢ . ويظهر أنها لم تكن تابعة للقسطنطينية ، وإنما كانت في إدارة البيزنطيين . وقد تضررت مثل (أذرعات) في أثناء غزو القرس للبلاد الشام عام (٦٤) للميلاد ضرراً بالغاً ، وفقدت مكانتها المهمة من ذلك الحين^٣ .

وقد ورد اسم (بصرى) في السيرة في قصة (نجيرا) الراهب ، كما ورد اسمها في خبر فتوح الشام . وكان أهلها من (قيس) من (بني مرة) . وذكر (أبو الفداء) أنها من ديار (بني فزارة) و (بني مرة)^٤ . وقد اشتهرت بصنع السيوف المعروفة بـ (السيوف البُصْرية)^٥ .

وعثر على نقود ضربت في مدينة (بصرى) ، منها ما يعود تاريخها إلى أيام (أنطونيوس بيوس) (Antonius Pius) ، ومنها ما يعود إلى أيام (هادريانوس) (Hadrianus) ، وهي النقود التي ضرب على أحد أوجهها النصف الأعلى لآسان يظهر أنه يرمز إلى (العربية) (Arabia) حاملاً جسمين بشريين ، على رأي بعض الباحثين ، إلى كورة (Auranitis) أي (حوران) و (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) ومنها ما يعود إلى آخرين ، وهم : (ديفس قلاوطينا) الأول (Diva Faustina) ، وقد صور النصف الأعلى من الجسم على أحد وجهي النقود ، ومارقوس أوريليوس قيصر (Marcus Aurelius Caesar) و (كومودوس قيصر) (Commodus Caesar) و (كومودوس أوغسطس) (Commodus Augustus) و (سيبتيوس سيفيروس) (Septimius Severus) و (بولبة دومنا) (Julia Domina) و (إيلجابالوس) (Elagabalus)^٦ .

ودعيت (بصرى) في النقود التي ضربت باسم (سيفيروس اسكندروس)

History of the World, Vol., VI, P. X, Ency., I, P. 763.

Musil, Hegaz, P. 63.

Ency., I, P. 763.

Ency., I, P. 763. ، (ص ٢٣) ،

اللسان (٦٨/٤) ، (ص ١٠٠) ، (بحد) .

Hill, P. XXIV.

١ (Colonia Bostra) (بـ) (مستعمرة بصرى) (Severus Alexander) ويعني هذا حدوث تغير في النظام الإداري لهذه المدينة في هذا العهد . ويرى بعض الباحثين أنها جعلت في درجة مستعمرة ، أي (Colonia) قبل أيام (سوريوس) ، وبقيت في هذه المرتبة حتى عهد (سبتيميوس سوريوس) (Septimius Severus) غير أن (هل) وآخرين يعارضون هذا الرأي ويرفضونه ، ويرون أن ذلك كان في أيام (سوريوس اسكندروس) ، لا قبله ، وأنها لم تعرف بـ (Colonia Bostra Nova Trajana Alexandriana) إلا في أيامه^٢ . وأما في نقود (بولية مامية) (Julia Mamaea) ، فقد دُعيت بـ (Colonia Bostra) كذلك^٣ .

وأعيد النظر في مرتبتها في أيام (فيليب سنيور) (فيليب الأقدم) (Philip Senior) على ما يظهر، فجعلت في درجة (متروبوليس) (Metropolis) ، فدُعيت (Colonia Metropolis Bostra) . وحافظت على درجتها هذه في أيام (فيليب الأصغر) (Philip Junior) . ولم يعثر على نقود ضربت في (بصرى) بعد أيام (تراجان ديسيوس) (Trajan Decius) أو (تريبونيانوس غالوس) (طريبونيانوس غالوس) (Trebonianus Gallus) .^٤

وأما (Charachmoba) ، فلها (قبر مواب) (Kir Moab) في التوراة والتركوم . و (قبر حاراش) (قبر حراشات) (قبر حارسة) من (مواب) وهي (الكرك) .^٥ وقد عثر على نقد يعود إلى عهد (Elagabalus) يظن أنه من نقود هذه المدينة، وأن الصورة المضروبة في الوجه المقابل لصورة (Elagabalus) ترمز إلى الإله (دوشري) .^٦

- ١ HIL, PP. XXIV, Morey, In REV. Numes., P. 81, 1911, Berytus, Vol. IX, Fasc. I, (1948), P. 43.
- ٢ HIL, P. XXV-XXVI.
- ٣ HIL, P. 22.
- ٤ HIL, P. 24, The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine Vol. No. 3, 1931, P. 135.
- ٥ HIL, P. XXVI.
- ٦ قاموس الكتاب المقدس (٢٣٠/٢) .
- HIL, P. XXX, XXXI, Encey., II, P. 855, Musil, Petraea, S., 45-52.
- HIL, XXX, XXXI, 21.

وتختلف وجهات نظر الباحثين في موضع مدينة (ديوم) (Dium) (ديون)
 (Dion) ، فمنهم يرى أنها (الحصن) (قلعة الحصن) على مقربة من (اربد)
 وأنها (Daa) عند (بطلميوس)^١ ومنهم من يرى أنها (كفر أبيل) ، وآخرون
 يرون أنها (تل الأشعري) ، وهكذا^٢ . وهي من مدن (Decapolis) ، ثم
 ألحقت به (المقاطعة العربية) في عهد (سبتيماوس سيروس) (Septimius Severus)
 على ما يظن^٣ . وقد عثر فيها على نقد ضرب باسم (Geta)^٤ ، وأرخ تاريخ
 الضرب بنقويم (بومبيوس) ، وأشار في أحد وجهي النقد الى الإله (هلد)
 الذي صورته بعض النقود المضروبة في بعض المدن السورية . وهو يقابل الإله
 (زبوس) (Zeus) عند اليونان^٥ .

ويراد به (Decapolis) الحلف المؤلف من عشر مدن ، تحالفت لدفع غزو
 القبائل لها . ويظهر أنه ظهر الى الوجود في القرن الأول للميلاد . والمدن المذكورة
 هي : (Pella) و (Scythopolis) و (Dion) و (Gerasa) و (Philodelfhia)
 و (Gadara) و (Raphana) و (Kanatha) و (Hippos) و (دمشق) .
 وقد انضمت اليه مدن أخرى بين حين وآخر . فليكون أرض هذا الحلف ممتدة
 من دمشق الى الجنوب الشرقي لبحر الجليل (Sea of Galilee)^٦ .

ومدينة (Eboda) ، هي (عبدة) (العبداء) في (العربية الحجرية)
 (Arabia Petraea)^٧ . وقد أشار (بطلميوس) الى أن (Eboda) = (Oboda)
 و (Gerasa) و (Gypsaria) و (Lysa) هي من مدن (العربية الحجرية) ،
 وجعلها بعضهم من (النقب)^٨ . وتقع غرائب (عبدة) في جنوب (بئر السبع)
 (Beersheba) وفي غرب (بطرا) وفي جنوبها سباح ، غير أن من المشكوك

١ عن (اربد) ، البلدان ، (١٧٠ / ١) ، بلادانية فلسطين (ص ٥) ،
 Provincia, III, 8, 268, Hill, P. XXXI
 Hill, P. XXXI
 Hill, P. XXXI. Provincia, III, 8, 264.
 Hill, P. 29.
 Hill, P. XXXI-XXXII, 29.
 Hastings, P. 183.
 Provincia, III, 8, 268, Hill, P. XXXII.
 Provincia, III, 8, 268, REV. Bibl., 1904, PP. 403, 1905, PP. 74.

فيه أن تكون هذه السباخ مرفوع (Ge'ham Maleh) ، أي وادي الملح^١ . وأما صنم (Eboda) ، فقد عرف باسم (زيوس عبودة) (Zeus Oboda)^٢ .

وأما (Esbos) ، فلها (حشبون) (Heshbon) في التوراة ، وتعرف اليوم بـ (حبان) ، وتقع بين (فيلادلفيا) (عمان) و(مأدبا) ، وعلى مسافة (٢٦) كيلومتراً من شرق النهاية الشمالية للبحر الميت في صعيد (موآب)^٣ . وهي من مدن العربية القديمة الشهيرة^٤ . وفي التوراة أنها كانت من مدن (الموآبيين) ثم استولى عليها الملك (سبحون) ملك (الأموريين) وجعلها عاصمة له ، ثم تغلب عليها الاسرائيليون ، ثم استعادها (الموآبيون)^٥ . والقاهر أنها كانت من مدن النبط ، ثم دخلت أخيراً في أملاك الرومان فالبيزنطيين . ولا تزال آثار المدينة القديمة باقية حتى الآن . وأما النقود التي ضربت فيها، فهي من أيام (Elagabalus) وبعضها من عهد (كركلا) (كاركلا) (Caracalla) ، ويظهر من بعض النقود أنها كانت تعرف أيضاً بـ (Aurella)^٦ . و (Gerasa) هي (جرش) في الزمن الحاضر ، ولنسبها (ياقوت الحموي) إلى رجل زعم أن اسمه هو (جرش بن عبدالله بن عليم بن جناب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عمرو بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة)^٧ . وتقع عند الحافة الجنوبية الشرقية لسلسلة (عجلون) ، ولا يعرف أصلها ومبدأ تأريخها على وجه التحقيق . ولم يرد اسمها في التوراة^٨ . وقد أشير إليها في كتب (الحديث)^٩ .

Musil, Hegaz, P. 253, 255. ١

Hill, P. XXXII. ٢

قاموس الكتاب المقدس (٢٧٤/١) ، ٣

Hill, P. XXXII, Reallexikon, VI, S., 613, Musil, Petraea, I, P. 383.

Ency., Bibl., P. 2044. ٤

العدد ، الأصحاح ٢١ ، الآية ٢٥ وما بعدها ، الأصحاح ٢٢ ، الآية ٢٧ ، اشعيا ، الأصحاح ١٥ ، الآية ٤ ، والأصحاح ١٦ ، الآية ٨ وما بعدها ، ورميا ، الأصحاح ٤٨ ، الآية ٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، والأصحاح ٤٩ الآية ٣ . ٥

Hill, P. XXXIII, Hastings, P. 346. ٦

البلدان (٨٥/٣) ، بلدانية فلسطين (٥٢) . ٧

Ency., I, P. 1017, Hastings, P. 290. ٨

اللسان (٢٧٢/٦) . ٩

ويظن بعض الباحثين أنها (راموث جلعاد) (Ramoth-Gilead) المذكورة في العهد العتيق^١ . ويظهر أنها من المدن التي عرفت بعد عهد (اسكتلر الكبير) ، وقد استولى عليها (اسكتلر ينيوس) (اسكتلر جنيوس) ملك (يهوذا) ، ثم تحررت من اليهود في عهد (يوميوس) ، وألحقت بكورة (سورية الرومانية) ، ثم أضافها (تراجان) في عام (١٠٦) بعد الميلاد إلى (الكورة العربية) ، وضمت بعد ذلك إلى كورة (فلسطين الثانية) (Palestina Secunda) أي الأردن^٢ .

وكانت (جرش) مركزاً لعبادة الإله (ارتيمس) (Artemis) ، وهو (ديانا) (Diana) عند الرومان ، وابنة (زيوس) (Zeus) و (ليتو) (ليطو) (Leto) عند الإغريق^٣ ، كما كانت أسقفية معروفة قبل الإسلام ، ونشاهد آثار كنائس ومباني رومانية وبيزنطية ونبطية لا تزال باقية حتى اليوم^٤ .

وأما (Medaba) = (Medeba) ، فهي (مأدبا) وهي (ميدبا) في التوراة . وهي من أقدم مدن (موآب) ، وقد ذكرت في سفر (العدد) مع (حشيون) و (ديبون)^٥ . وكانت في أيدي (العمونيين) في ملك (داود) . وفي أيام (أشعيا) عادت إلى يد (موآب)^٦ . وفيها قتل (يوحنا مكاويوس) (يوحنا المكابي)^٧ . وسبق أن ذكرت أن (بني يمرى) (Bne-Imri) = (Bne-Amri) قتلوا من سكان (ميدبا) (مأدبا) ، وهم من العرب . وقد جعلها (بطليموس) في جملة مدن (العربية الحجرية)^٨ . أما (أوبسيوس) (Eusebius) و (جبروم) ، فلذكراها في جملة مدن (العربية)^٩ . وتقع غرائب تلك المدينة القديمة على مسافة (١٤) ميلاً شرقي (بحر لوط) ، وهي مبنية على رأس تل وحوله ، وفيه آثار المدينة القديمة . وإلى الجهة الجنوبية منها

1 Hastings, P. 290.

2 Ency., I, 1017, Schürer: Geschichte des jüdischen Volkes, II, 8, 182.

3 Hastings, P. 290. Harvey, P. 52.

4 Ency., I, P. 1017.

5 عدد . الأصحاح ٢١ ، الآية ٣٠ .

6 اشعيا ، الأصحاح الخامس عشر ، الآية ٢ .

7 قاموس الكتاب المقدس (٢٩٧/٢) .

8 Ptolemy, V, 17, 6, VIII, 30, 30. Ency. Bibl., P. 3003.

9 Eusebius, 138, 32, 279, 13, Ency. Bibl., P. 3003.

بركة ، وإلى الشرق والشمال برك أخرى . وتوجد آثار هيكل كبير بينها عمودان واقفان^٢ . ومن أنفس ما عثر عليه في هذه المدينة القديمة خارطة من (الموزايك) الفسيفساء (Mosaic) لفلسطين النصرانية ومصر^٣ ، كما عثر فيها على نقود من أيام الرومان واليونان^٤ . وقد ازدهرت بعد الميلاد : فصارت مركز (أسقف) ، ومثلت في مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)^٥ .

وأما (فيلادلفيا) (Philadelphia) ، فهي (رية) ، و (رية بني عمون) (Rabbath — Bene — Ammon) في التوراة . وهي في (جلعاد) بالقرب من مخرج نهر (يبيق) وعاصمة (بني عمون)^٦ . وذكر (اصطيغانوس البيزنطي) أنها كانت تعرف بـ (Astarty) . وقد يكون لهذا القول أصل ، فقد ورد في بعض الكتب أن من مدن (سورية) مدينة عرفت بـ (Asteria) ، ولتسميتين علاقة بالصنم (عشتروت) (Asteria)^٧ . وعلى أقاض هذه المدينة القديمة تقع (عمان) عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية . وأما سبب تسميتها بـ (فيلادلفيا) ، فتجديد بنائها وإعادة تعميرها في عهد (بطلميوس فيلادلفوس) (Ptolemy Philadelphus) (٢٨٥ — ٢٤٧) قبل الميلاد فعرفت به^٨ . وصارت من أشهر مدن (Decapolis)^٩ . وقد انتزعها (أنطيوخس أيبفانوس) (Antiochus Epiphanes) من (بطلميوس فيلوباتر) (بطلميوس فيلوباتر) (Ptolemy Philopater) في سنة (٢١٨) قبل الميلاد^{١٠} ، وكان يحكمها في أيام (هركاتوس) ملك (يهودا) (١٣٥ — ١٠٧) قبل الميلاد ، حاكم اسمه (زينو كوتيلوس) (Zeno Cotyles)^{١١} .

- ١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٨) .
- ٢ Ency. Bibl., P. 3993, Hastings, P. 596, Clermont Ganneau, in: Recueil D'Archeol. Orient., XI, P. 161, 1897), A. Jacoby, Das geogr. Mosaik von Medaba, 1906, Musil, Petraea, I, PP. 113.
- ٣ Hill, I, XXXV, 33.
- ٤ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) . Hastings, P. 596.
- ٥ قاموس الكتاب المقدس (٢/٤٧٣) .
- ٦ N. Glöck: The River Jordan, 1946, P. 839, 93, 189, Hill, P. XXXIX.
- ٧ Hastings, P. 780, Ency., Bibl., P. 3998.
- ٨ N. Glöck, P. 49, 89, 115, 189, Ency. Bibl. P. 3998.
- ٩ Polybius, (Polubios), 5, 17, Ency. Bibl., P. 3998.
- ١٠ Josephus. Antiq., XIII, 8, 1, 18, 3, Ency. Bibl., P. 3998.

وكانت بأيدي النبط في سنة (٦٥) قبل الميلاد^١.

وتنسب (فيليب بولس) (Philippopolis)، وهي (شبهة) (شحية) في الزمن الحاضر^٢، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات شمال (القنوات) إلى (فيليب) (فيلفوس)^٣ المعروف بالعربي (M. Julius Philippus Arabus) (٢٤٤ - ٢٤٩ م)^٤. وقد حرف بالعربي لأنه كان عربي المولد^٥. وكان قد نشأ وترعرع في (بصري)، ثم دخل الجيش الروماني وتقدم فيه، وأصبحت له مكانة كبيرة أوصلته إلى أعلى مراتب الدولة، وهي (قيصر)^٦.

ويرى بعض الباحثين أنه أنشأ هذه المدينة في سنة (٢٤٨) بعد الميلاد أو بين (٢٤٧) و (٢٤٨) بعد الميلاد. ويرى (كوبيتشك) (Kubitschek) أنه أسسها في عام (٢٤٤)، أي قبل ذهابه إلى (رومة)^٧. وجعلها في درجة (مستعمرة) (Kolonia) = (Colonia) رومانية. ولا تزال أبقاض هذه المدينة باقية حيث تشاهد آثار معابدها وشوارعها وبعض أبنيتها ومسرح وغير ذلك مما جاء وصفه في كتاب: (Die Provincia Arabia)^٨، كما عثر فيها على كتابات ورد فيها اسم (القيصر) (فيليب)^٩، كما عثر فيها على نقود^{١٠}.

وأما (Rabbathmoba)، وتعرف في اليونانية باسم (Areopolis)، فلها (ربة) (ريا)، وهي مدينة بنيت في عهود الرومان المتأخرة على رأي بعض الباحثين^{١١}. وقد عثر فيها على نقود ضرب عليها اسم (سبتيميوس سوربوس) وأسرته. ويظن أن الصورة الرمزية المصروية على عدد من نقود (ربة) تشير إلى

-
- | | |
|--|----|
| Ency. Bibl., P. 3993. | ١ |
| Provincia, III, S. 145, 147. | ٢ |
| (فيلفوس) العربي (٦٩١/١ - ٧١٩)، فهرست تاريخ الطبري - عمل (دي | ٣ |
| غويه) (ص ١٥٤). | |
| Hist., P. XXXIX, Die Araber, II, 4. | ٤ |
| The Historians' History of the World, Vol. VI, P. 412. | ٥ |
| Leopold von Ranke: Weltgeschichte, Bd. 5, S. 163. | ٦ |
| Hist., P. XIII, Provincia, III, S. 305. | ٧ |
| Hist., P. XII, Provincia, III, S. 305. | ٨ |
| Hist., P. XIII. | ٩ |
| Provincia, III, S. 145. | ١٠ |
| Hist., XIII, Provincia, I, S. 55, Burekhardt, 377, H.B. Tristram: The Land | ١١ |
| of Israel, 110. | |

إله لعله الإله (Kemosh) أو إلى معبده الخاص به ، على نحو ما رأينا في بعض النقود من ذكر (متاب) ، وهو معبد (دوشري) ليرمز إلى الإله^١ . ويرى بعض الباحثين أن (Kemosh) هو إله الحرب^٢ .

ومن مدن الكورة العربية الأخرى : (Sodoma) ، ولعلها (الزوراء)^٣ ، و (السويداء) (Dionysias) ، و (Beretana) ، وقد وردت أسماءها في مجمع (نيقية) . وقد ألفت (السويداء) بالكورة العربية في أيام (سوبروس) و (Adrama) و (Constantine) و (Neapolis) ، وقد وردت أسماءها في جملة الأسماء الملوثة في أعمال مجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) الميلاد^٤ . و (Ziza) و (Dia-fenis) و (Tricomia) و (Areopolis) و (Canotha) و (Nela) و (Zerabena) و (Anthia) و (Eutymia) و (Chrysopolis) و (Erra) و (Neve) و (Maximianopolis) و (Phaena) و (Aena) ، وقد وردت أسماءها في سجلات أعمال مجمع (خلقدون) (خلقيدون) (Chalcedon) (٤٥١ م)^٥ .

وذكر (بطليموس) أسماء مواضع أخرى يقع بعضها في النقب (Negeb) = (Negev) غرب (العربية)^٦ . وسجلت في (Notitia Dignitatum) أسماء (Motha) ، وهي : (أمان) (Speluncae) ، وهي (دير الكهف) ، و (Mefa) و (Gadda) وهي (نحو) ، و (Betthoro) و (Dia-Fenis) و (Auatha) و (Gomotha) و (Libona) و (Naarsafari) و (Thainatha) و (Adittha) وهي (الحديد) و (Asabala) و (Ultha) و (Uade Afar) و (Castra) و (Arnomensia)^٧ ، على أنها من مواضع الكورة العربية . وهناك أماكن أخرى ذكرت أسماءها في كتاب : (De Provincia Arabia) ، قد نخرجنا تعدادها عن

1881, p. XIII.

Hill, XIII, Baethgen: Beiträge zur Semit. Religionsgeschichte, S. 14.

Provincia, III, S. 353.

Provincia, III, S. 352, 353.

Provincia, III, S. 263, Harduin, Kritische Angabe der Unterschriften vom Geitzner, Leipzig, 1893.

Provincia, III, S. 256, Ptolmey, V, 16.

Provincia, III, S. 256, Notitia Dignitatum. Ori., 37.

أصل الموضوع^١.

وقد أوكلت مهمة المحافظة على الأمن في (الكورة العربية) الى الكردوس (اللجيون) (Legion VI Ferrata) الروماني الذي كان معكراً منذ آمد في (سورية) ، فصدر الأمر اليه في سنة (١٠٦) للميلاد على ما يظهر بنقل مقره من شمال سورية الى هذه الكورة الجديدة التي أنشأها (نراجان)^٢ . ثم نقل مقره في أيام (هدريانوس) (Hadrianus) الى (اللجون) (Caparconta) في (الجليل) (Galilee)^٣ . وفي أيام (هدريانوس) أيضاً وفي سنة (١٣٥) للميلاد وهي سنة استيلائه على القدس وإخماده الثورة التي قامت في (اليهودية) أمر بإنشاء (Aella Capitolina) . لأغراض عسكرية على ما يظهر^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الكورة العربية قد قسمت في القرن الثالث للميلاد وفي (ديوقليطيان) (ديوقليطيانوس) (Diocletianus) = (Diocletian) الى كورتين : كورة شمالية عاصمتها (بصرى) وعرفت بـ (كورة بصرى) (Provincia Bostrom) ، وكورة جنوبية وعاصمتها (بطرا) وعرفت باسم (كورة بطرا) ، وبعبارة أصح (الكورة الحجرية) (Provincia Petrae) ، وتعرف بـ (العربية) أيضاً^٥ .

أما في القرن الرابع وفي حوالي سنة (٣٠٧) للميلاد تقريباً ، فقد اقتطعت منها بعض المدن ، مثل (أيلة) و (Phainon) ، وألحقت بفلسطين ، وبذلك تقلصت (Praeses Arabiae) وتوسعت رقعة فلسطين (Praeses Palaestinae) كثيراً . ويظهر أن الضرورات العسكرية هي التي دفعت الى أحداث هذه التغيرات^٦ .

وحدثت تغيرات أخرى في (الكورة العربية) في القرنين الخامس والسادس

١ Provincia, III, 8, 253.

٢ The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol. II, III, 121, Harvard Excavations at Samaria, 1908-1910, I, 251, I, II, Plate 59.

٣ The Quarterly, II, III, P. 121, 1933.

٤ The Quarterly, II, III, P. 120.

٥ Provincia, III, 271, Mommsen: Verzeichnis der Römischen Provinzen, 8, 501.

٦ Provincia, III, 8, 275.

للعيلاد، فانتزعت منها مدن أخرى أُلحقت به (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) وتعرف أيضاً به (Palestina Salutaris)^١.

أهل الكهف والرقم :

ولا بد لي وقد انتهيت من الحديث عن التبط وعن (الكورة العربية) من الكلام عن أهل الكهف والرقم ، السنين ذكرُوا في القرآن الكريم : « أم حسب أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا »^٢ . إذ ذهب بعض علماء التفسير إلى أن الرقم واد دون فلسطين فيه الكهف ، وهو قريب من (أيلة) . كان اليهود قد أوجعوا إلى المشركين من أهل مكة ، أن يسألوا الرسول عنهم ، امتحاناً له . وكانوا يتداولون أخبارهم ، ويروون قصصاً عنهم ، كان شائعاً فاشياً إذ ذاك بين النصارى أيضاً ، فجاء الجواب عنهم في سورة (الكهف)^٣ . وهناك من زعم أن (الرقم) على فرسخ من (عمان) ، أو قرية صغيرة بالقرب من البحر الميت ، أو أنها (البتراء) : وذلك بالإضافة إلى روايات أخرى رجعت مكان (الكهف) إلى (أفسس) (أفوس) ، بالأناضول ، أو إلى أماكن أخرى لا داعي إلى ذكرها في هذا المكان ، لعدم وجود علاقة لها بهذا البحث . وقد بحث عنها المتخصصون ، كما قامت بعثات آثارية بالبحث عن كهف (أهل الكهف) في الأماكن المذكورة ، للتأكد مما جاء عنه في الموارد النصراية والإسلامية ، فإليها أحيل من يريد التبط في الكلام عنه^٤ .

١ Provincia, III, 8., 280.

٢ سورة الكهف ، الآية ٩ .

٣ تفسير الطبري (١٢٦/١٥ وما بعدها) ، (طبعة بولاق) ، تفسير التيسابوري (١٦٦/١٥ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري ، طبعة بولاق) ، تفسير القرطبي (٣٥٦/١٠ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٧٢/٢) .

٤ راجع دائرة المعارف الإسلامية ، Encyclopedia of Islam ، ومجلة : Review de Qumran, Vol. 5, No. 18, 1965.

وما كتبه (ماسينيون) و (بارليوس) Barons و (تاليمونت) Tallmont عن الكهف . واشكر دائرة الآثار بعمان في المملكة الأردنية الهاشمية لتفضلها علي بإرسال صورة كتابية (بشرام الرجوم) ، ومقال يقع في (٣) صفحات للسيد رفيق وفا الدجاني عنوانه : كهف ، أهل الكهف في الرقيب ، وذلك بكتابها المرقم : ١٤-١٦ لسنة ١٩٥٨ والمؤرخ لـ (١٨-١٩٦٦ م) .

ولقد تبين الآن ان الكتابات المدونة عند مدخل (الشق) في (البتراء) ، لا صلة لها بأهل الكهف ، وانما كتبت تقليداً للذكرى جماعة من اليونان البارزين جاءوا من (جرش) فوافقهم أجلهم به (البتراء) ، ماتوا قبل (أصحاب الكهف) بأمد . وقد شرح تلك الكتابات (ستاركي) (Starkey)^١ . وذهب الباحثون في (دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية) الى أن كهف (أهل الكهف) ، هو (كهف الرجيب) ، وهو على مقربة من قرية صغيرة تسمى (الرجيب) ، وجدت بداخله مدافن يرجع عهدها الى زمان القيصر (ثيودوسيوس الثاني) (Theodosius II) (٤٠٨ - ٤٥٠ م) ، الذي في زمانه كان بعث أهل الكهف . وذهبوا الى أن اسم هذا الموضع في القديم هو (الرقيم) ، تحول الى (الرجيب) فيما بعد . وأيد هذا الرأي الأستاذ (هج نيلي) (Hugh Niley) الذي زار الموضع ودرسه ، وكتب مقالاً عنه^٢ .

وذهب من رأى ان كهف الرجيب هو (كهف أهل الكهف) ، الى أن دخول الفتية الكهف ، كان في أيام الطاغية (تراجان) (٩١ - ١١٧ م) المشهور ، فاتح (الكورة العربية) ومؤسسا والأمر بإنشاء المعبر الحربي المعروف باسم (طريق تراجان) وباني مدينة (أبله) الرومانية وصاحب الملعب الروماني والآثار العديدة للمباني التي أقامها بهمان وبمسند أخرى من الأردن . وقد كان شديداً عانياً قاسياً على النصارى ، عدتهم موقعة موقعة خارجيون على الدولة والقانون لذلك أصدر أمره سنة (١١٢ م) بقتل كل نصراني لا يجلس للقيصر والدولة ، فخاف منه النصارى وتكتموا ، وكان من جملة من تكتموا والنزوى (أصحاب الكهف)^٣ .

ووجدت البعثة الأميركية للدراسة الأبحاث الشرقية بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية في موضع (أم الرجوم) الواقع على بعد (١٥) كيلومتراً شمال (عمان) ،

١ (ص ٢) من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل الي ، وهو يشير الى الجزء العاشر من حواريات دائرة الآثار .

٢ من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل لي بكتاب دائرة الآثار الأردنية المشار اليه ، وقد اشار الى مجلة Review de Qumran, Vol. 5, No : 18, 1963.

٣ المصدر المذكور .

آثار بشر قديمة استدل من كتابة عثر عليها مدفونة على جدرانها أنها تعود الى ما قبل الميلاد . وأن الموضع المذكور هو حصن من الحصون التي كانت تدافع عن مدينة (ربة عمون) ، عاصمة مملكة (عمون) ، التي عاشت بين القرن الثالث عشر والقرن السادس قبل الميلاد . و (ربة عمون) ، هي (عمان) العاصمة



هذه صورة الكتابة التي دونها الباحثون لكتابة بترام الرحوم
أعدها لي دائرة الآثار الأردنية بعمان ، فلها شكري

الآن . وقد كتبت الكتابة بخط مشتق من القلم العربي الجنوبي ، يظن البعض أنها من كتابات القرن السابع قبل الميلاد . ويظهر من هذه الكتابة المهمة ، أن أصحابها كانوا يكتبون بقلم قريب من

العلم المستد ، وقريب من القلم المحباني والتمودي والصفوي ، وأن لهجتهم كانت لهجة عربية ، أي ان أصحابها من العرب . وقد كتبوها لمناسبة إقامة تلك البثري التي حضرها وهياها (شمان) و (سمان) و (ساعدن) (سعد) (ساعد) وهما أصحاب هذه الكتابة والبثري .

الفصل الخامس والثلاثون

ملكة تدمر

ويتصل الحديث عن البطل بالحديث عن مكان آخر له علاقة بهم أيضاً ، هو (تدمر) المعروف بـ (Palmyra) عند الغربيين اللذين ورثوا هذه التسمية عن الرومان واليونان . وهو (تدمر امور) المذكور في كتابة من كتابات (تغلت فلاصر الأول) (Tiglath-Pileser I) = (Tiglath-Pileser) (١١١٧-١٠٨٠ ق.م.)^١ على رأي بعض الباحثين . وقد ورد اسم المدينة وهو (تدمر) في عدد من الكتابات كما ورد اسم علم للأشخاص .

وقد رأى بعض الباحثين أن (Palmyra) من لفظة (Palma) اللاتينية ومعناها (نخلة) (نخلة) ، وأن الاسكندر ذا القرنين لما تغلب عليها أطلق عليها (Palmyra) أي مدينة النخل ، وذلك لما يكتنفها من غابات النخل العظيمة ، فعرفت عند اليونان واللاتين منذ ذلك الحين بهذا الاسم^٢ . غير أن هذا رأي يحتاج إلى إثبات ، فليس لدينا دليل من عهد الاسكندر يؤيد هذا القول . وليست لدينا حجة دامغة تثبت وجود النخل في هذه المدينة اباناً يستوجب تسمية الموضع

Ency., Vol., III, P. 1030, Hommel, in EDMG., XIV, 547, Syria, Revue d'Art Oriental et d'Archéologie, Tome, VII, Paris, 1926, P. 77, Dhorme: Palmyre dans les Textes Assyriens, Revue Biblique, 1924, PP. 106, Ency. Brita., Vol., 11, P. 161, Reallex., I, IV, B, 290.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١٨٢ / ١) ، Ency., III, P. 1030.

بـ (Palmyra) أي مدينة النخل^١ .

وهناك آراء متباينة في سبب تسمية (تدمر) بهذا الاسم ، هي موضع جدل ، وليس فيها رأي يمكن الاطمئنان الى صحته وترجيحه على غيره ، لذلك أترك البحث عنه الى المراجع التي بحثته^٢ .

ويظن بعض الباحثين أن (Palmyra) هي ترجمة لكلمة (تمار) (تمار) (تمار) (Tamar) العبرانية ومعناها (نخلة) (Date — Palm) ، وهي في الأصل اسم موضع الى الجنوب الشرقي من يهوذا ورد ذكره في (حزقيال) ، لا يعرف موضعه اليوم على وجه التحقيق^٣ . ويرى علماء التوراة أنه الموضع الذي بناه سليمان والمذكور في (الملوك الأول) وان خطأ وقع قديماً في تعيين الموضع فجعل (تدمر) ، سببه أن كتبة أسفار (أخبار الأيام) أو الكتبة قبلهم أخطأوا في معرفة موضع (تمار) (Tamar) الواقع في الصحراء اليهودية جنوب البحر الميت ، فظنوا أنه (تدمر) المدينة الشهيرة المعروفة ، وكتبوه (تدمر) في محل (تمار)^٤ . فالأصل إذن هو (تمار) . وصارت (تدمر) نتيجة لهذا التغير في جملة المدن التي بناها (سليمان) . وقد كتبت (أسفار أخبار الأيام) (Chronicles) في حوالي سنة (٣٠٠) أو (٢٠٠) قبل الميلاد ، لذلك يكون هذا التبدل والتغير قد ظهر في حوالي هذا الوقت^٥ . ومنه صارت (تمار) (تدمر) ومنه أصبح معنى (تدمر) مدينة النخل ، أي (Palmyra) عند اللاتين واليونان وقد ظهرت هذه الترجمة بعد تكوين أخبار الأيام بالطبع . ومنها جاءت أسطورة بناء سليمان لمدينة (تدمر) في هذه المنطقة البعيدة عن حدود مملكة اسرائيل^٦ .

- ١ Hastings, P. 889, Johannes Oberdick: Die Römerfeindlichen Bewegungen im Orient, Berlin, 1886, S. 44.
- ٢ Ency., III, P. 1020, Hommel, in ZDMG., XLIV, 547, M. Hartmann, in ZDMG., XXVII, 128.
- ٣ حزقيال ، السفر ١٧ ، الآية ١٩ ، والسفر ٢٨ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٠٠ / ١)
- ٤ الملوك الأول ، الأصحاح التاسع ، الآية ١٨ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٨٢ / ١) وما بعدها .
- ٥ Hastings, P. 892, Ency., III, P. 1020, The Universal Jewish Encyclopedia, Vol. 8, P. 381.
- ٦ Ency. Brita. Vol. 17, P. 161, Hastings, P. 889.
- ٧ Ency. Bibl., P. 4886, Hastings, P. 889.

وعلى كل حال ، فإن الذي نستنبطه من قصة إضافة (تدمر) الى الميسانى التي نسب بناؤها الى سليمان ، هو أن هذه المدينة كانت قد اكتسبت شهرة في أيام تدوين أسفار (أخبار الأيام) وأنها كانت مدينة عامرة شهيرة فيما بين السنة (٣٠٠) و (٢٠٠) قبل الميلاد^١ .

ومعجز أن تكون الشهرة التي اكتسبتها مدينة (تدمر) (تدمر) في أيام كتبة أسفار (أخبار الأيام) هي التي حملتهم على إضافتها الى أعمال (سليمان) ، لأنها (بمقتضى سليمان) ألبق وأنب من موضع صغير هو (تمار) ، فأضافوا هذه المدينة الشهيرة اليه ، لتدل على شهرته وعلى مدى بلوغ ملكه في أيامه . وقد أضيف الى ملك سليمان على هذا النحو من الإضافات ما لا تصح إضافته اليه ، ويولج في ملكه وحكمه في الأيام القديمة التي تلت أيامه ، لأنه كان من أشهر ملوك (بني اسرائيل) ، حتى صارت أخباره من قبيل الأساطير .

وذهب المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) هذا الملعب أيضاً ، فنسب بناء (تدمر) الى (سليمان)^٢ . أخذ رأيه هذا من هذا الموضع من التوراة بالطبع ، ومن الروايات التي وصلت اليه وكانت قد ظهرت قبله ، للسبب المذكور .

لما الروايات العربية ، فهي لا تفيد علماً ولا تصلح أن تكون دليلاً ، فهي روايات متأخرة دخلت الى المسلمين من أهل الكتاب ، أشاعها وروجها أمثال (ابن الكلبي) بن الأخباريين ، فأعلوها بغير تحقيق ولا تدقيق . وقد ذكر (ياقوت الحموي) أن قوماً يزعمون أنها مما بنته جن سليمان ، وأن أهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بزمان^٣ .

ولدينا آيات نسبت الى (النابغة الذبياني) تتضمن أسطورة بناء جن سليمان لتدمر ، امتثالاً لأمره الذي أصدره إليها ، فقد نسب اليه قوله :

^١ Hastings, P. 889, Die Araber, I, B. 344.

^٢ Hommel, in ZDMG, XLIV, 547, Ency., III, P. 1020, P. Dhorme. Palmyre dans les Textes Assyriens, in: Revue Biblique, 1924, PP. 109.

^٣ البلدان (٢ / ٢٦٩) ، (ثم عاد الى الشام ، لغزى تدمر ، وكانت موطنه) ، (ملك سليمان) ، الأخبار الطوال (٢٠) .

إلا سليمان إذ قال الإله له ، قم في البرية فاحددنا عن القند
وجيش الجن التي قد أمرتهم^١ يتون تدمر بالصفايح والعمد^٢

ولا يصلح شعر النابغة ولا أمثاله من شعراء الجاهلية أن يكون حجة في بناء
(سليمان) لتدمر . فمن الجائز أن يكون النابغة أو غيره ، قد أخذ فكرته علم
من أهل الكتاب ، ومن الجائز أن يكون هذا الشعر من وضع الوضاعين لسيوه
إليه . وقد وضعت أشعار في الاسلام ونسبت إلى الجاهليين ، وإلى آدم وهابيل
وقايل والجن وإبليس .

وبين الأخباريين من ينسب بناء (تدمر) إلى (تدمر بنت حسان بن أذينة
ابن السديع بن يزيد بن علقم بن لاوذ بن سام بن نوح) . وذكروا قصة تفيد
عشورهم على قبر (تدمر بنت حسان)^٣ . وقد أعجبوا ببنائها ووصف الشعراء
صورتين جميلتين من بقية صور كانت فيها . وقد حاصرهما خالد بن الوليد ثم
ارتحل عنها فبعث أهلها رسلاً وصالحوه على ما أدوه له ورضي به^٤ . أما قصة
العشور على قبر في تدمر ووجود جنة فيه ، فأمر ليس بعيد ولا بغير . وأما
قصة (تدمر بنت حسان) ونسبها والكثيرة التي على قبرها ، فهي من وضع
الأخباريين والقصاص ولا شك^٥ .

وقد أشار (بليثوس) (بليثوس) إلى مدينة (Palmyra) ، وهو أول
كاتب (كلاسيكي) عرض لها ، فذكر أنها مدينة شهيرة ، ولها موقع ممتاز ،
أرضها خصبة ، وبها يتايغ وعبون ، تحيط بحضارتها الرمال . وقد عزلتها الطبيعة
عن العالم ببادية واسعة الأطراف ، بعيدة المسافات ، وتقع بين الإمبراطوريتين
عظيمتين الإمبراطورية (رومة) ، والإمبراطورية (القرث) (Parthia) ، ولهذا

١ (وخيس الجن - التي قد أذنت لهم) . اللسان (خ/ي/س) . معجم ما استعجم
(١٩٤/١) ، (وستفلد) . البلدان (٣٦٩/٢) . الشرق . السنة الأولى
العدد ١١ . حزيران ١٨٩٨ م (ص ٤٩٦) . مروج الذهب (٢/٢٤٤) ،
(دار الأدلس) ، (ذكر الأخبار عن بيوت النيران . وغيرها) .

٢ البلدان (٣٦٩/٢) . معجم ما استعجم (١٩٤/١) .

٣ البلدان (٣٧١/٢) .

٤ Lidsbarski, Ephemeris, I, B., 207.

استرعت أنظار الدولتين^١ . وورد اسمها في كتب (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعد (بلينيوس) مما يدل على ازدياد شهرة هذه المدينة بعد الميلاد^٢ .

وبعد الفضل في حصولنا على معارفنا التاريخية عن تدمير الى الكتابات التدمرية التي درسها المستشرقون وترجموها الى لغاتهم وشرحوا ما جاء فيها ، وهي بالإرمية واليونانية ثم اللاتينية والعبرانية ، نشرت في كتب خاصة وفي كتب الكتابات السامية وفي ثلثها المجلات^٣ ، وإلى كتب المؤلفين اليونان واللاتين والسرمان . من هذه الموارد الرئيسية استقى المؤرخون معارفهم عن تأريخ هذه المدينة ، تضاف إليها موارد ثانوية ذكرت (تدمر) عرضاً لوجود مناسبة دعت الى ذلك مثل سجلات المجامع الكنسية والتلمود .

أما تأريخ المدينة فلا نعرف من أمره شيئاً يذكر يعود الى ما قبل الميلاد . وأكثر ما كتب عن مدينة (تدمر) يعود الى ما بعد الميلاد .

وكان غالبية أهل (تدمر) برغم كتابة أمورهم بالإرمية وبالقلم الإرمي من العرب على رأي أكثر الباحثين ، شأنهم في ذلك شأن نبط (بطرا)^٤ . وهم يرون ان القبائل العربية التي أغلقت تستولي على المناطق الخصب الواقعة في شرقي أرض (كنعان) ، بعد سقوط الدولة البابلية ، كتبوا بالإرمية ، لأنها كانت لغة الكتابة

Pliny, Nat. Histo., V, XXI, 88. William Wright, An Account of Palmyra and Zenobia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert, London,

Wright : 1856. P. 110.

Ency. Bibl. P. 488A.

راجع الموارد الآتية فيما يتعلق بكتابات تدمر :

Répertoire d'Épigraphie Sémitique, Corpus Inscriptionum Latinarum, Corpus Inscriptionum Graecarum; Cantineau. Inventaire des Inscriptions de Palmyre, Beyrouth 1930; Lüttmann: Semitic Inscriptions, Part IV of «The Publications of an American Archeological Expedition to Syria in 1899-1900»; Sabernheim: Palmyrenische Inschriften, in: Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1906; De Vogue: Syrie Centrale — Inscriptions Sémitiques, 1888; J.B. Chabot: Notes d'Épigraphie d'Archéologie Orientales, in: Journal Asiatique, 1897-1901; Cooke: Textbook of North Semitic Inscriptions; Syria, Tome XIV, 1933, PP. 158, 160; Cantineau: Inscriptions Palmyrennes, Damas 1930; Fr. Rosenthal: Die Sprache der Palmyrenischen Inschriften.

Fr. Rosenthal, Das Sprache der Palmyren Inschriften.

والثقافة في المنطقة الواسعة الواقعة غربي الفرات^١. ونظير في بعض الكتابات بعض المصطلحات والكلمات العربية الأصلية ، كما نجد فيها أسماء أصنام عربية مع أصنام لارمية^٢ ، وبالجملة فإن في (تدمر) ثقافة هي خلاصة جملة ثقافات : عربية ولدرمية ويونانية ولاينية، وأقدم كتابة عثر عليها فيها لا يتجاوز تاريخها سنة (٣٠٤) من التاريخ السلوقي ، أي سنة (٩) قبل الميلاد^٣ .

كانت تدمر عقدة من العقد الخطيرة في العمود الفقري لعالم التجارة بعد الميلاد تمر بها القوافل تحمل آمن البضائع في ذلك الوقت . كانت على اتصال بأسواق العراق وما يتصل بالعراق من أسواق في إيران والهند والخليج والعربية الشرقية ، كما كانت على اتصال بأسواق البحر المتوسط ولا سيما ديار الشام ومصر ، كما كانت على اتصال بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال إفريقية والعربية الجنوبية والهند . إن هذه التجارة هي التي أحيت تلك المدينة ، كما إن تغير طرق المواصلات بسبب تغير الأوضاع السياسية هو الذي شلّ جسم تلك المدينة فألقدها عن الحركة بالتدريج .

لقد كانت القوافل الداعية من العراق إلى بلاد الشام ، أو القادمة من بلاد الشام إلى العراق ، تمر بمدينة (تدمر) . وكان الموضع الذي تحط فيه قوافل (تدمر) هو موضع (Volageslas) = (Volagesokerta) على نهر الفرات . ومن هذا المكان تنقل التجارة إلى الجهات المقصودة في العراق ، ومنه تحمل تجارة العراق إلى (تدمر) فدمشق^٤ .

ويظهر من كتابة عثر عليها في إحدى المقابر أن القوافل التجارية كانت تمر في حوالي سنة مئة قبل الميلاد بمدينة (تدمر) في أثناء أسفارها بين مدينة (دورا) (Doura) والشام . وبين الطريق القديم وهذا الطريق ، تسكن قبائل عربية من سكان الحبيام ، أي من النسوع المعروف باسم (سكينته) (Skenita) عند (الكلاسيكيين)^٥ .

Ency. Brita, 17, P. 141.

Syria, XIV, 1933. Nöldeke: Über Orthographie und Sprache des Palmyrenen.

In ZDMG., XXIV, 1870, S. 85.

Cooke: Northsemite Inscriptions, No. 141, Vögl: Syrie Centrale, No. 30a.

Ency. Brita., 17, P. 162.

Die Araber, II, S. 61.

The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 569.

وقد اقتصرت هذه الأعمال التجارية الواسعة تكوين علاقات سياسية واقتصادية مع الفرس والرومان والروم والقبائل العربية في البادية التي لم يكن من الممكن مرور قوافلها في أرضها بسلام ما لم يتفق مع سادتها على دفع إتاوة سنوية ، أو جعل معلوم . واليهان سلامة قوافلها ، اضطرت كما اضطرت غيرها إلى إرسال حراس معها وإلى إنشاء مواضع للحماية والاستراحة في مواضع متعددة من البادية . ونجد في الاعتبار أن التدمريين جمعوا قلوب أهل المدينة الذين سرحوا من الجيش الروماني أو الذين أجبرهم الاضطراب أو ضعف قادة الجيش الروماني أو عنجهيتهم على ترك الخدمة في جيش الرومان ، وألقوا منهم جيشاً درب تدريباً حسناً ، وصار قوة مقاتلة متفوقة على قوات الأعراب بما توفر عندها من حسن التدريب والطاعة والنظام ، واستطاعوا بهذه القوات من القيمة على أبناء البادية الجياع إلى الغزو والسلب ونهب القوافل ، ووضعوا لهم حاميات في المراكز الضرورية الحساسة . فقد ورد في الكتابات أنه كان لهذه المدينة حامية (Militia) في (عالة) (عائانا) (Anatha) = (Anath) في عام (١٣٧) و (٢٢٥) بعد الميلاد ، وفي (الحيرة) (Hirha) في سنة (١٣٢) بعد الميلاد وفي (دورا) (Doura) في سنة (١٦٨) و (١٧٠) للميلاد .

وقد عثر على مدافن بمقبرة من القدس وجدت فيها كتابات تدمرية دوت عليها أسماء أصحاب تلك القبور ، ويظهر أنهم من جنود (تدمر) الذين التحقوا بالجيش الروماني ، وعملوا فيه ، وقد اشتركوا مع الرومان في محاصرة القدس . ويحوز أن يكون بعضهم من التجار جازوا إلى هذه المدينة ، فأقاموا بها للتجارة .

وقد كون الرومان فرقاً من الجنود التدمريين المرتزقة الذين التحقوا بالجيش الروماني ، فاستفادوا منهم في قتال القبائل الغازية بصورة خاصة وفي القتال في البوادي لجبرتهم بها ولقدربهم على القتال في هذه المواضع وتمكنهم منها ، كما استخدموهم في قتال الفرس ومن كان في خدمتهم من الأعراب . واشتهر التدمريون في فن الرماية ، فكانوا في أيامهم من خبرة الرماة بالسهام ، ولذلك استعان بهم الرومان وألقوا كتاب منهم اشتهرت في الحروب . ولا سقطت (تدمر) احتفظ

Byrdus, Vol., III, Fasc., I, 1943, P. 23, 55, CIB. II. 3971. A. Canûneau: Syria.

XIV, 1933, PP. 179, Musth, Palmyrena, P. 234.

الرومان بهم في جيوشهم ، فاستخدموهم في حروبهم في شمال إفريقيا . وقد عثر على كتابات أثبتت أنهم كانوا في جملة القوات الرومانية التي كانت في بريطانيا^١. واشتهر التدمريون بفرسانهم كذلك ، فقد ألف (أذينة) قوة من القوات الراكية لمحاربة أعدائه ، جهزها بأسلحة واقية من دروع ومن صفائح من المعدن يلبسها القارس من أعلى رأسه إلى أسفل قدمه ، فلا يستطيع عدوه أن يناله بأذى ، كما درعت الخيل والجمال بصفائح الوقاية ، على نحو ما كان يفعل القرس في قواظم الراكية في أثناء القتال . وقد اكتسبت هذه القوات شهرة واسعة في حروبها مع القرس والرومان^٢ .

وكان أهل تدمر خليطاً من تجار ومزارعين . أما أطرافها وحواليها ، فكانوا أعراباً ورعاة^٣ . وكانت مدينة يونانية ولكنها لم تكن مثل المدن الأخرى المتناثرة بالميلية في الشرق ، ولم تخضع لنظام المدن اليونانية (Greek Polis) ، وكانت خاضعة للرومان وبها حامية رومانية ، ولكن خضوعها كان في الواقع صورياً ، كما أن الحامية لم تكن شبيهاً تجاه أهل المدينة والقبائل المحيطة بها . كانت المدينة بالرغم من الطابع الميلي - الروماني الذي يبدو عليها ، مدينة شرقية ، الحكم فيها في يد الأسر ذات السلطان في البلدة تحكمها في السلم والحرب . لقد خلقت الاضطرابات السياسية التي حدثت في الشرق لضعف الحكومات الكبرى وانقسامها إلى (ملوك طوائف) جماعة من الحكام السادات (Tyrannies) تزعموا القبائل أو المدن ، وشاركوا الحكومات في الحكم . ومن هؤلاء الأسرة التي حكمت (تدمر) . والأسرة التي حكمت (حمص) (Emesa) = (Hemesa)^٤ .

وكانت في تدمر جاليات يونانية ورومانية ، أقامت فيها وفضلت السكنى فيها على المواضع الأخرى . أقامت بين أهل المدينة حتى صارت من سكان المدينة ، كما كانت فيها جاليات يهودية تزحمت إليها في زمن لا تستطيع تعيينه بالضبط ، قد يكون قبل سقوط القدس في أيدي الرومان بأمدة للتجار ، قامت بأعمال التبشير بين

Enc. Brit. 17, P. 163, Cooke, NSI, PP. 290 312, Lidsbarski, Ephemeris.

II, S., 92.

Die Araber, II, S., 299.

Byrnes, Vol. III, I, 1943, P., 54, M. Rostovtzeff: Social and Economic History of the Hellenistic World, Ch., VI, PP., 842, 852.

السكان ، فهوّد أناس منهم ، ورحل قسم من هؤلاء الشهودين الى القدس ، وأقاموا فيها قبل غراب الهيكل بأمد^١ .

تمكنت هذه المدينة الصحراوية من رفع منزلتها من منزل منعزل في البادية تنزل به القوافل الى مكانة مدينة من الدرجة الأولى ، ومركز ديني خطير لعبادة الأصنام يحج إليه أعراب البادية، وسوق للتجارة تكسبت فيه أنفس البضائع وأثمنها وتجمعت فيه رؤوس الأموال والذهب والفضة والجواهر ولا سيما بعد سقوط (بطرا) بأيدي الرومان ، وذهاب ملكهم ، فانقلبت أسواقهم الى أيدي التدمريين . وثولت قوافل (تدمر) نقل البضائع بين العراق والشام عترة البادية الى المراتىء العراقية على القرات . وقد عادت هذه القوافل على المدينة بخير عيم من أجور الوساطة في البيع والشراء ومن الضرائب التي تجبها عن البضائع التي تمر بها أو تباع فيها ، والتي يجندها مجلس سادات المدينة . وتبين مظاهر هذه الثروة في المباني الجميلة المنقوشة والتي تتحدث آثارها عنها ، وفي بقايا المياكل والأعمدة المزينة الجميلة المصنوعة من الحجر الصلد المصقوفة على جانب الشارع الكبير من قوس النصر المقام عند المبد الكبير الى نهايته في مسافة لا تقل عن (١٢٤٠) ياردة^٢ .

ولما كانت (تدمر) مدينة حياتها الأساسية بالتجارة ، صار للتجار وأرباب القوافل ولزعماء القوافل شأن خطير في الحياة الاجتماعية للمدينة ، حتى أشبر اليهم في الكتابات ، حيث كثر فيها ورود ذكر (زعيم القافلة) و (زعيم السوق)^٣ .

ومدينة مهمة لها مال وثروة وليس لها جيش ضخم قوي ولا مجال لتكوين هذا الجيش فيها ، لا يمكن أن تبقى في مأمن ومنجاة من مطامع الطامعين . ولو كانت في بقعة منزلة وفي بادية بعيدة . فقد كان لعاب الدول القوية يسيل عند سماعها بوجود شعوب صغيرة أو حكومات مسدن أو مواضع ذات ثراء ومال ، فتكتب اليها إما باعطاء ما عندها اليها ، وإما بدفع جزية ترضيها،راضية مرضية، وإما أن تمنع فترحف جيوشها عليها عندئذ فيكون كل ما يصل اليه يدها حلالاً^٤ طيباً ، ويكون الناس لها صيداً وخولاً ، لا تستحي (تدمر) من هذا الولع

The Universal Jewish Encyclopedia, 8, P., 381. ١
Ency. Brita., 17, P., 181, Syria, XXIV, 1933, P., 394, «Premières Restaurations ٢
à l'Arc Monumental de Palmyre», by Robert Amy;
Cooke: North-Semite, PP., 274, 275. ٣

الإنساني بالحصول على الثراء السهل بالطبع . لذلك طمع فيها الظالمون من شرقيين وغربيين . طمع فيها أهل العراق ، وطمع فيها الفرس ، وطمع فيها اليونان والرومان والبيزنطيون . وكان أول طامع فيها وصل خبره البنا من الفاتحين الأقوياء هو الملك (تغلت فلاصر) (تغلات بلير) (Tiglath — Pilezer) الأول ، تلاه جملة غزاة ورثوا الحكم والملك والتسلط في أرض الشرق الأدنى .

وإذا عرفنا أن (تغلت فلاصر الأول) (١١١٧ - ١٠٨٠ ق. م.) ، كان قد استولى عليها ، فإن ذلك ينفي ما ورد في أخبار اليهود من بناء سليمان لذلك المدينة على نحو ما ذكرت . فقد جاء حكم (سليمان) بعد حكم هذا الملك الآشوري بنحو قرن ، وقد كانت المدينة قائمة قبل ذلك الملك بالطبع .

وقد صارت (تدمر) في جملة الأرضين التي أخضعها (الاسكندر) الكبير لحكمه . لحكم تلك الامبراطورية التي أراد أن يكوّنها في ذلك العالم ، ليوحد فيها الأجناس والأديان ، وليقيم مملكة واحدة على هذه الأرض . ومن عهد الاسكندر ظهر اسم (تدمر) الأجنبي ، أي (بالмира) (Palmyra) بين اليونان واللاتين .

ولما انقسمت دولة (الاسكندر) قسمين ، صارت (تدمر) من نصيب (السلوقيين) على ما يظهر . ولكننا لا نعلم شيئاً عن عهد استيلائهم عليها ، ولا عن مدة بقائهم فيها . وقد حاولت (تدمر) أن تقف موقف الجهاد بين (الفرث) والرومان ، وتمكنت من ذلك أمداً ، إذ كان من مصلحة الدولتين المتناحستين وجود محل منزول محايده، كي يتمكن تجار الدولتين من الاتجار فيه ومن التسوق منه .

وقد قام أحد القادة السلوقيين ببناء حصن ليضم إليه الجنود القلدونيين في مدينة (تدمر) . فعل ذلك سنة (٢٨٠) قبل الميلاد . ولعل هذا الحصن ، هو واحد من سلسلة حصون أقامها السلوقيون في المواضع المهمة ذات المكانة الخطيرة من الوجهة السياسية والعسكرية والتجارية لحماية مصالحهم فيها .

ولا يعرف تاريخ خضوع تدمر للرومان معرفة أكيدة . وقد ورد في تاريخ (أفيانوس) أن (مرقس أنطونيوس) القائد الروماني بعد أن حارب الملوك

Agnes Carr Vaughan, P. 1, New York, 1967.

Vaughan : وسيكون رمزه :

Vaughan, P. 8.

Freya Sterck: Rome on the Euphrates, P. 262, New York, 1967.

(الأرشكين) ، ودارت عليه الدوائر توجه الى الشام عائداً من ثم الى (رومة). فلما قرب من (تدمر) أوفد الى أهلها رسلاً يخبرونهم أنه قاصد مشيتهم ليربح فيها جنوده من أتعاب الحرب ومشقة الطريق . وكان يريد في نفسه الاستيلاء على المدينة وأخذ ما فيها من أموال ونفائس . فأحس التدمريون بالمكيدة ، وبأدروا الى نقل أموالهم وما يملكون من أشياء ثمينة ، فتعقبهم الرومان حتى أدركوهم فاقتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين^١ . أما المدينة نفسها فقد حل بها الخراب وأصبحت ركاماً ، وكان ذلك في حوالي سنة (٤١) قبل الميلاد^٢ .

وفي أيام القيصر (طيباريوس) (طبريوس) (Tiberius) (١٤ - ١٧ م) كانت (تدمر) في جملة الأرضين التابعة لحكم الرومان^٣ .

ونجد بين الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة فوائدهم (كمركية) تبين بعض الرسوم التي كانت تعجى عن البضائع وأسمائها باليونانية والتدمرية يعود تاريخها الى سنة (١٧) بعد الميلاد^٤ .

ويظهر من قائمة الضرائب التي وضعت في أيام (جرمانيكوس) (Germanicus) (١٧ - ١٩ م) لجبايتها عن البضائع التي ترد دوائر (كمارك) المدينة ، وفي أيام (دوميطيوس كوربولو) (Domitius Corbulo) (٥٧ - ٦٦ م) أن مدينة (تدمر) كانت في نفوذ وحكم (رومة) في العصر الأول للميلاد . وقد كانت تابعة للرومان في أيام الأترياطور (فيسبيان) (Vespasian) (٦٠-٧٩م). غير أن هذا لا يعني أنها كانت خاضعة للرومان غرضاً تاماً ، وأن الاشراف على شؤون المدينة كان كله بأيدي موظفي (رومة) ، بل كان ذلك اشرافاً عاماً ، أما الادارة، فكانت بأيدي أهل المدينة^٥ . وأن الحكم الروماني لم يتدخل في أمورهم تدخلًا فعلياً ، حتى أن الرومان سمحوا للمدينة الاحتفاظ بحامياتها (Militia) التي

١ الشرق ، السنة الاولى ، العدد ١٣ ، ١ تموز ١٨٩٨ (ص ٥٨٨) .

Appian: De Bello Civilis, V, 2, Wright, P., 112.

Oberdick: Syria, Tome, VII, 8, 46, 1926, P., 71, Mommsen: Römische Geschichte, 1894, V.8, 243, Ency. Brita, 17, P., 162, Syria, XXII, 1941, PP., 170.

Vaughan, P., 8.

Cooke, PP., 212-232, J. A. Chabot, II, 301.

Ency. Brita, 17, P., 162, Jean Starcky: Palmyre, Paris, 1952, PP., 27.

كانت لها في الخارج في مثل موضع (Vologasia) وفي مواضع أخرى^١.

وقد زارها الإمبراطور (هـدريانوس) (Hadrianus) (١١٧ - ١٣٨ م) سنة (١٣٠) بعد الميلاد، ومنحها لقب (هـدريانا بالميرا) (Hadriana Palmyra) و (هـدريا نيوبوليس) (Hadrianopolis)^٢، وعثر فيها على كتابة مدونة بالإرمية واليونانية يرتقي تأريخها إلى سنة (١٣٧) بعد الميلاد، أي إلى أيام هـللا الإمبراطور، جاء فيها أشياء تخص الأحوال التجارية في هذه المدينة أصدرها مجلس سادات المدينة لتنظيم التجارة، وتثبيت الضرائب، وكيفية الجباية وما إلى ذلك من أمور. وهي من الكتابات المهمة الطويلة التي نرى ناحية خطيرة من نواحي حياة تدمر^٣.

وقد بذل (هـدريانوس) عناية كبيرة به (تدمر)، حتى قبل فيه أنه مؤسس المدينة الثاني. واعنى عناية خاصة بحماية الطرق البرية التي تصلها بنهر (الفرات) الذي كان شرياناً مهماً من شرايين التجارة العالمية في ذلك العهد. فقد كان يقوم بالمهمة التي عهدت إلى (قناة السويس)، قياً بعد. ولأهمية هذا النهر الذي هو العمر الثاني الذي يوصل تجارة ذلك المحيط الغالية إلى الموانئ الواقعة عليه، سعى لتحسين صلاته بالفرس وبالمحافظة على الأمن في البادية، لتتمكن القوافل من المرور منها بأمن وسلام. وأوصل حامياته إلى شواطئ الفرات الغربية، بل يقال أنه أنشأ أسطولاً فيه، وإن التجار التدمريين أقاموا في مدينة (Vologasia) وأقاموا لهم معبداً هناك، ليعبدوا فيه لإلههم الذي منحهم الخير والرفاء^٤.

وقد منحت (تدمر) درجة مستعمرة رومانية عليا، فاكسبت بذلك حق الامتلاك التام والاعفاء من الخراج، والحرية الكاملة في إدارة سياسة المدينة. ونالت الحقوق الإبطالية (Jus Italicum) (Italiae Juris) (Colonia Juris Italiae).

Freya Stark: Rome on the Euphrates, P., 244.

(هـدريانوس)، الطبري (٧١٢/١)، (طبعة لبنان)، (٢٥/٢) (طبعة الطبعة الحسينية).

المشرق، السنة الأولى، الجزء ١٢، ١٥ حزيران، ١٨٩٨، (ص ٥٢٨).
Ency. Brita., 17, P., 162, Cooke, P., 322, Mommsen: Römische Geschichte, V., 8, 423, Wright, P., III.

Mommsen: Provinces of the Roman Empire, II, P. 236, Rostovtzeff: Caravan Cities, Oxford, 1932, P., 144, Leon Horn: Le Siècle d'Or de l'Empire Romain, Paris, 1947, P., 224 Fr. Stark: Rome, P., 253.

منحت هذه الدرجة في أيام (هدرانوس) على رأي ، أو في أيام (سبتيميوس سوروس) (Septimius Severus) (١٩٣ - ٢١١ م) على رأي آخر^١، وكانت تتمتع بهذه الميزة في أيام (كراكلا) (Caracalla) (٢١١ - ٢١٧ م) كذلك^٢ . ولكن منحها درجة (مستعمرة) لا يعني أنها صارت مقاطعة رومانية مئة بالمئة ، بل كانت في الواقع حكومة مستقلة ذات سلطة واستقلال في إدارة شؤونها خاضعة خصوصاً شكلياً لحكم الرومان^٣ .

وقد استفادت (تدمر) من سياسة (هدرانوس) المتطوية على الميل إلى السلم ومجانبة الحرب ، ومن سياسة (انطونينوس بيوس) (Antoninus Pius) (١٣٨ - ١٦١ م) الذي نشر ألوية السلم والطمأنينة ، فوسعت تجارتها، وزادت في عدد قوافلها ، وحصلت على ثروة طائلة . وتعدّ المدة المنصرمة بين سنة (١٣٠) و (٢٧٠) بعد الميلاد من أحسن أيام هذه المدينة . قال هسكه الأيام ترجع معظم النصب والآثار العظيمة التي ما برحت تشاهد بقاياها في جملة ما يشاهد من أشلاء المدينة وجدنها المهشم بين الأتربة والصخور .

وقد كانت في تدمر حامية رومانية أيام (ماركوس أوريليوس) (مارقوس أوريليوس) (Marcus Aurelius) (١٦١ - ١٨٠ م) ، على طريقة من سبقه من الحكام في وضع حامية رومانية في هذه المدينة .

ولسلطان (رومة) على تدمر ، استفاد الرومان من المحاربين التدمريين وكونوا منهم فرقاً وكرايس لحماية الطرق ومصالحهم الممتدة في البوادي ، فأودعوا أمر

١ المشرق - السنة الأولى ، الجزء ١٢ ، ١٠ تموز (ص ٥٨٩) ، Wright, P., 112. Syria, Tome. XIV, 1933, P., 32. The Cambridge Ancient History, XII, 1, 2, P., 18.

٢ المشرق - الجزء المذكور . Syria, XIV, 1933, P., 32, Rowell: Inscriptions Grecques de Doura Europos, 1929-1930, PP., 265.

٣ Rostovtzeff: Social and Economic History of the Roman Empire, P., 532, Syme: Cambridge Ancient History, XI, P., XI, P., 139, Dessau: Geschichte der Römischen Kaiserzeit, II, S., 627; Kornemann - Volker: Staaten; Ency. Brit., 17, P., 163; Cooke, NBI, PP., 250, 312, Lidbarski: Ephemeris; Manner, S., 99, III, Joannes: Cities of the Eastern Roman Empire, P. 297, Février: Essai sur "Histoire de Palmyre, P. 14.

الدفاع عن (دورا) (Douira) الى الكسردوس التدمري العشرين (XXth Cohore Palmyrenorum)^١ . وتركوا مهمة حراسة (القنادق) (Fundaq) التي أقامها الرومان على الطريق الى كراديس الرماة التدمريين لحماية القوافل من لصوح الطرق والسلبين^٢ .

وقد تأثرت (تدمر) بأصول اليونان والرومان وطرقهم في ادارة الحكم، فكان للمدينة مجلس (شيوخ) (Senatus) له سلطة سن القوانين والتشريع ، وله رئيس وكاتب وجملة أعضاء. ويشرف على السلطة الاجرائية شبخان (Archontes) وديوان يتألف من عشرة حكام . أما السلطة القضائية فينظر فيها بعض الوكلاء (Syndices) وغيرهم من العمال^٣ .

ويعمل موظفو المدينة عناوين يونانية تشير الى أثر التنظيم اليوناني فيها ، ولما كانت تنفذ التنظيم الاداري اليوناني في أعمال الشعب. فالرئيس هو (Proedros) والكاتب أي (السكرتير) هو (Grammateus) ، وهناك عناوين وظائف أخرى هي : (Archontes) و (Syndicus) و (Dekaprotos) ، وهي المجالس المحلية التي يتألف كل مجلس منها من عشرة أعضاء . جرى هذا التنظيم على وفق نظام المدن اليونانية في حامية (الاثيناوية) الرومانية^٤ .

ودعيت السلطة التنفيذية ، المؤلفة من أعضاء مجلس الشيوخ ، وكذلك الشعب يد (Strategoi) وهي تعادل (Duumviri) (Dumviri) عند الرومان^٥ .

وتجمل التدمريون الذين حصلوا على حقوق (مواطن روماني) بأسماء رومانية مثل (سبتيميوس) (Septimius) و (يوليوس أوريليوس) (Julius Aurelius) وضعوها في مقدمة أسمائهم النبطية أو العربية^٦ . وقد فعل ذلك قبلهم العبرانيون ونبط (بطرا) وسكان بلاد الشام وغيرهم من الضعفاء الذين يظنون انهم سيكتسبون بهذه المحاكاة الاحترام والتقدير . والضعفاء انما يشبه بالأقوياء ليخفي ضعفه .

1. Ancient Cambridge History, XI, 3, 4, P. 114.

2. R. Dussaud: Pénétration des Arabes en Syrie, 73.

3. المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٢ ، ١٥ ، حزيران ، ١٩٦٨ م (ص ٥٤٢) .

4. Ency. Brita, 17, P. 161.

5. Ency. Brita, 17, P. 162.

6. Ency. Brita, 17, P. 162.

أسرة (أذينة) :

كان للانقلاب الذي وقع في مملكة الفرث أثر كبير في حياة مدينة تدمر ، وأضحى بهذا الانقلاب ثورة (أردشير بن بابك بن ساسان) على الملك (أرمطبان) الخامس ملك الفرث ، وتأسس بحكومة جديدة هي دولة (الساسانيين) (٢٢٦م)^١ . فكان من نتائج ظهور الدولة الساسانية تجدد الحروب بين الرومان والفرس ووقوع معارك بين الدولتين .

وقد أحسنت أسرة عريقة من أسر (تدمر) الاستفادة من هذه الحروب ، وجرت الغنائم اليها ، والحصول على مركز عال لدى الرومان . وزعيم هذه الأسرة هو (أذينة) من (بني السعيد) ، ينسب (الطبري) الى (هوبر العمليقي) (العمليقي) من عائلة المالقي ، فهي من بقايا (المالقي) على رأي الأقبليين^٢ .

و (أذينة) من أسرة قديمة معروفة ، تولى رجالها رئاسة تدمر والزعامة عليها ، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقريرها اليهم أن تكتسب ود القياصرة وعطفهم عليها والانعاش على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال في بعض الأحيان ، وبالنفوة والمعونة وهي غاية كل سيد قبيلة وأمنية كل رئيس في مجتمع قبلي يقوم النظام السياسي والاجتماعي فيه على مفهوم الحكم القبلي في كل زمان ومكان . ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها على المدينة لاذ كانت أحكامهم لا تعارض أحكام (رومة) ولا تعطلهم بها . فتركوهم يديرون شؤونها على وفق السياسة الرومانية وإرادة القياصرة وأوامرهم التي يصلونها الى (المشيخة) ، فكانوا يعدونهم (Procuratores) لدى قياصرة الرومان^٣ .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء نفر من رجال هذه الأسرة ، منهم (نصور) (Naswar) (Nasores) (نصر) (ناصور) ، وهو جد (أذينة) . واسمه يشير الى اسم عربي الأصل هو (نصور) أو (ناصر) أو (نصر) تحوّل

١ الطبري (٣٥٤/١ ، ٦٨٧ ، ٧٠٤ - ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٤ ، ٧٤٧ ، ٧٩٩ ، ٨١٣ - ٨٢٥ ، ٨٢٦ - ٨٣٣ ومواضع أخرى) ، (طبعة ليدن) ، مروج الذهب (٢٠٦/١) (طبعة دار الرجا) .
٢ (أذينة بن السعيد بن هوبر) ، مروج الذهب (١٦/٢) ، الطبري (٣٦/٢) .
٣ Zosma, I, 38, Oberdick, B. 22.

ال (نصرو) لبلاتم التعلق النبطي . وهو والد (وهيلات) (وهب اللات) (Vahballatat) (Vaballathus) ، و (وهب اللات) ، هو والد ولد اسمه (خيران) (حيران) (Airanes) . و (حيران) (خيران) ، هو والد (أذينة)^١ .

و (تصور) اذن هو أقدم من وصل إلينا اسمه من أسماء الأسرة التي حكمت مدينة (تدمر) . وهو شخص لا نعرف عنه شيئاً ما . وقد يكون من سادات القبائل في الأصل من جاء إلى هذا المكان فاستقر فيه ، وتولى نسله أو هو الحكم فيه . وقد يكون لهذا الاسم صلة بـ (نصر) الذي ينسب أهل الأخبار ملوك الحيرة إليه ، فيقولون أنهم من (آل نصر) .

وكان (سبتيميوس خيران) ، على رأس مجلس المدينة ، ولقبه الرسمي الذي صرف به عند أهل مدينته (رأس تدمر) (رش تدمور) إضافة إلى لقبه الذي لقبه به الرومان^٢ . وقد تمكن من تثبيت حكم أسرته ومن الهيمنة على شؤون المدينة ومن توسيع تجارتها ، فاكسب بذلك منزلة كبيرة عند أهل تدمر ، وعند الرومان. ورافق (سبتيميوس سويروس) (١٩٣ - ٢١١ م) في حروبه مع القرث وتقرب إليه ، ولقب نفسه بـ (سبتيميوس) ، فصار اسمه (سبتيميوس خيران) (سبتيميوس حيران)^٣ .

وقد عثر على كتابة يرجع الباحثون زمان كتابتها إلى حوالي السنة (٢٣٥) للميلاد، أو بعد ذلك بشيء قليل ، ورد فيها اسم (أذينة بن خيران بن وهب اللات ابن تصور) . وقد لقب (أذينة) فيها بلقب (سقلطيق) (Skiltyk) . وقد كان يحمل لقب عضو في مجلس (الشيوخ) الروماني^٤ .

وقد نعت (سبتيميوس أذينة) بـ (سقلطيقا) (Skiltyka) في الكتابة التي دولت لتكون شاخصاً لأحد القبور . وقد حصل على لقب عضو مجلس الشيوخ ، ثم لقب نفسه بلقب (ملك) (Rex) ، وذلك في حوالي سنة (٢٥٠) للميلاد^٥ .

١ J. Cantinon: Inventaire des Inscriptions de Palmyra, 8, 1936, No. 55, Die Araber, II, S. 252; Oberdick, S. 132, Syria, Tome XII, 1931, J. Cantinon:

Palmyrenien Provenant du Temple de Bel, PP. 138.

Cooke, NBL, No. 125, Die Araber II, S. 252.

٢ الشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م (ص ٥٩٠) .

٣ Die Araber, II, S. 252.

٤ الشرق : السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، تموز ١٨٩٨ م ، (ص ٥٩٢) .

وجمع الناس عليه، فأدرك الرومان ما وراء هذه الدعوة من خطر على مصالحهم، فأوعز القيصر الى (روفلينوس) (Rufinus) باغتياله، قتل وتخلص الرومان منه^١.

ومن ولد (أذينة)، (سبتيميوس خيران) (Septimius Hairan) تولى رئاسة تدمر بعد مقتل أبيه^٢. وقد ذكر اسمه في كتابة دونت سنة (٢٥١) للميلاد، ولم يصطلم بالرومان. وقد كان مثل أبيه بدرجة (Senator) كما لقب أيضاً بلقب (رئس تدمر)، أي (رأس تدمر) (رئيس تدمر)^٣. ولقب بلقب (Exarchus) (Exarkus)^٤.

ولما مات (سبتيميوس خيران)، خلقه (أذينة) (Odenatus) على شؤون المدينة. ولم يرد نسيه في النصوص، فلا ندري أكان ابناً أم شقيقاً لـ (سبتيميوس خيران)^٥. وقد ذهب بعضهم الى انه كان أخاه^٦. وكان شجاعاً فارساً أليفاً حياة البدوة جريئاً، محباً للصيد ولا سيما صيد اللذباب والقهود والأسود^٧. تولى قبل انتقال الحكم اليه قيادة الجيش والقوافل ورئاسة قبائل البادية، فكانت له مؤهلات خاصة وكفايات حسنة مكنته من رفع شأن (تدمر) في أعين الرومان، ومن تكوين اسم لها عند رجال الدولتين المتراخيتين.

وقد تبين من كتابة دونت سنة (٢٥٨) للميلاد ومن كتابتين أخرتين انه كان يحمل درجة قنصل (Vir Consularis) في عهد القيصر (فاليريانوس) (Valerianus)^٨ كما كان يحمل لقب (مرن)، أي (سيدنا)، وهو اللقب الذي يستعمله أهل (تدمر)، وهو يعادل لقب (Exarchos) (Exarkos) في اليونانية^٩.

Oberdiek, B. 22, Wright, P. 115.

١ يرى (Oberdiek) أن (روفلينوس) قتل (سبتيميوس خيران) الابن الأكبر لـ (أذينة) مع والده، لذلك تولى (أذينة) الثاني الحكم بعد مقتل أبيه فوراً، Oberdiek B. 22.

Die Araber II, B. 252.

Die Araber, II, B. 252, Cantineau, 3, No. 16.

Die Araber, II, B. 252, J. Cantineau, 3, No. 16.

المشرق : السنة الأولى، الجزء ١٣، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢).

Die Araber, II, B. 252, J. Cantineau, 3, 22.

المشرق : السنة الأولى، الجزء ١٣، السنة ١٨٩٨ م (ص ٥٩٢).

Die Araber, II B., 253, H. Seyrig, in: Annales Archéol. de la Syrie, 13, 1963,

159, 162, J. Cantineau, 3, No. 17, Ency. Brita. 17, P. 162, Cooke, NSI, No. 129.

Die Araber, II, B. 253.

وقد ذكر بعض المؤرخين ان (أذينة) التي نتحدث عنه كان ابناً لـ (أذينة) ابن (خيران) ووالد (سبتيميوس خيران) ، وأنه كان قد هرب الى الجبال وأليف حياة البداوة والرعي منذ صغره ليتقم من الرومان الذين اغتال قائدهم (روفلينوس) (Rufinus) أباه^١ . فلما انتقل الحكم اليه ، عمل جهده على الأخذ بثأر أبيه ، فراجع (فاليريانوس) (والريانوس) شاكياً اليه ما فعله (روفلينوس) بأبيه ، طالباً منه ازالة العقاب به . أما القيصر ، فلم يأبه لهذه الشكوى ، ولم يحب لها حساباً ، فحافظ ذلك (أذينة) وأزعجه وحله على التفكير في الاتصال بأعداء الرومان، وهم الفرس^٢ . فلما بلغه نياً زحف (فاليريانوس) على الفرس في عام (٢٥٩) بعد الميلاد وخيانة قائده (مكريانوس) وسقوط القيصر أسيراً في أيدي الفرس على مقربة من (الرها) ، أرسل رسلاً الى (سابور) حاكم هدايا كثيرة وكتاباً يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في مصالحته ومخالفته . فلما بلغ الرسل معسكر الملك ، وطلبوا ملاقاته لابلأله الرسالة ، استكر عليهم وتجهز ، وأظهر عجزه من تجاسر (شيخ) على الكتابة اليه ، ومخاطبته مع أنه (ملك للثوك) ، وهو رئيس مدينة في بيدها قفرة لا قيمة لها ولا أهمية ! ومن يكون أذينة ؟ هذا الرجل الذي دفعته حماقته الى التجاسر على سيده بالكتابة اليه ؟ فإن كان له أمل في عقوبة خفيفة ، فليأت إليّ ويدها مغلولتان الى ظهره ! وإن لم يفعل ، فليعلم بأنني سأهلكه وأهلك أسرته وأنزل الدمار بمدنته ؟ ثم مزق الرسالة ، ورمى بالهدايا تحت قدميه^٣ . فعاد الوفد كاسف البال خائفاً مما قد يقوم به هذا الملك المغرور الطائش من عمل تجسأ مدينة خسرت الرومان ، ولم تحظ بالانفاق مع الساسانيين .

ولما رجع الرسل الى تدمر وأعلموه بما جرى ، قرر الأخذ بثأره من هذا الملك المتغطرس الطائش ، فجمع القبائل بظاهر تدمر وجعلها تحت امرته (هروديس) ، وضم اليها فرسان تدمر بقيادة (زينا) كبير قواده، وقواسيها

١ Oberdick, B. 22, Wright, P. 115.

٢ (والريانوس) ، (والريانوس) ، الطبري (٧١٣/١) ، (لين) .

٣ أمر سابور يرمي الهدايا في النهر ،

Oberdick, B. 23, Wright, P. 118 Gibbon: The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol. I, P. 238.

بقيادة (زبكي) ، وهما من (آل سبتيميوس) أي من أقرباء أذينة ، وحشد معهم بعض الكتائب الرومانية وفلول جند (والريانوس) وسار على رأس هذا الجيش قاصداً المدائن للانتقام من (سابور) الذي كان قد انشغل بغزو الأنحاء الشمالية ، ولانقاذ القيصر من الأسر^١

وفي أثناء زحف (أذينة) على المدائن ، وصلته أنباء تغلب القائد الروماني (كاليستوس) على الفرس ، وتشت شملهم وهربهم ، فغير اتجاهه وأسرع إليهم لملاقاتهم ، وقد أذكهم قبل تحركهم من عبور نهر القرات، فالتحم بهم وتغلب عليهم، وولى (سابور) مع فلول جيشه مذبوراً تاركاً أمواله وحرمة غنيمة في أيدي التدميرين. ولم يتمكن الفرس من عبور نهر القرات إلا بعد تعب. ولما عبروه هنا بعضهم بعضاً على السلامة والنجاح^٢ . أما أذينة، المتصر الظاهر ، فكذب إلى (غالينوس ابن والريانوس) (كاليانوس بن والريانوس) بخبره بهزيمة الفرس ، وبإخلاقه للإمبراطورية ، ففرح القيصر بالطبع بخبر النصر فرحاً عظيماً ، وأنعم عليه بدرجة قائد عام على جميع صاكر المشرق (Dux Romanorum) ، وحشد على مواصلة الحرب لانقاذ (والريانوس) والله من الأسر^٣ .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) (ملاليس) إلى ملك دعاه (Enath) ، ذكر أنه كان ملك العرب (السرمين) (Saracens) الأجلاف الغلاظ وحاكم (العربية) وحليف الرومان ، وذكر أنه هاجم ملك الفرس (سابور) في أيام (والريانوس) وكان قد سار إلى حدود الإمبراطورية الساسانية، وتوغل فيها وأوقع خسائر بالفرس^٤. وقد قصد به الملك (أذينة) هذا الملك الذي تحدثت عنه .

ويظهر أن (أذينة) كان يتحجب إلى الرومان ، فأنعموا عليه بالألقاب ، ومن ذلك لقب (Vir Consularis) الذي كان يحمله في عام (٢٥٨) للميلاد . وقد منح قبل هذه السنة على ما يظهر . ولعلّ ضغطه المتزايد على الفرس هو

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٢٧ وما بعدها) .
Oberdieck, B., 23, Wright, P. 118.

٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٦٢٧ وما بعدها) .
Wright, P. 118, 119, 120, Oberdieck, B., 23, 24.

٣ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، (ص ٦٢٩) ، ١٨٩٨ م .
Wright, P. 120, Ency. Brit., 23, P. 944.

٤ Malalas, XXIII, 5, 2, Meall, Palmyrena, P. 247.

الذي حملهم على ترك (دورا) (Dura) (Doura) قسح بملك الجبال لعودة الحامية الرومانية الى هذه المدينة ، فرغ ذلك من شأنه في أعين الرومان^١ .

وتمكن (أذينة) من تحرير الجزيرة من الفرس ، وفتح (نصيبين) (Nisibis) و (حران) فاستقبل هو وجنوده استقبالاً عظيماً . وكان الناس يذكرون بازدياد (غالينوس) الذي تركهم فريسة للفرس^٢ . ثم سار بجيشه الى (طيسفون) (Ktesiphon)^٣ (٢٦٤ م) ، فخاف (سابور) وأمر بجمع كل ما عنده من قوات للدفاع عن عاصمته ، غير أنها لم تتمكن من وقف زحف التدمريين فوصل (أذينة) الى (المدائن) وحاصرها ، ونصب المجانيق وآلات الحصار لفتحها ، وكاد (سابور) يلتصق منه الأمان لولا حدوث حادث أكره أذينة على ترك الحصار والتراجع ، هو خروج (مكريانوس) (Macrinus) (Macrinus) القائد السلمي كان السبب في ولوع (والريانوس) في الأسر على القيصر (غالينوس) وتنصيبه نفسه قيصراً على آسيا الصغرى ومصر وفلسطين والشام . فاضطر هذا الانقلاب (أذينة) الى الرجوع الى مدينته بسرعة ، لاتخاذ موقف حاسم تجاه هذا الوضع السياسي الجديد^٤ .

لم يكن (أذينة) مطمئناً الى (مكريانوس) (Macrinus) (Macrinus) كان يكرهه ويخشى أن يستولي على ملكه ان تمكن واستأثر في الحكم ، فقرر منازلته قبل منازلة (مكريانوس) له . ويسمى كان بهم^٥ بالزحف على (حصص) (Emissa) (Emissa) جاء نبأ مقتل (مكريانوس) ، فأعلن السوريون ولائهم لأذينة وغروجهم على (كياتوس بن مكريانوس) وساروا مع التدمريين لمحاصرة (كياتوس) في مدينة (حصص) . ولما اشتد الحصار على المدينة وطال ، قتل

^١ Berytus, VIII, Fasci, I, P. 56.

^٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٣ ، سنة (١٨٩٨ م) (ص ٦٤١) ، Oberdick, S., 25. Berytus, Vol., VIII, Fasci, I, 1934, P. 34, Zosim, I, 29, Trebell, Poll. Valer, VII, Rostovtzeff : Res Gestae divi Saporis; Dura, by Michael, I.

^٣ (طيسفون) ، بفتح أوله وسكون ثانية وسين مهمله وفاء وآخره نون ، هي مدينة كسرى التي فيها الإيوان - البلدان (٨٠/٦) . Syria, XVIII, 1937, P. 2. « Note sur Hérodiën, Prince de Palmyre », by Henri Seyrès, Oberdick, S., 25.

(كاليستوس) سيده (كيثلوس) ورعى برأسه من فوق السور تحت قدمي
(أذينة) ثم فتح له أبواب المدينة والنمس منه الأمان ، ففتح اباء ودخل المدينة
في سنة (٢٦٢) للميلاد .

ولم يكن استسلام أهل (حصص) للتدمريين أمراً سهلاً عليهم فقد كانت بين
الفرقتين شحنة وبغضاء . فنظر أهل حصص إلى أهل تدمر نظرة ازدراء وغضاضة ،
إذ كانوا يرونهم ناساً أجلاً ، ليس لهم حظ من حضارة وثقافة ، أهل بادية حافة جافة . وقد
يكون لاتصال حدود (تدمر) بحدود حكومة (حصص) وغارات أعراب تدمر على
أرض حصص يد في خلق هبنا التراجع . وقد لاقت حصص من استيلاء أهل تدمر
عليها عتاً شديداً إذ حل بها دمار وخراب لرفضها الاستسلام له (برابرة تدمر)^١ .
لقد سقطت حصص في أيدي التدمريين ، بالرغم من تضرع أهلها وتوسلهم بالإله
(الشمس) لتصرفهم على أعدائهم وتترك بهم خسائر فادحة . وقد كانوا من
عبادها المخلصين . ولكن أهل تدمر كانوا يتعدون للشمس كذلك ، وقد توسلوا
وتضرعوا إليها لتصرفهم على أعدائهم أهل حصص . لقد كان موقف (الشمس)
موقفاً حرجياً . فالطرفان المتخاصمان ، من عبادها . وقد أقام كل منها معبداً ضخماً
فعلماً لعبادتها ، زوقت أبوابه وذهبت قبابه ، وكل منها يتوسل إليها ، بأي طرف
تؤيد إذن ؟ والظاهر ان اختيارها وقع على تدمر إذ انتصروا على أهل حصص ،
ودخلوا المدينة عتافين^٢ .

وسر (أذينة) ولا شك من هذه النتيجة ، فقرر بعد استراحة جنوده بضعة
أيام أن يسير نحو الشمال للقضاء على المنشقين . وبينما هو في طريقه ، تلقى أنباء
تمرد (كاليستوس) وخروجه عليه وإعلان نفسه ملكاً ، فأمر تقرأ من رجاله
باللهاب إلى معسكر (كاليستوس) لاغتياله ، فذهبوا إليه ، وتمكن فارس من
الدخول إلى خيمته وقتله^٣ . اعتنق تحسين موقعه ، فسار إلى الجزيرة ، وتعقب الفرس
قبض على عدد من (المرازية) (Satrapen) وأرسلهم إلى (رومة) ، وأظهر

١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ . آب ١٨٩٨ م (ص ٦٨٧) .
٢ Petr. Patr. Fra., 167. Dño, Ed: Boiss, 3, 744, A. Alföldi in : Beryton, 5, 84. Die
Araber, III, 8., 251.
٣ Die Araber II, 8., 250.
٤ المشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٧) ، Trebellina, Trig. Trg., 17.

إعلاصه ومطاعته للقيصر ، فرضي عنه وأطمأن إليه ، وأعطاه منزلة رفيعة هي :
(Imperator Totius) (Dux Orientis) ودعاء الإمبراطوراً على جميع أنحاء الشرق ،
أي على الشام والجزيرة وآسية الصغرى عسلاً (بئينة) وبضع نواح شمالية ،
(٢٦٤ م)^١ . وضربت نقود باسمه صور عليها أذينة ووراءه بعض أسرى القرس .
وجعل تحت امرته جميع القوات الرومانية العسكرية في الشرق . وكلفه القضاء على
قلول جيش (مكربانوس) وتطهير المقاطعات الرومانية منهم^٢ .

واختار أذينة لنفسه لقباً آخر حياً إلى تقوس الشرقيين هو لقب (ملك الملوك)
(ملك ملكا)^٣ ، لعله فعل ذلك محاكاة لملوك القرس . ومنح لقباً آخر هو
(أغسطس) (Augustus) لقب قيصرية الرومان^٤ . والآن من أبطرته النعمة
مال إلى اتخاذ أمثال هذه الألقاب ! وفي رواية أن مجلس الشيوخ الروماني منحه
لقب (أغسطس) ، فصار مساوياً للقيصر ، وأنه أمر بوضع صورته مع صورة
الإمبراطور على النقود التي أُنتجت غنيمة من القرس^٥ .

وعرف (أذينة) بـ (متقنا دي مدتحا كله) ، (متقنا متقناوتا) ،
وتقبايل معنى (Reparator Totius Orientis) أو (Correctores Italiae)
(Utriusque Italiae, Italiae Regionis Transpadanae)^٦ ، وتقابل درجة
(Correctores) منزلة (رئيس) (Praesides)^٧ ، أي رئيس مقاطعة من
المقاطعات .

وقام (أذينة) بإصلاحات جمة أظهر فيها أنه لم يكن قائداً قديراً فقط ، بل
كان إلى ذلك رجل إدارة وسياسة وتسامح أيضاً . ففتح تعصب الوثنيين على النصارى
واضطهادهم لهم ، ومنع كل طائفة حريتها في ممارسة شعائر دينها ، وخوّل

١ الشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdiek, B., 31, Ency. Brita., 17 P. 142.

٢ الشرق ، العدد نفسه (ص ٦٨٨) ، Oberdiek, B., 31.

٣ Die Araber, II, 8., 253.

٤ الشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، السنة (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٨٨) ، Gibbon, I, P. 241.

٥ Wright, P. 121.

٦ Die Araber, II, 8., 253, Cambridge Ancient History, 12, 175.

٧ Die Araber, II, 8. 253.

التصاري حتى بناء الكنائس حيناً شاذوا^١ . وتعقب النصوص وقطاع الطرق من الجنود الغاريين والمسيحيين من الخدمة والصعاليك الذين وجدوا في الاعتداء على الأمنين ومهاجمة القوافل والقرى والمدن غير مصدر للحصول على الكسب والمغانم والمال ، وقتل (كاليستوس) زعيم الصعاليك الذي استمال من لا عمل له إلا الفتنه والاعتداء على الناس ، وبذلك أراح أذينة نفسه وأراح المقاطعات الرومانية من شر هؤلاء ، وأطمأن الناس على أنفسهم ، وعادوا الى أعمالهم التي اضطروا الى تركهم لها بسبب تلك الاعتداءات التي قام بها من أطلق عليهم الكتاب اسم (الظالمون)^٢ .

وصمم (اتيلاطور الشرق) و (ملك الملوك) بعد هذه الأعمال على انتزاع القيصر (والرياتوس) من أيدي الفرس ، ومحاربة خصمه المتعطرس المثلث بلقب (ملك الملوك) كذلك . قد يكون حياً في اذلال من استهان به فزق رسالته أمام أعين رسله ، وقد يكون نفراً للرومان وتودداً الى القيصر (غالباتوس) . والشرقيون مبالغون وبالأسف في اكرام الغرباء ، مترلقون الى القوي منهم ، ولو كان في ذلك هلاك الوطن والرحمة . عين ابنه اليكر (سبتيميوس هيرودس) (Septimius Herodes) من زوجته الأولى نائبا عنه في ادارة شؤون الملك ، وأخذ هو جيشه وسار به لمحاربة الفرس في أوائل عام (٢٦٥) بعد الميلاد . سار به الى (طيسفون) عاصمة (سابور) فحاصرها أمناً ، ويظهر ان (سابور) أظهر استعدادا لعقد صلح لولا اشتراط (أذينة) فك أسر (والرياتوس) ، وهو شرط كان في نظر الفرس جداً عظيماً^٣ .

ووقع حادث مهم اضطّر (أذينة) الى تبديل خططه العسكرية وترك حصار (طيسفون) . ذلك هو انهزام (القوط) فرصة محاصرة (أذينة) للمدائن وابتناءه عن آسية الصغرى وبلاد الشام ، فعبروا بحر (بنطس) (Pontus) أي البحر الأسود ونزلوا بميناء (هرقلية) (Heraclaea) ثم زحفوا على (بتيية)

١ المشرق ، العدد المذكور (ص ٦٨٩) .

٢ (الظالمون الثلاثون) ، المشرق (ص ٦٨٩) . Tribellius : Trig. Tyr. 14 .

٣ Oberdick, S., 35, Hieronym. Chron. XII, Gallien: « Odenatum Persas Ita Cecidisse, ut Castra a Ctesiphontem Poneret », Zosim, I, 39, Trebellius, Poll., 2, Gall 19 « Ctesiphon ».

٤ (بنطس) ، البلدان (٦٦/٢ ، ٢٩٣) ، ويعرف أيضا ببحر (طرابزندة) ، البلدان (٦٦/٢) .

و (فريجية) و (غلاطية) و (قيادوقية) ، وكانوا يقصصون من وراء زحفهم هذا التوسع والاستيلاء على آسية الصغرى وبلاد الشام وكل ما يمكن الاستيلاء عليه من بلاد الشرق . فلما علم (القوط) بمجيء (أذينة) هربوا الى ميثاء (هرقلية) مسرعين ، ومنه ركبوا الى بلادهم التي جاءوا منها . فقرر عندئذ الرجوع الى العراق لفتح (طيسفون) . وبينما كان (أذينة) في (حصص) لراحة الجند ، أعد وليمة كبيرة تذكيراً ليوم ميلاده حضرها قواده وكبار القوم . فانتبهز (معنى) (Maeonius) ابن اخيه (خيران) هذه القرصة ، فقتل هو وعصابته عمه (أذينة) وابن عمه (هيرودس) (Herodius) ، لاغتصاب عمه منه ملكة الذي ورثه من أبيه . ونادى بنفسه ملكاً على المملكة التي أنشأها وكونتها (أذينة) القنصل ، وبذلك استرجع حقه من القتل . ولكن حياة القاتل كما يقول المثل الشرقي لا تطول ، وذلك قولهم : « بشر القاتل بالقتل » ، فأكاد يترجع على العرش ابماً حتى انتقمته منه سيف (حصص) ، وألحقته بالعالم الواسع الذي ذهب اليه القتيلان (٢٦٦ - ٢٦٧ م)^١ .

ما أصعب الحياة . في مدة قصيرة طفر فيها رجل (تدمر) من رئيس في مدينة صحراوية الى ملك على عرش مملكة ، فقائد كبير في أعظم انبراطورية في عالم ذلك الزمن ، ومنافس للقيصر وملك على الشرق ، وفي لحظة واحدة انتقل فيها هذا القائد الملك من هذا العالم الى عالم القبر . انها الحياة لا بد لها من نهاية مهما بلغ الانسان من منزلة ومكانة ، لا تعرف قوة وضوطة ولا فقسراً وضعفاً ، الجميع الى هذه النهاية منتهون ، وللقيلسوف أن يستخرج منها حكمة الحياة .

هل قتل (معنى) عمه لاغتصابه حقه الطبيعي في الملك ؟ أو قتله لأسباب أخرى ؟ وهل كان لأحد مثل الملكة (الزباء) ضلع في الحادث ؟ وهل كان لرومان يد في هذه الجريمة ؟ وهل كان للحزب الوطني التدمري الذي كان يكره اليونان والرومان وكل سيطرة غريبة يد في هذا الاغتيال ؟ لما عرف عن (أذينة)

١ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١) .
٢ راجع خبر مقتل (أذينة) والعداء الذي كان بينه وبين (معنى) والنزاع الذي حدث بينهما حين كانا في الصيد في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩١ وما بعدها) .
Oberdieck, B. 30, Zosim, I, 39, Treb. Poll., 39, Tyr. 15, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 60.

من دفاعه عن الانبراطورية الرومانية وحماسته في الدفاع عنها ؟ هذه أسئلة سألها
المثقفون في تاريخ (تدمر) والباحثون فيه ، وأجابوا عنها أجوبة مختلفة . فمنهم
من رأى ان الجرمية هي انتقام شخصي بسبب اغتصاب (أذينة) حق القتال الذي
ورثه من أبيه ، ومنهم من رأى انها مسألة مدبرة مدروسة وان للزباء بدأ فيها .
ومنهم من رأى انها بتدبير الرومان وعلمهم ، فعلوها للتخلص من رجل أخلوا
يشككون في إخلاصه ، ويرتابون منه . ومنهم من رأى عكس ذلك : رأى انها
فاجعة للرومان وخسارة كبيرة لسياستهم في الشرق ، وانها من أهمال الوطنيين الذين
رأوا في ملك تدمر أداة طيعة مسخرة في أيدي سادة (رومة) فقرروا لذلك الانتقام منه .

أما نحن فنرى أن من الصعب البت في سرّ قتل (أذينة) وابنه ، فالأخبار
الواردة في هذا الموضوع غامضة ، والأدلة غير متوفرة ، ومباينة للجيش وقوّاده
للقاتل في سرعة ومن غير كلام أو قتال ، ثم قيام أهل حمص بقتل القتال بعد
أيام ، وتولى الملكة (الزباء) الحكم بعده وبسرعة هي قضايها فيها نظر . ولهذا
تعددت الآراء ، ولن ننقّ مسألات الروايات المقلعة البنا على هذا النحو من
التعقد والأمور^١ .

أظهر (أذينة) مقدرة فائقة جدبيرة بالأعجاب ، استطاع أن يكون جيشاً
قوياً يخيف الفرس ويلحق بهم الخسائر ويكتسب تقدير الرومان واحترامهم في مدة
قصيرة ، واستطاع أن يكون من القلعة الصغيرة المنيّة في البادية مملكة كان لها
أثر خطير في النزاع السياسي العسكري بين الرومان والفرس . لقد قام بعمل
عسكري عظيم في محاولاته الحربية لانقاذ الفيصر (والرياثوس) محاولات لم يقم
بها سيد (رومة) وابن الفيصر الأسير ولا أتباعه الرومان . لقد (أرسلته الشمس
أسداً غليظاً مرجأ)^٢ .

لقد وقعت في أيام (أذينة) أحداث خطيرة عظيمة في الشرق الأدنى بين
المصريين : المعسكر الشرقي وهو معسكر الفرس ، والمعسكر الغربي وهو معسكر
الرومان يساعدهم النعمانيون . كانت انتصارات الفرس في سنة (٢٦٠) بعد الميلاد ،

١ الشرق ، السنة الأولى ، الجزء ١٥ ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٦٩٣) .

Oberdick, B., 40, Gibbon, I, P. 263, Vaughan : Zenobia, P. 63.

٢ Oracula : Sibyllina, VV. 169, Berytus, Vol., VIII, Fasc., I, 1943.

ثم أسر القيصر (والريانوس) ، وغزو بلاد الشام ، وقيام (أذينة) بالهجوم على الفرس ، وطردهم من الأرضين التي احتلوها من الأمور الخطيرة التي وقعت في ذلك العهد ، أفادت الرومان ولا شك كثيراً ، ولكنها لفتت أنظارهم في الوقت نفسه إلى الخطر الجديد الذي أخذ يهددهم من ظهور قوة (تندر) ، وتستمر في بلاد الشام . وقد تزعم الحركات الوطنية المعادية للرومان في الشرق ، لتكون كارتة على (رومة) . ونجد أخبار (أذينة) وأعماله خاصة بعد معركة (الرها) (Edessa) في تاريخ (سوزيموس) (Zosimus)^١ .

ولا بد لي في هذا الموضع ، وقد انتهت من الحديث عن أذينة ، من الإشارة إلى رجل كان له شأن وذكر في أيام (أذينة) ، وكان أقوى شخصية في تندر إلا وهو (ورود) (Worod) الذي ورد ذكره في عديد من الكتابات ، أفندعها الكتابة المبنونة بشهر نيسان من سنة (٢٦٢) للبلاد وقد لقب فيها بـ (Procurator Ducenarius)^٢ . كما لقب بلقب (مرن) الذي تلقب به (أذينة) أيضاً ، أي (سيدنا) و (أميرنا) ، وبألقاب أخرى مثل (Cursus Honorum) و (قائد القافلة) و (شريف المستوطنة) وغير ذلك من نعوت حملها (أذينة) نفسه ، مما يجعلنا على الاعتقاد بأنه كان الرجل الثاني في تندر بعد (أذينة) ، ومن الغريب أن اسمه احتفى مع اسم أذينة في السنة التي قتل فيها الملك نفسها ، فلم تعد تقرأ في الكتابات^٣ .

وكان (ورود) يقوم مقام (أذينة) بأعباء الحكم عند غياب (أذينة) عن عاصمته . ويرى بعض الباحثين أن اسمه الكامل هو (يوليوس أورليوس سبتيميوس ورود) (Julius Aurelius Septimius Worod) وأنه كان من الطبقة (الأرستقراطية) ، وهو من أصل فارسي روماني. وقد نال أعلى الألقاب المعروفة في أيامه ، حتى ضاهت الألقاب التي لقب بها (أذينة) . والظاهر أنه كان شخصاً كفواً حازماً لذلك نال مركزاً لم يبلغه أحد غير (أذينة) ، إذ كان الرجل الثاني في تندر بعد الملك^٤ .

Oracula : Sibyllina, XVIII, Zosimus, I, 27, I, 36, I, 39.

J. Cantineau, 3e. II, Die Araber, II, 8, 255.

Die Araber, II, 8, 255.

Vaughan, P. 53.

ولا تعرف شيئاً كثيراً عن المكانة التي حصل عليها بعد مقتل (أذينة) وتولى (الزباء) أمباء الحكم نيابة عن ابنها (وهيلات) . والظاهر انه لم ينسل عند الملكة المزلّة التي بلغها عند (أذينة) ، وان عينته الملكة نائلاً عنها في بعض الأوقات ، وكل ما وصل اليه عندها هو منصب (مستشار) ، فقد كانت تستدعيه عند الحاجة لاستشارته في بعض الأمور الخطيرة . وقد كان لها جماعة مستشارين تسعين بآرائهم في إدارة الحكم وفي تنظيم الأمور المالية، ولا سيما الجباية من التجارة والتجار .

ولم بشر (الطبري) ولا غيره من المؤرخين المسلمين الى حروب (أذينة) مع (سابور) على أهميتها وبلوغ ملك (تدمر) فيها العاصمة (طيسقون) . وهذا أمر يدعو الى العجب، حقاً اذ كيف يهمل المؤرخون والأخباريون هذا الحدث الخطير ؟ فلا بد أن يكون هناك سبب . ورأيت ان سببه الموارد الأصلية التي اعتمد عليها المؤرخون المسلمون والأخباريون واغتلوا منها ، وهي موارد فارسية الأصل متعصبة للفرس، أو موارد عراقية ميالة اليهم .

وقد أخذ المؤرخون المسلمون تأريخ الفرس من موارد فارسية ، أما تأريخ الرومان واليونان ، فقد أغلوه من موارد نصرانية سريانية في الغالب ، ولكنهم أخذوه بقدر ، ولم يتوسعوا في الطلب ، لذلك كان تأريخ الرومان واليونان مختصراً جداً وضعيفاً بالقياس الى ما دون عن تأريخ الفرس . عبارة عن جريدة بأسماء القياصرة جافة في الغالب ، ونكت وقطع مبثوثة هنا وهناك في الفصول المبدئية عن تأريخ الدول الفارسية ذكرت في المواضع التي تكون لها صلات بتأريخ الفرس ، ولذلك أيضاً أدمج أكثر ما دون عن تأريخ الفارسية وعرب الشام في الأوراق التي دونت عن تأريخ الخبرة وعرب العراق . وقد انتزعت من موارد فارسية - عراقية ، ففيها تعصب للفرس وللعراق على الروم والرومان وبلاد الشام^١ .

والظن ان الموارد الأولى التي تقل منها الأخباريون والمؤرخون كلامهم عن تأريخ الفرس لم ترقها الاشارة الى انتصارات ملك كوت مملكة في البادية بنفسه ، على (سابور) صاحب انباطورية واسعة تنهاى بنفسها على الرومان ، فأهملت الكلام عنها بدافع العاطفة والتزعات القومية . فلما ترجمت تلك الموارد الى العربية أو نقل

١ مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول والجزء الثاني .

منها ، لم يجد الأخباريون والمؤرخون شيئاً يقولونه عن انتصارت (أذينة) على (سابور) ، وإلا ذكروه كما ذكروا حادث أسر (سابور) للقيصر (الريانوس) في أثناء كلامهم عن سابور . وقد ذكره الطبري فقال : (وانه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الريانوس بمدينة انطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه وأسكنهم جند سابور)^١ .

الزياء :

انتقل الملك بعد مقتل (أذينة) و (معن) الى (وهبت) و (هبلات) (وهب اللات) ، وهو ابن (أذينة) من زوجه (الزياء) ويعرف في اليونانية بـ (أثينودورس) (Athenodorus) . وكان لو هبلات اخوة هم : (خيران) (خيران) و (تيم الله) من أذينة (أذينة) وامه (الزياء) . وكان قاصراً ، لذلك تولت الوصاية عليه ونأديه بأدب الملوك حتى يبلغ سن الرشد ، فعلمته (اللاتينة) والفروسية ، وهياته ليكون ملكاً كبيراً كقياصرة الرومان أو أكاسرة الفرس وسعت هي لتهديب الدولة وتوسيعها وسط نفوذها على أماكن واسعة لم تكن خاضعة لتدبر ، لذلك كان لا بد من حدوث احتكاك وتصادم بينها وبين الرومان .

وللأخباريين احديث واقاصيص عن الزياء ، واسمها عندهم (خاللة بنت عمرو ابن الطرب بن حسان بن أذينة بن السبيدع بن هوير العميلي (العملي) من العماليق^٢ . و (الزياء بنت عمرو بن الطرب بن حسان بن أذينة بن السبيدع بن هوير) على زعم^٣ ، و (ليلي) في زعم آخر . وزعموا ان لها اختاً اسمها (زيبية) بنت (الزياء) لها قصر حصين على شاطئ القرات الغربي ، فكانت تشتو عند اختها وترجع يطن التجار ، وتسير الى تدبر . كما كان لها جنود هم في نظرهم بقايا من العماليق والعارية الأولى ، وتزيد وسليح ابن (حلوان بن عمران

١ الطبري (٦١/٢) (طبعة المطبعة الحسينية) .

٢ الطبري (٢١/٢) ، ابن خلدون (٢٦١/٢) ، حمزة (٦٥) .

٣ مروج (١٦/٢) .

ابن الخفاف بن قضاة) ومن كان معهم من قبائل قضاة^١ . وذكر (ابن خلدون) ان ملك العرب بلزى الحيرة ومشارف الشام كان عمرو بن القزرب، وكان جنود الزباء من بقايا العالقة من عاد الأولى ومن نهد وسليح ابني حلوان ومن كان معهم من قبائل قضاة ، وكانت تسكن على شاطئ الفرات وقد بنت هناك قصراً ، وتربع عند بطن المجاز ، وتصيف بتدبر ، أخذ قوله هذا من تأريخ الطبري وتصرف فيه بعض التصرف^٢ . أما الأصل ، فخير من اخبار الأخباريين ، وأما النفل فحكمه حكم الأصل بالطبع . وأما ان جنود (الزباء) من بقايا (العالقة) ، فهو أمر مقبول في نظر اصحابنا الأخباريين ، ولم لا ؟ إن (الزباء) في رأيهم من بقايا العالقة ، اي من العرب الأولى فلم لا يكون جنودها اذن من اولئك القوم ؟

وزعم بعض الأخباريين ان (الزباء) من ذرية (السبيدع بن هوثر) من (بني قفلورا) اهل مكة ، وهي بنت (عمرو بن أذينة بن القزرب بن حسان) . وبين (حسان) و (السبيدع) آباء . وزعم آخرون ان (عمرو بن القزرب) كان على مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بين (الحابور) و (قرقساء) ، فوقعت بينه وبين (مالك بن فهم) حروب ذلك (عمرو) في بعضها ، فقامت بذلك من بعده ابنته (الزباء) . وقد استمرت الحرب بين (مالك) و (الزباء) الى ان الجأها الى اطراف مملكتها . وكان (مالك) على ما يصفه الأخباريون رجلاً قديراً يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في ايديهم^٣ . وهو في نظرهم اول من ملك من (حرب الضاحية) . وكان منزله مما يلي (الأبار) ، ثم ملك بعده أخوه (عمرو بن فهم) . فلما هلك تولى من بعده (جليلة الأبرش) الشهير في تأريخ الحيرة^٤ .

والذي حارب (عمرو بن القزرب) على رواية منسوبة الى (ابن الكلبي) ذكرها (الطبري) هو (جليلة الأبرش) . وكان جليلة على هذه الرواية قد جمع جموعاً من العرب سار بها يريد غزاة (عمرو) ، وأقبل (عمرو) بمجموعة

- ١ الطبري (٢٢/٢) .
- ٢ ابن خلدون (٢٦١/٢) .
- ٣ ابن خلدون (٢٥٩/٢) وما بعدها .
- ٤ الطبري (٢٨/٢) .

من الشام فالتقوا فالتقوا قتلاً شديداً قتل (عمرو بن الطرب) وانقضت جموعه .
 فلجمعت الزباء رأيا لغزو (جذيمة) للأخذ بثار أبيها ، واستعدت لذلك ، غير
 ان اخذاً لها هي (زبيبة) ، وكانت ذات رأي ودعاء وأدب ، نصحتها بترك
 الحرب ، فإن عواقبها غير مضمونة ، فاستجابت لنصيحتها ، وعمدت الى طرق
 المكر والخيل فراسلته واستدرجته الى عاصمتها في قصة معروفة مشهورة لا حاجة
 بي الى اعادةتها ، ففقدت به وقتها . وطلب (قصير بن سعد بن عمرو
 ابن جذيمة بن قيس بن ربي بن نخاعة بن نخم) ، وكان أربياً حازماً أثراً عند
 (جذيمة بن الأبرش) من (عمرو بن عدي) خليفة (جذيمة) عسل الحيرة
 الخروج لقتال (الزباء) ، فالحجم فلما رأى ذلك منه ، صمم على أن يأخذ هو
 بالثار ، فلعب اليها مدعياً انه مضطهد محقوت لتهمة نسبت اليه هي انه ساهم في
 قتل (جذيمة) فوثقت به واطمأنت اليه وهي لا تعلم ما يخفي لها ، ثم طلب
 منها أن يعود الى بلده ليعود بأمواله ونفائس ما لديه فسمحت له وأعطته تجارة
 لتصرفها هناك ، قباها وعاد بأرباح طائلة وبأموال كثيرة ، فزادت ثقتها به
 وتكرر الحال ، حتى اذا ما وثق من اطمئنانها اليه عاد في المرة الأخيرة برجال
 أشداء من بني قومه ومعهم (عمرو بن عدي) ، وضعهم في جوائق كبيرة فلما
 توسطوا في المدينة ، أنزلت الجوائق وخرج الرجال منها ، فوضعوا سيوفهم في
 رقاب أهلها ، فلما رأت الزباء ذلك ، أرادت الحرب من نفق حفرته لئلا يهزم
 الأيام ، اطلع قصير عليه ، فوضع (عمرو بن عدي) على بابه . فلما رأت الزباء
 مصت خاتمها ، وكان فيه سم ، قائلة : (بيدي لا يبيدك يا عمرو) ، وتلقاها
 عمرو بن عدي بالسيف فجعلها به وقتلها ، وغنم كثيراً ، وانكفاً راجعاً الى
 العراق .

وهي قصة مشهورة بالأمثال المنسوبة الى أبطالها : جذيمة وقصير والزباء وعمرو

حسرة (٦٥) .

- ١ الطبري (٢٤/٢ وما بعدها) ، مروج (١٩/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون
- ٢ (٢٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، مروج الذهب (٦٩/٢ وما
- بعدها) ، (قصة جذيمة) . فلما نظرت الزباء الى مشي الجمال ، قالت :
- ما للجمال مشياً وليداً أجندلا يحملن أم حديدا ؟
- أم صرافانا بارداً شديداً أم الرجال جنباً قموذا ؟
- مروج (٧٢/٢) ، (دار الاندلس) .

ابن عدي ، وفيها على عادة الأخباريين في رواية أمثال هذا القصص شعر نسب
بعضه الى هؤلاء الأبطال ، ونسب بعضه الآخر الى شعراء ألفت أحسابهم في
القصة ليؤكد واضعوها ولا شك صدق حديثهم ، وليلوثوا كلامهم بعض الثلوث .
وتجد قصة الزباء وجديعة وقصير المطالب بالتأثر في شعر ينسب الى (عدي بن
زيد العبادي) ، جاء فيه :

ألا أيها الملك المرجى ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقية الأمراء يوماً جدية عصر بنجوم ليشنا
فطاول أمرهم وعصى قصيراً وكان يقول لو تبع البقينا

ثم يستمر في نظم القصة شعراً حتى تنتهي . وقد ختمت بنصح للإنسان لينتظ
بالحوادث والمآل ، التي لا تعرف أحداً منها كانت درجته ومزته ، إلا أخذه ،
ثم صبره أثراً بعد عين^١ .

وذكر أهل الأخبار ان (الزباء) كانت تأتي الحصون ، فتزل بها ، فلما
نزلت به (مارد) ، حصن دومة الجندل ، وبالأبلى ، حصن ثباء ، قالت
تمرد مارد وعز الأبلى ، فلعبت مثلاً^٢ .

ولم يخل الأخباريون على الزباء ، فتحوها آياتاً زعموا أنها قالتها ، وجعلوها
أدبية في العربية بليغة الى أعلى درجات البلاغة . لها حكم وامثال بهذه العريسة ،
عريسة القرآن الكريم . ولا غربة في ذلك ، فالذي ينسب شعراً عريساً الى آدم
وابليس ويرويه مشكلاً مضبوطاً على وفق قواعد النحو والصرف ، لا يعجز عن
رواية شعر ينسب الى (عمرو بن القرب) وإلى ابنته الزباء .

وذكر ان معاوية ذكر في أحد مجالسه (الزباء) وابنة (عفر) ، فقال :
« اني لأحب ان أسمع حديث ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدثك
بأعبر المؤمنين ؟ فقال : بلى ، فقال : إن ماوية بنت عفر ، كانت ملكة
وكانت تزوج من أرادت^٣ . »

١ الشعر والشعراء (١١٢ وما بعدها) ، (عدي بن زيد العبادي) ، وفي الكتب
الأخرى اختلاف في الالفاظ والعبارات ، مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٢ مروج (٧٣/٢) ، (دار الاندلس) .
٣ البيان والتبيين (٩/٣) .

ويذكر أهل الأخبار أن (ابنة عفزر) قبة كانت في البحر الأول، لا تدوم على عهد ، فصارت مثلاً . وقيل : قبة كانت في الحيرة ، وكان وفدُ النعمان إذا أتوه لموا بها . وذكر أن (عفزر) اسم أعجمي ، ولذلك لم يصرفه (امرؤ القيس) في قوله :

أشيمُ بروق المزنِ ابن متصائبٍ ولا شيء يشفي منك يا ابنة عفزرا^١

ولم نشأ الكتابات التدمرية الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها على هذه الصورة : (بت زباي) أي (بنت زباي)^٢ . و (زباي) هو اسم والد الملكة ، حلفت كلمة (بت) وهي (بنت) في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الباء من كلمة (زباي) وصيّر همزة ، فصار (زباء) ، وعرفت ملكة تدمر عند العرب باسم (الزباء) .

وقد ذكر المؤرخ (فلافيوس قوبسكوس) (Flavius Vopiscus) أن والد (الزباء) رجل من تدمر اسمه (الخلبو) (Achilleo)^٣ ، و (Achilleo) هو (انطيوخس) (Antiochus) في رواية أخرى^٤ .

وقد أثنى عليها المؤرخ (تريبلوس بولبيو) (Trebellius Pollio) ووصفها وصفاً جميلاً ، وأشار إلى مقتلها وقبيلتها ، وذكر أنها كانت تتكلم اليونانية وتحسن (اللاتينية) ، وتغن اللغة المصرية وتحدث بها بكلطلاقة ، وتهم بثوون الملكة ، وتقطع المسافات الطويلة سيراً على الأقدام في طليعة رجال جيشها ، إلى غير ذلك من كلام فيه ثناء واطراء على هذه الملكة^٥ .

وقد بلغتنا روايات تفيد أن الملكة ادعت أنها من مصر ، من سلالات الملوك وأنها من صلب الملكة الشهيرة (قبطرة)^٦ (كليوپطرة) (Cleopatra) ، وأنها كانت نفسها تتكلم المصرية بطلاقة ، وأنها ألقت كتاباً كتبه غط يدها انحصرت

-
- ١ اللسان (٥٩١/٤) .
 - ٢ المشرق ، السنة الأولى ، (١٨٩٨ م) ، آ ب ، الجزء ١٥ ، (ص ٦٩٣) .
 - ٣ Flavius Vopiscus Aur., 31, Oberdick, B., 143.
 - ٤ Zosimus, I, 61, Oberdick, B., 143.
 - ٥ Trebellius Pollio : Hist. August., P. 192, 199, XXX, Tyrannid., C., 34.
 - ٦ مروج (٢٥٩/١) (طبعة دار الرجاء) ، Oberdick, B., 47, Gibbon, I, P. 302 .

فيه ما قرأته من تواريخ الأمم الشرقية ولا سيما تاريخ مصر^١ ، وإنها استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها ، مثل الفيلسوف الشهير (كاسيوس ديونيسيوس لونجينوس) (Cassius Longinus) (٢٢٠ - ٢٧٣ م) بعد الميلاد . وكان فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة ومن أصدقاء الفيلسوف (لفرطريس) (Phorphyrus) ، استقدمته الملكة الى عاصمتها واستضافته عندها وجعلته مستشاراً لها ، فأغضب لها في مشورته ، فكان ذلك سبباً في قتله . قتلته القيصر (أوريليانوس) (Aurelianus) ، لأنهامه انه كان يحرض الملكة على الرومان^٢ .

ومثل الكاتب المؤرخ (كليكراتس الصوري) ، و (لويوكوس) البيروتي اللغوي الفيلسوف ، و (بوسانياس) الدمشقي المؤرخ ، و (نيوكوماخس) (Nicomachus) من زمرة الكتاب المؤرخين ، المتصلين بالإغريقية ، ومن الفلاسفة ، وقد تولى الكتابة باللغة الإغريقية ، وصار من مستشاريها كذلك^٣ . ولذلك أمر به القيصر (أوريليانوس) فقتل بعد محاكمته بمدينة حمص ، في الوقت الذي حوكت فيه الملكة والفيلسوف (لونجينوس) ، الذي قطع رأسه بعد ان مثل به^٤ . وفي حشد هذا النوع من الرجال دلالة على قبول الملكة الفلسفة الأدبية وثقافتها العالية ولا شك .

وملكة شأنها هذا ، لا بد ان تكون حرة الفكر ، متساهلة مع اصحاب العقائد والآراء . وهذا ما كان . ففي مدينة (تدمر) الوثنية عاشت جالية كبيرة من اليهود تحمت بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، ونالت حقوق المواطنة التي كان يتمتع بها التدمريون ، جاءت الى المدينة مهاجرة من فلسطين خاصة بعد خراب القدس على ايدي القيصر (طيطوس) (Titus) في سنة (٧٠) بعد الميلاد^٥ . فاشتغلت فيها بالتجارة ، فحصلت على ارباح طائلة جداً ، وصار لها في المدينة اسم وشأن حتى ان مجلس المدينة والشعب اقام تمثالاً في سنة (٥٦٩)

1 Oberdick, B. 47. Vaughan, P. 79.

2 تقدمت مؤلفات هذا الفيلسوف ولم يبق منها غير : (Le Sublime) أي كتاب الايقال ، المشرق ، السنة الاولى الجزء ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢١) . Hervey, P. 245.

3 المشرق ، الجزء نفسه (٩٢١) ، Vaughan, P. 192.

4 Vaughan, P. 192.

5 المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٠ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٢٤) .

السلوقية المقابلة لسنة (٢٥٧) الميلادية ليهودي يدعى (يوليوس أورليوس شلميط)
(Julius Aurelius Schalmath) قائد القافلة ، لأنه ترأس القافلة ، وأنفق عليها
من ماله^١ .

وقد بالغ بعض المؤرخين في عدد اليهود الذين كانوا في (تدمر) أيام حكم الزباء
فزعم انه بلغ نصف عدد سكان المدينة ، وهو زعم يحتاج الى اثبات . وزعم
القديس (أناسيوس) (St. Athanasius) ان ملكة تدمر كانت تدين باليهودية^٢
ولكنها مع تهودها لم تهب أبناء دينها الكنائس لتكون لهم مجامع ومحافل^٣ . وذهب
الى هذا الرأي المؤرخ (فوتيوس) (Photius)^٤ . وذكر (فيلاستريوس)
(Philastrius) ان الذي هو د الملك فهو (يولس السبساطي) (Paulus Samosati)^٥
وهو أسقف كان مقرباً الى الزباء ، وله منزلة عالية لديها . ولست اليه آراء في
المسيح وفي بعض الأمور الدينية الأخرى دعت الى محاكمته في مجمع (انطاكية)
الذي انعقد في سنة (٢٦٤) للميلاد ، فوجد المجمع ان تعاليمه تشبه تعاليم
(أرتاماس) (أرتامون) الذي حكم عليه فيلاً ، فحرّموا آراءه كذلك ، ثم
حكم عليه في (انطاكية) سنة (٢٦٩) بعزله عن الأسقفية ، ولم تتدخل (الزباء)
في القرارات التي اتخذها رجال الكنيسة تجاه يولس ، كما انها لم تفك قراراتهم
بحقه ، بل أبقته في مركزه وتركته على ما كان عليه^٦ .

ويرى بعض المؤرخين أن خبر تهود الملكة غير محقق ، وضعه آباء الكنيسة
للإساءة الى سمعة (يولس السبساطي) والطمع فيه والخط من تعاليمه ولتأثير في
نفوس أتباعه^٧ . وقد لاقى (يولس) من خصومه عتاً شديداً . ولا يعقل بالطبع
أن يعد رجل كنيسة الى تهويد شخص مهما كان مذهبه ورأيه في طبيعة المسيح

- ١ Oberdick, B., 65, Corpus, Insc. Grea., III, NR. 4486, Levy: Palmyr. Inscr. in ZDMG., VII, 1884, S. 88.
- ٢ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ٢٠ . (١٨٩٨ م) (ص ٩٢٤) .
Oberdick, B., 71, Milman: History of the Jews, III, P. 175.
- ٣ المشرق ، الجزء ٢١ (١٨٩٨ م) ، (ص ٩٩٥) .
- ٤ Oberdick, B., 71, G. Moas: Jews and Judaism in Palmyra, in : Palestine Exploration Fund Quarterly, Vol., 65, 1923, 160-167.
- ٥ المصدر نفسه .
- ٦ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ٢١ . ١٨٩٨ م (ص ٩٩١ وما بعدها) .
- ٧ Oberdick, B., 72.

واللاهوت ، بل المقول أن يعمد للتأثير فيه وادخاله الى ملعبه . ولدينا خبر آخر
أراه من جنس خبر (فيلاستريوس) ذكره (تيودوريت) (Theodoret) ،
خلاصته : أن الأسقف (بولس) أخذ رأيه في (الثالث) من آراء الملكة
المتأثرة باليهودية ، وأنه كان قد تأثر بالمرأة حتى سقط الى الحفيس^١ . ولا يخفى
ما في هذا الخبر من طعن في عقيدة الرجل الذي أبدى رأياً في (الثالث) سبب
غضب الآباء عليه .

ولم نجد في الآثار اليهودية التي بين أيدينا ما يفيد تهود (الزباء) ، نعم ورد
في التلمود خبر يفيد حياصة (الزباء) للأخبار^٢ ، غير أنه وردت أخبار أخرى
تفيد أن اليهود كانوا نافرين على (تدمر) حاقدين عليها يرجون من الله أن يظبل
في عمرهم لسبب نهايتها . هذا الخبر الكبير (يوحانان) (يوحانان)
(Johanan) (Jochanan) رئيس (أكاديمية) (طبرية) والمعاصر لأذينة
والزباء ، يقول : (تملك وسعيد من يدرك نهاية أيام تدمر) . ولو كانت الملكة
على دين يهود ، لما صدرت هذه الجملة من فم ذلك الخبر ولا شك . وفهم
من بعض الروايات المروية عن فقهاء اليهود وأخبارهم في فلسطين في ذلك العهد ،
أن الملكة اضطهدت اليهود وعلمتهم . وهي روايات لا يمكن التسليم بصحتها أيضاً ،
ويجوز أنها ظهرت على أثر توسع الملكة في الأرضين التي كانت تحت سيطرة الرومان
ومنها (اليهودية) غير أن هذا الاستيلاء لم يكن أمده طويلاً^٣ .

ووردت روايات أخرى تشير الى كراهية يهود منطقة الفرات لتدمر ، ورد
أن الخبر (يهودا) (R. Juda) تلميذ الخبر (سموئيل) (Samuel) تحدث
عن تدمر ، فقال : « سيحفظ الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، أنه عبد هلاك
ترمود (Tarmud) ، أنها ستهلك كما هلك تمود (Tamud) . وقد هلك » .
وورد أن الخبر (آشة) (R. Asche) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال :
« ترمود مثل تمود ، إنها شيطان لأمر واحد ، إذا هلك أحدهما قام الثاني مقامه » .

Coerdick, B., 73.

Talmud Jers. Ter., VIII, 46b, Ency. Britan., 23, P. 945.

Simon Dubnow: Weltgeschichte des jüdischen Volkes, III, B., 179, The Uni-
versal Jewish Encyclopedia, Vol., 10, P. 639, Graetz: History of the Jews,
Vol., 2, PP. 528, 1927, Yer. Taan., VIII, 465.

ويراد به (ترمود) مدينة (تدمر)^١ . وقد اشترك عدد كبير من اليهود في صفوف أعداء الزباء ، واشتركوا مع القرس في حروبهم مع تدمر كما اشتركوا مع الرومان . وقبض على عدد من الأحرار أحضروا الى الملكة كانوا بمخوضون الناس على التدميرين^٢ .

أما (تمود) ، الذين هلكوا قبل هلاك (ترمود) ، فهم قوم تمود . ويظهر أنهم حلت بهم نكبة أدت الى هلاكهم حتى صار هلاكهم مضرب الأمثال . ولم يشر الى زمن حلول تلك النكبة . ولكن ذلك كان قبل سقوط (تدمر) في أيدي الرومان على كل حال ، كما يفهم من كلام الجبر (يهودا) المتوفى سنة (٢٥٧) للميلاد^٣ .

أما أسباب هذا البغض ، فلم تذكر . ويظهر ان هناك جملة عوامل دعت الى ظهوره ، منها آراء الملكة القلاسية وآراء الفلاسفة والكتّاب الذين كانوا يحيطون بها ، وكانوا يثيرون في تدمر وفي البقاع التي استولى عليها التدمريون ، ففقت نقاشاً كبيراً بين يهود (تدمر) ويهود (الكالونات) على نهر القرات ، فأثارت هذه الآراء (الاحادية) عند اليهود حقد الأحرار والمثدين . ومنها الزواج المختلط الذي انتشر في تدمر بين اليهود وغير اليهود ، ونشوء جيل جديد من هذا الزواج أشاع الدين وتقاليد الإسرائيليين . وهو أمر نهى عنه اليهود . ومنها الحالة السياسية التي نشأت من أمر القرس قيصر (والريانوس) ، وهجوم أذينة على القرس وما أصعب ذلك من حروب ألحقت ضرراً كبيراً بالجماليات اليهودية الكبيرة التي كانت تسكن شواطئ القرات ، ومعظمها من التجار الذين كانوا يتساجرون مع القرس والروم ، وبين العراق وديار الشام ، فأصبحت هذه (الكالونات) اليهودية التي كانت تتمتع بشبه استقلال بأضرار كبيرة ، وفقدت استقلالها خلال مدة استيلاء التدمريين على شواطئ القرات . فلهذه الأسباب كانت نفقة اليهود على التدمريين^٤ .

Oberdick, B., 80, Jeham 17b.

١ ذكر (Oberdick) أمثلة عديدة على ذلك في (ص ٨٠) وما بعدها من كتابه . راجع أيضاً :

Gratz: Geschichte der Juden, IV, S. 336, Levy, in ZDMG., XVIII, S. 97.

Joel: Geschichte des Judenthums und seiner Sekten, II, S. 156.

Oberdick, S. 79.

Joel: Geschichte der Juden, 4, 14, 7, Oberdick, B., 78.

وحرص بعض المؤرخين على ادخال الملكة في زمرة النصارى فزعموا انها كانت على دين المسيح . وتساؤل آخرون بعض التساؤل فقالوا انها لم تكن نصرانية أصيلة ولكنها كانت قريبة منها مبالاة اليها ، وجحد حجج من قال بنهود الملكة وسخطها . وتوسط آخرون فقالوا انها لم تكن يهودية محضة ، ولا نصرانية خالصة ، إنما كان دينها وسطاً بين الدينين : كانت تعتقد بوجود الله ، وترى التوحيد، ولكنها لم تكن على اليهودية وعلى النصرانية ، بل رأت الخالق كما يراه الفيلسوف^١ .

وللمؤرخين آراء في أصل (الزباء) ونسبها وأسرتها ، فمنهم من ذهب الى أنها مصرية ، ومنهم من ذهب الى أنها من العماليق ومن هؤلاء المؤرخ (آبشهون) (Eichhorn)^٢ . وقد أخذ هؤلاء آراءهم من الكتب العربية على ما يظهر . وذهب المؤرخ اليهودي (كريس) (Graetz) (Gräts) الى أنها (ادومية) من نسل (ميرودس) وأنها يهودية الدين^٣ . ورأى (رابت) (Wright) و(أوبردك) (Oberdick) وآخرون أنها من أب عربي ولكنها من دم مصري من ناحية الأم . والذي عليه أكثرهم أنها عربية الأصل^٤ .

وقد ذكر (المسعودي) ان بعض المؤرخين كانوا يزعمون أنها (رومية) تتكلم العربية^٥ .

أظهرت (الزباء) مقدرة فائقة في ادارة شؤون الملك ، فخلف منها الرومان ، وعزم (غالبانوس) بتحرير من شيوخ (رومة) على القضاء عليها قبل استفحال أمرها ، فأرسل جيشاً الى الشرق تظاهر انه يريد من ارساله محاربة (سايور) لغير انه كان يريد في الواقع مهاجمة تدمر واختطاع الملكة . فبلغ خبره مسمع (الزباء) فاستعدت لمقابلته وخرجت له ، والتحمت فعلاً بكتائب الرومان، وانتصرت عليها انتصاراً باهراً ، وولت هاربة تاركة قائدها (هرقليانوس) (Heracianus) قبلاً في ساحة الحرب^٦ .

Oberdick, B., 72, 73.

Eichhorn, Fundgr. des Orienta, II, B., 365, Oberdick, B., 47.

Graetz, Geschichte der Juden, IV, B., 335.

Wright, P. 131, Oberdick, B., 47.

مروج (١ : ٢٥٩) .

الشرق ، السنة الأولى ، ايلول ١٨٩٨ م ، ١٨ (ص ٨٢٤ وما بعدها) ،
Zosimus, I, 40, Oberdick, B., 43, Trebellius Pollio, Gall. 35, Trig. Tyr., 29, Hist.

August., P. 180, 181, Gibben, I, P. 283.

ورأت الملكة الحذر من الفرس ، وذلك بقوة حدود مملكتها ، فأمرت بإنشاء حصن (زنوبيا) (Zenobia) على نهر الفرات ، ليقف أمام الفجوات التي قد يوجهها الساسانيون عليها من الشرق^١ . ويقول (بروكوبيوس) انه سمي بهذا الاسم نسبة الى الملكة مؤسسته^٢ .

وقد انتهت (الزباء) بعد مقتل زوجها سياسة عربية ، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد اليهم والاعتماد عليهم في القتال والحروب . وذلك بعد أن رأت ان الرومان هم أعداء تدمر ، وانهم لا يفكرون الا في مصالح الرومان الخاصة . وهذه السياسة تخربت أيضاً الى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، وأخطت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة يزعمتها ، وخاصة بعد أن أدركت ان الأعراب قوة لا يستهان بها ، وانهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً ، صاروا قوة محسب لها كل حساب ، فأخطت تعمل لتكوين هذه القوة ، ولكن الرومان كانوا أسرع منها ، فنقضوا على مآربها قبل أن تتحقق ، فاستولوا على تدمر وأزالوا مملكة ملكة الشرق^٣ .

وجهت (الزباء) أنظارها الى مصر ، ووضعت الخطط للاستيلاء على هذا القطر ، بعد أن مهدت لنفسها الدعوة فيه بإعلانها أنها مصرية وانها من نسل الملكة (كليوپطرة) (قبطرة) قلها إذن فيه ما يسمح لها بالتدخل في شؤونه ، وأخذت ترقب الفرص وتحنن الأسباب ، فلما قتل القيصر (غالينس) سنة (٢٦٨) للميلاد ، وانتقل الحكم الى (أوريليوس قلوديوس) (Marcus Aurelius Claudius) (٢٦٨ - ٢٧٠ م) ، وجدت الجو صالحاً للتدخل ، كان الألمان (Alemannen) قد هاجموا حدود الإمبراطورية في مطلع هذا العام ، وكان (القوط) (القوط) (Gothen) (Goths) قد أربكوا الدولة . وكان أثر الخسارة التي ألحقها الملكة في الجيش الروماني ، ومقتل (هرقلانيوس) بالغاً في نفوس الرومان ، يتجسل في صباح أعضاء مجلس الشيوخ بصوت واحد سبع مرات في أثناء مبايعة القيصر الجديد : (ياقلوديوس أغسطس نجسنا من فكتوريا ومن زنوبيا ، ياقلوديوس

1 Oberdick, B. 43.

2 Procopius, History of the Wars, II, V, IV-VI, P. 295.

3 Die Araber, II, B. 270, VI, B. 270.

أفسطس أختا من التدمريين ^١ . وفي الرسالة المؤثرة التي وجهها القيصر الى مجلس الشيوخ ومدينة (رومة) وهو في طريقه لتأديب المهاجرين ، وفيها (ان جيبي ليندي محجلاً) كلما تذكرت أن جميع الرماة بالقسي هم في خدمة زنوية ^٢ . فانتهزت الملكة هذه الفرصة المؤاتية وأرسلت جيشها لاحتلال مصر .

كان القيصر قد أمر عامله على مصر المدعو (بروبوس) (Probus) بالخروج على رأس اسطول الاسكندرية الى عرض البحر : لمطاردة (الغوط) (القوط) (Goths) ولتنعيم من الحرب عبر المضائق ، فخرج على رأس قوة كبيرة من الرومان لمطاردتهم ، فانتهز الوطنيون والمعارضون لحكم الرومان - وعسل رأسهم (تياجينيس) (Timagenes) ، وهو رجل يوناني الأصل منبغض للرومان - هذه الفرصة ، فكتبوا الى الملكة يحضونها على تحرير مصر من حكم (رومة) وتولي الحكم فيها . وأظهر (فيرموس) (Firmus) ، وهو رجل ثري جداً ، استعدادة لمساعدة الملكة بالمال وبكل ما ينبغي اذا أرادت الاستيلاء على مصر . فأمرت (الزباء) قائدها (زبدا) بقصد مصر على رأس جيش قوامه مبعون ألف رجل . وقد قاتل الجيش الروماني الذي كان مؤلفاً من خيـن ألف مقاتل ونقلب عليه ، ثم قرر العودة الى تدمر تاركاً في مصر حامية صغيرة من حنة آلاف رجل ، وبظهر انه تركها تحت إمرة (تياجينيس) الذي عين نائباً عن الملكة على مصر . فلما سمع (بروبوس) بهجوم التدمريين وتغلبهم على الرومان ، أسرع عائداً الى مصر ، فألف جيشاً من المصريين الموالين للرومان ، وزحف على الاسكندرية ، وأخذ يتعقب التدمريين ، وأعمل فيهم اليـف . فلما سمعت (الزباء) بذلك ، أمرت قائدها بالعودة ثانية الى مصر ، فجرت معارك بين الطرفين انتهت بانتصار التدمريين على (بروبوس) عند (بابلون) أي (الفسطاط) ، وكتب النصر لجيش الملكة في مصر ^٣ .

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٥) .

Oberdick, 53, Trebellius Pollius, Claud., 4, Trig. Tyr., Vaughan, P. 83.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ٨٢٦) .

Oberdick, 5, 54, Trebellius Pollius, Claud., 7.

٣ (بروبانوس) ، المشرق ، السلسلة الأولى . أبولون ١٨٩٨ م . الجزء ١٨ (ص ٨٢٦) .

Zosimus, I, 39, 44, Hist. August., P. 198, (Pollius, XXX, Tyrann., G. 29), Ober-

dick, 5, 54, Vaughan, P. 84, 122, 130.

وقد ساعد عرب مصر من سكان الأقسام الشرقية من مصر ، جيش تدمر
 مساعدة كبيرة ، ولا سببا لها جرى من قتال حول حصن (بابلون) (Babylon)
 الذي عرف بـ (القساط) قبا بعد . ووطن بعض الباحثين أن (تيماجينس)
 (Timagenes) الذي وصفه المؤرخ (زوسيموس) (Zosimos) (Zosimus)
 بأنه مصري ، كان في الحقيقة عربياً ، واسمه عربي أخذ من (تيم اللات) ،
 أو من (تيم جن)^١ . وكان من الميغصين للرومان .

ولم تتحدث الموارد التاريخية عن الحوادث التي جرت في مصر بعد هذا النصر
 ولا عن موقف الرومان من هذا التطور الذي وقع في منطقة خطيرة من مناطق
 الإمبراطورية . ويظهر أن الملكة تراضت مع (رومة) وعقدت اتفاقية معها، وافقت
 (رومة) فيها على بقاء جيوش تدمر في مصر، مع اعتراف (تدمر) بسيادة الرومان
 على وادي النيل . وقد عقدت هذه الاتفاقية في أواخر أيام حكم (قلوديوس) .
 كما يتبين ذلك من خبر ذكره (تريبيوس بوليو) (Trebellius Pollio) مآله
 حلف المصريين بيمين الولاء والاخلاص للقيصر . وقد دام هذا الاتفاق في أوائل
 سني حكم القيصر (اورليانوس) (Aurelianus) (٢٧٠ - ٢٧٥ م) أيضاً
 كالذي يتبين من نقد ضرب في الإسكندرية في سني (٢٧٠) و (٢٧١) للميلاد،
 وقد ضربت على أحد وجهي النقد صورة مزدوجة لوجه القيصر (اورليانوس)
 (Aurelianus) حاملاً لقب (أغسطس) (Augustus) مع وجه (وهيلات)،
 وقد نعت به: (Vir Consularis Romanorum Imperator Dux Romanorum)
 (Vir Clarissimus Rex Imperator Dux Romanorum) ، ويشير إلى اللقب
 الذي تلقب به أيام حكمه . وأما ازدواج صورة القيصر مع صورة (وهيلات) ،
 فيشير إلى الحكم المزدوج على مصر^٢ .

ولم يدم هذا الاتفاق بين الرومان وبين الملكة طويلاً ، فقد ضغط سادات

Die Araber, II, S. 272, G. Hyckmans: Les Noms Propres sud-sémitiques, 62.
 H. Wuthnow: Die Semitischen Mesachernamen in griech. Inschriften und
 Papyri, 1930, 39.

Mattlingly-Sydenham, V, I, 308, No : 381, H. Mattlingly, in CAH, 12, 301,
 Ency. Brita., 11, P. 163, Oberdick, S. 61, Wright, P. 127, Die Araber, II, S.,
 254.

(رومة) على الإمبراطور بأن ينقل الامبراطورية مما حاق بها من تصدع في أوروبا وفي الشرق . وفي جملة هذا التصدع ظهور ملكة (تدمر) وأطباعها في مصر وفي الأرضين الأخرى من بلاد الشام وآسية الصغرى . واضطر القيصر (أوريليانوس) بعد الانتهاء من فنتة (رومة) ومن تأديب الجرمان الى التدخل والعمل للقضاء على عصيان العصاة وطمع الطامعين . وبلغ سمع الملكة من أصدقائها ونحريها في (رومة) عزم الإمبراطور على القضاء عليها ، فقررت القيام بعمل سريع قبل مباغتة القيصر لها ، فألغت الاتفاق المعقود مع الرومان في أيام (كلودبوس) ، وأمرت بمحو صورة (أوريليانوس) من النقود لتبرهن على قطع علاقتها بالقيصر ، وعدم اعترافها بسيادة (رومة) الاسمية عليها ، وأمرت بضرب صورة (وهيلات) وحده ، مع القب (الإمبراطوري) المخصص بقياصرة (رومة) وذلك في السنة الخامسة من حكمه . وقد تلقت الزياء نفسها بهذا القب في النقود التي ضربت باسمها في الخارج . أما نقود (تدمر) ، فقد لقت فيها بلقب (ملكة)^١ ، ولقت في مصر هي وابنتها بلقب (أغسطس) . وهو لقب القيصر (أوريليانوس) . وفي هذا التحدي الصريح ، دليل واضح على ما حدث من نزاع شديد في العلاقات السياسية بين تدمر ورومة^٢ .

وتفاوضت الملكة (الزياء) على رواية مع الملكة (فيكتوريا) (فيكتورية) (Victoria) عاملة إقليم (الغال) ، لتوحيد الخطط في مهاجمة القيصرية الرومانية واقتسامها ، وأمرت جيوشها بالسير الى (بيتنية) (Bithynia) فاستولت عليها ، وظلت تتقدم دون ملاقات معارضة تذكر حتى بلغت (غلفيدون) بازاء (القسطنطينية)^٣ . ويقال ان الملكة كانت قد أمرت بصنع عجلة فاخترة للدخول بها في موكب القنفر الى عاصمة الرومان^٤ .

واضطرت الملكة لتنفيذ خطتها هذه الى سحب القسم الأعظم من جيشها المسكر في مصر معتمدة على دفاع المصريين انفسهم اذا هجم عليهم الرومان . فالتهمز

١ Cooke, NBI, No : 131, Wadd., 2628.

٢ Ency. Brita., 17, P. 163.

٣ المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٢٢) .

Oberdiek, B., 84, Vaughan, P. 117, 130, 133.

٤ Oberdiek, B., 83.

(أوريليانوس) هذه الفرصة فأرسل مبعثاً إلى (برويس)، وكان القائد (زبدا) قد وصل إلى مصر لمساعدة (فيرموس) نائب الملكة على صد الرومان. فوقعت معارك بين الفريقين كاد يكون النصر فيها للتدمريين لولا استقالة (برويس) جماعة من المصريين، فأزروه ودحروا جيش (زبدا) في سنة (٢٧١) للميلاد. واضطر التدمريون إلى ترك مصر إلى أعدائهم، فكانت هذه أول نكبة عظيمة تنزل بالزباء^١. ومنذ (٢٩١) أغسطس من سنة (٢٧١ م) انقطع في الاسكندرية ضرب النفوذ التي تحمل صورة الزباء ووهلات^٢.

ولا تعرف اليوم شيئاً من الموارد التاريخية عن الأثر الذي تركه انتصار (برويس) في مصر على التدمريين. ولكننا نستطيع أن نقول أنه وقع وقعاً عظيماً على الملكة (الزباء). فخسارة مصر على هذه الصورة، كانت خسارة كبيرة عليها، ولا بد أن تكون قد أثرت فيها، فقد مكنت الرومان من القضاء على سلطان الملكة في تلك البقعة المهمة وجعلت في إمكانهم تهديدها من الجنوب، كما أن توقف جيشها عند (خلفيدون)، وعلم تمكنها من الاستيلاء على (نيبة) وتوقف خططها العسكرية الهجومية، ثم اتخاذها خطة الدفاع ثم تراجع وهي (أوريليانوس) بقوات كبيرة نحو الشرق، كل ذلك قد يكون نتيجة من نتائج هذا الاندحار الذي مني به جيش الملكة وأحزابها الموالية لها بمصر، فأضعفت معنويات التدمريين ومن كان يواليهم وشد من أزر الرومان ومن كان يتناصرهم.

قاوم أهل (خلفيدون) التدمريين، وأبوا التسليم لهم، وأرسلوا إلى القيصر لينجدهم، وبظهر أن الملكة عرفت حرجاً وضمها العسكري، وعدم استطاعتها التقدم، فقررت الرجوع إلى مواضع جديدة تدافع فيها عن نفسها إذا هاجمها الرومان. وقد هاجمها الرومان فعلاً، إذ عبر القيصر مضيق (اليفور) وفاجأ التدمريين في (بيشبية) في أواخر سنة (٢٧١ م) أو أوائل السنة التالية، وأجلاهم عنها، ثم سار إلى (غلاطية) (Galatia) و (قفادوقية) (Cappadoeia) حتى بلغ (أنقرة) (Ancyra)، فسلمت له. وأخذ الرومان يتقدمون بسرعة إلى بلاد الشام^٣.

١ المشرق، السنة الأولى، الجزء ٢٢، (١٨٩٨ م)، (ص ١٠٣٤).

٢ Oberdieck, B., 84.

٣ المشرق، الجزء المذكور (ص ١٠٣٤)، Oberdieck, B., 87.

الزراع تقدم الرومان السريع الزباء ورجلها ولا شك ، وأخذت المدن التي كانت تساندها لشك في تمكن الملكة من الدفاع عن نفسها ، وشاعت بين الناس قصص عن نهاية تدمير وغربانها بأيدي الرومان وعن سقوطها لاهالة ، أثبتت مع وصول أنباء احترام القيصر القضاء على حكم الملكة وانخفاض (تدمير) لحكم الرومان . ومن يدري ؟ فلعل الرومان وأنصارهم وأحوانهم وجواسيسهم هم الذين صنعوها وأذاعوها بين الناس لإمالة همة جيش الملكة وأحوانها ، والابعاد اليه انه مغلوب لاهالة وان ارادة الآلهة قد قفست بذلك ولا راد لها . فكان من بين ما أشيع ان معبد (الزهرة) في (أفقة) (Aphaca) أنبا الحجاج التدمريين الذين حجوا قبل سنة من سقوط مدينتهم ، يستفتون (الزهرة) فيها سيجل بهم في السنة المقبلة بمصر سيء سيجل بتدمير ، وان كارثة ستزل بهم ، أنياهم بذلك على عادة المعبد في موسم الحج الذي على الموسم الذي مثل فيه السؤال .

وكان من بين ما أشيع تخرصات زعم أنها صدرت من معبد (أبولو) (Apollo) تنبئ بزوال دولة التدمريين ومشيئة الآلهة بانتصار (أورليانوس) على الزباء ، وتخرصات زعم أن الحبر (يهودا) (R. Judda) تلميذ الحبر (سمونيل) (Samuel) تنبأ بها عن تدمير ، إذ كان قد قال : « سيحتفل الاسرائيليون في أحد الأيام بعيد ، إنه عيد هلال (ترمود) (Tarmud) ، أنها ستهلك كما هلكت (تمود) (Tamud) وقد هلكت » . وورد ان الحبر (أشه) (R. Ashe) ذكر (ترمود) (Tarmud) فقال : « ترمود مثل تمود ، أنها شيان لأمر واحد ، اذا هلك أحدهما قام الآخر مقامه » . ويراد به (ترمود) مدينة (تدمر) .

ال خير ذلك من تخرصات أوجت بها دعاية الرومان ، وأعداء الملكة من يهود ومن قوميات أخرى قهرتها (الزباء) فأذاعتها بين الناس ، لافهامهم أن من الميث مقاومة القيصر وجنوده ، وان من الخير ترك المقاومة والاستسلام ، وأن اليوم الذي ستحرر فيه تلك الشعوب من حكم الملكة آت قريب ، لأن ارادة الآلهة قضت ان يكون ذلك ، ولا راد لأمر الآلهة : نعم ، لم تصدق الملكة العاقلة

Zosimus, I, 54, 57, 58.

Oberdick, S. 50, Jebam, 17b.

الحكيمة بهذه الخرافات ، فحاربت . ولكن عقول العامة لم تكن على شاكاة عقل الملكة ، لقد أثرت فيها هذه الدعاية ، وقضت على معنويات التدمريين الوثنيين الذين يدينون بهذه الخرافات ويؤمنون بها ، وما زال من طرازهم خلق كثير في القرن العشرين الميلادي هذا .

نهضت الملكة (الزباء) للافساء (أورليانوس) عند مدينة (أنطاكية) (Antiochia) ، وكانت هي على رأس الجيش فارسة تحارب في العليقة . أما القيادة ، فكانت لقاتلها (زيدا) . وفي الواقعة الأولى هجم فرسان تدمر على الكتائب الرومانية فشتوا شملها ، فأمر القيصر جنوده بالرجوع الى مسافات بعيدة ، ليوهم التدمريين أنه قد فر ، فإذا ساروا في أثرهم وأبتعدوا عن قواعدهم باقتهم بالمجوم ، فلا يتمكن فرسان تدمر من الهزيمة لثقل أسلحة الفرسان ومعناتهم ويطع خيلهم بالتقياس الى خيل الرومان . وهو ما حدث . فقد خدع التدمريون وظنوا رجوعهم هزيمة ، فتبعوهم الى مسافات بعيدة ، وفجأة انقلبت الكتائب الرومانية على التدمريين ، وأطبقوا عليهم ، وأعملوا فيهم السيوف وانهمزوا هزيمة منكورة الى مدينة (أنطاكية) . وفي هذه المدينة قرر رأي الملكة على ترك أنطاكية والارتحال عنها بسرعة لأسباب ، منها وجود جالية يونانية كبيرة فيها كانت تقبل حكم الرومان على حكم الشرقيين عليهم ، وقد كان لها النفوذ والكلمة في المدينة . ومنها نفرة النصاري من الملكة بسبب موقفها من (يولس السبسطي) الذي قرر مجمع (أنطاكية) عزله من وظيفته ، فلم تغفل الملكة قرار المجمع ، وتركته بتصرف في أموال الكنيسة ، ولم تكف بذلك بل عنته (Procurator Decenarius) على المدينة ، أي أنها جعلته الرئيس الروحي والدنيوي على الانطساكيين . أضف الى ذلك كره اليهود الذين في المدينة للتدمريين . وقد تقلت الملكة هذا القرار في اليوم الذي دخلت فيه جيوشها المدينة ، فأمرت قاتلها بتركها والسير الى (حمص) فوراً . وفي اليوم الثاني دخل (أورليانوس) تلك المدينة وأعطاهما الأمان .

وتعقب القيصر أثر الملكة ففتح جملة مدن حتى بلغ (حمص) (Emisa) ، وهناك وجدها على رأس جيش قوامه سبعون ألفاً في مفازة عريضة تقع شمالي المدينة .

الشرقي ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٥) ،
Oberdieck, S., 92, Ritter, Erdkunde, 17, 2, S., 1166, 8, Zosimus, I, II; 50; 51;
PP. 44.

فاشتبك الرومان والتدمريون في معركة حامية ربح فيها التدمريون الجولة الأولى ، فولى الرومان مدبرين مذعورين تفنك قبيهم سيوف تدمر . غير ان القيصر حزم رأيه ، وأدرك وجود ضعف في خطة قتال الملكة ، سببه ابتعاد فرسان تدمر عن مشاتهم في أثناء ثقب فرسان الروم ، فأمر جنوده بالهجوم على مشاة التدمريين ، ولم يكتفوا في التدريب والقتالية مثل مشاة الرومان ، فزقوا مشاة الملكة ككل ممزق وحلت هزيمة منكرة عامة بجيش الزباء اضطرتها الى ترك (حصص) وتفضيل الرجوع الى عاصمتها تدمر للدفاع عنها ، فلعل البادية تعصمها منه وتمنعه من الوصول اليها. ودخل القيصر مدينة (حصص) ، فتوجه بالشكر والحمد الى إلهه (حصص) (الشمس) قاطعاً على نفسه عهداً ان يوسع المعبد ويجعله ويزينه أحسن زينة، مقدماً له للوراء هي أكثر ما غشه من الغنائم من التدمريين^١ .

أدرك القيصر ان النصر الحقيقي لن يتم له الا بالقبض على (الزباء) وفتح (تدمر) ، وانه لن يدرك هذا الا اذا سار هو بنفسه على رأس جيشه لفتح تلك المدينة . لذلك قرر الزحف اليها بكل سرعة قبل أن تتمكن الملكة من تحصين مدينتها ومن الاتصال بالفرس والقبائل العربية الغمارية في البادية ، فيصعب عندئذ الاستيلاء عليها . فسار مسرعاً حتى بلغ المدينة برغم الصعوبات والمشقات التي جابهت الكتائب (اللجيونات) الرومانية في أثناء قطعها الصحراء ، وألقى الحصار على (تدمر) القلعة الصحراوية الحصينة ، غير ان المدافعين عنها قابلوه بشدة وصرامة برمي الحجارة والسهام والتيار ان على جيشه وبالتلثم والسخرية والغزو ترسل اليه من أعالي السور . ويظهر ان (رومة) سمعت بذلك فسخرت من عجز القيصر عن احتلال مدينة صحراوية ، ومن التغلب على امرأة ، فساء (أورليانوس) ذلك كثيراً ، فكتب الى مجلس الشيوخ يقول : « قد يستفصحك مني بعض الناس لمحاربتى امرأة فاعلموا ان الزباء (Zenobia) اذا قاتلت كانت أرجل من الرجال »^٢ . ويحث سخرية أهل تدمر وهزؤ أهل (رومة) منه في القيصر عزماً جديداً على فتح المدينة ودكها دكاً مهما كلفه الأمر ، ليمحو عنه هذه الوصمة

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

Oberdiek, B., 102, Zosimus, I, 53, Flav. Vop. Aur., 25, Gibbon, I, P. 256.

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٢٨) .

Oberdiek, B., 108, Flav. Vopiscus Aur., 26-27, Hist. August., P. 218, Wright, P. 167, Gibbon, I, P. 266.

المخجلة التي لحقت به . فكانت الملكة طالبا منها التسليم والخضوع للرومان لننال السلامة ونستحق العفو ، فيسمح لها بالإقامة مع أسرتها في مدينة يعيش فيها مجلس الشيوخ لها . أما جواب الملكة ، فكان : « ان ما التمسته مني في كتابك لم ينجاسر أحد من قبلك أن يطلبه مني برسالة . أتيت ان الغلبة بالشجاعة ، لا بتسويد الصفحات . إلك تريد أن أستسلم لك . أتجهل أن كليوبترا (كليوبطرة) قد آثرت الموت على حياة سبقها عار الديرة . فما أنا فتي منتظرة عقيد القرس والأرمن والعرب (Saracens) لفل شبائك وكسر شوكتك . وإذا كان لصوص الشام قد تغلبوا عليك وهم منفردون ، فما يكون حالك إذا اجتمعت بحلفائي على مقاتلتك . لا شك أنك ستفل وتخت لي فتجرد نفسك من كبريائها التي هلكت على طلب المحال كأنك مظهر منصور في كل أين وأن »^١ .

لم ينجذ القرس ملكة الشرق ، ولم يرسلوا اليها مدحا ما . فقد كانوا هم أنفسهم في شغل شاغل عنها . توفي (سابور) الأول في عام (٢٧١) للميلاد ، فتولى (هرمز) (Ormizdus) الملك من بعده ، وكان رجلا ضعيفا خائر القوى ، فعزل بعد سنة قضائها ملكا . وظهرت فن داغلبية بسبب ذلك لم تسمح للقرس وهم في هذه الحال أن يرسلوا قوة لمساعدة ملكة البادية عدوة (أورليانوس) قيصر الروم . وأما القبائل ، فأمرها معروف ، إنها مع القوى ما دلم قويا ، فإذا ظهرت عليه علائم الضعف ، صارت مع غيره . تحرش قسم منها بجيوش الرومان المحاصرة للمدينة وهاجمتها ، غير أنها منيت بخسائر فادحة ، فتركت التحرش بالحاصرين . ورأى قسم منها الاتفاق مع القيصر ، فقي الاتفاق الربح والسلامة . وما الذي يجنيه سادات القبائل من ملكة محاصرة ، لم يبق من ملكها غير مدينة في بادية وثرورة يستولي عليها الرومان . وإن بقيت لها فلن يصيبها منها ما يصيبهم من القيصر من مال كثير . ومن لقب وجاء بأنهم من حاكم مدني قوي . وقد عرف القيصر فيهم هذه الخصلة فاشترى أنفس الرؤساء بالمال . فأسمن بذلك شر القبائل ، وسلم من عدو يحسب لعداوته ألف حساب^٢ .

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٨) .

Oberdiek, B. 100, Flav. Vop. Aur., 26, 27, Wright, P. 157, Vaughan, P. 173.

Oberdiek, B., 100, III.

ولما رأت الأرباء ان ما كانت تأمله من مساعدة القرس والقبائل والأرمن لم يتحقق ، وان ما كانت ترجوه من مساعدة الحظ لها بإطالة أمد الدفاع لاكرهه عدوها على فك الحصار والرجوع لم يتحقق كذلك ، وان وضع القيصر قد تحسن بوصول مدد عظيم اليه من الشام ويوصول مواد غذائية اليه كافية لإطالة مدة الحصار ، قررت ترك عاصمتها للأعداء ، والنسأل منها ليلاً للوصول بنفسها الى القرس عليهم يرسلون لها نجدة تغير الموقف وتبدل الحال . وذهبت أمر عطلتها بكل تكتم وهربت من مدينتها من غير ان يشعر بخروجها الرومان ، وامتلأت ناقة وانجبت نحو القرات ، ولعلها كانت تقصد الوصول الى حصنها (زنوية) ومنه الى القرس . على كل حال ، فقد حالقها الحظ في أول الأمر ، فأوصلها سائلاً الى شاطئ النهر ، عند (الدير) (دير الزور) قريب من (زليبية) (Halebiya) ثم غابها بحياة فظيمة . فلما علم (أورليانوس) بنأ هرب الملكة ، أيقن ان أتباعه سذهب كلها سدى ان لم يتمكن من القبض عليها حية . لهذا أوعز الى خيرة فرسانه وأسرع رجاله باقتضاء أثر الملكة والقبض عليها معها كلنفهم الأمر . وقال الحظ كلمته . انه سيكون في جانب القوي ما دام الناس في جانيه . نقل فرسان القيصر الى موضع وجود الملكة على الشاطئ ، في اللحظة الدقيقة الفاصلة الحاسمة بين الموت والهلاك والدمار وبين العز والسلطان واسترجاع ما ذهب من ملك . كانت الملكة تهم بوضع نفسها في زورق لينقلها الى الشاطئ الثاني من نهر الفرات . ولو عبرت لتغير اذن كل شيء . واذا بالفرسان ينقضون عليها ويأخذون (ملكة الشرق) معهم مسرعين الى معبد الشرق للرومان : (Recepto Orientis) ، وهو على رأس جنوده يحاصر هذه المدينة العتيقة التي أبت الخضوع لحكمه والتسليم له .

من الباحثين من يرى ان الملكة هربت من نفق سري يصل معبد المدينة بالخارج يمر من تحت السور له باب سري خارج الأسوار أعد مثل هذه المناسبات ، أو من اتفاق أخرى ، اذ يصعب تصور خروج الملكة ليلاً من مدينتها ولو بحفر نفق في السور دون أن يشعر بذلك الرومان . ويستشهدون على صحة رأيهم هذا

1 Oberdick, B., III.

2 المشرق ، الستة الأولى ، الجزء ٢٣ (١٨٩٨) م .
Wright, P. 160, Freya Stark, Rome, P. 307.

3 « Recepto Igitur Orientis », Flav. Vop. Aur., 26.

بالسرديد والقنوت التي ترى بقاياها تحت أسوار تدمر وفلاهما الى اليوم^١ .

أحضرت الزبناء أمام القيصر ، فقال لها : « صرت في قبضتنا يا زينب ،
أنت أنت التي أدت بك الجسارة الى أن تستغري شأن قيصر روماني » .
فأجابت : « نعم ، إني أقر لك الآن بكونك قيصرًا ، وقد نلت عليّ . وأما
غاليانوس وأورليوس وغيرهما ، فليست أنظّمهم في سلك القياصرة . وإنما يارثي
فيكتورية في السلطنة والعز ، فلولا بعد الأوطان لعرضت عليها أن تشاركني في
الملك^٢ » . فأنرت كلمات الملكة في نفس (أورليانوس) ، ففتحها الأمان . وقد
أثر أسرها في نفوس التدمريين المنحصرين في بلدتهم ، فرأى قسم منهم الاستمرار
في الدفاع وعدم تسليم المدينة مها كلف الأمر ، ورأى قسم آخر فتح الأبواب
والسليم ، وصاحوا من أعلى الأسوار في طلب الأمان ، وفتحوا له أبواب المدينة
في بدء السنة (٢٧٣) للميلاد^٣ . فدخلها دخول الظافرين ، فقبض على حاشية
الملكة السابقة ومستشاريها ومن كان يعرض على معارضة الرومان ، واستصفى أموال
الملكة وجميع كنوزها ، وأخذ الزبناء ومن قبض عليهم معه وتوجه بهم الى
(حصص)^٤ .

وتذكر بعض الروايات أن القيصر كان أول ما فعله عند دخوله الى المدينة أن
توجه الى معبد الإله (بعل) (Bel) ، فشكر الإله وحده على توقيته له ونصره
له على أهل تدمر . ثم اختار له قائداً نصبه على (تدمر) اسمه (Sandarion)
على رواية و (Apsaenus) على رواية أخرى ، ليحافظ على الأمن ويحكم المدينة .
وجعل في إمرته حامية لها سبالة من الرماة ، ثم غادر تدمر تاركاً أمرها الى
هذا القائد^٥ .

١ الشرق . الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) .

Oberdick, B. III, Ritter: Erdkunde, XVIII, 2, S. 1521.

٢ الشرق . الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) .

Oberdick, B. 112, Ritter, Erdkunde, XVII, 2 Hist. August., P. 199, 218, Wright,
PP. 169, Vespasian Aurel. C. 29, Zosimus, I, I, C. 55, P. 50, Gibbon, I, P. 287,
Trebellius Poll., 30, Tyr., 29.

٣ الشرق . الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) . Leopold Von Ranke: HD., 5, S. 189.

Zosimus, I, 54.

Vaughan, P. 187.

وفي حصص كما زعم المؤرخ (زوسيموس) (Zosimus) حاكم القيصري الملكة وأصحابها (استحضر القيصري سلطنة تدمر وأشباعها فلما مثلت بين يديه ، جعلت تعذر إليه وتتصل وتدافع عن نفسها مدافعة الداهية حتى قرفت كثيرين من أصحابها بأنهم أصلوها بسوء نصائحهم وورطوها في الغرور . وكان من جملة الذين وشت بهم عند القيصري (لونيكتوس) فحكم عليه القيصري من ساعته بالموت بعد أن مثل به . فكابد لونيكتوس العقاب بشجاعة وصبر جميل حتى أنه عند وفاته كان يعزى أصدقائه وأقاربه . وكذلك تكلل بكل من تجمعت زينب عليه)^١ .

وقد اختلف الباحثون في صحة رواية هذا المؤرخ ، فمنهم من شك فيها ومن هؤلاء (الأب سبتيان رترغال) الذي نقلت ترجمته العربية لرواية (زوسيموس) فقد استبعد صدور الوشاية والخيانة من ملكة كانت على جانب عظيم من سمو الأخلاق والنزاهة^٢ . ومنهم من اعتقد بصحتها وسلم بها ولام الزباني على صدور مثل هذا العمل الشائن منها ، ومن هؤلاء المؤرخ الألماني (مومزن) (Mommsen) الشهير في تاريخ الرومان^٣ .

وغادر (أورليانوس) مدينة حصص إلى (رومة) ومعه (الزباني) وأبنائها وعدد من الأسرى أراد إلحاقهم بموكب النصر الذي سيقيم عند دخوله العاصمة ليفرج عليهم الناس . وفي أثناء عبور (البسفور) غرق عدة من أصحاب (الزباني) في جعلتهم (وهلات) على رواية المؤرخ (زوسيموس)^٤ . وبينما كان القيصري في (ثراقية) (Thracien) إذ جاءته الأخبار تنبئ بثورة أهل تدمر على قائد المدينة (ساندريون) (Sandarion) الذي عينه القيصري حاكماً على تدمر^٥ ، ويظهر ثورة أخرى في مصر بطلها (فيرموس) (Firmus) الثوري الشهير . وكان هدف الثورتين واحداً ، هو التحرر من حكم الرومان والحصول على الاستقلال ،

١ أخذت ترجمة رواية (زوسيموس) من مجلة المشرق السنة الأولى ، الجزء ٢٢ ، السنة ١٨٩٨ م (ص ١٠٥٩) ، راجع الأصل في :
Zosimus, I, L, C. 56, P. 49, 51, Vopiscus: Hist. August., P. 219, (Aurel. C. 30)

٢ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٩) .

٣ Oberdick, B., 113, Georg Finaly: Griechenland unter Römern, 1881, Leipzig, S. 104. Mommsen, The Provinces of the Roman Empire, Vol. II, P. 743.

٤ Zosimus, I, 58, ZDMG., 1884, S. 748.

٥ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

فاتفق (فيرموس) وهو من كبار رجال المال في العالم في ذلك الحين أموالاً كبيرة على الجمعيات الوطنية المناهضة لرومة ، وألف جيشاً تمكن به من الاستيلاء على الاسكندرية ، وجمع حوله أشباع (الزباء) في مصر ، ولتقب نفسه باللقاب القيصرية ، وأخذ يتفاوض مع التدمريين في توحيد الخطط والعمل بجد في تقويض الإمبراطورية الرومانية في الشرق^١ .

وقرر القيصر الاسراع في العودة الى الشرق لمعالجة الحالة قبل فوات الوقت ، فوصل الى (تدمر) بسرعة كبيرة أذهلت المدينة الثالثة ، فلم تدر ما تصنع . كانت قد قتلت القائد (سانداريون) (سوداريون) (Sandarion)^٢ ، وفكت بالحامية الرومانية ، ورفعت راية العصيان في الشرق وترعت الحركة الوطنية المعادية للتدخل وتبنتها ، قبلي وجه ستغابيل (أورليانوس) القيصر المنتظر الجبار ؟ وماذا سيكون موقفه منها ؟ وهي في وضع حرج لا تأمل الحصول على مساعدة لا من الفرس ولا من المصريين . وتناعت المدينة بسرعة حيناً مثل أمامها الرومان وسلمت نفسها للقيصر ، فسلمها هو غنيمة الى جنده يفعلون بها ما يشاءون بغير حساب .

عفا القيصر (أنطيوخس) عن أغارب الزباء ، وكان التدمريون أقاموه ملكاً عليهم . ولم يعف عن الرعيمة قتلاولتهم سيوف الرصاص من جنود (رومة) وغناجرهم من غير تمييز في العمر أو لفرق في الجنس^٣ . وأباح القيصر لجنوده تهديم أبنية المدينة ، فدككت الأسوار وهدمت الأبراج وقوضت الأبنية^٤ ، حتى ان القيصر نفسه رق قلبه على من تبقى حياً من المدينة ، فكسب الى (Cerronius Bassus) قائد المدينة أن يصفح عنهم ، وأن يعيد بناء هيكل الشمس الى ما كان عليه ، وكان جنود (المجيون) الثالث قد نهبوه وغربوه ، وأمر بالاتفاق عليه وبترتيبه وتجميعه من الأموال التي استصفت من خزائن (الزباء) . وطلب من مجلس الشيوخ في (رومة) إرسال كاهن ليلشن المعبود^٥ . وأرسل

Oberdick, S., 115.

(سوداريون) : الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

Oberdick, S., 115, Gesta: Geschichte der Juden, IV, S., 338.

Vaughan, PP. 208. (الجزء المذكور (ص ١٠٦٠) .

Flavius Vopiscus Aur., C. 31, « Cerronius Bassus », Wright, P. 183, Flavius

Vopiscus: Hist. August., P. 21, Vaughan, P. 208.

بعض نفائس الهيكل الى عاصمته لتوضع في معبد الشمس الذي أقامه هناك ، ومنها أعمدة مصورة^١ . غير أن ما أفسده الدهر لا يصلحه المطار . ولم يتمكن القيصر من اصلاح ما أفسده الدهر على يديه . فلم يعد المعبد معبداً كما كان ، ولم تعد (تدمر) تدمر الزباء .

وقبل أن يرحل (اوريليانوس) عن أرض تدمر ، غزا القرس . ويظهر أنه غزا قوة كانت قد أرسلت لمساعدة (تدمر) ، فأرجعها على أعقابها . ثم حينئذ قائد المحثك (ساترنيوس) (Saturninus) بدرجة (Dux) قائداً على الحدود لحمايتها من القرس^٢ ، وتوجه الى مصر للقضاء على ثورة (فيرموس) ، فكان الحظ فيها حليقه . احتل الإسكندرية وقبض على التاجر الحاكم ، الذي لقب نفسه قيصرأ ، فأمر بمعاذته بعقاب السراق والتصوص ، أي بصلبه على الصليب^٣ . وبذلك أعاد معبد الشرق الى الرومان الشرق المقتل منهم مرة أخرى الى الرومان .

بعد هذه الانتصارات وانتصارات أخرى أحرزها في غالبية ، عاد الى عاصمته في سنة (٢٧٤) للميلاد في موكب قيصري عظيم وصفه المؤرخ (Flavius Vopiscus) وصفاً رائعاً ، اشترك فيه (١٦٠٠) مصارع وعدد غفير من الأسرى من مختلف الأقوام ، ومن بينهم الملكة الزباء ومعها أحد أبنائها ، وقيل كلاهما ، وبعض رعاياها ، وثلاثة عجلات ملكية : عجلة (أذينة) زوج الزباء وهي مزينة بالذهب والجواهر ، وعجلة أهداها (هرمز بن سابور) الى القيصر ، وعجلة (الزباء) الخاصة التي أعدها لتدخل فوقها منتصرة عاصمة الرومان . وتقدم الموكب عشرون فيلاً وعدة وحوش وحيوانات جيء بها من فلسطين وليبيا ومصر وأماكن أخرى . سار الى (الكابيتول) ثم الى قصر (الانبراطور) . واحتفل الشعب في اليوم الثاني احتفالاً خاصاً كانت فيه ألعاب مختلفة وكان فيه تمثيل وسباق مختلف الأنواع^٤ .

كان هذا الاحتفال نهاية فصل وبداية فصل جديد ، فضى على الملكة أن تقع

Zosimus, I, 61, Oberdieck, S. 118.

Oberdieck, S. 118.

Flavius Vopiscus, Aur., C. 32, 45, Firmus, C. 2, Hist. August., P. 219, Oberdieck, S. 118, Gibbon, I, P. 288.

Oberdieck, S. 119, Flavius Vopiscus Aur., C. 33, Hist. August., P. 220, Gibbon, I, P. 289.

منذ نهايته في بيت خصص بها في (تيبور) (Tibur) مع أولادها ، وأن تعزل
 السياسة والشرق . عاشت في عزلة في هذه البقعة من ايطالية ، ولم يتحدث عنها
 مؤرخو عصر (أورليانوس) شيئاً بعد أن صارت من سواد الناس . ويظهر ان
 ما ذكره بعض المؤرخين اليونان عن زواج الزباء بعضو من أعضاء مجلس الشيوخ
 هو أسطورة من الأساطير العديدة التي راجت بعد ذلك عن حياة ملكة الشرق^١ .
 وأما أولاد الملكة ، فقد ذكرت قريباً ان بعض المؤرخين أشار الى غرق (وهيلات)
 في أثناء عبور القيصر مضيق (البسفور) . وأشار آخرون الى انه تقل مع أمه الى
 (رومة) . وأما (تيم الله) (Timolaus) ، فأسكن مع أمه أيضاً في (تيبور) .
 وزعم في رواية انه مات مع أخيه (خيران) (حيران) (Herenianus) في
 أثناء الاحتفال بموكب النصر . وزُعم أيضاً انه عاش وصار خطيباً مصفعاً من
 عطباء (اللاتين)^٢ . وروي أيضاً انها زوجت بنتها بأعيان من الرومان . وروي
 المؤرخ (تريبيوس بوليو) (Trebellius Pollio) ، وهو من رجال القرن
 الرابع للميلاد (حوالي سنة ٣٠٤ م) ، ان ذرية الزباء كانت في ايامه^٣ . وذكر
 ان الأسقف الشهير القديس (زنوبيوس) (Zenobius) أسقف مدينة (فلورنسة)
 ومعاصر القديس (أمبروسيوس) (Ambrosius) كان من نسلها أيضاً^٤ .
 ولم تكن تدمر في عهد (ديوقليطيانوس) (ديوكليتيانوس) (Diocletian)
 (Diocletian) (٢٨٥ - ٣٠٥ م) سوى قرية صغيرة وقلعة من قلاع الحدود
 لحمايتها من هجمات القبائل وغزوها للمدن القريبة من البادية^٥ . وبخبرنا المؤرخ
 (ملالا) أن (ديوقليطيانوس) ابنتى (Castra) فيها ، وذلك بعد عقده الصلح
 مع الفرس^٦ ، ودم بعض ابنتها . ويرى (الأب سبتيان رترفال) أنه اضطلع
 نصارى تدمر كما فعل في سائر الأقاليم^٧ .

-
- Oberdiek, S. 120. ١
 المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) . ٢
 Oberdiek, S. 120, Trebellius Pollio, 20. ٣
 المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) . ٤
 Oberdiek, S. 120, Estrop, 9, 13, Hieron. Chron., P. 758, Vol., Baronius, Ann., ٥
 III, P. 146.
 المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٢) . ٦
 Oberdiek, S. 116, Malalas, S. 308. ٧
 المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٣٦) .

وفي حوالي القرن الخامس للميلاد (٤٠٠ م) كانت تدمر مقاطعة تابعة لولاية (فينيقية) وقد عين (تاودوسيوس) (تيودوسيوس) (ثيودوسيوس) الثاني (٤٠٨ - ٤٥٠ م) فرقة من الجند لحراسة (تدمر)^١ . والظاهر أن وظيفتها كانت حماية الحدود من هجمات رجال البادية . أما الكتيبة الرومانية التي عسكرت فيها في حوالي سنة (٤٠٠) بعد الميلاد ، فهي (اللجيون الألبيري) (Illyrian) الأول^٢ .

وذكر الراهب (إسكندر) (Alexander the Acoemete) المتوفى في حوالي سنة (٤٣٠) للميلاد أنه في أثناء سفره من القرات الى مصر قابله الجنود الرومان المعسكرون في القلاع بكل ترحاب وقدّموا له ومرافقه كل المساعدات الممكنة ، وأنه وجد قلاعاً مقامة على طول حدود القرمس والروم على مسافات تتراوح من عشرة أميال الى عشرين ميلاً رومانياً . وقد قطع الحدود هذه حتى بلغ مدينة (سلبان) ، ويقصد بها مدينة تدمر^٣ .

وأمر القيصر (يوستنيانوس) (جستنانيوس) (Justinianus) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) في أوائل تبوّه الحكم (٥٢٧ م) (أرمينيوس) (Armenius) بالذهاب الى (تدمر) لترميم ما تهدم من المباني وإعادة المدينة الى ما كانت عليه . وأمدّه بالأموال اللازمة لهذا المشروع^٤ ، كما أمر بتقوية حامية المدينة ، وإن تكون مقر حاكم (Dux) مقاطعة (فينيقية لبنان) (Phoenice Libanensis) وذلك لحماية الحدود خاصة حدود الأرض المقدسة^٥ ، وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان القيصر المذكور قوى أسوار المدينة وقلاعها وحصنها تحصيناً قوياً ، وحسن موارد

١ المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) .

Oberdick, S., 117, Wright, P. 169, Notitia Dign. Orient., P. 84, 390, (Ed. Boeking).

Ency. Brita., 17, P. 163, Notitia Dign., I, 35.

Musil: Palmyrena, P. 248, De S. Alexandra Fundatore Acoemestorum, Constantinopoli, in: Bolland Acta Sanctorum P. 1025, Edition, E. De Sloop: VII d'Alexandre Acémète, in: Patrologia Orientalis, P. 683.

المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) .

Oberdick, S., 117, Procopius: De Aedif. Just., II, II, De Bello Persico, 2, I, P. 83, Theophanas, Chro., I, P. 267, (Ed. Bonn), Malalas, P. 436, Syria, VII, 1925, P. 77.

مياها . ولا تزال آثار هذا العهد باقية حتى الآن^١ .

وقد كانت مدينة (تدمر) على الحدود الداخلية (Limes Interior) للامبراطورية في أيام (يوسطينيانوس)^٢ . ويسكن في المناطق التي بين هذه الحدود وبين الحدود الخارجية (Limes Exterior) القبائل المحالفة للرومان . ومن هذه المنطقة تغزو القبائل الحدود^٣ . وقد كان سلطان الروم وقواتهم العسكرية أقوى في الحدود الداخلية منها على الحدود الخارجية التي كان يقوم بالدفاع عنها رجال القبائل الخليفة بالدرجة الأولى بأجور ومخصصات تدفعها الحكومة الى رؤسائها لضمان حماية تلك الحدود . وقد كانت القبائل العربية قبل الميلاد وبعدة تفلح راحة سكان الحدود وترجع الحاميات الموكول اليها أمر سلامتها ، وتكون مصدر خطر دائم للحكومات . وكان من الصعب الامتثال اليها . ثم ان البادية كانت تصدّر لهم بين حين وآخر بضاعة جديدة منها ، وموجة عنيفة ترزعج القبائل القديمة والحدود معاً ، فكان على تلك الحكومات مشاراتها واكتساب ود القوية منها ، ويقال ان القيصر (ديكوس) (Decius) (٢٤٩ - ٢٥١ م) شتم في زماته من هذا الوضع ويرم به ، ففكر في ادخال العرب في نفوس هذه القبائل وقهرها ، فجاء بأسود اصطادها من الرقبة في البادية لتتاسل وتتوالد وتكون مصدر خطر ورعب للأعراب^٤ .

وقد اتخذ بعض ملوك الغساسنة تدمر منزلاً لهم وعمل اقامسة . ولم تزل على هذا الشأن حتى فتحها المسلمون سنة (٦٣٤ م)^٥ . غير انها منذ تركتها الزبارة لم ترجع الى ما كانت عليه . وقد أثر تحول الطرق التجارية في مركز هذه المدينة كثيراً ولا شك .

وانتهت اليها أسماء عدد من أساقفة مدينة (تدمر) مدونة في سجلات الأعمال الكنسية ، منهم : الأسقف (مارينوس) (Marinus) وقد حضر المجمع النيقاوي (Nicaea) (Nicaea) الذي انعقد سنة (٣٢٥) للميلاد ، والأسقف (يوحنا) (٣٥٧ م) وقد ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)

١ الشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٢٦) .

٢ Musil, Palmyrena, P. 243. Theophanes, Chronographia (Migne), Col : 404.

٣ Musil, Palmyrena, P. 248.

٤ Musil, Palmyrena, P. 247, The Chronicon Paschale, (Migne), Col : 699

٥ الشرق ، السنة الاولى ، الجزء ٢٢ (١٨٩٨ م) ، (ص ١٠٦٣) .

٦ الشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٦٣) ، Oberdick, B., 117.

المنعقد عام (٤٥١ م)^١ ، و (يوحنا) الثاني الشهير في أيام (أنطاس) (أنطاس) (أنطاس) القيصر (٤٩١ - ٥١١ م) . وكان نفي في عهد (يوسطينوس) خليفته لدفاعه عن (المجمع الخلقيدوني) ولقوله بطليمنس في المسيح سنة (٥١٨ م)^٢ . ويستدل من وجود أساقفة في تدمر على انتشار النصرانية في هذه المدينة .

وفي (تدمر) في الزمن الحاضر ثروة تاريخية مطمورة تحت الأنقاض سيقبدا ولا شك قائمة كبيرة في تدوين تاريخ المدينة وتأريخ صلاتها بالخارج ، فقد عثر فيها على كتابات أفادتنا كثيراً في تدوين تاريخ المدينة . ولكن ما سيثير عليه منها مما هو مطمور سيقبدا أيضاً ، وقد يفيدنا أكثر في كتابة تاريخها . وقد قام علماء بالتنقيب في مواضع منها ، لكشف عن المواقع المهمة منها ، وكتبوا عنها^٣ . غير أن المدينة لا تزال في انتظار من يكشف عنها .

ووردت في الكتابات التدمرية أسماء أصنام عديدة عبدها التدمريون ، بلغ عددها زهاء اثنين وعشرين صنماً ، منها ما هو معروف ومشهور عند العرب ، وأسمائها أسماء عربية . ومنها ما هو لرامي ، وعلى رأس آفة تدمر الإله (شمش) (شمس) . وقد انصفت دياناتهم بمزايا النظام الشمسي الذي تركزت عليه ديانة عرب الشمال . ومن هذه الأصنام (بل) ، أي (بعل) ، و (برح بل) (برح بول) (برح بعل) ، و (عجل بل) (عجل بول) و (عجل بعل) ، و (الت) أي (اللات) ، و (رحم) (رحيم) ، (اشتر) أي (عشتار) ، و (عثر) عند العرب الجنوبيين^٤ ، و (ملك بل) (ملك بعل)^٥ ، و (عزيزو) (عزيز)

1 Oberdick, B., 117.

2 المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٢٦) .

3 Syria. Tome, VII, 1926, PP. 79, « Recherches Archéologiques à Palmyre », by Albert Gabriel, PP. 128. Syria. Tome, XI, 1930, PP. 242, Tome, XVII, 1934, PP. 229, Bounni A. Les Annales Archéologiques de Syrie, Vol. 15, 1935.

4 Ency. Brita., 17, P. 163, Syria, Tome, IX, 1928, PP. 163, Tome, XIII, 1932, PP. 139, Tome XIV, 1933, PP. 171, J. Février, La Religion des Palmyréniens, PP. 51.

5 Syria, XIV, 1933, P. 182.

و (سعد) ، و (اب جل) ، و (اشر)^١ ، و (بل شمن) (بل شمين)
(بل شمين) ، أي (بل السماوات) (رب السماوات)^٢ و (جد) (جد بعل) ،
وقبرها .

وعثر في تدمر على مقابر عديدة خارج أسوار المدينة على التلال المشرفة عليها
تذكّر الأحياء عبّاد المال بالمصير المحتوم الذي سيواجه كل حي غني أو فقير أو
متوسط ، تضم رفات من تستقبلهم ثم لا تسمح لهم بالانتقال منها الى دار أخرى .
إنها دور الأبدية والاستقرار ، وقد أجاد أهل المدينة كل الاجادة باملائهم (بيت
الأبدية) على القبر^٣ . ضمت بيوت الأبدية هذه رفات الآباء والأبناء الى الأبد :
بعضها على هيئة أبراج ذوات غرف تودع فيها الموتى ، وبعضها على هيئة بيوت
ذوات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الزخرفة كتبت على جوائبها أسماء ساكنيها
في الأبدية ورسمت صورهم عليها^٤ . هذه هي مدينة الأموات تشرف على مدينة
الأحياء وتضحك منها .

حصن (زلوية) :

لم تفكر (الزباء) ، على ما يظهر ، في نقل عاصمتها الى موضع آخر ، وقد
عملت على تقوية (تدمر) وتحصينها وتجميلها ، ومعظم الآثار الباقية فيها هي من
أيامها . ولو ان كثيراً من الأبنية التي كانت فيها قبل أيام التلكة قد صيرت
باسمها ، غير أنها عُنيت عناية فائقة بتحسين عاصمتها ولا شك . وابتث مدينة على
نهر القرات لحماية حدودها من الشرق عرفت بـ (زلوية) وهو اسمها باليونانية .
ويظهر ان هذه المدينة هي التي أشار اليها (الطبري) بقوله : « وكانت للزباء
أخت يقال لها زبيبة » ، فبنت لها قصراً حصيناً على شاطئ القرات الغربي^٥ .

Syria. XV, 1934, PP. 111, Tome XVIII, 1937, P. 9, XVIII, 1937, 198, Baethgen,
Beiträge zur Semitischen Religionsgeschichte, S. 84.

Syria, XVIII, 1937, P. 5, REP. EP3G., 30, Tome, I, I, P. 28.

Ency. Brita., 17, P. 162. Syria, XXVI, 1949, PP. 81, « La Tour Funéraire
de Palmyre », by Ernest Will, Wood, The Ruins of Palmyra, PL. 86.

Ency. Brita., 17, P. 162.

الطبري (٢٢/٢) .

فجعل المدينة قصراً ، وصيّر اسم المدينة وهو (ذلوية) (زبية) وجعله اسم أنحت الزباء . وذكر (المسعودي) أن مدائن الزباء على شاطئ القرات من الجانب الشرقي والغربي ، (وكانت فيها ذكر قد سقطت القرات وجعلت من فوقه أبنية رومية ، وجعلته أنقاباً بين مدائنها)^١ . وذكر أيضاً أنها حفرت سرّاً من تحت سريرها وبنته حتى خرج من تحت القرات إلى سرير أختها^٢ . وقد أشير إلى هذا النفق في قصة مقتلها . وذكر (ابن الكلبي) أن أبا الزباء اتخذ النفق لها ولأختها ، وكان الحصن لأختها داخل المدينة^٣ .

وذكر (البكري) أن المدينة التي بنتها الزباء على شاطئ القرات هي (الخالوقة) ، وزعم أن (الزباء) (عمدت إلى القرات عند قلة مائه فسكر ، ثم بنت في بطنه الزجا جعلت فيه نفقاً إلى البرية وأجرت عليه الماء ، فكانت إذا خافت عدواً دخلت إلى النفق وخرجت إلى مدينة أختها الزبية)^٤ . وصح (ياقوت الحموي) تلك المدينة (الزباء) ، قال : أنها (سميت بالزباء صاحبة جديمة الأبرش)^٥ . ودعاها في موضع آخر (عزان)^٦ وقال : إن في مقابلها على الضفة الثانية من القرات مدينة تدعى (عدان) ، وهي لأنحت الزباء^٧ .

ويظهر أن حرب (الزباء) سرّاً من نفق سرّي ، يمر من داخل المدينة من مبعدها أو من قصر الملكة ومن تحت السور إلى الخارج ، هو السدي أوحى إلى أهل الأخبار قصة ذلك النفق الطويل الذي زعموا أن الملكة بنته تحت الأرض من قصرها إلى نهر القرات ، حيث مدينتها الثانية ، وهو نفق يجب أن يكون طوله مئات من الأميال . وقد عثر على بقايا سرايب وفتحات تحت أسوار تدمر وقلاعها تشير إلى وجود اتفاق للهروب منها عند الاضطراب^٨ ، ولكنها لا يمكن أن تكون على شاكلة نفق أهل الأخبار بالطبع .

- ١ مروج (١٩/٢) .
 - ٢ مروج (٢١/٢) .
 - ٣ الطبري (٣٤/٢) (طبعة المطبعة الحسينية) .
 - ٤ البكري ، معجم (٣٢٠/١) ، (طبعة وستنفلد) .
 - ٥ البلدان (٣٧٢/٤) .
 - ٦ البلدان (١٢٦/٦) .
 - ٧ البلدان (١٢٦/٦) .
 - ٨ الشرق ، الجزء المذكور (ص ١٠٥٨) .
- Oberdieck, S., III, Rötter, Erdkunde, XVII, 2, S. 1521.

ولا يستبعد احتمال وجود نفق في حصن (زنوية) على الفرات أيضاً، مساعد وجوده في تثبيت هذه القصة في رواية الأخباريين .

ويرى (هرتسفلد) (E. Herzfeld) أن هذه المدينة هي الموضع الذي يعرف اليوم باسم (الحلبية) ، ويقابله في الضفة الثانية من النهر موضع آخر يسمى (الزلبية) . وهو يعارض رأي من يدعى أن (الزلبية) هي المدينة التي ينتها الرّباء . وينسب بناء موضع (حلية) (الحلبية) إلى (الرّباء) كذلك^١ . ويرى بعض الباحثين احتمال كون (الحلبية) القصر الثاني الذي نسب بنائه إلى الرّباء ، وذكر في الروايات العربية . وذهب بعض آخر إلى أن (زنوية) هي مدينة (البجة) الحالية^٢ .

ويرى (موسل) أن (الحلبية) هي (دور كرباتي) (Dur Karpati) (Nibarti Aschur) التي بنيت بأمر (آشور نصربال الثالث) (Asurnazirpal) عام (٨٧٧) قبل الميلاد ، وأنها عرفت بـ (زنوية) ثم (الرّباء) فيما بعد^٣ . ويعزو (سبتيان رترفال) سبب بناء مدينة (زنوية) إلى عزم الملكة على اذلال مدينة (فولوغيسية) (Vologasias) (Vologasias) المعروفة في الكتابات التدمرية باسم (أليسيا) (Ologesta) (ألياشيا) ، وهي في نظر بعض الباحثين (الكفل) على نهر الفرات في لواء الحلة بالعراق ، بناها (فلوجاس) (فلوكاس) من ملوك (الأرشكين) (بنو أرشك) حوالي سنة (٦٠) للميلاد . وذلك لاستغلال التجارات الواردة عن طريق نهر الفرات من أقاصي الهند والشام وآسية الصغرى^٤ . قرأت (الرّباء) منافسة هذه المدينة ببناء مدينة جديدة تقع في منطقة تقودها على نهر الفرات .

- ١ المشرق ، السنة الأولى ، الجزء ٢٠ ، السنة ١٨٩٨ م ، (ص ٩٢٠) .
Friedrich Sarre und Ernst Herzfeld, Archäologische Reise im Euphrat und Tigris-Gebiet, Berlin, 1911, I, S. 167, II, 345.
- ٢ المشرق ، السنة الأولى ، (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) .
Sarre — Herzfeld, Archäologische, I, S. 164.
- ٣ Musil, Euphrates, P. 331, Rawlinson, Cuneiform Inscriptions, (1861-1884), Vol. I, Pl. 24, Col. 3, II, 49. Hodge and King, Annals, 1902, PP. 340.
- ٤ المشرق ، السنة الأولى (١٨٩٨ م) ، (ص ٤٩٥ ، ٩٢٠) ، سماها (الأب رترفال) (الكفل) .
Rostovtzeff, Melange Glor. 749, Seyrig, Syria, XIII, 1932, P. 272.

وكانت قوافل (تدمر) تتاجر مع هذه المدينة العراقية (أبلخاشيا) ، تحمل إليها بضائع الشام وسواحل البحر المتوسط ، وتنقل منها إلى (تدمر) بضائع الهند وإيران والخليج والعراق . يقود هذه القوافل زعماء شجعان خبروا الطرق وعرفوها معرفة جيدة ، ولهم في المدينة مقام محترم . وطالما عمل لهم رجال القافلة والمساهمون في أموالها ، النبال ، تقدبراً لهم وتخليداً لأسمائهم وكتبوا شكرهم لهم على الحجارة ، ولدينا نماذج عديدة منها . من ذلك كتابة دوتها رجال قافلة لرعيهم وقالهم (بوليوس أورليوس زيد بن مقيمو بن زيبدا عشتور ييدا) ، لأنه أحسن اليهم حين قاد قافلتهم وأوصلها سالمة إلى (أبلخاشيا) في العراق . وكتابة أخرى دوتها جماعة قافلة تولى قيادتها زعيم اسمه (نسي بن حالا) مناسبة توفيقه في حياتهم وحماية أموالهم في أثناء ذهابهم وعودتهم إلى (القرات) وإلى (ألبجيا) (Ologesta) وقد صنوا لذلك تمثالاً له في شهر (نيسان) من سنة (١٤٢) للميلاد تخليداً لاسمه^١ .

وقد استولى (خسرو) الأول في حوالي سنة (٥٤٠) بعد الميلاد على (زنوبية) فدمرها . فلما استرجعها (يوستنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، أعاد بناء ما تهدم منها . وقد عثر على بقايا الباني التي تعود إلى أيامه ، وبعضها من عمل معماريه (يوحنا البيزنطي) و (أزيذوروس الملقب) (Isidoros Miletus) حفيد البناء البيزنطي الشهير (أيا صوفيا) (Hagia Sophia) كلفها القيصر إنشاء تلك العمارات^٢ . غير أن إصلاحات هذا القيصر لم تضاف إلى حياة المدينة عمراً طويلاً ، لقد كانت نوعاً من أنواع الحقن المثوية ، تفوِّم الجسم إلى حين ولكنها لا تمنحه الأبدية . ففي سنة (٦١٠) للميلاد . وفي أيام القيصر (فوكاس) (Phokas) هاجمها (خسرو) الثاني وأزل فيها الخراب والدمار^٣ . فقد عبر (شهربراز) (Shahrvaraz) نهر القرات في اليوم السادس من شهر (أغسطس) من عام (٦١٠) للميلاد ، واستولى على مدينة (زنوبية) (Zenobia)^٤ . وأخذ يجمعها منذ ذلك الحين في الأقول ، فلم يسمع

REP. EPIG., I, VI, P. 342.

Barre-Hersfeld, Archäologische reise, I, 8., 167, II, 8., 385.

Land, Anecdota Syriaca, I, 16. المصدر نفسه .

Musil, Euphrates, P. 332.

عنها شيء ، حتى أنها لم تذكر في أخبار الفتوح ، وبدل هذا على أنها لم تكن شيئاً يذكر في ذلك الحين^١ .

وبعدنا المؤرخ (بروكوبيوس) أن الأيام أثرت في مدينة (زنوبية) (Zenobia) مدينة (الزياء) ، فأثرت فيها الخراب ، وتركها أهلها ، فانهز القرمس هذه الفرصة ودخلوها وتمكنوا بذلك من الولوج في الأرضين الخاضعة للروم دون أن يشعر الروم بذلك ، ولذلك أعاد (يوسطنيانوس) بناء هذه المدينة وأحكم حصونها وجدد قلاعها وأنزل الناس فيها ، وأسكن فيها حامية قوية جعلها تحت إمرة قائد ، وأقام لها سدوداً من الحجارة لحمايتها من فيضان القرات ، وقد كانت مياه الفيضان تصل إليها فتلحق بها أضراراً جسيمة^٢ .

وذكر المؤرخ (بروكوبيوس) أن القرمس والروم اجتوا قلاعاً بنيت جدرانها باللين لحماية كورة (قوماجين) (Commagene) وهي الكورة التي كانت تعرف قديماً باسم (كورة القرات) (Euphratesia) ، وحماية حدود الإمبراطورية الفارسية الواسعة المشرقة على البادية من الغزو أيضاً . ومن جملة هذه الحصون ثلاثة حصون أمر القيصر (ديوقليتيانوس) (Diocletianus) ببنائها ، منها حصن (Mabri) (Mambri) الذي أصلحه القيصر (يوسطنيانوس) (جستنيانوس) (Justinianus) ورممه . ويقع على مسافة خمسة أميال رومية من (زنوبية) (Zenobia) . و (Mambri) ، هو خرائب (شيخ مبارك) على مسافة سبعة كيلومترات من (الخليية)^٣ .

ولم يبق من آثار عهد (تدمر) في (الخليية) إلا مقابر خارج أسوار المدينة . وهي على هيئة أبراج تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق وأهرام بنيت على الطريقة التدمرية في بناء القبور ، غير أنها دونها كثيراً في الصنعة وفي الفن . وتشاهد بقايا قبور مشابهة لهذه القبور في المدن الواقعة في منطقة القرات الأوسط ، أي المنطقة التي خضعت لغزو حكومة (تدمر)^٤ .

Land. Anecdota Syriaca, I, 16, Barre-Hersfeld, Arch., I, B, 167, II, B, 365.

Procopius, De Bello Persico, II, 5, 4-7, Musil, Euphrates, P. 332.

Musil, Euphrates, P. 332. Procopius, De Aedificis, II, 8, 4-8.

Barre-Hersfeld, Arch., II, B, 367.

ويلاحظ انتشار هذا النوع من القبور في المناطق التي سكنها العرب في أطراف الشام والعراق في العهد البيزنطي ، خاصة في (تدمر) وفي (حصص) و (الرها) (Edessa) وفي (الحضر) كذلك^١ . بل وفي (بطرا) أيضاً حيث نجد شياً كبيراً في أشكال القبور المنحوتة من الصخر على هيئة أبراج ذات رؤوس تشبه الحرم في بعض الأحيان . ولانتشار هذا النوع من القبور في مناطق سكنتها أغلبية من العرب المتحضرين ، نستطيع أن نقول أنها تعكس خاص من أنماط بناء القبور كان خاصاً بالعرب المتحضرين^٢ .

وذكر (بطليموس) أسماء عدد من المواضع جعلها في عداد أماكن (كورة تدمر) (Palmyrena)^٣ . وهي : (Resapha) و (Cholle) و (Oriza) و (Putea) و (Adaba) و (Palmyra) و (Adacha) و (Danaba) و (Goaria) و (Aueria) و (Casama) و (Admana) و (Atera) و (Alalis) و (Sura) و (Alamatha) ، وتقع هذه المواضع الثلاثة الأخيرة على نهر الفرات^٤ . أما (Palmyra) ، فهي (تدمر) العاصمة . وأما (Resapha) ، فهي (الرصافة) وهي مدينة قديمة ورد خبرها في النصوص السريانية فذكرت فيها بـ (Ra-sap-pa) ومن ذلك نص يعود إلى سنة (٨٤٠) قبل الميلاد . وقد اشتهرت بوجود ضريح القديس (سرجيوس) (St. Sergius) بها ، المقدس عند النساطرة^٥ . وأما (Cholle) ، فهي (الحولة) (الحلة) . وأما (Oriza) ، فهي (العلية) ، وتقع هذه المواضع على السكة الرومانية الممتدة من الفرات إلى (تدمر)^٦ . ويرى (موسل) أن (Putea) ، هو (Berlarac) ، وهو موضع (بيار جحار) ، ويقع على السكة الرومانية المارة من (تدمر) إلى موضع (Occaraba)^٧ .

-
- | | |
|--|---|
| Barre-Hersfeld, Arch., II, S. 367, W. Andras, Hatra, II, S. 76-106. | ١ |
| Barre-Hersfeld, Arch., II, S. 367, Elssfeldt, Tempel und Kulte Syrischer Städte in Hellenistisch-Römischer Zeit, 1961. | ٢ |
| Ptolemy, Geography, V, 14 : 19. | ٣ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٤ |
| Winckler, Keilinschriftliches Textbuch, 1909, S. 75, Musil, Palmyrena, P. 262. | ٥ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٦ |
| Musil, Palmyrena, P. 233. | ٧ |

أما المستشرقان (ميلر) (Müller)^١ و (موريس) (Moritz)^٢ ، فقد ذهبوا إلى أنه (أبو القوارس) الواقع على مسافة سبعة كيلومترات في غرب جنوب غربي تدمر . وذهب (موريس) أيضاً إلى احتمال كونه (القطار) ، وهو على مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من (تدمر)^٣ .

أما موضع (Adada) ، فكان حصناً رومانياً كذلك ، يعرف في الزمن الحاضر بـ (الحبر) ، ويقع على أربعة عشر كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من (الطيبة) (Oriza) ، وعند الحافات الغربية لمواقع (Adidi) ، وهو اسم قريب من (Adaba)^٤ وقد ذهب (ميلر) إلى أنه الموضع المسمى بـ (خربة العاشقة) (خربة العاشقة) الواقع على الحافات الشمالية لغصبة تدمر^٥ .

ويرى (موسل) أن في كلمة (Adacha) بعض التحريف ، وأن الأصل الصحيح هو (Archa) و (Harac) ، وهو (أرك) (رك) الواقع على طريق تدمر وفي الشمال الشرقي من المدينة^٦ .

وأما (Danaba) ، فيقع على طريق (دمشق) (تدمر) ، وهو موضع خرائب (البصري) على رأي (موسل)^٧ .

وأشار اللورخ (اصطيفاتوس البيزنطي) إلى (Goaria) كذلك ، ذكرها على هذا الشكل (Goareia)^٨ . ويظهر أن هذه المدينة كان لها شأن في تلك الأيام ، واذ أطلق اسمها على منطقة واسعة دعت باسم (Goarene) ، ويظن أنها (البخرام) وهي في زمتنا خرائب تقع على ستة وعشرين كيلومتراً إلى الجنوب من (تدمر) . وقد عرفت بـ (Goareia) عند بني إرم (الآراميين)^٩ . وذهب (ميلر) و (بينزنجر) (Benzinger) إلى أن (Goaria) هو الموضع المسمى بـ (Cehere)

Müller, Ptolemy, Geography, P. 983. ١

Moritz, Palmyrena (1886), B., 2. ٢

Musil, Palmyrena, P. 233. ٣

Musil, Palmyrena, P. 233. ٤

Müller, Ptolemy, Geography, P. 984. ٥

Musil Palmyrena, P. 234. ٦

Musil Palmyrena, P. 234. ٧

Stephen of Byzantium, Ethnoca, P. 210. ٨

Musil, Palmyrena, P. 234. ٩

على الخارطة الرومانية لأيام الإمبراطورية^١ . وهو رأي يعارضه (موسل) ، ويرى أن (Cehere) هو المكان المسمى بـ (خان عتيبة) الواقع على مسافة تزيد على مئة كيلومتر في جنوب غرب (البخراء)^٢ .

ويظهر أن (Aueria) (Aueira) (Aberia) ، هو موضع (Eumari) (Euhara) (Euarica) في مؤلفات أخرى ، وهو موضع (الحواريين)^٣ .
وأما (Casama) ، فهو على طريق دمشق المؤدي إلى تدمر ، وهو خرائب خان (المنقورة) على رأي (موسل)^٤ . وأما (Odmana) (Admana) (Ogmaria) ، فهو موضع (Ad-Amana) في الخارطات الرومانية للإمبراطورية على ما يظهر ، وهو موضع (خان التراب) على رأي (موسل) كذلك^٥ .
وأما (Atera) ، فالظاهر أنه موضع (Adarin) على الخارطة الرومانية ، وهو موضع (خان الشامات) (أبو الشامات) (خان أبو الشامات) على رأي (موسل) . أما (ميلر) فيرى أنه موضع (دير عطية)^٦ ، وهو رأي لا يقره (موسل) عليه^٧ .

وموضع (Sura) هو (سورية) على رأي (موسل) . وأما (Alaläs) فيقع في غرب (Sura) عند (بطليموس) . ويظن (موسل) أنه يقع بين موضعي (Sura) و (Alamatha) في مقابل (طابوس)^٨ .

عالة :

ذكرت أن التدمريين كانوا قد وضعوا حاميات لهم في مدينة (Anatha) ، أي (عالة)^٩ . وهي لا تزال موضعاً معروفاً حياً على نهر الفرات في العراق .

- | | |
|---|---|
| Müller, Ptolemy, Geography, P. 984, Müller, Palmyrena, S., 22, Pauly-Wissowa, Real-Lex., Bd., 7, 1547, Peutingeriana Tabula Itineraria, Wien, 1888. | ١ |
| Musil, Palmyrena, P. 234. | ٢ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٣ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٤ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٥ |
| Müller, Ptolemy, Geography, P. 985. | ٦ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٧ |
| Musil, Palmyrena, P. 235. | ٨ |
| Berytus, Vol., VIII, Fasc. I, (1943), P., 25, 55, CIB, II, 3973, A. Cantineau Syria, XIV, 1933, PP. 179, Musil, Palmyrena, P. 234. | ٩ |

وعرفت (عانة) بـ (Anat) و (An-at) و (A-na-at) و (A-Na-Ti) في الكتابات المسبارية. وعرف موضعها بـ (خا-نا) (H-na) و (خا-نا-ت) (Ha-na-at) في النصوص البابلية القديمة. وقد تكونت مملكة صغيرة بهذا الاسم امتدت رقعتها إلى الحايير، وعرفت المدينة بـ (Anatha) في مؤلفات (الكلاسيكيين)^١.

ويشك المستشرق (أدور ماير) (Eduard Meyer) في وجود صلة بين اسم الإلهة (Ana-tu) (Anat)، واسم مدينة (An-at)، أي (عانة)^٢.

ومركز (عانة) الجزر الواقعة في النهر، وهي خصيبة، وفي مأمن من غارات الأعراب. وقد تمكن أصحابها بفضل موقعهم هذا من التحكم في القبائل المجاورة لها ومن أخذ الجزية منها. ولهذا السبب استعمل الآشوريون في الغالب رجالاتها من أهلها لحكم منطقة (سوشي) (Suhl). وفيها كان يقم (ابلواني) (Ilu Ibni) حاكم (سوشي) الذي دفع الجزية إلى الملك (توكلي أورنا الثاني) (Tukulti Enurta) (٨٨٩ - ٨٨٤) قبل الميلاد^٣.

وقد ذكر اسم (عانة) و (الخيرة) في الكتابة المرققة برقم (Littmann 6)^٤. ويرجع تاريخها إلى شهر أيلول من سنة (٤٤٣) من التاريخ السلوقي، أي شهر (سبتمبر) من سنة (١٣٢) للميلاد، وورد فيها اسم الإلهة (شيع القوم) حامي القوافل والتجارات. ويظهر أن المراد بـ (خيرتا) الخيرة الشهيرة في العراق^٥. فإذا كان ذلك صحيحاً، دل على أن نفوذ تلمع قد بلغ هذا المكان، وأن القصص الذي يرويه الأخباريون عن ملوك الخيرة والرياء أصلاً تطور على مرور الأيام

Barre-Hersfeld, Arch., II, S. 313, Ency., I, P. 344-345, G. Bell, in Geogr. Journ., XXXVI, P. 535, ZDMG., IXI, 701, Pauly-Wissowa, Real-Lex., I, S. 2069, I, II, S. 304.

Eduard Meyer, in ZDMG., 31, 1877, S. 714.

Musi, Euphrates, P. 345, Sbell, Annales, PL. 3, (1906), II, 69-73.

CBS, II, III, I, P. 156, 3973, Lidabarski, Ephemeris für Semi Epigr., I, S. 345-346, REP. EPGR., 285, G. A. Cooke, NBI, NO : 149, Littmann, in Part IV, of the Publications of an American Archaeological Expedition to Syria in 1899-1900, Palmyrene Inscriptions, NO : 6, P. 78, Syria, Tome IV, 1923, P. 156, Hartwig Derenbourg, un des Nabatéens, 1902, PP. 134, REP.

EPIG. 285, I, IV, PP. 230.

CBS, II, III, I, P. 151.

والموارد المتقدمة، تاريخ العرب قبل الإسلام (٨١/٣).

فشكلت منه قصة (جذيمة) والزباء .

وصاحب هذه الكتابة رجل اسمه (عيلدو بن الحانو بن سعدلات) ، من قبيلة (روجو) أي (روح) ، وكان فارساً في حامية مدينة (عنا) وهي (عانة) . وقد دون كتابه هذه بمناسبة تقديمه مذبحة إلى الإله (شيع القوم) الذي لا يشرب خمرأ ، وهو حامي القوافل . ويلاحظ أن أكثر الكتابات تذكر جملة (الذي لا يشرب خمرأ) بعد اسم هذا الإله . وهي تعني أن هذا الإله كان يشرب الخمر ولا يحبها ، فعلى أتباعه تجنبها . ويظهر أن طائفة من الناس حرمت عليها الخمرة ، ودعت إلى مقاطعتها ، واتخذت (شيع القوم) حامياً لها . وهي على نقيض عباد الإله (دسره) (دشرة) (Dussares) أي (ذو الشرى) الذين كانوا يتقربون إلى إلههم هذا بشرب الخمر^١ .

ولا نعرف متى استول الرومان عليها . ولم يرد ذكرها في قائمة (ماريوس مكسيموس (Marius Maximus) التي عثر عليها في (Dura) والتي يعود تاريخها إلى سنة (٢١١) للميلاد في ضمن المخطوط الرومانية التي كانت في المناطق الوسطى لنهر الفرات . ويظهر منها أن (عانة) (Anath) كانت في ذلك الوقت في أيدي (الفرت) (Parthians) ، وأن الرومان دخلوها بعد ذلك . قد يكون في أثناء حملة (اسکندر سويرس) (Alexander Severus) كما ذهب (روستوفتسزف) (Michael Rostovtzeff) إلى ذلك ، أو في أيدي (غورديانوس) (Gordianus) كما ذهب (أولستيد) (A. T. Olmstead) إلى ذلك^٢ .

وقد ذكر (عانة) (Anatha) المؤرخ (أريان) في أثناء حديثه عن أسطول (تراجان) الذي مر بها . وورد اسمها (Anath) في خبر (معين) (Ma'ain) أحد قواد الملك (سابور الثاني) (٣٠٩ - ٣٧٩ م) ، وكان قد اعتنق النصرانية وبنى جملة ديارات ، ونصب القس على (سنجار) (شجار) (Schlaggar) ، ثم لم يكتف بذلك ، فذهب إلى (عانة) ، فبنى على شاطئ الفرات وعلى مسافة ميلين منها ديراً استقر فيه سبع سنوات^٣ .

CBS. II. 132, Lidzbarski, Ephemeris, I, III, 1902, S. 345, NKP. EPIG.,

I. IV, P. 232, Syria, Tome, IV, 1923, P. 154.

Berytus, VIII, Fasc., I, 1943, P. 25.

Musil, Palmyrena, P. 345.

وفي سنة (٣٦٣) للميلاد حاصرها الروم ، وألحقوا بها أضراراً كبيرة . وأجلوا السكان عنها . ولما أرسل (فاراموس) (Varamus) (Varafous) في عام (٥٩١) للميلاد قوة على (عانة) (لثاوشة) (كسرى) (Chosroes) وصدة عن الرجوع إلى فارس ، قتل الجنود قائلهم ، وانضموا إلى (كسرى) . وفي القرن السابع للميلاد ، كان مقر أسقف قبيلة (الثعلبية) في هذه المدينة .

الفصل السادس والثلاثون

الصفويون

والى هذا العهد تجب اضافة قوم من العرب أطلق المشرقون عليهم لفظة (الصفويين) ، نسبة الى أرض (الصفاة)^١ . وهم أعراب ورعاة كانوا ينتقلون من مكان الى آخر طلباً للماء والكلأ . وقد دونوا خواطرهم أحياناً على الأحجار ، وتركوها في مواضعها ، ومنها استلطنا الإلمام ببعض الشيء بأحوالهم وأخبارهم . وقوم تنشر الكتابة بينهم على هذا النحو ، لا يمكن أن نتصورهم أعراباً على النحو المقهوم من الأعرابية ، بل لا بد أن نتصور أنهم كانوا على شيء من الثقافة والإدراك .

وإذا سألتني عن سبب اختيار المشرقين لهذه التسمية وإطلاقها على أصحاب هذه الكتابات ، فإني أقول لك : أنهم أدخلوها من اسم أرض بركانية عرفت بالصفا وبالصفاة ، تغطي قشرتها الخارجية حتى اليوم صخور سود تقول لك أنها خرجت الى هذا المكان من باطن الأرض ، وان براكين ثائرة مزججة غاضبة كانت قد قلقت بها الى ظهر الأرض فاستقرت في أمكنتها هذه ، ومن يلدي ؟ فلعلها أصابت أقواماً كانت تعيش في هذه المواضع أو مارة بها فأهلكتها . وهي تسمية

١ E. Littmann, Thamud und Safa. In Abhandlung für die Kunde des Morgenlandes, (1940), 25. I. M. Hofner, Die Beduinen in den Vorislamischen Arabischen Inschriften, in L'antien Societa Beduina, (Studi Semitici 2), 1949, 53.

قديمه تعود الى ما قبل الاسلام ، بدليل انها وردت في نص يوناني على هذه الصورة : (Safathene)^١ وورود اسم إله عسرف بـ (زيوس الصفوي) (Zeus Safathenos) ، أي نسبة الى هذه الأرض^٢ .

أما (الصفوية) ، فتسمية ليست بتسمية عربية قديمة ، وليست علماً على قوم معينين أو على قبيلة معينة ، وإنما هي تسمية حديثة أطلقها المستشرقون على قبائل عديدة كانت تنتقل من مكان الى مكان طلباً للماء والكلأ ، لرعي ماشيتها التي تكون ثروتها ورأس مالها ، تراها يوماً في أرض التبت ، ويوماً آخر في بلاد الشام حيث كان الرومان ثم البيزنطيون يسيطرون . فنحن في هذا الموضع لسنا أمام مملكة أو حكومة مدنية ، بل أمام قبائل عديدة حرفتها الرعي والغزو وكفى . ومن نسميهم بالصفويين إذن ليسوا بقبيلة واحدة ولا بنحس معين ، وإنما هم قبائل متنقلة ، كانت تنتقل في هذه الأرضين الواسعة ، في لزمنة مختلفة متباينة . ويعود الفضل الى الكتابات التي عثر الباحثون عليها في إعطائنا فكرة عن تلك القبائل المتنقلة ، وفي حصولنا على أسماء بعض تلك القبائل التي كان يتسبب اليها أصحاب تلك الكتابات .

وقد جمعت الكتابات الصفوية من أرضين واسعة ، تمتد من (حماه) في سورية الى نهر الفرات في العراق في الشرق ، وإلى فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية فأعالي الحجاز ، وكلها كتابات شخصية في موضوعات متعددة ، ليس بينها وثائق تتعرض للمسائل العامة مثل القوانين والحروب بين الدول بتفصيل وتبسط ، ذلك لأن الكتابات الصفوية هي كما قلت كتابات أفراد كتبوها تعبيراً عن أمور شخصية لا غير ، ومثل هذه الكتابات لا تتعرض لما يبحث عنه المؤرخ الا بقدر ، وهو قدر لا يقدم في الغالب للمؤرخ ما يبحث عنه ، ولهذا انحصرت فوائدها في مسائل

١ - العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ٢٧) .

٢ - العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٦٢) .

G. Hyckmans, Inscriptions Safaitiques, Extrait Du Museon, tome. 1-2. Louvain, 1951, Handbuch, S. 46, Ditlef Nielsen, Über die Nordarabischen Gotter, in Mitteil. der Vorderas. Gesellach., Bd. 21, 1916, E. Littmann, Safaitic Inscriptions, Leiden, 1943, Annual Department of Antiquities of Jordan, Vol. I, 1951, P. 17.

وكذلك الاعداد التالية لهذه المجلة التي تصدرها مديرية الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية .

أخرى ، في مثل الدراسات اللغوية والدينية وتطور الخطوط ودراسة أسماء الأشخاص والقبائل وما شاكل ذلك .

وانتشار هذه الكتابات وتأثيرها في أرضين صحراوية ، أمر يلفت النظر ويدعو الى العجب من أمر الأعراب في ذلك العهد الذين كانوا يقرأون ويكتبون مع أنهم أبناء بادية ، وقد عاشوا قبل الإسلام بزمان طويل ، ثم إن خطها يلفت اليه النظر أيضاً ، فهو خط عربي ، ولد من الأم التي نسلت الخط العربي الجنوبي ، وهو قريب من الخط الثمودي والخط النحلي ، ويعني هذا أن العرب كانوا يكتبون قبل الميلاد بخط أود أن أسميه بالقلم العربي الأول ، أو القلم العربي القديم منه تفرعت الأقلام العربية المتنوعة فيما بعد ، فوجد ما نسميه بالقلم المسند وبالأقلام العربية الشمالية ، وذلك لظروف كثيرة لا مجال للكلام عليها في هذا المكان . وهو يدل على أن الصفويين وأمثالهم من الأعراب لم يتأثروا بالثقافة الإرمية مع قريب منها واتصلهم بها ، وطغياها على الثقافات الأخرى في العراق وفي بلاد الشام ، فبقوا مخلصين لقلمهم القديم ، فكتبوا به ، ولم يستعملوا قلم بني لدم كما فصل (أهل المدر) القبعين في مدن العراق والشام وقراها . وكتبوا بلهجاتهم أيضاً ولم يكتبوا بلغة بني لدم كما فعل غيرهم من العرب المختصر .

وقد رأى (دوسو) (Dussaud) أن الصفويين كانوا يحاكون الجنود الرومان واليونان في تسجيلهم خواطرهم وذكرياتهم على الحجارة ، فقد وجد الباحثون أحجاراً دون عليها أولئك الجنود في أثناء أدائهم واجباتهم العسكرية في بلاد الشام وعلى الطريق الرومانية ذكرياتهم وخواطرهم ونزولهم في تلك الأمكنة . ولكن وجود كتابات صفوية عديدة من القرن الأول قبل الميلاد يثبت ان الصفويين كانوا يدونون خواطرهم بهذا الأسلوب ، وذلك قبل شروع أولئك الجنود الرومان واليونان في تدوين خواطرهم على هذا الأسلوب ، وانهم كانوا يدونون خواطرهم هذه على الأحجار وبهذا الشكل لأن هذه الحجارة كانت هي ورق كتابة أهل البادية ، فكتبوا عليها كما يكتب أهل الحضر على الرق والخشب والورق وغيرها من وسائل الكتابة^١ .

ويرجع علماء الصفويات عمر أقدم الكتابات الصفوية الى القرن الأول قبل الميلاد.

أما آخر ما عثر عليه من كتابات ، فيرجع الى القرن الثالث بعد الميلاد ، على رأيهم أيضاً^١ . فما عثر عليه من الكتابات الصغرية ، هو من عهد تبلغ مدته زهاء أربعة قرون .

وقد أرخت بعض هذه الكتابات بحوادث محلية عرفت عند أصحابها ، الا انها مجهولة لدينا ، لذلك لم نستطع الاستفادة منها في تكوين رأي في زمن كتابتها . فقد أرخ بعضها بسنة وفاة قريب لصاحب الكتابة ، أو بوقت نزوله في المكان الذي كتب به الكتابة ، أو بوقت هجرته من الرومان أو بعد كذا من الأيام أو من السنين من رؤية قريب له أو وفاته ، ومثل هذه الحوادث ، لا تفيد المتأخرين شيئاً ، ولا تساعدهم في تثبيت زمن تدوينها بوجه صحيح مضبوط . وأرخ بعضها بحوادث أهم ، الا انها ذكرت بأسلوب قوَّت علينا معرفة زمان وقوع الحادث بوجه مضبوط ، فقد أرخت كتابة منها بـ (سنت نرز اليهود) ، أي (سنة انحصام مع اليهود)^٢ . وهي سنة كان يعرفها صاحب الكتابة وأصحابه . أما نحن فلا نعلم من أمرها شيئاً ، فقد غاصم العرب اليهود كثيراً في تاريخهم . غاية خصومة من تلك الخصومات قصد صاحب الكتابة . فلذا كان قد قصد ثورة العرب أهل اللجة (Trachonitis) على (هيرود الكبير) الملك المكابي ، فهذه الثورة يجب أن تكون قد وقعت فيما بين السنة (٢٣ ق. م.) والسنة (١٤ ق. م.)^٣ . أما اذا كان صاحب النص قد قصد خصاماً آخر ، فإننا لا نستطيع التكهن عنه من نصه هذا ، لما قلناه من تعدد الخصومات بين العرب واليهود .

ولرخت كتابة أخرى بزمان تمرد صاحب الكتابة على الروم ، وذلك سنة مجيء (الميدين) القرس الى (بصرى) ، (ومرد على دم سنت أنى هملى بصرى)^٤ وقصد بـ (هملى) (الماذوين) ، أي الميدين من القرس . ولما كانت الأخبار لم نشر الى اكتشاف القرس لـ (بصرى) قبل سنة (٦١٤ م) ، ظن من عالج هذه الكتابة أن صاحبها قصد استيلاء القرس عليها في ذلك الزمن ، أي في السنين الأولى من سني مبعث الرسول ، حيث غلبت القرس على الروم ، كما أشار الى

Winnett, P. I. 1

Winnett, P. 95. 2

Winnett, P. 95, Josephus, Antiq., XVI, IX. 3

P. V. Winnett, Safaitic, P. 19, 323, 343, Harding 37, T31. 4

ذلك القرآن الكريم . غير أن هذا الفريق عاد فأبدل رأيه ، لأنه وجد أن هذا الرأي لا يتسجم مع نوع الكتابة والأبحاث الأثرية التي دلت على أن الكتابة يجب أن تكون أقدم عهداً من سنة (٦١٤ م) ، ورأى لذلك أن استيلاء الفرس على (بصرى) يجب أن يكون قبل ذلك بكثير ، وقد يكون وقع في القرن الأول قبل الميلاد ، غير أننا لا نملك نصوصاً تاريخية تشير إلى وصول الفرس إلى ههنا المكان ، واستيلائهم عليه في ذلك الزمن . وهكذا نجد أن تلك الكتابة المؤرخة قد أوجدت لنا مشكلة ، لم نتمكن من حلها بسبب الغموض الوارد فيها عن سنة استيلاء الفرس على بصرى .

ومما قرأنا في الكتابات أن أصحابها (نجوا من الروم) أو فروا من الروم ، أو تمردوا على الروم وأمثال ذلك من تعابير . وقد قصدوا بالروم بلاد الشام التي كانت في أيدي الرومان ، ثم انتقلت إلى الروم ، وهم اليونان البيزنطيون . ولما كانت بلاد الشام تحت حكم المذكورين ، صبروا عنها بـ (رم) (روم) أي (الروم) (وبلاد الروم) .

لقد كان الصفويون يحكم زولهم في أطراف بلاد الشام على اتصال بالروم بل اضطروا إلى الخضوع لحكمهم والاعتراف بسيادتهم عليهم . والتوغل شمالاً وجنوباً في بلاد الشام بحثاً عن الماء والكلاء وعن القوات ، كما اضطروا إلى مراجعة قرى بلاد الشام ومدنها للاعتياد وليبيع ما عندهم من فائض من متوج أيديهم ومن حاصل حيواناتهم . وهذا مما يدفعهم إلى التخاصم أحياناً مع موقفهم الأمني الروم وحراس الحدود ورجال الجباية و (الكبارك) ، في شأن أمور الأمن ، أو أعط حقوق الحكومة منهم ، فيقبض الروم على من يقاوم منهم ، أو يتهرب من الأداء ، أو يقتل ، أو يقوم بأعمال مخالفة ، فيلقونه في السجن أو يقتلونه ، ولهذا نجد بعض الكتابات وقد سجلت حين هرب أصحابها من سجن الروم ، وعاد إلى حرية . وهربه من الروم واستنشق نسيم الحرية ، معناه اللجوء إلى البادية والاحتفاء بها حيث يصعب على الجنود الروم الوصول إليها للقبض عليهم والاقتصاص منهم . والبادية حصن أمين للأعراب .

Winnett, P. 3, 19, BASOAR, Num : 122, P. 50, Dse Araber L. B., 75, C18 5.

4448. J. Pirenne I, 212.

ويظهر من هذه النصوص أن شأن الصقويين بالروم لم يكن يختلف عن شأن سائر العرب بهم وبأمتاعهم من الدول الأجنبية مثل الفرس ، فهم مضطرون بحكم وضعهم إلى التسليم لسلطان الدول الأجنبية ما داموا ضعفاء لا يستطيعون مقاومة الأعاجم ، فإذا تغيرت الأحوال ، وظهرت مواضع ضعف في الأجني ، احتل الأعراب الفرس ، فانتقلوا عليه حتى يرضيهم أو يظهر قوته . وهكذا كان الصقويون ينتهزون الفرس ، فتي وجدوا ثغرة في سلطان الروم وموضع ضعف في حراسة حدودهم ، هاجموهم منها حتى ينالوا ما يشقون من مضم ، وقد يتقلب الحادث عليهم بالطبع ، سوء تقدير في الموقف ، وهذا ما يحدث في كل غزو أو حرب ، وهو شيء طبيعي فليس يتصور للحارب فيرجح ، وقد يتدهر فيخسر كل شيء .

ويلاحظ من الكتابات الصقوية أن أصحابها كانوا يتزعمون نزعة شديدة إلى تحليل أنفسهم وإبقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة ، فأرخوا بكل حادث كان معروفاً عندهم ، حتى يحدث ولادة ماشيتهم ، أو مقتل أحدهم ، أو فرض غرامة مالية على أحدهم ، أو سفر أحد منهم وبأمثال ذلك من حوادث صغيرة تافهة ، ولكنها مع ذلك وعلى الرغم مما يبدو عليها من سذاجة تدل على وجود نزعة قوية لديهم لتأريخ كل ما يقع عندهم وتدوينه ، ليطلع عليه غيرهم ممن يمر بالأمكن التي نزلوا بها . هذا وما زال الأعراب وأهل القرى عندنا يسجلون حوادثهم على النحو المذكور من تسجيل التواريخ .

وللطابع الشخصي الذي تحمله الكتابات الصقوية ، لم تتمكن من الاستفادة منها من الوجهة السياسية والعسكرية ، فلم نعلم فيها على اسم ملك ، لا عربي ولا أجنبي ، ولم نعلم فيها على موضوع سياسي يشير إلى الحالة السياسية التي كانت في العراق أو في بلاد الشام أو في جزيرة العرب في تلك الأيام ، ولم نتسكن أيضاً من الخروج منها بأية فكرة عن نوع الحكم الذي كان يعيش فيه الصقويون: أكانوا في حكم ملوك ، على شكلة عرب الغساسنة ؟ أم كانوا قبائل متفلة خاضعة لسلطان الروم ، حين تكون في بلاد الشام ، وحررة طليقة حين ترد البادية ؟ وقد وردت في الكتابات الصقوية أسماء قبائل ، منها : (بن) و (بر)

و (ثر) ، و (هجدل) (هكتل) ، و (جر) (كر) و (حزن)
و (حطى) ، و (حولت) (حواللة) ، و (دمسى) و (سلم) ،
و (صبح) ، و (خف) ، و (عبد) ، و (عوذ) ، و (غر) ،
و (فرث) ، و (وقر) ، و (يحرب) ، و (همضر) ، و (املكث)^١ .
ومن القبائل الصفوية : (اشلال) ، و (بكس) ، و (جمبر) ، و (جوا) ،
و (حد) ، و (حرم) ، و (حطى) (حضى) ، و (حمى) ، و (زة)
(زيد) ، و (زهر) ، و (عدل) ، و (عمرت) (عمرة) ، و (فضج) ،
و (مسكت) (ماسكة) ، و (معصى) (معيص) ، و (نمرت) (نمر)
(نمار) (نيمرة) ، و (هنو) (هنبر) (هذار)^٢ ، و (نسن) أي
(نسيان)^٣ ، و (حد) (حاد) (حيد)^٤ .

وترد لفظة (ال) قبل اسم القبيلة في كثير من الكتابات الصفوية ، وتؤدي
فيها معنى (آل) عندنا ، مثل : (ال تم) ، أي (آل تيم)^{*} ، و (ال عوذ)
بمعنى (آل عوذ)^٦ و (ال ادم) (آل آدم)^٧ ، و (ال حد) (آل حد)^٨ .
وهي بمعنى ان المذكور أو المذكورين من القبيلة المسماة، أو من العشيرة المذكورة ،
أو من البيت المسمى .

وورد (ال) بهذا المعنى في التصويص الصفوية يدل على ان لغة هذه القبائل
وهي قبائل عربية شمالية تشارك لغة القرآن الكريم في هذه الخاصة .

وقبيلة (عوذ) ورد اسمها في عدد من الكتابات الصفوية . وقد ورد في احداها
ان حرباً كانت قد نشبت بينها وبين قبيلة أخرى ، اسمها (وعل) أو (ويل)
أو (وائل)^٩ . وقد يكون لاسم هذه القبيلة صلة باسم الإله (جد عوذ) .

Winnett, P. 4.	١
Jordan, II, PP. 14.	٢
Littmann, Safa, S. 53, 55.	٣
Safa, S. 62.	٤
Annual Report of the Department of Antiquities of Jordan Vol. I, P. 26.	٥
Jordan, I, P. 27.	٦
G. Ryckmans, Inscriptions Sabaïtiques Au Britisch Museum et au Musée de Damas, Louvain, 1951, P. 88.	٧
Jordan, I, P. 24.	٨
Jordan, I, P. 27.	٩

وقد عُثر على اسم قبيلة (نعمن) ، أي (نعمان) في بعض الكتابات الصفوية التي عُثر عليها في (وادي حوران) بالعراق . ويرد (نعمان) اسماً لأشخاص ، ومنهم بعض ملوك الحيرة^١ .

وقد ورد اسم قبيلة في إحدى الكتابات التي عُثر عليها في العراق ، وهي قبيلة (آل صح) ، أي (آل صح) ، أو (آل صالح) ، أو (آل صبح) ، أو (الصالح)^٢ . وما زال اسم (الصالح) معروفاً في العراق ، وهو اسم عشيرة قد يكون له صلة بهذه التسمية القديمة .

وقد أفادتنا هذه الكتابات من الناحية الجغرافية ، إذ قدمت إلينا أسماء مواضع عديدة لا يزال بعضها يسمى بالأسماء الواردة في تلك الكتابات . وقد يمكن في المستقبل دراسة الأسماء الأخرى لتثبيت مواضعها وتعيينها على مصورات الأرض (الخارطات) .

ومن المواضع التي ورد اسمها في الكتابات الصفوية ، موضع (رجب) ، وهو (الرجة) . وقد ورد في نص سجله رجل اسمه (حنّ بن هتق) ، (حنان ابن العاتق) ، أو (حنين بن العاتق) ، أو (حنّ بن العاتق) ، وذكر أنه (بن آل - رجب) ، أي (من الرجة) ، أو (من آل رجة) ، وأنه كتب كتابه هذه في السنة التي دار فيها قتال مع قبيلة (آل حمد) (الحمد) أو (آل حمد)^٣ . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن (الرجة) هو اسم موضع . كما أن (الحمد) هو اسم موضع كذلك ، وإن الذين نزلوا في هلمين المكائين وفي أمكنة أخرى نسبوا أنفسهم إليها فقالوا : (آل رجة) و (آل حمد) ، وذلك على نحو ما نجده في عربتنا من ذكر (آل) في الانتساب ، وإن هذا معناه أن أولئك الأعراب الذين نزلوا في الموضعين انتسبوا إلى المكائين ، فاستعملوا لذلك لفظة (آل) ، أي (آل) ، قبل الموضع ، فظهر الاسم (آل رجب) (آل رجة) وكأنه اسم قبيلة^٤ .

١ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، ١٩٦٤ . الجزء الأول والثاني (ص ٢٧) من القسم الانكليزي .

٢ مجلة سومر ، المجلد العشرون ، السنة ١٩٦٤ . الجزء الأول والثاني (ص ٢٧ ، ١٨) من القسم الانكليزي .

٣ العرب في سوريا قبل الاسلام (ص ١٠٥) .

٤ العرب في سوريا (ص ١٠٥ وما بعدها) .

ولمفنا المظهر من التسميات والانساب شأن كبير في موضوع دراسة أنساب القبائل ، إذ فيه برهان ودليل على أن الإقامة في موضع تكون سبباً للانساب إليه ، ثم لتحويل ذلك النسب إلى اسم جذ ، وأن ما يرويه أهل الأخبار في هذا الباب مثل انساب الفساسة إلى (غسان) ، وأن (غسان) اسم موضع ماء نزلوا عليه ، قد صوّوا به ، يجب أن ينظر إليه نظرة اعتبار ، لا رفض وازدراء . وفي أسماء القبائل العربية المدونة في كتاب الأنساب والأدب ، أو الواردة في الكتابات الجاهلية أمثلة عديدة من هذا القبيل .

ومن الأماكن التي ورد ذكرها في النصوص الصفوية : (بصري) وقد ذكرت على هذه الصورة (بصري) ، و (هنمرث) ، (الثمرث) ، أي (التارة) ، و (هشكي) أي (الشكي)^١ و (حجر)^٢ .

و (حجر) موضع قد يراد به (الحجر) المعروف في عربيتنا ، وهو (Hegra) و (Hegrae) عند اليونان واللاتين ، و (حجرا) و (حجرو) عند النبط^٣ .

وورد اسم مدينة (نيا) أي (نياء) في الكتابات الصفوية كذلك ، كالذي ورد في نص دونه رجل اسمه (نخل - ال بن شيب) أي (نخليل - ايل ابن شيب) ، وقد تذكر فيه رجلاً اسمه (أبرش) ، وهو من أهل (نياء)^٤ .

ولم يكن الصفويون كما يبدو بوضوح من كتاباتهم ومن صور الحيوانات التي نقشوها على الأحجار أعراباً محنين في الأعراية عسل نحو عرب البوادي البعيدين في البادية ، حيث يقضون حياتهم فيها ، فلا يختلطون بالحضر ، ولا يمتزجون بالحضارة ، وإنما كانوا أشباه أعراب وأشياء حضر ، وربما كان تعبير (رعاة) غير تعبير يمكن إطلاقه عليهم ليميزهم عن غيرهم . فقد كان الصفويون أصحاب ماشية ، لهم ايل ، يعيشون عليها ، ويتاجرون بها ، ولهم خيل يركبونها ، والخيل كما هو معروف لا تستطيع الحياة في البوادي القاحلة العميقة والرمال القليلة المياه ،

١ العرب في سوريا (١٠٦) .

Jordan, II, P. 48.

Jordan, II, P. 48.

Enno Littmann, Zur Entzifferung der Saka — Inschriften, Leipzig, 1901.

B, 51.

ولهم المزر والغنم والحمل والبقر، وهي من الحيوانات التي تحتاج الى رعي ومراعي^١. ولذلك يجب أن يكون أصحابها من طبقة الرعاة . وقد كانت حياتهم حياة رعي، نجدهم في الشتاء في مكان ، ثم نجدهم في الصيف في مواضع أخرى قريبة من الجبال حيث يكون الجو لطيفاً والمياه كثيرة ، ليكون في استطاعتهم الابتعاد من حر الحار ومن شحوم الأرض القاحلة في الصيف ، ولتستمتع ماشيتهم بجو لطيف فيه ما يفرها من خطرة نضرة ومن ماء عذب زلال .

ان في بعض هذه الكتابات تعبيراً عميقاً عن ذكاء القطري يعبر عن طراز حياة الصغريين ، فكتابة مثل : (ورعى همعز وولد شهى) ، ومعناها : (ورعت المزر وولدت الشياه) ، أو (ورعى بقر هنخل) ، أي (ورعت البقر في هذا الوادي) ، أو (وقف على قبر فلان وحزن) ، هي تعابير، وإن بدت ساذجة مقتضبة لا يكتبها حضري ، غير أنها تمثل في الواقع ذكاءً فطرياً عميقاً ، ونوعاً من التعبير عن حس أهل البادية أو أهل الرعي ، وهو حس مرهف فيه بساطة وفيه اقتضاب لبنا من وحي الصحراء البسيطة الممتدة الى ما وراء البصر على نمط واحد ، وشكل لا تغير فيه ولا تبدل . وكتابات يكتبها أناس يحبون بعيدين عن حضارة المدن ، ويعشون بين أشعة الشمس وضوء القمر في بيوت وبر أو شمر معز لا تقي ولا تنفع الا بمقدار ، لا يمكن أن تكون الا على هذا النحو من البساطة ، ولكنها بساطة ذكي يحاول بذلك التعبير عن حياته تلك .

ونجد هذا الذكاء القطري في الصور المرسومة للحيوانات ، فقد أراد مصورها أن يعبروا عن غرائزهم الفنية بصورة محسوسة ترى ، فرسموا صور حيوانات ألغوها ورأوها ، بصورة بدائية ، ولكنها معبرة أخاذة . ورسموا بعض المناظر المؤثرة في حياتهم مثل الخروج للصيد ومعارك الصيد ، فنرى على بعض الأحجار فارساً وقد حمل رجلاً طويلاً، ونرى مشاة وقد حملوا أقواساً وتروساً صغيرة مستديرة لوقاية أجسامهم من السهام أو من الحيوان ، ونرى رجالاً يطاردون غزالاً أو حصاناً ، ونرى أناساً فرساناً ومشاةً يطاردون أسداً^٢ ، ونرى غير ذلك من صور بدائية من هذا القبيل ، مما قيل فيها ، فلأنها صور رائعة لا يمكن أن يحفرها

١ العرب في سوريا (١٠٧) .

٢ العرب في سوريا قبل الميلاد (ص ١٠٧ وما بعدها) .

فنان بأحسن من هذا الحفر ، وهو في مثل هذا المحيط ، وليست لديه من آلات الحفر غير هذه الآلات .

والصور المنقوشة على الأحجار التي تزيينا الصفوي وقد ركب حصانه معشلاً رماً طويلاً ، هي صورة المحارب الفارس عند الصفويين ، وهي في الواقع صورة الفرسان الأعراب ، سلاحهم الرئيسي الرماح ، يطعنون بها خصمهم . وما زال البدو في بعض البوادي من جزيرة العرب يحملون ذلك السلاح التقليدي القديم ، يحاربون به خصومهم في المعارك القبلية البدائية . وأما المحارب الماشي ، فإنه يحارب بالقوس ويده الرمس كما يظهر من بعض الصور ، وهو لا بد أن يكون قد استعان بأسلحة أخرى بالطبع ، مثل السيوف والقوس والحجارة وكل ما تقع يده عليه مما يصلح أن يكون مادة للقتال والرمح^١ .

إن الصور التي تمثل الناس ، وهم يطاردون الغزلان أو يفر الوحش أو الأسد أو الحمار الوحشي ، هي صور مفيدة جداً تتحدث عن وجود تلك الحيوانات في تلك الأماكن وفي تلك الأوقات ، وعن طرقهم في صيدها . وقد كانت لحوم بعض تلك الحيوانات طعاماً شهماً لمن يصطادها ولأنهم وجعاعهم ، كما أن لوجود صورة الحصان شأناً في اظهار أن الصفويين وغيرهم كانوا يعرفون الخيل في تلك الأزمنة ، وأن الحصان العربي كان موجوداً يومئذ^٢ .

وفي جملة ما عثر عليه من أسماء آلهة الصفويين اسم إله عرف به (إله هجيل) (إله هاجيل) (إله الجبل) ، وهي تسمية تدل على أن عبده كانوا من سكان جبل أو أرض مرتفعة ، ولهذا نعتوا إلههم به (إله الجبل) أو أن عبده هؤلاء قد أخذوه من أناس كانوا قد خلقوا إلههم من ارتقاع أرضهم ، وصار إلهاً من آلهة الصفويين . وهو يقابل الإله المسمى به (الاجيل) (Elagabal) وهو كناية عن الشمس ، وكان يعبد في (حصص) (Emesa) فإن لفظة (Elagabal) تعني (إله الجبل) . وقد رمز إليه به (حجر أسود) وعباد الحجر الأسود كانت معروفة عند الجاهليين . وقد كان أهل مكة يقدسون الحجر الأسود في مكة وينقرون إليه^٣ .

١ العرب في سوريا (١٠٧ وما بعدها) .

٢ العرب في سوريا (ص ١٠٨) .

٣ F. Altheim, Aus Spätantike und Christentum, 1951, 28, Die Araber, I, S. 362.

ولا ندرى من حلّ في محل الصفويين فأخذ مواطنهم ، ولم اخضت كتاباتهم بعد عهدهم هذا ؟ هل كان الذين أخذوا مكانهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون فكانت أيامهم صُمتاً بكمّاً ؟ الذين أخذوا مكانهم هم أعراب مثلهم ، كانوا أقوى منهم ، لذلك تغلبوا عليهم على وفق سنة البادية . هذا جواب لا شك فيه . ولكننا لا نستطيع تحديد هوية أولئك الأعراب وتعيين أسماء قبائلهم ، كما أننا لا نستطيع التحدث عن سبب سكوتهم وعدم ترك آثار كتابية لهم نتحدث عن أيامهم وعن قبورهم وأصدغالهم وما شاكل ذلك من أمور ال زمن مجيء الاسلام . إن المسألة ، هم آخر من نعرف أنهم كانوا في هذه الأرضين وفيما جاورها وكذلك قبائل عربية أخرى مثل لحم وكنب، ولكننا لا نعرف أنهم تركوا كتابات تتحدث عنهم .

وبين أسماء الأشخاص المدونة في النصوص الصفوية أسماء نشبه أسماء أهل مكة والعرب الشماليين شهاً كبيراً ، وبمثلنا هذا على تصور ان ثقافة الصفويين عربية شمالية . ونجد هذا التشابه في أمور ثقافية أخرى، سأحدث عنها في الأماكن المناسبة . ومن الأسماء الواردة في النصوص الصفوية : (قصيو) ، أي (قصي) . وقد ورد اسم (قصيو بن كلب) ، أي (قصي بن كلاب) في أحد النصوص . وكان من رجال الدين . وورد (قصيو بن رحو) أي (قصي بن روح) . و (قصيو بن أذينة) ، أي (قصي بن أذينة)^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان الصفويين هم مثل سائر القبائل العربية الشمالية هاجروا من جزيرة العرب الى الشمال ، فسكنوا في منطقة (الصفاء) ، غير أنهم لم يكونوا قد اندمجوا في أثناء تدوينهم كتاباتهم بالثقافة السامية الشمالية كما اندمج غيرهم مثل النبط ، بل كانوا لا يزالون محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولا سيما بالعربية الجنوبية منها موطنهم القديم . ونعتبر عن هذه الصلة بعض المصائص القوية التي ترجع على رأيهم الى أصل عربي جنوبي ، غير أنهم تأثروا بالطبع بمن اختلطوا بهم ومن تجاوروا معهم من الساميين الشماليين أو العرب الشماليين، ويظهر أثر هذا الاختلاط على رأيهم أيضاً في الأسماء والكلمات والتعابير الخاصة التي تقرأها في هذه النصوص^٢ .

١ ربه ديسو ، العرب في سوريا . (ص ١١٦)
 ٢ Handbuch, S. 48. ff., René Dussaud, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam.
 E. Littmann, Götting. Geiberte Angliger, 1908. S. 144.

قلت : إن كلمة (الصفويون) لا تعني شعباً معيناً أو قبيلة معينة ، وإنما هي اصطلاح أوجده (هاليقي) ليطلق على الكتابات التي عثر عليها في مواضع متعددة من (اللجاة) و (حوران) ومواقع أخرى ، لذلك يجب ألا يفهم أننا نقصد أناساً تركوا لنا كتابات متشابهة كتبت بقلم واحد ، ليظهر أنهم كانوا بين البداوة والحضارة فلاحين ورعاة لهم قرى ومزارع ، وربما كانت لهم تجارات أيضاً ، غير أننا لا نعرف من أمرهم شيئاً كثيراً . فقد يكونون اذن من قبيلة واحدة ، وقد يكونون جملة قبائل ، وقد تكون لهم (امارة) لا نعرف من أمرها شيئاً ، وربما لا يكون لهم ذلك . وربما كانوا أتباعاً للسلطة القائمة في بلاد الشام تتحكم فيهم بنفسها أو بواسطة أمراء أو سادات قبائل .

وقد يكون الصفويون أناساً وصلت أمماؤهم اليها ، وكتب المؤرخون عنهم ، ولكننا لا نعرف أنهم هم الذين نبحث عنهم ، لأننا أمام اصطلاح جديد مبهم ، ظهر كما قلنا في القرن التاسع عشر ، ليست له حدود واضحة ولا معالم مرسومة ، فلا نلري نحن في الواقع ما نريد ، قد يكون هؤلاء أسلاف غساسة الشام ، وقد يكونون غيرهم .

الفصل السابع والثلاثون

مملكة الحيرة

واللاخباريين واللغويين وعلماء تقويم البلدان ، آراء في أصل اسم (الحيرة) ، وبينهم في ذلك جدل على النسبة لطويل عريض ، كما هو شأنهم في أكثر أسماء المدن القديمة التي يتعد عهدها عنهم فحاروا فيها . وإيرادها هنا يخرجنا عن صلب الموضوع ، وهي أقوال لا تستند إلى تفحص جاهلية ، ولا إلى سند جاهلي محفوظ . ومن أحب الوقوف عليها ، وتعرف مذاهب القوم فيها ، فعليه بمراجعة تلك المظان^١ ، كما أن لبعض المحدثين آراء في هذا الباب^٢ .

ومعظم المشرقين ، يرون أنها كلمة من كلمات بني لادم ، وأنها (حرتا) (Harta) (Hirta) (Herta) (حيرتا) (حيرنو) السريانية الأصل ، ومعناها اللخم والعسكر وأنها تقابل في العبرانية كلمة (حاصير) (Haser)^٣ ، وإن (حيرتا) (حيرنو)

- ١ ابن الفقيه (١٨١) ، البلدان (٣٧٥/٢) ، أبو تمام ، الحماسة (٨١١) ، البيت (٢) ، ، والحيرة ٠٠٠٠ قرب الكوفة ، والنسبة حيري وحاري ، ، القاموس (١٦/٢) ، البكري ، معجم (٢٧٨/٢ وما بعدها) ، (طبعة السقا) ، المنرق ، السنة ١٩٠٨ ، (٧٧) ، (والحيرة ، بالكسر : بلد بجانب الكوفة ينزلها نصارى العباد ، والنسبة إليها حيري وحاري) ، اللسان : مادة (حير) .
- ٢ يوسف رزق الله غنيمية ، الحيرة ، المدينة والبلدة العربية ، بغداد ، سنة ١٩٣٦م ، (ص ١١) .

Ency., II, P. 314, Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, B. 12.

روستون ريمز : Rothstein

Frankel, Aram. Fremdwörter im Arabisch, XV, XVIII,

Nöldeke, Basa., B. 25.

في التواريخ السريانية تقابل (العسكر) عند المسلمين^١ وهي في معنى (الحضر) و (حاضر) و (الحاضرة) كذلك . ولعلنا زعم بعض المستشرقين ان (الحضر) اسم المكان المعروف في العراق أخذ من هذا الأصل العربي، أي من (الحضر)^٢ . وقد عرفت (الحيرة) في مؤلفات بعض المؤرخين السريان ، فعرفت بـ (الحيرة مدينة العرب)^٣ ، (حيرتا دي طليابة) ، كما عرفت بأسماء بعض ملوكها مثل (النعمان) ، فورد (حيرتو د نعمان ديث بورسوسي) ، أي : (حيرة النعمان التي في بلاد الفرس)^٤ .

ويلاحظ ان تعبير (حيرة النعمان) (حيرتا دي نعمان) ، تعبير شائع معروف في العربية كذلك . ولا بد أن يكون لاشتهار (الحيرة) باسم (النعمان) سبب حل الناس على نسبة هذه المدينة إليه .

ويرى بعض علماء التلمود أن مدينة (حواطره) (حوطرا) التي ورد في التلمود أن بانيها هو (برعدي) (بن عدى) ، هي الحيرة^٥ . وقد حدث تحريف في الاسم ، بدليل أن التلمود يذكر أنها لا تبعد كثيراً عن (نهر دعه) (Nehardea) ، وأن مؤسسها هو (برعدي) ، ويقصد به (عمرو بن عدى)^٦ . ويظن أن موضع (حرت دارجيز) (حارتا دار جيز) (حرت دارجيز) ، الوارد في التلمود ، هو (الحميرة)^٧ . وقد ورد أن (ارجيز) وهو ساحر ، هو الذي بنى تلك المدينة . ويرى بعض الباحثين احتمال وجود صلة بين هذا الساحر وبين قصة (ميتار) باني (الخورنق)^٨ . وعرفت في التلمود بـ (حيرتا

Musil, Palmyrena, P. 289, Hoffmann, in ZDMG., 32, (1878),

753, F. Altheim, Geschichte der Hunnen, I, (1909), S. 130.

Die Araber, I, S., 275, Hoffmann, in ZDMG., 32, 1878, 753, F. Altheim,

Geschichte der Hunnen, I, 1909, 130, Anm. 34, Brockelmann, Lexi,

Syriacum, 2, 1928, 228a, Die Araber, II, S. 225.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٣٢ - ٤٧)

Rothstein, S. 13, John of Ephesus, 352, 10, 12, John of Ephesus,

3, 216, Die Araber, I, S. 275, II, S. 225.

S. Funk, Die Juden in Babylonien, II, S. 154, Sabbat I, 14.

S. Funk, Die Juden, II, S. 154.

Sanhedrin 5b, Sabbat 19b, Erubin 63a.

Die Juden, II, S. 155, J. Obermeyer, Babylonien, S. 234.

دي ملييه (أيضاً ، أي (معسكر العرب) و (حيرة العرب)^١ .

وقد ذكر اسم الحيرة في تاريخ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) من مؤرخي القرن السادس الميلاد (توفي سنة ٥٨٥ م) ، فقال : (حيرتود ثيمان دبيت بور سوسي) ، أي : (حيرة الثيمان التي في بلاد الفرس)^٢ ، كما ذكرها (يشوع العمودي) (Josua Stylites)^٣ . وورد اسمها في المجمع الكنسي الذي انعقد في عام (٤١٠ م) ، وكان عليها إذ ذاك اسقف اسمه (هوشع) (Hosha) اشترك فيه ووقع على القرارات باسم (هوشع) اسقف (حيرته) (حيرتا)^٤ .

وقد أشرت في أثناء حديثي عن مملكة (تلعر) الى ورود اسم مدينتين هما (حيرتا) (الحيرة) و (عانانا) (عانة) في كتابة يرجع تاريخها الى شهر أيلول من سنة (١٣٢) للميلاد^٥ . قلت باحتمال أن تكون (حيرتا) ههنا هي الحيرة التي نبحث فيها الآن . فإذا كان ذلك صحيحاً ، كانت هذه الكتابة أقدم كتابة وصلت إلينا حتى الآن ورد فيها هذا الاسم^٦ .

ومدينة (Bertha) التي أشار إليها (كلوكس) (Glaucus) و (اسطيفان البيزنطي) (Stephen of Byzantium)^٧ ، وذكر أنها مدينة (فرثية) (Parthian) تقع على الفرات ، هي هذه الحيرة على ما يظن^٨ .

وورد في بعض مؤلفات السريان مع (الحيرة) اسم موضع آخر قريب منها هي (عاقولا)^٩ ، وقد ذهب (ابن العبري) الى أنه (الكوفة)^{١٠} ،

J. Obermeyer, S. 234.

John of Ephesus, 352, 10, 13.

Rothstein, S. 13.

Musil, Palmyrena, P. 20, ZDMG., 43, S. 388.

راجع تاريخ العرب قبل الاسلام (٨١/٣) ، لجواد علي ، (٦/٤) .

Littmann, S. CIB, II, III, P. 156, 3073.

Glaucus, Fragmenta, P. 409, (Müller), Stephen of Byzantium,

Ethnica, P. 276, (Meineke), Paulys - Wissowa Elfer Halbtend,

(1907), S. 552.

Musil, Euphrates, P. 102.

الديورة في مملكتي الفرس والعرب (ص ٥٩) .

Bar Hebraeus, PP. 94, 101.

وأشار (ياقوت) الى (عاقولاء) غير أنه لم يحدد موقع هذا المكان^١ .
وقد اشتهرت الحيرة في الأدب العربي بحسن هوائها وطيبه ، حتى قبل يوم
وليلة بالحيرة خير من دواء سنة^٢ . وقبل عنها أنها « منزل بريء مريء صحيح
من الأدواء والأمقام »^٣ ، وهي على (سيف البادية)^٤ ليست بعيدة عن الماء ،
وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء الجاهليين والاسلاميين، وهي لا تبعد كثيراً
عن (النجف) و (الكوفة)^٥ .

وقد ذكر (حمزة الأصفهاني) أنه بسبب حسن هواء الحيرة وصحته لم يمت
بالحيرة من الملوك أحد ، الا قابوس بن الملقن . أما بقية الملوك ، فقد ماتوا في
غزواتهم ومنصببتهم وتغربهم ، وأنه بسبب ذلك قالت العرب : « ليست ليلة
بالحيرة أنفع من تناول شربة »^٦ .

وقد نعت في المؤلفات الاسلامية بنعوت منها : (الحيرة الروححاء)^٧ ،
و (الحيرة البيضاء)^٨ ، أخذوا ذلك من شعر الشعراء . وزعم بعض أهل
الأخبار : ان وصفهم اياها بالياض ، فلانما أرادوا أحسن العارة .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للحيرة أنها لم تكن بعيدة عن الماء وأن نهراً
كان يصل بينها وبين القرات . بل يظهر ان هذا النهر كان منشعباً فيها ، بحيث
كأن جملة أنهار فيها . اما نواحيها ، فكانت قد بنيت على بحر النجف وعلى
شاطئ القرات ، وربما كانت مزارع الحيرة واملاك أثريائها قائمة على جرف

- ١ البلدان (٩٨/٦) .
- ٢ الاسطخري ، المسالك (٨٢) .
- ٣ الطبري (٨٥٠/١) .
- ٤ الاسطخري (٨٢) ، ابن حوقل (١٦٣) ، البلدان (٣٧٥/٢) .
- ٥ اليعقوبي ، البلدان (ص ٣٠٩) ، « طبعة دي غويه » ، رحلة ابن جبير (ص ٢١٠) .
(دي غويه) ، الاسطخري (١٦٣) ، « دي غويه » .
- ٦ حمزة (٧٥) .
- ٧ قال عاصم بن عمرو :
صبحنا الحيرة الروححاء شيبلا
ورجلا فوق أنباج الكلاب
- ٨ البلدان (٢٧٦/٣) .
قال الشريف الرضي :
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت
شسم العباد عريضة الأعطان
ديوان الشريف الرضي (٨٨٥/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٧/٣) .

البحر وشاطئه النهر^١ ومن أنهار الحيرة نهر كافر^٢ . ويرى بعض أهل الأخبار
أنه هو نهر الحيرة^٣ .

وقد أدى ميلاد الكوفة في الاسلام الى القول نجم الحيرة ، اذ انتقل الناس من
للمدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها
في بناء الكوفة ، وهذا مما ساعد على اندثار تاريخ تلك المدينة الجاهلية ولا شك .
غير أنها ظلت أمداً طويلاً تقاوم في الاسلام الحرم الى أن جاء أجلها فتدخلت في
عداد المدن المنتشرة .

وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل نهم) وبـ (آل نصر) .
كما عرفوا بـ (النعمانية) وبـ (المناذرة) ، وذلك لشيوخ اسم النعمان واسم المنذر
فيهم^٤ . وعرفوا أيضاً بـ (آل محرق) ، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن
بقر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إباد
أرض الخورتن والسدير وبارق والقصر في الشرقات من سنداد^٥

وفي طبعة أهل الأخبار الذين عنوا بجمع أخبار الحيرة الأخباري الشهير ، يل
رأس أهل الأخبار في أمور الجاهلية : (هشام بن الكلبي) . فله كتاب في
(الحيرة) سماه (ابن النديم) (كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب
العباديين) ، وكتاب ثان سماه (ابن النديم) (كتاب المنصور ملك العرب) ،
وكتاب ثالث اسمه (كتاب علي بن زيد العبادي)^٦ . وهي مؤلفات لم تصل
اليها - ويا للأسف ! - نرجو أن تكون في عالم الوجود، ليتمكن من يأتي بعدنا
من النظر بشيء جديد فيها ، قد يفيد عشاق تاريخ الحيرة ويزيد في معارفهم .

- ١ - تقيوم البلدان ، لأبي الفداء (٢٩٩) .
- ٢ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأخباري (١٢٤) .
- ٣ - قال أبو عمرو : كافر نهر بالحيرة) ، الاغانى (١٢٥ / ٢١) ، (فقهف الثلثين
صحيحته في نهر الحيرة) ، الاغانى (١٢٦ / ٢١) وما بعدها) ، ابن حبيب ،
اسماء المقاتلين مسن الاشراف في الجاهلية والاسلام (نواذر المخطوطات) ،
(ص ٢١٣) .
- ٤ - التنبيه (ص ١٥٨) .
- ٥ - المعارف (ص ٢٨٢) .
- ٦ - الفهرست (١٤٦ وما بعدها) ، (أخبار هشام الكلبي) .

وقد زارها نفر من السياح وكتبوا عنها ، كما نبشت بعض البعثات الأثرية آثارها ، وعاجلت مديرية الآثار القديمة في العراق بعض فواح من تأريخها ، وقد توصل الحفّارون الى العثور على نقوش من الجبس مما تُكسى به الجسد للزينة ، وعلى جرار متعددة وآثار من هذا القبيل صغيرة بعضها من العهد الجاهلي وبعضها من العهد الاسلامي . غير أنهم لم يعثروا حتى الآن على كتابات جاهلية تتحدث عن تأريخ تلك المدينة القديمة البيئة الحظ .

وتأريخ هذه المدينة قبل الميلاد غامض لا تكاد نعرف من أمره شيئاً ، فلم يرد خبرها في نص تأريخي مدون أو كتابة مدونة قبل الميلاد . وأقدم ذكر لها هو ما أشرت اليه ، غير ان ذلك لا يتخذ دليلاً على أنها لم تكن مولودة قبل هذا العهد ، اذ يجوز أنها كانت قبل هذا العهد قرية صغيرة ، أو مدينة تسمى باسم غير هذا الاسم . ولعل المستقبل سيكشف عن تأريخها القديم بالساح لبطن الأرض بإخراج ما في جوفها من أسرار عن ذلك التاريخ .

أما الأخباريون ، فيرجعون عهدها الى أيام (مختصر) . هم يقولون : إن (برخيا) لما قدم من (بخران) وأخبر (مختصر) بما أوحى الله اليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا أخلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وإن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم به ، وانما ذمهم لكفة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب (مختصر) على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات ، ويمنارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفلة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم سائلين مستأنين . فاستشار (مختصر) فيهم (برخيا) ، فقال : إن خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن اليهم ، فأنزلهم (مختصر) السواد على شاطئ القرات ، فابتنا موضع عسكرهم بعد ،

D. Talbot Rice. The Oxford Excavation at Hira, In Ars. Islamica, Vol. I, Part, I, MCM, XXXIV, P. 51.
Ann Arbor University Press, Journal of the Royal Central Asian Society,
Vol. XIX, April, 1932, P. 254, Vol. Sept., 1932, P. 276.

فسموه (الأتبار) . ثم سار (مختصر) لقائلة العرب ، فنظم (مختصر) ما بين (أيلة) و (الأيلة) خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب . وسار (مختصر) بجيشه حتى التقى بموضع (ذات عرق) بعدئذ فهزمه ، وسار إلى بلاد العرب حتى قدم إلى (حضور) وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار (عربية) ، فخذلق الفريقان ، ثم تصالح (مختصر) و (عدنان) ، بعد أن أكلت السيوف العرب . وعاد (مختصر) بمن أخذ معه من سبايا العرب فأسكنهم (الأتبار) . وذهب قوم من أقلت قبل الهزيمة إلى (ريسوب) وعليهم (عك) . وذهب الباقون إلى (وبار) . ولما رجع (مختصر) ، مات (عدنان) ، وبقيت بلاد العرب حراً حياة (مختصر) . فلما مات (مختصر) خرج (معد بن عدنان) ومعه الأتبياء أنبياء بني إسرائيل حتى أتى (مكة) فحج وحج الأتبياء معه ، ثم خرج حتى أتى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وقتل أكثر (جرهم) ، ثم تزوج ابنة معد ، فولدت له نزار بن معد^١ .

فؤسس الحيرة على رواية هؤلاء الأخباريين ، هو (مختصر) . وهو مؤسس (الأتبار) في نظرهم أيضاً . وقد كان ذلك في أيام عدنان . وقد سبق لي أن تعرضت لهذه الرواية ولطورها وأصولها في مواضع من الأجزاء المتقدمة من هذا الكتاب .

وفي بعض روايات الأخباريين أن (الأردوان) ملك التبط ، وكان معاصراً لـ (أردشير) ، هو الذي بنى الحيرة . كما أن (بابا) خصم (الأردوان) هو الذي أنزل من أعانه من الأعراب (الأتبار) . فالحيرة والأتبار إذن هما من عمل ملوكين متخاصمين من ملوك التبط تحاصراً في أيام أردشير . ولأهل اليمن ، وبمثلهم (الحميري) ، رواية أخرى في بناء (الحيرة) ، فهم يرجعون بنائها إلى (تبع)^٢ .

ويحدثنا (ابن الكلبي) بأن تبعاً المعروف بالرائد - وهو ثبات أسعد أبو كرب ابن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ - لما سار في أيام (بشتاسب

١ الطبري (٢٩١/١) وما بعدها .

٢ البلدان (٣٧٧/٣) .

وأردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب (متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه (الرائش) قبله ، خرج على جلي طيء ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى موضع الحيرة ليلاً ، تحير ، فأقام مكانه ، وسمي ذلك الموضع الحيرة. ثم سار وخلف به قوماً من الأزد ولخم وجذلم وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به . ثم انتقل إليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحارث بن كعب وإياد . ثم توجه إلى الأنبار .

وروى الطبري رواية أخرى تشبه هذه الرواية ، ولكنها رواية مختصرة لم تذكر اسم تبع ، وقد أخذ الطبري روايته هذه عن شيخه عبيد الله بن أحمد المروزي . هذه هي أقوال الأخباريين في كيفية مجيء العرب إلى العراق وفي سكناتهم الحيرة والأنبار وما بين المكانين من أرضين . وهي أقوال فيها شيء من الحق ، ولكن فيها شيء كثير من الخطأ والضلal . فنحن لا نريد أن ننكر هجرة القبائل العربية من الجزيرة إلى العراق ، فهذا أمر ليس إلى نكرانه من سبيل ، ولكننا لا نستطيع أن نوافقهم على أقوالهم في مبدأ تلك الهجرة وفي تواريخها ، وفي كيفية تلك أمور لا يعرفها الأخباريون . كما أننا لا نستطيع أن نوافقهم في زعمهم على من قاد تلك الهجرة والمهجرات التي تلتها من رجال . فنحن نعلم حق العلم أن من تحدثوا عنهم وجعلوهم في الدهر الداهر وفي العرب العاربة أو في أيام ملوك الطوائف هم في الأكثر أناس عاشوا بعد الميلاد ، وبينهم رجال لا بعد أيامهم كثيراً عن الإسلام ، وبينهم أناس اخترعهم مخيلة الأخباريين .

وتأريخ الحيرة مع سعة وكثرة ما يرويه الأخباريون منه ، لا يخلو من اضطراب ومن تناقض يدفعنا أحياناً إلى العجب من قول (ابن الكلبي) مثلاً : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن زبيدة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها » . وهو كما نعرف منذ الأخباريين ومرجعهم الأول في تأريخ الحيرة . فربما يدعي هذه الدعوى ويستقي أخباره من مواردها الأصلية ، لا يجوز صدور روايات منه يتناقض بعضها بعضاً ، وأخبار لا تزيد هذا الزعم . فلربما روايات عن حادث

- | | |
|---|-----------------|
| ١ | الطبري (٣/٢) |
| ٢ | الطبري (٣/٢) |
| ٣ | الطبري (٣٧/٢) |

واحد تثبت ، إن صح أنها له ، أن الرجل لم يكن صاحب رأي ولا اجتهاد فيها يرويه ، وأنه يروي كل ما يقال له دون نقد أو تمحيص . فهو يروي خبراً عن حادث في شكل ، ثم يرويه في شكل آخر يختلف عما رواه كل الاختلاف أو بعض الاختلاف . ثم هو يزيد وينقص في أسماء الملوك وفي مدد حكمهم ، ويذكر أجيالاً ، ثم يناقض ما قاله تفضيلاً . غير أن علينا — ونحن أحياء نكتب عن شخص مضى على وفاته أكثر من ألف عام — أن نكون حذرين في القول . فنحن لا نستند في حكمنا هذا إلى مؤلف كامل الرواية لذلك الرجل ، إنما نستند إلى كتب اقتطعت من مؤلفات ابن الكلبي ورووت عنها . فما يدرينا لعل الخطأ في هذه الكتب ، والاضطراب فيها ، أو أن أصل الاضطراب في المورد التي نقل ابن الكلبي منها . فما رواه ابن الكلبي إذن هو حكاية لما وجدته هو أو أخذه من أفواه الرواة ، فلا لوم عليه في هذا الشأن ولا توبيخ . ولنا في هذا المكان قضية نحاول توجيه اللوم لأحد ، أو لسحب اللوم من أحد . فهذا ليس من شأننا في هذا الموضوع ولا من اختصاصنا ، إنما نريد أن نشير إلى هذا التناقض العجيب الغريب الذي نراه فيما وصل إلينا من روايات تتعلق بحادث واحد ، والذي نراه بين تواريخ الأخباريين عن ملوك الحيرة مثلاً ، فما ذكره (الطبري) من أسماء ملوك لحيم ومدد حكمهم ، يختلف بعض الاختلاف عما ورد في تاريخ (حمزة) مثلاً ، أو في (مروج الذهب) للمسعودي ، أو في المؤلفات الأخرى التي سرد أحوالها في ثنايا البحث ، مع أنها تشير أحياناً إلى المورد الذي استقت منه ، كإبن الكلبي مثلاً . وهذا هو الذي يحملنا على العجب من وقوع هذا الاختلاف .

فهل نقل هؤلاء من كتاب واحد من كتب (ابن الكلبي) مثلاً ، أو أنهم نقلوا من مؤلفات متعددة لابن الكلبي ، فحدث من أجل ذلك هذا الاختلاف على أنه ، مع القرائن هذه الحالة ، لا يجوز وقوع مثل هذا الاختلاف ، إذ لا يعقل أن يكتب مؤلف واحد قاهم للإدابة هاضم لها ، له نقد وتفكير تاريخي ، خبراً في كتاب يختلف اختلافاً يَبِينُ عما كتبه في كتاب له آخر ، إلا أن يكون قد صر على موارد جديدة وروايات حصل عليها بعد تأليف الكتب السابقة . ومهما يكن من شيء فإن أمر مناقضة الأخباريين أنفسهم في رواية الأخبار ، وفي عدم تسبقها ، من الأمور التي لا ينفرد بها أخباري واحد ، ونجد في تاريخ الطبري أمثلة من هذا القبيل حيث يناقض خبره في موضع خبره المروي في موضع آخر

دون أن يشير إليه أو يشير إلى وقوعه من الأخباريين . وقد فطن (ابن الأثير)
إلى ذلك فأشار إلى أنه ناقض ، وذاكر ما وجدته وما قاله مختلف الأخباريين ليوقف
عليه القارئ . ثم لم يفضل ، فذكر ما هو مرجح لديه ، أو ما هو مرجح لدى
أكثرية الأخباريين .

ومن مواضع الاختلاف بين الأخباريين ، اختلافهم في تسلسل من حكم (الحيرة)
من ملوك ، وفي مدد حكمهم . ومن عاداتهم ذكر مدة حكم الملك إجمالاً ، كأن
يقولوا : « حكم مدة كذا من السنين » ، ثم يذكرون ذلك تفصيلاً محسوباً بالنسبة
إلى مدة حكم من عاصر ذلك الملك من ملوك الفرس ، كأن يقولوا : « منها كذا
في حكم الملك الفلاني » ، وكذا في حكم الملك الفلاني ، وهكذا إن كان الملك قد
أدرك جملة ملوك من ملوك الفرس . وأنت إذا فحصت ما ذكروه إجمالاً ، ثم
ما ذكروه تفصيلاً وجمعتهم بعضه مع بعض تجد اختلافاً بين حاصل الجمع والعدد
المذكور إجمالاً في بعض الأحيان . وقد أوجد اختلاف الأخباريين في تسلسل
الملوك وفي مدد الحكم صعوبات جملة للباحثين في هذا التاريخ في تثبيت تواريخ
الملوك ، وفي تعيين أيامهم على وجه مضبوط ما برحت قائمة في هذا اللون عن
تاريخ آل لخم وتاريخ آل غسان .

وقد درج بعض المؤرخين مثل الطبري وأبي حنيفة الدينوري وابن الأثير على
ادماج تاريخ الحيرة في تاريخ الفرس في الجملة ، فهم وأمثالهم يذكرون في كلامهم
على ملك من ملوك الساسانيين صلوات ذلك الملك بعرب الحيرة ، ويشيرون إلى ملكها
الذي كان يحكم في أيامه ، وإلى عدد من عاصر من ملوك الفرس ، ولذلك تجزأ
تاريخ الحيرة وتناثر في صفحات فصول هؤلاء المؤرخين عن تاريخ الساسانيين .

ودرج فريق آخر كاليعقوبي وحزرة والسعودي على تدوين تاريخ الحيرة في
باب مستقل يعني على حسب تسلسل حكم الملوك كما استقر ذلك في ذهن الكاتب ،
مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بالملك من سني حكمه ، أو من معاصرة ملوك الساسانيين
أو من بناء أو ما شابه ذلك . وتجد في مؤلفات هؤلاء الأخباريين أموراً لم ينطرق
إليها أصحاب الطريقة الأخرى في بعض الأحيان . وتفيدنا مؤلفات هؤلاء من هذه
الناحية في زيادة علمنا بتاريخ الحيرة المستقى من المورد الأول .

ويؤسفنا جداً أن لا نملك حتى الآن دراسة علمية دقيقة للتاريخ وللمؤرخين
الإسلاميين والموارد التاريخية وكيفية أخذ بعضها من بعض ، وهي دراسة لا بد

منها ، إذ بغیرها لا نتمكن من كتابة تاریخ بالمعنى العلمى للعرب قبل الاسلام .
وهي تيسر لنا فهم اتجاهات المؤرخين ، وتصنيف الموارد على أساس الأسبقية ،
وبذلك تيسر مهمة المؤرخ بعض التيسر ، ونعهد له الجادة بعض التمهيد .

ومن المؤلف حقاً أن الأخباريين كانوا يتصرفون بالنصوص والمقتضيات التي
يعتمدون عليها ، ويمجرون فيها بعض التغير ، وربما أغفلوا أسماء أصولها ، فظهر
كأنها منهم على حين أنها نقل وأخذ . ولو أشاروا الى المقتضيات والمقتضيات في
الموضع المناسب ، لكان في اشارتهم هذه خدمة كبرى لمن جاء بعدهم ، وهداية
الى الموارد الأصلية التي يجب أن يرجع اليها ويعتمد عليها .

ومن حسن الخط ان بين أيدينا جملة مؤلفات لائنية ويونانية ، وردت في
ثناياها اشارات الى (عرب الروم) و (عرب الفرس) ، أي حرب الشام من
(آل جفنة) وعرب الحيرة من (آل نهم) . وقد عاصر بعض أصحاب هذه
المؤلفات أولئك القوم ، واشتركوا هم أنفسهم في الحملات لكونهم مؤرخين رسميين
يسرون مع القيصر أو القواد لتبوين الحوادث والمشاهدات . وقد أفادت اشاراتهم
هذه فوائد كبيرة ، وعليها كان جبل اعتماد الباحثين في إيجاد مواضع ارتكاز
يطعن اليها في تعيين تواريخ (آل جفنة) أو (آل نهم) . وبها تحكنا من
تصحيح أكثر أغلاط الأخباريين . ولقدعها - بالنسبة الى مؤلفات الاسلاميين -
ولكون معظمها من عهد ما قبل الإسلام ، وكان لها حق التقديم بالطبع في نظر
المؤرخ الحديث ، ولكن هذا لا يدفع عنها مع ذلك مواطن القند والشبهات .

وللمؤلفات السريانية فضل يجب ألا ينسى أيضاً في تدوين هذا التاريخ ، ولكنها
ليست على الاجمال كالمؤلفات اليونانية واللاتينية في الدقة وفي القند . ولما كان
الكثير منها تواريخ كتبية ، تعرضت لتاريخ الحيرة أو عرب الشام أو العرب
الأخرين بقدر ما هؤلاء من صلة بالكنيسة وبالنصرانية . وهي على الجملة تخرج
الأخبار بالمعجزات وبغوارق العادات وبرواية كرامات الآباء في هداية الملوك الوثنيين
وسادات القبائل ، وهي لا تخلو أيضاً من العصبية التي اتسم بها ذلك الزمن في
التراع الملهي الذي منبث به النصرانية وفي محاولة الغرض من الطرف النصراني
الثاني ، كالذي نجده بين المؤلفات النسطورية والبقوية والملكية وأمثالها ، فكل
منها رواية بأسلوبها الخاص ، لذلك وجب علينا الانتباه لهذه الناحية حين الرجوع
اليها ، وتحليص رواياتها من شوائب العصبية للمذهب ، وتقديرها لاستخلاص

العصر التاريخي منها في تدوين تأريخ صحيح لعرب العراق او عرب بلاد الشام
أو عرب جزيرة العرب .

وأهل الحيرة عرب ، يقسمهم الأخباريون الى طبقات ثلاث : تنوخ ، والعباد ،
والأحلاف . وهؤلاء في نظرهم من قبائل متعددة ، فيها من قحطان وقبها من
عدنان . وقد ذكروا ان في طيعة أهل الحيرة هجعة ، رجّعوا سببها الى اختلاط
هؤلاء العرب بمن كان يقد عليهم من النبط ممن كانوا يسيرون الأحداث فيكجشون الى
هذا المكان . ولذلك ثابت لهجتهم رطانة نبطية . وقد كتبوا بقلم (بني لادم) ،
شأنهم في ذلك شأن تدمر وأهل (بطرا) اذ استعملوا قلماً نبطياً متأخراً في الكتابات .

أما تنوخ ، فهم قبائل سكنوا بيوت الشعر والمظال والوبر غربي القرات بين
الحيرة والأنبار فما فوقها في اصطلاح أهل الأخبار . ويظهر من وصفهم لتنوخ
أنهم قصدوا بهم من كان يشغل بالزراعة ومن كان يعيش عيشة أهل البادية من
سكان هذه المنطقة : منطقة ما بين الحيرة والأنبار . ولم يفسدوا قبيلة معينة .

وللأخباريين رأي خاص في تفسير أصل كلمة (تنوخ) خلاصته : انه لما
مات (مختصر) ، انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الأنبار ،
وبقيت الحيرة خراباً ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد
العرب ولا يقدم عليهم قادم . وبالأخبار أهلها ومن انضم اليهم من أهل الحيرة
من قبائل العرب من بني اسماعيل وبني معد بن عدنان . فلما كثر أولاد معد بن
عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، ففتتوا . وأقبلت منهم
قبائل حتى نزلوا البحرين ، وبها سباجعة من الأزدي كانوا نزلوها في دهر (عمران
ابن عمرو) من يثايبا (بني عامر) ، وهو : (ماء السماء بن حارثة) ، وهو :
(الظهري بن ثعلبة بن امرئ القيس بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن
عمران بن الحارث بن قضاة) ، و (مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله

- | | |
|---|---|
| ١ | حجرة (٦٦) . |
| | Die Araber, I, S. 268, Nöldeke, Geschichte der Perser, (1879), S. 24. |
| ٢ | البلدان (٢٨٠/٣) . Rothstein, S. 18. |
| ٣ | حجرة (٦٦) ، وتنوخ : هي من اليمن) ، اللسان (تنوخ) . |
| ٤ | Rothstein, S. 28, Nöldeke, Sassa, S. 24, Ann. 3. |

ابن أسد بن وبرة) في جماعة من قومهم ، و (الحيقار بن الحيق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان) في (قنص) كلها . ولحق بهم (غطفان بن عمرو ابن الطمشان بن عوذ مناة بن يقدم بن أنصى بن دعى بن إزياد بن ثزار بن معد ابن عدنان) ، و (زهر بن الحارث بن الشل بن زهير بن إزياد) ، و (صبح ابن الحارث بن أنصى بن دعى بن إزياد) . فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التنوخ ، وهو المقام ، وتعاضدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمهم اسم تنوخ .

وتنوخ على تنوخ بطون من (نخارة بن لحم) ، ودعا (مالك بن زهير) (جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي) الى التنوخ معه ، وزوجه أخته (ليس) ابنة (زهير) . فتنوخ (جذيمة بن مالك) وجماعة ممن كان بها من قومهم من الأزدي ، فصار (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم) والأزد حلفاء دون سائر تنوخ . وكلمة تنوخ كلها واحدة . أما اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاضدهم ، فكان على حد قول (ابن الكلبي) في أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر ولم يرق البلدان بينهم عند قتله (دارا) ملك فارس الى أن ظهر (أردشير بن بابك) ملك فارس على ملوك الطوائف ، وقهرهم ، ودان له الناس .

وفي هذا العهد عهد ملوك الطوائف ، تطلعت أنفس من كان بالبحرين من العرب الى ريف العراق وطعموا فيه ، واهبطوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمعوا على السير الى العراق . وكان أول من طلع منها (الحيقار بن الحيق) في جماعة قومه واختلط من الناس ، فوجدوا الأرمنيين (بني إرم) ، وهم الذين يأرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل ، يقاتلون الأرمانيين ، وهم ملوك الطوائف ، فاستفادوا من ذلك وانتشروا في السواد . وسكن قسم منهم بين حرب الأنبار ، وسكن قسم آخر منهم بين حرب الحيرة . ثم طلع (مالك) و (عمرو) ابنا (فهم بن تيم الله) ، و (مالك بن زهير بن فهم بن تيم الله) ، و (غطفان ابن عمرو بن الطمشان) ، و (زهر بن الحارث) ، و (صبح بن صبح) فيمن تنوخ عليهم من عشائرهم وحلفائهم على الأنبار على ملك الأرمنيين ، فطلع (نخارة بن قيس بن نخارة) و (النجدة) ، وهم قبيلة من العماليق ، يدهون الى (كتلة) و (ملكان بن كتلة) و (مالك) و (عمرو) ابني (فهم)

ومن حالقهم ، وتنخ معهم على (نفر) على ملك الأردوايين ، فأترلهم الحيرة ، أي الحيرة . فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة (نفر) على ذلك لا يدينون الأعاجم ولا تدبغ لهم الأعاجم حتى قدمها تبع ، وهو : (اسعد ابو كرب بن ملكيكر) في جيوشه فاستولى عليها ، ونزل الحيرة فيمن معه^١ .

وروى (ابن الكلبي) أن كثيراً من تنوخ نزلوا الأنبار والحيرة وما بين الحيرة وطف القرات وغريبه الى ناحية الأنبار وما والاها . نزلوا في المظالم والأخبية لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يزاولون أهلها . وكانوا يسمون (عرب الضاحية) . فكان أول من ملك منهم في زمان الطوائف (مالك بن فهم) ، وكان مثله ممسا بلي الأنبار ، ثم مات مالك بن فهم ، فملك من بعده أخوه (عمرو بن فهم) . ثم هلك عمرو بن فهم ، فملك من بعده (جديعة الأبرش ابن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي)^٢ .

وقد أخذ الطبري ما ذكره عن (تنوخ) من روايات ترجع الى (ابن الكلبي) وال (ابن اسحاق) ، وتختلف روايات (ابن اسحاق) التي اخذها (الطبري) عن شيخه (ابن حميد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) بعض الاختلاف عن روايات (ابن الكلبي) .

ولدينا رواية تذكر أن (بني زهير بن عمرو بن فهم) ، ومنهم (مالك ابن فهم) الذي تنحخت عليه تنوخ . هو ومالك بن فهم بن غنم الأزدي ، تنخوا بعين حجر ، وتحالفوا هناك ، فاجتمعت اليهم قبائل من العرب ، فنزلوا الحيرة ، فوثب (سليمان بن مالك بن فهم) على أبيه ، فرماه فقتله ، فقال أبوه :

أعلمه الرماية كل يوم قلما اشتد ساعده رماني

ففسدت يده مالك ، وكانوا عشرة ، ولحقوا بعمان ، وملك جديعة بن مالك عشرين ومئة سنة . وذلك في أيام ملوك الطوائف . وهو أول من اتخذ داراً^٣ .

١ الطبري (٢٧/٢) وما بعدها ، الكامل ، لابن الأثير (١٩٥/١) وما بعدها .
 البتاني (٣٧٧/٢) وما بعدها .
 ٢ الطبري (٢٨/٢) وما بعدها .
 ٣ الاستغاق (٣١٧/٢) وما بعدها .

أما ما زعمه أهل الأخبار في معنى تنوخ، فقد أشرت مراراً إلى جنوح الأخباريين إلى أمثال هذه التفسيرات، حين ترسو سفينة علمهم على شاطئ الجهل بالأشياء. وما تنوخ في نظري إلا (Tanueitae) (Thanulitae) القبيلة التي ذكرها (بطليموس) في جملة القبائل التي كانت في أيامه^١. وهي وإن كانت في جغرافيته في مواضع بعيدة عن الحيرة غير أن ذلك لا يمنع من انتقال بطون منها إلى الحيرة وبادية الشام وإقامتها فيها، وهو حادث مألوف ليس بغريب، أو أنها كانت في هذه المواضع في أيام (بطليموس) كما كانت بطون منها تقيم في المواضع التي ذكرها أو أنه أخطأ في تعيين مواضعها الصحيحة فظن أنها حيث وضعها من الأماكن، وهو أمر ليس وقوعه من الكتاب في الزمن الحاضر غريب، فكيف بالنسبة إلى تلك الأيام.

فتنوخ إذن على الوصف المتقدم، هم أعراب الحيرة، لا حضرها وأهل مدرها، وكانوا يعيشون في أطرافها وحولها، في بيوت الشعر والمقال، على نقبض (العباديين). وقد تبين من بعض الموارد أن بطوناً من تنوخ نزلت أرضين تابعة للروم^٢.

وأما العباد، فهم الذين سكنوا رقعة الحيرة قابتوا بها، فهم حضر مستقرون^٣. ويقول معظم الأخباريين أنهم كانوا على دين المسيح. ويقول بعضهم: أنهم قبائل شتى من بطون العرب، اجتمعوا على النصرانية، والنسبة إليهم عبادي^٤. وذهب بعض إلى أنهم بطن في جزيرة من تخم^٥. وخالف فريق فذهبوا إلى أنهم كانوا من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتوها لغوسهم ظاهر الحيرة^٦. وأنهم دأبوا لأردشير^٧.

ونسبهم بعض أهل الأخبار إلى (بني عبد القيس بن أفضى بن دعي بن جديلة

1. Sprenger, *Alte Geography*, 341. Glaser, *Skizze*, II 283. Hlav, *In ZDMG*.

22, (1868), S. 660. Forster, II, P. 247.

Die Araber, II, S. 251.

3. Die Araber, I, S. 289. حمزة (٦٦).

4. Rothstein, S. 19. الاشتقاق (٧/٧)، (طبعة وستنفلد)،

العقد الجديد (٢٥٣/٢).

5. ابن القفطي: الحكماء (١٩٩)، غنيمة (١٦).

6. الطبري (٤٣/٢).

ابن أسد بن ربيعة) ، وذكروا أنهم من نسل أربعة ، هم : عبد المسيح ،
وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد باليل^١ . وأشار (السهلي) الى ورود اسمهم في
الحديث ، فقال : « وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الاسلام ، الروم ،
والعباد ، وأحبهم هؤلاء ، لأنهم تنصروا . وهم من ربيعة ، ثم من بني عبد
القيس »^٢ .

وللأخباريين أقوال في أصل كلمة (العباد) ، فمنهم من يقول أنهم إنما
سموا بذلك لأن وفداً وفد على كسرى كانت أسماءهم تبدأ بكلمة عبد ،
فقال كسرى : أنتم عباد كلكم فسموا العباد^٣ . ومنهم من يقول :
لا ، إنما قيل لهم العباد لأنهم كانوا يعبدون الله ، فسموا بهذا الاسم^٤ .
ومنهم من يرى أنهم سموا بذلك لأنهم لما قاتلهم سابور الأكبر ، انخلوا شعاراً
لهم ، هو يا آل عباد ، فسموا العباد^٥ . الى غير ذلك من أمثال هذه التعليلات.

واظن ان خير ما فعله في هذا الباب لمعرفة من كانت تنطبق عليهم هذه
التسمية ، هو ان ندرس أسماء مشاهير من نسبوا الى العباديين من اسر ورجال ،
مثل : اسرة عدي بن زيد العبادي ، وبني مرينا ، وبقيلة ، وأمثالهم ممن حشروا
في العباديين . فقد شملت التسمية هؤلاء وهم من قبائل مختلفة . كان آل عدي^٦
ابن زيد مثلاً من تميم ، وكان بنو مرينا من لحم ، وكانت بقيلة من الأزد^٧ .
فهم اذن من قبائل مختلفة ، ومع ذلك عرفوا بالعباديين ، وذلك يدل على ان
هذا الاسم لم يكن يعني قبيلة ، او بطناً ، وإنما يعني جماعة من قبائل شتى جمعت
بينها وحدة الدين ، ووحدة الموطن . لذلك لم يطلق إلا على النصاري العرب من
اهل الحيرة . اما غيرهم من نصاري العرب ، فلم يشملهم اسم العباديين^٨ .

- ١ الروض الأنف (٥٣/١) .
- ٢ الروض الأنف (٥٣/١) .
- ٣ اللسان (٢٧٢/٣) . (عبد) ، ابن قتيبة المعارف (٦٤٩) ، ابن العبري ،
تاريخ مختصر الملوك (٢٥٠) .
- ٤ تاج العروس (٤١٠/٢) وما بعدها ، (عبد) ابن القنطري ، (١٧٣) وما بعدها ،
اللسان (٢٧٢/٣) ، الروض الأنف (٥٣/١) .
- ٥ الاغانى (١٥٦/١١) .
- ٦ Rothstein, S. 20.
- ٧ Rothstein, S. 20.

ويمكن ان نقول استناداً الى روايات الأخباريين في تحديد مدلول الكلمة ، واقتصارها على نصارى الحيرة دون غيرهم من نصارى العرب : إن هذه الكلمة اطلقت في الأصل على من تنصر من اهل الحيرة ، ليعيذهم عن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين . ولم يكن اولئك النصارى في بادئ امرهم بالطبع إلا فئة قليلة ، ثم توسعت من بعد . فلما انتشرت النصرانية في الحيرة لازمت هذه التسمية جميع نصارها ، كائناً من كانوا ، وصارت علماً لهم ، لم تميزهم عن الوثنيين حسب ، وإنما ميزتهم ايضاً عن بقية النصارى العرب من غير اهل الحيرة فلما مضى زمان طويل على هذا الاستعمال ، ظن المتأخرون انه علم ، ثم حاروا في تعليقه ، فأوجدوا على طريقته تلك التعليلات .

ولعل العباد والعباديين من كلمة (عبد) في الأصل ، أطلقتها منتصرة الحيرة الأولى على نفسها ، لأنها تعبدت لإلهه ، لتمييز نفسها عن الوثنيين . أو ان اولئك الوثنيين أطلقوها على اولئك المنتصرة ، تمييزاً لهم عن سائر الوثنيين . وقد يكون لـ (عبد المسيح) علاقة بهذه التسمية كذلك . وهي تسمية شائعة بين النصارى شيوع (عبادة) بين المسلمين^١ .

ولا استبعد ان يكون العباد والعباديين ، هم بقية (اباديدي) (Abadidi) أو (إباديدي) (Ibadidi) الذين تحدث عنهم في اثناء كلامي عن الآشوريين . وقد كان العباديون أكثر أهل الحيرة ثقافة ، خلق بعضهم الصناعات ودرس بعضهم العلوم ، وفاق بعض آخر في اللغات فخلق العربية وتعلم الفارسية ، وكانوا يتقنون في الغالب لغة بني إرم بحكم تنصرهم واعتبار النصارى لها لغة مقدسة ، لأنها لغة النبي ، لذلك كان لهم وجه ومقام في الحيرة ، ولهذا السبب اختار القرس تراجعتهم ومن كان يتولى المراسلة بينهم وبين العرب من هؤلاء ، كالذي كان مع (زيد العبادي) والد (علي) .

وأما (الأحلاف) ، فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيها ، ولم يكونوا في الأصل لا من تنوخ ، ولا من العباد الذين ذاقوا لـ (أردشير)^٢ . وقد كان بين أهل الحيرة جماعة من النبط^٣ ، كما كانت بينهم جماعات من

Nöldeke, Sassa, B. 24, Rothstein, B. 21.

١ حمزة (٦٦) .

٢ الأمازي (٦١/٨) .

الفرس ومن اليهود . والنبط هم من بقايا قدماء العراقيين ، وقد كان بعضهم يتكلم العربية بطلاقة ظاهرة ، فتأثر بعض عرب الحيرة بهذه الرطاقة ، فبدت على ألسنتهم ، وذلك باختلاطهم بتلك البقية التي تكلمت بلهجة بني لدم وهي التي عرفت بلغة (النبط) عند المسلمين^١ .

وكانت للوثنيين من أهل الحيرة أصنام ، منها : الآلات ، والعزى ، وسبداء ، و (محرق) وبه تسمى بعض الرجال تبركاً وتقرباً إليه^٢ .

لقد كان معظم نصارى الحيرة على مذهب النساطرة ، وهو مذهب شجعهم القرس في بلادهم نكابة بالروم . غير أن هناك جماعة كانت على مذهب اليعلابية ، كما كان بعضهم على مذاهب نصرانية أخرى لا مجال للحديث عنها في هذا المكان . وقد حاول أصحاب هذه المذاهب كسب أكبر عدد ممكن من الناس إلى مذاهبهم . وطبعي ألا يجد مذهب الروم صدىً رجباً في الأرضين الخاضعة للفرس ، لما في ذلك من أخطار سياسية تهدد مصالحهم .

وقد كانت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير بالنصرانية بين العرب . ومن الحيرة ذهب قسم من المبشرين إلى اليمن والأجزاء الأخرى من جزيرة العرب لنشر النسطورية والمذاهب النصرانية الأخرى هناك ، وفيها انعقد مجمع (دار يشوع) في سنة (٤٢٤)^٣ ، وفي هذه المدينة توفي هذا الجاثليق (دار يشوع) ودفن فيها على بعض الروايات^٤ .

ما ذكرته عن أهل الحيرة ، هو ما يخص أهل المدينة وما حولها من الحضرة المستقرين . أما من كان قد خضع لملوك الحيرة ، فكانوا قبائل يعيشون في أراضين واسعة ، كانت تنقلص سعتها وتتوسع بحسب قدرة (ملك الحيرة) ومكانته ، فقد حكم (امرؤ القيس) مثلاً (كل العرب) على حد قول النص : (نص الثارة) الذي وجد على قبره . ويقصد بذلك (كل الأعراب) ، وخص منهم (أسداً) و (زاراً) و (ملحجاً) وغيرها ، حتى يبلغ حدود (نجران) ،

١ (حرب استنبطنا ، وتبط استعربنا) ، أعالي المرتضى ، (١٧٧/١) .

٢ الأتاني (١٠٤/٢) ، طبعة دار الكتب المصرية ، (٢٠/٢) ، (ساسي) .

٣ Rothstein, B. 95, Nöldeke, in ZDMG., 1887, B. 712.

٤ الديبورة في مملكتي الفرس والعرب (١٠) .

٥ أوجين نيران ، خلاصة تاريخية للكنيسة السريانية ، تعريب القس سليمان الصائغ ، الموصل ، ١٩٣٩ (ص ٢٦ وما بعدها) .

كما ملك (معداً)^١ . ولكننا لا نستطيع أن نؤكد أن مُلك ملوك الحيرة قد شمل القبائل المذكورة في كل الأوقات ، بل في كل أيام حكم (امرئ القيس) ، فقد تعودت القبائل الانتماء على من يفرض حكمه عليها عند أول فرصة يشعرون فيها بضعف الحاكم ، أو أن الأوضاع أخذت تسير عكس ما يريد ، فتقلب عليه وتخرج على طاعته .

ونجد في رسالة (شمعون الارشامي) الحيرة أن في جملة من كان في معسكر (المنذر) الثالث ، (طيايه حبه ومعداية) ، أي (طيء) ومعد . والأغلب أنه قصد بـ (طيايه) الأعراب ، فقد كانت تطلق بهذا المعنى في هذا العهد . ولعله قصد بـ (حبه) (حنفة) قبيلة (بني حنيفة) أو قبيلة أخرى اسمها قريب من هذا الاسم . ويلاحظ أن اسم (معد) كان معروفاً مشهوراً على أنه من القبائل العربية الكبيرة التي تشمل منازلها أرضين واسعة . وقد ميّز بينها وبين (نزار) في (نص الهارة) بما يدل على أن (نزاراً) كانت منفصلة عن (معد) ولها اسم خاص في القرن الرابع للميلاد . أما الأتبار التي زعم الأخباريون أنها بنيت في أيام بختنصر ، فقد كانت من المدن المعروفة في أيام الساسانيين ، تلي شهرتها في العراق شهرة مدينة (طيسفون) (Ktesiphon) . وقد تبين من فحص آثارها ومعالمها الباقية أنها من المواضع التي كانت قبل عهد الدولة الساسانية ، غير أننا لا نعرف من أمرها شيئاً يذكر قبل عهد هذه الدولة . والذي بحث فيها الحياة وانشأ فيها الأبنية والعمارات ، هو الملك الساساني (سابور الثاني) (شاپور) (Shapur II) (٣١٠ - ٣٧٩ م)^٢ ، أو سابور الأول في بعض الروايات^٣ . وقد حصنت وقويت وجعلت قلعة حربية لصد غارات الروم على حدود هذه المملكة من ناحية القرات . وكان لها أثر مهم في الحملة التي قام بها الإمبراطور (يوليانيوس) (Julianus) على مملكة الساسانيين في سنة ٣٦٣ للميلاد ، إذ دافعت عن نفسها دفاعاً شديداً . ولما تمكن يوليانيوس منها ، بعد ذلك الحصار المتعب صارت ركناً وتللاً من الرماد ، فأمر عتدله ببناء (هيليوبوليس) (Heleopolis) . وقد وصف المؤرخ (أميانوس مرسلاتوس) (Ammianus Marcellianus) الأتبار ،

١ تاريخ العرب قبل الإسلام ، لمؤلف هذا الكتاب (٢٢/١ وما بعدها) ،
Die Araber, II, S. 313.

٢ Paulys - Wissowa, 64, Halbband, 1958, 1725, Ency., I, P. 348.

٣ Paulys - Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1781, Musil, Euphrates, P. 354.

وذكر فلاعها الحصينة^١ .

وفي جنوب هذه المدينة وعلى مسافة قليلة منها ، يقع نهر عيسى الذي يصل
الفرات بدجلة ، وهو نهر قديم يرجع عهده الى ما قبل الاسلام ، عرف
بـ (Naarsares) أو (Narsares)^٢ ويظن ان الملك سابور الثاني المذكور هو
الذي أمر بحفره . وقد اكتسبت المدينة بهذا النهر شأناً خاصاً اذ صارت لمركز
مهمة ، ومخزناً للأموال ، ومركزاً عظيماً في وسط العراق للتجارة ولتبادل السلع
المرسلة عن طريق دجلة الى الفرات وبالعكس . ولأسم هذه المدينة ، وهو الأتيار ،
علاقة بهذا المعنى على ما يظن . وهو من (Ham-bara) الأيرانية القديمة ، ومعناها
المخزن ، ومنها (أنبار) (Anbar) بالفارسية الحديثة . وقد عرف العلماء المسلمون
معنى الكلمة فلذكروه^٣ . ومن هذه الكلمة أخذ البيزنطيون (Anbara) (Abbareny)
(Abara) ، ويقصدون بها الأتيار^٤ .

وقد عرفت المدينة بـ (فيروز سابور) (فيروز شاپور) (Peroz Shapur)
كذلك . ومعنى هذه الكلمة (سابور المنتصر) . ومنها جاء اسمها (پيرسابور)
(Pirisaboora) (Bernabura) (Pirisaboras) المذكور في تاريخ (أبيانوس)
مارسلانوس (و (زوزيموس) . وقد ذكر هذا الاسم في المؤلفات السريانية .
وكان عليها أسقف مسطوري^٥ .

ويظن ان موضع (أنكوباريتيس) (Ankobaritis) المذكور في جغرافية

Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1723, Ammianus, XXIV, 2, 9,
XXIV, 2, 18, Musil, Euphrates, PP. 234 236, 240, 354.

Paulys-Wissowa, 64 Halbband, 1950, 1723. (نهر صحر) .

(وأما سميت الأتيار أنبار ، لأنها كانت تكون فيها أنابيب الطعام ، وكانت تسمى
الإمراء ، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها ، الطيري (٢٨/٢) ، البلدان
(٣٦٨/١) ، اللسان (١٩٠/٥) ، (صادر) ، (نبر) ،

Ency., I, P. 348, Fränkel, Die Aramaischen Fremdwörter in Arabischen,
B. 136, Scheffels, In ZDMG., IX, 699, Nöldeke, Grammatik der
Neusyrischen Sprache, B. 400. Paulys-Wissowa, Zweiter Halbband,
1894. 1461.

Ency., I, P. 348.

Ammianus Marcellianus, XXIV, 29, 5, 3, Paulys-Wissowa, 2 Halbband,
1894. 1791.

(بطليموس) يعني المنطقة التي تقع فيها الأنبار . فإذا كان هذا القرن صحيحاً ، كان اسم هذه المدينة معروفاً إذن قبل أيام الساسانيين^١ .

ولم يذكر (إيزيدور الكركسي) (Isidorus of Charax) الذي ساج حوالي ميلاد المسيح في إمبراطورية القرث ، اسم هذه المدينة ، ولا اسماً آخر يقع في هذا المكان ، لذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تنشأ إلا بعد أيام (إيزيدور) وربما في القرن الأول للميلاد، وأنها أنشئت في بادئ الأمر لحزن المواد فيها وتخزين الحاميات بما تحتاج إليه ، ثم توسعت في العصر الساساني حتى أصبحت المدينة الثانية في إقليم بابل بعد طيسفون^٢ .

وفي رواية لـ (ثيوفيلكتس) (Theophylactus) أن (كسرى برويز الثاني) (Khosrowe Abharvaz) (٥٩٠ - ٦٢٨ م تقريباً) ، حينما هرب من وجه (بهرام جوين) حوالي سنة ٥٩٠ للميلاد ، وترك العاصمة طيسفون عبر دجلة واعترق البادية حتى جاء الأنبار ، ومنها ذهب إلى عانة (Anatha) ، ومنها ذهب إلى (قرقيساء) حيث اتصل بالروم^٣ .

وقد صارت (الأنبار) من أهم المواضع العلمية لليهود العراق في عهد (هرمز الرابع) (٥٧٨ - ٥٩١ م) أو (٥٧٩ - ٥٩٠ م) . فلما اضطهد هذا الملك اليهود ، وأمر بإغلاق مدارسهم الدينية التي كانت من أهم مدارس اليهود في ذلك العهد في مدينتي (سورا) (Surā) و (بوميدثا) ، (بوميدثه) (Pumbeditha) ، انتقل أعيان المذنبين إلى مدينة (فغروز سابور) (Peroz Shapur) أي الأنبار . وكانت إذ ذاك في حكم ملوك الحيرة^٤ . وصارت منذ ذلك العهد مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في العراق .

وتقع (بوميدثه) (Pumbeditha) بجوار الأنبار ، وتعني (قم البداة) ، وقد كانت من أهم المستوطنات اليهودية في العراق . ومن أهم المراكز العلمية التي أخرجت طائفة من كبار أعيان اليهود ، أسهموا في تدوين التلمود وفي جمع التراث اليهودي القديم . ومن علمائها (مار رابة الغاؤون) وآخرون . وقد قدم

Ptolemy, V, 13, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, S. 1791.

Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1791.

Theophylactus, IV, 10, 4, Paulys-Wissowa, 2 Halbband, 1894, 1794.

Die Araber, I, S. 639, Th. Noldeke, Tabari, 57, Ann., 5.

اليها اليهود من فلسطين هرباً من الرومان الذين لم يعطوا اليهود الحرية الدينية الكافية للانصراف الى ممارسة شعائرهم الدينية والتعليم على وفق ديانتهم . فأسوأ مستوطنات مهمة في العراق ، منها : هذه المستوطنة ، ومستوطنة (نهر دجلة) وغيرها ، وفي هذه المستوطنات دون التلمود البابلي الذي هو من أهم أركان كتب التشريع عند اليهود^١ .

وقد جاء في (بابا برّا) أن العرب الذين أتوا الى (قومبيته) ، استولوا على أرض اليهود . وقد جاء اليهود الى جبرهم (أبيه) (Abaya) ليكتب لهم نسختين من نسخ تملك الأرض ، حتى اذا استولى غريب على نسخة التملك تكون لديه نسخة ثانية . وكان ذلك على أثر هذا الحادث^٢ . وكان العرب عندما ينتزعون تلك الأرضين يأخذون سندات التملك أيضاً . ولذا راجع اليهود هذا الخبر ليكتب لهم سندي تملك ، حتى اذا أخذت نسخة ، احتفظ صاحب الأرض بالنسخة الثانية ليكون في امكانه مقاضاة المقتصب^٣ .

ونجد في (نداء) (Niddah) ، وهو (كتاب الخيض) من باب (كتاب الطهارة) (Seder Toharoth) في الفقه العبراني ، قصة تاجر عربي كان في (قومبيته) ، وكان يرتدي عباءة أو جبة سوداء حالكة السواد ، ولما كان السواد من الألوان المكروهة عند اليهود ، جاءه أحد زوار المدينة من اليهود ، فسأله عن هذا السواد ، فقال التاجر : وهل يوجد لون كهذا اللون ! فقام عليه اليهود ، وانتزعوا منه عباءته أو جبته ومزقوها ، ثم استرضوه بأن عوضوه بأربعمئة (زوز)^٤ .

ملوك الخيرة :

وقد عرف ملوك الخيرة بـ (آل نصر) ، وبـ (آل تلم) ، وبـ (آل محرق) ، وبـ (آل النعمان) ، وبـ (آل عدي) . وورد ان العرب كانت تسمي بني المنذر الملوك (الأشاهب) لجلالهم^٥ .

J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, S. 215.	١
Baba Bathra 168b.	٢
The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 735.	٣
Niddah 20a, The Babylonian Talmud, Seder, P. 131.	٤
الاستشاق (ص ١١٦) .	٥

ويظهر ان شهرة ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، هي شهرة قديمة تعود الى ما قبل الاسلام بزمان طويل . فقد ورد في الأخبار عن (نهر دعة) (Neharden) وهي مستوطنة من المستوطنات اليهودية القديمة الكبيرة التي تأسست في العراق ، وتقع عند قدم نهر ملكا (Nehr Malka) ، أي نخرج نهر الملك من القرات^١ ، انه في سنة (٥٧٠) من التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد ، جاء (بابا ابن نصر) الى مدينة (نهر دعة) وخرّبها ، فهرب بعض أحيائها الى مواضع يهودية أخرى ، كانت ملجأ لليهود^٢ . ويظهر ان الأمير المهاجم ، وقد سمي في الخبر بـ (بابا) (Papa) ، كان من أبناء سيد قبيلة عربية اسمه (نصر) . وقد عرف بـ (برنصر) و (بن نصر) في التلمود^٣ . وقد ذهب الباحثون الى ان المراد به أحد أمراء الحيرة من (آل نصر)^٤ . أما (كريتز) (Grätz) ، وهو من المؤرخين اليهود المشهورين ، فقد ذهب الى انه (أذينة) زوج الملكة (زنوبيا) (الزباء) (Zenobias) ملكة تدمر^٥ . غير ان هناك أدلة تاريخية لا تؤيد هذا الرأي ، ثم ان الوارد العربية تنعت ملوك الحيرة بـ (آل نصر) ، ولم يشتهر ملوك تدمر فيها بـ (آل نصر) .

وقد تحدثت اليك برأي أهل الأخبار في أول من حكم الحيرة من الملوك، ورأينا أن (مالك بن فهم) هو أول ملك حكم هذا الوضع على زعم ، وهو في نظرهم من الأزد^٦ . وقد حكم مدة عشرين عاماً على رواية الأخباريين^٧ .

وقد زعم (حمزة الإصفهاني) أن (مالك بن فهم) تملك تنوخ العراق في زمان ملوك الطوائف ، وإن منزله كان بالأندلس ، وأنه بقي بها الى أن رماه ابنه (سليمة بن مالك بن فهم) رمية بالنيل ، وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة رماه ، قال :

١ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, B. 245.

٢ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, B. 254.

Kethuboth 51b.

٤ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonien, B. 235.

٥ Grätz, Geschichte der Juden, IV, B. 295.

٦ الطبري (٢٧/٢) .

٧ اليعقوبي (١٦٩/١) ، المعارف (٢٨١) .

جزائي ، لا جزاه الله خيراً
أعلمه الرماية كل يوم
سليمة ، إنه شرأ جزائي
فلما اشتد ساعده رمائي

فلما قال هذين البيتين فآظأ أي مات ، وهرب سليمة . هرب إلى عمان^١ .
وحكم بعد (مالك بن فهم) أخوه (عمرو بن فهم) على رواية^٢ ، و(جذيمة
الأبرش) المعروف بجذيمة الوضاح أيضاً على رواية أخرى . ولا نعرف من (عمرو)
(عمرو) ههنا شيئاً يستحق الذكر .

وتزعم رواية أن الذي حكم بعد (مالك بن فهم) هو (جذيمة الأبرش) ، وقد
جعلته ابتأ لملك ، وجعلت نسبه على هذه الصورة : (جذيمة بن مالك بن فهم
ابن غانم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن الغوث) . وقالت : إن والده (مالك)
هو أول من ملك الفصاحية في حكم ملوك الطوائف^٣ .

أما حفظ جذيمة الأبرش ، فهو خير من حفظ الرجلين السابقين عند الأخباريين ،
قله في رواياتهم شعر وحديث . وقد تحدثوا عنه ، ونسبوا إليه الغزوات ، وجاد
عليه بعض الرواة فرفعوا زمانه وجعلوه في العاربة الأولى . جعلوه من بني (وبار
ابن أميم بن لؤذ بن سام بن نوح) ، وصيروه (من أفضل ملوك العرب رأياً ،
وأبعدهم مغاراً ، وأشدهم نكاية ، وأظهرهم حزمًا . وأول من استجمع له الملك
بأرض العراق ، وضم إليه العرب ، وغزا بالجيوش)^٤ ، وذكر (السعدي)
أنه أول من ملك الحيرة^٥ .

وقد وصفوه أيضاً ، فقالوا : إنه (كان به برص ، فكشنت العرب عنه ،
وهابت العرب أن تسميه به ، وتنسبه إليه ، إعظاماً له . فقبل : جذيمة الوضاح
وجذيمة الأبرش)^٦ . وذكر (السعدي) أن جذيمة هو صاحب التديمين اللذين

١ حمزة (٦٤) ، الاشتقاق (٣١٧) .

٢ الحيرة (١١٨) .

٣ الطبري (٦١٢/١) ، (دار المعارف) ، البلدان (٣٧٩/٣) . مفاتيح العلوم ،
للخوارزمي (ص ٦٨) .

٤ الطبري (٢٩/٢) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، أسماء المقاتلين ، محمد بن حبيب ،
(نوادر المخطوطات) ، (ص ١١٢) .

٥ مروج (١٦/٢) .

٦ الطبري (٢٩/٢) ، الكامل (١٣٦/١) ، الاشتقاق (٢٩١/٢) .

يضرب بها المثل ، واستشهد على ذلك بشر ل (منعم بن نويرة البصري) في
 مراثيه لأخيه مالك بن نويرة :

وكنّا كندمانيّ جذيمة حقية من الدهر حتى قيل لن يتصدعا^١

وقد ذكر ان التديمين المذكورين هما : مالك وعطيل ، وهما ابنا (فرج بن
 مالك) من (بلقين) ، وكانا قد قدما من الشام ، يريدان جذيمة ، فوجدا في
 قد تلبد شعره ، وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، أسرع نحوها يرجو الطمام
 والرعاية ، فلما سألاه عن حاله ، وتبين لها انه (عمرو بن عدي) ، سرّاً به
 كثيراً ، وعُنيا به ، وأخذاه معها الى (جذيمة) ، فلما رآه ، فرح به فرحاً
 كبيراً ، لعودته اليه ، ونظر اليه ، ثم أعاد عليه الطوق ، وكان جذيمة قد صنعه
 له قبلاً ، ثم قال : « كبر عمرو عن الطوق » . وكان الجفن قد استطارته ،
 أي خطفته . وقال جذيمة مالك وعطيل : ما حكمكما ، أي ما طلبكما ؟ قالّا حكمنا
 منادمتك . فأصبحا يضرب بها المثل^٢ .

وذكر (المسعودي) ان كنية (جذيمة) التي عرف بها هي (أبو مالك) ،
 وروى في ذلك شعراً ، زعم ان قائله هو سويد بن كاهل الشكري :

ان أدق حنفي ، فقيل فاقه طسم وعاد وجدس ذو السج
 وأبو مالك القليل السدي فلتته بنت عمرو بالخدع^٣

وذكر الأخباريون ان جذيمة غزا طسماً وجديساً ، غزاهم في منازلهم من (جو)
 وما حولهم . فأصاب (حسان بن تبع أسعد أبي كرب) ، وقد اغار على طسم
 وجدس باليامة ، فالكفأ جذيمة راجعاً بمن معه ، وأتت خيول تبع على سرية
 جذيمة ، فاجتاحتها وبلغ جذيمة خبرهم ، فقال في ذلك شعراً دون منه الطبري

- ١ التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، ابن قتيبة ، عيون الاخبار (٢٧٤/١) ، الروض
 الانف (٣٠٣/٢) .
- ٢ الكامل ، لابن الأثير (١٩٧/١) ، التنبيه (١٥٨ وما بعدها) ، (أنا شهنش
 ندمانى جذيمة : مالكا وعطيل ، وصيحتهما الخمر المتعشمة لما وجدا عمرو بن
 عدي ، فكنت اصرف الكاس عنه) ، رسالة الغفران (٢٧٨) .
- ٣ مروج (١٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

أحد عشر بيتاً . وقد أراد ابن (الكلبي) أن يكون حلزراً في هذه المرة ، أو أن يظهر نفسه في مظهر الحلز الناقد ، فقال : « ثلاثة أبيات منها حق ، والبقية باطل »^١ . وجميل صدور هذا الحلز من الطبري ، أو من ابن الكلبي ، وقد عودنا سرد أبيات من الشعر العربي ، نسبها إلى من هو أقدم عهداً من جذعة ولم يذكرنا أنه باطل ، أو أن فيه حقاً وباطلاً .

وفي جملة ما تحدث به الأخباريون عن جذعة أنه تكهن وتنبأ ، وأنه اتخذ صنمين يقال لهما الصيرنان ، وضعهما بالحيرة في مكان معروف ، وكان يستقي بهما ويستنصر بهما^٢ . فلم يقع الأخباريون بالحديث عن ملك جذعة وحده ، فأضاعوا إليه التنبيؤ والكهانة وعبادة الأصنام .

وذكر بعض أهل الأخبار أن (جذعة بن مالك بن فهم) وهو جذعة الأبرش كان يتزل الأتيار ويأتي الحيرة ثم يرجع . وكان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه ، وينادم القرقيين . فإذا شرب قدحاً ، صب لهما قدحاً ولهما قدحاً ، وهو أول من عمل المنجنيق ، وأول من حطبت له النعال ، وأول من رفع له الشمع^٣ . بقي على ذلك حتى تادمه مالك وعقيل^٤ ، إلى غير ذلك من أقوال وروايات عنه . وهي تدل على أنه كان قد ترك أثراً في المجتمع في أيامه غير أثر الملك ، مما حدا بالقوم أن يفسحوا هذه الأقوال فيه .

واشتهر (جذعة) عند أهل الأخبار بفارس له ، ذكر أنها كانت من سوابق خيل العرب ، اسمها (العصا) . وفيها ورد في المثل : « إن العصا من العصية » . وقد نجما (قصير بن سعد اللخمي) على فرسه هذه ، فأخذ يثأره وقتل (الزباء) على زعم أهل الأخبار .

وهم يروون أن جذعة كان يغاري إباداً النازلين به (عين أباغ) ، فذكر له اسم غلام من لحم في أخواله من إباد ، هو عدي بن نصر ، له جمال وظرف ، ففزعاهم . فبعثت إباد قوماً سقوا سدقة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا

- ١ الطبري (٢٩/٢) .
- ٢ الطبري (٢٩/٢) . اليعقوبي (١٦٩/١) . الكامل ، لابن الأثير (١٩٦/١) .
- ٣ المعارف (٢٨١) ، « ويذكر أيضاً أنه أول من أوقد الشمع » ، الروض الاتساف (٣٠٣/٢) .
- ٤ اللسان (٦٨/١٥) ، (عصا) ، الخليل لابن الكلبي (٣١) ، سوادد المخطوطات (١٩٩) .

في إباد . فبحث اليه تفاوضه على ارجاع الصنمين اليه على أن يكف عن غزوهم ، ولكنه اشترط عليهم اعطاء عدي بن نصر مع الصنمين ، فوافقوا على ذلك . فأتصرف عنهم وضم عدياً اليه ، وولاه شرايه . ويدعون انه تزوج اخته (رقاش) التي أحبته فيها بعد ، في قصة يروونها ، ومن هذا الزواج المزعوم كان (عمرو ابن عدي) ابن أخت جذيمة الذي خلف خاله على الملك^١ .

وفي رواية من روايات الأخباريين ان جذيمة زوج اخته من ابن عمه : (عدي ابن ربيعة بن نصر) ، فولدت له (عمرو بن عدي) الذي استطار به الجن^٢ . وفي جملة ما نسبته أهل الأخبار الى جذيمة من حروب حربه مع (عمرو بن القرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوير العلفي) (العلفي) من عاملة العماليق . وعمرو هذا هو أبو الزباء عند الأخباريين . ويذكر هؤلاء أن الطرفين استعلا للقتال استعداداً كبيراً ، فجمعا كل ما أمكنها جمعه . ولما اصطدما ، قُتل عمرو ، فانهزم أصحابه ، وعاد جذيمة بعد هذا النصر الى قواعده سالماً . ولم يشر الطبري الى اسم الموضع الذي وقع فيه هذا القتال . وملك من بعد (عمرو) ابنته الزباء^٣ .

أما ملك جذيمة ، فكان هل حد قول الأخباريين ما بين الحيرة والأنبار وبقية وهيئ وناحيتها وعين الثمر وأطراف البر الى الغير والتقططانة وخفية وما والاها^٤ ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب . ويفهم من بعض الروايات أيضاً انه ملك معداً وبعض اليمن^٥ . وكانت داره بالموضع المعروف بـ (المضيق) بالمصيرة بين الحاثوقة وقرقيسيا^٦ .

- ١ الطبري (٣٠/٢ وما بعدها) ، الكامل . لابن الاثير (١٩٦/١) ، ابن خلدون (القسم الاول) ، المجلد الثاني (٥٤٢ ، ٥٨٦ ، ٦٢٦) ، العقد الفريد (٢٦٠/٥) ، الحموي ، المشترك (٣١٩) ، الهمداني ، صفة (١٧٨) ، مرصدة الاطلاع (١٧٦/٢) .
- ٢ الاشبار الطوال (٥٦) .
- ٣ الطبري (٣١/٢) ، الكامل . لابن الاثير (١٩٩/١) ، مروج (٩٠/٢) وما بعدها (، نوادر المخطوطات ، (أسماء القتالين) (ص ١١٢ وما بعدها) ، الالغامي (٧١/١٤) .
- ٤ الطبري (٢٩/٢) ، بلوغ الارب (١٧٥/٢) ، محمد بن حبيب ، أسماء القتالين (نوادر المخطوطات) ، (١١٢) .
- ٥ حمزة (٦٤) .
- ٦ البلدان (٣٧٨/٣) .

أما الأتبار ، فقد تحدثت عنها . وهي - على ما يظهر من روايات الأخباريين- من المواضيع التي كان يخضع اصحابها في الغالب لحكم النخمين . وأما بقية ، فضع على الفرات بين هيت والأتبار . وأما هيت ، فهي من المواضيع القديمة المعروفة قبل الميلاد، وقد ورد اسمها في نص (توكلي أنورتا الثاني) (Tukulti Enurta II) الذي يعود عهده إلى حوالي سنة 885 قبل الميلاد^١ . وقد عرفت به (إيد) (Id) و (إيت) (It)^٢ . وهي (إيس) (Is) و (إس) (Is) و (إيس بوليس) (إسبولسي) (Ispolis) (Ispoolis)^٣ و (إيديكاره) (Idikara)^٤ و (دياكيرة) (Diakira)^٥ في مؤلفات الكلاسيكيين . و (إيسي) (Ihi) و (إيدياكيرة) (Ihidakira) في مؤلفات عصر التلمود^٦ .

وفي بقية انتشار جديده قصيراً على حد قول الأخباريين في أمر زيارته للزباء^٧ . وتقع بقية على مقربة من الحيرة . وقيل هي حصن كان على فرسخين من هيت على رواية ياقوت^٨ . وقد جعلها (اليعقوبي) على شط الفرات بالقرب من الأتبار وفي ملك الزباء^٩ . وهي على الفرات بين الأتبار وهيت ، في رواية أكثر الأخباريين^{١٠} .

وأما النطقطانة ، فوضع في البرية لا بعيد كثيراً عن الكوفة، وهو بالطف^{١١} . وأما غفية ، فهي أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة ، ينسب إليها

- | | |
|--|----|
| Scheil and Gautier, Annales de Takult Ninip II, Roi D'Assyrie, 889-884, Paris, 1910, P. 38. Ency., II, P. 322. Musil, Euphrates, P. 350. | ١ |
| Musil, Euphrates P. 350. | ٢ |
| Herodotus, I, 179. | ٣ |
| Isidore of Charax, Mansiones Parthiae, (Muller), P. 249. | ٤ |
| (ابوليس) ، الشرق ، السنة ١٩٠٢ ، العدد ١٠ ، (ص ٤٤٠) . | ٥ |
| Ptolemy, Geography, V, 19, 4. | ٦ |
| Ammianus Marcellianus, Rerum, XXIV, 2, 3, Zosimus, III, 19. | ٧ |
| Musil, Euphrates, P. 350. | ٨ |
| (بقية خلفت الراي) ، البلدان (٢٥٣/٢) ، الطبري (٣٧/٢) وما بعدها ، (كتاب لم يطبع فيما أشار قصير) ، رسالة الفهران (٥٣٣) . | ٩ |
| البلدان (٢٥٣/٢) ، الطبري (٣٢/٢) . | ١٠ |
| اليعقوبي (١٦٩/١) . | ١١ |
| البكري ، مجسم (٢٦٤/١) وما بعدها ، مرصد الاطلاع (١٦٦/١) ، | ١٢ |
| البلدان (٢٧٣/١) . Musil, Euphrates, P. 350. | |
| البلدان (١٢٥/٧) . | |

الأسود المعروفة بأسود خفية ، وهي غربي الرحبة، ومنها الى عين الرحمة مغرباً .
وقبل أيضاً عين خفية ^١ .

وقد اشتهرت (عين النمر) القرية من (شفاقا) بالقصب والتمر، وهي على
طرف البادية . فتحها المسلمون على يد (خالد بن الوليد) في سنة ١٢ للهجرة
في أيام أبي بكر ^٢ .

وقد طال عمر جذعة على حد قول (حمزة الأصبهاني) الى ان لحق ملك
(سابور بن أشك الأشغاتي) (شاپور بن أشك) ، وحكم على حد قوله أيضاً
سنتين سنة . أما نهايته ، فكانت على يد الزباء في قصة مشهورة معلومة ، رصتها
الأخباريون بشعر وأمثلة ^٣ ، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الزباء . وجعل
بعضهم مدة حكمه مئة وعشرون سنة ، اذ ملك في زمن ملوك الطوائف حساً
وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بن بابك وسابور الجنود ثلاثة وعشرين سنة ^٤ .
وملك يحكم هذه المدة لا بد أن تكون مدة حياته أطول من مدة حكمه .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ان جذعة لم يزل ملكاً مقيماً بالخورتق ، حتى
دعته نفسه الى تزويج (مارية) ابنة الزباء الفسافية . وكانت ملكة الجزيرة ،
ملكته بعد عمها الفيزين الذي قتله (سابور) ، فقتلت جذعة ، ثم قتلها قصير
مولاه ^٥ . فجعل الملكة القائلة بيتاً من بنات الزباء عينها ، فدعاها مارية ، وبذلك
أقتل الزباء من نهمة القتل التي ألصقها الأخباريون بهذه الملكة ، وجعلها ملكة
على الجزيرة ، وجعل نسبها في حسان ، وحسان معادون منافسون لآل لحم ، ثم
أبى إلا أن يجعل لجذعة قصراً منيفاً ، فوقع اختياره على الخورتق ، وهو قصر
لاثق أن يكون قصر ملك ، وخالف في ذلك رأي الأخباريين الذين ينسبون هذا
القصر الى ملك آخر هو النعمان .

وقد جاء اسم (جذعة) (جديمت) في نص نبطي وبوناني عثر عليه في

- ١ البلدان (٤٥٢/٣) .
- ٢ البلدان (٢٥٢/٦) .
- ٣ حمزة (٦٤ وما بعدها) ، البلدان (٣٧٩/٣) ، الكامل ، لابن الأثير (١٩٩/١)
الطبري (٤٤٨/١) .
- ٤ مروج (٩٠/٢ وما بعدها) ، الروض الالف (٢٠/١) .
- ٥ الاخبار الطوال (٥٦) .

(أم الجبال) ، جاء فيه : (هنا موضع أبي قبر فهر بن شلي (سلي) مربي جذيمة ملك تنوخ) . ولهذا النص على قصره أهمية بالغة ، لأنه يشير إلى الصلة التي كانت بين الأسرة الحاكمة في الحسيرة وعرب الشام^١ . ومن الصعب بالطبع استنتاج كيفية وفاة مربي الملك في هذا الموضع : أكان زائراً هذه الديار فأدركه أجله فقبّر هناك ! أم جاء مع سيده في حرب فتوفي في ذلك المكان ! مهما يكن من شيء ، فقد ألدنا الحجر قائمة كبيرة بتدوينه اسم صاحب القبر ، واسم جذيمة ملك (تنوخ) تنوخ .

ويلاحظ أن النص دون اسم (جذيمة) بحرف (الدال) وكتب اسم (تنوخ) بحرف الحاء (تنوخ) بدلاً من الخاء . ويكون هنا النص من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم (تنوخ) . ويرجع عهده إلى حوالي السنة (٢٧٠) بعد الميلاد^٢ . وجعل (ابن دريد) جذيمة نسلاً ، سماهم (بني جهضم) ، وجعل لفظة (جهضم) من (التجهضم) ، ومعناها التكبير^٣ .

وذكر (حمزة الأصفهاني) أنه لم يلد لجذيمة غير (زينب بنت جذيمة) ، وهي أم مرثع . واسمه (عمرو بن معاوية بن كندة) ، فترا في آخر عمره الشام ، قتل (عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة) ملك الحارثية والد الزبارة ، فانتقلت له الزبارة على طلب الثأر حتى قتله^٤ .

وانتقل الملك بعد وفاة جذيمة إلى ابن أخته (عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لحم)^٥ . أما أمه ، فهي أخت جذيمة ، وهي : (رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن عدنان) على رواية من ينسب مالك بن فهم إلى عدنان^٦ .

١ Rep. Epig., 1007, II, III, P. 373, Enzo Littmann, Nabataish-Griechische
Bilinguen, in Le Florilegium Melchior de Vogue, P. 378, Die Araber, II,
S. 251.

٢ Die Araber, I, S. 193, Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen,
I, S. 181, 184.

٣ الاشتقاق (٢٩٢/٢) .

٤ حمزة (٦٥) .

٥ الظهري (٣٠/٢) وما بعدها ، معجم الشعراء (٢٠٥) ، الأغانى (٧٢/١٤) ،
رسالة الغفران (٢٧٨) ، فرائد اللال (١٠٨/٢) .

٦ حمزة (٦٥) ، مروج (٩٢/٢) ، محمد مجيب الدين عيسى الحميد (،
التنبية (١٥٨) ، نزعة الجليس (٥٩/٢) وما بعدها .

ويلاحظ أن (الطبري) لم يكن مستقراً في موضوع اسم (علي) والد عمرو ، إذ يجعله (نصراً) في موضع ، فيقول (علي بن نصر بن ربيعة)^١ ، ويجعله (ربيعة) في موضع آخر ، فيقول : (علي بن ربيعة بن نصر)^٢ . ويظهر أن ذلك إنما وقع له بسبب أخذه من روايات مختلفة ، وعدم تدقيقه ونقله لتلك الروايات .

ويظهر من رواية يرجع (الطبري) سنداً إلى (ابن حيد) عن (سلمة) عن (ابن اسحاق) أن زمان حكم (ربيعة بن نصر اللخمي) كان بين ملك (تان أسعد أبو كرب) وملك ابنه (حسان بن تان أسعد)^٣ . والرواية مضطربة مشوشة ، يظهر منها أن (ربيعة بن نصر) كان نفسه قد حكم اليمن في الفترة الواقعة بين (تان أسعد) وبين حكم ابنه (حسان) ، وأن (حسان) هذا لم يتمكن من الحكم إلا بعد هلاك (ربيعة بن نصر)^٤ . ويضيفها اضطراباً وتشوشاً ذكر (الطبري) رواية الرؤيا التي رآها (ربيعة بن نصر) وعرضها على (سطيح) و (شق) لتفسيرها له ، وما كان من جوابها له في تفسيرها ، حيث (وقع في نفسه أن الذي قالوا له كائن من أمر الحبشة ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ربيعة بن نصر ، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة)^٥ . فيتبين منها أن (ربيعة بن نصر) كان مقيماً باليمن ، وقد أقام بها حياته ، وأن بنيه هم الذين ذهبوا إلى العراق . ولكنها لم تشرح كيف وجد (ربيعة) في اليمن وكيف حكمها وهو من لحم ؟ وهي رواية شاذة ، دسها بعض المتعصبين لليمن — على ما يظهر — على (ابن اسحاق) ، فدوّنوها في أخباره . وقد دس أخبار وأشعار على ابن اسحاق ، فرواها وصدق بها من غير نقد ولا تحقيق . وللعلماء رأي فيه .

ويزعم بعض أهل الأخبار أن (سطيحاً) و (شقاً) أخيرا (ربيعة بن نصر)

- ١ الطبري (٦١٤/١ ، ٦٢٧) ، (دار المعارف) .
- ٢ الطبري (٦١/٢ ، ١١٢) ، (دار المعارف) .
- ٣ الطبري (٦١/٢ ، ١١١ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
- ٤ فكل هؤلاء ملوك قبيل ملك ربيعة بن نصر اللخمي . فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك اليمن كله إلى حسان بن تان أسعد الطبري (١١٢/٢ ، ١١٥) .
- ٥ الطبري (١١٤/٢) .

في تأويلها لرؤيا بما يكون من غلبة الجيش على أرض اليمن، وبغلبة القرمس بعدهم. فلما سمع بذلك، أوجس في نفسه خيفة، فأحب أن يخرج ولده وخاصة أهله من أرض اليمن، فوجه ابنه عمراً إلى يزجرد بن سابور، أو إلى سابور ذي الأكتاف، فأزله الخيرة، فيومئذ بنيت، فضم عمرو إليه اخوته وأهل بيته، فمن هناك وقع آل نهم إلى الخيرة، واتصلوا بالأكاسرة فجعلوا لهم على العرب سلطاناً، فلما مات خلفه من بعده ابنه (جديعة بن عمرو)^١.

وزعم (الدينوري) أن وفاة ربيعة بن نصر كانت في أيام (قباد بن فيروز) وأنه بوفاته رجع الملك إلى حسير، فلك ذو نواس من بعده، وهو ذو نواس صاحب تعذيب نصارى نجران نفسه. فأرجع أيام ربيعة إلى قباد (قباد)، وهو قول يخالف ما يرويه الأخباريون^٢. وجعل ذا نواس الملك من بعده، وقد عاش ذو نواس بعد قباد أمداً، فخالف في ذلك التاريخ وأقوال الأخباريين.

ووصف (الطبري) عمرو بن عدي، فقال عنه: (هو أول من اتخذ الخيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول من مجده أهل الخيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون، وهم ملوك آل نصر، فلم يزل عمرو بن عدي ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة، منفرداً بملكه، مستبداً بأمره، بغزو المغاري ويصيب الغنائم، وتقد عليه الوفود دهره الأطول، لا يدين لملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له، حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس)^٣.

وذكر الطبري أن الخيرة غرقت بعد هلاك مختصر، لتحول الناس عنها إلى الأتبار، وبقيت غراباً إلى أن عمرت في زمن عمرو بن عدي، بانحاذه إليها منزلاً^٤.

وتم رواية تنسب نصراً إلى الساطرون ملك الحضرة^٥، وتجعل آل نصر من الجرامقة، من (رستاق باجرمي)^٦، ورواية أخرى تجعل ملوك الخيرة من

١ الإخبار الطوال (٥٦) .

٢ الإخبار الطوال (٦٢ وما بعدها) .

٣ الطبري (٦٢٧/١) ، (دار المعارف) ، حمزة (٦٥) ، مفاتيح العلوم ، للخوارزمي (٦٨) .

٤ الطبري (٤٣/٢) ، (دار المعارف) .

٥ Rothstein, 8. 42.

٦ (وهو جرمقاني من أهل الموصل من رستاق يدعى باجرمي) ، معجم الشعراء ، (٢٠٥) ، Rothstein, 42.

(أشلاء قنص بن معد) . فقد ذكر أن (عمرو بن الخطاب) لما أتى بسيف
النهان بن المنذر ، دعا جبير بن مطعم فسلمه إياه ، ثم قال : يا جبير ، ممن كان
النهان ؟ قال : من أشلاء قنص بن معد . وهو من ولد عجم بن قنص ، إلا
أن الناس لم يدروا ما عجم ، فجعلوا مكانه نخعاً ، فقالوا هو من لحم ونسبوا
إليه^١ . وكان جبير من أنجب العرب^٢ . والذي عليه أكثر أهل الأخبار أن
(آل نصر) هم من اليمن ، كانوا قد تركوا اليمن وهاجروا حتى استقروا
بالعراق ، ونزلوا الحيرة ، وأسسوا ملكهم بها^٣ .

ويذكر الأخباريون أن عمراً انتقم من الزباء لقتلها جذيمة ، ورووا في ذلك
رواياتهم المروسة بالشعر والأمثال^٤ . وهي روايات لا تستند إلى أسس تاريخية ،
إذا قصدوا بذلك الزباء ملكة تدمر التي عرفنا تلويحها ونهايتها في مكان آخر من
هذا الكتاب .

وجعل (الدينوري) مدة حكم (عمرو بن عبد) نيفاً وستين سنة^٥ .

وتولى الملك بعد وفاة عمرو ابنه عمرو القيس . ويقال له عمرو القيس البسند
وامرؤ القيس الأول . أما أمه ، فهي مارية بنت عمرو تحت كعب بن عمرو
الأزدي على رواية حمزة^٦ . وقد عاصر جملة من ملوك القيس ، هم : سابور
ابن أردشير (سابور بن أردشير)^٧ ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ،
وبهرام بن بهرام ، وبهرام بن بهرام بن بهرام ، ونرمى بن بهرام بن بهرام ،
وهرمز بن نرمى ، وسابور ذو الأكتاف على رواية تجعلها مدونة في تاريخ حمزة .
وجعل مدة ملكه مئة وأربع عشرة سنة ، وهي مدة تتفق مع ما ذكره الطبري
حكاية على لسان ابن الكلبي .

-
- ١ الروض الاتف (١٨/١) .
 - ٢ الجاحظ ، البيان (٣٠٣/١) .
 - ٣ مقانيع العلوم (٦٨) .
 - ٤ الطبري (٣٥/٢) ، الكامل (١٣٧/١) ، الأغاني (٧٣/١٤) ، الأمثال ،
المبيدات (١٥٨/١ ، ٢٤٦) ، ابن دريد ، المقصورة (١٧) ، مروج (١٧/٢) وما
بعدها ، حمزة (٥٨) .
 - ٥ المعارف (٢٨٢) .
 - ٦ حمزة (٦٦) .
 - ٧ الطبري (٦٤/٢) ، حمزة (١٧) .

غير اننا اذا ما وازنا بين ما ذكره الطبري حكاية على لسان ابن الكلبي في عدد ملوك القرس الذين حكم (امرؤ القيس) في ايامهم ، وفي مدة حكمه في عهد كل ملك من هؤلاء الملوك^١ . وبين ما ذكره حمزة نجد اختلافاً في العدد واختلافاً في المدة ، مما يدل على ان حمزة نقل من مورد آخر يختلف عن مورد الطبري^٢ .

وإذا كانت مدة حكم امرؤ القيس على نحو ما ذكره ابن الكلبي وغير ابن الكلبي من رواة ، فكيف تكون مدة حياة هذا الملك ؟ إنهم لم يبينوا هذه المدة ، ولكنها مدة تزيد بالطبع على هذه السنين في نظر أصحاب تلك الروايات ، ولم لا تطول ؟ وقد ساروا على خطة اطالة أعمار الملوك الأولين ، فلك يتجاوز حكمه مئة عام بسنين أمر لا بأس به في نظر هؤلاء الرواة .

غير اننا نلاحظ انهم يخلوا على الملوك المتأخرين ، فلم يمنحهم هذه النعمة ، نعمة إطالة مدة الحكم او مدة العمر ، فجعلوا لهم مدداً مقبولة في الغالب معقولة . ولو عاش هؤلاء المتأخرون في زمن بعيد عن أولئك الرواة ، بعيد عن ايام تدوين اخبار ملوك الحيرة ، لما حرمهم الأخباريون كرمهم هذا ، ولأعطوهم ولا شك ما أعطوه من سبقهم من الملوك جديلاً من السنين .

وقد نعت امرؤ القيس في بعض الروايات بـ (المحرق)^٣ ، ونعت ايضاً بـ (محرق الحرب)^٤ . ونصادف كلمة المحرق ومحرق وآل محرق في مواضع من التواريخ المتعلقة بالحيرة . وقد اطلقها بعض الأخباريين على الفاسقة ايضاً^٥ . وهم يرون انها لقب ألحق بأولئك الملوك ، لأنهم عاقبوا أعدائهم في أثناء غزوهم لهم بحرق أماكنهم بالنار . ويرى (روتشتاين) انه تفسير لظاهر الكلمة ، وهو تفسير مغلوط . والصحيح في نظره انها اسم علم لأشخاص عرفوا بحرق ، ولذلك قبل (آل محرق) لا (آل المحرق)^٦ .

١ الطبري (٦٥/٢) .

٢ حمزة (٦٧) .

٣ المعارف (٢٨٢) .

٤ Rothstein, S. 64.

٥ (ومحرق ايضاً : لقب الحرث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة ، وانما سمي بذلك لانه أول من حرق العرب في ديارهم - فهم يدعون آل محرق) ، اللسان

(حريق) .

٦ Rothstein, S. 47.

وفي أستانم الجاهليين صنم يدعى محرق والمحرق ، تعبدت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة في موضع (سلمان)^١ . وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم ، هو عبد محرق^٢ ، أفلا يجوز أن يكون للمحرق إذن علاقة بهذا الصنم ، كأن يكون قد اتخذ من باب التيمن والتبرك للملك الذي عرف بالمحرق أو أنه قدم قرباناً لهذا الإله أحرقه على مذبحه بالنار ، وكان يكثر من حرق القرابين للألفة ، وذلك عادة معروفة وقد وردت أيضاً عند العبرانيين ، فقبل له لذلك المحرق ؟ وإلى هذا الاحتمال ذهب بعض المستشرقين^٣ .

ويظهر أن محرقاً كان من الشخصيات الجاهلية القديمة الواردة في الأساطير ، وقد اقترن اسمه بالدروع . وورد (بردي محرق) كما اقترن اسمه به (نسج داوود) ، مما يدل على أن هذا الاسم من الأسماء المعروفة قديماً في أساطير الجاهليين^٤ .

وقد ورد أيضاً صوت محرق وفرخ محرق^٥ ، وذلك يدل على أن (محرقاً) في هذا الوضع حيوان قد تكون له علاقة أيضاً بأساطير الجاهليين^٦ .

ومما حكاه الأخباريون عن هذا الملك أنه كان قد تنصر ، وأنه لذلك أول من تنصر من آل نصر^٧ . وهو أمر يحتاج إلى دليل ، كما ذكروا أن ملكه كان واسعاً وأنه كان عاملاً للفرس (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من يبادية العراق والحجاز والجزيرة)^٨ .

ويظن بعض الباحثين أن امرأ القيس ، هو امرؤ القيس الذي ورد اسمه مدوناً في نص (النارة) . فإذا كان هذا الظن صحيحاً ، كان امرؤ القيس أول ملك من ملوك الحيرة يصل خبره إلينا مدوناً ، وكذلك خبر تأريخ وفاته في سنة ٣٢٨

J. Wellhausen, Reste Arabischen Heidentums, S. 57.

Rothstein, S. 48.

Reste, S. 57.

Rothstein, S. 48.

الاماني (٦٥/٨) .

Rothstein, S. 49.

الطبري (٦٥/٢) ، ابن خلدون (٢٦٣/٢) .

الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) ، ابن خلدون (١٧١/٢) .

للميلاد ، المقابلة لسنة ٢٢٣ من تقويم بصرى ، التقويم المعمول به في تلك الجهات التي قبر فيها امرؤ القيس^١ .

ويظهر من نص البقرة ان امرأ القيس صاحب القبر ، كان رجلاً محارباً ، وقائلاً كبيراً ، أخضع قبيلتي أسد و زرار ، وهزم مذحجاً ، وأخضع معداً ، ووزع بنيه في القبائل ، وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر) . وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة . وهذا النص يتناقض الروايات التي تنسب الفتوحات العظيمة الى (شمر يهرعش) (شمر يهرعش) ، فنجعله فاتح العراق وما وراء العراق الى الصين ، وتعكس القضية عكساً تاماً . وروايات فتوحات (شمر) ، هي روايات بحانية وضعها أناس متعصبون لليمن ولا شك . وقد سبق لي أن بينت ان المستشرقين يرون ان (شمر) المذكور في هذا النص أي صاحب (نجران) ، هو (شمر يهرعش) (شمر يهرعش) . وقد ذكرته في باب (ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت وجمت) . ومعنى هذا ان (نجران) كانت في ملكه يوم أغار (امرؤ القيس) عليها فوصل أسوارها ، ويظهر انه لم يتمكن منها وانه فرض سلطانه على القبائل الساكنة في البادية ، فاعترفت بسيادته عليها . ولهذا لقب في النص بلقب (ملك العرب كلهم الذي ذال التاج) ، وختمت الكتابة بجملة : فلم يبلغ ملك مبلغه ، وهي جملة تعبر عن اتساع ملكه وامتداده مسافات شاسعة .

ويظهر من ورود كلمة (التيج) أي التاج في هذا النص ان هذه الكلمة كانت معروفة عند العرب الشماليين في ذلك الحين ، أي في القرن الرابع للميلاد ، وانها وردت بالمعنى المقصود منها في الزمن الحاضر ، أي ما يوضع على الرأس تعبيراً عن الملك والحكم .

وبفهم من هذا النص أن (امرأ القيس) كان قد بسط سلطانه على كل العرب ، أي الأعراب ، فلكهم وملك خاصة (بني زرار) و (أسد) و (معد) ، وأنه نصب أولاده على القبائل ليضمن طاعتها وخضوعها له ، وأن

François Nan, Les Arabes Chrétiens, P. 32, René Dussaud, Arabes en Syrie avant L'Islam, Paris, 1907, P. 35, REP. EPIG., I, (1900-1905), 362, NR, 483, R. Dussaud, Mission, 334, J. Cantélineau, Le Nebatéen, 1932, 49, Die Araber, II, 8. 313.

سلطانه بلغ بذلك حدود أرض اليمن . فامتد حكمه إذن من الحيرة وبلاد الشام الى نجد والحجاز ، حتى بلغ حدود مدينة (نجران) . وقد كانت منازل (معد) في الحجاز وفي ضمن أرضها (مكة) وتمتد الى (نجران)^١ .

ويظهر من دفن (امرؤ القيس) في موضع (الهارة) من بلاد الشام أن (امراً القيس) كان في بلاد الشام حينما نزل به أجله. ويرى بعض الباحثين أنه كان قد جاء الى بلاد الشام ، لأنه كان من حزب (بهرام) الثالث ومن مؤيديه ، فلما وقع الخلاف بين الفرس على العرش وانتصر (فرسي) (٢٩٣ - ٣٠٢ م) (٢٩٣ - ٣٠٣) ، خرج امرؤ القيس من العراق ، وقصد بلاد الشام ، فأقام هناك . ومال الى الروم فأبدوه وأقروه على عرب بلاد الشام ، فيكون قد عمل للفرس وللروم معاً^٢ .

وكتابة (الهارة) هي شاهد قبر ملك عربي يدعى (امرؤ القيس) ، عثر عليها في موضع (الهارة) وهو في الحيرة الشرقية من جبل السدرود ، ويرجع تاريخها الى اليوم السابع من شهر (كسلول) من سنة (٢٢٣) من تقويم (بصري) أي في اليوم السابع من شهر كانون الأول من سنة (٣٢٨) بعد الميلاد^٣ . دوتت على ضريح الملك ، وهو بناء مربع ، لتكون دليلاً للناس يعرفون منها اسم صاحب القبر . وتتألف من خمسة أسطر ، هذا نصها :

- ١ - تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر النج .
- ٢ - وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب ملحقو عكنى وجا .
- ٣ - يزجي في حبيج نجرن مدينة شمر وملك معلو ونزل بنيه .
- ٤ - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
- ٥ - عكنى . هلك سنة ٢٢٣ يوم بكسلول بلسعد ذو ولده^٤ .

Die Araber II, B. 321. ١

رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٦ وما بعدها) . ٢
Die Araber, II, B. 319.

REP. EPIG., I, VII, P. 361, No. 483, Syria, Tome, IV, 1923, P. 154. ٣

ولفنسون (١٩٠) ، زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٣) . رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٣) . ٤

Lidzbarski, Ephemeris, Zweiter Band, Erster Heft, S. 34, REP. EPIG.,

I, VI, P. 362, Dussaud, Nabatéo-Arabe D'An-Nemara in Rev. Arch.,

1902, II, 409-421, Halevy, in Rev. Sem., 1903, P. 58-62, Peiser Die

Arabische Inschrift Von En-Nemara in Orientalist. Literatur-Zeitung, VI,

15, Col. 277-281.

وإذا أردنا تقريب هذه الكتابة الى ألفبائنا وتدوينها بلهجتنا العربية، فلهجة القرآن الكريم، كتبناها على هذا الشكل :

- ١ - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي نال التاج .
- ٢ - وملك الأسدين ووزاراً وملوكهم ، وهزم مدحجاً بقوة وقاد .
- ٣ - القفر الى أسوار نجران ، مدينة شمر . وملك معداً واستعمل أبناءه على
- ٤ - القبائل . ووكلهم لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه
- ٥ - في القوة . هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول . ليسعد الذي ولدته^١ .

وقد استدل المستشرقون من عبارة (ذو أمر التاج) (الذي نال التاج) على أن صاحب هذا التاج هو من الملوك الذين كان لهم اتصال بالفرس، وإن المقصود به ملك من ملوك الحيرة ، لوجود صلة لهم بالأنباطورية الفارسية^٢ . ودعواهم في ذلك ان هذه الجملة ، وكلمة (تاج) (تاج) هما من الاصطلاحات المستعملة عند الفرس وعند من خالفهم من الملوك ، فلا بد أن يكون حاملها من الملوك المحليين لهم . وكلمة (تاج) من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، من أصل (تاج)^٣ . ولما كان هذا ملكاً عربياً ، فهو إذن امرئ القيس ملك الحيرة^٤ .

١ - تختلف الترجمات بعضها عن بعض بعض الاختلاف ، بسبب اختلاف العلماء في القراءات ، راجع جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام (٤٣٧/٣ وما بعدها) .

René Dussaud, Mission, 1903, P. 314-323, R. Dussaud, in Revue Archéologique, 1902, III, Tome 41, PP. 409-421, Les Arabes en Syrie Avant L'Islam, P. 34 Hommel, Grundriss, I, S. 155, Clermont-Ganneau, Recueil D'Archéologie Orient, VI, P. 395, VII, P. 167.

٢ - زيدان ، العرب قبل الاسلام (٢٠٢) ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، لجواد علي (٤٤١/٣) .

٣ - لغرائب اللغة (٢٢٦) .
Hommel, I, S. 155, De Lagarde, Armen. Stud., 334.

وكان من عمال (سايور بن أردشير) و (هرمز بن سايور) و (بهرام ابن سايور) (على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة) في تأريخ الطبري^١ . وورد في تأريخ ابن خلدون نقلاً عن (السهلي) : ان (امرأ القيس) كان عاملاً للفرس على ملحق وربيعة ومضر وسائر بادية العراق والجزيرة والحجاز^٢ . ويظهر ان المورد الذي نقل منه (السهلي) و(الطبري) يرجع الى منبع واحد ، هو (ابن الكلبي) . وما رواه (ابن الكلبي) يتفق بوجه عام مع ما جاء في نص (البارة) من أمر ملك وفتوح (امرئ القيس) . و (شمر) صاحب مدينة (نجران) ، هو (شمر يهرعش) في رأي أكثر المستشرقين ، وينطبق زمانه على زمان (امرئ القيس)^٣ . ولذا صح هذا الرأي نكون قد حصلنا على أول نص عربي جاهلي يشير الى حرب نشبت بين مملكة الحيرة ومملكة (سبأ) وذو ريدان وحضرموت وبنت (في عهد أول ملك من ملوكها وهو (شمر يهرعش) المعروف بـ (شمر يهرعش) عند الاسلاميين .

وفي روايات الأخباريين ما يؤكد نشوب حرب بين عرب الحيرة وعرب اليمن في أيام (شمر يهرعش) ، غير أنها تناقض هذا المدون في النص عن تغلب (امرئ القيس) على نجران مدينة (شمر) . فـ (شمر) عندها يظل من الأبطال ، فتح الفتوح العظيمة ، وبلغ ملكه حداً لم يصل اليه ملك (اسكندر ذي القرنين) . وعندهم أيضاً انه هو باني مدينة (سمرقند) ، وهو الذي حير (الحيرة) . وهو تبع الأكبر وهو وهو ، على حين هو - في هذا النص - ملك مغلوب ، لم يتمكن من الوقوف أمام (امرئ القيس) الذي هلك جيوشه مدينة (نجران). فهل تجد تناقضاً أغرب من هذا التناقض ؟ على اننا لو فرضنا ان (شمر) صاحب نجران هو رجل آخر غير (شمر يهرعش) ، فلهذا النص يهدم بيان الأخباريين اليائسين القائم على أساس المبالغة في المفاخرات والمباهاة بالأجداد تكملة بالعشائريين الذين تعالوا عليهم في الاسلام بفضل النبي وشرف الاسلام، فأحفظهم ذلك جداً . وقد سبق أن تحدثت عن عثور العلماء منذ عهد غير بعيد على نص أشار الى

١ الطبري (٦٤/٢ وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (١٧١/٢ وما بعدها) . (يولاق ١٢٨٤ هـ) .

٣ جواد علي تأريخ العرب قبل الاسلام (١٤١/٣ وما بعدها) .

٤ الغضبهـم .

غزو غزاه قائد من قواد (شمس) على (ملك أسد) وأرض (تنوخ) التي تخص الفرس ، وذكرت أن (شمر) المذكور هو (شمر بهر عرش) في رأي الباحثين^١ . وقد تحدث عنه حديثاً في الكفاية في موضعه ، وفي أثناء كلامي على (شمر بهر عرش) ، فلا حاجة بي هنا لإعادة الكلام عليه .

ويرى بعض الباحثين أن (المشتى) الأثر الشهير المعروف الذي غطت أحجار جدرانها المزعومة إلى متحف (قيصر فريدريش ويلهم) ببرلين ، ولا تزال آثاره باقية ، هو من بناء (امرئ القيس) . وقد استدلوا على ذلك بطراز بناءه الذي يشبه الطراز (الخيري) على رأيهم ، وذهبوا إلى أنه أقامه في هذا المكان بعد فراره من أرض الحيرة ومن الساسانيين سنة (٢٩٣ م) ، ليكون قصر له وحصناً يدافع به عن ملكه الجديد^٢ .

ويذكر الطبري أن وفاة (امرئ القيس) كانت في عهد (سابور) ، أي سابور ذي الأكتاف (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، وأنه كان عامل (سابور) على ضاحية مضر وريبعة ، وأن سابور استعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس في مكان والده^٣ .

وحكم بعد امرئ القيس اليهم ابنه عمرو . وأمه هند بنت كعب بن عمرو على رواية^٤ ، و (مارية البرية) أخت (ثعلبة بن عمرو) من ملوك الغساسنة في رواية أخرى^٥ . وكان يعاصر من ملوك الفرس سابور ذا الأكتاف (٣١٠-٣٧٩ م) وأخاه (أردشير بن هرمز بن نرسي) (٣٧٩ - ٣٨٣ م) وسابور بن سابور (سابور الثالث) (٣٨٣ - ٣٨٨ م)^٦ . وقد نعت بعض الأخباريين بموقد الحرب (مسعر حرب) . وذكروا أنه حكم حساً وعشرين سنة^٧ . ونعت الأخباريين له هذا النعت ، يدل على أنه كان محارباً، ولكنهم لم يذكروا شيئاً من تلك الحروب .

١ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 487.

٢ Die Araber, II, B. 258, 313, 320.

٣ الطبري (٦١/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .

٤ حمزة (ص ٦٧) .

٥ التروج (١٩٩/٢) ، (٢٢/٢) ، (طبعة دار الرياء) .

٦ الطبري (٧٠/٢) .

٧ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسملة (ص ١٠٠) .

وقد ذهب بعض الأخباريين إلى أن مارية التي ضرب المثل بقرطها قتيلاً قرطاً مارية ، هي مارية هذه أم عمرو^١ .

وقد وضع اليعقوبي بعد امرئ القيس شقيقه الحارث بن عمرو بن عدي ملكاً وجعل مدة ملكه سبعاً وثمانين سنة . ثم وضع عمراً ابن امرئ القيس ملكاً من بعده . وحكم هذا على زعمه مدة أربعين عاماً^٢ .

ولا نعرف من أعمال عمرو هذا شيئاً . وللأخباريين في مدة حكمه أقوال عدة تراوح عتلمهم من ٢٥ سنة إلى ٦٠ سنة^٣ . وقد ذكر الطبري أن عمراً (بقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أردشير بن هرمز بن فرسي ، وبعض أيام سابور بن سابور) ، ثم قال أن جميع مدة ملكه فيها ذكره ابن الكلبي ثلاثين سنة^٤ . وإذا أخذنا برواية الطبري المذكورة ، تكون مدة حكمه حوالي السنين ستة ، ومعنى هذا أن عمراً كان قد عمر أكثر من ستين سنة، وأنه توفي بعد وفاة سابور ذي الأكتاف وبعد سنة (٣٨٣ م) ، لأن حكم (سابور بن سابور) المعروف عند المؤرخين بـ (سابور) الثالث كان في حوالي السنة (٣٨٣ م) . فقد نول سابور هذا الحكم فيها بين (٣٨٣) حتى سنة (٣٨٧) أو (٣٨٨ م)^٥ . وإذا أخذنا برواية من يقول أنه حكم (٢٥) سنة ، أو (٣٠) ، وجب أن تكون وفاته في أيام (سابور ذي الأكتاف) .

وقد جعل الطبري في موضع آخر من تأريخه وفاة (عمرو) في عهد (سابور ابن سابور) ، أي (سابور) الثالث^٦ . وبذلك يكون قد أطل مدة حكمه وعمره .

ويذكر الطبري أنه (سابور بن سابور) استخلف (على عمله أوس بن قلام في قول هشام) ، وذلك بعد مهلك (عمرو)^٧ . ولم يذكر الأسباب التي حلت سابور على هذا التعيين . ويظهر أنه كان من أسرة غربية عن أسرة (آل نهم)

١ البسامة (ص ١٠١) .

٢ اليعقوبي (١٧٠/١) .

٣ الطبري (٧٠/٢) ، ابن الأثير (١٥٨/١) ، حمزة (٦٧) ، مروج (١٩٩/٢) .

٤ الطبري (٦٢/٢) ، (دار المعارف) .

٥ Ency. 4. P. 178.

٦ الطبري (٦٥/٢) .

٧ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

الحاكمية . ويرجع ابن الكلبي نسه الى العماليق ، فيقول إنه من (بني عمرو بن
عمليق)^١ . وذكر حمزة نسيه على هذه الصورة : أوس بن قلام بن بطينا بن
جهمير بن لحيان العمليقي^٢ . وجعله ابن خلدون من بني عمرو بن عملاق^٣ .
ويشيع من خبر ورد في (الألفاني) أن أوساً كان من أسرة كانت تقيم في
الحيرة ، وهي من بني الحارث بن كعب^٤ . وقد ورد اسم رجل آخر من هذه
الأسرة ، ذكر أنه بني دبراً في الحيرة^٥ .

ولا نعرف من أعمال أوس هذا شيئاً، وكل ما نعرفه عنه أنه حكم خمس سنوات^٦ .
وان اسماً اسمه (جحجج بن عتيك بن لحم) (جحججا) ثار به قتلته على
رواية لابن الكلبي ذكرها الطبري^٧ . أما حمزة فذكر اسمه ونسيه على هذه الصورة ،
(جحججا بن عبيل أحد بني فاران) . وقال : (قال ابن الكلبي : وهو فاران
ابن عمرو بن عمليق ، وهم بطن بالحيرة يقال لهم بنو فاران ، وجحججا منهم .
قتل جحججا أوساً ، فرجع الملك الى آل بني نصر)^٨ .

فمن إذن أمام روايتين في أصل جحججي (جحججا) أو جحججا : رواية
ترجمه الى لحم ، ورواية أخرى ترجمه الى بني فاران ، وترجع بني فاران الى
(عمرو بن عمليق) ، أي الى العشيرة التي رجع الأخباريون نسب أوس بن قلام
اليها ، إذن فهو بموجبها من العماليق .

أما هذا الاختلاف الذي نراه بين الرواة في كيفية ضبط اسم هذا الثائر في
جحججا أو جحججا ، وفي عتيك أو عبيل ، فيمكن رجعه الى خطأ وقع في
تدوين الروايات ، إما سهواً وإما جهلاً بحقيقة الاسم ، فمن هذين نشأ لدينا
هذا الاختلاف .

ولم يذكر الأخباريون الأسباب التي حملت (جحججي) على الثورة والمنازع

-
- | | |
|---|--|
| ١ | الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) . |
| ٢ | حمزة (ص ٦٧) . |
| ٣ | ابن خلدون (٤٨/٢) . |
| ٤ | الألفاني (١٨/٢ ، ٢٦) . |
| ٥ | Rothstein, S. 84. |
| ٦ | الطبري (٧٢/٢) ، (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) ، حمزة (ص ٦٧) . |
| ٧ | الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) . |
| ٨ | حمزة (ص ٦٧) . |

التي جرحها لنفسه منها . وكل ما ذكروه عنه انه لار به جحجي فقتله ، وان
هلاكه كان في عهد (بهرام بن سابور) (٣٨٨ - ٣٩٩ م) ، وان (بهرام)
استخلف بعده في عمله (امرى القيس البدن بن عمرو بن امرى القيس البدن)
خساً وعشرين سنة . وكان هلاكه في عهد يزيد جرد الأنيم^١ .

فيتين من ذلك ان (جحجيا) (جحجي) ، قاتل أوس ، لم يحكم الحيرة
وان حكمها عاد فانقل الى آل نصر .

ولم يذكر اليعقوبي أوس بن قلام ولا الثورة التي قام بها جحجيا (جحجي)،
بل نصب رجلاً آخر بعد عمرو بن امرى القيس هو المنذر بن امرى القيس ،
ونعت بالحرقي ، نعت بذلك لأنه أخذ قوماً حاربوه ، فحرقهم، فسمي لذلك محرقاً،
وجعل بعده النعمان^٢ .

ولم يذكر السعدي كذلك أوس بن قلام ولا جحجيا (جحجي) ، بل ذكر
النعمان بن امرى القيس رأساً بعد عمرو بن امرى القيس ، وقال انه قاتل القيس
خساً وستين سنة ، وان أمه الميجانة بنت سلول ، وكانت من مراد أو من إباد^٣ .
وقد نعت الطبري امرأ القيس هذا بالبدن^٤ . أما حزة فلقبه بالبدن^٥ . وأظن ان
مرد هذا الاختلاف خطأ وقع في الروايات من الرواة أو الكتابة للحرف الأخير من
كلمة البدن أو البدن ، فصارت الكلمة الواحدة في الأصل كلمتين .

وذكر ابن الأثير ان بهرام بن سابور استخلف من بعد أوس امرأ القيس بن
عمرو بن امرى القيس الكندي ، فبقي خساً وعشرين سنة ، وهلك في أيام
يزيد جرد الأنيم^٦ ، وأضافه الكندي الى امرى القيس خطأ ، ولا شك ، فلم يرو
أحد من الأخباريين ان امرأ القيس هذا كان كندياً . ومن المعروف ان ابن الأثير
قد اعتمد على تأريخ الطبري اعتماداً كلياً ، حتى يمكن أن يقال انه اختصره ،
والعبارتان خلا زيادة كلمة (الكندي) متشابهتان، ففي استطاعتنا أن نقول بحدوث
هذه الزيادة في تأريخ ابن الأثير إما من النسخ وإما من ابن الأثير نفسه ، إذ

- ١ (الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .
- ٢ اليعقوبي (١٧٠/١) .
- ٣ مروج (٢٢/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٤ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف) .
- ٥ حمزة (ص ٦٧) ، (اسم امرؤ القيس البدن) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٦ ابن الأثير : الكامل (١٧٦/١) .

استعمل دون تفكير فأضاف كلمة الكندي الى نسب امرىء القيس، لشهرة امرىء القيس الكندي .

ولا نعرف من غير امرىء القيس شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه هو محرق الأول ، وأنه أول من عاقب بالنار . وفي روايته هذه أنه حكم لإحدى وعشرين سنة^١ . أما الطبري ، فذكر أنه حكم خمساً وعشرين سنة^٢ .

وذكر الطبري أن (يزجرد) المعروف بالأثيم (٣٩٩ - ٤٢٠ م) ، الذي في أيامه كان هلاك (امرىء القيس) استخلف مكان (امرىء القيس) ابنه (النعمان) . وهو فارس حلبي ، وصاحب الخوارج^٣ .

وهذا النعمان المعروف عند المؤرخين بالنعمان الأول ، هو أول ملك نستطيع أن نتحدث عنه بشيء من التأكيد والتحقيق والتفصيل ، وهو كما يقول الأخباريون : النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي . أما أمه ، فهي شقيقة ابنة أبي ربيعة ابن ذهل بن شيان^٤ ، وهي أخت عمرو المزدلف .

وقد عرف النعمان بالنعمان الأعور كذلك ، كما عرف أيضاً بالسائح^٥ . وكان له شقيق من أمه شقيقة ، هو (حسان بن زهير)^٦ .

ويظهر من وصف الأخباريين للنعمان أنه كان رجلاً حازماً قوياً ، محارباً من أشد الناس نكابة في عشوته . غزا عرب الشام مراراً كثيرة فسي منهم وغنم . وكان يغزو بكنيتين كانتا عنده : دوسر وأهلها تنوخ ، والشهباء وأهلها القرس . يغزو بها من لا يدين له من العرب^٧ . وقد اشتهرت دوسر بشدة ضربتها حتى قيل أبطلت من دوسر^٨ . وقد نسب بعضهم له خمس كتائب ، هي : الرهائن

- ١ حمزة (ص ٦٧) ، (وهو محرق الأول ، لأنه أول من عاقب بالنار) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٢ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .
- ٣ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف بمصر) .
- ٤ الطبري (٦٥/٢) (طبعة دار المعارف) ، ابن الأثير (١٧٦/١) ابن خلدون (٤٨/٢) .
- ٥ حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٦ حمزة (ص ٦٨) .
- ٧ الطبري (٧٣/٢) ، (٦٧/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) .
- ٨ البدائي : مجمع الأمثال (٧٨/١) ، (ضربت دوسر فيه ضربة) ، اللسان (٢٨٥/٤) ، (صادر) ، مادة (دسر) .

والصنائع والأشباب ، والكثيبتان المذكورتان . أما الرهائن ، فذكروا أنها كانت تتألف من خمسين رجل رهائن للقبائل العرب ، يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يجيء بدلم خمسائة أخرى ، وينصرف أولئك إلى أحيائهم ، فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره . وأما الصنائع ، فهي : بنو قيس وبنو نيم اللات بن ثعلبة ، وكانوا خواص الملك لا يرحلون بابه .

وذكر أنه كانت له كتيبة تسمى (الوضائع) ، وقوامها ألف رجل من الفرس يضعهم ملوك الفرس بالحيرة تجدة لملوك العرب ، وكانوا يقيمون سنة ، ثم يأتي بدلم ألف رجل ، وينصرف أولئك^١ .

وقبل إن وجوه العرب وأصحاب الرهائن كانوا يقدون عند رأس كل سنة ، وذلك في أيام الربيع ، إلى النعمان وبقيّة من تولي الملك بعده ، وقد صبر لهم أكلاً عنده ، وهم ذوو الآكال ، فيقيمون شهراً ، ويأخذون أكسالمهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون إلى أحيائهم . والآكال هم سادة الأحياء . وكانوا يأخذون المرباع ، أي ربح الغنمة في الحرب والغزو^٢ .

ونعت بعض المؤرخين مثل الطبري وحزّة النعمان بأنه فارس حليلة^٣ ، أي معركة حليلة المعروفة التي وقعت في أيام المنذر بن ماء السماء ، لا في أيام النعمان على روايات آخرين^٤ .

ولمّا النعمان هذا ينسب أكثر الأخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي . قيل : أنه بناء ليهرام جور بن يزديجرد الأول (٣٩٩ - ٤٢٠ م) المعروف بالأنثى . وكان يزديجرد لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسمقام ، فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكناً له ، وأنزله إياه ، وأمره بأنخرجه إلى بوادي العرب^٥ .

- ١ بلوغ الأدب (١٧٦/٢) .
- ٢ بلوغ الأدب (١٧٦/٢) .
- ٣ الطبري (٦٥/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٤ البلدان مادة حليلة ، البغدادي : مجمع الأمثال (٢٤١/١) ، (١٥٠/٢) .
- ٥ الطبري (٧٣/٢) (٦٥/٢) (دار المعارف) ، النعماني (١٤٤/٢) ، (حليلة دار الكتب المصرية) .

وذكر (السهلي) ان الخورنق قصر بناء النعمان الأكبر ملك الحيرة لساير
ليكون ولده فيه عتده ، وبناءً شيئاً عجيباً لم تر العرب مثله . واسم الذي بناه له
سنيار ، وكان بناءه في عشرين سنة^١ . ويذكر بعضهم انه بني على شهر (سنداد)^٢ .
وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم يانيه المسمى سنيار ،
وهو في زعم الأخباريين بناءً رومي كلفه النعمان بناء القصر ، فلما انتهى منه وكمّل
تعجب من حسن واتقان عمله ، ويدلّ من أن يوفيه النعمان وفاةً حسناً ، أمر به
لفتح من رأس الخورنق ، فات في قصص يرويها الأخباريون . ويضرب بهذه
النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيئ ، فيقال (جزاء جزاء سنيار)^٣ .
وقد وردت قصة سنيار في أبيات تنسب لعبد العزى بن امرئ القيس الكلبي ،
وكان أهدى افراساً الى الحارث بن مارية الغساني ووقد عليه ، فأغره واكرمه ،
ثم عاقبه لما بلغه خبر وفاة ولد للحارث وكان قد استرضعه لدى بني الحميم بن
عوف من بني عبد ودّ من كلب ، نهشته حية فتوفي ، فظن الملك أنهم اغتالوه ،
للك الملك طلب من عبد العزى أن يجيء بهم اليه . فلما أبى ، انزل به العقاب . وقد

١ الروض الانب (٦٧/١) ، (والخورنق : نهر . والخورنق : المجلس الذي
يأكل فيه الملك ويشرب ، فارسي معرب ، أصله خرنكاه ، وقيل : خرنكاه
معرب . قال الأعشى :

ويجيء اليه السيلحون ودولها صريفون في أنهارها والخورنق
والخورنق : نبت . والخورنق : اسم قصر بالعراق ، فارسي معرب ، بناء النعمان
الأكبر الذي يقال له الأعور ، وهو الذي لبس المسوح فساح في الأرض) ، اللسان
(٧٩/١٠) ، مادة (خرنق) .

٢ بلوغ الأرب (٣٨٦/١) .

٣ الطبري (٦٥/٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، البلدان (١/٢ وما بعدها) ،
دائرة المعارف الإسلامية (٣٥/٩) ، الميداني ، مجمع الامتثال (١٦٧/١) ،
البكري ، معجم (٥١٦/٢) ، (وسنيار : اسم رجل العجمي ، قال الشاعر :

جزّفتنا بنو سعد بحسن فعالتنا جزاء سنيار وما كان ذا ذل
وحكي فيه السنيار بالالف واللام . قال أبو عبيد : سنيار اسم اسكاف ينسي
لبعض الملوك قصراً ، فلما أتته أشرف به على اعلام فرماه منه غيرته منه أن ينسي
لغيره مثله ، فحرب ذلك مثلاً لكل من فعل خيراً فيجزى بضده . وفي التهذيب :
من أمثال العرب في الذي يجازي المحسن بالسواى قولهم : جزاء جزاء سنيار .
قال أبو عبيد : سنيار بناء مجيد رومي فينى الخورنق الذي يظهر الكوفة للنعمان
ابن المنذر ، وفي الصحاح : للنعمان بن امرئ القيس ، فلما نظر اليه النعمان
كره أن يعمل مثله لغيره ، فلما قرع منه القاء من اعلى الخورنق فخر ميتاً ،
اللسان (٣٨٣/٤) (صادر) ، مادة (سنيار) .

ورد في هذه الأبيات ان سنار صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقرميسد والسكب ، فلما كمل البناء وآس كمثل الطود ، وظن سنار انه سينال من صاحبه المودة والقرب ، إذ بصاحب القصر يأمر بقلعه من فوق برجه فيحوت . ولم يذكر الشاعر اسم الملك ولا اسم الخورنق ، وهو يخاطب في هذه الأبيات ابن جفنة ، كما اشير الى (المرء حارث) ويقصد به الحارث الغساني^١ .

وقد نسب بعض أهل الأخبار قصة نهاية (سنار) الى (أحيحة بن الجلاح) . فلذكروا ان أحيحة أراد بناء أطم له ، فبناه له (سنار) . فلما كمل ، عجب من بنائه ، فقال له (سنار) : « اني لأعرف فيه حجراً لو انتزع لتفوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم ، فخر ميتاً^٢ .

وقد ذكر (جزاء سنار) في شعر لأبي الطمحان القيني ، وآخر لسليط بن سعد وآخر ليزيد بن لباس النهلي^٣ .

واقترن اسم هذا القصر في الغالب باسم قصر آخر نسب بناؤه أيضاً الى هذا النعمان ، هو السدير^٤ .

ويبين من روايات أهل الأخبار عن (الخورنق) و (السدير) ان القصر الأول لم يكن بعيداً عن الحيرة ، وانما كان على مقربة منها ، وربما كان على مسافة ميل من الحيرة . أما (السدير) ، فكان على مسافة بعيدة ، وقد ورد انه كان في وسط البرية التي بينها وبين الشام .

١ (ودعا ابنه : شراحيل وعبد الحارث . فكتب معهما الى قومه :

جزائي جزاء الله شر جزائه جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان عشرين حجة يعمل عليه بالفراheid والسكب
فلما رأى البنيان تم سموقه وآس كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فانهم من بعد حرس وحقة وقد حرم أهل المشارق والغرب
وطن سنمار به كل حبرة وفلا لديه بالمودة والقسرب
فلما : اقلدوا بالعلاج من فوق برجه فهذا لعمر الله من اعجب الخطب

الطبري (٦٦/٢) وما بعدها ، (دار المعارف) .

٢ الميداني . مجمع الأمثال (١٦٧/٢) .

٣ الطبري (٦٦/٢) (دار المعارف) .

٤ البلدان (السدير) ، حمزة (ص ٦٨) ، البكري (٧٢٩/٣) ، الروض الأنف

(٦٦/١) .

ويظهر من وصف أهل الأخبار للسدير ، ومن أنه كان قبة في ثلاث قباب متداخلة^١ ، ومن وصفهم للخورنق ، أن السدير لم يكن في مثل ضخامة قصر الخورنق ، وأن الخورنق كان قصراً كبيراً أعداً للسكنى وليكون حصناً يمين على مشارف البادية .

ويرى بعض الباحثين أن قصر الخورنق لم يكن من بناء (التمان) ، وأنه إنما بني قبل ذلك ، ويرى أن التمان قد أسكن (بهرام) فيه^٢ .

وقد ورد ذكر الخورنق في شعر لحسان بن ثابت :

وحارثة الغطريف أو كابن منذر ومثل أبي قابوس رب الخورنق^٣

وقد ذهب بعض شراح هذا البيت إلى أن المراد به (ابن منذر) (عمرو ابن هند) ، وأن المراد من (أبي قابوس) ، (التمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عدي اللخمي) ، الذي لبس الموح وساح في الأرض ، والذي نعته الشاعر عدي بن زيد العبادي به (رب الخورنق)^٤ . وهو تفسير ينجم مع رأي المؤرخين في باني القصر ، إلا أنه يتعارض معهم في تسمية الملك ، فالمعروف عندهم أن (أبا قابوس) هو (التمان بن المنذر) آخر ملوك الحيرة ، وهو قاتل الشاعر (عدي بن زيد العبادي) لا (التمان السائح)^٥ . ولا يوجد أحد غيره عرف عندهم به (أبي قابوس) . وقد حكم هذا بعد (عمرو بن هند) بأمد ، فيكون هو مراد الشاعر المذكور . غير أن هذا يدفعنا إلى تحطئة (حسان) في نسبة الخورنق إلى هذا الشاعر ، أو تحطئة المؤرخين في نسبتهم القصر إلى (التمان

١ (والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهدلي أي ثلاث شعب أو ثلاث متداخلات . وقال الأصمعي : السدير فارسية . كان أصله سادل أي قبة في ثلاث قبب متداخلة ، وهي التي تسميها الناس اليوم سدهلي ، فأعربته العرب ، فقلألسوا سدير . والسدير : النهر ، وقد غلب على بعض الأنهار ، قال :

الابن أمك ما بدا ولك الخورنق والسدير

التهذيب : (السدير نهر بالحيرة) . اللسان (٢٥٥/٢) . (صادر) . نهاية الأرب (٢٨٥/١) وما بعدها .

٢ إيران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستن ، ترجمة يحيى الخشاب (ص ٢٦٠) .

٣ البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الخورنق (ص ٢٨٧) .

٥ الحبر (٢٥٨) وما بعدها .

(السائح) . والذي اراه ان هذا التفسير ، لا يتعارض مع روايات المؤرخين في باني القصر ، وان مراد الشاعر من (ومثل أبي قابوس رب الخورنق) ، انه صاحب الخورنق ، اي مالكة والتازل فيه ، لا الباني له . وقد ذكره لشهرة القصر في ايامه وبذلك فلا يقع التعارض بين التفسيرين ، ويكون الملك المقصود هو (النعمان أبو قابوس) .
ومن اشار الى القصرين : الخورنق والسدير في شعره من الشعراء الجاهليين ، المنخل ، قال :

واذا صحوت فسائي رب الشريسة واليعبر
واذا سكرت فسلاني رب الخورنق والسدير

وقد نشأ لقب (السائح) الذي لقب به النعمان من القصة الشهيرة التي يرونها الاخباريون عن هذا الملك ، وهي ان النعمان جلس في يوم من ايام الربيع في قصره الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والمنخل والجنان والانهار ... فأعجبه ما رأى من الحضرة والنور والانهار ، فقال لوزيريه وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فمِمَّ ينال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتمس ما عنده . فترك ملكه من ليله ، ولبس المسوح مستخفياً هارباً لا يعلم به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضرُوا بابه ، فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل . فلما أبطل الإذن عليهم ، سألوا عنه ، فلم يجده ، وساح الملك منذ ذلك الحين في الأرض ، فلم يره انسان^١ .
ويلحق الاخباريون بهذه القصة ابياتاً ينسبونها لعدي بن زيد العبادي . ذكروا انه خاطب بها النعمان بن المنذر ، هي في الواقع اختصار للقصة ، لم يذكر فيها اسم النعمان ، وإنما اكتفى الشاعر بذكر رب الخورنق ، ورب الخورنق هو النعمان في تفسير الاخباريين^٢ .

١ الطبري (٧٣/٢ وما بعدها) ، (٦٧/٢) ، (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٨) ،
المعارف (ص ٢٨٢) .
٢ الطبري (٦٧/٢ وما بعدها) ، حمزة (ص ٦٩) ، المعارف (ص ٢٨٢) ، نهاية
الأرب (٣٨٧/١) .

والآيات المنسوبة الى عدي بن زيد ، وهي :

وتذكر رب* الخورق إذ فكر يوماً ، وللهدي تفكير
سره ملكه وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارعى جهله ، فقال : وما غبطة حي* الى المات يصير ؟

تشير الى التعمان السائح ، وتذكر قصة مفارقتها ملكه ، ولبسه المسوح واعراضه
عن الملك بعد ان كان ملكاً . ولم يقصد بالتعمان : التعمان بن ابي سلمى صاحبه ،
كما تصور بعض الناس^١ ويظهر انه نظمها للتعمان صاحبه على سبيل العظة والتذكير ،
ليدخله في النصرانية ، وذلك بعد ان كان يتبع للأوثان . وقد تمكن من التأثير
فيه ، فأدخله فيها كما يذكر الاخباريون .

وقد ورد في بعض الروايات تنصر التعمان^٢ ، ونسب تنصره الى سلطان القديس
(سمعان العمودي) (Symeon Stylites) عليه ، وكان يقوم ، بالتبشير بين
أهل الحيرة^٣ . وذكر انه شفاء ببركته من مرض كان به ، فنصر^٤ . وهي رواية
في حاجة الى دليل . فلم يثبت ان آل نهم كانوا قد تنصروا في هذا العهد .

وقد ذكر الطبري ان تيع بن حسان بن تيع بن ملكيكرب بن تيع الأقون ، تبع
حمير ارسل حيناً ولي الملك ابن اخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش
عظيم الى بلاد معد والحيرة وماوالاها ، فسار الى التعمان بن امرئ القيس ابن
الثقيفة ، فقاتله ، فقتل التعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته
المنذر بن التعمان الاكبر ، وامه مساء السماء امرأة من النمر . فذهب ملك آل
التعمان ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون^٥ .

وقد استترك الطبري على هذه الرواية ، فذكر بعدها مباشرة هذه الجملة ،
قال : (وقال هشام : ملك بعد التعمان بن المنذر ابنه المنذر بن التعمان ، وأمه

١ رسالة الغفران (٥٥٥) ، (تحقيق الدكتور عائشة عبد الرحمن ، بنسخت
الشاملي) .

٢ ابن خلدون (٢٧١/٢) .

٣ شيخو : النصرانية (٨٢) .

٤ السمعاني (٢٤٧/١) . الحيرة (١٥١) . - Caussin, 354 .

٥ الطبري (٨٦/٢) . (٨٩/٢ وما بعدها) (دار المعارف) .

هو "ابن زيد مائة بن زيد الله بن عمرو الغساني اربعاً واربعين سنة" ^١ . وذلك يدل على ان هذه رواية اخرى منسوبة الى ابن الكلبي ايضاً ، ولكنه اخذها من مورد آخر غير المورد الذي نقل منه الرواية السابقة ، وهي منسوبة ايضاً الى ابن الكلبي استعملها الطبري بقوله : (حدثت عن هشام بن محمد) ^٢ . وهو ابن الكلبي . وحدث الطبري عن قتل الحارث بن عمرو الكندي للثعمان بن امرئ القيس ابن الشقيقة ، يتناقض ما رواه هو نفسه وما رواه غيره عن تنكث الثعمان واعتزاله الملك وسياسته في الارض وعن القرب الذي منحه الاخباريون لياه وهو (السائح) ، ويظهر ان ابن الكلبي وأضرابه رواة هذه الروايات كانوا قد اخذوا رواياتهم من مصادر عربية مختلفة ، غير مدونة ، فوقع هذا التناقض بين الروايتين . وعاد الطبري فتكلم على هذا الموضوع في اثناء حديثه عن الاحداث التي وقعت بين العرب في ايام قبادة ، فقال : (وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : لما لقي الحارث بن عمرو بن حنجر بن عدي الكندي الثعمان بن المنذر بن امرئ القيس ابن الشقيقة ، فقتله ، وأقاربه المنذر بن الثعمان الاكبر وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك ، بعث قبادة بن فيروز ملك القيس الى الحارث بن عمرو الكندي : انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب ان ألقاك . وكان قبادة زنديقاً يظهر الخير ويكره البلاء ^٣ . فجعل الطبري والد الثعمان في هذه الرواية المنذر بن امرئ القيس مع ان والد الثعمان المقصود هو امرئ القيس . وقد ذكر الطبري ان ملك الثعمان الى ان ترك ملكه وساح في الارض تسع وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزيدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جود بن يزيدجرد أربع عشرة سنة ^٤ . واذا اخذنا بهذه الرواية وجب ان يكون ابتداء حكم الملك الثعمان في سنة (٤٠٥ م) ، وتركه الملك واختياره في الارض وحياة الزهد في حوالي السنة (٤٣٤ م) . فقد حكم بهرام بن يزيدجرد ، المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين فيها بين السنة (٤٢٠ م) والسنة (٤٣٨ م) ^٥ . وحصار عرش الحيرة بعد الثعمان الى ابنه المنذر ، وكانت أم المنذر من غسان .

١ الطبري (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٢ الطبري (٨٩/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٩/٢) (٩٥/٢) (دار المعارف) .

٤ الطبري (٦٨/٢) (دار المعارف) .

٥ Ency. 4, P. 178.

وهي هند بنت زيد مائة بن زيد بن عمرو الغساني^١، أما المسعودي، فذكر أنها :
هند بنت الهيجانة من آل بكر^٢ :

وقد ذكر الطبري أن يزيدجرد لما ولد بهرام جور، اختار لحضائه العرب،
فلما المثلث بن النعمان واستحضره بهرام، فسار به المثلث، واختار لرضاعته ثلاث
نسوة ذوات اجسام صحيحة وأذهان ذكية وآداب حسنة، من بنات الأشراف،
وهن عريتان وعجمية، فلرضعته ثلاث سنين، فلما بلغ خمس سنين، أحضر له
مؤدبين، فعلموه الكتابة والرمي والفقه. وأحضر له حكيماً من حكماء الفرس.
ثم أحضر له معلّم الفروسية، فتعلم الرماية والصيد وركوب الخيل حتى صار من
أهمر الناس. وظل هذا شأنه لدى المثلث حتى مات يزيدجرد، فخرج الناس بوفاة
وغير الأشراف والمؤيدان والمرأزيه صرف الملك عن أسرة يزيدجرد، لسوء سيرته
في الناس، ونصبوا شخصاً آخر مكانه. فلما رأى بهرام ذلك، طلب مساعدة
المثلث، فأرسل المثلث قوة بقيادة ابنه النعمان، وسار هو على رأس قوة أخرى
قوامها ثلاثون ألفاً من فرسان العرب، ومعه بهرام، وبعد مفاوضات وافق الفرس
على خلع من نصبوه كسرى عليهم، وتعيين بهرام، وبفضل هذه المساعدة
استعاد التاج^٣.

وتناقض هذه الرواية كما نرى من الرواية السابقة التي دوتها الطبري نفسه في
تعليل سبب بناء الخورنق والتي تحدثت عنها قبل قليل. وقد فطن ابن الأثير الذي
نقل الروایتين أيضاً لهذا التناقض، فقال: (هكنا ذكر أبو جعفر، في اسم
بهرام جور، أن أباه أسلمه إلى المثلث بن النعمان كما تقدم، وذكر عند يزيدجرد
الأثيم أنه سلم بهرام إلى النعمان بن امرئ القيس. ولا شك أن بعض العلماء قال
هذا وبعضهم قال ذلك، إلا أنه لم ينسب كل قول إلى قائله)^٤. وأبو جعفر
هذا هو الطبري.

ولا نعلم شيئاً من أمر النعمان بن المثلث الذي تولى قيادة القوة التي أمر والده
بإرسالها لتحرش بمملكة الفرس، بعد أن رفضوا نصب بهرام جور ملكاً عليهم

١ حمزة (ص ٦٩)، الطبري (٨٦/٢)، (٦٨/٢ وما بعدها)، (دار المعارف).

٢ مروج (٢٢/٢).

٣ الطبري (٧٤/٢ وما بعدها)، الدينوري، الاخبار الطوال (ص ٥٧ وما
بعدها)، تحقيق (فلاديمير جرجاس) (طبعة لندن).

Nödeke, Aufsätze, S. 104.

٤ ابن الأثير: الكامل (١٦٢/١).

على نحو ما رأيناه في رواية الطبري الثانية^١ . فقد سكنت الطبري عنه كما سكنت الآخرون .

ونجد رواية نشأة بهرام جور بأرض العرب في رواية لليقوبي مختصرة ، هي في الواقع جمع للروايتين السابقتين . ذكر اليعقوبي أن يزدجرد دفع بهرام جور إلى النعمان ، فأرضته نساء العرب ، ونشأ على أخلاق جميلة . ولما مات يزدجرد كرهت الفرس أن تولي ابناً له لسوء سيرته ، وقالوا : « بهرام ابنه قد نشأ بأرض العرب لا علم له بالملك » . وأجمعوا على أن يملكوا رجلاً غيره ، فسار بهرام في العرب ، فلما لقي الفرس ، هابته ، فأذعنوا له وأعطوه الطاعة فوعدهم من نفسه خيراً . وكتب إلى الآفاق يعدهم بذلك . وقدم المنذر بن النعمان عليه ، فرفع مترله^٢ . فلم تنكسر هذه الرواية رواية من زعم أن يزدجرد سلم ابنه إلى النعمان ، ولم تنكسر صلة المنذر ببهرام جور ، ولكنها كما نرى لم تشر إلى اسم من قاد الجيش من العرب وسار على الفرس .

ولا يمنع على كل حال قول الأخباريين في بناء النعمان الأول الخورنق لبهرام من كون ابنه هو الذي ساعد بهراماً على أخذ التاج . لقد سلمه والده صغيراً إلى النعمان ، فلما كبر وترعرع ، ومات والده وهو بين حرب الخيرة ، وامتنع الفرس من توليه التاج ، ساعده المنذر في ذلك ، وأخذ له حقه ممن اغتصبه منه .

ويظهر من أخبار الأخباريين أنه كانت للمنذر مترلة عند (يزدجرد) . ذكر الطبري أن يزدجرد (دعا بالمنذر بن النعمان ، واستحضته بهرام ، وشرقه وأكرمه ، وملكه على العرب وحياه بمرثيتين سنتين ، تدعى احداهما (رام أبوزيد يزدجرد) وتأويلها (زاد سرور يزدجرد) ، وتدعى الأخرى (بمهشت) وتأويلها (أعظم الخول) ، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في مترله ، وأمره أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب^٣ .

وتناقض هذه الرواية رواية الطبري المذكورة في قصة بناء الخورنق ، ورواية بقية أهل الأخبار عن قصة بناء ذلك القصر ، وتؤكد أن وفاة (النعمان) الأول

١ الطبري (٧٢/٢) (دار المعارف) .

٢ اليعقوبي (١٣٢/١) .

٣ الطبري (٦٨/٢ وما بعدها) . Rothstein 8. 89.

كانت في أيام يزدجرد ، لا في أيام بهرام بن يزدجرد ، وتفيد ان اتصال الحكم الى المنذر كان في عهد يزدجرد .

واشترك المنذر في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس بعد مدة قصيرة من تولي بهرام جور الملك ، واختار بلاد الشام ساحة لهجومه . والظاهر أن إسهامه في هذه الحرب كان بطلب من بهرام الذي لم يكن موقفه حسناً فيها ، فكلف المنذر مهاجمة بلاد الشام . ليخفف من شدة ضغط الروم عليه . غير ان التوفيق لم يحالف المنذر في هجومه هذا ، ففي محاصرة كبيرة وهو يحاول مع جيشه عبور القرات ، ففرق أكثرهم في النهر . وكان ذلك في سنة ٤٢١ م . ولحقته به محاصرة أخرى في السنة نفسها ، أو في السنة التي تلتها حينما أعاد الكرة على الروم^١ . وقد ذكر المؤرخ (سقراط) (Socrates) المتوفى في حوالي سنة ٤٣٩ م غرق زهاء مئة ألف رجل من رجال المنذر في النهر ، وهو عدد مبالغ فيه ولا شك .

وقد استند الطبري الى رواية يتصل سندها بابن الكلبي ، فجعل مدة حكم المنذر بين الثمان أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثماني عشرة سنة ، وفي زمن فيروز ابن يزدجرد سبع عشرة سنة^٢. وهذه الرواية تناقض روايات ابن الكلبي السابقة عن تولي المنذر الحكم في أيام يزدجرد الأقيم والد بهرام جور ، كما مر معنا . وقد أخطت أمر (هرمز) وهو ابن يزدجرد ابن بهرام جور ، المعروف بالثالث ، الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٧ حتى السنة ٤٥٩ للميلاد . فإذا فرضنا أن حكم المنذر كان ثماني سنين وتسعة أشهر من زمان بهرام جور الذي حكم من حوالي السنة ٤٢٠ للميلاد حتى السنة ٤٣٨ للميلاد ، صارت السنة ٤٢٩ هي السنة ٤٣٠ للميلاد التي يجب أن تكون سنة توليه الحكم ، وإذا أضفنا الى هذا الرقم أربعاً وأربعين سنة ، وهي مدة حكم المنذر ، الى هذه الرواية ، صارت السنة ٤٧٣ - ٤٧٤ للميلاد ، هي سنة انتهاء حكم المنذر بوفاة . وتكون سنة وفاته إذن في زمن (فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور) الذي حكم من حوالي السنة ٤٥٩ حتى السنة

Rothstein, S. 69, Socrates, VII, 18, Bar Hebraeus, Chron. Syriac., 75,

Causin, Essai, II 63, Noldeke, Sas., 86, Paulys-Wissowa.

Erster Halbband, S. 1281.

٢ الطبري (٩٠/٢) (دار المعارف)

٤٨٤ للميلاد . وحسب هذه الرواية يكون المنذر قد عاصر بهرام جور المعروف بـ (بهرام الخامس) عند المؤرخين وعاش في زمن يزدجرد الثاني ، وهو ابن (بهرام جور) . وفي زمن (هرمز بن يزدجرد) ، ثم في زمن شقيقه فيروز ابن يزدجرد بن بهرام جور^١ .

وتولى بعد المنذر ابنه الأسود من زوجته هرمز ابنة النعمان من بني الهجالة ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان على رواية الطبري^٢ . ومن نعم على حد قول حمزة^٣ .

وأما (الدينوري) ، فذكر أن الذي ولي الملك بعد (النعمان بن امرئ القيس) الأعور والساح ، أخوه (المنذر بن امرئ القيس) ، وكانت أمه من (النمر بن قاسط) ويقال لها : (ماء السماء) بليلها وحسبها ، وأبوها (عوف بن جشم) وقد ولاه (كسرى أنوشروان) العرش ، وزعم أنه تزوج (هنداً) ابنة الحارث بن عمرو الكندي آكل المزار ، وهي التي أولدته ثلاثة أولاد هم : عمرو بن هند المعروف بمضطرط الحجارة ، وقابوس المعروف ببقينة العرس ، والمنذر بن المنذر . وذكر أنه بقي ملكاً على الحيرة إلى أن غزا (الحارث ابن أبي شمر الضائي) ، وهو الأعرج ، فقتله الأعرج بالحيار^٤ .

وجعل (الدينوري) (المنذر بن المنذر بن امرئ القيس) بعد (المنذر) المذكور ، وقال : إنه خرج يطلب دم أبيه ، فقتله الحارث أيضاً بعين أبيه ، ويقال : إن قاتله هو (مرة بن كلثوم التغلبي) ، أخو عمرو بن كلثوم ، ثم نصب من بعده شقيقه عمرو بن هند ، ثم النعمان بن المنذر أبا قابوس ، وبذلك أنهى قائمته ملوك الحيرة^٥ . وهي قائمة سقط منها عدد من الملوك .

ولا يعرف من أخبار الأسود شيئاً كثيراً . وقد ذكر حمزة أنه حكم عشرين عاماً ، وذلك في زمن فيروز بن يزدجرد وبلاش بن فيروز وقباذ بن فيروز^٦ .

- ١ راجع ترتيب وسن ملك الساسانيين لمي : Ency. 4, P. 178.
- ٢ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .
- ٣ حمزة (ص ٦٩) .
- ٤ المعارف (ص ٢٨٣) .
- ٥ المعارف (ص ٢٨٣) . عيون الاخبار (٢٣٠/١) .
- ٦ حمزة (ص ٦٩) .

وروى أنه حارب الفساسة وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، كما روى أنه وقع في إحدى معاركه في أيدي الفساسة ، فقتله^١ . وذكر الطبري أن القرم أسرته^٢ ، ولم يذكر سبب هذا الأمر . وأنه حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمان قباذ بن فيروز ، ست سنين^٣ .

وقد حكم (فيروز) من سنة (٤٥٩ م) حتى سنة (٤٨٤ م) ، ويكون حكم (الأسود) بحسب رواية الطبري المتقدمة في حوالي السنة (٤٧٤ م) تقريباً ، وقد حكم (بلاش) أربع سنين ، من سنة (٤٨٤ م) حتى سنة (٤٨٨ م) ، ثم حكم (قباذ الأول) ، وهو ابن فيروز من بعده . حكم من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد . ولما كان (الأسود) قد حكم ست سنين من زمان حكم (قباذ) ، تكون سنة وفاته في حوالي السنة (٤٩٤ م)^٤ .

وورد في رواية أنه كان للأسود بن المنذر ولد اسمه شرجيل ، قتل ، قتله الحارث بن ظالم ، وكان طفلاً مسترضعاً عند ستان بن أبي حارثة المري^٥ .

وكان سبب ذلك على ما تذكره الرواية أن (خالد بن جعفر بن كلاب) كان قدّم على (الأسود بن المنذر) أنهي النعمان، ومعه (عروة بن عتبة بن جعفر) ، فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غيط بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر ، فجعل خالد يقول للحارث : يا حار ، أما تشكر يدي عندك إن قتلت عنك سيد قومك زهيراً وتركك سيدهم ؟ فقال : سأجزيك شكر ذلك . فلما خرج الحارث ، قال الأسود لخالد : ما دعاك إلى أن تتحوش بهذا الكلب ، وأنت ضيفي ؟ فقال : إنما هو عبد من عبيدي ، ولو وجدني نالماً ما أبقيته . وانصرف خالد إلى قبه ، فلامه عروة الرحال ، ثم نالما وأشرجت عليها القبة ، فلما هدأت العيون ، انطلق الحارث حتى أتى قبة خالد ، فهتك شرجها ، ثم ولجها

١ الحيرة (ص ١٥٦ وما بعدها) .

٢ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (٨٦/٢) ، (٩٠/٢) (دار المعارف) .

٤ راجع أزمنة حكم الملوك الساسانيين في : Ency. 4, P. 178 .

٥ ابن الأثير . الكامل (٢٢٩/١) وما بعدها ، . نهاية الأرب (٣٥٢/١٥) وما بعدها .

وقتل . فنادى عروة : واجوار الملك ! فأقبل الناس ، وسمع الأسود الخفاف ، وقرر الانتقام ممن عرق جوار الملك . وهرب الحارث منه^١ .

ولما هرب الحارث تنقل في القبائل ، فلجأ إلى صديق له من كندة . فطلبه الملك فشخص من عند الكندي ، وأصمرته البلاد حتى استجار بيزيد أحد بني عجل ابن لجيم ، فقام بنو دهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيان ، فقالوا لعجل : أخرجوا هذا الرجل من بين أظهركم ، فإنه لا طاعة لنا بالشهباء والدوسر ، وأبت عجل ذلك عليهم . فلما رأى الحارث ذلك ، كره أن تقع الفتن بينهما بسبه ، فارتحل من بني عجل إلى جلي مليه ، فأجاروه ، فكث عندهم حيناً . ثم إن الأسود لما أعجزه أمره ، أرسل إلى جارات كن الحارث بن ظالم استأقهن وأموالهن ، فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الجليل ، حتى علم مكان جاراته ، فأتاهن ، واستأقهن ، واستأق ابلهن ، فألقهن بقومهن . واتنس إلى بسلاذ غطفان حتى أتى سنان بن أبي حارثة المري ، وهو أبو هزيم بن سنان مملوح زهير . وكان الأسود قد استرضع ابنه شرحبيل عند سنان ، فرضعه امرأته . فاستعار الحارث سرج سنان ، وهو في ناحية الشربة ، فأتى به سلمى امرأة سنان ، وقال لها : يقول لك يعلك ، ابعتي شرحبيل مع الحارث ، وهذا سرجه لك آية . فدفعته إليه ، فأتى به من ناحية من الشربة فقتله ، وهرب من قوره ، وهرب سنان لما سمع بخبر قتله .

فلما بلغ الأسود قتل ابنه شرحبيل غزا بني ذبيان ، فقتل وسبي ، وأخذ الأموال وأغار على بني دودان رهط سلمى ، ثم وجد بعد ذلك نعل شرحبيل في جانب الشربة عند بني عمار بن حصيفة ، ففزاهم وأسرههم وأحمى لهم الصفا ، وقال : أتى أحدكم تعالا ، فأماهم عليها ، فسقطت أقدامهم ، ثم إن سيار بن عمرو ابن جابر الغزالي احتمل للأسود دية ابنه ألف بعر ، ورضه بها قومه ، فوفاه بها . ثم هرب الحارث ، فلحق بمعيد بن زرارة فاستجار به ، فأجاره ، وكان من سبه وقعة رحرحان . ثم هرب حتى لحق بمكة ، ثم غادرها إلى الشام ، فلحق بيزيد بن عمرو الغساني ، فأجاره وأكرمه . ومكث عنده . ثم اقتصد بيزيد ناقة له ، ولم يعلم خبرها ، فأرسل إلى الخيمس الثعلبي ، وكان كاهناً ، فسأله عنها ،

١ نهاية الأرب (٢٤٨/١٥ وما بعدها) .

فأخبره ان الحارث صاحبها ، فهم به الملك ثم تدم من ذلك ، فأوجس الحارث في نفسه شراً ، فأتى الخمس التلبي فقتله . فلما فعل ذلك دعا به الملك ، وأمر به ابن الخمس فقتله بأبيه . وأخذ ابن الخمس سيف الحارث ، فأتى سوق عكاظ في الأشهر الحرم ، فأراه قيس بن زهير العبيسي ، فصره به قيس فقتله^١ .

وذكر ان الأسود غزا بني ذبيان وبني أسد بشط أربك وأوقع فيهم ، وأنه وجد نعل ابنه شرحبيل القتيل في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان . فانتقم منهم شر انتقام ، وأنه قبل من الحارث بن سفيان دفع دية شرحبيل ، فدفعها اليه ، وهي ألف بعير ، (دية الملوك)^٢ .

وتعبر هذه الغزوة هو جزء متمم لخبر قتل الحارث بن ظالم لابن الأسود ، كما جاء في رواية أخرى .

وروايات أهل الأخبار عن قتل الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر بن كلاب ، وعن قتل ابن الملك ، روايات متناقضة مضطربة قلقة ، والتبس الأمر فيها على الرواة ، ولا سيما (ابن الكلبي) و (أبي عبيدة) اللذين هما مرجعا أكثر رواة تلك الروايات . يتداخل فيها اسم النعمان بن امرئ القيس مع اسم النعمان بن المنذر واسم الأسود بن المنذر ، وتنسب القصة مرة الى هذا الملك ، ومرة الى ذلك . وقد تتداخل ، فيذكر اسم الملك الأسود ، ثم يورد بعده اسم الملك النعمان .

يذكر الرواة رواية كالرواية السابقة ، جعلت الولد القتيل شرحبيل بن الأسود ، وجعلت الحارث بن ظالم يسير متخفياً الى الحيرة ليفتك بالأسود . ولكنهم جعلوه في هذه الرواية يسمع صراخ امرأة أخذ جمع الأسود صرمة من إبلها ، فتوجع لها ، ووعدوا على إعادة إبلها فطلب منها أن تلعب الى موضع عينه لها ، ليأتي لها بإبلها . فلما وردت إبل النعمان ، أخذ مالها ، فسلمه اليها ، ثم فرّ بطلب له مجيراً فلم يجده أحد قاتلين له : من يجيرك على هوازن والنعمان ؟ ويخفي اسم المنذر فجاء في هذه الرواية ، ويظهر اسم الملك النعمان كما في الرواية السابقة ، ولكن دون تصريح باسم والد النعمان ، وهو امرئ القيس^٣ .

١ نهاية الأرب (٢٥٣/١٥) ، (يوم الخريبة) ، العقد الفريد (٧/٦ وما بعدها) .
٢ الأغاني (٢٢/١٠ وما بعدها) .
٣ الكامل (٢٢٣/١ وما بعدها) .

ثم تستمر الرواية فتأخذ الحارث الى الشام ، ليستجبر يزيد بن عمرو الغساني من النعمان وهوازن ، فيجبره ويكرمه ، ولكنه يذبح ناقه ليزيد ، ثم يقتل امرأة أرسلها يزيد لتحتري بيت الحارث ، ثم يقتل الكاهن الذي تكهن بمقر الحارث للناق وبقته للمرأة . فلم يبق أمام يزيد إلا قتل الحارث ، فأمر به قتل . وعمل هذه الصورة انتهت حياة رجل هو في نظر الأخيارين بطل من أبطال المغامرات والمفاجآت .

وأما الرواية التي تذكر أن ذلك الملك هو النعمان بن امرئ القيس فتقول إن النعمان بن امرئ القيس كان قد تزوج بنتاً من بنات زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، وهو من السادة الأشراف ، فأرسل النعمان ذات يوم الى زهير يستزيره بعض أولاده ، فأرسل ابنه شاساً ، وكان أصغر ولده ، فأكرمه وجابه ، ورجع بهدايا والطفاف كثيرة . فلما بلغ ماء من مياه غني بن أعصر ، طمع به رياح بن الأشل ، فقتله ، واستلب ما كان معه . فلما سمع زهير بمقتل ولده ، جاء ديار غني ، وأخذ يقرر عليها ، حتى قتل منها مقلته علقمة ، فاستجارت غني بحلفائهم بني عامر بن صعصعة ، فأتجدوها . وتوسعت الحرب ، فاشتكرت بها هوازن ، وكانت تحقد على زهير لأنه كان يسر بها خسفاً ويجيها الإناوة كل سنة بعكاظ ، وترأس خالد بن جعفر بن كلاب غنياً وبني عامر وهوازن ، فقتل زهيراً ، وعاد أبناءه يحسدو ليواروه التراب . وذهب خالد بعد مصرع زهير الى النعمان مستجيراً به حين علم أن غطفان ستطلبه به ، فأجاره ، وضرب له قبة وحماه . وبينما كان في مجلس النعمان ، قدم الحارث بن ظالم الى المجلس ، وجرى بينه وبين خالد كلام ، أظلم فيه خالد على الحارث ، فحقد الحارث عليه وقرر الانتقام منه ، فاغتاله وهرب . فجعل النعمان يطلبه ليقضه بجاره ، وهوازن تطلبه لثقله بسيدهما خالد . فلحق ببني دارم من تميم ، واستجار بهم ، فأجاروه عسل النعمان . فلما علم النعمان ذلك ، جهز جيشاً الى بني دارم ، فلما سمعوا بمجيء الجيش عليهم ، استعدوا له ، وأرسلوا أموالهم الى بلاد بغيض ، واستعدوا مع بني مالك بن حنظلة وبني عامر للقتال . فلما اتفوا بجيش النعمان ، قتل رئيس جيش النعمان ، وانهمز الجيش . وقيل : إن الحارث بن ظالم ركب الى الحيرة متخفياً ، واستاق لإبلا

له كان قد استولى عليها النعمان ، وقتل أحد أبنائه ، وغر^١ .
وهناك رواية تجعل النعمان المذكور النعمان بن المنذر ، وتجعل الولد القليل لبناً
لهذا النعمان . وجعلت رواية أخرى قتل الحارث لخالد في عهد الأسود ، ثم تذكر
أنه هرب منه . ثم إن رجلاً من بني زيد مائة كان بعض حشم النعمان قد أخذوا
إليه وأهله ، استجار بالحارث فركب الحارث حتى أتى النعمان ، فقال : أبيت
اللعن ! إنك أخذت نساء جاري ، وماله ، وأنا له جار . فذكره النعمان بقتله
خالداً ، وهو في جوار الأسود أخيه . ثم إن النعمان أوعد الحارث وعبداً شديداً ،
ففضى الحارث ، وتدم النعمان على تركه ، وطلبه فقائه ، وكان للنعمان ابن مريض
عند (سنان بن أبي حارثة) ، وكانت سلمي بنت ظالم تحت سنان ، فجاء
الحارث إلى أخيه على سنان سنان ، حتى أعطته ابن النعمان ، فضرب عنقه ولحق
بمكة . فجاء عبد الله بن جعدان^٢ .

وأما قتل (الحارث بن ظالم) ، فالروايات مختلفة فيه ، منها ما جعل قاتله :
(يزيد بن عمرو الغساني) على نحو ما رأيت ، ومنها ما جعل قاتله ملكاً من
ملوك غسان تسميه النعمان . ومنها ، وهي رواية من روايات أهل الكوفة ، ما
جعل قاتل الحارث هو الملك النعمان بن المنذر ، وتذكر قصة كيفية استدراج النعمان
للحارث ومراسلته له مصرحاً له أنه قد رضي عنه وعفا عما بدر منه حتى أمن
الحارث . فلما جاء إلى النعمان ، وكان في قصر بني مقاتل ، أمر به فقتل . قتله
ابن الخمس الثعلبي ، وكان الحارث قد قتل أباه^٣ .

وجاء في رواية أن (عمرو بن الخمس) هو الذي قتل الحارث ، قتله بأمر
الملك الأسود بن المنذر^٤ . وذكر (ابن دريد) أن قوماً زعموا أن النعمان قتل
(الحارث بن ظالم) ، وهذا وهم ، لأن الذي قتله إنما هو (المنذر بن المنذر
أبو النعمان)^٥ . وذكر (محمد بن حبيب) . أن (سيار بن عمرو الغزاري)
المعروف بـ (ذي القوس) ، كان قد رهن قوسه على ألف بعير في قتل الحارث
ابن ظالم من النعمان الأكبر^٦ .

- ١ التكمال (٢٢٩/١) وما بعدها .
- ٢ المحبر (١٩٣) وما بعدها .
- ٣ الأغاني (٢٧/١٠) وما بعدها .
- ٤ الاشتقاق (٢٠٣/٢) (طبعة أوربة) .
- ٥ الاشتقاق (١٧٥) .
- ٦ المحبر (٤٦١) .

ويظهر من (رسالة الففران) أن (آل لحم) كانوا يعظمون (الأسود بن المنذر)^١ ، ولم يذكر سبب هذا التعظيم .

وحكم بعد الأسود أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان ، وأمه هريرة ابنة النعمان . حكم على رواية لآين الكلبي سبع سنين^٢ ، وذلك في زمان قباز بن فيروز^٣ . ولما كان حكم قباز ، وهو (قباز الأول) ويسمى به (قباز بن فيروز) قد امتد من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) للميلاد^٤ ، فيكون حكم المنذر إذن قد وقع في خلال هذه المدة .

وإذا أخذنا بهلم الرواية ، وجب أن يكون ابتداء حكم المنذر بن المنذر في حوالي سنة (٤٩٤ م) ، وانتهاء حكمه في حوالي السنة (٥٠١ م) ، وذلك بحسب سني حكم ملوك الفرس عند المؤرخين^٥ . ولكننا نواجه روايات أخرى رواها ابن الكلبي أيضاً وغيره تخالف هذا التقدير .

ويعد المنذر انتقل الملك إلى ابن أخيه النعمان بن الأسود ، وأمه هي (أم الملك ابنة عمرو بن حجر ، أخت الحارث بن عمرو الكندي)^٦ . إذن فهي أميرة من أمراء كندة . وقد حكم هذا الملك على رواية لآين الكلبي أربع سنين^٧ ، وذلك في زمن قباز^٨ .

يظهر من رواية لـ (ثيوفانس) أن النعمان هذا أغار على حدود الروم وعلى العرب المحالفين لهم ، فاصطدم بالقائد (أوجينوس) (Eugenius) عند موضع (بثرابوس) (Bithrapsos) (البثر) على الفرات ، فأصيب بخسارة فادحة . ولا نعرف على وجه التحقيق سنة وقوع هذا الحادث ، والمفنون أنه كان حوالي سنة (٤٩٨ م)^٩ .

١ رسالة الففران (١٣٣) .

٢ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) (دار المعارف) .

٣ حمزة (ص ٦٩) .

٤ Ency. 4, P. 278.

٥ Ency. 4, P. 178.

٦ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) (دار المعارف) ، حمزة (ص ٦٩) .

٧ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) (دار المعارف) .

٨ حمزة (ص ٦٩) .

٩ Rothstein S. 74. Theophanes, 217, Huart, I, S. 86.

J. Bury : History of the Later Roman Empire. London, 1931, Vol., I, P. 434.

واشترك النعمان أيضاً في الحرب التي وقعت بين الروم والفرس حوالي سنة (٥٠٢ للميلاد) ، اذ رجا منه قباذ أن يهاجم حدود الروم من جهة الجنوب ، فهاجمها في قطاع (حران) (Carrhae)^١ واصطدم بالقياديين (أوليمبيوس) (Olymptus) و (أوجينيوس) (Eugentus) فتغلبا عليه ، غير انه أعاد الكرة فتغلب عليها . وفي المعركة التي وقعت على مقربة من (قرقسياء) (Circesium) على انخابور أصيب بجرح يبلغ في رأسه قفصاً عليه^٢ .

وفي أثناء غياب النعمان ومعظم جنوده عن الحيرة ، انتهز العرب اللين في بلاد الروم الملقبون بـ (بني ثعلبة) (طابوس ديت روموين د متفرن ديت ثعلبة)^٣ هذه الفرصة ، فأغاروا على عاصمته ، وأعلنوا كل ما أمكنهم أخذه ، فاضطر من كان قد تخلف في الحيرة من جيش النعمان إلى الفرار إلى البادية^٤ . ويخيل إلى أن ذلك كان على أثر إصابة الملك بجرحه المميت .

وتولى الحكم رجل من (آل لحم) اسمه (أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن اللميل بن ثور بن أسس بن رسي بن غمارة بن لحم) ، بعد النعمان . فهو من (ذميل) و (ذميل) بطن من بطون لحم^٥ . ولم يتحدث أصحاب الأخبار عن علاقة هذا الرجل بالأسرة المالكة ولا عن كيفية تعيينه والأسباب التي أدت إلى اختياره لهذا المنصب ، وكل ما ذكرته انه حكم ثلاث سنين ، ثم انتقل الحكم من بعده إلى المنذر بن امرئ القيس البدو ، وهو ذو القرنين ، وذلك في رواية للطبري عن ابن الكلبي^٦ .

أما حمزة الأصباهاني ، فجعل بعد أبي يعفر ابناً للنعمان الأعور سماه امرأ القيس ابن النعمان بن امرئ القيس . قال : انه هو الذي فزا بكراً يوم (أواره) في دارها ، وكانوا أنصار بني آكل المرار وهزمهم . وكانت بكر قبله تقسم أود ملوك الحيرة وتفضلهم . ونسب إليه بناء حصن (الصنبر) زاعماً أن الذي بناه

١ Josua Stylites, 51, Rothstein, S. 74.

٢ Josua Stylites, 57, Rothstein, S. 74.

٣ Rothstein, S. 74.

٤ Rothstein, S. 74.

٥ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

٦ حمزة (ص ٦٩) .

٧ الطبري (٩٤/٢) ، (١٠٤/٢) ، (دار المعارف) .

له هو البناء الرومي الشهير سمار ، وانه هو الذي قتل ذلك البناء . وجعل مدة حكمه سبع سنين^١ ، وذلك في زمن قباد^٢ . وقال (حزة) : وفيه قال المتلمس :

جزاني أخو لحم على قاتِ بيننا جزاء (سمار) وما كان ذا ذنب^٣

وذكر حزة ان حصن صبر المذكور ، وهو من عمل (سمار) ، هو الذي قال فيه أحد الشعراء :

ليت شعري متى تحب^٤ به لنا قة نحو العذيب والصبر^٥

ويعرف المنذر هنا عند أكثر الأخباريين بالمنذر بن امرئ القيس بن النعمان وب (ذي القرنين) وب (المنذر بن ماء السماء) وب (ابن ماء السماء) . وماء السماء هي أمه على زعمهم ، وهي : مازية ابنة عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط في رواية ابن الكلبي التي دونها الطبري^٦ . وذكر حزة نسب ماء السماء كما ذكره الطبري ، غير أنه جعل الاسم ماوية بدلاً من مازية^٧ ، ولا أراه إلا خطأ من النساخ في كتابة الاسم أدى الى هاتين الصورتين .

وأما سبب تلقبه بلبي القرنين ، فيقال إنه لقب بذلك لتفسيرتين كانتا له من شعره ، فعرف بها لذلك^٨ .

وتلقب ابن الكلبي امرأ القيس والد المنذر بالبدء هو خطأ ولا شك ، إذ لا يعقل أن يكون هذا المنذر ابناً لامرئ القيس البدء المتوفي سنة ٣٢٨ للميلاد . ويلاحظ أن الأخباريين لقبوا امرأ القيس الآخر الذي حكم بعد أوس بن قلام

- ١ حزة (ص ٧٠) ، وهو صاحب ستمار الذي قتلته حين بنى له الحصن الذي يسمى الصنيد ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
- ٢ حزة (ص ٧٠) .
- ٣ حزة (ص ٧٠) .
- ٤ حزة (ص ٧٠) .
- ٥ حزة (ص ٧٠) .
- ٦ الطبري (٩٤/٢) ، الروض الأنف (٢٢/١) .
- ٧ حزة (ص ٧٠) وكانت تسمى مازية ، مفاتيح العلوم (ص ٦٩) .
- ٨ الطبري (٩٤/٢) .

بالبدء كذلك ، مع أنه مسبوق على حد قولهم بملك آخر اسمه هذا الاسم . فلا يجوز تلقيب صاحبنا هذا بإذن بالبدء . ولا يجوز بالطبع تلقيب امرئ القيس الآخر الذي زعم انه والد المنذر بالبدء أيضاً ، لأنه ثالث المراقبة في ترتيب أسماء الملوك بحسب رواية الأخباريين .

ولا نعلم شيئاً يذكر من أمر امرئ القيس والد المنذر ، فهم لم يشعروا إشارة صريحة الى أنه كان ملكاً . فهل هو امرؤ القيس بن النعمان الذي جعله حمزة ملكاً بعد أبي يعفر ؟ لا يستبعد أن يكون هو إن صحت رواية حمزة .

ويلاحظ أن المؤرخين البيزنطيين واللاتين قد أطلقوا على المنذر (Alamundarus O Saccus) و (Alamoundaros O Saccus) و (Alamundarus O Saccus) وغير ذلك ، مما يفهم منه أنهم قصدوا به (Saccus) و (Saccus) (Saccus) وأمثال ذلك كلمة (شقيقة) (الشقيقة) العربية ، وأنهم أرادوا المنذر بن الشقيقة ، وهو هذا المنذر الذي نتحدث عنه في رأي المستشرقين ، لذلك ذهب بعض المستشرقين الى أن أم المنذر هي (الشقيقة) (شقيقة) ، وذهب آخرون الى أنها لم تكن أمه ، وإنما قبل له ذلك لأنه كان من آل الشقيقة الشهيرة ، فعرف عند أولئك المؤرخين بأبن الشقيقة أو بالمنذر ابن الشقيقة كما دعي الملوك بعد المنذر بـ "مائه السماء" .

أما الأخباريون فقد جعلوا شقيقة أمًا للنعمان الأعور كما رأيت ، ولم يشعروا الى ملك اسمه المنذر واسم أمه شقيقة ، فأيهما المصيب ؟ الأخباريون أم المؤرخون اليونان واللاتين والسريان ؟ وهل نحن أمام ملك آخر اسمه المنذر بن الشقيقة حكم في أوائل القرن السادس للميلاد ؟

وذكر الأخباريون ان المنذر كان قد تزوج هنداً بنت آكل المزار ، فولدت له أولاداً منهم عمرو بن هند الذي ولي الملك بعده ، وقابوس ، ثم تزوج أختها أمانة فولدت له ولداً اسمه عمرو وهو المقنول بوادي القصب^١ .

1 Rothstein, S. 76.

2 Rothstein, S. 76.

3 الروض الأنف (٢٢/١) .

4 البلدان (١١٨/٧) ، (وهو ابن مائة) ، الروض الأنف (٢٢/١) .

ويرى بعض الباحثين ان حكم (المنذر) كان في حوالي السنة (٥٠٨ م) ،
أو قبل ذلك بقليل في حوالي السنة (٥٠٦ م) . وأما انتهاء ملكه فكان في حوالي
السنة (٥٥٤ م)^١ .

وكان قباز قد عقد صلحاً في عام (٥٠٦) للميلاد مع الروم بعد الحرب التي
استمرت من سنة (٥٠٢) حتى سنة (٥٠٦ م) ، غير ان هذا الصلح لم يدم
طويلاً . ففي سنة (٥١٨) للميلاد تجدد الخلاف بين القيس والروم ، وذلك على
أثر مطالبة قباز القيصر (جستنس) (يوستينوس) (Justinus) الأول بدفع
الاناثوة التي اتفق في صلح (٥٠٦ م) على دفعها للقيصر . وبناء على تباطؤ القيصر
في دفعها حرص قباز المنذر على التحرش بحدود الروم ، وقام المنذر بغزوها في
سنة (٥١٩ م)^٢ .

لقد تمكن المنذر في بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين هما (ديموستراتوس)
(تيموستراتوس) (Timostratus) (Demostratus) ويوحنا (Johannes)^٣ .
وأراد القيصر أن يفك أسر هذين القائدين ويعقد صلحاً وحلماً بين الروم والمنذر ،
فأرسل - على ما يظهر - رسولاً خاصاً الى المنذر هو (ابراهيم) (Abraham)
والد الكاتب المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، ومعه (شمعون الأورشامي)
(Symeon of Beth Arsham) و (سرجيوس) (Sergius) أسقف الرصافة
(بيت رصافة) . وقد وصل الوفد الى المنذر في السنة السادسة (السنة السابعة)
من حكم (جستنس) (يوستينوس) الموافقة لسنة (٨٣٥) من التقويم السلوقي
ولسنة (٥٢٤) للميلاد^٤ . وكان المنذر آنذاك في البادية في موضع اسمه (رملة)
(الرملة) . وقد نجحت مهمته فيما يخص فك أسر القائدين .

و (سرجيوس) هو مؤلف القسم السرياني الخاص بشهداء العربية الجنوبية ،
أي شهداء نجران^٥ . وقد دونت في عهد أسقفية على الرصافة أسماء الشهداء على

J. B. Bury, II, P. 91.

Rothstein, S. 79.

Rothstein, S. 80, Land. Anecd., III, 235.

Kitab Al-Unwan, Histoire Universelle Ecrite, par Acapius

(Mahbub), de Menbidj, Seconde Partie, II, P. 425.

Musil : Palmyrena, P. 261, Guidi : La Lettera di Simeone Vescovo

di Beth Arsham, P. 507.

الجدار الشمالي^١ للكنيسة الكبرى ، كنيسة القديس سرجيوس^٢ .
وصادف وصول وفد الروم الى المنذر وصول وفد آخر من اليمن أرسله ذو نواس
الملك الشهير المعروف بتعذيب نصارى نجران الى المنذر لفاوضه على تعذيب من في
مملكته من النصارى . وقد دون (شعون الأرشامي) قصة التعذيب هذه مدعياً
انه نقلها من الكتاب الذي قرئه على الملك ومن أقوال من عرفه من الحاضرين ،
دونها في صورة كتاب ليقرأ في الكنائس ويطلع عليه المؤمنون . وقد نشر هذا
الكتاب ، وطبعت ترجمته كذلك^٣ .

وذكر ان القيصر (جستنوس) (يوستينوس) (Justinus) كتب الى المنذر
ابن النعمان طالباً منه اخراج من في أرضه من القائلين بالطبيعة الواحدة^٤ . وقد
جادلهم في مجلس عقده بحضرة المنذر (شيل) الجاثليق ، فلما سمع هؤلاء بذلك ،
هرب بعضهم الى نجران واقسموا هناك . وكان من مؤيديهم الحجاج بن قيس
الخيرى صاحب المنذر .

يظهر ان امل القيصر في عقد هدنة أو معاهدة مع المنذر لم يتحقق ، أو أنه
تحقق ولكن الى حين . فلما ساءت العلاقات بين الروم والفرس ، ووقعت الحرب
سنة (٥٢٨ م) بين الجانبين ، هاجم المنذر الروم مؤيداً الفرس ، وكان له أثر
خطير في هذه الحرب . وقد توغل في بلاد الشام ، ولهم منها غنائم كثيرة ،
ولكنه لم يبق فيها أمداً طويلاً ، فعاد مع جنوده سريعاً الى قاعدته كمادة سائر
الملوك بعد أن أشبع نفسه من غنائم الحرب^٥ .

وتجدد المنذر يحدد هجومه على بلاد الشام ، بعد مدة قصيرة من هجومه الأول.
لقد هاجمها سنة (٥٢٩ م) وتوغل فيها حتى بلغ حدود أنطاكية ، وأحرق

Mosil, Palmyrena, P. 265.

Land : Anecd., 3, 235, Assemani : Bibl. Orient., I, 364.

(يوستينيانس) . (وفي هذه السنة وجه يوستينيانس وفداً الى المنذر ملك
العرب ليصالحه ، لأنه كان غزا الروم وخرب وسياً . وكان سبب الفتنة بين
العرب والروم اضطرهاد تلك يوستينيانس الآباء ، القائلين بالطبيعة الواحدة .
لأن النصارى العرب يؤمنون بالثلاثية لا بغير) .
ابن العبري - تاريخ مختصر الدول (ص ١٤٨) .
Histoires Nestoriennes.

(Chronique de Seert), Seconde Partie, P. 143.

Nöldeke : Basa, II, Ann. 3, Malalas, II, 166, Rothstein, B. 81.

عدداً من المواضع ومنها موضع (خلقيدون) (خلقيدونية) (Chalcedon) .
وقد زعم بعض المؤرخين السريان أنه ضحى بأربع مئة راهبة للعرى^١ ، وهي
دعوى تحتاج بالطبع الى درس .

وقد عرض ابن العبري لتوغل المنذر في أرض الروم ، واستيلائه على أرضين
واسعة شملت كل منطقة الحدود ، ومنها أرض الحابور ونصيبين ، حتى بلغ
(حمص) (Emessa) و (أباميا) (فامية) (Apamea) وأنطاكية (Antioch)
زاعماً أنه قتل عدداً كبيراً من السكان ، وغرب أكثر تلك الأرضين ، ذاكراً
أنه اختار من بين الأسرى أربع مئة راهبة أخذهن لنفسه ، غير أنه لم يذكر أنه
قدسهن قرباناً الى العرى^٢ .

وقد اضطر هذا الغزو القيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) الذي خلف
(يوستينوس) الى نصب الحارث الجلفي (فيلارخا) (فيلاركا) (Phylarch) ،
أي عاملاً على حرب بلاد الشام لحماية الحدود من اعتداءات المنذر وعرب العراق^٣ .
وقد عوَّض قباز الخسارة التي لحقت به عند موضع (دارا) بربح ناله بواسطة
المنذر . لقد قام المنذر وأحد القواد الفرس بمهاجمة منطقة القرات (Euphratesia)
وهي منطقة (قوماجين) (Commagene) ، فلما تصدى لها القائد (بليزاريوس)
(Belisarius) تراجعاً ، ثم اتفقا به عند الرقة (Callinikos) فانتصرا عليه . وقد
كان ذلك في السنة الرابعة من حكم (يوستنيانوس) (Justinianus) أي في سنة
(٥٣١ م)^٤ .

وقد اشترك الحارث بن جبلة في هذه الحرب مع الروم ، وأنبطت به حماية
الجانب الأيمن في القتال الذي اضطرهم مع القرمس . أما المنذر وجيشه ، فكان يكون
الجناح الأيسر لجيش القرمس ، أي الجناح المقابل لعرب الروم^٥ .

Malalas II, 166, Nöldeke : Ghass. II, Theophanes, 272.
Land : Anecd. Syr., III, P. 347, Rothstein, S. 81, Pauly-Wissowa.
Erster Band, 1893, S. 1281.

Bar Hebraeus, 78, Nöldeke : Aufsätze, 112.
Rothstein, S. 81.

Procopius, I, 17, 18, Rothstein, S. 81.

Pauly-Wissowa, Erster Halbband, 1893, 1281.

Musil : Palmyrena, P. 274, Procopius : De Bello, I, 17.

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد في عام (٥٣٢ م) بين الفرس والروم ، لم يتقطع النزاع بين الحارث الجلفي والمنذر بسبب اختلافهما على الاتاوة التي تجبى من أعراب الـ (Strata) ، أي المنطقة الواقعة في جنوب تدمر ، وهي منطقة رعي لا شجر فيها ولا زراعة . وقد زعم (بروكوبيوس) أن كسرى ، حرص المنذر على التحرش بالحارث ، للاخلال بشروط الصلح ، وإيجاد سبب لتجديد الحرب ، وأن القيصر يوستينيانوس (Justinianus) كلف رجلين من ثقافته وهما (ستراتيغيوس) (Strategius) ، وهو من أصحاب الخبرة والحكمة في الشؤون الإدارية ، و (سوموس) (Summus) وهو ممن قسادوا الجيوش في فلسطين ومن السفراء الذين سبق أن كلفوا القيام بمهام سياسية فأرسل رسولا إلى نجاشي الحبشة وإلى ملك حمير (Homeritas) دراسة النزاع وإيجاد حل للمشكلة . فأشار (سوموس) على القيصر بعدم اجابة طلب المنذر وبالاحتفاظ بالأرض ، أما (ستراتيغيوس) ، فقد رأى ان الموضوع ثاقه وأن الأرض المتنازع عليها لا تستحق كل هذا الاهتمام . وقد مضى وقت طويل دون أن يجرم القيصر برأي .

وفي هذه الأثناء ادعى كسرى ان القيصر قد أخل بشروط الصلح بانصاله بالمنذر (Alamoundarus) وبمحاولة التأثير عليه وجره إليه . وبارسالة (سوموس) إلى المنذر مع كتاب خاص من القيصر يثنيه بالعودة وبمبالغ كبيرة من المال اذا انضم إلى الروم ، وبأمور أخرى اتخذها حجة لإعلان اخلال السروم بالصلح^١ . وصار يتهيأ لحرب جديدة حتى تبيأت له الأسباب ، وذلك في عام (٥٤٠ م)^٢ .

وبعد مراسلات بين الفرس والروم دون بعضها (بروكوبيوس) ، وهي مراسلات جميلة تروى فن الدبلوماسية ومنطق الملوك في ذلك العهد ، هاجم الفرس الروم . وغزا الحارث أرض الجزيرة للوقوف على قوة الفرس ومقدورهم^٣ ، وهاجم المنذر بلاد الشام لمبلغ فينيقية ، وتوغل في مناطق واسعة من لبنان^٤ . وقد أشار الطبري إلى هذا النزاع الذي وقع بين المنذر والحارث بن جبلة ،

Procopius, II, I, Gibbon, II, P. 407, (The Modern Library).

Procopius, II, 12-15.

Procopius, II, V, Vol. 1, P. 295, (Dewing).

Procopius, II, XVI, 4-6, II, XIX, 15-20.

Procopius, II, XII, XIX, 32-44.

في أثناء كلامه على الحبشة في اليمن وعلى دخول الفرس إليها، كما أشار إلى المواجهة والمدة التي عقدت بين كسرى أنو شروان والقيصر ، وقد سماه (نخبطيانوس) ، أي (جستنيان) (جستنيانوس) (Justinianus) ، فقال : « وكان فيها ذكر بين كسرى أنو شروان وبين نخبطيانوس ملك الروم مودة ومدة. فوقع بين رجل من العرب كان ملكه نخبطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من نهم كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان غارة . فأغار خالد ابن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ونهب أموالاً من أمواله فشكا ذلك المنذر إلى كسرى وسأله الكتاب إلى ملك الروم في الصلح من خالد ، فكتب كسرى إلى نخبطيانوس يذكر ما بينها من العهد على المدة والصلح ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما نهب من حيزه وبلاده ويدفع إليه دية من قتل من عربها وينصف المنذر من خالد وإن لا يستخف بما كتب به من ذلك فيكون انقضاء ما بينها من العهد والمدة بسببه . وواتر الكتب إلى نخبطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل بها . فاستعد كسرى فغزا بلاد نخبطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل فأخذ مدينة دارا ومدينة الرها ومدينة منبج ومدينة قنسرين ومدينة حلب ومدينة انطاكية وكانت أفضل مدينة بالشام ومدينة قاميصة ومدينة حصص ومدينة كثيرة متاخمة لهذه المدن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض وسبي أهل مدينة انطاكية ونقلهم إلى أرض السواد^١ .

ويظهر من سياق هذه الرواية أن الطبري لم يكن على علم واضح بالمنذر بن النعمان ولا بخالد بن جبلة . وقد تقلد روايته هذه من غير نقد ولا مناقشة . فالشخص الذي تخاصم المنذر معه هو الخارث بن جبلة ، لا خالد بن جبلة . وقد وهم المورد الذي نقل الطبري منه ، فظن أنه خالد بن جبلة . وهو مورد يظهر كما يتبين من سياق الحديث أنه اعتمد على كتاب من كتب التاريخ ، لعله من المؤلفات الفارسية أو السريانية، وقد نقل الديثوري منه أيضاً، فذكر خالد بن جبلة^٢ .

١ الطبري (١٢١/٢ وما بعدها) ، (١٤٩/٢) ، (دار المعارف) .

٢ الأخبار الطوال (٧٠ وما بعدها) .

وفي رواية الطبري عن ملك المنذر مبالغة على ما يظهر ، فليس في الأخبار التي يرويها الأخباريون عن هذا الوقت رواية واحدة يفهم منها أن تقوّد القوس قد شمل هذه الأرضين الواسعة الممتدة من الحجاز إلى ساحل الخليج . وليس فيها خبر واحد يفهم منه أن ملك المنذر قد شمل الطائف وسائر الحجاز . ولو كان ملكه قد بلغ هذه البلاد لوعت ذلك ذاكرة أهل الأخبار شيئاً عنه ، إذ أنه لم يكن بعيد عهد عن الإسلام .

ولم تنقطع المناوشات بين الحارث والمنذر ، بالرغم من الهدنة التي انقضى القوس والروم على عقدتها لمدة خمس سنوات وذلك في سنة (٥٤٥ م)^١ . فبعد مدة قصيرة من التوقيع عليها ، عادت نيران الحرب فاستعرت بين الحارث والمنذر من غير أن يتدخل القوس أو الروم في هذا النزاع . وقد تمكن المنذر من مبالغة أحد أبناء الحارث : وكان يكلّمه خيله في البادية ، فأسره ، وقدمه على ما يقوله بروكوبوس ضحية إلى العزى (Aphrodite)^٢ . وبعد أن جمع كل واحد منهما كل ما يملك من قوة ومن حديد ، اشتبك في حرب جديدة انتصر فيها الحارث انتصاراً كبيراً ، وقتل عدداً كبيراً من جنود خصمه . فلما رأى ما حل به ، فرّ هو ومن بقي حياً من أتباعه ، تاركاً اثنين من أبنائه في جملة من وقع في الأسر^٣ .

وقد تكون غارة قيس بن سلعة بن الحارث الكندي على الحيرة غارة انتقامية من المنذر لما أنزله بال كندة من خسائر ، ويظهر أن قيساً قد باغت المنذر وفاجأه بغارة خاطئة اضطرنه إلى الفرار والالتجاء إلى الخوارج مع ابنه عمرو وقابوس . وبعد مضي عام على هذه الفريضة ، انضم المنذر لنفسه بغارة أخرى على كندة كلقت الكنديين التي عشر أميراً من بني حجر بن عمرو وقعوا في أسره في مكان يسمى ذات الشفوق ، ثم أمر بعد ذلك بضرب أعناقهم في الجفر ، وهو الموضع الذي أطلق عليه هذه الحادثة جفر الأملاك ، وهو موضع (دير بني مريتا) الذي أشير إليه في الشعر المنسوب لامرئ القيس^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أن الشاعر (امرأ القيس الكندي) كان في جملة من

Procopius, II, 28, 9-11.

Procopius, II, 28, 12-14.

Procopius, II, 28, 13-14.

شعراء النصرانية (ص ٤) .

وقع أسيراً ، إلا أنه أفلت من الأسر ونجا بنفسه ، فقال شعراً يرثي به من قتل ، منه :

ملوك من بني عمرو بن حجر يساقون العثية يقتلوننا
فلو في يسوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مريسا
ولم تفصل جباههم بفصل ولكن في الدعاء مُرَمِّكنا

فهو يتألم ويتأفف من سقوط قومه قتل ، لا في حرب ولا في معركة ، ولكن في (ديار بني مريسا) ، فآية مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ ملوك أحرار شجعان يقتلون في مثل هذه الديار .

وفي رواية أن الذين قتلوا من بني حجر آكل المرار في جفر الأملاك هم تسعة واستشهدت على ذلك بشر للحارث بن حنظلة جاء فيه :

وقد بناهم بنسعة أملاً لك كرام أسلابهم أغلاء

وأشير في قصيدة هذا الشاعر إلى الجون . وهو جون آل بني الأوس ، وهو في شرح الرواة ملك من ملوك كتنة ، وهو ابن قيس بن معد يكرب . قالوا : وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ، ومعه كتية خشنة ، فحاربه بكر ، فهزموه ، وأدخلوا بني الجون ، فجاءوا بهم إلى القلعة ، فقتلهم .

وفي بعض الروايات أن المسلر توسط لعقد الصلح بين بكر وتغلب واشترط أن أي رجل وجد قتلاً في دار قوم فهم ضامنون لدمه ، وإن وجد بين محتلين قيس ما بينها ، فينظر أقربها إليه ، فتضمن ذلك القليل . وأخذ من الفريقين رهناً بأحسابهم ، فمضى التوى أحد منهم بحق صاحبه أفاد من الرهن .

وفي عهد هذا الملك وقع (يوم طخفة) بحسب رواية بعض الأخباريين .

١ الأغانى (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دار صادر) (ص ١٦٦) .

٢ الأغانى (٤٨/١١) (طبعة دار الكتب) ، الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، (ص ١٦٥) (صادر) .

٣ الأغانى (٤٤/١١) (دار الكتب المصرية) .

ويذكر هؤلاء أنه وقع بسبب (الردافة) وقيل : (الرقادة) . فقد كانت ردافة ملوك الحيرة في (بني يربوع) ، وكانت لعناب بن هرمي بن رياح بن يربوع في عهد (المنذر بن ماء السماء) . فلما توفي ، صارت الى ابنه (قيس ابن عناب) (عوف بن عناب الرياحي) بحكم الوراثة ، وكان حديث السن ، فأشار (حاجب بن زرارة) على الملك أن يجعلها لرجل كهل له سن وعقل ، وأشار عليه بانتخاب (الحارث بن بنية المجاشعي) (الحارث بن مرط بن سفيان ابن مجاشع)^١ ولما فاتح الملك (بني يربوع) برأيه هذا : غضبوا وأبوا ، وأصر الملك على رأيه ، وألا حاربهم ، فأبوا واستعدوا للقتال ، وساروا الى موضع (طخفة) وتحصنوا به ، فأرسل المنذر في أثرهم جيشاً كبيراً من اقناء الناس ، عليه حسان أخوه وقابوس ابنه وبعث معهم الصنائع والوضائع ، اشتبك مع (بني يربوع) في هذا المكان، وصبر بنو يربوع ولبثوا ، ثم أغاروا على جيش المنذر، فانهزم ووقع القتل فيه ، وانهزم قابوس ومن معه، وضرب طارق أبو عميرة (طارق ابن عميرة) فرس قابوس فمقره وأسرته، وأراد أن يجز ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تجز نواصيها ، وأسر حساناً بشر بن عمرو بن جوين^٢ ، فعاد المنهزمون الى المنذر، وكان المنذر قد احتسب (شهاب بن عبد قيس) بن كياس اليربوعي عتده . فلما رأى سوء العاقبة ، استدعاه ، فقال له : « يا شهاب ، أدرك ابني وأخوتي ، فإن أدركتهم حينئذ ، قلبي يربوع حكمهم ، وأرد^٣ عليهم ردائهم ، وأترك لهم من قتلوا وما غنموا ، وأعطيهم ألفي بعير » ، فذهب الى قومه وأعادها ، ووفى الملك بما قال . وتجد للأحوص وللفرزدق ولأم موسى الكلاية شعراً في هذا اليوم^٤ .

وفي عهد المنذر ، كان يوم (أواره الأول) على قول أهل الأخبار . وسببه

- ١ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) . (٢٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، الاشتقاق (١٤٧) ، ومنه طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء) ، اللسان (٢١٣/٩) ، (دار صادر) (طخف) .
- ٢ نهاية الأرب (٤١٣/١٥) ، (بشر بن عمرو والرياحي) ، العمدة لابن رشيقي (٢٠١/٢) .
- ٣ البلدان (٣٢/٦) ، النفاطس (٦٦/١ ، ٢٨٥) ، (٩٢٤/٢) ، الأغاني (١٧٦/٣) ، ابن الأثير (٣٩٦/١) ، العقد الفريد (٣٥٩/٣) ، أيام العرب (٩٤) .

أن تغلب لما أخرجت (سلمة بن الحارث) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل)
ولما بلغ بكر أذعن له تغلب ودانت لحكمه ، وقالت له : « لا يملكنا غيرك »
فأرسل اليهم (المنذر) يدعوهم الى طاعته ، فلم يجيبوه ، فحلف المنذر ليسير
اليهم فان ظفر بهم ذبحهم على قلة جبل أواره حتى يبلغ الدم الخفيض ، وسار
اليهم بمجموعه لير بفسه ، والتقى بهم بأواره ، فهزمت بكر ، وأسر (يزيد
ابن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل خلق كثير من بكر ،
وأمر المنذر ببيع الأسرى الرجال على قلة جبل أواره ، وبأحراق النساء ، وإلى
ذلك أشار الأعشى بقوله :

سبايا بني شيان يوم أواره على النار إذ تجل به قتياتها^١

ونظم عام (٥٥٤ م) هذا التراجع العنيف الذي أنعب الحارث والمنذر فاستراح
الجانبان ، ختم بسقوط المنذر بن النعمان (مونذر بن نعمان) (ملك العرب)
صرعاً بيد خصمه الحارث بن جبلة بعيداً عن عاصمة ملكه ، ففي منطقة قنسرين
على روايات المؤرخين السريان ، ففي السنة السابعة والعشرين من حكم القيصر
(يوستنيانوس) (جستنيان) (Justinianus) هاجم المنذر منطقة (Rhomaye)
التي تابعة لحكم الروم ، فثار له الحارث بن جبلة ، وتغلب عليه ، وقتله عند عين
(عودايا) (Wdaia) في منطقة قنسرين . وقد سقط في هذه المعركة أحد أبناء
الحارث ، فدفنه أبوه في قلعة هذا الموضع^٢ .

و (عودايا) ، هو (العذبة) على رأي موسى ، وهو من مواضع منطقة
(بالمرينا) (Palmyrena) ، أي منطقة تدمر ، ومعظم هذه المنطقة هي من
أعمال قنسرين^٣ .

١ الأتاني (١٢٤/١) ، الكامل . . لابن الأثير (٢٥٩/١) ، العقد الفريد
(١٥٢/٣) ، العمدة لابن رشتيق (٢١٥/٢) وما بعدها ، المختصر في أخبار
البشر (١٠٠/١) ، مرصع ، (١٢٧/١) ، اللسان (٣٥/٤) ، البكري ،
معجم (٢٠٧/١) ، البلدان (٢٧٣/١) ، أيام العرب (٩٩) .

٢ أمراء لسان (ص ١٨) ،
Bar Hebraeus, 81, Vol. I, P. 76.

(The English Translation), London, 1932, Michael the Syrian,
Chronicle, Vol. 4, P. 323, Musil, Palmyrena, P. 144, Rothstein, S. 83.

Musil, Palmyrena, P. 144. ٣

وقد فهم (أوليري) من رواية للمؤرخ (ثيوفانس) ان المنذر كان حياً حتى سنة (٥٦٢ م) ، وهي السنة التي عقد فيها الصلح بين الروم والفرس ، وفيها توفي^١ .

وقد ذكر (هارتمن) (Hartmann) ان المنذر هلكا حارب في صفوف الرومان في أيام القيصر (طياريوس الثاني) (Tiberius II) ، غير انه خاطهم وغلبهم في إحدى المعارك التي قادها (موريقيوس) (Mauricius) ، فلما صار (موريقيوس) قيصراً قبض عليه ، ونفى معه زوجته وبعض أبنائه الى جزيرة صقلية^٢ . ولم يقل هذا القول أحد ، وانما قصد المورد الذي استند اليه هارتمن وهو (ابواكريوس) (Evagrius) منلراً آخر غير المنذر الذي تحدث عنه^٣ .

وسبق لأوليري ان ظن هذا الظن ، فلذكر ان المنذر حدى إن في الفرس ضعفاً ، وذلك بسبب انقطاع الحروب مدة بين الفرس والروم ، فانضم الى الروم وصار حليفاً لهم ، وحارب معهم . فلما تبين لئيه الأمر، عاد الى حلفائه القدامى الفرس . فلما وقع في إحدى المعارك أسيراً في أيدي الروم، تقاه القيصر موريقيوس سنة (٥٨٠ م) ونفى معه زوجته وبعض أولاده الى صقلية^٤ . ومصدر ومهما هو اعتمادهما على رواية للمؤرخين (ابواكريوس) (Evagrius) و (نيقيفورس كالستوس) (Nicephorus Callistus) من غير أن يمحضاها . فالمنذر المقصود في هذه الرواية ليس هذا المنذر ، وانما هو المنذر بن الحارث بن جبلة الذي نفي بعد أن اتهمه الروم باتصاله من طرف خفي بالفرس ، وانه كان السبب في اختراق الحملة التي قادها (موريقيوس) يوم كان قائداً ، فلما صار قيصراً ، انضم منه بالنفي .

أما الذي عليه أكثر الأخباريين فهو : ان قتل المنذر كان في عين أباغ في

O'Leary, P. 160, Theophanes, P. 203.

Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

Evagrius Scholasticus, V. 20, VI. 2, Paulys-Wissowa, Erster Halbband, S. 1281.

O'Leary, P. 160, Evagrius, Hist. Eccl., 5, 60, 6. 2; Nicephorus Callistus, 18, 10.

المعركة التي عرفت بـ (يوم عين أباع)^١ . وعين أباع بحسب وصف بعض الأخباريين واد من أودية العراق وراء الأنبار على الفرات بين الكوفة والرقبة ، لا يبعد كثيراً عن الحيرة^٢ . وسبب وقوع هذه المعركة على ما يقولونه ، هو أن المنذر بن ماء السماء سار من الحيرة في معبد كلها حتى نزل بعين أباع ، وأرسل إلى الحارث الأعمرج بن جبلة : إما أن تعطيني القديبة فأصرفك عنك بجنودي ، وإما أن تأذن بحرب . فأرسل إليه الحارث : أنظرنا ننظر في أمرنا . فجمع عساكره وسار نحو الموصل فلما التقى به في عين أباع ، القتلا ، فقتل المنذر ، وقتل فيها ابنان للحارث . فسار الحارث بولديه القنيلين إلى الحيرة ، فأهبطها وأحرقها ودفن ابنه بها ثم عاد^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن (عين أباع) كانت منازل (إباد) ، وأن (أباع) رجل من العاقلة نزل ذلك المكان فنسب إليه . وقد اختطفت الأقوال في (عين أباع) فمنهم من جعلها موضعاً بين الكوفة والرقبة ، ومنهم من جعلها عين ماء ، ومنهم من ينكر أنها عين ماء ، ويرى أنها واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام . ومنهم من يجعلها في (ذات الخيار)^٤ .

ويظهر من تعليقات ابن الأثير على هذه المعركة أن من كان يرى أن اسم الملك الفسائي الذي انتصر في هذا اليوم هو أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحارث ابن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن مارية الفسائي ، أو هو رجل من الأزد فلقب على غيرهما . وقد رجح هو رواية من قال إنه الحارث

١ حمزة (ص ٧٠) . ابن الأثير . الكامل (٢٢٢/١) . العقد الفريد (٢٧٤/٢) . ديوان الحماسة (٣٤٦/٢) . اللسان (٢٩٨/١٠) . أيام العرب (٥١) .
٢ البلدان (٧٣/١) . (٢٥١/٦) . (٧٣/١) . (طهران) . البكري (٦٤/١) . ابن دريد . الاشتقاق (٢٠٩) . الإغاني (١٩٨/٢٧) . الحوي . المشترك (٣١٦) . اللسان (٤١٧/٨) .
Moldeke, Othaa, 18, Nothstein, B. 2, 28.

٣ ابن الأثير . الكامل (٢٢٢/١ وما بعدها) . (٣٢٠/١ وما بعدها) (المنيرية) . أبو الفداء . المختصر (٩٧/١) . ديوان النابغة (٧٤-) . البلدان (٧٣/١) . ابن خلدون (الجزء الثاني) . القسم الثالث (ص ٥٤٢) . (بيروت) . (حتى نزل بعين أباع في ذات الخيار) . ابن الأثير . الكامل (٢٢٠/١ وما بعدها) . أبو الفداء . المختصر (٩٧/١) . ديوان النابغة (٧٤) . البلدان (٧٣/١) . ابن خلدون (الجزء الثاني) . القسم الثالث (ص ٥٤٢) . (بيروت) . (حتى نزل بعين أباع في ذات الخيار) . ابن الأثير . الكامل (٢٢٠/١ وما بعدها) .

الأعرج بن جبلة ، وهي رواية أكثرية الأخباريين^١ . ويؤيد هذه الرواية روايات المؤرخين السريان الذين سمو اسم ملك عرب الشام ، قذصوه (حارث برجايا) أي الحارث بن جبلة (حارث بن جبيل) . ويلاحظ أن ابن العبري استعمل جملة (ملك العرب) للمنذر^٢ . كما استعملها غيره من المؤرخين .

ويرى (ابن الأثير) : أن (الحارث) لما بلغ (عين أسباخ) أرسل إلى (المنذر) يقول : إنا شيخان هنا ، فلا تهاك جنودي وجنودك ، ولكن ليخرج رجل من ولدك ، وليخرج رجل من ولدي ، فمن قتل خراج عوضه . فإذا قتي أولادك وأولادي خرجت أنا إليك ، ومن قتل صاحبه ذهب بالملك . ففعلوا على ذلك . فعهد المنذر إلى رجل من شجعانه ، فأمره أن يخرج ، ويظهر أنه ابن المنذر . فلما خرج ، انخرج إليه الحارث ابنة (أبا بكر) . فلما رآه ، رجس إلى أبيه ، وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عليه أو بعض شجعانه . فقال له الحارث : يا بني ، أجزعت من الموت ؟ فعاد إليه وقاتله ، فقتله الفارس ، فألقى رأسه بين يدي المنذر . وعاد فأمر الحارث ابنة الآخر بقتاله والطلب بشأه أخيه ، فخرج إليه ، فشد عليه الفارس وقتله . فلما رأى ذلك (شمر بن عمرو الحنفي) ، وكانت أمه غسانية ، وهو مع المنذر ، غضب ، وقال للمنذر . أياها الملك ، إن المنذر ليس من شيم الملوك ولا الكرام ، وقد غدرت بآبى عمك . فغضب المنذر . وهرب (شمر) إلى الحارث فأخبره . فلما كان الغد ، أرسل الحارث أصحابه ، وحرضهم ، وكانوا أربعين ألفاً ، واصطفوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المنذر وهزمت جيوشه . فأمر الحارث بآبىه القتيبي فحملوا على يعمر ، وسار إلى الحيرة فأنتهبها وأحرقها ، ودفن آبىه بها ، وبني الغريين عليها في قول بعضهم^٣ . والمعروف أن الذي بنى الغريين هو النعمان بن المنذر فوق قبري نديميه .

وأشار حمزة أيضاً إلى اختلاف الرواة في القاتل والمقتول في يوم عين أسباخ ،

١ ابن الأثير (٢٢٢/١) .

٢ مختصر تاريخ الدول (ص ١٤٨) ، (بيروت ١٨٩٠) .
Bar Hebraeus, II, Vol. I, P. 78.

٣ الكامل (٢٢٠/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٧٤/٣) .

فقال : وقتله الحارث الأعرج ، وهو الحارث الوهاب الجلفي يوم عين اباغ . وهو اليوم الذي قيل فيه ما يوم حليلة بسر^١ . وفي كتاب المعارف : أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليلة هو المنذر بن امرئ القيس . وكان يوم عين اباغ بعد يوم حليلة . والمقتول في يوم عين اباغ المنذر بن المنذر . وكان خرج يطلب بدم أبيه . فقتله الحارث الأعرج أيضاً . وقد سمعنا أن قائله مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التظلي^٢ .

وقد ذكر (ابن قتيبة) في (كتاب المعارف) أن الحارث بن أبي شمر القساني ، وهو الحارث الأعرج ، هو الذي قتل المنذر بن امرئ القيس ، قتله بـ (الخيار^٣) . ويظهر من عبره هذا أن قتل المنذر إنما كان بـ (الخيار) ، لا في (يوم حليلة) ، وأن (الخيار) أو (الخيار) موضع اقرب ما يكون إلى الحيرة منه إلى بلاد الشام .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنذر بن ماء السماء بجدها مدفونة في الأغاني ، لم نشر إلى عين اباغ ولا إلى يوم حليلة ، أو ذات الخيار ، خلاصتها . أن شمر بن أمية الحنفي أحد بني سحيم هو الذي قتل المنذر بن ماء السماء ، قتله غيلة لما حارب الحارث بن جبلة القساني ، فبعث إلى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمر هذا ، يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ، ويكون له من قبله . فركن المنذر إلى ذلك ، وأقام الغلمان معه ، فاحتاله شمر بن عمرو الحنفي ، فقتله غيلة . وتفرق معه من كان مع المنذر ، واتهبوا عسكره^٤ . وذكر (ابن دريد) أن قاتل المنذر الأكبر ، وهو جند النعمان بن المنذر ، يوم عين اباغ ، هو (شمر بن يزيد) ، وهو من (بني حنيفة) ، وكان في جند الملك القساني^٥ .

وتحدث (ابن خلدون) عن (يوم عين اباغ) ، فقال : « كان جبلة بن النعمان صاحب يوم عين اباغ ، يوم كانت الغزاة له على المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في ذلك اليوم »^٦ . ولكننا نجد يقول في موضع آخر : « عمرو بن

١ حمزة (ص ٧٠) .

٢ المعارف (ص ٢٨٢) (طبعة محمد اسماعيل عبد الله الصاوي) .

٣ الأغاني (٤٦/١١) (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٦/٢) .
الاشتقاق (٢٠٩) ، البكري (٦٤/١) .

٤ الاشتقاق (٢٠٩/٢) .

٥ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، القسم الثالث (ص ٥٨٦) (بيروت) .

عمرو بن عبد الله بن عبد العزيز ، قاتل المنذر بن ماء السماء في يوم عين اباغ^١ .
وذكر ان (عمراً) هذا هو ابن عم (علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزيز بن
سحيم بن مرة) وهو الذي توجه كسرى^٢ . وقد ذكر ان (جبلة بن النعمان) ،
صاحب يوم عين اباغ ، كان مترله بصفين .

وفي رواية اخرى ان (حليلة) كانت قد اخرجت خلوقاً ، فخلقت به الفتيان .
ولما خلقت احدهم ، واسمه (ليد بن عمرو) ، دنا منها فقبلها ، فطعمته وبكت ،
فأمسكها ابوها ، ثم ذهب من ذهب وفيهم (شمر بن عمرو الحنفي) وكانت امه
من غسان ، الى (المنذر) متظاهرين انهم جاؤوا اليه ليخبروه ان الحارث يدين
للمنذر ، وهو يريد ان يعطيه حاجته ، فتباشر اهل عسكر المنذر ، وغفلوا بعض
غفلة ، فحمل الغلمان على المنذر وقتلوه ، فقبل : (ليس يوم حليلة بسر) ،
فذهب مثلاً^٣ .

وذكر (ابن قتيبة) ان « الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو الأعمرج وجه
الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس ، فيهم الشاعر (ليد بن ربيعة) ، وأمره
عليهم ، فصاروا الى عسكر المنذر ، وأظهروا انهم أتوه داخلين في طاعته ، فلما
تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل اكثرهم ونجا ليد ، حتى اتى ملك غسان ،
فأخبره الخبر ، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم . وهو يوم حليلة .
وكانت حليلة بنت ملك غسان . وكانت طيب هؤلاء الفتيان حين توجهوا وألبسهم
الأكفان والدروع وبرانس الأضرع^٤ » .

وقد جعل بعض الاخباريين عين اباغ (ذات الحيار)^٥ ، ويفيد قولهم هذا
ان عين اباغ هو موضع يقع في منطقة تسمى ذات الحيار (الحيار) ، ويرى
(تولدكه) ان موضع (الحياران) الوارد في معلقة (الحارث) هو أيضاً هذا

١ المصدر نفسه (ص ٦٢٦) .

٢ المصدر نفسه .

٣ الميداني ، مجمع الأمثال (٢/٢٩٥ وما بعدها) .

٤ الشعر والشعراء (ص ١٤٨) ، (طبعة ليدن) .

٥ ابن الأثير (٢٢٢/١) .

الكان^١ . ولشيت من هذا القول ، لا بد من الوقوف على موضع ذات الخيار
(الخيار) و (الخياران) . وقد ذكر ياقوت الحموي ان الخيار صقع من بركة
قنسرين ، كان الوليد بن عبد الملك القطعة المقعاق بن خليلد بينه وبين حلب يومان^٢ .
وهذا الوصف لموقع الخيار ينطبق على ما رواه المؤرخون السريان عن موضع مقتل
المنذر كما يوافق رأي من جعل عين اباغ ذات الخيار .

ومن ذهب هذا الشعب ، (ابو الفداء) ، فقال في حديثه عن (يوم عين
اباغ) . « ومن ايام العرب يوم عين اباغ ، وكان بين غسان ولحم ، وكان
قائد غسان الحارث الذي طلب ادراع امرئ القيس ، وقيل : غيره . وكان قائد
لحم المنذر بن ماء السماء . وقتل المنذر في هذا اليوم ، وانهمز لحم ، وتبعهم
غسان الى الحيرة ، واكثروا بينهم القتل . وعين اباغ في موضع يقال له .
ذات الخيار »^٣ .

وذكر ابن عديم في المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ان القتيبي في يوم عين اباغ هو المنذر
ابن ماء السماء ، وهو الذي تولى ملك الحيرة بعد قابوس وقيل النعمان بن المنذر ،
الذي قربه (عتي بن زيد العبادي) الى كسرى . واما القتال ، فهو الحارث
الغساني^٤ . ومرد امثال هذا الاختلاف في اسماء الملوك في الروايات ، الى تشابه
الاسماء اذ يصعب على الرواة ، وهم يهتمون في رواياتهم على الحفظ ، ان يميزوا
بعد مدة بين امثال هذه الاسماء ، فيحدث لهم مثل هذا الاضطراب .

ونجد هذا الرأي عند (النويري) كذلك ، اذ جعله ايضاً والد (النعمان)
الملك الاخير من ملوك الحيرة . والذي قتله كسرى كما سنرى فيما بعد^٥ .
والنويري هو عبال علي (ابن عديده) في كثير من الاخبار ، ولا سيما
اخبار الايام .

١ وهو الرب والشهيد على يوم الخيارين والبلاء بلاء .

المعلقة ٥ البيت ٨٢ . شرح الزواجدي (ص ١٦٩) .

٢ البلدان (٣٧٥/٣) .

٣ المختصر في تاريخ البشر (٩٧/١) (بيروت) .

٤ العقد الفريد (١١٠/٦) . (٢٦٠/٥) (لجنة التأليف والترجمة والنشر .

١٩٤٦ م) .

٥ نهاية العرب (١٢٠/١ وما بعدها) .

ويتبين من غرلة الأخبار الواردة عن (يوم أباغ) ، (يوم عين أباغ) ان من الأخباريين من يرى ان يوم عين أباغ ويوم حليلة ، هما يوم واحد، ولا فرق بينهما ، وقالوا انما عرف ذلك اليوم بـ (يوم حليلة) ، لبروز اسم (حليلة) فيه ، وهسي بنت ملك غسان ، تخلق المحاربين وتحثهم على القتال . وان من الأخباريين من جعل (يوم حليلة) يوماً آخر مغايراً ليوم عين أباغ، ثم اختلفوا فيه ، فنتهم من جعله قبل يوم عين أباغ ، ومنهم من جعله بعده . وقد ذكروا انه كان يوماً عظيماً ، اشترك فيه عدد كبير من المقاتلين ، (وعظم الغبار حتى قيل : ان الشمس قد انصبت وظهرت الكواكب المتباعدة من مطلع الشمس)^١ . وهذا مما يدل على اشراك عدد كبير من المقاتلين فيه . ومن ذهب الى ان (يوم حليلة) هو يوم آخر (ابن الأثير) ، وقد جعله بعد (يوم عين أباغ) . وقال : انه وقع في موضع يعرف بـ (مرج حليلة) ، وسبه ان المنذر لما قتل أراد ابنته (الأسود) الأخذ بالثار ، فسار في جيش لجب ، وانقضى بجيش (الحارث) في (مرج حليلة) . ولما طالت الحرب ، أمر الحارث ابنته (هند) بأن تخلق فتيان غسان ، ونادى فتيان غسان : من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هند . فقال ليبد بن عمرو الغساني لأبيه : يا أباي أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول ، ثم ركب فرسه ، وشد على الأسود ، فقتله ، وانهمزت لحم ثانية ، وقتلوا في كل وجه . وانصرف غسان بأحسن ظفر في تفاصيل أخرى لا مجال لشرحها هنا^٢ .

فيبين من حسبر (ابن الأثير) هذا ان الموضع الذي وقع فيه القتال اسمه (مرج حليلة) ، وان اسم ابنة الحارث هو (هند) لا حليلة ، وان المقتول فيه هو (الأسود) لا المنذر ، وان هذا اليوم قد وقع بعد (يوم عين أباغ) .

وفي رواية ان الضامة تمكنوا في المعركة التي سقط فيها المنذر من أسر أحد أبنائه وهو امرؤ القيس ، وبقي في أسرهم الى أن أغارت بكر بن وال على بعض بوادي الشام ، ففعلوا ملكاً من ملوك غسان ، واستنقلوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند يتأ للملك الملك يقال لها ميسون^٣ . وقد ذهب (كوسان دي برسفال) الى أن هذه الغارة كانت بقيادة أحد أبناء المنذر القليل ، وانها

١ البلدان (٣٢٥/٢) وما بعدها . أبو الغداء ، المختصر (٩٧/١) .
 ٢ الكامل (٣٣٠/١) وما بعدها .
 ٣ الأقباني (٤٨/١١) .

كانت غارة انتقامية وقعت بعد المعركة التي سقط فيها ابن ماء السماء^١ .
وقد أشار الحارث بن حنظلة الى ذلك في شعره مفتخراً :

وفلكننا غل امرئ القيس عه بعد مسا. طال حبه والعناء

وقد زعم الشراح أن امرأ القيس هذا كان معروفاً بماء السماء^٢ أما الملك
الغساني القليل ، فلم يشعروا الى اسمه ، وأشك في الذي رواه الأخباريون من أنه
كان ملكاً . وأرى احتمال كونه أحد أبناء الملوك . واستعمال جملة (رب غسان) ،
هي من باب التضخيم للعمل الذي قامت به بكر .

وذكر بعض الرواة أن حجراً الكندي ، وهو في نظرهم حجر بن أمّ قطام ،
غزا امرأ القيس هذا ، وكانت مع حجر جموع كثيرة من كتلة ، غير أن بكراً
التي كانت مع امرئ القيس قاتله ، وقتلت جنوده^٣ .

وذهب بعض الأخباريين الى أن مقتل المنذر بن ماء السماء هو في يوم حليلة ،
قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . وسبب تسمية ذلك اليوم بيوم حليلة أن حليلة
ابنة الحارث كانت تخلف قومها وتحرضهم على القتال في ذلك اليوم . وذهب آخرون
الى أنه موضع^٤ .

وفي رواية تسب الى ابن الأعرابي أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء ،
ولكنهم غلبوا على أمرهم ، فلحقوا بالشام خوفاً منه . وبقوا هناك ، فربهم
عمرو بن أبي حجر الغساني في رواية ، أو الحارث بن أبي شمر الغساني في
رواية أخرى ، فلم يستقبلوه ، فانزعج من ذلك ، وتوعددهم ، وأن عمرو بن
كثثوم نهاء عن ذلك^٥ .

وقد روى بعض أهل الأخبار أحياناً من الشعر ، زعموا أن ابنة المنذر قالتها
في رثاء والدها ، ففي جملتها :

Cassiri, Essai, II, 116.

١ الأغاني (٤٨/١١ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) .
٢ الأغاني (٤٩/١١) (دار الكتب المصرية) .
٣ البلدان (٣٢٠/٣) . الكامل ، لابن الأثير (٣٢٦/١ وما بعدها) .
٤ الأغاني (٥٧/١١ وما بعدها) .

وقالوا : فارساً منكم قتلنا ، قتلنا : الرمح يكلف بالكرم
بعين أباغ قاسمنا الثابتاً فكان قسمها خير القسم

وينسب إلى المنذر بناء الغريين في بعض الروايات ، وكان السب في ذلك كما
يقول الأخباريون أنه كان له تديمان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة
(مفضل) (خالد بن المفضل) والآخر عمرو بن مسعود (عمرو بن مسعود
الأسدي) ، فتمسلا ، فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه ، فأمر وهو سكران
فحضر لها حضيرتان فلفنا حين . فلما أصبح استدعاهما ، فأعبر بالذي أمضاه فيها ،
فغمته ذلك ، وقصد حفرتهما ، وأمر ببناء طربالين عليها ، وهما صومعتان .
فقال المنذر : ما أنا بمملك إن خالف الناس أمري . لا يمر أحد من وفود العرب
إلا بيتها ، وجعل لها في السنة يوم يؤس ويوم نعيم . يقيح في يوم يؤس كل
من يلقاه ويفرقي بدمه الطربالين ، ويحسن في نعيمه إلى كل من يلقى من الناس
ويحملهم ويطلع عليهم . وقد قتل المنذر على عادته هذه إلى أن حدث له حادث ،
أظهر فيه رجل ظهر يوم يؤس وفاءً عظيماً ، ففقا عنه ، وترك تلك العادة وتنصر .
وكان الرجل الذي ير بوعده فحضر بعد عام ليأخذ سيف الجلال نصرانياً ، ولذلك
تنصر المنذر . وذكروا أنه لم يكن يتورع من ذبح أعز الناس عليه إذا ظهر له
يوم يؤس . فلما ظهر الشاعر الشهير عبيد بن الأبرص الأسدي ، لم يتجسه شعره
من مصير ذلك اليوم^١ . وذكروا أن الرجل كاد يسلمه سوء طالعته إلى يد الجلال ،
هو حفظة الطائي ، وأنه ترهب بعد هذا وابنى دبراً له هو الدبر المعروف بدبر
حفظة . وأما الذي كفل ذلك الرجل حتى يعود بعد عام ، فرجل من أشراف
القوم هو شريك بن عمرو . وذكروا أيضاً أن حفظة هذا هو عم أبياس بن قبيصة
الطائي ملك الحيرة^٢ .

١ اللسان (٤١٧/٨) (بيروت) .

٢ البلدان (٢٨٣/٦) وما بعدها . الأغانى (٢١٣/٥) (دار الكتب المصرية) ،
البكري ، معجم (ص ٦٩٤) . (طبعة لندن) ، ابن قتيبة . الشعر (ص ١٤٤) ،
الأغانى (٨٦/١٩) ، القالسي . الامالى (١٩٥/٣) . (طبعة دار الكتب
المصرية) ، ابن هشام (٤٠١/١) ، شرح قصيدة ابن عبيدون (١٣٢) ، شعراء
النصرانية (ص ٦٠٠) ، الحور العين ، الحميري (ص ٧٦) ، رسالة الفقرا
(١٨٢) ، طبقات ابن سلام (٣١) .

٣ شعراء النصرانية (ص ٨٩) .

وورد في بعض الروايات أن (المنذر بن ماء السماء) ، خرج في يوم يؤسه ، وكان يوماً يركب فيه فلا يلقى أحداً إلا قتلته ، فلقي في ذلك اليوم (جابر بن رألان) أحد (بني لعل) ومعه صاحبان ، فأعطتهما الخيل بالثوبة ، فألقى المنذر فقال : اقترعوا ، فأبكم قرع ، فخلبت سبيله ، وقتل الباقي . فاقترعوا ، فقررهم جابر ، فخلت سبيله ، وقتل صاحبيه ، فلما رأهما يقادان ليقتلا ، قال عن بني بزر ، ورووا في ذلك شعراً نسبوه إلى جابر .

ومن الأخبار من نسب بناء الغريين إلى النعمان الثالث ، ومنهم من نسبها إلى جلدعة ، وذهب آخرون إلى نسبة الغري إلى الحارث الغساني . ويرينا هذا الاختلاف مبلغ جهلهم بأصل الغريين .

وقد ذكر (النويري) أن الغريين أسطوتان كانتا بظاهر الكوفة ، بناهما (النعمان بن المنذر بن ماء السماء) على جارين كانتا قيتين تغيان بين يديه ، فاتتا ، فأمر بدمتهما ، وبني عليهما الغريين . وذكر أيضاً أن المنذر غزا الحارث ابن أبي شمر الساساني ، وكان بينهما وقعة عين أبياغ ، وهي من أيام العرب المشهورة ، فقتل للحارث ولدان ، وقتل المنذر ، وانتهت جيوشه ، فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير . وجعل المنذر فوقهما ، وقال : ما العلوة بدون العدلين ؟ فذهبت مثلاً ، ثم رحل إلى الحيرة ، فأنتهبها وحرقها ، ودفن ابنه بها ، وبني الغريين عليهما . وقد ذكر أن (المنصور) أمر بهدم أحدهما ، لكنهم توهم أنه تحنهما ، فلم يجد شيئاً .

وهذا الذي يرويه أهل الأخبار عن سبب بناء الغريين ، هو من القصص الذي ألفناه ، وعرفنا أصحاب الأخبار جماعه ، فلا قيمة تاريخية له في نظرنا ، وإن أكد لنا الأخباريون أو حاولوا التأكيد بأنه حق ، وأنه أمر مسلم به وشائع معروف ، وإن عييداً لقي حقه لظهوره يوم يؤس المنذر أو النعمان . وقد يكون ذلك مسلماً به عندهم ، غير أننا لسنا من الساجدة بحيث نصدق بأشكال هذا القصص لمجرد أنه شائع معروف ، فليس كل شائع معروف أمراً صحيحاً يجب الأخذ به .

١ - القاهر (ص ٧٣)

٢ - Rothstein, B. 140.

٣ - نهاية الأرب (١ / ٣٨٧)

ونحن لا نريد أن ننكر وجود الغريين ، فليس الى نكرايتها أو نكران (الغري) من سبيل . ولكننا كما قلت ننكر هذا القصص الذي يرويهِ الأخباريون عن هذين الغريين ، لأنه قصص نشأ كما نشأ أمثاله عن جهل الناس أو أهل الأخبار بأصول الأشياء ، فلما احتاجوا الى معرفة الأسباب ، أوجدت لهم مواهبهم هذا القصص الطريف ، وهو أمر لم يتفرد به زمان دون زمان ، فزال الناس يتدعون قصصاً ثم يروونه ، ويتألقونه على أنه شائع صحيح ، مع أن تأريخ ابتداعه لا يبعد عن زماننا بكثير ، وأهل الحلي هم القاصص عارفون .

أما ان الغريين حفرتان دفن في كل حفرة منها رجل حي ، لأنه عريد وسكر ، وتحدث بكلام غاظ الملك ، وما أشبه ذلك من قصص ، فأمر لا نستطيع أن نقف منه موقفاً إيجابياً ، ولا نسلّم به . ففيه شيء من أثر الصنعة والتكلف . ولكننا نستطيع أن نقول ان الغري أو الغريين من المواضيع التي كانت لها صلة بعبادة الأوثان ، ومن الجائز أنها كانتا مخصصين لتقديم الذبائح والقرايين في المواسم الدينية وفي الأعياد . وقد عرفت مثل هذه العادات عند شعوب أخرى ، فكانت تهرق دماء الذبائح عند الأنصاب ثم تطلّى بها . وما الغريان الا نصابان من هذه الأنصاب . على ان الأخباريين أنفسهم قد ذكروا ان الغري نصب كان يذبح عليه العائثر ، كما ذكروا ان الغريين كانا طريالين ، والطريال صومعة على رأي ، وشيء مرتفع عند الأكثرين^١ . فلا يستبعد أن يكون الغريان موضعين من مواضع ذبح القرايين للأصنام .

ويذكر أهل الأخبار أن (شريك بن مطر) ، وهو جد (معن بن زائدة) ، كان من أكبر الناس عند المنكر . وكان له ولد اسمه (الحارث) ويلقب بـ (الحوقران) وهو من بني (شيان)^٢ .

١ البلدان (٢٨٢/٦)
٢ الاشتقاق (ص ٢١٥)

الفصل الثامن والثلاثون

عمرو بن هند

والذي خلف المنذر على ملك الحيرة بعد وفاته، هو ابنه عمرو بن هند المعروف بـ (مضطرب الحجارة) ، وهو لقب يشير بالطلع الى قوة ابن هند وشدة بأسه، وقد عرف عمرو بأمه (هند بنت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار) ، فهو كندي من جهة أمه ، وعرف أيضاً بـ (عرق الثاني) على رواية حمزة^١ ، وبـ (المحرق) في رواية الغيرة^٢ . وقد كان له من الأشقاء من أمه : قابوس والمنذر .

ويرى بعض الباحثين احتمال كون (هند) من (آل غسان) ، واليهما ينسب دير هند . ويرى أن حكم ابنها عمرو كان فيما بين السنة (٥٥٤) والسنة (٥٦٩ م)^٣ . وزعم ابن الأثير أن الذي تولى الملك بعد المنذر بن ماء السماء هو ابنه المنذر ابن المنذر بن ماء السماء المعروف بـ (الأسود) ، وأنه لما استقر الأسود وثب قدمه جميع عساكره وسار الى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه ، ونزل بروج حلينة، ووصل الحارث الى هسلما الموضع كذلك ، واقتل الطرفان أياً لم ولم ينتهبا الى

١ حمزة (ص ٧٢) ، معجم الشعراء (ص ٢٠٥ وما بعدها) ، مفاتيح العلوم (٦٩)
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٢٦٢)
٣

نتيجة . فلما رأى الحارث طول الوقت ، نادى في قتيان غسان : « يا قتيان غسان ، من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هندا » . فلما سمع ذلك لبيد بن عمرو القسائي ، شدَّ على الأسود فقتله ، وانهزم أصحابه ، فترل لبيد واحتر رأس الأسود ، وأقبل به إلى الحارث ، فألقى الرأس بين يديه ، فوافق الحارث على إعطاء لبيد ابنته ، ثم إن لبيداً انصرف ليواسي أصحابه ، فرأى أحمأ الأسود يقاتل الناس ، فتقدم لبيد فقاتل فقتل ، ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك المزيمة غيره . وانهزمت لهم ثانية ، وكثر فيها القتل . وذكر الأخباريون أن هذا اليوم هو من أيام العرب الكبرى إذ سار الأسود بجمع من عنده من عرب العراق ، وأقبل الحارث بجمع من كان عنده من عرب الشام . فجعلت هذه الرواية بعد المنكر ابنه المنكر الأسود وجعلته صاحب مرج حليمة^١ .

وتذكر رواية أن جيش الحارث الأعرج بن جبلة أسر كثيراً ممن كان مع المنكر من العرب ، وفيهم مئة من نعيم ، فيهم شأس بن عبدة . ولما سمع أخوه علقمة ، وفد إلى الحارث مستشفعاً وأنشده قصيدة مدح طويلة ، فنزَّ عليه ، وأطلق له الأسرى من نعيم ، وكساه وحياه^٢ .

وهناك رواية أخرى عن مقتل المنكر بن المنكر ، خلاصتها : أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج خطب إلى المنكر ابنته هندا ، وقصد انقطاع الحرب بين لهم وغسان فوافق المنكر على ذلك . غير أن هندا أبته عليه ذلك ، فحقد الحارث على آل لهم . فلما خرج المنكر غازياً ، بحث الحارث جيشاً إلى الحيرة ، قاتنها وأحرقها ، فانصرف المنكر عن غزائه وسار يريد غسان . وبلغ الخبر الحارث ، فجمع أصحابه وقومه ، فسار بهم ، فتوافقوا في عين أباغ . فاصطفوا القتال ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وحلت مينة المنكر على ميسرة الحارث وفيها ابنه ، فقتلوه وانهزمت الميسرة . وحلت مينة الحارث على ميسرة المنكر ، فانهزم من بها وقتل مقدمها (فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل ابن شيان) ، وحلت غسان من القلب على المنكر فقتلوه ، وانهزم أصحابه في كل وجه ، وقتل منهم خلق كثير ، منهم فاس من بني نعيم ، ومن بني حنظلة .

١ ابن الأثير (٢٢٢/١ وما بعدها . ٢٢٥) . البلدان (٢٢٠/٢) .

٢ أيام العرب (٥٥ وما بعدها) .

ووقع عند^١ في الأسر ، ومن هؤلاء الأسرى : (شأس بن عبدة) شقيق علقمة ابن عبدة من شعراء الجاهلية المعروفين . فالقتيل في هذه المعركة وعلى هذه الرواية إذن هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، لا المنذر بن ماء السماء . وقد تشكى ابن الأثير كما تشكى قبله حمزة من اختلاف الأخباريين في الروايات ، ومن تضارب الروايات بعضها ببعض ، ومن تقديم الأيام وتأخيرها ، وفي الشخص المقتول ، فذكر أن من الأخباريين من يقول أن يوم حليمة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويوم أبياغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ، ومنهم من يقول بفسد ذلك ، ومنهم من يجعل اليومين واحداً ، فيقول لم يقتل إلا المنذر بن ماء السماء ، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة . وقبل أن المقتول من ملوك الحيرة غيرهما . وقد رجح ابن الأثير رواية القائلين أن المقتول هو المنذر بن ماء السماء ، ورجح أيضاً رواية من يقول أن المنذر بن المنذر لم يقتل ، وإنما مات حتف أنفه^٢ .

ويذكر أن (علقمة بن عبدة) الشاعر الجاهلي ، ذهب إلى الخارث ، فدحه بقصيدة شهيرة ، رجاء استعطاف الملك ، لين^٣ عليه بالعفو عن أخيه ، ليفكه من أسره ، فاستحسن الملك شعره وفرح به ، ومن عليه بفك أسره ، وبفك أسر جميع من وقع من قومه في الأسر . فلما عادوا إلى ديارهم ، أعطوا شأساً أموالاً وأكسية وإيلاً^٤ ، فحصل من ذلك له مال كثير^٥ .

وفي يوم (حليمة) ورد المنذر ، (ما يوم حليمة بر^٦) . أعود بعد الكلام على (المنذر بن المنذر) إلى الحديث عن عمرو بن هند شقيقه ، فأقول : يظهر من هذه الروايات المذكورة عنه ، ومن هذا الشعر الوارد اسمه فيه ، أنه كان رجلاً سريع الانفعال ، يتألم بسرعة مما يقال له ، ولذلك حدثت له مشكلات عديدة لم تكن لتحدث لولا هذا الحس المرفف عنده ، الذي جعله عرضة لهجو الشعراء ، والشعراء ألسنة الناس وأبواق الدعاية في ذلك العهد ، وقصته مع طرفة بن العبد والمتلمس معروفة مشهورة^٧ .

- ١ ابن الأثير (٢٢٥/١) .
- ٢ ابن الأثير (٢٢٦/١) وما بعدها .
- ٣ مجمع الأمثال ، للسيداني (٤٠٨/٢) .
- ٤ (صحيفة المتلمس) ، الأغاني (١٩٤/٢١) ، خزائن الأدب (٤١٢/١) ، البيعقوبي (١٧٢/١) ، الفاخر (ص ٦٠) ، شعراء النصرانية (ص ٢٢٧) .

ويصفه أهل الأخبار بالشدة والصرامة ، بل جعلوه شريراً ، وزعموا أنه كان له يوم يؤس ويوم نعيم ، فيوم يركب في صيده يقتل أول من لقي ، ويوم يقف الناس ببابه فإن انتهى حديث رجل أذن له ، فكان هذا دهره^١ . وقالوا : إنه كان لا يئس ولا يفتنم . وكانت العرب تسميه (مضط الحجارة) لشدة ملكه ، وكانوا يهابونه هبة شديدة ، وكان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً ، لأنه حرق بني تميم ، وقيل : بل حرق نخل الهامة^٢ .

وقد وصف الشاعر (الرهاب العجلي) الملك (عمرو بن هند) بأنه ملك (يعتدي ويجور) وذلك في معرض وصفه للسدير^٣ .

وقد أصبحت الحيرة موئل الشعراء في أيام عمرو بن هند ، فلما كثرت مشاهير الشعراء الجاهلين خبر مع هذا الملك ، كانوا يحضرون إليه من أماكن نائية لانشاده شعرهم ولتبل جوائزهم ، ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسة الشعراء بعضهم لبعض ، ومن نقد بعضهم شعر بعض ، كالذي حدث بين طرفة والمسيب بن علس على ما يذكره الأخباريون^٤ . وقد كانت مثل هذه المفاصل أهمية كبيرة في مجتمع ذلك اليوم ، لما كان لها من أثر في تقوس القبائل ، وطالما أدت إلى غضب القبائل وغضب الملك نفسه ، وغضب الشعراء على منافسيهم وعلى الملك ، لاعتقادهم بتحزبه لأحد الخصمين .

وذكر بعض الرواة أن سيب هجاء (طرفة) عمرو بن هند أن عمرو بن هند كان يتباطأ في مجلسه في استقبال الناس . فلما جلس لشرابه ، أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى ينتهي من مجلس أنه ، فيسمح عندئذ للوي الحاجات بالدخول عليه ، كما كان يصرف وقته بالنهْي بالصيد والقتل ، مما جعل وقته

١ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١٢٢) ، العهد السمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين . (ص ٢١٧) .

٢ خزائن الأدب (٤١٧/١) ، شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .

٣ أبي القلب أن يهوى السدير وأمله وإن قيل : عيش بالسدير غريب فلا أضر الحسى الذي نزلوا به وإن لم يأت له لتدبير به البق والحسى وأسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور الألفاني (٢٩٥/٢١) (القسم الثاني) ، بيروت (١٩٥٧) .

٤ شعراء النصرانية (ص ٣٠٤ ، ٣٥٠ وما بعدها) .

يفيق عن استقبال الناس ، فصاروا يتكالبون على بابه ليجدوا وقتاً يدخلون فيه عليه ، فاستاء طريقة من هذه المعاملة . وقال شعراً يهجو فيه ، كان في جملة ما جاء فيه .

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوفاً حول قبتنا نخور
لعمرك إن قايوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير
نست الدهر في زمن رخي كذلك الحكم بقصد أو يجوز

بلغ الشعر (عمرو بن هند) ، أبلغه إياه (عبد عمرو) ، وكان من سادات الناس في زمانه ، وكان زوج أخت (طرفة) ، وقد هجاه (طرفة) أيضاً . فلما أنشد (عمرو بن هند) هجاء طرفة له على سبيل المزاح والاستخفاف بشأنه ، قال له (عبد عمرو) : أبيت العن ! وما قال قبك أشد مما قال في فأنشده الأبيات . فقال عمرو بن هند : أو قد بلغ من امره أن يقول في مثل هذا الشعر . فكتب إلى رجل من عبد القيس بالبحرين ، وهو الملقب ليقتله . فقال له بعض جلسائه : إنك إن قتلت طرفة ، هجاءك المتلمس وهو رجل من مجرب ، وكان حليف طرفة ، وكان من بني ضبيعة . فأرسل عمرو إلى طرفة والمتلمس فكتب لها إلى عامله بالبحرين ليقتلها ، وأعطاهما هدية من عنده وحملها ، وقال : قد كتبت لكما بهجاء ، فأنبأ حتى نزلنا الحيرة ، وارتاب المتلمس بأمر الصحيفة واستقبال عمرو لها ، ففك ختمها وعرضها على غلام من أهل الحيرة ، فقرأها ، فإذا فيها أمر يقتله ، فأخذ الصحيفة فقلدها في البحيرة وقال :

وألقيتها بالثني من جنب (كافر) كذلك ألقي كل رأي مضال

وأشار على طرفة بفك خاتم صحيفته أيضاً ليقراها له ، ولكنه أبى ، وذهب إلى صاحب البحرين ، فوجد هناك نهايته في قصص متناقض عجز يرويه أهل الأخبار^٢.

١ الشعر والشعراء (ص ٨٩ وما بعدها) ، (لين) .

٢ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، الإغاني (١٢٥ / ٢٦) .

ديوان طرفة بن العبد (ص ٩) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (١٠) .

الشعر والشعراء (ص ٨٥ وما بعدها) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن قبر طرفة بهجر ، وهو معروف هناك^١ .
 وللشاعر (طرفة بن العبد) شعر يعاتب به (عمرو بن هند) ، ويحرضه فيه
 على الطلب بحق أخيه (معبد) ، الذي أغبر على إيسل له ، وكانت في جوار
 (عمرو بن هند) فأنتهت . ويقول فيه : نحن في طاعتك ، ومضرب في طاعتك ،
 فما يالنا أغبر علينا ، وكلنا قد بين لك^٢ .
 ولطرفة شعر في هجاء (قابوس) كذلك . ونرى بعض الأخباريين ينسبون
 إليه يومين : يوماً يصيد فيه ، ويوماً يشرب فيه ، فيقف الناس ببابه حتى يأذن
 لهم بالدخول إليه ، ولذلك سُم من طرفة فهجاء وهجا عمرو بن هند شقيقه معه^٣ .
 وينسب بعض أهل الأخبار هذه القصة إلى عمرو بن هند .
 ويتبين من حديث الأخباريين عن صحيفة المتلمس ، ومن قصة نهاية طرفة في
 البحرين ، أن البحرين كانت تابعة في ذلك العهد لملك الحيرة ، وأن حاكمها
 كان عاملاً لعمرو بن هند^٤ . وقد ورد في رواية أن اسم عامل عمرو بن هند هو
 (أبو كرب ربيعة بن الحرث) ، وهو من ذوي قرابة (طرفة) فلما علم بغير
 (طرفة) لم يقتله ، وكتب إلى (عمرو بن هند) أنه لن يقتله ، وقد اعتزل
 عمله^٥ . فعين عمرو عاملاً آخر مكانه اسمه في بعض الروايات (عبد هند) .
 ونقول رواية أخرى أن قاتل طرفة هو (المكعب) عامل البحرين ، قتله بكتاب
 عمرو بن هند^٦ . وكان (المكعب) عامل عمرو بن هند على عمان والبحرين على
 رواية هؤلاء الرواة^٧ . وترجم رواية أخرى أن الذي قتله رجل من (الحوائر)

- ١ خزائن الأدب . (٤١٦/١) ، مجمع الأمثال . (٤١٢/١) ، الأغاني (٥٢٣/٢٣) وما بعدها . (بيروت ١٩٥٥ م) . أمالي المرتضى (١٨٣/١) وما بعدها .
 الشعر والشعراء (١٣١) وما بعدها .
- ٢ لعمر ك ما كانت حمولة معبد على جدها حرباً لدينك من مضر
 أمالي الكبير (١١١٨/٢) ، شرح القصائد العشر (ص ١٨٢) .
- ٣ شعراء النصرانية (٣٠٥/١) .
- ٤ البغليوسي . الاقتضاب (١٠٤) ، شعراء النصرانية (ص ٣٢١ ، ٣٣٠ وما
 بعدها) ، شرح المعاني السبع ، للزوزني (ص ٤٢ وما بعدها) ، (دار صادر) .
 البلدان (٢٠٨/٧) .
- ٥ مجمع الأمثال (٤١٢/١) وما بعدها .
- ٦ مجمع الشعراء (ص ٢٠١) ، الأغاني (٥٢٤/٣) .
- ٧ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، للأنباري (ص ١١٦) ، الشعر
 والشعراء (ص ٩١) .

اسمه (التبرج بن حوثر) (أبو ريشة) (أبو رائشة الحوثر) وكان، عمرو ابن هند (قد اختاره وعينه على البحرين : حين همت (بكر بن وائل) بعامل (عمرو بن هند) . وتزعم رواية أخرى ، أن قاتله هو (المعلى بن حنش العبدي) وأن الذي تولى قتله بيده هو (معاوية بن مرة الأيغلي) من (حسي طسم وجديس)^١ .

وفرّ المتلمس الى بلاد الشام حيث الفساة أعداء النافذة ، وصار يمدحهم ويهجو عمرو بن هند ، واستقر به (بصرى) الى أن هلك . وقد خلف ولداً اسمه (عبد المنان) . وهناك قصص عن كيفية عودته الى زوجته ، وعن وصوله اليها ساعة عقد قرانها لرجل جديد في كنيسة ، لظن أهلها أنه كان قد مات^٢ . وقد سخر (المتلمس) في أشعاره من (عمرو بن هند) ، وأقذع في هجائه حتى قال فيه :

ملك النهار فأنت الليل مومسة ماء الرجال على فطملك كالقوس

ووصفه فقال : انه (أخنس الأنف) ، وأن أضراسه كالعسل ، الى غير ذلك من هجاء مرّ شديد .

وأود أن أبين أن من الرواة من ينسب هذا الهجاء الى شاعر آخر ، قالوا ان اسمه (عبد عمرو بن عمار) ، وذكروا أنه قاله في هجاء (الأبرد الساني)^٣ . ويظهر من رسالة الغفران ، أن للناس أقاويل في مقتل (طرفة) ، ورد فيها :

١ ديوان طرفة بن العبد (ص ٥) (كرم البستاني) ، الشعر والشعراء لابن قلبية (١٣٧ ، ١٤٤) .

٢ راجع عن طرفة - الألغاني (١٢٠/٢١ وما بعدها) ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لالبياري (ص ١١٥ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبسيزي (ص ٩٨) ، رسالة الغفران ، لأبي العلاء المعري (ص ٣٢٦ وما بعدها) ، (تحقيق الدكتور بنت الشاطي) ، طبقات ابن سلام (١٦) ، الشعر والشعراء (ص ٨٨) ، شعراء النصرانية ، للنويس شيخو ، (ص ٢٩٨ وما بعدها) ، شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي ، ديوان طرفة - بيروت ، شرح المعلقات السبع للزوزني (دمشق ١٩٦٣ م) ، خزنة الأدب ، للبهادري (٤١٤/١) ، الحيوان (٦٦/٣) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٣٠١ وما بعدها) ، المؤلفات والمختلف ، للأمني (ص ١٤٦) .

٣ قولاً لعمرو بن هند غير منشوب يا أخنس الأنف والأضراس كالعسل الألغاني (١ من القسم الثاني ص ٢٩٣ ، الألغاني (٣٠/١٤) .

« ولقد كثرت في أمرك أفاويل الناس : فمنهم من يزعم أنك في ملك النعمان اعطقت ، وقال قوم : بل الذي فعل به ما فعل عمرو بن هند ^١ .
ونطرق (الشريف المرتضى) في أماليه الى موضوع قتل (عمرو بن هند) لطرفة ، فذكر أن عامل البحرين يومئذ هو (المولى بن حنش العبدي) وذهب الى احتمال كون قاتل (طرفة) هو (النعمان بن المنذر) ، استدلى على ذلك بقول طرفة :

أبا منذر كانت غروراً صحتي ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أنيت فاستبق بعضنا حنانك بعض الشر أهون من بعض

قال : « وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بعد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله ، فيشبه أن تكون القصة مع النعمان ^٢ .

هذا وللمثلثس أشعار في هجاء (عمرو بن هند) ، وقد ظل يهجو الى أن توفي وهو في الغربة في بلاد الشام . وفي جملة ما قاله فيه .

أطردني حذر الهجاء ولا واقه والأنصاب لا تثيل

فهو يعيره بأنه إنما أبعده عنه وطرده ، لأنه كان يهجو ، ولأنه كان يحذر هجاءه ويقول في أبيات أخرى .

أنت السيف وسارق ومرابض ، ولك الخورق
والقصر ذو الشرفات من سنداد والنخل المسبق

فلئن تعشق فلتبلغن أرماحنا منك المخنق ^٣

والشاعر (سويد بن غلاق) شعر في هجاء (عمرو بن هند) ، وهو أشعر الشاعر (يزيد بن غلاق) ، وهما من (عبد القيس) ، وذكر أن (يزيد بن

-
- ١ رسالة الفهران (٣٢٨) .
 - ٢ أمالي المرتضى (١٨٣/١ ، ١٨٥) مجمع الأمثال (١/٣٥٠ وما بعدها) ، ديوان الثلثس (١٧٢ وما بعدها) .
 - ٣ شعراء النصرانية (٣/٣٣٩) .

عطائي (، كان أول من ذم الدنيا في شعرا . وفي جملة ما قاله (سويد) في
هجاء (عمرو بن هند) ، قوله :

أبى القلب أن يأتي الدبر وأهله وإن قبل عيش بالسدير غزير
به البني والحُمى وأسد عَصِيَّة وعمرو بن هند يعتدي ويجور

و (المتخل الشكري) من معاصري (عمرو بن هند) كذلك . وكان يشيب
ب (هند) اخت (عمرو بن هند) ، وأتهم بامرأة لعمرو بن هند ، قتلته على
رواية^١ . وذكر أنه اتهم بالشجدة امرأة النعمان بن المنذر ، وأنه كان يتألم النعمان ،
وهو الذي اوقع فيها بينه وبين النابغة لحقده عليه ، حتى سبب في فرار النابغة إلى
(آل ضان) ليخلص نفسه من غضب النعمان عليه^٢ . ومعنى هذا أن (عمرو
بن هند) لم يقتله بل عاش إلى أيام النعمان .
وقد مدح (المثقب العبدى) (عمرو بن هند) وكان في زمانه ، بقوله :

غلبت ملوك الناس بالحزم والنهى وأنت الخفى في سورة المجد ترتقي
ونجيب به من آل نصر سميدع^٣ أغر^٤ كلون الهندواني^٥ رونق

ونعت بالحلم والرزانة (والحلم الرزين) ، وبالفعلات^٦ .

وقد عد^٧ (ابن قتيبة) الشعراء الذين عاشوا (عمرو بن هند) من قدماء
شعراء الجاهلية . فلما تحدث عن الشاعرين (سويد) و (يزيد) ، قال :
« وهما قدماء كانا في زمن عمرو بن هند »^٨ . ولما تحدث عن (المثقب العبدى)
قال عنه : « وهو قديم جاهلي . كان في زمن عمرو بن هند »^٩ . وحدث (المتخل
الشكري) من قدماء الشعراء الجاهليين ، فقال عنه : « وهو قديم جاهلي »^{١٠} .

-
- ١ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٢ (وقتله عمرو بن هند - وقال قبيل قتلته -) ، الشعر والشعراء (ص ٢٢٩) .
 - ٣ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٤ الشعر والشعراء (ص ٢٢٤) .
 - ٥ الشعر والشعراء (ص ٢٢٨) .
 - ٦ الشعر والشعراء (ص ٢٢٤) .
 - ٧ المصدر نفسه (ص ٢٢٨) .

ويجب أن نذكر أن الشاعر (امرؤ القيس) كان أيضاً من معاصري (عمرو بن هند) ، وهو شاعر جاهلي قديم ، في نظر علماء الشعر . فيكون زمن أقدم شعر جاهلي ، وصل خبره البنا ، هو النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، أي في ستين لا تبعد كثيراً عن زمن ميلاد الرسول ، كما سأتحدث عن ذلك في القسم الخاص بالناحية الثقافية للعرب قبل الإسلام .

وورد في إحدى قصائد الأعشى ما يفيد اتساع ملك عمرو بن هند وجباية كل ما بين عمان و (ملح) له^١ . ويذكر بعض الرواة أن المراد به (عمان) هنا (عمان) بلاد الشام ، وأما (ملح) فهي البامة من بلاد بني جعدة^٢ .

ويذكر بعض الأخباريين أن عمرو بن هند كان على (بقعة) يدبر أعمالها في أيام أبيه المنذر ، واليه لجأ امرؤ القيس الشاعر المعروف مستجيراً به لأنه كان ابن عمته ، فلجأه ، ومكث عنده زمناً . فلما سمع به المنذر ، وكان يتعقبه ، طلبه من أبيه ، فأنذره عمرو ، فهرب حتى أتى جبر مستجيراً^٣ .

وقد نسب إلى ابن هند غزوة غزا بها تغلب ، فقبل : طلب (عمرو) من بني تغلب ، حينما تولى الملك مساعدته على أخذ الثار من بني حسان قتلته أبيه ، وكانوا انحازوا عنه ، وطلب منهم الرجوع إلى طاعته والتزو معه ، فأبوا، وقالوا: مالنا نغزو معك . نحن رعاء لك فغضب عمرو بن هند ، وجمع الجموع . فلما نيات ، كان أول عمل قام به غزو تغلب ، فأوجعهم وآذاهم ، انتقاماً منهم ، لامتناعهم عن نصرته ومعاذته^٤ . وقد أشار إلى هذا الحادث (الحارث بن حنظلة الشكري)^٥ الشاعر الجاهلي أحد أصحاب الملقات .

ويذكر أهل الأخبار أن (الحارث بن حنظلة) حضر مجلس (عمرو بن هند) ،

١. ألفا يجيبني إليه خرجته كل ما بين عمان وملح ديوان الأعشى (القصيدة ٣٦ . البيت ٩) .
٢. ديوان الأعشى (ص ١٦٠) ، طبعة كابر (Gezer) ، (ص ٢٢٧) (طبعة الدكتور م. محمد حسين) ، البздان (١٤٧/٨) .
٣. الأغانى (٦٧/٨) .
٤. الأغانى (١٧٣/٩) (٤٧/١١) (ط . دار الكتب المصرية) .
٥. كتاب ألف قومنا لما دعا المنذر : هل نحن لابن هند رعاء ؟ الأغانى الكبير (١٠١٢/٢) ، شرح الملقات السبع ، للزوزنسي (ص ١٦٢) (طبعة صادر) .

وأنشده معلنته ، أنشده لإياها من وراء سبعة ستور ، وذلك ليرى به . وكان الملك يأمر بعد خروج (الحارث) بفعل أثره بالماء ، كما يفعل بسائر البرص . فلما أنشده قصيدته هذه ، طرب لها الملك كثيراً ، فأمر برفع الستور من بينها ، وأدناه منه ، وأطعمه في جفنته ، وأمر أن لا يتضح أثره بالماء ، ثم جزّ نواصي البكرين السبعين الذين كانوا رهناً عنده وسلمها إليه ، تعظيماً لشأنه ، وتقديراً له ولقومه الشكرين .

وقد حرص (الحارث) في قصيدته تلك الملك على التغليب ، وسرد حوادث تاريخية لها علاقة في هذا التعريض مما حاج الملك ، وراى في حدة غضبه عليهم . ذكره بالأرقام ، وهم بطون من تغلب ، وصورهم كأنهم أناس عزموا على الاعتداء على قومه انضماماً منهم ، لوقائع وقعت بينهم وبين قومه ما بين (ملحمة فالصاقب) ، حيث ثار قومه بقتلهم . أما تغلب ، فلم تتأثر بقتلهم ، ثم ذكر التغلبين خصومه ، بأن قومه أناس أشداء في الحروب ، يعتمدون في القتال على أنفسهم ، ولا يركنون إلى أحد . ساروا من البحرين سيراً شديداً ، حتى بلغوا (الأحساء) ، طووا المسيرة سيراً واغارة على القبائل ، ثم لم يكتفوا بذلك ، فأغاروا على (نعيم) فلما دخل الشهر الحرام ، كفوا عن القتال ، حرمة له ، وعندهم سبأيا من بنات القبائل صرن إماء لهم . ثم ذكر الملك بامتناع (تغلب) من الانضمام إليه للحرب معه ، على حين نصره قومه ، وحاربوا معه . وكيف غلبوا على أمرهم ، غلبهم الملك . وكيف ذهبت دماء تغلب هدراً ، لم يؤخذ بتأرها وهو لا يترك قومه دماؤهم هدراً ، إذ يأخذون بالكثير من قتلة قتلهم . ثم انتقل إلى يوم (الحقيقة) ، حيث جاءت (معد) ، ولكل حي منها لواء حول (قيس بن معد بكرب) من ملوك حير . وبين كيف أن قومه تعرضوا لقيس ولبن معهم ، حتى رذهم بطنع خرج به الدم من جروحهم خروج الماء من أفواه القرب . ثم انتقل إلى وصف قتالهم مع (حجير بن أم قطام) ، وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروع الكتيبة ، وجلا صدأها ، ثم حدث عن كيفية فكهم غل (امرئ القيس) من حبيسه بعد أن طال حبيسه وقال منه العناء .

- ١ شرح المملكات للزوزني ، (ص ١٥٤) ، (دار صادر) ، (بيروت ١٩٥٨ م) .
- ٢ ويرى بعض علماء الأدب أن المراد (فارسية خضراء) ، دروع وبيض فارسية ، ركبها الصفا ، شرح الزوزني (ص ١٦٥) (صادر) .

وتعرض للذكر (الجون : جون آل بني الأوس) ومعه كتيبة شديدة العناد، ولت الأديبار بعد قتالها مع (بني يشكر) قومه . ثم تعرض لقتالهم مع الغساسنة انتقاماً منهم ، لقتلهم (المنذر) والد (عمرو بن هند) وأسروهم تسعة من الملوك، وأخذهم أسلابهم منهم ، وأسلبهم غالبية الأثمان، لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم. ثم انتقل إلى ذكر يوم (ذي المجاز) وكيف جمع (عمرو بن هند) بني (بكر) و (تغلب) وأصلح بينها ، وأخذ منها الوثائق والرهون . وكتب العهد بينها بوجوب الوفاء بما اتفق عليه في هذا اليوم . ثم أخذ يعبرهم ويلدكر هزائمهم التي ألحقها (كتلة) و (لإباد) و (تميم) و (بنو حنيفة) و (قضاعة) وقبائل أخرى بهم ، ويتهممهم بحرق العهد والمواثيق والغدر . وقد جاءت هذه القصيدة معبرة عن حقد (عمرو) على التغلبيين وعن غضبه عليهم لمقاومتهم له . وغزا عمرو بن هند طيئاً ، بتحريض زدارة بن عدس بن عبدالله بن دارم الحنظلي أباه على غزوها ، ويقول أهل الأخبار أن عمرو بن هند امتنع في بادئ الأمر عن غزو طيء ، لوجود حلف بينه وبينهم ، غير أن زدارة ألح عليه بغزوهم ، فغزاهم وأخذ أسرى منهم^١ .

ويلدكر بعض أهل الأخبار أن عمرو بن هند كان قد عاهد طيئاً ألا ينازعوا ولا يغزوا ولا يهاجروا . ثم غزا البامة ، فرجع مقتضاً ، فمرّ بطيء ، فحرضه زدارة عليهم ، ولم يزل به يحرضه ويغريه بالغنائم ، حتى غزا طيئاً ، وأسر من بني عدي رهط حاتم الطائي سبعين رجلاً ، وفيهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائي ، وحاتم يومئذ بالحيرة . فلما بلغ عمرو بن هند الحيرة، توسط (حاتم) لديه في فك الأسرى فوهبهم له^٢ .

وغزا (عمرو بن هند) تميمًا فقتل من (بني دارم) مئة نفس انتقاماً منهم لقتلهم أخاه سعداً أو ابنه مالكاً في رواية أخرى. وكان ذلك في يوم أواره الثاني (يوم أواره الأخير) . ويزعم الأخباريون أنه ألقى بالقتلى في النار، ولهذا السبب عرف به (المحرق) (محرق) (المحرق الثاني)^٣ . ولبعض الأخباريين تفاسير

١ الأغانى (١٢٧/١٩ وما بعدها) . شعراء النصرانية (١٢٤) .

٢ أيام العرب (١٠٢) .

٣ حمزة (ص ٧٣) . معجم الشعراء (ص ٢٠٥) . البلدان (٢٩٢/١) . الكامل (٢٥٩/١) . العقد الفريد (١٥٤/٣) . الأغانى (١٢٢/١) .

٤ الأغانى (١٢٩/١٩) . الكامل (٢٢٨/١) . الميداني (٢٦٦/١) . اللسان (٤٢/١٠) .

أخرى في منشأ هذا القيد^١ ، تحاول إيجاد مخرج لمعنى (عرق) التي ترد مقرونة بأسماء بعض ملوك (آل جفنة) و (آل نهم) .

وفي كتب الأمثال مثل^٢ هو : « إن الشقي واعد البراجم » ، زعم أصحاب الأخبار أن قائله هو الملك (عمرو بن هند) قاله يوم قتلت (البراجم) - وهم أحياء من (نهم) : عمرو وقيس وغالب وكلفة وظليم ، وهم (بنو حنظلة بن زيد مناة) تحالفوا على أن يكونوا كبراجم الأصابع في الاجتماع - شقيق (عمرو ابن هند) ، فسار اليهم وآلى أن يحرق منهم مئة ، فقتل ثلثة وتسعين ، وأحرق القتل بالنار ، فمر رجل من البراجم وراح رائحة حريق القنسل ، فحسبه قتل الشواء ، قال اليه ، فلما رآه عمرو قال له : ممن أنت ؟ قال : رجل من البراجم فقال : إن الشقي واعد البراجم . وأمر قتل وألقي في النار ، فبرت به ميتة^٣ .

وورد أن عمرو بقي ينتظر واعداً من البراجم ليلقي به في النار فيكمل بذلك العدد ، حتى إذا طال انتظاره قبل له : لو تحللت بامرأة منهم ، قدما بامرأة من بني نهم بن دارم اسمها الحمراء بنت ضمرة بن جابر ، فأمر بالقائها في النار . فأكمل بذلك العدد^٤ .

وكان سبب قتل أسعد أو سعد أخى عمرو بن هند أو ابنه مالك ، أنه لما تزعر مرت به قافلة كوماه سمينة ، فرمى ضرعها ، فشد عليه ربها سويد أحد بني عبدالله بن دارم فقتله ، ثم حرب سويد فلحق بمكة ، واستجار بأهلها . فبلغ الخبر عمرو بن هند ، وكان زوارة بن علس التميمي عنده ، فاحتاط زوارة من هذا العمل ، إذ كان الملك قد وضع (سعداً) (أسعد) في بيته ، وانتهز زعماء طيء هذه الفرصة وحرضوا عمرو بن هند على مهاجمة بني دارم فقتله للأخذ بثأرهم منه^٥ .

- ١ - الاقتضاب (ص ٣٥٩) ، المعجمة (٢١٦/٢) .
- ٢ - البرقوقى (ص ٥٥) ، المعجمة ، لابن رشيق (٢٠٥/٢) ، الأمثال للبيداسي (٩٥/١) ، ابن الأثير (٣٣٤/١) ، النقاظ (٦٥٢ ، ١٠٨١) ، اللسان (٢٢/١٠) ، (حرق) .
- ٣ - أيام العرب (١٠٥) .
- ٤ - المعجمة (٢٠٥/٢) ، الأغاني (١٨٦/٢٢) ، (بيروت) ، السمودي ، مسروج (٢٣/١) ، اليعقوبي (١٧١/١) ، ابن خلدون (٥٦٦/٢) ، خزاعة الأدب (١٤٠/٣) ، نهاية الأرب ، للتويزي ، (١٨/٣) ، البكري ، معجم (٢٠٧/١) ، النقاظ (٦٥٢/٢ وما بعدها) .

وهناك رواية أخرى تنفي تحريق عمرو بن هند للمذكورين من بني دارم والرجل الآخر من البراجم ، وترى أنهم قتلوا ، قتلوا بأمر عمرو بن هند^١ .
وأورة الموضع الذي أحرق فيه المذكورون من بني تميم ، أو قتلوا فيه ، هو اسم ماء أو جبل لبني تميم قيل انه بتاحية البحرين^٢ .

وكان (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي أصاب (بني تميم) مع (عمرو ابن هند) يوم أورة ، فسأله فيهم فأطلقهم له ، وكان وفاداً الى الملوك^٣ .
والأعشى الشاعر ممن ذكر هذا اليوم في شعره . وعين الشاعر جرير القرظي^٤ يوم أورة^٥ .

وتذكر بعض الروايات عن يوم (أورة) أن (عمرو بن ملقط الطائي) ، هو الذي حرص (عمرو بن هند) على غزو بني دارم ، وأنه شاركه في غزوهم . وقد أشير الى ذلك في شعر للطرماح الطائي يفاخر به القرظي ، وهو شاعر من بني تميم^٦ . وسبب ذلك أن طيئاً كانت تطلب عنوات زارة وبني أبيه ، لأنه كان قد حرص عمرو بن هند عليهم . فلما بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، أنشأ (عمرو ابن ملقط) شعراً ، بلغ عمرو بن هند ، فتأثر به ، وقرر السير على زارة وقومه للانتقام منهم يقتلهم شقيقه^٧ .

وظهر من بعض الرواة أن (يوم الشقيقة) كان قد وقع في عهد عمرو بن هند ، إذ تذكر أن قوماً من شيان جاؤوا مع قيس بن معديكرب ومعهم جمع عظيم من أهل اليمن ، وقصدوا إبلاً لعمرو بن هند ، فردتهم بنو بشكر، وقتلوا فيهم ، ولم يوصل الى الإبل^٨ .

- ١ البلدان (٣٩٣/١) ، المصنف (٢٠٥/٢) . قال جرير :
ابن الذين بسيف عمرو قتلوا أم أين اسعد فيكم المسترضع ؟
- ٢ البلدان (٣٩٣/١) .
- ٣ ذيل الأمالي (٢٤) .
- ٤ معجم ما استعجم (٢٠٧/١) (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٥ م) .
- ٥ مسائل زارة والمأمون ما فعلت ودارم قد قتلنا منهم مشة
في جاحم النار اذ يلقون في الخدد
- ٦ ديوان الطرماح (ص ١٤٥) .
- ٧ أيام العرب (١٠٣) .
- ٨ الأغاني (٤٨/١١) (دار الكتب المصرية) .

وقد رأى بعض أهل الأخبار ، استناداً الى نصيدة للتأبغة مطلعها :

أثاركة تدللها قطام - وضناً بالنجبة والكلام

أن الذي قام بالغزو المذكور فيها هو (عمرو بن هند) . وأن غزوه بلغ حتى جبال حمى^١ . غير أن الآيات تدل على أن صاحب تلك الغزوة كان قد دَوَّخَ العراق ، وأنه حارب قبائله ، ولهذا لا يعقل أن يكون صاحبها عمرو ابن هند ، بل لا بد أن يكون ملكاً من آل غسان غزا العراق وإلى هذا الرأي ذهب المستشرق (تولدكه)^٢ .

وفي بعض الروايات أن عمراً توسط بين بكر و تغلب ابني وائل فأصلح بينهما بعد حرب البسوس، وأخذ رهائن من كل حمى من الحيين مئة غلام من أشrafهم، ليكيف بعضهم عن بعض ، فكانوا يصحبونه في السلم والحرب^٣ . ويرى فريق آخر من الأخباريين أن الذي توسط لعقد الصلح بين القبيلتين هو المنذر بن ماء السماء^٤ .

وذكر أن أناساً من تغلب جاؤوا الى (بكر بن وائل) يستقونهم، فطردتهم بكر للحقد الذي كان بينهم ، فرجعوا عطاشاً ، فأت سبعون منهم ، فاجتمع بنو تغلب واستعدوا لملاقاة بكر ومحاربتهم ، ثم خاف عقلاء الطرفين من عودة الحرب الى ما كانت عليه ، فتداعوا الى الصلح ، فتحاكموا الى الملك (عمرو بن هند) ، فطلب منهم سبعين رجلاً من أشraf وائل ليجعلهم في وثاق عنده ، فإن كان الحق لبني تغلب ، دفعوا اليهم ليأخذوا ثأرهم ، وإن لم يكن رجعوا سيلهم، فجهزت تغلب وعل رأسها عمرو بن كاثوم، وحل الخصومة عمرو بن هند^٥ . وفي رواية يذكرها (ابن دريد) : أن (بني الحارث بن مرة) قتلوا ابناً

١ شعراء النصرانية (ص ٧١٥) .

٢ الأغانى (١٢٧/١٩) . شعراء النصرانية (١٢٤) .

٣ الأغانى (٤٢/١١) وما بعدها ، (دار الكتب المصرية) . شعراء النصرانية (ص ١٦٨) وما بعدها .

٤ الأغانى (٤٤/١١) وما بعدها (دار الكتب المصرية) . (١٧٢/٩) (مطبعة النقصم) .

٥ جمهرة أشعار العرب (١٢٠) . شرح الفوائد السبع للزوزنى (١٤٦) وما بعدها .

لعمر بن هند ، فرهن (سيار بن عمرو) قومه بألف بعير ، وضعتها ملك من ملوك اليمن ، فعرف لذلك بـ (ذي القوس)^١ . أما (السكري) ، فذكر أن سياراً ذا القوس ، كان قد رهن قومه على ألف بعير في قتل الحارث بن ظالم ، من النعمان الأكبر^٢ .

ويظهر من الموارد الأعجبية أن عمراً كان قد أغار على بلاد الشام في سنة (٥٦٣ م) ، وكان على عربها الحارث بن جبلة^٣ . والظاهر أن الباحث على ذلك كان امتناع الروم عن دفع ما كانوا يدفعونه سابقاً لعرب الفرس مقابل أسكتهم عن مهاجمة الحدود . فلما عقد الصلح بين الفرس والروم سنة (٥٦٢ م) ، وهذأت الأحوال ، لم يدفعوا لآين هند ما تعودوا دفعه لوالده ، فأثر امتناعهم هذا في نفسه ، وطلب من الفرس مساعدته في ذلك . فلما طالت الوساطة ، ولم تأت بنتيجة ، هاجم تلك المنطقة ، ثم أعاد الغارة في سنة (٥٦٦ م) وسنة (٥٦٧ م) على التوالي . وقام بهاتين الغارتين أخوه قابوس بأمر أخيه .

ويغزو (مينندر) (Menander) أسباب الغارة الأخيرة إلى سوء الأدب الذي أبداه الروم تجاه رسول ملك الحيرة الذي ذهب إلى القيصري (يوسطينوس) (Justinus) لمفاوضته على دفع المال^٤ . وكان الروم قد أرسلوا رسولين قبل ذلك إلى الفرس ليحث في هذا الموضوع ، أحدهما اسمه بطرس ، والآخر اسمه يوحنا ، غير أنهما أنكرا للفرس حق ملك الحيرة في أخذ إناوة سنوية من الروم . فلما حوّل رسول ملك الحيرة معاملة غير لائقة قام قابوس شقيق عمرو بتلك الغارتين^٥ .

ونذكر رواية من روايات أهل الأخبار أن (عمرو بن هند) جعل أخاه (قابوس بن المنذر) على البادية ، ولم يعط أخاه (عمرو بن أمية) شيئاً ، وكان مغاضباً له ، فخرج (عمرو) إلى اليمن ، فأطاعته مراد ، وأقبل بها يقودها نحو العراق ، ولكنها ثارت عليه ، ثار عليه المكشوح وهو (هبيرة بن بغوث) فلما أحبط به ضاربهم بسيفه حتى قتل^٦ .

١ الاستغراق (١٧٢/٢) .

٢ المجير (٤٦١) .

٣ Rothstein, S. 96, Theophanes, 371, Noldeke, Basma, 172, Ghassan, 20.

٤ Rothstein, S. 96, Menander, By Dindorf, Histo. Min., II, 48.

٥ Rothstein, S. 96.

٦ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

أما (أمانة) أم (عمرو بن أمانة) ، فإنها (أمانة بنت سلمة بن الحارث الكندي) عم امرئ القيس^١ .

ويقهم من بعض الروايات أن علي بن زيد العبدي كان من المقربين عند عمرو بن هند ، وكان يصحبه مع من يصحبه من الرؤساء في الصيد^٢ .

وانتهت حياة عمرو بن هند بالقتل ، وهو مسؤول عن قتل نفسه إن صحت القصة . وغلاصتها : أن الفرور أخذ مأخذه من صاحبنا عمرو . ولزاد يوماً أن يظهر فخره أمام الناس ، فقال لجلسائه : هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن يخدم أمه أُمي ؟ قالوا : ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي ، فإن أمه ليل بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل أمز العرب وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت وأصمها في نفسه . ثم بعث إلى عمرو بن كلثوم يستريه ، ويأمره أن تزور أمه ليل أم نفسه هند . فقدم عمرو مع أمه ، فأنزلها منزلاً حسناً ، ثم أمر بالطعام فقدم للحاضرين . وكان عمرو قد قال لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف ، فنحي خدمك عنك ، فإذا دنا الطرف فاستخدمي ليلي ومربها فلتناولك الشيء بعد الشيء . ففعلت هند ما أمرها به ابنها . فصاحت ليلي عندئذ : وأدلاء يا آل ثعلب ! فسمعها ولدعا عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، والقوم يشربون ، وثار إلى سيف ابن هند وهو معلق في السراشق ، فأخذه وضرب به رأس مضطرب الحجارة ، ونادى في التغلبين فأخذوا ما تمكنوا من أخذه ، وعادوا من حيث أتوا^٣ . وهكذا جنى عمرو بن هند حصداً حساً زرعته إن صحت الرواية . ويروي الرواة في تأييدها هذا المثل :

١ معجم الشعراء (ص ٢٠٦) .

٢ الأغاني (١٥٤/٢) .

٣ ابن الأثير (١٢٦/١) الأغاني (١٧٥/٩) ، (٥٣/١١) (دار الكتب المصرية) ، ابن خلدون ، القسم الأول ، المجلد الثاني (٥٦٦) ، (بيروت ١٩٦٥ م) ، الجبر (٢٠٢) ، الشعر والشعراء ، لابن قتيبة (١٨٥) ، الأمالي ، للقاللي (١٩٣/١) .

« أفنك من عمرو بن كلثوم » . كما اقتصر بها الشعراء التغلبيون^١ .
ويقال إن أبا عمرو بن كلثوم : (مَرَّة بن كلثوم) ، هو قاتل (المنذر
ابن النعمان بن المنذر) ، وفي ذلك يقول الأخطل :

ابني كليب إن عني اللذا قتلا الملوك وفككتنا الأغلالا

يعني بعمته عمراً ومرة ابني كلثوم^٢ .

وذكر الشاعر (أننون) واسمه (صريم بن معشر) ، وهو من بني تغلب
(عمرو بن هند) في شعر رواه (ابن قتيبة) على هذا النحو :

لعمرك ما عمرو بن هند إذا دعا لتخدم أمي أمه بموفق^٣

وفي هذا البيت إشارة إلى مقتل (عمرو بن هند) ، بسبب أم الملك . وقد
وقع فيه تحريف ولا شك ، صبر الأم التي طلبت منها أم عمرو بن هند خدمتها ،
أم الشاعر المذكور ، بينما هي (ليل) أم الشاعر (عمرو بن كلثوم) ، قاتل
عمرو بن هند . كما يرويه علماء الشعر على لسان (أننون) أيضاً ، ولكن على
هذا الشكل :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليل أمه بموفق^٤

(وعمرو بن كلثوم ، هو القاتل :

ألا هبِّي بصحتك فاصبحينا

١ قانون أننون التغلبي .

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليل أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا وأمسك من نعلانه بالخنق
ويجلله عمرو على السراش ضرباً بشي شطب صافسي الحديد روثق

ابن الأثير (٢٢٦/) ، الأتاني (١٨٢/٩) ، شعراء النصرانية (٢٠٠) .
وقال الأخطل مفتخراً :

ابني كليب ، إن عني اللذا قتلا الملوك وفككتنا الأغلالا

الأتاني (١٨٣/٩) ، ابن دريد . الاشتقاق (٢٠٤) ، خزانة الأدب (٥٢٠/١) .
حمزة (ص ٧٢) .

٢ الشعر والشعراء (ص ١١٩ وما بعدها) .

٣ الشعر والشعراء (١١٩ ، ٢٤٩) .

٤ الأتاني (١٨٣/٩) ، ابن الأثير (٢٦٦/١) .

وكان قام بها خطيباً لها كان بينه وبين عمرو بن هند . وهي من جيد شعر العرب القديم واحدى السبع ، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها ، قال بعض الشعراء :

لهم بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة^١ قالها عمرو بن كلثوم
يفاعرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لقمح غير مسؤوم^٢

والى هند أم الملك ينسب دير هند الكبرى من أديرة الحيرة ، وقد أوح بنائه في عهد خسرو أنوشروان وفي عهد الأسقف مار المرام . وقد لقيت فيه بالملكة بنت الأملاك وأم الملك عمرو بن المنذر^٣ . وإذا صحت قراءة الأخباريين هذه ، كان بناء هذا القدير في أيام ابنها عمرو .

وكان الملك من نصيب قابوس بن المنذر بعد وفاة عمرو بن هند أخي (قابوس) وأمه هند . أما المسعودي فجعل أمه بنت الحارث من آل معاوية بن معد بكرب^٤ . وقد ملك على رواية حمزة أربع سنين في زمن أنوشروان^٥ . وذكر حمزة أن من الأخباريين من قال انه لم يملك . (وإنما سموه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين) . وقد وصفه بالضعف وبالبخل ، ولذلك قبل له (فتنة العرس) و (قينة العرس) في بعض الروايات . وقد قتله رجل من يشكر ، وسلب ما كان عنده وعليه^٦ . وليس بصحيح ما زعمه حمزة نقلاً عن بعض الأخباريين من أن قابوساً لم يكن ملكاً ، وإنما قبل له ذلك لأن أباه وأخاه كانا ملكين . فقد نعت (يوحنا الأفسوسي John of Ephesus) في تاريخه الكنسي بـ (ملكاً) أي ملك ، ويوحنا الأفسوسي من الرجال الذين عاشوا في القرن السادس للميلاد . وقد توفي سنة (٥٨٥ م) تقريباً . ولم يكن لينعت بـ (ملكاً) لو لم يكن قابوس ملكاً على الحيرة حقاً^٧ .

- ١ الشعر والشعراء (ص ١٢٠) . شرح التبريزي على المعلقات (٢٢٨) . أمالي المرتضى (٥٧/١ . ١٠٥ . ٢٠١ . ٣٢٧ . ٥٥٩) .
- ٢ الحيرة (ص ٤٧) .
- ٣ مروج (٢٤/٢) . (دار الرجا) .
- ٤ حمزة (٧٣) . الحبر (٣٥٩) . مغانيب العلوم (ص ٦٩) .
- ٥ حمزة (٧٣) . وجعل المسعودي مدة حكمه ثلاث سنين . مروج (٢٤/٢) . ابن الأثير (٢٠٠/١) . المعاني الكبير (١١٨/٢) .
- ٦ John of Ephesus : Eccl. Histo., 354, II, 3, (Cureton ed.)
- ٧ Rothstein, S. 102.

ويظهر أن الصورة التي رسمها الأخباريون لقابوس إنما حصلوا عليها من شعر المجاهد الذي قبل فيه، وأن ما أورده عنه من لبن وضعف هو في حاجة إلى دليل، إذ يظهر من الموارد الأخرى مثل التواريخ السريانية أنه كان على العكس^١. وقد يكون لتولية الحكم، وهو رجل متقدم في السن، أصل في ذلك المجاهد. فالذي يظهر من أخباره أنه ولي الحكم وهو شيخ كبير. وأما اللقب الذي لقب به، وهو قينة العرس، فقد انتزعه الأخباريون من شعر منسوب إلى طرفة هجا فيه عمرو ابن هند وقابوساً، وهو قوله:

يأت الذي لا تخاف سبته عمرو وقابوس قينة عرس^٢

وقد ذكر المؤرخ (مارسيليانوس) (Marcellianus) رجلاً سماه (Chabus)، ذكره مع المنذر الثالث في حوادث سنة (٥٣٦ م)^٣. ويرى (رونتشتاين) أن المراد به رجل آخر غير قابوس. فلو كان هو المقصود به كان قابوس إذن شيخاً هرمياً حين انتقل الملك إليه، ولكنه لا ينفي مع ذلك عدم جوازه^٤. وقد أشرت إلى إرسال أخيه عمرو إليه في حملة انتقامية على عرب الشام، وذلك في سنة (٥٦٦) وسنة (٥٦٧ م).

ولما تولى قابوس الحكم، أغار على بلاد الشام، وكان يحكم عرب الشام المنذر ابن الحارث بن جبلة إذ ذلك. وقد ذكر (ابن العبري) أن المنذر بن الحارث (منذر برحوت) كان نصرانياً وإن جنوده كانوا نصارى كذلك. ولم يشر إلى نصرانية قابوس. ويقع من جملة ابن العبري. (وقد أغار قابوس على العرب النصارية) ما يؤيد هذا الظن. وقد ظفر قابوس بقتال عديدة أخذها وعاد بها غير أن المنذر جمع جيشه وسار يتعقبه. فلما التقى به، تغلب عليه، وأخذ منه أموالاً كثيرة وعدداً كبيراً من الجبال. ولما أعاد قابوس الكرة، انهزم، فذهب إلى الفرس يلتمس منهم عوناً ومداً^٥. ويظهر من رواية أخرى أن انتصار المنذر على قابوس كان في سنة (٨٨١) من التقويم السلوقي وهي توافق سنة (٥٧٠) للميلاد^٦.

^١ Rothstein, B. 102, Caussin, Essai, II, 129.

^٢ اليعقوبي (١٧٢/١).

^٣ Noldeke: Basso, 345, Rothstein, B. 102.

^٤ Rothstein, B. 103.

^٥ Bar Hebraeus, Vol., I, P. 79.

^٦ Land: Anecd. Syr. I, 13.

ويظهر من رواية لـ (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) ان الملك قابوساً انتهز الفرصة عند وفاة الحارث بن جبلة ، فباغت الغساسنة بهجوم مفاجئ في عقر دارهم ، فأسرع عندئذ المنذر بن الحارث وجمع جمعه ، وفاجأه بهجوم مقابل لم يتمكن قابوس من الثبات له ، فانهزم هزيمة منكرة بحيث لم ينسج من أصحابه الا القليل . وقد قر هو ومن سار معه من الناجين في اتجاه نهر الفرات تاركاً عدداً من الأمراء اللخميين أسرى في أيدي المنذر . غير ان المنذر سار في أثرهم حتى كان على ثلاث مراحل عن الحيرة^١ ، ويرى تولد كنه ان هذه المعركة هي معركة عين أباغ^٢ .

وبعد قليل من هذه الهزيمة جرب قابوس حظه مرة أخرى ، غير انه مني بخسارة جديدة ، وكانت هذه الغارة حوالي سنة (٥٧٠ م)^٣ .

وجرب قابوس حظه مرة أخرى متنهزاً فرصة القطيعة بين المنذر والقيصر (يسطينوس) (Justinus) ، وهي قطيعة لا نعلم أسبابها على وجه التحقيق ، وانما يعزو ابن العبري سببها الى مطالبة المنذر للقيصر بدفع مال اليه ليتمكن به اعداد جيش قوي منظم يستطيع الوقوف به أمام الفرس^٤ . فأغار على حدود الروم وتوغل في الأرضين التابعة لهم حتى وصل أتباعه الى منطقة (انطاكية)^٥ . وقد دامت تخرشات (عرب الفرس) بحدود الروم ثلاث سنين هي مدة القطيعة ، حيث كان المنذر قد ذهب مع أتباعه الى الصحراء فاحتسب فيها ، ولم تقطع هذه التخرشات الا بعد مصالحة الروم له في الرصافة . حيث جمع المنذر أتباعه وفاجأ المناذرة بهجوم خاطف كابتد منه الحيرة الأمرين ، وأطلق من كان في سجون الحيرة من أسرى الروم . وقد وقعت هذه المفاجأة حوالي سنة (٥٧٨ م) . ويقطن (روثشتاين) أنها وقعت بعد وفاة قابوس في عهد المنذر الرابع أخي (قابوس) وخليفته في الملك^٦ .

وقد ذكر (الكري) بيتاً من الشعر لأبي ذؤاد وردت فيه إشارة الى غزوة

John of Ephesus, VI, 3, Rothstein, B. 103.

Rothstein, B. 103.

Rothstein, B. 103.

Bar Hebraeus, I, P. 79.

John of Ephesus, P. 348, Rothstein, B. 104.

Rothstein, B. 104.

غزاها قابوس عرفت به (يوم قحاد) . ويظهر ان خصوم قابوس أخذوا بثأرهم من هذا اليوم بغزوة قاموا بها على تنوخ^١ .

وبفاجئنا بعض الأخباريين بذكر رجل يقال له (فيشهرت) أو (السهراب) أو (السهراب) ، قالوا انه هو الذي تولى الملك بعد قابوس^٢ . وقد جعل حزة مدة حكمه سنة واحدة في أيام (كسرى أنو شروان)^٣ . ولم يشر الأخباريون الى الأسباب التي أدت الى تعيين هذا الرجل الغريب ملكاً على الحيرة دون سائر آل لخم ، ومنهم المتأثر أنو عمرو بن هند وقابوس ، قلعل اضطراباً حدث في المملكة أو نزاعاً وقع بين أولاد قابوس أو بين آل لخم ادى الى تدخل الفرس فقررروا تعيين رجل غريب عن أهل الحيرة لأمدٍ حتى تزول أسباب الخلاف ، فقررروا تعيين واحد منهم . فلما زالت تلك المواقف ، عين المتأثر ملكاً على الحيرة وبذلك عاد الملك الى آل لخم .

ويلاحظ ان بعض الأخباريين لم يذكروا اسم فيشهرت أو السهراب، بل ذكروا ان الملك انتقل الى المتأثر بعد وفاة اخيه قابوس^٤ . وذكر السعودي في كتابه : مروج الذهب النعمان بن المتأثر مباشرة بعد قابوس^٥ .

واذا صحت رواية حزة من ان حكم المتأثر كان ثمانية أشهر في عهد (كسرى أنو شروان) وثلاث سنين وأربعة أشهر في أيام (هرمز بن كسرى) ، فيجب ان يكون حكمه قد امتد من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٨٣) للميلاد ، تقريباً لأن نهاية حكم (أنو شروان) كانت في سنة (٥٧٩) للميلاد على رأي المؤرخين ، وحكم (هرمز) من سنة (٥٧٩) حتى سنة (٥٩٠) للميلاد^٦ .

ويظهر من شعر منسوب الى الشاعر (المرقش) ان (المتأثر) كان ينقب عنه أي : يستقصي في طلبه ، ولم يذكر سبب ذلك ، ولعله كان قد هجاه ، أو ان

- ١ البكري - معجم (١٤٩/٣) (طبعة السقا) .
- ٢ حزمة (ص ٧٣) ، الحبير (ص ٣٥٩) ، الطبري (٢١٣/٢) (دار المعارف) .
- ٣ حزمة (ص ٧٣) ، الحبير (ص ٣٥٩) ، (فيشهرت الفارسي) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٤ اليعقوبي (١٧٢/١) .
- ٥ مروج (٢٤/٢) .
- ٦ حزمة (ص ٧٣) ، الحبير (ص ٣٥٩) ، (ثم ولي بعده المتأثر ابو النعمان اربع سنين) ، الطبري (٢١٣/٢) .
- ٧ Ency. 4, 178.

جماعة وشئت به عنده ، فصار يبحث عنه للايقاع به . وقد طلب في شعره هذا من الملك المذكور أن يكف عن طلبه ويسكت عنه ، ونمى لو أنه في (الزجاج) وهو موضع ، أو (بالثام ذات القرون) . وذلك لأن بلاد الشام بلاد كانت تحت حكم الروم ، فليس للملوك حكم عليها ، فهو يكون بها في بلاد العدو بعيداً عن المنكر . وذكر (ابن قتيبة) أن معنى (ذات القرون) الروم ، وأراد قرون شعورهم^١.

ويظهر من شعر ل (سويد بن غلظ) أن (قابوس بن هند) وأخاً من إخوته لم يذكر الشاعر اسمه ، غزوا قومه ، وهم من عبد القيس ، وانتصروا عليهم وانزلا بهم خسارة فادحة ، يوم العطيف : فصرقوا القبايل ، وكانت أحلافاً متحالفة ، وشنتا السمل . ودعا (الله) أن يجزيها شر الجزاء بما فعلا ، وأن يحبس لبن (لبون الملك) ، فلا تلذ عليه ، جزاء وفاقاً لما قاما به نحو قومه^٢ . أما الذي خلفه على الحيرة ، فهو النعمان بن المنذر المعروف بأبي قابوس . وقد كتبه بعض الشعراء بـ (أبي قيس)^٣ . كما كتبه بعضهم بـ (أبي منلو)^٤ . ويذكر أهل الأخبار أن الناس كانوا إذا دخلوا على النعمان أو كلموه ، قالوا له : (آيت النعم) . وذكر السعدي : أنه (هو الذي يقال له : آيت النعم)^٥ . أما أم النعمان ، فهي (سلمى بنت وائل بن عطية بن كلب) . أو (سلمى بنت عطية)^٦ . وقد نسبها بعض الأخباريين إلى سلمى بنت وائل بن عطية الصانع . وقالوا إنها من قنك ، وزادوا في ذلك أنها كانت أمة للحارث بن حصن بن ضمعن ابن عدي بن جناب من كلب من دومة الجندل^٧ . فهي بنت صانع من قنك على رواية بعض ، وأمة من دومة الجندل على رواية بعض آخر . وهي في كلتا الحالين من طبقة وضيفة لا تليق بأسرة مالكة ، ولعلها من أصل يهودي^٨ ، إذ

- ١ المعاني الكبير (٧٩٧/٢) .
- ٢ الشعراء والشعراء (ص ٢٢٩) ، (ليدن) .
- ٣ في شعر النابغة ٣٠ ، ٧ ، ٣١ ، ١ ، علقمة ١٢ . Rothstein, B. 107.
- ٤ مروج (٢٤/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٥ مروج (٢٤/٢) ، الأغانى (١٣/١١) (دار الكتب المصرية) ، الأغانى (١٠٦/٢) ، (القاهرة ١٩٢٨) .
- ٦ الطبري (١٢٧/٢) .
- ٨ Rothstein, B. 108.

كان أكثر أهل ذلك من اليهود . وكانوا يحترفون الحرف ومنها الصياغة . وقد دُعي النعمان بأمه ، فقبل له ابن سلمى في شعر الهجاء ، وقصدتهم من ذلك إهائته . وقد تولى النعمان الثالث ، وهو النعمان الذي تحدث عنه ، الحكم في حوالي السنة (٥٨٠) أو السنة (٥٨١) لليلاد . ودام حكمه حتى السنة (٦٠٢ م)^١ .

والظاهر من وصف الأخباريين له أنه كان دميم الخلقة ، فقالوا : إنه كان أعمى ، أبرش ، قصيراً^٢ . وهذا مما قوى جانب خصومه في التهمك به ، يضاف إلى ذلك أصل أمه ، وقد أثر هذا القصة الذي لا يد له فيه ، في نفسية النعمان ، وفي سلوكه ، ولا شك ، فصوره سريع الغضب ، أخذاً بالوشايات ، فوقع من أجل ذلك في مشكلات عديدة . وقد يكون تسرعه إلى تصديق ما قاله الواشون عن عدي بن زيد ، وتأثره بأقوالهم من غير تحقيق ولا امتحان وقتله له ، من جملة تلك العوامل التي أدت إلى هلاكه . وقد يكون القصة الذي لقب به ، وهو (الصعب)^٣ ، وصفاً لتلك السجايا التي انتصف بها الملك ، والتي تعبر عن عقدة (مركب القصة) التي كانت ملازمة له .

وقد كان لقيح النعمان ودمامته ولأصل أمه دخيل ولا شك في تكوين الخلق العصبي فيه ، فصار يهيج ويتأثر به ، ويأخذ بأقوال الوشاة من غير تمحيص ولا تدبر ، فنقصت منه الناس ، وهجاء بعض الشعراء .

أما أخوته وكانت عندهم اثني عشر رجلاً عدا النعمان ، فقد اشتهروا بالجمال والميعة والوسامة ، ولذلك نعتوا بالأشاهب ، فوصفهم الأعشى بقوله :

وبنو المنلر الأشاهب بالحد يسرة يحشون غدوة بالسيوف^٤

وقد أثرت شهرة أخوته بالأشاهب وبالوسامة في طبع النعمان المذكور ، وزادت في عصبية وفي حدة طبعه وفي تأثره بأقوال الناس .

ويظهر من وصف الشعراء وأهل الأخبار للنعمان أنه كان صاحب شراب ، يحب

Brockelmann : Die Araber, I, B. 10.

١ الطبري (١٤٧/٢) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) (الطبعة المنيرية) .
٢ المعاني الكبير (١٠٢٧ ، ٨٧٨/٢) .
٣ الطبري (١٩٤/٢) (دار المعارف) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) (الطبعة المنيرية) .
٤

الخمر ويخالس ندماءه ليشرب معهم ، غير ان الخمر كانت تؤثر فيه وتسبب عليه عقله ، فتدفعه الى السكر والعريضة والتناول على ندمائه، مما ازعج اصداقاه وحوطهم الى خصوم وأعداء بسبب أفاعات لحقت بهم منه في أثناء فقدته وعيه وعدم تمكنه من حفظ أثرانه^١ .

وقد عبر الشاعر (ليبد بن ربيعة العامري) عن النسيان بـ (الصعب ذي القرنين) في شعره ، مما يدل على ان لقب (الصعب) الذي لقيه به كان معروفاً شائعاً بين الناس^٢ . وقد يكون معبراً عن معنى آخر غير معنى الصعوبة في الملك، كأن يكون اطلاقهم له من قبيل اطلاقهم لفظة (تبع) على من ملك من حير . وأما (ذو القرنين) فقد قيل : إن القرنين هما الصغيرتان ، وإن القرن الصغيرة. وقد دعي بذلك لأنه كان قد ربى صغيرتين^٣ .

وقد جاء في رواية اخرى ان (الصعب ذا القرنين) لم يكن النعمان المذكور كما ذهب اليه الرواية المتقدمة ، وإنما هو (المثلر بن ماء السماء ، وأنه هو ذو القرنين)^٤ .

ويظهر من بيت الشعر الذي نتحدث عنه وهو :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث ، أميم ، مقيم

ان (الصعب ذا القرنين) كان قد ثوى في قبره ، فهو يرثيه ويذكره . وذهب الشراح الى ان (الحنو) اسم بلد ، ومعنى هذا ان الملك الذي يشير اليه (ليبد) قد دفن في هذا الموضع ، والذي نعرفه من بعض الروايات ان قبر (النعمان) كان بالحيرة ، وان ابنته هنداً قد دفنت الى جانيه .

ومن الشعراء الذين نسب اليهم هجاء النعمان الشاعر عمرو بن كلثوم ، وله فيه وفي أمه هجاء مر^٥ . وقد وصف حاله بأنه ينفض الكبر ، ويصوغ القروط بيثر ب أي انه كان من صاغة تلك المدينة، وهو مما يؤيد روايات الأخباريين في أصل أمه^٦.

-
- ١ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (ص ٢٥٧) .
 - ٢ شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري (تحقيق الدكتور احسان عباس) .
 - (ص ١٠٩) .
 - ٣ المصدر المذكور .
 - ٤ شرح ديوان ليبد (ص ١٠٩) .
 - ٥ الإلهامي (٥٨/١١ وما بعدها) .

لم ينتقل الملك الى النعمان بسهولة ، فقد كان للمتفر جملته أولاد حين أتته
 الثبة ، عدتهم ثلاثة عشر ولداً معظمهم طامع في الملك . والظاهر ان المتفر كان
 عارفاً بالخلاف الذي كان بين اولاده ، فلم يشأ ان يزيد به بتعيين احده ابنائه .
 ولا تدري لم لم ينص على أكبرهم جرياً على السنة الشيعية في انتقال الملك . ولعله
 كان عارفاً بمحاجة الموقف وضعف مركز ابنه الكبير ، وعدم تمكنه من فرض
 نفسه عليهم إذا عينه ونصبه ، لذلك وكل أمره كله إلى اياس بن قبيصة الطائي ،
 فتولاه أشهراً حتى انفرجت المشكلة على النحو التالي على حد رواية ابن الكلبي .

دعا كسرى بن هرمز عدي بن زيد العبادي ، فقال له : من بقي من بني
 المتفر ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال عدي : بقيتهم في ولد هذا الميت ،
 المتفر بن المتفر ، وهم رجال . فبعث اليهم بمنحهم . فلما وفدوا على كسرى ،
 أنزلهم على عدي بن زيد . فاحتال عدي على هؤلاء الأخوة كما يقول الأخباريون
 ونظائر انه يفضلهم على ربيبه النعمان ، وأوصاهم ان يجيبوا جواباً معيئاً حين يسألهم
 كسرى ، وأمر النعمان ان يجيب جواباً آخر يختلف عن جواب اخوته . وهو
 جواب يعتقد ان كسرى سيرضى عنه ويعينه . فلما ادخلوا على كسرى واجابوا
 بجواب واحد هو الجواب الذي لقنهم إياه عدي ، وهو : « إن سألك الملك
 أنكفوني العرب . فقالوا نكفيكهم إلا النعمان ، وسأل النعمان : ان سألك الملك
 عن اخوتك فقل له : ان عجزت عنهم ، فأتنا من غيرهم أصجر » ، رضي
 كسرى بجواب النعمان وسر به ، فلكنه وكساه ، وألبه تاجاً قيمته مئتان ألف
 درهم فيه اللؤلؤ واللحج . فانتصر بذلك النعمان على اخوته ، وسر عدي بن زيد
 بتولي ربيبه الملك .

وفي خبر لأبي الفرج الأصبهاني ان عدي بن زيد اخذ النعمان الى (جابر بن
 شمعون) ، وهو من (بني الأوس بن قلام بن بطين بن جمهير بن لحبان من
 بني الحارث بن كعب) ، وكان أسقفاً على الحيرة ، فاقترضا منه مالا لتدبير
 امورها به ، وذكر ان جابراً هو صاحب القصر الأبيض الذي بالحيرة^٢ ، وكان

١ الطبري (١٤٧/٢) ، (١٩٥/٢) وما بعدها (دار المعارف) . الاغانى (١٠٦/٢)

وما بعدها (دار الكتب المصرية) .

٢ الاغانى (١١٥/٢) (دار الكتب المصرية) .

ذا سلطان واسع في بني قومه ، ولذلك فقد يكون لأعدائ عدي للتمهان إليه للحصول على تأييده أثر في نجاحه في تولي العرش .

ويروي المنفصل الضبي أن عدي بن زيد العبادي لما قدم على التمهان صادفه لا مال عنده ولا اثاث ولا ما يصلح لملك ، وكان آدم أخوته منظرأ ، وكلهم أكثر مالاً منه ، فقال له عدي : كيف أصنع بك ولا مال عندك ! فقال له التمهان : ما أعرف لك حيلة إلا ما تعرف انت ، فقال له : قم بنا نخضي إلى ابن قردس - رجل من أهل الحيرة من دينه - فأنياه ليقترضا منه مالاً ، فأبى أن يقترضا وقال : ما عندي شيء . فأتيا جابر بن شمعون ، وهو الأسقف وهو أحد بني الأوس بن قلام بن بطن بن جهمر بن لحيان من بني الحارث بن كعب ، فاستقرضا منه مالاً ، فأنزلها عنده ثلاثة أيام ، يلبس لهم ويسقيهم الخمر . فلما كان في اليوم الرابع ، قال لها : ما تريدان ؟ فقال له عدي : تقترضنا أربعين ألف درهم يستعين بها التمهان على امره عند كسرى ، فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم أعطاهم أياها ، فقال التمهان لجابر : لا جرم ، لا جرى لي درهم إلا على يدك إن أنا ملكتك^١ .

ولكن انتصار التمهان أدى إلى هلاك عدي بن زيد على ما يقوله الأخباريون ، فقد كان لعدي ، كما لكل رجل كبير صار له نفوذ وجاه ومركز خطير ، اعتناء في مقدمتهم رجل اسمه كاسمه ودينه مثل دينه ، هو (عدي بن أوس بن مريتا) ، وهو مريتا امرأة لها مكانتها وخطورها في الحيرة . وكان لهذا الرجل شأن يذكر في أيام المنذر ، وكان يميل إلى الأسود بن المنذر لأنه ربيب بني مريتا ، فتصححه أن يتجنب الاحتاد برأي عدي بن زيد ، لأنه رجل لا ينصح . فلما اخفق الأسود في الامتحان ، وعجز عن نيل التناج ، صار يدبر المؤامرات لخصمه عدي ، ويشي به إلى التمهان ، ويغري آخرين بالتظاهر بأنهم من عبي عدي ، ليثق التمهان بهم ، فإذا آمن بهم ، عادوا فوشوا بعدي عنده ، ثم لم يكتف بذلك فوضع رسائل على لسان عدي إلى قهرمان لعدي فيه مكر ومؤامرة بالتمهان ، ثم دس له حتى اخذ الكتاب ، فجاء به إلى التمهان ، فلما قرأه صدق بما جاء فيه ، وغضب على عدي وقرر الانتقام منه^٢ .

١ - الأغانى (١١٥/٢) وما بعدها .

٢ - الطبري (١٤٧/٢) وما بعدها . - اليعقوبي (١٧٣/١) . - الأغانى (١٠٨/٢) وما بعدها . (دار الكتب المصرية) .

جرت كل هذه المؤامرات على ما يقوله الأخباريون ، وعديّ عند كسرى يقوم بوظيفته لا يدري بها . فلما كتب النعمان إليه : « عزمت عليك ألا زرتني ، فلاني قد انتقلت إلى رؤيتك » . صدّق كلامه ، واستأذن كسرى فأذن له . وسار إلى منبته وهو لا يدري ما يجتبه له القدر . فلما وصل إلى من كان مشتاقاً إلى رؤيته ، ألقاه في سجن منفرد لا يدخل عليه فيه أحد ، وهو لا يدري بمّ سجن . وفي السجن أخذ ينظم أشعاراً يتضرع فيها إلى النعمان أن يفتك أسره ، ويعظه فيها بالموت ويمن هلك قبله من الملوك الماضين ، وكاد يطلقه لولا وشايته أعدائه به . فلما طال سجنه ، كتب بشعر إلى أخيه (أبي) وهو مع كسرى يستجير به للتوسط لدى كسرى أن يكتب إلى النعمان بأمره يفتك أسره . فلما كتب كسرى بذلك كتاباً أرسله مع شخص إلى النعمان ، كتب خليفة النعمان عند كسرى إليه يبلغه بمجيء الرسول ، وعرف أعداء عديّ من (بني بقلّة) من لسان ، فقالوا للنعمان : اقله الساعة قبل وصول الرسول إليك ، فإن لم تفعل فسيلعب إلى كسرى فلا يستقي أحداً لا أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه ففهموه حتى مات في سجنه بالصنّين . ولما وصل الرسول ، رُئي بهياك كثيرة نظيفة ، فعاد إلى كسرى يخبره أن عدياً مات قبل وصوله بأيام .

وقد أحس عديّ بن زييد كما يقول الأخباريون بامتعاض خصمه عديّ بن أوس بن مرينا من الحيلة التي دبرها لتجاح النعمان ومحاولته القدر به ، فأراد مصالحة واسترضاه كما يقول الأخباريون فعمل له طعاماً دعا إليه من أحب عديّ ابن أوس بن مرينا حضوره ، وحلف بعد انتهاء الطعام في البيعة أنه لن يحقد عليه ، وأنه سيتأسى ما حدث ، ورجا من خصمه أن يفعل مثله . فقام عديّ ابن أوس إلى البيعة ، فحلف مثل يمينه أن لا يزال يهجوه أبداً ويغيه الفوائس ما بقي . وقد كان^١ . وهم يروون شيئاً من هذا التهاجي الذي وقع بين الخصمين . ويذكر أهل الأخبار أن عديّ بن مرينا صار يحرض الأسود ويحثه على الأخذ

١ الطبري (١٥٢/٢) ، اليعقوبي (١٧٣/١) ، مروج الذهب (٢٥/٢) وما بعدها ، الأغاني (٦٥/٦) ، دار الكتب المصرية ، الكامل لابن الأثير (٢٨٦/١) وما بعدها ، الطباعة النورية ، المعاني الكبير (١٢٦١/٣) وما بعدها .
٢ الطبري (١٤٧/٢) .

بثأره من عدي بن زيد ، فكان يقول له : « أما إذا لم تنظر ، فلا تعجزن أن تطلب بثأرك من هذا المعدي الذي فعل بك ما فعل ، فقد كنت أنتجرك أن معداً لا ينال كيداً »^١ . وعدي من نعيم ، ونييم من معد .

وهناك روايات أخرى في أسباب غضب النعمان على عدي وجهه له في الصين . لا تخرج في جملتها عن حدود هذه المناقشة التي دبرها عدي بن مرينا وخصوم عدي له ، ولكنها تجمع كلها على قتل النعمان لعدي^٢ .

وفي كتاب الأغاني رواية تذكر أن النعمان أرسل ذات يوم إلى عدي بن زيد أن يأتيه ، فأبى أن يأتيه ، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شرب ، وأمر به فحب من منزله حتى انتهى به إليه ، فحبسه في الصين بظاهر الكوفة من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع ، وبقي هناك حتى لاقى حظه^٣ .

ويظهر من شعر ينسب إلى عدي ، قاله لابنته يوم بانت عنده مع أمها في السجن ، وهي جويرية صغيرة ، أن النعمان كان قد أمر بوضع الغل في يديه^٤ . والقصة كما يرويها الأخباريون قصة طريفة تصلح أن تكون موضوعاً لشريط سينمائي اختلط فيها التاريخ بالخيال ، والواقع بالابتداع . أما نحن فملا بهمة من أمرها إلا النتيجة ، وهي أن الفرس قبضوا على النعمان ملك الحيرة وسجنوه ، وأن حادثاً وقع بعد ذلك كان وقعه عظيماً في نفوس العرب ، لا في العراق وحده ، إنما دوى صداه إلى جميع جزيرة العرب كلها ، هو حادث وقعة ذي قار ، وهي من الوقائع الفاصلة في تاريخ الجزيرة كان لها أثر في فتح الإسلام للعراق .

وتندم النعمان كما يقول الأخباريون على ما صنع ، واجترأ أعداء عدي عليه ، وهابهم هبة شديدة . وبينما كان يوماً في صيده ، إذ به يشاهد غلاماً ظريفاً ذكياً ففرح به فرحاً شديداً . فلما عرف أنه زيد وأنه ابن من أبناء عدي ، قرّبه وأعطاه وجهاً ، ثم أرسله إلى كسرى ، وكتب معه كتاب توصية رفيقة يشير فيه إلى منزلة عدي منه وإلى خسارته بوفاته وإلى عظم المصيبة ، ويوصي كسرى بالولد غيراً . فلما وصل زيد إلى كسرى ، جعله مكان أبيه وصرف عنه إلى عمل آخر ،

- ١ (الأغاني (١٠٩/٢) (دار الكتب المصرية) .
- ٢ شعراء النصرانية (ص ١٥٠) .
- ٣ (الأغاني (١١٥/٢ وما بعدها) .
- ٤ مجالس العلماء (١٦٢ وما بعدها) .

فكان هو الذي يلي ما يكتب به الى أرض العرب وخاصة الملك . ولما مضى وقت على زيد في هذه الوظيفة ، وقع عند الملك بهذا الموقع مكاناً حسناً ، وتعالى منزلته عنده . ولما اطمأن الى مركزه أخذ يدبر مكيده الانتقام من النعمان قاتل أبيه حتى نجح في مساعده ، اذ قبض عليه كسرى فبعث به الى سجن خاقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فأتى فيه . وفي رواية انه مات بساباط^١ . وقد رجح الطبري رواية خاقين ، وانه مات بسحق القيلة له . وفي رواية أخرى انه سجن في القلعة في البر^٢ . وهكذا نجد الرواة يذهبون بجملة مذاهب في سجن النعمان والذين يروون ان حبس النعمان كان بساباط يشهدون بشعر للأعشى جاء فيه :
فذلك وما أنهى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محرق^٣

وقد ذكر المسعودي قصة حبس النعمان ووفاته فقال : « وأمر كسرى النعمان لجلس في مجلسه بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل القيلة ، وقال بعضهم : بل مات في محبسه بساباط » ، مما يدل على ان وفاته كانت في المدائن . وفي رواية سريانية ان كسرى بعد أن قبض على النعمان بن المنذر وأولاده ساقهم سماً فأتوا ، وعصى عندئذ العرب القوس وأخذوا يهاجمونهم . فأرسل كسرى قائلاً سمته الرواية به (بولر) تولى أمر الحيرة ، ولكنه لم يتمكن من ضبط أمورها ، لشدة أهلها ، فالصرف عنها وترك أمرها لمزبان اسمه (رزوبى

- ١ البلدان (١٢٥/٧) ، ابن الأثير (١٧٣/١) ، (هو ساباط كسرى بالمدائن ، اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
- ٢ البلدان (١٢٥/٧) ، الأتاني (٢٨/٢) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة (٢٥٦) .
- ٣ الأتاني (٦٥/٦) (دار الكتب المصرية) ، الكامل ، لابن الأثير (١٨٥/١) وما بعدها ، مروج الذهب (١٠٠/٢) وما بعدها . (هو ساباط كسرى بالمدائن ، وبالعجبية بلاس آباد . وبلاس اسم رجل ، ومنه قول الأعشى :
فأصبح لم يمنعه كيد وحيلة بساباط حتى مات وهو محرق
يذكر النعمان بن المنذر وكان (أبرويز حبسه بساباط ثم ألقاه تحت أرجل القيلة - وساباط : موضع ، قال الأعشى :
هناك ما يغتشه عزرة ملكه بساباط ، حتى مات وهو محرق) .
- ٤ اللسان (٣١١/٧) ، (سبط) .
- ٥ مروج (٢٦/٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، (تم النعمان بن المنذر - وهو الذي قتله أبرويز تحت أرجل القيلة ، وهو آخر ملوك لخم) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .

مرزوق) ، أقام في بركة الحيرة في حصن حقة ، وأخذ يقاتل منه الأعراب^١ .
وفي رواية^٢ لـ (حزة الأصفهاني) أن كسرى لما سخط على النعمان بن المنذر
واستدرجه إليه من وسط البادية ، رمى به إلى أرجل القبلة ، واستباح أمواله وأهله
وولده ، وأمر أن يباعوا بأوكس الأثمان^٣ .

وتذكر بعض الروايات سبب غضب (كسرى) على النعمان ، أن (زيد) ،
وهو ابن المقتول (عدي بن زيد) الذي قال مكانة عظيمة عند كسرى ، أو
عمه ، كانا قد دبّرا مكيمة للإيقاع بالنعمان . فلما طلب (ابرويز) النساء ، دخل
عليه (زيد) ، فكلّمه فيما دخل فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك كتب في
نوبة يطلّين له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك
النعمان من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال :
فكتبتهن . قال : أيها الملك ، إن شر شيء في العرب وفي النعمان خاصة
أنهم يتكلمون عن العجم ، فأنا أكره أن يفتبهن ، فابعثني وابعث معي رجلاً
من العجم من حرسك بلفظ العربية ، حتى أبلغ ما تحبه . فبعث معه رجلاً جليداً
فخرج به زيد حتى بلغ (الحيرة) . فلما دخل على الملك النعمان ، قال : إنه
قد احتاج إلى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث اليك . فشق
عليه ، فقال لزيد : أما في بكسر السواد وقارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ؟
فقال زيد للنعمان : إنما أراد كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك ، لم يكتب
اليك به . وعاداً . فلما دخل على (كسرى) ، وقصاً عليه ما وقع وحدث ،
عرف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع . وسكت (كسرى) على
ذلك أشهراً ، ثم فعل ما فعل بالنعمان^٤ . وانضم (زيد) بهذه المكيمة من النعمان
قاتل والده .

وقد أشير إلى مصرع النعمان في شعر عدد من الشعراء مثل سلامة بن جندل ،

Histoire Nestorienne, II^e Partie, pp. 539, 549.

١ حزة (ص ٤٢) .

٢ الطبري (٢ / ٢٠٦ وما بعدها) ، نوادر المخطوطات ، المجموعة الثالثة ، رسالة

أبي فرسيه (ص ٢٥٠ - ٢٥١) ، رسالة أبي يحيى بن مسعدة (ص ٢٧٧) .

٣ رسالة لأبي الطيب بن من القروي (٣١٩ وما بعدها) .

وقد ورد فيه ذكر القاء كسرى للنعمان تحت أرجل القيلة^١ . ويتفق هذا الرأي مع رأي ابن الكلبي ويعارض رواية لحسان جاء فيها أنه مات بحبه في ساباط^٢ . وذكر أن هانيء بن مسعود الشيباني كان في جملة من رثى النعمان في شعر . وقد نعت به (ذي الناج) ، ويقيم من رثائه له أن موته كانت تحت أرجل القيلة ، حيث داست على رأسه . وورد في شعر شعراء آخرين أن (يقول الهند) تحببته وداست عليه^٣ .

وهناك قصيدة نسبها بعضهم إلى زهير بن أبي سلمى ، ونسبها آخرون إلى صرمة الأنصاري . ذكر فيها كيف ذهب النعمان - قبل ذهابه إلى كسرى - إلى من كان يحسن إليهم ، ويتفق عليهم الألفاظ ، فلما غضب عليه كسرى لم يحمر هؤلاء ، ولم يساعده إلا ما كان من بني رواحة من عبس ، فشكرهم النعمان وودعهم وأثنى عليهم ، وقال لهم : لا طاقة لكم بمجنود كسرى ، فأنصرفوا عنه^٤ . وساباط : هو على ما يذكره أهل الأخبار ، موضع بالمدائن ، به كان حبس النعمان على رواية من صرح بأنه كان محببه لا موضعاً آخر ، ثم ألقاه تحت أرجل القيلة . وذكر (ابن الكلبي) أنه إنما سمي ساباط نسبة إلى (ساباط بن باما) أخي الخبير جحان الذي لقي المسلمين في أهل المدائن^٥ .

ويظهر من شعر (للأعشى) أن (كسرى) أمر بالنعمان فحبس به (ساباط) ثم ألقاه تحت أرجل القيلة فوطئه حتى مات . يقول الأعشى :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه تخور القبول بعد بيت مسروق^٦

ولبيد بن ربيعة العامري قصيدة نظمها في رثاء النعمان . من أبياتها :

له الملك في ضاحي معد ، وأسلمت إليه العباد كلها ما يحاول^٧

١ شعراء النصرانية (ص ٤٩١) .

٢ شعراء النصرانية (ص ٤٦٤) .

٣ مروج الذهب (١٠١/٢) .

٤ شعراء النصرانية (ص ٥٨٤) ، الكامل ، لابن الأثير (٢٨٧/٦) (الطباغة المنيرية) ، مروج الذهب (١٠١/٢) .

٥ ديوان الأعشى ، قصيدة ٢٦ ، (ص ١٢٨) ، اللسان ، (٣٠٨/٧) ، بيسروت ١٩٥٦ م ، البلدان (١٦٦/٣) ، دائرة المعارف الإسلامية ، لمحمد فريد وجدي (٢٤/٧) .

٦ المعارف (ص ٦٥٠) .

وضاحي معد ، بمعنى ظاهر معد ، لا في معد نفسها ، لأن (رب معد) في
إيامه هو (حذيفة بن بدر) . أما النعمان فهو ملك على ما وراء ديار معد .
والعباد هنا هي القبائل النصرانية المعروفة من أهل الحيرة^١ .

وقد ذكر الأخباريون أنه كان يتوقع أن يدبر له كسرى مكيدة ، فقرر أن
ينجو بنفسه قبل حلولها به ، فلحق بجبل طيء ، وكان متزوجاً إليهم ، فلما
النعمان أن يدخلوه الجبلين ومنعوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، فأقبل وليس
أحد من العرب يقبله حتى نزل (ذو قار) في بني شيان سراً ، فلقي هانيء بن
مسعود الشيباني ، وكان سيداً متنبئاً ، فأودعه أهله وماله وسلاحه ، ثم توجه بعد
ذلك إلى كسرى ، حيث لقي مصرعه^٢ .

أما زوجة النعمان هذه ، فهي ابنة (سعد بن حارثة بن لأم الطائي) ، وهو
من أشرف طيء البرص ، وكان (النعمان) قد جعل لبني لأم بن عمر ريس
الطريق طعمة لهم ، وذلك بسبب زواجه المذكور^٣ .

وذكر أن أحد أولاد (النعمان بن المنذر) كان شاعراً ، وقد عرف به (المحرق)
فلما سمع يقتل (كسرى) لأبيه ، قال شعراً يخاطبه فيه ، منه قوله :

قولا لكسرى ، والخطوب كثيرة : إن الملوك بهرمز لم تحبر^٤

ويروى أن النابغة الذبياني لما سمع يقتل النعمان ، رثاه بأبيات . وهي إن صح
أنها من شعر النابغة حقاً ، تدل على أن هذا الشاعر قد عاش أيضاً بعد مقتل
النعمان^٥ . وروي ، أن (زهير بن أبي سلمى) رثى النعمان كذلك^٦ .

ويروي أهل الأخبار شعراً زعموا أن (عدي بن زيد) قاله لأهل بيت
النعمان ، هو :

١ شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٧) .

٢ الكامل (١٧٣/١) .

٣ المحبر (ص ٣٠١) ، الألفاني (حاتم الطائي) .

٤ المؤلف (ص ١٨٥) .

٥ العقد الشامي (ص ١٦٤) ، شعراء النصرانية (ص ٨٢٠) ، النابغة الذبياني .

٦ لعمر الدسوقي (ص ١٠٨) .

٧ الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١) وما بعدها .

فلا يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر المساجد الزارا

وقد علق (ابن قتية الدينوري) عليه بقوله : « ذات الودع . صنم كان بالحيرة ، ويقال : بل هي الإبل التي تسير الى مكة ، يعلق عليها الودع ، ويقال : إن مكة ، يقال لها : ذات الودع . وواجه قبر النعمان الزار ، وهي الأجمة ، أي : دفين حذامها » .

إذن لبؤم يجمع لاقتضاء له أوتاد ملك تليد ، جدّه بارا قال : « أي لو مات لغزتم الجيوش ، فأقررتم ، أو رجعتم بجيش لا مثل له ، أوتاداً لملك قديم قد سقط جدّه ، أي : صرتم كذلك . وهو منصوب على الحال ، ولا يجوز أن يكون منصوباً على النداء ، لأنه لا يجوز أن يدعوهم بذلك ، والنعمان لم يميت » .^١

وذكر أن ملك النعمان بلغ الثنتين وعشرين سنة . وعلى رأس ثلاث سنين وثمانية أشهر مضت من ملكه ، كان الفجار الأكبر ، فجار البراض ، وهو لثام عشرين سنة من مولد الرسول ، ولثاني عشرة سنة وثمانية أشهر مضت من ملك النعمان بُنيت الكعبة . وذلك لأحدى عشرة سنة مضت من ملك أبرويز كسرى بن هرمز .^٢

ولا نعلم عن أعمال النعمان الحربية في بلاد الشام شيئاً يذكر . وقد ذكر حمزة أنه غزا (قرقيساء) (Circosium) ، ولكنه لم يعين تأريخ وقوعها ، ويقصد بذلك بالطبع غارة أغارها على أرض الروم . ولم ينسب غيره من المؤرخين العرب أو السريان إليه حروباً أخرى أجج نارها في بلاد الشام .

١ المعالي الكبير (٨٢٨/٢) . (والودع : وثن . وذات الودع : وثن أيضا . وذات الودع : سفينة نوح ، عليه السلام ، كانت العرب تقسم بها فتقول : بسفات الودع ، قال عدي بن زيد العبادي :

كلا ، يمينا بذات الودع ، لو حدثت فيكم ، وقابل قبر المساجد الزارا يريد سفينة نوح ، عليه السلام ، يخالف بها ويعني بالمساجد النعمان بسن المنذر ، والزار أراد الزارة بالجزيرة ، وكان النعمان مرضى هناك . وقال أبو نصر : ذات الودع مكة لأنها كان يعلق عليها في ستورها الودع ، ويقال : أراد بذات الودع الأوتان) ، اللسان (٣٨٧/٨) .

٢ المعالي الكبير (٨٢٨/٢) .

٣ الحبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٤) ، مروج الذهب (٢٤/٢) .

٤ حمزة (ص ٧٣) .

وقد ورد في حديث الطبري عن قصة سجن النعمان لعسدي ما يفيد أن النعمان عرج يريد البحرين ، فأقيل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وقد قيل : إن هذا الرجل هو (جفنة بن النعمان الجفني)^١ . ولعل هذه الغارة هي واحدة من جملة غارات قام بها الغساسنة على الحيرة . وفي شعر النابغة الذبياني اشارات الى أمثال هذه الغارات^٢ . ويفيد خبر رواء للؤرخ (ثيوفيلكتس) (Theophylaktus) أن عرب الروم أغاروا على عرب القرس حوالي سنة (٦٠٠ م) ، أي في أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والقرس^٣ .

وقد ذكر (الطبري) أن هذه الغزوة كانت في أيام وجود عسدي بن زيد في سجنه فلما سمع عسدي بها قال :

سما صفر فأشعل جانبيها والمالك المروح والغريب^٤

وقد ورد اسم (السيلحون) في جملة المواضع التي كان يجيها النعمان ، وذلك في شعر لأعشى قيس^٥ . ويقع السيلحون في البرية بين الكوفة والقادسية ، كما ورد اسم هذا الموضع في شعر لهمايم بن مسعود الشيباني يرثي فيه النعمان ويذكر قتل كسرى أباه^٦ . ويظهر أنه كان من جملة المسالح التي تحمي الحدود من البادية . والمسالح هي مواضع في الثغور يوضع فيها الجنود والمسالحون لحماية الحدود من الأعداء^٧ .

ولم يكن النصر حليف النعمان في اليوم المعروف بيوم الطخفة (يوم طخفة) ، وهو يوم نسيه بعض الأخباريين أيضاً الى قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، كما نسيه

- ١ الطبري (١٤٨/٢) .
- ٢ ديوان النابغة (٢٧ ، ٣٥) (طبعة Rothstein, B. 112 (Ahlwardt)) .
- ٣ Theophylaktus, VIII. I. Nöldeke, Ghass., S. 39. Rothstein, B. 112.
- ٤ الطبري (١٩٨/٢) (دار المعارف) .
- ٥ ولا الملك النعمان يوم الفيتة
وتجى اليه السيلحون ودونها
بأمنه يعطى القطوط ويأقن
صريفون في انهارها والخورنق
شعراء النصرانية (ص ٢٨٣) ، البكري ، معجم (٧٧٢/٣) ، تاج العروس (٢٣١/٩) ، مراسد (٧٦٧/٢) .
- ٦ البلدان (١٩٦/٥) .
- ٧ البلدان (١٩٨/٥) وما بعدها .

بعض آخر الى الثلج بن ماء السماء . وخلاصة الحادث : ان حاجب بن زرارة الدارمي التميمي سأل النعمان أن يجعل الرداقة للحارث بن بية بن قرط ابن صفيان بن مجاشع الدارمي التميمي . وكانت لبني يربوع ، ينوارثونها صغيراً عن كبير ، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك . فلما سأل النعمان موافقتهم على نقل الرداقة منهم ، أبوا ذلك ، لما لها من منزلة ومكانة ، فبعث اليهم قسابوس ابنه وحسان أخاه على رأس جيش كثيف فيهم الصنائع والوضائع وناس من نعيم وغيرهم ، فساروا حتى أتوا طخفة ، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا ، وصبرت يربوع وانهرمت جموع النعمان ، وأخذ قايوس وحسان أسيرين . فلما بلغ خبر هذه الهزيمة سمع النعمان طلب من أحد بني يربوع - وهو شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي - أن يذهب عاجلاً الى بني يربوع ليفك أسر ابنه وأخيه مقابل إعادة الرداقة اليهم وأداء دية للثوك وهي ألف بعير للرجل الواحد . وبذلك صالح مرغماً (بني يربوع) . وهذا اليوم من الأيام التي يفاخر بها أبناء يربوع . وقد ورد ذكره في شعر مالك بن نويرة^١ والأخوص^٢ وجربير^٣ .

ويذكر أهل الأخبار أن (النعمان بن المنصور) طلب (مالك بن نويرة) ، وكان قد أراد استرضاءه ، وهو من (بني يربوع) ، فأبى ، وهرب منه ، وقال فيه شعراً بهجوه ، منه :

لن يذهب الثوم تاج قد حُيِّث به من الزبرجد والياقوت والذهب^٤

وبدل ذلك على أن (النعمان) ، كان يتوج رأسه بتاج ، فيه ذهب وأحجار كريمة .

وكان (مالك بن نويرة اليربوعي) من (بني نعيم) ، لأن (بني يربوع) منهم ، وقد لقب بـ (الجفول) . وهو شاعر شريف ، وأحد فرسان بني يربوع ورجائهم المعبودين في الجاهلية ، ومن أرواف الملوك ، أي ملوك الحيرة . وقد أدرك الرسول ، فأسلم ، وعينه على صلقات قومه فلما بلغه وفاة الرسول ، أمسك

١ ابن الأثير - الكامل (٢٧٢/٢) وما بعدها . - العقد الفريد (١٠٢/٣) .
٢ البلدان (٥٦٨/٣) .
٣ البكري (٤٥٢/١) .
٤ الجواليقي (ص ٣٥٦) .

الصدقة ، وقرعها في قومه ، وجعل ليل الصدقة ، فسمي الجفول . قتله (ضرار ابن الأسود الأسدي) بأمر خالد بن الوليد^١ .

وكان نصيب النعمان من يوم السلان كتصبيه من يوم الطخفة ، وسب وقوع هذا اليوم هو أن بني عامر بن صعصعة ، وكانوا حراً لقاحاً متشددين في دينهم لا يدينون للملوك ، تعرضوا للطبيعة كان الملك النعمان بن المنذر يريد إرسالها إلى عكاظ لبيعها في السوق . وكان من عادته إرسال الطبيعة إلى عكاظ كل عام لتباع هناك . فلما بلغ النعمان الخبر ، غضب فبعث إلى أخيه لأمه ، وهو (وبرة بن رومانس الكلبي) ، وإلى صناعته وهم من مكان يصطنته من العرب ليغزو بهم ، والوضائع وهم الذين كانوا شبه سادة القبائل ، وأرسل إلى بني ضببة بن أد وغيرهم من الرباب وتحمي فجمعهم ، فأجابوه ، وأناه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيهم كلهم فوارس ومعه جيش بن دلف ، فاجتمعوا كلهم في جيش عظيم . وأرسل النعمان معهم تجارة ، وأمرهم ألا يتحرشوا ببني عامر إلا بعد الانتهاء من عكاظ ومن الأشهر الحرم . فلما انتهوا من عكاظ ، أحست قريش بنبأت جماعة النعمان ، فأخبروا بني عامر وحلروهم فاستعدوا للقتال . فلما وصل أصحاب النعمان إليهم ، قاتلوهم عند موضع السلان ، وهو موضع قريب من منازل بني عامر ، وتغلبوا عليهم ، وأسروا وبرة بن رومانس الكلبي وعدداً من رؤساء القوم ، وانهمزت جماعة النعمان ، ورشي عتلت من حمله هذه بدفع دية أخيه وبرة ودية عدد من الرؤساء^٢ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن الذي أحلم (بني عامر) بعزم الملك النعمان على الانتقام منهم ، هو وجيه مكة وثريها : عبد الله بن جدعان^٣ .

١ معجم الشعراء (ص ٣٦٠) .

٢ صبح الاعشى (٣٤٠/١) ، جهرة ، ابن حزم (٣٨١/١) ، ابن خلدون (٢٥٥/٢) ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، الاستنطاق (٢٣٧) ، (الطبعة الأولى بنصر) ، ابن الأثير (٣٦٨/١ وما بعدها) ، البلدان (١٠٤/٥) ، سبائك الذهب ، للسويدى (١١٧) ، السمودي مروج (٥٤/٢) ، الطبري (١٤٧/٢) ، اليعقوبى (١٤٣/١) ، البكري ، معجم (٧٤٩/٣) ، (لجنة) المختصر ، لأبي الفداء (١٠٢/١) ، بيروت ، الروض الأنف ، للسهيلى (١٣٣/١) (الجمالية) نهاية الأرب ، للنفوري (٤١٢/١) ، ذيل الامالى للقالى (١٤٧/٣) مراصد (٧٣٦/٢) ، العقد الفريد (٣٦٤/٣) .

٣ الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٢٩٥/١) .

وكان الذي أسر وبرة (يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق) ، وقد أبقي (يزيد) (وبرة) لديه حتى اقتل نفسه منه ، أي من يزيد بن الصعق بألف بغير وقرس . فاستغنى يزيد . فلما أسر (وبرة) ، ثبت جيشه (ضرار بن عمرو الضبي) ، فقام بأمر الناس ، ولكنه وقع في الأسر ، ثم وقع رجل آخر من كبار الجيش في الأسر ، وهو (حبيش بن دلف) ، الذي اقتل نفسه بأربع مئة بغير ، وهزم جيش النعمان^١ .

وقد تعرضت لطبيعة النعمان مرة أخرى الى النهب حينما وكل أمر حاشيتها الى رجل من هوازن ، فربص بها رجل خليج معروف اسمه (البراض بن قيس بن رافع) من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقتل حامي القافلة وساق الركاب^٢ . وكان من عادة النعمان أن يشتري ثمن الطبيعة الأدم والحرير والوكاء والخداه والبرود من العصب والوشى والمسير والعدني من سوق عكاظ^٣ .

وذكرت إحدى الروايات أن الذي كان يجيز لطبيعة النعمان له هو (سيد مضر)^٤ ولم تذكر اسم سيد مضر اذ ذاك .

وورد أن (البراض) وهو (رافع بن قيس) كان من فئلك الجاهلية المعروفين . وكان حالف بني سهم من قريش ، فعدا على رجل من هذيل قتلته ، فخلعه بنو سهم ، ثم جاء الى (حرب بن أمية) فحالفه ، فعدا على رجل من خزاعة قتلته وهرب الى اليمن ، ثم جاء مكة بعد سنة ، فاذا المذكيون والخزاعيون يطلبونه وقد خلع ، فلاحق بالحيرة ، فوافق وفود العرب بالحيرة عنده . فأقام يطلب الاذن معهم ، فلم يصل اليه حتى خرج النعمان فجلس للناس بالحيرة وكانت لطائمه التي توافي سوق الموسم اذا دخلت تهامة لم تهج ، حتى قتل النعمان أخا بلعاء بن قيس الكناني ، فجعل (بلعاء) يعترض لطائمه فينتهبها . فخاف النعمان على لطيمته ، فقال يومئذ : من يجير هذه العرب ؟ فقال البراض : أنا أجبرها لك . فقال الرجال عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب : أنا أبها الملك أجبرها لك من الحيين كلها ، وسطر من الرجال وازدراه . فدفع النعمان الطبيعة الى عروة

- ١ أيام العرب (١٠٨) .
- ٢ شرح ديوان البيد (ص ٤٨) .
- ٣ الأغاني (٧٥/١٩) .
- ٤ الأغاني (٧٥/١٩) .

الرحال ، فتعقبها البراض ، حتى اذا انتهى عروة الى أهله دوين الجريب بماء يقال له (أواره) ، أزل الطيعة ودخل قبة فقام ، ووثب عليه البراض فقتله ، ثم أتى خيبر ، فكان بينه حروب الفجاء بين كنانة وقيس^١ .

وقد عرف بعض العلماء الطيعة بأنها (سوق المسك) أو العبر التي كانت تحمل المسك ، ولكن الطيعة قافلة كانت تحمل تجارة يرسلها ملوك الحيرة ، ولا سيما النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ خاصة لبيعها هناك ، وكانت تعود محملة بما تشتره من تجارة اليمن والحجاز ، وما يأتي به العرب وسائر التجار الى السوق في أثناء الموسم . وهي تجارة ثمينة تعود على النعمان بأرباح طائلة وثروة كبيرة . ولوصولها سالمة الى السوق ثم لعودتها سالمة من السوق الى الحيرة ، كان لا بد من حمايتها بوضعها في جوار سادات أقوياء شجعان يتعهدون بأمرائها بسلام في أرض قبائلهم ثم تسليمها الى سادات الأرض التي تليهم ، وهكذا الى السوق أو العكس . وقد يقوم بجبر الطيعة نفسه بتولي الطيعة في اللعاب والأوبة ، لقامه ولوجود عهد جوار بينه وبين سادات القبائل الأخرى ، وإلا تعرضت الطيعة للسطب والنهب . وإذا ما أغضب الملك خُفراء الطيعة ، أو انتزاع الخفارة منهم فأعطاهم لأناس آخرين ، أو أزعج بعض سادات القبائل التي تمر القافلة في أرضهم ، قلن ينقمه ملكه في حابة سلامة القافلة ، فتنبه فلا يقبض منها شيئاً ما ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن سلطانه لا يصل الى كل مكان^٢ .

وفي أيام النعمان كان يوم شعب جبلة ، وهو العامر وعيس على ذبيان وتميم . وهو من أيام العرب المشهورة في نظر الأخباريين . وقد اشترك النعمان فيه بمساعدته لقيط بن الجون الكلبي ملك هجر ، وإرساله أخاه لأمه حسان بن وبرة الكلبي لمعاونة لقيط . وبالحق أن الرواة قد لقبوا لقيطاً بلقب ملك ، وأشاروا الى اشتراك جبلة ملوك في هذا اليوم^٣ .

وكان حسان بن وبرة شقيق النعمان لأمه رئيساً على قبيلة . وقد أسره يزيد ابن الصعق في الغارة التي قامت بها بنو عامر على تميم وضبة ، وانهمزت فيها

١ الحجير (ص ١٩٦) .
٢ الكامل في التاريخ (٣٥٨/١) .
٣ العقد الفريد (١٠/٦) وما بعدها (طبعة الغريان) .

نسيم . وقد قادى حسان نفسه من يزيد بن الصق بألف بعير هي قديبة الملوك .
كما سبق أن ذكرت . وأغار يزيد بعد ذلك على عصابير النعمان وهي لابل معروفة
شهرة كانت اذ ذاك بمكان يسمى ذا لبان^١ .

ويذكر أن (يوم العذيب) كان في عهد حكم (النعمان) . وكان (النعمان)
قد بعث الى (الأصهب الجعفي) يتكر عليه بلوغ (سعد بن زيد مناة)
(عزرة) العذيب ، فحشد (الأصهب) لهم ولقبهم ، فقتلوه ، قتله (الأحمر
ابن جندل) ، وانهمزت البانية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسبي^٢ .
وروى أهل الأخبار أن (النعمان بن المنذر) لما توج واطمان به سريره ،
دخل عليه الناس ، وفيهم أعرابي ، فأشأ يقول :

إذا سئت قوماً فاجعل الجود بينهم وبينك تأمن كل ما تتخوف^٣
فإن كشفت عند الملأ صورة كفاك لباس الجود ما يتكشف

فقال : مقبول منك تصححك ، ممن أنت ؟ قال : أنا رجل من جرم ، فأمر
له بمئة ناقة ، وهي أول جائزة أجازها^٤ .

ويقال إن (المنذر) أحد أبناء النعمان بن المنذر سقط قتلاً على يد رجل من
تغلب يدعى مرة بن كلثوم ، وهو أخو عمرو بن كلثوم ، ويقال أنه قتل أيضاً
ابناً آخر من أبناء النعمان^٥ .

وكانت للنعمان كتاب يقاتل بها هي : الرهائن والصنائع والوضائع والأشاهب
والدوسر . وقد اشتهرت هذه الكتيبة الأخيرة بالشدة وبقوة البطش ، فقليل في أمثالهم
(أبطش من دوسر)^٦ .

أما الصنائع ، فقد ورد في بعض الروايات أنهم جماعة كان يصطنعهم الملك من
العرب ليحارب بهم ، وكان يأخذهم من (بني ثعلبة) خاصة ، يتخذهم كالحرس
لا يرحلون أبداً . وأما الرضائع ، فألف رجل من الفرس ، يخدمون الملك ليقاتل
بهم ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة .

١ الملوك الفريدي (٤١/٦ وما بعدها) .

٢ العمدة (٢١٧/٢) .

٣ الامالي للقاللي (٣٢٩/١) ، بيروت .

٤ Rothstein, B. 112.

٥ الميداني . مجمع الامثال (٧٨١) .

ويذكر أهل الأخبار أنه كان للنعمان بن المنذر أخ من الرضاة يقال له (سعد القرقر) من أهل (حجر) كان من أضحك الناس وأبطلهم ، وكان يضحك النعمان ويعجبه . وذكر أن أناساً من البطالين المضحكين كانوا يأتونه لإضحاكه وليليل جوارحه . وذكروا منهم (العيسار بن عبد الله الضبي) . وكان بطلاً ، يقول الشعر ، ويضحك للولك^١ .

وقد كان النعمان بن المنذر مثل عمرو بن هند محباً للشعر والشعراء ، والخطب والخطباء ، وقد جعله الأخباريون من خير خطباء زمانه ، كالذي يظهر من كلامه مع كسرى ، وقد ذكر أنه قال له في مجلس كان حاقلاً^٢ بوفود الروم والقسطنطين ، اجتمعوا عند كسرى . كما نسب إليه وفد ضم أكرم بن صفي وحاجب ابن زرارة التميمي ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكري ، وعالم بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامري ، وعمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحارث بن ظالم المري ، وكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام في تلك الأيام^٣ .

وروى الأخباريون شعراً من الشعر الذي قاله أصحابه في حضرة النعمان أو في مدحه وفي مدح آل لحم ، كما رويوا شعراً في هجائه ، ورووا بعض ما قيل في حضرته من حديث وبعض ما صادفه الشعراء حين كانوا يقصدونه لئيل ما يتغنون مثل حديث حسان بن ثابت الشاعر المخضرم المعروف^٤ فقد زاره ومدحه غير أن هواه كان إلى الفساسة أكثر منه إلى آل لحم . فقد كان يفتخر بهم ، ويسامي الناس بهم ، ويتال جوارحه حتى وإن لم يكن عندهم . يرسلونها إليه إن لم يكن في استطاعته أن يشخص إليه^٥ .

وقد جاء في شعره (حسان بن ثابت) أنه زار (ابن سلمى) ، أي

- ١ الفاجر (ص ٥٦) .
- ٢ وقد عل النعمان بن المنذر مقال له :
أبيت اللعن واسعدك الهك سلخ التيس وذبحه مستهجن
- ٣ الفاجر (ص ٥٦) .
- ٤ المقدم الفريد (٢٥٣/١) وما بعدها (طبعة الريان) ، بلوغ الأرب (١٤٧/٣) وما بعدها .
- ٥ المقدم الفريد (٢٦٧/١) ، اللغاني (٢٧/١٥) (دار الكتب المصرية) ، المقدم الفريد (٢٢/٢) .
- ٦ المقدم الفريد (٢٢/٢) .

(النعمان بن المنذر) ، وأنه أكرمته وقدره وحباه ، وتكلم إليه في جماعة من قومه ، كانوا في سجنه مقبدين مكبلين بالسلاسل حتى صفح عنهم ، وأطلق لهم حريتهم ، وهم أبي النعمان وعمرو وواقد ، وهم جماعة من أهل يثرب ، كانوا قد حبسوا في سجن (النعمان) . فأسأما (أبي) ، فهو (أبي بن كعب بن قيس بن معاوية) من (بني النجار) . وأما (نعمان) ، فإنه (نعمان بن مالك بن قوقل ابن عوف بن عمرو) ، وأما (واقد) ، فإنه (واقد بن عمرو بن الأطنابية ابن عامر) من الخزرج . ولم يذكر (حسان) سبب حبس (النعمان) لهم ، ووضعهم في السجن مكبلين بالحديد ، مقلولين عليهم^١ .

وقد ذهب (فولدكه) إلى احتمال كون (ابن سلمى) أميراً من أمراء الغساسنة ، كما ذهب إلى أن (أياً) الذي كان في جملة المحكومين هو (أبي ابن ثابت) وهو شقيق حسان^٢ .

ويظهر من كلام أهل الأخبار أن النابغة الديلمي كان من أكثر الشعراء صلة بالنعمان . وفي الشعر الذي يرويه الأنباريون عنه وينسبون قوله إليه ، شيء كثير من المناسبات التي وقعت بين الملك وبين هذا الشاعر ، وقد استاء خصوم النابغة من قومه من النعمان ، ونيله جوائزه وألطافه ، فسعوا به إليه حتى غضب عليه ، وهم يفتله ، ولم ينجه من القتل إلا هربه من آل جفنه ملسوك عرب الشام ، فبقي في كنفهم مدة ، ثم عادوه الحنين إلى صاحبه وحاميه القديم النعمان ، فاعتلروا إليه ، وتصل من التهم التي ألصقوها بخصومه به ، وعاد يأخذ جوائزه ونعمته كما كان^٣ .

وذكر أن النعمان بن المنذر كان يكرم (النابغة) ويحبوه دوماً ، أمر له مرة بمائة ناقة يرishها من لوق عصفورية ، المعروفة بهجائن النعمان ، وجام وآلية من فضة ، وكانوا إذا حباه الملك بعضهم يتوق يعمزون في أمتعتها يرish النعمان ليعلم أنها حباه الملك^٤ . ذكر (حسان بن ثابت) أنه وفد على النعمان بن المنذر فلدحه

١ البرقوقى (ص ١١٤ ، ٢٧٧) ، ديوان حسان (D. ١٧) (حرشفلة) .

٢ حسان (ص ٤٧) .

٣ الأغانى (٢٧/١٥ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٦٤١ ، ٦٤٩ وما بعدها) ، المعاني الكبير (١١٢٠/٢) ، أمالي المرتضى (٢٦٤/١) .

٤ أمالي المرتضى (٢٦٥/١ وما بعدها) .

وأجازه الملك على مدحه وأكرمه . وبينما هو جالس عنده ذات يوم ، اذا بالنايفة يدخل قبة الملك ، وكان يوم ترد فيه النعم السود ، ولم يكن بأرض العرب بعير أسود الا له ، فأنشده كلمته التي يقول فيها :

كأنك خمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فدفع اليه مائة تالة من الإبل السود ، فيها رعاؤها ، فاحسدت أحداً حسدي النايغة ، لما رأيت من جزيل عطيته وسمنت من فضل شعره^١ .
ويذكر المسعودي ان النايغة دخل على النعمان يوماً ، وكان عنده تديعه خالد بن جعفر الكلابي ، وكان ممن يعطف على النايغة ، فدح النعمان بشعر ، فقهل وجه النعمان بالسرور ، ثم أمر فحشي فوه جوهرأ ، ثم قال : يمثل هذا فلتمدح الملوك^٢ .

وتذكر رواية أخرى ان النايغة لما سأل حاجب النعمان الاستئذان للدخول عليه ، قال له الحاجب : الملك على شرايه . ولما سأله : من عنده ؟ قال : خالد بن جعفر بن كلاب ! فتوسل اليه بأن يبلغه تحية النايغة ، وأن يسهل له الدخول على الملك ، ففعل وأمر النعمان حاجبه بادخاله عليه . فلما دخل ، سلم عليه وحياء بتحية الملك ، وجلس وهو يقول : « أيها الملك . أياخسرك صاحب غسان ؟ فوائد لكفالك أحسن من وجهه ، ولشمالك أجود من بجمته ، ولأملك خير من أبيه ولغدك أسعد من يومه . فضحك النعمان . ثم قال لخالد : من يلومني . على حب النايغة ؟ ألك حاجة ؟ قال : نعم . فقضى حوائجه بأسرها ، وأحسن جائزته ، فالصرف داعياً له^٣ .

ويذكر الأخباريون ان آخر مرة اتصل بها النايغة بالنعمان كانت في أثناء مرض الملك النعمان . وكان النايغة هارباً آنذاك على أثر الوشاية به . فلما سمع النايغة بمرضه أكر السفر اليه ، والاعتذار منه . فلما وصل الحيرة ، كان الملك لا زال مريضاً ، شديد المرض . وقد حمل سريريه على العادة المتبعة عند مرض الملوك مرضاً شديداً ،

١ الشعر والشعراء (ص ٧١ - ٧٥) ، (النايغة الديباني) .

٢ مروج (٢/٢٥) طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

٣ مجالس العلماء (٢٥٩ وما بعدها) (عبد السلام محمد هارون) ، لامي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي .

بشرف فيه على الموت . فاستأذن للنايعة في الدخول عليه وإنشاده ما نقله في مدحه
فسمح له بالدخول . وأنعم النعمان بالنعيم عليه . وهناك روايات تذكر أنه عاد إليه
قبل هذا الحادث ، فقبل عله وعفا عنه^١ .

وفي جملة من كان له شرف الاتصال بالنعمان ، وببيل هباته وجوائزه من
الشعراء : المنخل الشكري ، والمثقب العبدى ، والأسود بن يعفر ، وحاتم الطائي
وأمثال هؤلاء .

والأسود بن يعفر شعر معروف ، ذكر فيه (آل عرق) و (الخورنق)
و (السدير) . وله أشعار أخرى ذكرها الرواة . وكان قد أقام مدة عند النعمان
يناديه ويؤاكله^٢ .

ويذكر أن المنخل الشكري كان يتادم النعمان ويشده القصائد ، وكان النعمان
يكرمه ويقربه إليه ، غير أنه يؤثر شعر النايعة على شعره ، وهذا مما غاظ المنخل
وجعله يسعى للإيقاع به^٣ . فأوغر صدر النعمان عليه ، حتى همّ بقتله ، فهرب
النايعة منه ، وغلا المنخل بمجالسة النعمان ، وأصبح من أقرب المقربين إليه . ولكن
الدنيا كما يقول الناس لا تدوم ، فلبث مدة حتى انقلب الحظ على المنخل ،
فدفع به إلى (عكب) صاحب سجن النعمان ، وهو من بني تغلب ، فجنسه
وعذبه ثم قتله . وقيل بل دفن حياً أو ألحق . ومما يكن من شيء ، فلم تكن
خاتمة هذا الواشي خاتمة حسنة ، وضرب بنهايته المثل كما ضرب بالقارظ العتري
وأشابهه ممن هلكوا ولم يعلم لهم خير^٤ .

ويروى أن (يزيد بن خنلق) الشاعر ، وهو من (الميصر) ، كان قد
هجا (النعمان بن المنذر) ، فبعث النعمان كتيبه التي يقال لها (دوسر) ، فاستباحث
قومه^٥ .

ويذكر أن (ليث بن ربيعة) كان في وفد زار (النعمان بن المنذر) ، فيه

- ١ الأغاني (٢٨/١٥ وما بعدها) . الشعر والشعراء (ص ٧٧) .
- ٢ الأغاني (١٢٨/١١ وما بعدها) . مطبعة التقدم ، الشعر والشعراء (١٧٦) .
- ٣ المعارف (ص ٦٤٦ وما بعدها) . ابن هشام ، سيرة (٩١/١) . الامالسي .
- للقال (٢٥/١ ، ٧١) .
- ٤ شعراء النصرانية (ص ٦٤١ وما بعدها) .
- ٥ شعراء النصرانية (ص ٤٢١ وما بعدها) .
- الاستغراق (٢٠٠/٢) .

أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ملاعب الأسنة ، وإخوته مقلب ومعاوية وعبيدة ، لفضاء بعض حوائج لهم ، فوجدوا عنده (الربيع بن زياد العبسي) ، وكان يسمى الكامل ، يأكل مع النعمان تمرأ مع زيد ، وكان ينادمه ومعه رجل من أهل الشام ، يقال له (سرجون بن نوفل) (نوفل) ، وكان حريفاً للنعمان ، من (الربيع) ومعه (النطاسي) وهو طيب كان له ، ومن تلمذاته ، فنظم (لبيد) أبياتاً نافية منفرة في (الربيع بن زياد) ، جعلت (النعمان) يعاف من مؤاكلته فتركه^١ . ولما كتب (الربيع بن زياد) الى النعمان في ذلك ، كتب النعمان اليه : « إنك لست قادراً على رد ما تكلمت به الألسن ، فالحق بأهلك » ، ثم كتب اليه شعرأ ، كان مما جاء فيه :

قد قبل ما قبل إن حقاً وإن كذباً فسا اعتنارك من قول إذا قبلاً^٢

ويقال إن (النعمان بن النضر) ، نظر الى (شقيق بن ضمرة) ، المعروف بـ (ضمرة بن ضمرة) ، وهو من رجال (بني تميم) في الجاهلية ، وله لسان وبيان وكلام ، فقال (تسمع بالمعيدي لا أن تراه) (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) . فقال (ضمرة) . (أبيت الثمن ، إن الرجال لا تكال بالقفران ، ولا توزن بالميزان) . والبيتية تجعل هذا للصقعب النهدي ، سيد بني تهم ، الذي أخذ مرباعهم دهرأ .

وللنعمان هذا نسب بعض الأنجاريين قتل عبيد بن الأبرص ، وذلك لظهوره في يوم يؤس النعمان^٣ . وقد عدّ يوم عبيد من أيام الثؤم ، وضرب به المثل ، فقبل (يوم عبيد) . وللنعمان هذا نسب بعض الأنجاريين قتل (عمرو بن مسعود) و (خالد بن نضلة) ، وقد استولوا عليه بشعر لبرة بن عمرو الأسدي^٤ .

-
- ١ الفاجر (ص ١٤١ وما بعدها) . الاغانى (٢٢/١٦) ، نزعة الجليس (٥٠٧/٢) وما بعدها .
 - ٢ نزعة الجليس (٥٠٩/٢ وما بعدها) . انبالي المرتضى (١٨٩/١) وما بعدها .
 - ٣ حمزة (ص ٧٣) . مجاني الادب (٣٠٩/٣) . شعراء النصرانية (ص ٦٠٠) قال أبو تمام :
 - ٤ من بعد ما ظن الاعادي أنه سيكون لي يوم كيوم عبيد
شعراء النصرانية (٦٠٢) . اللسان (٢٦٧/٤) . (غيد) .

وقد نسب حمزة الى النعمان بناء الغريين وغريهما بدم من يفتله في يوم يؤسه^١ .
وقد رأينا فيها سلف ان الأخباريين من نسب بناءهما وقصة يومي البؤس والنعيم الى
المثلر بن ماء السماء .

وذكر الأخباريون انه كانت للنعمان عادات ، منها انه اذا قلب الرجل عنده
وفلج على خصمه ، زاده وسادة ، وأمر فلقم عشر لقيات من طعامه قبل أن
يأكل أحدها^٢ .

ولنعمان حاجب ، اشتهر حتى غلغ اسمه في الشعر وفي كتب الأدب . واسم
هذا الحاجب (عصام) ، وهو من رجال (جرم) ، وفيه قبل : « نفس
عصام سوت عصاماً » ، وكان النعمان اذا أراد أن يبعث بألف فارس ، بعث
بعصام . وتخطر مركزه ، ولأن في استطاعته ادخال من يريد الوصول الى النعمان
أو تأخيرهم أو منعه ، كان الناس يتوددون اليه ليوصلهم الى الملك . وقد أشار
(النابغة) ، اذ قال :

فلاني لا ألومك في دخول ولكن ما ورامك يا عصام^٣

وكان النعمان في أول عهده عابد وثني ، يتعبد للعزى ، ويذبح الذبائح للأوثان ،
ثم رأى رأياً فغير دينه ، ودخل في النصرانية . ولبعض مؤرخي الكنيسة . ولبعض
الأخباريين قصص في كيفية اعتناقه الى النصرانية ، مرجعها قصص نصارى أهل
الحيرة على ما يظهر . يحدثننا أصحاب تواريخ الكنيسة ان النعمان ولع به الشيطان
وأصيب بلوثة ووسوسة ، فحاول الشفاء منها بالاتجاه الى كهنة الأصنام .
فلما عجزوا من شفاؤه ، أشار عليه بالاتجاه الى آباء الكنيسة ، فلجأ الى جمعون
ابن جابر أسقف الحيرة ، وإلى (سبريشوع) أسقف (لاشوم) و (ايشوعزخا)
(ايشوع زخا) الراهب فانتزع بهم ، فغير دينه ، فتنصر واعتمد وحسن أعماله ،
وطرد اليعاقبة من سائر أعماله وتقوت بذلك السطورية . وكذلك تنصر ولده ،
ومتهم الحسن والمثلر . وكان الحسن أشد الجماعة تمسكاً بالنصرانية . وقد سبقته

١ حمزة (ص ٧٢) .
٢ شرح ديوان لبيد (ص ٢٠٤) .
٣ الاشتغالي (٣١٨/٢) .

أختاه هند ومارية الى الدخول في هذا الدين . وهذه رواية النساطرة في كيفية تنصر النعمان^١

أما الأخباريون فينبون تنصره الى تأثير عدي بن زيد عليه . وهم يروون أنه خرج ذات يوم ركباً ومعه عدي بن زيد ، فوقف بظهر الحيرة على مقابر مما يلي النهر ، فقال له عدي بن زيد : أيت اللعن ، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا ! قال : إنها تقول :

أيها الركب المختون على الأرض المجدون
مثل ما أنتم حينما وكما نحن نكفونون

ثم قال :

ربّ ركب قد أناخوا حولنا بشريون الحمر بالساء الزلال
ثم أصبحوا لعب الشعر بهم وكفالك الدهر حالاً بعد حال

فأثر هذا القول — على حد قول الأخباريين — في نفس النعمان ، وارعوى ، وتنصر^٢ .

وقد كان تنصر (النعمان) في حوالي سنة (٥٩٣ م) تقريباً ، وصار يعد نفسه من حاة المذهب النسطوري الذي انتشر في العراق ، كما صارت الحيرة من معاقل هذا المذهب أيضاً لدخول أناس من أصحاب الجلاء والسلطان فيه . ومن الحيرة خرج (سرجيوس) (Sergios) في أواسط القرن السادس ، فذهب الى اليمن ، الى نجران ، حيث قام بالتبشير هناك ، مدة ثلاث سنوات حتى وافته منيته بعد ثلاث سنين^٣ .

وينسب الى النعمان أبو قابوس دير الحج ، وقد دعي به (دير اللجسة) في (تاريخ سمرت) ، ونسب الى اللجسة ابنة النعمان . وذكر ان في هذا الدبر قبر

^١ Histoire Nestorienne, Seconde Partie, P. 453, 478, Evagrius, IV, 22, Paulys-Wissowa, 33, 1936, 1254, Die Araber, I, 8. 198.

^٢ حمزة (ص ٧٢ وما بعدها) . ذكر صاحب الاغانى هذه الابيات مع شيء من الاختلاف . الاغانى (٩٦/٢) (دار الكتب) ، معجم الشعراء (ص ٢٤٩) .
^٣ Die Araber, I, 8. 198.

(مار آبا الكبير) الجاثليق^١ .

وينسب أهل الأخبار (شقائق النعمان) الى (النعمان بن المنذر) فيقولون :
« وكان خرج الى الظهور وقد اعتم نبتة من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وإذا فيه
من هذه الشقائق شيء كثير ، فقال : ما أحسنها ! احموها . فحموها فسميت :
شقائق النعمان »^٢ .

وذكر ان النعمان كان يعني بترية الحبل والإبل والماشية ، فكان يشري بخر
فصائلها ويحميها لنفسه ، ولا يسمح لأحد بالحصول عليها أو تلقيح نعيمهم أو
خيلهم منها الا بأذنه . وقد اشتهرت الحمام والدقوف من جملة خيوله^٣ .

وبينا نقرأ في شعر مالك بن نويرة البربوعي ، ان تاج النعمان بن المنذر كان
من ذهب وزبرجد وباقوت^٤ ، نرى (المعري) يشير الى انه كان خمرزات ،
ولم يكن كتاج المنذر^٥ . وخمرزات الملك : جواهر تاجه^٦ .

وتجد في كتب الأخبار والأدب ، ان وفود العرب كانت تفتد على (النعمان
ابن المنذر) ، فيكرمها ويحبوها ، ويفضي حوائجها . وكان يتخذ الوفود عند
انصرافها مجلساً يطعمون فيه معه ويشربون . وقد يتفاخر رؤساء الوفود بعضهم
على بعض ، فيحكّمونه في أيهم أفضل . وقد تتحول تلك المفارقات الى مخاصمات
ومهازلات بسبب ترجيح الملك رئيساً على آخر^٧ .

ونسب حمزة الى النعمان أربع بنات . هن : هند ، وحرقة ، وحريقة ،
وعتقير^٨ . وهند هي البنت الوحيدة التي نعرف عنها شيئاً من بنات النعمان ، وقد

١ الحيرة (٢٠٣) ،

Histoire Nestorienne, (Chronique de Beert), Second Partie,

I, P. 155.

٢ المعارف (ص ٢٦٤) ، اللسان (١٨١/١٠ وما بعدها) ، الشعر والشمسراء
(ص ١٢٨) ، (ليدن) .

٣ ذيل الامالي والنوادر ، اللقالي (ص ١٨٥) .

٤ الجواليقي ، المغرب (٣٥٦) .

٥ رسالة الغفران (١٧١) ، (بنت الشاطي) .

٦ اللسان (٣١٥/٥) .

٧ العمدة (٢٢٠/٢ وما بعدها) .

٨ حمزة (٧٤) .

ورد في بعض الروايات أنها لم تكن بنت النعمان ، بل كانت لثمة^١ . وذكر أيضاً أن والدها النعمان زوجها من علي^٢ . وقد عاشت حتى أدركت الإسلام ، وكانت مترهبة ، فلم تقبل الدخول فيه . ولما ماتت دفنت في ديرها إلى جانب قبر أبيها النعمان . وقد بقي الدير والقبران معروفين مدة طويلة في الإسلام .

ويذكر أن (الحرقه) (حرقه) رأت الدنيا كيف أدهرت عن أهلها، ونظرت في حالها بعد هلاك أبيها فقالت :

فينا نوس الناس ، والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نشتصف
فأفّ الدنيا لا يدوم نعيمها تكلّب تارات بنا وتصرف^٣

و (السوقه) هم العامة وسواد الناس .

وقد ذكر السعدي هذه الأبيات، وقال إنها قالتها لـ (سعد بن أبي وقاص) يوم أنه في جماعة من قومها ، وقد قال إنها كانت ، إذا خرجت إلى بيعتها ، يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشى بالخرز والوشى ، ثم تقبل في جواربها حتى تصل إلى بيعتها وترجع إلى مترها . فلما هلك النعمان لقها الزمان فأنزلها من الرفعة إلى الدلة^٤ . وقد سماها (خرقاء بنت النعمان بن المنذر) . ولعله قصد (خرقاء) أو (حرقه) ، فحرف النساخ الكلمة وصيّر لها (خرقاء) .

وكانت للنعمان جملة نساء ، منهن : زينب بنت أوس بن حارثة ، وفرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وقد ولدت له ولداً وبناً ، وكانت عنده لما طلبه كسرى ، وصار يتجول بين القبائل ليمنعوه^٥ . ومارية الكلبية، وهي أم هند التي تزوجها علي بن زيد^٦ .

ويذكر (ابن قتيبة) أنه كانت للنعمان دار في الحيرة عرفت بـ (الزوراء) . وقد بقيت قائمة إلى أيام أبي جعفر المنصور ، فأمر بهدمها ، ولم يذكر السبب

١. الأغانى (٣٤/١) .

٢. Assemani, Bibl. Orient., III, 109, Rothstein, S. 125. Rothstein, S. 125.

٣. مروج (٢٧/٢) .

٤. الأغانى (١١٥/١) ، (دار الكتب المصرية) .

٥. الأغانى (١١٩/١) .

الذي حمله على ذلك . وقد ذكرها (النابغة) فقال :

يزوراء في أكتافها المسك كالعرج^١

وذكر ان في جملة وزراء النعمان عمرو بن بقلعة والد عبد المسيح، وهو صاحب قصر بني بقلعة بالحيرة . وكان عبد المسيح في جملة من اشترك في المفاوضات مع خالد بن الوليد لعقد الصلح وتسلم الحيرة ، وله دير بناه في ظاهر الحيرة في موضع يقال له الجرعة عرف به (دير الجرعة) وبه (دير عبد المسيح)^٢ .

وقد ورد ذكر زوجة من زوجات (النعمان بن المنذر) في كتب الأدب ، هي (المتجردة)^٣ . ويظهر أن (جلم بن عمرو) ، كان قد تعرض لها ، فبلغ أمره (النعمان) فحمله على أن يركب فرسه (الحوم) ، فأرداه^٤ . وقد وصفها (النابغة) في (الدالية) المنسوبة اليه . وسمع (النعمان) بالقصيدة كما يذكر أهل الأخبار ، بدس^٥ حساد النابغة القصيدة والأشعار الأخرى الى النعمان ، فترجع منها . ولما بلغ (النابغة) الخبر ، فرّ الى القساسة ليتجو بنفسه من عقابه . وكان النعمان متبعاً به (المتجردة) وللشعراء فيها قصائد مشهورات^٦ .

ويذكر أهل الأخبار أن سيفاً من سيوف (النعمان بن المنذر) جيء به الى الخليفة (عمر) ، فأعطاه (جبر بن مطعم)^٧ .

أما عدي بن زيد ، فهو من العباديين ، أي من نصارى الحيرة . ولما والده فهو زيد بن حماد (حماز) بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، فهو تميمي الأصل^٨ . وكان لزيد ثلاثة أولاد هم : عدي هذا الذي تحدثنا عنه ، وعمار (حار) (حماد) واسمه أبسي

- ١ المعاني الكبير (١/٤٦٥) ، اللسان (٤/٣٣٨) ، (صادر) ، (زور) .
- ٢ الاغانى (١١/١٥) ، السجستاني (٣٨) ، البلدان (١/٦٥١ ، ٦٧٧) ، شعراء النصرانية (١٥) .
- ٣ اللسان (٣/١١٦) ، (صادر) ، (جرد) .
- ٤ رسالة الغفران (١٩٦) ، اللسان .
- ٥ رسالة الغفران (١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧) ، الاغانى (١/٨١) ، الشعر والشعراء (٧٦ ، ٢٣٨) .
- ٦ اللسان (٢/٤٨٧) .
- ٧ الطبري (٢/١٤٦) ، الاغانى (٢/٩٧) (دار الكتب المصرية) ، معجم الشعراء لمرزباني (٢٤٩ وما بعدها) ، شعراء النصرانية (١/٤٣٩ وما بعدها) .

وكان مع كسرى وعمرو واسمه سمي ، ولهم أخ من أمهم يدعى بن حنظلة ، وهو من (طيء)^١ .

وكان أيوب جد عدي من أهل البصرة على رواية الأخباريين ، كان يقيم في بني أمية القيس بن زيد مناة ، ولكنه اضطر إلى ترك البصرة والمهجرة إلى الحيرة لإصابته دماً ، فخاف على نفسه من القتل ، والتجأ إلى أوس بن قلام ، وكان بينه وبين أوس نسب في النساء . فلما قدم أيوب الحيرة ، نزل في دار أوس ، وأقام عنده أملاً . ثم أقام في دار أخرى بعد أن حياه أوس وأكرمه ، وصار له شأن في البلد ومقام . فالتصل بالملوك وتقرب إليهم وغدا من عليه القوم^٢ .

وصار لزيد بن أيوب شأن يذكر في البلد ، وتزوج امرأة من آل قلام ولدت له ولداً دعاه حماداً . وبينما كان زيد يتصيد في البادية ، اصطاده رجل من بني أمية القيس ، فقتله بهم أخذاً ثأراً قومه من أبيه أيوب . وعلم حماد (حمز) الكتابة والقراءة ، فكان أول من كتب من بني أيوب في رواية الأخباريين ، وغدا من أكتب الناس في الحيرة ، ولذلك اختير كاتباً لملك الحيرة ، واتصل بكبار الفرس ومنهم (فروخ ماهان) الذي تكفل زيد بن حماد بعد وفاته ، ورباه مع أبنائه . ثم أوصله إلى كسرى أنو شروان فجعله على البريد ، لما تبين له من ذكاء زيد وقدرته في العربية والفارسية . وهي وظيفة لم تكن تعطى للغير أبناء الفرس^٣ .

وتزوج زيد امرأة من طيء ولدت له عدياً ، وقد ربي هذا تربية طيبة ، فأرسل إلى الكتاب ، فلما حلق ومهرته بالعربية ، أرسل إلى كتاب الفارسية ، فتعلم مع أولاد المرازبة ومنهم شاهان مرد الفارسية حتى صار من الخافقين بها العارفين بفنونها ، ثم تعلم الرماية ولعب الصولجان ، واتصل بكبار الفرس . وقد ساعده مركزه هذا على التقرب من آل لحم . وإلى (زيد بن حماد) أوكل

- ١ الطبري (١٤٦/٢) ، الأغاني (١٠٥/٢) (دار الكتب المصرية) .
- ٢ الأغاني (٩٨/٢) (دار الكتب) ، شعراء النصرانية (ص ٤٣٩) ، طبقات ابن سلام (٣١) ، الشعر والشعراء (١١١) ، رسالة الغفران (١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٦٠٦) .
- ٣ الأغاني (٩٦/٢ وما بعدها) (دار الكتب المصرية) ، شعراء النصرانية (٤٤١/١) .

تدبير شؤون ملك الحيرة بعد سياحة النعمان على رواية بعض الأخباريين الى أن
انتقل الملك الى المنذر بن ماء السماء .

وقرب عدياً الى كسرى أنو شروان المرزبان فروخ ماهان ، فعهد اليه الكتابة
بالعربية ، فتولاها وصار له شأن يذكر عند القرس ، كما صار له مركز خطير
في قصور آل لحم . ولما توفي كسرى أنو شروان ، وملك هرمز ابنه ، أرسل
عدياً الى قيصر الروم (طياريوس) (طيريوس) بمهمة سياسية ، فأظهر لياقة
وحكمة ، مما جعل القيصر يحترمه ، فأكرمه ، وجباه ، وأراه أطراف
مملكته ، وذهب الى دمشق ، وأقام فيها آمناً ، وهو على صلوات حسنة بالروم ،
وفي أثناء اقامته بالشام ، أراد أهل الحيرة قتل المنذر والخروج عليه ، فظلمه
وأخذ أموالهم بغير حق . فلما علم بذلك المنذر ، طلب من زيد والسد عدي أن
يتول هو الأمر ، وفرح الناس على ما يذكره الرواة بهذا القرار ، فجاءوه بحيوته
بتحية الملك ، ولكنه أبى أن يسمى ملكاً ، ورضي بالحكم بغير هذا الاسم ،
وسر المنذر بهذا الحل ، ورضي به . وبقي في هذا المركز الى أن هلك ، وابنه
بعيد عنه في دمشق .

فلما جاء عدي من الشام ، لم ينس المنذر فضل أبيه عليه ، وانقاده الملك بهذا
الحل ، وسلمه ما كان قد تركه أبوه ، واستقبله استقبالا عظيماً حينما قدم الحيرة
قائداً من المدائن بعد زيارته لكسرى لتقديم هدية القيصر اليه . وأقام في الحيرة
سنتين يتصيد ويلهو ويلعب ، ويبدو في فصل السنة ، فيقيم في حيفر ، ويشترى
بالخبرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدم كسرى . وكان لا يؤثر على بلاد
بني يربوع مبدى من مبادي العرب ، ولا يزل في حي من أحياء بني تميم غيرهم .
وكان أصدقاءه من العرب كلهم بني جعفر . وكانت إليه في بلاد بني ضبة وبلاد
بني سعد ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن السد .

١ - الأغاني (١٠٠/٢) (دار الكتب المصرية) شعراء النصرانية (ص ٤٤٣) .
المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) الشعر والشعراء (ص ١١٣ وما بعدها) (عدي بن
زيد العبدي) .

٢ - الأغاني (١٠٢/٢) وما بعدها (دار الكتب المصرية) . المشرق ، الجزء الاول ،
كانون الاول ، ١٩٤٤ ، (ص ٤٦ وما بعدها) . شعراء النصرانية (١ / ٤٣٩
وما بعدها) . المرزباني (٢٤٩ وما بعدها) .

وأما (مارية الكنديّة) فهي من كتندة من جهة الأم . ثم أمره (النعمان) بالافتراق منها وتطليقها بعد ما غضب عليه وألقاه في السجن .

وروى الأخباريون لعدي شعراً زعموا أنه قال أكثره في حبه وفي معانيته للنعمان وفي توسله إليه بأن يطلقه من حبه ، وفيه مواضع تذكر النعمان بأن الدنيا زائلة ، وأنها دار فناء ، وإن الملك لا يدوم ، وأمثال ذلك . وهو شعر لم ينظر إليه علماء الشعر نظرهم إلى شعر الشعراء الفحول ، وذلك لأنه كان قروباً ، أي من أهل الحضر ، ولذلك أيضاً لم يشهد به علماء اللغة في ضبط قواعد اللغة^١ .

هذا ويذكر (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) أن في جملة مؤلفات (ابن الكلبي) الكثيرة مؤلفاً اسمه (كتاب عدي بن زيد العبادي)^٢ ، وهو كتاب لم يصل إلينا حتى الآن . ولعله كان في جملة الموارد الرئيسية التي اعتمد عليها المؤرخون وأهل الأدب والأخبار في تدوينهم أخبار ذلك الشاعر السياسي الأديب .

وتجد في (رسالة الغفران) شعراً لعدي . وقد دعي به (السروي) في موضع منها ، حين تحدث مؤلفها (المعري) عن القناعة وعن باطية الخمر^٣ . وكُتبي به (أبي سودة) في موضع آخر^٤ .

وانتقل ملك الحيرة بعد مقتل النعمان إلى رجل غريب لم يكن من نغم ، اسمه لإياس بن قبيصة الطائسي^٥ ، أو لإياس بن قبيصة بن أبي عفره ، أو لإياس بن قبيصة بن النعمان بن حبة بن سعة^٦ . وله خال اسمه حنظلة بن أبي عفره بن النعمان . ويقال أنه كان نصرانياً . وقد ذكر له أخ اسمه قيس بن قبيصة كان نازلاً بعين التمر^٧ . وذكر أن والده كان من شعراء جرم ، وجرم رهط من طيء^٨ .

١ الأغانى (٦٠٩/٢) (دار الكتب المصرية) ، الشعر والشعراء (ص ١١٤) .

(عدي بن زيد العبادي) .

٢ الفهرست (ص ١٤٧) .

٣ رسالة الغفران (ص ١٨٥) .

٤ رسالة الغفران (١٨٦ ، ١٩٠ ، ٢٠٣) .

٥ حمزة (ص ٧٤) ، إياس بن قبيصة بن أبي عفره بن النعمان بن حبة بن

سعة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سلف بن عني بن عمرو بن

لحوت بن طيء ، شعراء النصرانية (ص ١٣٥) ، ديوان الاعشى (ص ١٦٢)

(طبعة الدكتور محمد حسين) .

٦ الاشتقاق (٢٢١) .

٧ Rothstein, B. 119.

٨ شعراء النصرانية (ص ٩٣) .

وآل قبيصة من الأسر المعروفة في الحيرة ، وقد سبق أن عهدت إلى إياس إدارة مهات الحكومة بعد وفاة المنذر ، فكثت أشهراً ملكاً يدير أمور الملك إلى أن أعطي الناج للنعان أبي قابوس . ويظهر من روايات الأخباريين أنه كان مقرباً من كسرى لأنه ساعده حينما هرب من بهرام ، وأهدى إليه فرساً وجزوراً ، ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم^١ . فلما فرّ أبناء النعان بعد مقتل والدهم ، ونشئت شمل البيت المالك مدة ، تذكر كسرى فضل هذا الرجل عليه فعينه ملكاً على الحيرة ، وعين معه رجلاً فارسياً اختطفوا في اسمه ، فقالوا : (المخرجان) و (البحرجان) و (النخرجان) و (التخرجان)^٢ . وهو اختلاف يسير ، يعود سببه على ما يظهر إلى عدم تمكن النسخ أو الرواة من ضبط الكلمة . والظاهر أنها وظيفة ومركز ، حسبها الرواة اسم علم ، فأطلقوها على شخص^٣ . وقد كان كسرى قد عينه مدة أشهر على الحيرة ، وذلك قبل أن ينتقل الملك إلى النعان^٤ .

وذكر الأخباريون أن كسرى بن هرمز كان يتبعن به (إياس) ، ويغزى إليه في حروبه ويعجبه ، وأنه استجد به في حربه مع قيسر ، فتعقبه حتى أدركه في موضع (سائيدما) فأغتنى القتل في جنوده ، ونجا قيسر في خواص من أصحابه بصعوبة . وأصيب إياس بمرض في هذه السفرة ، أشار الأعشى في شعره إليه^٥ . وللأعشى قصائد في مدح إياس ، وكانت له صلة به ، وقد أغدق عليه نعمة^٦ .

وفي رواية ذكرها أبو الفرج الأصبهاني أن كسرى كان قد عين إياساً على عين التمر وما والاها من الحيرة ، وأطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات^٧ . ويظهر من هذه الرواية ومن رواية وفاته في عين التمر ووجود أخيه فيها أن عين التمر كانت من مناطق نفوذ هذه الأسرة حتى في أيام ملك آل لخم .

وذكر (القينوري) أن كسرى ولي إياس بن قبيصة الطائي ثمانية أشهر ،

١ الطبري (١٥٢/٢) .

٢ حمزة (ص ٧٤) ، ابن الأثير (٢٠٠/١) شعراء النصرانية (١٣٧) .

٣ Noldeke, Basa. 152, Rothstein, B. 120.

٤ شعراء النصرانية (١٣٥) ، الطبري (١٩٢/٢) (دار المعارف) .

٥ ديوان الأعشى (ص ١٥٩) (طبعة كابر) البلدان (٦/٥) (مادة سائيدما) .

٦ ديوان الأعشى ، القصائد ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥ ، ٧٩ .

٧ الأغاني (١٣٤/٢١) .

واضطرب أمر كسرى وجاء الاسلام ومات لإياس بعين النمر ، وفيه يقول
زيد الخيل :

فإن يك رب العين على مكانه فكسل نعيم لا محالة زائل

وذكر بعض أهل الأخبار أن حكم لإياس دام تسع سنين^١ .
ولا نعرف شيئاً مهماً قام به لإياس في أثناء توليه الملك ، ويظهر أن حكمه
لم يكن يتجاوز هذه المدة التي أشار إليها الأخباريون ، ولم يشر الأخباريون إلى
قيامه بغارات على عرب الشام . أما الشيء المهم الذي وقع في أثناء توليه الحكم ،
فهو يوم ذي قار .

ذو قار :

وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط^٢ . والقرب
منه مواضع منها حنو ذي قار وقرقر وجبابات ذي العجرم وجلوان وبطحاء
ذي قار^٣ . ويقع حنو ذي قار على ليلة من ذي قار^٤ .

يرجع الأخباريون سب وقوع ذي قار إلى مطالبة (كسرى ابرويز) هانيء
ابن قبيصة بن هانيء بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيان بتسليم الودائع
التي أودعها النعمان لدينه إليه . فلما أبى هانيء تسليم ما أؤتمن عليه لغير أهله ،
غضب كسرى ، فبعث إلى الهامرز التستري ، وهو مرزيانه الكبير ، وكان مسلحه
في القطنطاته ، وإلى جلازين وكان مسلحه في ياروق ، كما كتب إلى قيس بن
مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين ، وكان كسرى استعمله على سفوان
بأن يرافقوا لإياس فإذا اجتمعوا قزاياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود
والقبيلة عليها الأساورة ، فالتحموا بأرض ذي قار . فلما كان اليوم الأول ، استظهر
الفرس على العرب ، ثم جزعت الفرس في اليوم الثاني من العطش ، فصارت
إلى الجبابات ، فنبعثهم بكر وبقي العربان ، فعطش الأعاجم ، ومالوا إلى بطحاء
ذي قار وبها اشتدت الحرب ، وانتهزت الفرس ، وكسرت كسرة هائلة ، وقتل

١ المعارف (ص ٢٨٤) ، المحبر (٢٥٩ وما بعدها) .

٢ البلدان (٨/٧) .

٣ Rothstein, B. 121.

٤ البلدان (٨/٧) .

أكثرهم وفيهم الهامز وجلازين ، وانتصر العرب على الفرس انتصاراً عظيماً ،
وانتصفت فيه العرب من العجم^١ .

ويوم ذي قار لم يكن اذن يوماً واحداً ، أي معركة واحدة وقعت في ذي قار
وانتهى أمرها بانتصار العرب على الفرس ، بل هو جملة معارك وقعت قبلها ثم
ختمت بـ (ذي قار) ، حيث كانت المعركة الفاصلة فنسبت المعارك من ثم
الى هذا المكان . ومن هذه الأيام : يوم قُراقر ، ويوم الحنو . حنو ذي قار ،
ويوم حنو قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذي العُجرم ، ويوم الغلوان ، ويوم
البطحاء : بطحاء ذي قار ، وكلهن حول ذي قار^٢ .

أما متى وقع يوم ذي قار ، فالمؤرخون مختلفون في ذلك ، منهم من جعله في
يوم ولادة الرسول ، ومنهم من جعله عند منصرف الرسول من وقعة بدر الكبرى^٣ ،
ومنهم من جعله قبل الهجرة^٤ . وقد ذهب (روثشتاين) الى انه كان حوالي
سنة (٦٠٤ م) ، وذهب تولدكه الى انه بين (٦٠٤) و (٦١٠ م)^٥ . وأكثر
أهل الأخبار انه وقع بعد المبعث ورووا في ذلك حديثاً قالوا إن الرسول لما بلغه
من هزيمة ربيعة جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من
العجم ، وبني نصرُوا »^٦ .

والذي يستتج من روايات أهل الأخبار عن معركة ذي قار ان (هاليه بن
مسعود الشيباني) ، لم يكن فائق بني شيان ولا غيرها من العرب يوم ذي قار ،
بل تذهب بعض الروايات الى انه لم يدرك هذا اليوم ، لأنه هلك قبله ، وإنما هو :

- ١ الطبري (١٥٢/٢ وما بعدها) (المعارف) (ص ٦٠٣) . البلدان (٨/٧ وما
بعدها) شعراء النصرانية (ص ١٣٧) . مجمع الأمثال (٣٥٢/٢) . العمدة .
لابن رشيقي (١٦٩/٢) . حمزة (ص ٩١) . أبو الفداء . المختصر في أخبار
البشر (١٠١/١) . دار الكتاب اللبناني . مروج الذهب (٢٢٦/١) .
(وكتب كسرى الى قيس بن خالد ، وكان عاملاً له على الطلب) . العمدة (٢١٨/٢)
(وقتل الهامز بن خلا بزر عامل كسرى) . العمدة (٢١٨/٢) .
- ٢ الطبري (١٩٣/٢) وما بعدها .
- ٣ البلدان (٩/٧ وما بعدها) . التنبيه والاشراف (ص ٢٤١) . (بيروت
١٩٦٥) . اليعقوبي (١٨٤/١ وما بعدها) (طبعة النجف) .
- ٤ الحبير (ص ٣١٠) .
- ٥ Rothstein, S. 122.
- ٦ الطبري (١٩٣/٢) (دار المعارف) . التنبيه (ص ٢٤١) (بيروت ١٩٦٥ م) .
الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .

(هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود)^١ . وثرى روايات أخرى أن (هانيء ابن مسعود) ، كان يخشى عاقبة هذه الحرب وأنه لم يكن يريد مقابلة القرس ، وكل ما كان يريده هو الاحتفاظ برهينة النعمان ، وأن القرس عندما دنوا من العرب بمن معهم : « اتسل قيس بن مسعود ليلاً فأتى هانيئاً ، فقال له : أعط قومك سلاح النعمان فيقتولوا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أعطت بالخرم ، وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل . فقسم الدروع والسلاح في ذوي القوى والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هانيء : « يا معشر بكر ، إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا القلابة . فتسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاة ، فلم ترد علي أن ألقينا في الملكة ، فرد الناس وقطع وضنّ السوادج ، لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسي مقطّع الوضن - ، وهي حرم الرجال . ويقال : مقطّع البطن ، والبطن حزم الأكتاف ، وضرب حنظلة على نفسه فبة يبطحاء ذي قار ، وآل ألا يفر حتى تفر القبة . ففنى من مضى من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماءً لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالخنس ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاسرتهم ، فهربت إلى الجبابات ، فتبعتهم بكر وعجل^٢ ، وقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم ، فآلوا إلى بطحاء ذي قار ، فأرسلت إباد إلى بكر سراً - وكانوا أحياناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أي الأمرين أعجب إليكم . أن نظير تحت إيتنا فنذهب ، أو نقيم ونقر حين تلاقون القوم ؟ قالوا : بل نقيمون فإذا اتقى القوم أنهزم . فلما اتقى القوم في مكان من ذي قار يسمى (الجب) اجتلدوا واتحموا ، فأنهزمت (إباد) كما وعدتهم ، وأنهزم القرس^٣ .

ويذكر (الطبري) في رواية من رواياته عن (ذي قار) أن الناس توامروا فسلوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يمينون به ، فقال

- ١ الطبري (٢٠٦/٢) ، مجمع (١٠٢٤/٣) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها .
- ٢ الطبري (٢٠٦/٢) ، مجمع (١٠٢٤/٣) ، الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها .
- ٣ الطبري (٢٠٨/٢) وما بعدها ، العقد الفريد (٢٨٢/٣) وما بعدها ، (٢١١/٥) ، الكامل ، (٢٨٥/١) وما بعدها ، (الطباعة المنيرية) ، نهاية الارب (٤٣١/١٥) وما بعدها ، صبح الاعشى ، (٢٩٢/١) (دار الكتب) .

لهم : لا أرى إلا القتال ، فقبوا أمره ، وهو الذي تولى إدارة القتال ، فكان له شأن كبير فيه ، وقد قاد قومه من (بني عجل) في ذلك القتال ، فله النصيب الأكبر منه^١ . وقد احتل (حنظلة) مبرة (هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود) رئيس بكر في القتال الذي جرى في ذي قار في موضع الجب^٢ .

وكان (هانيء بن قبيصة) رئيس بكر يشغل القلب في أثناء الهجوم على القرس يوم الجب في ذي قار ، وكان على ميمته (يزيد بن مسهر الشيباني) ، و (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي) على ميسرته بحميه من كل هجوم جانبي يقع عليه من الهيرة ، كما ذكرت^٣ .

وكان (يزيد بن حمار السكوني) ، وهو حليف لبني شيبان ، قد كمن مع قومه من بني شيبان في مكان من ذي قار هو الجب ، فلما جاء إلياس بن قبيصة مع القرس الى هذا المكان ، خرج مع كميته ، فباغت إلياساً ومن معه ، وولت إياد منهزمة ، فساعد بذلك كثيراً في هزيمة القرس^٤ .

فهؤلاء المذكورون اذن هم الذين قادوا نصر العرب على القرس . وقد ذهب بعض الأخباريين الى أن الحرب الرئيسية دارت على بني شيبان ، ورئيس الحرب هو (هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود) . أما (حنظلة) فكان صاحب الرأي^٥ . ولكن الذي يظهر من دراسة مختلف الروايات ان شأن حنظلة في القتال كان أهم وأعظم من شأن هانيء فيه ، حتى لقد ذكرت بعض الروايات انه هو الذي ولي أمر القتال بعد هانيء ، وان القوم صبروا الأمر اليه بعد هانيء في معركة (جب ذي قار) وانه هو الذي قتل (جلايزين) ، وان كتيبته (كتيبة عجل) قامت بأمر عظيم في هذه المعركة التي انتهت بهزيمة القرس^٦ . وكان حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي من سادات قومه ، وهو صاحب قبة ،

١ الطبري (٢٠٧/٢) وما بعدها .

٢ الطبري (٢٠٩/٢) .

٣ الطبري (٢٠٩/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٢٢٦/٢) (دار الكتب اللبنانية) .

٤ الطبري (٢٠٩/٢) (دار المعارف) .

٥ الكامل ، لابن الاثير (٢٨٥/١) وما بعدها .

٦ الطبري (٢١٠/٢) (دار المعارف) .

ضربت له يوم ذي قار ويوم قلج^١ ، ولا تضرب قبة الا ملك أو سيد . وكانت له بنت يقال لها (مارية) ، كانت معه في هذه المعركة ، وهي أم عشرة نفر أحدهم جابر بن أبحر . وأورد الطبري شعراً في يوم ذي قار نسب الى (يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار) ، وإذا كان يزيد هنا هو حفيد حنظلة كما يظهر من سياق النسب ، يكون حنظلة اذ ذلك كبيراً في السن . وقد نسب الطبري الى حنظلة شعراً ذكر انه قاله في يوم ذي قار^٢ .

وذكر ان (الثعمان بن زرعة الثعلبي) هو الذي أشار على كسرى بمهاجمة (هانيء بن مسعود الشيباني) في ذي قار ، وكان يجب هلاك بكر بن وائل ، وان إباداً وهي في الحرب انفتحت سراً مع بكر على العرب ، فهربت حين كان إياس بن قبيصة والفرس يقاتلون بكراً ، فاضطرب صف المعجم، وولوا الأدبار ، قتل منهم من قتل ، وأسر عدد كبير . وأسر (الثعمان بن زرعة الثعلبي)^٣ . والروايات عن معركة ذي قار ، هي على شاكلة الروايات عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزو بعضها بعضاً، من حيث تأثيرها بالعواطف القبلية وأخذها بالتحيز والتحزب . فرى فيها تحيزاً لبني شيان يظهر في شعر (الأعشى) لهم ، اذ يمدحهم خاصة ، مما أدى الى غضب غيرهم مثل (الهازم)^٤ ، ورى فيها إعطاء فخر لفلان وجبه عن فلان . ولذلك يجب على الباحث عن أيام العرب وعن حروب القبائل وغزواتها أن يظن لذلك .

وشعر الأعشى ، أعشى بكر ، في ذي قار ، ومدحه قومه (بني بكر) ، شعر مهم للوقوف على حوادث تلك المعركة وكيف جرت^٥ . ولبكر : أصم بني الحارث ، شعر أيضاً يمدح فيه بني شيان ويمجد عملهم وقملهم في هذا اليوم^٦ . وقد هجا (أعشى بكر) في قصيدة له عن يوم ذي قار وعن مقام عشيرته

- ١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
- ٢ الطبري (٢٠٦/٢ وما بعدها) .
- ٣ ابن الأثير (١٧٣/١ وما بعدها) ، الطبري (٦١٢/١) ، الأغانى (١٢٧/٢) ، ابن خلدون - القسم الأول ، المجلد الثاني (ص ٥٥٦) ، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر (بيروت ١٩٥٦ م - العدد ٢١٨/٢) .
- ٤ الطبري (٢١١/٢) .
- ٥ الكامل (٢٨٥/١ وما بعدها) .
- ٦ الطبري (٢١١/٢) (دار المعارف) الكامل ، لابن الأثير (٢٨٥/١ وما بعدها) .

ومكاته فيه تيمناً وقيس عيلان ، ثم تعرض لقتال معد ، فقال :
لو أن كل معد كان شارحنا في يوم ذي قار ، ما أعظمهم الشرف^١
ونجد شعراً للعديل بن القرخ العجلي ، يفتخر فيه بقومه ويتباهى بانتصارهم
على الفرس في هذا اليوم ، فيقول :

ما أوقد الناس من نار لمكرمة إلا اصطلينا ، وكنا موقدي النار
وما يعدون من يوم سمعت به للناس أفضل من يوم بلدي قار
جئنا بأسلأهم والخيول عابسة يوم استلبنا لكسرى كل أسوار^٢
وكان هانيء بن قبيصة ، من أشرف قومه ، وكان نصرانياً ، وأدرك الإسلام
قلم يسل ، ومات بالكوفة^٣ . أما (قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي
الجدن) ، فكان سيد قومه في أيامه ، وذلك قبل الإسلام . وكان كسرى استعمله
على (طلف سفوان)^٤ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن هناك يوماً آخر ، عرف بيوم (ذي قار) ،
وقد وقع أيضاً بين العرب والفرس ، فانتصر فيه العرب أيضاً ، وقد وقع قبل
اليوم المذكور ، فعرف لذلك بيوم ذي قار الأول ، ويوم صيد ، ويوم القبة .
وكان فيه أن بكر بن وائل أصيب بسنة (أي قحط) فخرجت حتى نزلت
بلدي قار ، وأقبل حنظلة بن سيار العجلي ، حتى ضرب قبة بين ذي قار وعين
صيد ، وكان يقال له (حنظلة القباب) ، وكانت له قبة حراء ، إذا رفعها
انضم إليه قومه ، فأتاهم عامل كسرى على السواد ليخرجهم منه ، فأبوا ، فقاتلهم
فهمزموه وانتصروا عليه^٥ .

وقد نسب إلى (زيد الخيل) شعراً ، زعم أنه قاله يذكر لئاس بن قبيصة
الطائي هو :

- ١ الكامل (٢٨٥/١) وما بعدها ، نهاية الارب (٤٣١/١٥) وما بعدها .
- ٢ الشعر والشعراء (٣٧٥/١) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٢١٦) .
- ٤ الطبري (٢٠٧/٢) (دار المعارف) .
- ٥ البكري (١٠٤٢/٣) .

أفي كل علم سيد يفقدونه تحمكك من وجد عليه الكلاكل ؟
ثم يكون العقل منكم صحيفة كما عقلت على السلم الجلاجل ؟

وقد قال (ابن قتيبة الدينوري) في تفسيره : « كان كسرى أرسل إلى مال لإياس ليأخذه فغرت عن ذلك طيء ، وقد أراد أن يبطش بأناس منهم . فلبس رأى ذلك كسرى ، كتب لهم كتاباً في أمان ، فقال زيد شعراً ، هذان البيتان فيه ، يحض قومهم ، وينهاهم أن يقبلوا كتابه ، أو يطمثوا إلى قوله^١ . وليس في هذا الشرح كما ترى تفسيراً للسبب الذي دفع كسرى إلى المطالبة بمال لإياس . هل كان ذلك بسبب اختلافه معه ، أو بسبب آخر . ولا يحفل أن تكون هذه المطالبة في حالة صلح وعلاقات طيبة بين الجهتين ، بل لا بد أن تكون عن ظروف سيئة لم يتطرق لها (ابن قتيبة) .

وعندي أن هذه الحادثة أن صحت روايتها ، وجب أن تكون قد وقعت بعد موت (لإياس) ، وتركه ثروة وأملاكاً طائلة ، فأراد الفرس الاستحواذ عليها ، وأخذ ما جمعه من مال ، فحدث ما حدث .

وذكر الأخباريون بعد (لإياس) رجلاً فارسياً قالوا أنه هو الذي حكم (الخيرة) وملكها في زمن (أبرويز) ، وفي زمن شيرويه بن أبرويز ، وفي زمن أردشير ابن شيرويه ، وفي زمن بوران بنت أبرويز ، وذكروا أن مدة حكمه سبع عشرة سنة أو أقل من ذلك . وصحوا هذا الرجل (آزادبه بن ماهيبان بن مهرا بنداد)^٢ أو (آزادبه بن بايان بن مهر بنداد الهمداني)^٣ ، أو (آزادبه بن ماهان بن مهر بنداد الهمداني) أو (زادويه الفارسي) . حكم سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمسز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً^٤ . ولكنهم لم يذكروا من أمره شيئاً ، فلا نعرف من أعماله أي شيء مع طول مدة حكمه أن صحت رواية الأخباريين .

- ١ المعالي الكبير (١٠٠٨/٢) .
- ٢ (آزادبه بن ماهيبان بن مهرا بنداد الهمداني) ، حمزة (ص ٧٤) ، الجسر (٣٦٠) .
- ٣ الطبري (١٥٦/٢) .
- ٤ الطبري (٢١٣/٢) - مفاتيح العلوم (٦٩) .

وأرى أن (زادويه القارسي) الذي ذكر (حمزة الأصمهاشي) أنه كان قد ملك الحيرة ، هو (زادويه) المذكور ، وأن التسامح قد أخطأوا في كتابة الاسم فصبروه على هذه الصورة ، أو أن (حمزة) نفسه قد أخطأ في التسمية ، أو هو نقلها من كتابين مختلفين أو من مصدر واحد كتبها بصورتين ، فتابعه حمزة ولم ينتبه إلى أنه صبر الاسم الواحد اسمين .

وذكر بعض أهل الاعتبار أن الذي حكم بعد (آذاذه) هو (المنذر بن النعمان ابن المنذر) المعروف بـ (الفرور) أو (المفرور) ، وهو المقتول بالبحرين يوم جوثا^١ ، « فكان ملكه وملك غيره إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر »^٢ . وهو كلام مشكوك فيه . ففي الاعتبار أن المنذر لم يحكم الحيرة ، وإنما حكم البحرين في أثناء الردة ، وذلك بأن ربيعة حينما ارتدت عن الإسلام قالت : نرد الملك في المنذر بن النعمان بن المنذر . فلما حارب المسلمون المرتدين ، منوا بهزيمة منكرة ، وسقط المنذر أسيراً في أيدي المسلمين . ويقال إنه أسلم على أثر ذلك ، وسمى نفسه (المفرور) بدلاً من (الفرور) ، وهو القبط الذي كان يعرف به قبل إسلامه^٣ .

ويظهر أن النصرانية كانت هي المفضية في البحرين وفي بني عبد القيس ، وقد كان المنذر الفرور مع المرتدين ، الذين تركوا الإسلام وعادوا إلى النصرانية بعد دخولهم في الإسلام^٤ .

وقد ذكر (الطبري) في حديثه عن يوم المقر وهم فرات بادقلي : أن الذي كان يلي أمر الحيرة هو (الآذاذه) ، وقال فيه : « كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم »^٥ . وقد كان من أشرف القرس وسادتهم ، وذكر أيضاً : أن قيمة قلسوته خمسون ألفاً ، وقيمة القلسوة عند القرس تدل على مكانة صاحبها وشأنه عند الساسانيين . وأنه لما سمع يمدنو (خالد بن الوليد) من الحيرة شيئاً لحربه ، وقدم ابنه ، ثم خرج في أثره حتى عسكر خارجاً من الحيرة ، وأمر ابنه بسد القررات ، ولكن خالداً فلجأه وأصاب جيشه فلما بلغ أباه خبر ما حصل

- ١ المعتبر (٣٦٠) ، حمزة (٧٥) ، مفاتيح العلوم (٦٩) .
- ٢ الأتاني (٤٨/١٤) ، ابن الأثير ، الكامل (١٥٤/٢) .
- ٣ الطبري (١٣٦/٣) وما بعدها (دار المعارف بمصر) .
- ٤ الطبري (٣٥٩/٣) .
- ٥ الطبري (٣٥٩/٣) .

به ، هرب من غير قتال ، وكان عسكره بين الغرين والقصر الأبيض ، وتمكن بذلك خالد بن الوليد من فتح الحيرة^١ .

فيفهم من حديث الطبري عن فتح الحيرة أن المنذر بن النعمان لم يكن قد ولي حكمها ، وأن ما ذكره من توليه الحكم ثمانية أشهر ، يناقض ما ذكره هو فيما بعد عن فتح الحيرة وبقيّة أرض العراق وبخالف كذلك ما ورد في بقية كتب أهل الأخبار عن فتوح العراق .

وكان ملوك الحيرة مثل غيرهم من الملوك ، كالفارسة والساسانيين والروم ، يرسلون مع القبائل وعملهم بالبريد . وكانت يرد ملوك العرب في الجاهلية الخيل^٢ ، تنطلق في مراحل ، فإذا بلغ البريد المرحلة المعينة استراح ، وتول البريد الثاني نقل الرسائل الى المكان المقصود ... وبذلك تمّ المراسلات .

ومن الأسر المعروفة في الحيرة ، العنسيون ، وهم من (كليب) ، وقد نسبوا الى أمهم على ما يذكره أهل الأخبار .

ومن سادات الحيرة وأشرفها (بنو الأوس بن قلام بن بطين بن جمهر (جمهر) بن لحيان) ، وكان منهم (جابر بن شمعون) الأسقف من أساقفة الحيرة المعروفين ، وهو صاحب القصر الأبيض بالحيرة^٣ .

وقد اشتهرت الحيرة بسوقها ، إذ كان الأعراب ونجار جزيرة العرب يقصدون السوق لبيع تجارتهم وشراء ما فيها من سلع نفيسة مطلوبة في بلاد العرب . وقد اشتهرت بنوع خاص من السيوف ، قيل لها (السيوف الحاربية) ، كما عرفت بصناعة الأنماط^٤ .

واشتهرت الحيرة بقصرها المعروف بـ (الخورثي) . وهو قصر يقع على ثلاثة أميال منها ، ويقال إنه بني على نهر : بناء للنعمان المعروف بالأعور بناءً رومي اسمه (سيار) في عشرين سنة . وقد لقي البناء مصرعه بسبب هذا القصر ، في

١ الطبري (٣٥٩/٣ وما بعدها) .

٢ قال امرؤ القيس الكندي :

على كل مقصود الدنياي معاود
بريد السرى بالخيل من خيل بربرا
الكامل ، للمبرد (٢٨٦/١) .

٣ الأقالمي (١١٥/٢) .

٤ مروج الذهب (٩٠/٢ وما بعدها) ، البلدان (٣٢٨/٢) ، فتوح البلدان (٢٤٥)

قصص يرويه عنه أهل الأخبار ، ويضربون به المثل في المكافأة على الفعل الحسن بالقيح^١ .

ولأهل الأخبار آراء في التسمية : منهم من يقول إنها عربية ومن أصل عربي ومنهم من يقول إنها فارسية ، وأن اللفظة معربة .

وارتبط باسم (الخورنق) اسم قصر آخر هو (السدير) . وقد بني في البرية ، فهو أبعد من الخورنق عن الحيرة^٢ . ولأهل الأخبار كعادتهم في تعليل الأسماء العادية مذاهب في التسمية ، ويرجح المشرقون أنها من الألفاظ المعربة عن الفارسية^٣ . وقد كان ذا قيساب ثلاث ، ويتألف من ايوان ينتهي الى غرفه ، وعلى جانبيه غرفتان . ويظهر من روايات أهل الأخبار انه كان أقدم عهداً من الخورنق ، وإن ملوك آل لحم كانوا يقيمون فيه في قديم الزمان^٤ .

وذكر أن (السدير) نهر بالحيرة ، قال علي :

سره حائه وكثرة ما يمد سلك ، والبحر معرضاً ، والسدير^٥

وفي شعر ينسب الى الأسود بن يعفر ، ذكر للقصرين المذكورين ، رثى الشاعر فيه حال (آل محرق) ، وتالم وتوجع لما نزل وحل بهم ، كما توجع لإياد ، إذ قال :

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم ، وبعد إياد ؟

أرض الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من ستاد^٦

١ القاموس (٢٢/٣) : ناج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، (٧٩/١) .
مراسد الاطلاع (٤٩٨/١) ، اللسان (٧٨/١) ، اليعقوبي (١٧٠/١) ، امتال العرب ، للسفصل الضبي (ص ٩٦) .

٢ الجوهري ، ناج اللغة (٣٣٠/١) ، البكري ، معجم (٧٢٩/١) ، ابن سيمة ، الخصص (١٣٦/٥) ، الديسارات ، للشابشتي (١٥٢) ، مراسد الاطلاع (٦٩٩/١) .

٣ والسدير : بناء ، وهو بالفارسية سهد لي . أي ثلاث شعب ، أو ثلاث مداخلات . وقال الاصمعي : السدير فارسية ، اللسان (٣٥٥/٤) .

٤ الديارات (١٥٢) .

٥ اللسان (٣٥٥/٤) ، (صادر) ، (سدر) .

٦ اللسان (١٨/١١) وما بعدها ، (صادر) ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء (١١٦) وما بعدها .

ويجب أن يكون هذا الشعر قد نظم بعد نكبات حلت به (آل محرق) ،
حلتهم على ترك ديارهم وعلى زوال سلطانهم عنها ، أي بعد النكبة التي حلت
بالنعمان بن المنذر بعد زوال دولة المناذرة .

وبارقي : اسم موضع على مقربة من الكوفة ، وموضع آخر في السواد على
مبعدة من الكوفة^١ . أما (ستاد) فمن مواضع زياد .

ومن الأماكن التي تنسب إلى ملوك الحيرة موضع يعرف باسم (النوسر) ،
قبل أنه من أبنية أحد أمراء الحيرة . وقد ملكه (جبر بن مالك) ، وهو من
(بني قشير) ، نسب إليه ، وعرف به (قلعة جبر) . ويقطن إليه موضع
(Dansara) الذي ذكره (اسطيفان البيزنطي) . ويقع على الشاطئ الأيسر لنهر
الفرات . ومن أمثالها عند اليونان (Dausas) و (دوله) (Daune) و (Dabanae)^٢ .
ومن المواضع القريبة من الحيرة موضع يعرف به (الخصوص) ، تنسب إليه
(الدنان) ، ذكر في (صادية) (عدي بن زيد العبادي)^٣ . وموضع (عمير
الخصوص) وهو قرية من قرى الحيرة . ودير قره ، وهو يلزاه (دير الجماجم)
منسوب إلى (قره) ، وهو رجل من لحم بناء على طرف البر أيام النعمان^٤ .

وقد تأثر فن بناء القصور في الحيرة وما والاها من قصور (آل لحم) بالفن الساساني
فصار في القصر رواق في الوسط هو مجلس الملك ، وهو الصدر ، وجناحان هما كُمانان
يكونان طرفي الرواق ، مبيحة وميسرة . وقد صار هذا الطراز من البناء سمعة
من سمات بناء قصور الحيرة ، وكذلك تأثر تزويق جدران بيوت الحيرة ونقشها
بطريقة الفن الساساني في تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها . وقد أثرت طريقة
أهل الحيرة هذه في فن البناء في مدينة (سامراء)^٥ .

وفي كتاب (مروج الذهب) إشارة إلى قصر المتوكل المعروف به (الحيري)

١ اللسان (١٨/١١ وما بعدها) . (صادر) . البكري . معجم (٢٢١/١) . تاج
العروس (٢٨٥/٦) . مراسد الاطلاع (١٥١/١) . المعارف (٦٤٧) . (ثروت
عكاشة) . العقد الفريد (٣٨٤/٣) . مقاييس اللغة (٢٢٧/١) .

٢ رحلة بنيامين ، (ص ١٢٣) .
٣ ابلغ خليلي عبيد عند فلا . زلت قريبا من سواد الخصوص

رسالة الغفران (١٨٦) .

٤ رسالة الغفران (١٨٧) .

٥ Die Araber, I. S. 691, Franz Altheim und Futh Schöhl, Assin und Rom,

Tübingen, 1952, S. 49.

والكُمين ، قال فيه : « وأحدث المتوكل في أيامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالخيري والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض سمّاره حدثه في بعض الليالي : أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر ، أحدث بنياناً في دار قراره ، وهي الحيرة على صورة الحرب وهيأتها للهجة بها وميله نحوها لكلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك ، وهو الصدر ، والكمين مينة وميسرة ، ويكون في البينين القليلين هما الكُمينان من يقرب منه من خواصه وفي البينين منها خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتجج إليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاءه الصدر ، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمي هذا البنيان إلى هذا الوقت بالخيري والكمين إضافة إلى الحيرة . وتابع الناس المتوكل في ذلك اتهاماً بفعله ، واشتهر إلى هذه الغاية ^١ . وفي هذا الوصف وصفه لذلك القصر الذي بناه أحد النعمانية . ولكن أي نيمان هو ؟ هل هو النيمان صاحب الخورتق أو هو نيمان آخر بنى قصراً آخر في عاصمته الحيرة .

وقد وجد بعض المؤرخين في هذا الوصف دلالة على احتمال كون القصر المعروف بـ (قصر المشي) ، هو من بناء أحد ملوك الحيرة ، إذ وجد في خطة بنائه ، وفي هذا الوصف شبهاً حمله على القول باحتمال كونه من أيّنتهم ^٢ .

قوائم ملوك الحيرة :

يصعب تصور حدوث خلاف بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة وعددهم ومددهم ، لدعواهم أنهم أخطوا علمهم بهم من كتب كانت متونة محفوظة في الحيرة ومن موارد أخرى هي كتب الفرس ، وقد ذكر بعضهم ملاحظات من مثل قوله : « ذكر هشام عن أبيه أنه لم يجد الحادث فيمن أحصاه كتاب أهل الحيرة من ملوك العرب ، قال : وظنني أنهم إنما تركوه لأنه توثب على الملك بغير إذن ملوك الفرس ، ولأنه كان يعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، وإنما كان سيرة في أرض العرب » ^٣ . ومثل ملاحظة أخرى

١ مروج (٣٦٩/٢) ، (القاهرة ١٣٤٦ هـ) (طبعة عبد الرحمن محمد) ، (٤/٤) وما بعدها) ، (دار الاندلس) .
 ٢ Die Araber, I, B. 595.
 ٣ حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .

لاين الكلبي أشرت إليها سابقاً، هي دعواه انه كان يستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتأريخ سنيهم من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها^١ . فدعوى مثل هذه لا تصور لنا وقوع اختلاف كبير بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة: ومبالغ أعمارهم وتأريخ سنيهم وأمثال ذلك ، مع إتنا نجد بين الأخباريين اختلافاً غير يسير في أسماء الملوك وفي ترتيب توليهم الحكم ومقدار سنيهم وأمثال ذلك . والعجب أنهم يعتمدون على مورد أو موارد مشتركة قد يشرون إليها ، ثم إذا بهم يختلفون في أمور ما كان ينبغي وقوع اختلاف ما فيها لأخذها من مورد مشترك أو موارد مشتركة .

وعلة ملوك الحيرة قد يزيد على العشرين ملكاً بقليل عند بعض الأخباريين ، وقد ينقص عن هذا العدد عند بعض آخر . وقد ذهب المسعودي إلى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس ، وأن مدة ملكهم سبائة سنة واثنتان وعشرون سنة ونحوها أشهر^٢ ، وقد ذهب حمزة إلى أن مدة ما حكمه ملوك الحيرة منذ عهد عمرو بن عدس الذي اغتلبها منزلاً إلى أن وضعت الكوفة واتخذت منزلاً في الإسلام هي خمسمائة وبضع وثلاثون سنة^٣ .

ونحن إذا فحصنا القوائم التي سجلها الأخباريون لملوك الحيرة، وفحصنا ما ذكره من مدة حكم كل ملك إجمالاً ، ثم قابلناه بما ذكره بالنسبة إلى حكم ذلك مجزئاً على مدد حكمه بالقياس إلى من حكم في زمانه من ملوك الفرس ، نجد اختلافاً بين ما ذكره إجمالاً ثم ما ذكره تفصيلاً ، كذلك نجد مثل هذا الاختلاف بين المدة الاجمالية التي ذكروها لعمر مملكة الحيرة وبين المدد التي ذكروها لحكم كل ملك أيضاً على وجه الاجمال ، مما يدل على أنهم لم ينتهوا إلى ملاحظة أمثال هذه الأمور الضرورية للمؤرخين .

ونجد قائمة (ابن الكلبي) لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ومقدار حكم كل ملك بالنسبة إلى من عاصره من ملوك الفرس مدونة في تأريخ الطبري وفي تأريخ حمزة وفي تواريخ أخرى . ولإقتصار ابن الكلبي على ذكر مدد حكم ملوك

- ١ الطبري (٢٧/٢) .
- ٢ مروج (٢٨/٢) .
- ٣ حمزة (ص ٦٦) .

الخيرة إجمالاً ، ثم ذكرها تفصيلاً بما يقابل ذلك من سني حكم الأكاسرة دون الإشارة أبداً الى ما يقابل ذلك أيضاً بالقياس الى القياصرة ، نستطيع أن نقول إن ابن الكلبي لم يعرف من موارد تاريخية استندت الى تواريخ الروم أو السريان ، وإنما عرف من مناهل تاريخية فارسية أو معتمدة على الموارد الفارسية ، ومن موارد أهل الخيرة وهي موارد يظهر أنها لم تكن تعتمد على أصول قديمة مدونة لتواريخ الخيرة ، لأن أكثر ما رووه لا يختلف في طبيعته في الغالب عن النوع الذي ألفناه من أخبار الأخباريين .

وقد جزأ الطبري قائمة ابن الكلبي لملوك الخيرة ، فوضعها قطعاً قطعاً في ثانيا حديثه عن ملوك القرس وفي المناسبات ، ولم يذكرها جملة واحدة في مكان واحد ، أو في فصل مستقل خاص كما فعل غيره من المؤرخين ، وتبلغ جملة ملوك الخيرة عشرين ملكاً ، وقد ذكر مع كل ملك مقدار ما حكمه من سنين وأسماء من عاصروهم ذلك الملك من الأكاسرة .

أما هؤلاء الملوك فهم :

١ - عمرو بن عدي ، وقد عاش مئة وعشرين سنة وحكم على حد قول ابن الكلبي مئة سنة وثمانى عشرة سنة من ذلك في زمن (أردوان) و (ملوك الطوائف) خمس وتسعون سنة وفي زمن ملوك فارس أي الساسانيين ثلاثاً وعشرين سنة . من ذلك في زمن أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفي زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين وشهران .

٢ - امرؤ القيس اليم ، وقد عاش مملكاً في عمله مئة سنة وأربع عشرة سنة من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن هرمز بن سابور ستة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام بن هرمز بن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانى عشرة سنة . ولكنك اذا جمعت هذه المدة وقابلت حاصل الجمع ، وجدت فرقاً كبيراً بين ما زعمه ابن الكلبي من انه حكم ١١٤ سنة ، ثم ما زعمه هو نفسه من حكم هذا الملك مجزئاً بالنسبة الى ملوك القرس .

٣ - عمرو بن امرؤ القيس ، وقد حكم على رواية ابن الكلبي أيضاً ثلاثين سنة . وعاصر من الملوك سابور وأردشير بن هرمز بن هرمي وبعض أيام سابور بن سابور .

- ٤ - أوس بن قلام ، وقد حكم خمس سنين في أيام سابور بن سابور وبعض أيام بهرام بن سابور ذي الأكشاف .
- ٥ - امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس ، وقد حكم خساً وعشرين سنة . حكم في أيام بهرام بن سابور ذي الأكشاف ، وملك في عهد يزدجرد الأنيم .
- ٦ - النعمان بن امرئ القيس ، وقد ملك تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر . من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام بن يزدجرد أربع عشرة سنة . ويتنص ذلك أربعة أشهر عن العدد الاجمالي الذي ذكره ابن الكلبي .
- ٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانين سنة وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانين سنة ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .
- ٨ - الأسود بن المنذر ، وقد حكم عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفي زمن قباد بن فيروز ست سنين .
- ٩ - المنذر بن المنذر بن النعمان وقد ملك سبع سنين .
- ١٠ - النعمان بن الأسود بن المنذر ، وكان ملكه سبع سنين .
- ١١ - أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن اللعل ، وكان ملكه ثلاث سنين .
- ١٢ - المنذر بن امرئ القيس البدء ، وكان ملكه تسعاً وأربعين سنة .
- ١٣ - عمرو بن المنذر ، وكان جميع ملكه ست عشرة سنة .
- ١٤ - قابوس بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين : ثمانية أشهر منها في زمن أنو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن أنو شروان .
- ١٥ - السهري .
- ١٦ - المنذر بن المنذر أبو النعمان ، وقد ملك أربع سنين .
- ١٧ - النعمان بن المنذر أبو قابوس ، وقد ملك اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك في زمن هرمز بن أنو شروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز بن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

١٨ - إياس بن قبيصة الطائي ومعه التخيّر جان ، وقد ملك ثلث سنين في زمن كسرى بن هرمز .

١٩ - آزاده بن بايان بن مهر يتداف الحمداني ، وقد حكم سبع عشرة سنة ؛ في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شبرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شبرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت بنت كسرى شهراً .

٢٠ - المنذر بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك ثمانية أشهر .

هذه هي قائمة أسماء ملوك الحيرة كما رواها الطبري عن ابن الكلبي^١ .

ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة) :

- ١ - مالك بن فهم .
- ٢ - جذيمة الأبرش .
- ٣ - عمرو بن عدي .
- ٤ - امرؤ القيس ، ويقال : بل ملك الحارث بن عمرو بن عدي .
- ٥ - النعمان بن امرئ القيس .
- ٦ - المنذر بن امرئ القيس .
- ٧ - المنذر بن المنذر بن امرئ القيس .
- ٨ - عمرو بن هند .
- ٩ - النعمان بن المنذر .
- ١٠ - إياس بن قبيصة^٢ .

أما (محمد بن حبيب) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :
(عمرو بن عدي بن نصر) و (امرؤ القيس اليماني) وهو الأول ، قابله (عمرو)
ف (أوس بن قلام بن بطينا بن حير بن لحيان) ، و (امرؤ القيس) اليماني ،

١ الطبري (٢/٢١٣ وما بعدها) ، (ذكر من كان على نهر العرب من قبل ملوك
الفرس بالحيرة بعد عمرو بن هند) ، (دار المعارف) .
٢ المعارف (ص ٦٤٥ وما بعدها) .

وهو (محرق الأول) ، ف (النعمان بن امرئ القيس البله) ، قابله (المنذر) ، قابله (الأسود) ، فأخوه (المنذر) ، فابن أخيه (النعمان بن الأسود) ، ف (أبو يعفر بن علقمة بن مالك) ، ف (المنذر بن امرئ القيس) ، ف (عمرو ابن المنذر بن امرئ القيس) ، ف (قابوس بن المنذر) ، ف (السهوب) الفارسي ، ف (المنذر بن المنذر) ، ف (أبو قابوس النعمان بن المنذر) ، ف (لياس بن قبيصة الطائي) ، ف (آزادبه) ، ف (القروير المنذر بن النعمان ابن المنذر) ، وهو المقتول بالبحرين يوم (جواتا)^١ .

ملوك الحيرة بحسب رواية البغدادي :

- ١ - عمرو بن عدي ، وقد ملك خمساً وخمسين سنة .
- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو ، وقد ملك خمساً وثلاثين سنة .
- ٣ - الحارث بن عمرو ، وقد ملك سبعاً وثمانين سنة .
- ٤ - عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك أربعين سنة .
- ٥ - المنذر بن امرئ القيس .
- ٦ - النعمان .
- ٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك ثلاثين سنة .
- ٨ - عمرو بن المنذر .
- ٩ - عمرو بن المنذر الثاني .
- ١٠ - قابوس بن المنذر .
- ١١ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين .
- ١٢ - النعمان بن المنذر^٢ .

ملوك الحيرة بحسب رواية السعدي :

- ١ - عمرو بن عدي ، وكان ملكه مئة سنة .

١ - المحبر (ص ٣٥٨ وما بعدها) .
٢ - البغدادي (١٦٩/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك ستين سنة .
- ٣ - عمرو بن امرؤ القيس ، وقد ملك خساً وعشرين سنة .
- ٤ - النعمان بن امرؤ القيس ، وقد حكم خساً وستين سنة .
- ٥ - المنذر بن النعمان ، وكان حكمه خساً وثلاثين سنة .
- ٦ - المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر ، وقد ملك أربعاً وثلاثين سنة .
- ٧ - عمرو بن المنذر ، وكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .
- ٨ - قابوس بن المنذر ، وقد ملك ثلاثين سنة .
- ٩ - النعمان بن المنذر ، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .
- ١٠ - إلياس بن قبيصة الطائي ، وكان ملكه تسع سنين .

هذه هي أسماء ملوك الحيرة الذين ذكرهم المسعودي ، وقد نص هو على أن عدة ملوك الحيرة ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصير وغيرهم من العرب والفرس ، ومدة ملكهم مائة سنة والثتان وعشرون سنة وثمانية أشهر^١ . ونص في كتابه (التنبيه) ، على أن « عدة من ملك الحيرة من بني نصر والعباد والحسان ونميم وكندة والفرس وغيرهم نيفاً وعشرين ملكاً ، ملكوا خمس مئة سنة واثنين وعشرين سنة وشهوراً^٢ » .

قائمة حمزة ملوك الحيرة:

- ١ - عمرو بن عدي ، وكان جميع ما ملكه مئة وثمانين عشرة سنة . ذلك في زمن ملوك الطوائف خمسة وتسعون سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ، منها في أيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي أيام شاپور بن أردشير ثمانين سنين وشهران .
- ٢ - امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ، وقد ملك مئة وأربع عشرة سنة ، منها في زمن شاپور بن أردشير ثلاث وعشرين سنة ، وفي زمن هرمز بن شاپور سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن بهرام بن هرمز تسع سنين وثلاثة أشهر ، وفي زمن

١ - مروج (١٦/٢ وما بعدها) .

٢ - التنبيه (ص ١٥٨) .

بهرام بن بهرام ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن بهرام ثلاث عشرة سنة وستة أشهر ، وفي زمن نرسي بن بهرام بن بهرام تسع سنين ، وفي زمن هرمز بن نرسي ثلاث عشرة سنة ، وفي زمن شابور ذي الأكتاف عشرين سنة وخمسة أشهر .

٣ - عمرو بن امرئ القيس ، وقد ملك سنين ستة ، من ذلك في زمان شابور ذي الأكتاف إحدى وخمسين سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن أردشير أنخي شابور خمس سنين ، وفي زمن شابور بن شابور أربع سنين وخمسة أشهر .

٤ - أوس بن قلام ، وقد ملك خمس سنين في زمن أردشير أنخي شابور .
٥ - امرؤ القيس ، وقد حكم إحدى وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، من ذلك في زمن شابور بن شابور خمس سنين ، وفي زمن بهرام بن شابور إحدى عشرة سنة ، وفي زمن يزدجرد بن شابور خمس سنين وثلاثة أشهر .

٦ - النعمان بن امرئ القيس ، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة ، من ذلك في زمن يزدجرد بن بهرام بن شابور خمس عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

٧ - المنذر بن النعمان ، وقد ملك أربعاً وأربعين سنة ، من ذلك في زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانين سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن يزدجرد بن بهرام ثمانين سنة وثلاثة أشهر ، وفي زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة .

٨ - الأسود بن المنذر ، وقد ملك عشرين سنة ، من ذلك في زمن فيروز ابن يزدجرد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين ، وفي زمن قباد ابن فيروز ست سنين .

٩ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٠ - النعمان بن الأسود ، وكان ملكه أربع سنين في زمن قباد .

١١ - أبو يعفر بن علقمة اللخمي : وكانت مدة حكمه ثلاث سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٢ - امرؤ القيس بن النعمان ، وكان ملكه سبع سنين في زمن قباد بن فيروز .

١٣ - المنذر بن امرئ القيس ، وقد ملك اثنتين وثلاثين سنة ، من ذلك في زمن قباد بن فيروز ست سنين ، وفي زمن كسرى أنو شروان بن قباد ستاً وعشرين سنة .

- ١٤ - الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .
- ١٥ - عمرو بن المنذر ، وكان ملكه ست عشرة سنة .
- ١٦ - قابوس بن المنذر ، وكان حكمه مدة أربع سنين في زمن أئو شروان .
- ١٧ - فيشهرت ، وقد حكم سنة في زمن أئو شروان .
- ١٨ - المنذر بن المنذر ، وقد ملك أربع سنين ، منها ثمانية أشهر في زمن أئو شروان ، وثلاث سنين وأربعة أشهر في زمن هرمز بن كسرى أئو شروان .
- ١٩ - التهمان بن المنذر ، وكان ملكه التتتين وعشرين سنة ، من ذلك سبع سنين وثمانية أشهر في زمن هرمز بن أئو شروان ، وأربع عشرة سنة وأربعة أشهر في زمن كسرى بن هرمز .
- ٢٠ - لإياس بن قيصة ومعه (البحر جان) (النخر جان) ، وكان ملكه مدة سبع سنين في زمن أبرويز .
- ٢١ - زاديه بن مساهيان بن مهرا بنداد الهمداني ، وقد ملك سبع عشرة سنة ، من ذلك أربع عشرة سنة وثمانية أشهر في زمن أبرويز ، وثمانية أشهر في زمن شبرويه بن أبرويز ، وسنة وسبعة أشهر في زمن أردشير بن شبرويه ، وشهراً واحداً في زمن بوارن بشت أبرويز .
- ٢٢ - المنذر بن التهمان بن المنذر ، وكان ملكه وملك غيره الى أن ورد خالده بن الوليد الخيرة ثمانية أشهر .
- وقد ذكر حمزة أن جميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالخيرة خمسة وعشرون ملكاً حكموا في مدة سبائة وثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً . لكنه ذكر في مكان آخر أن الخيرة عمرت « خمائة وبضعاً وثلاثين سنة الى أن وضعت الكوفة ونزلها عرب الاسلام » .
- وقد استند حمزة في تأليف قائمته هذه على رواية ابن الكلبي في تاريخ الطبري ، وعلى رواية محمد بن حبيب وعلى ابن قتيبة ، ولذلك خالفت قائمته هذه بعض المخالفة قائمة الطبري في الأسماء وفي السنين .

١ حمزة (ص ٦٥ وما بعدها) ، (٧٥) .

٢ حمزة (ص ٦٥) .

ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي :

وأما (الخوارزمي) ، فقد رتب أسماء ملوك الحيرة على هذا الشكل :

- ١ - مالك بن فهم .
- ٢ - ثم ابنه جذيمة الأبرش .
- ٣ - ثم عمرو بن عدي .
- ٤ - ثم امرؤ القيس البله .
- ٥ - ثم ابنه عمرو ، وهو ابن هند .
- ٦ - ثم أوس بن قلام .
- ٧ - ثم امرؤ القيس البليد . وهو محرق الأول .
- ٨ - ثم ابنه النعمان الذي بنى الخورنق والسدير . وفارس حلبة ، وهو السائح والأحور .
- ٩ - ثم ابنه المنذر .
- ١٠ - ثم ابنه الأسود .
- ١١ - ثم المنذر بن المنذر .
- ١٢ - ثم النعمان بن المنذر .
- ١٣ - ثم النعمان بن الأسود .
- ١٤ - ثم أبو يعفر بن علقمة .
- ١٥ - ثم امرؤ القيس بن النعمان . وهو صاحب سيار .
- ١٦ - ثم ابنه المنذر ، وهو ابن ماء السماء .
- ١٧ - ثم الحارث بن حجر الكندي ، آكل المرار .
- ١٨ - ثم المنذر بن ماء السماء .
- ١٩ - ثم ابنه عمرو بن هند ، وهو مضطرب الحجارة ومهرق الثاني .
- ٢٠ - ثم ابنه قابوس بن المنذر .
- ٢١ - ثم فيسهر بن القارمي في زمن أئو شروان .
- ٢٢ - ثم المنذر بن المنذر ، وأخوه عمرو بن هند .

٢٣ - ثم النعمان بن المنذر . وهو آخر ملوك الحمْ .

٢٤ - ثم إياس بن قبيصة الطائي .

٢٥ - ثم زادويه الفارسي .

٢٦ - ثم المنذر بن النعمان بن المنذر^١ .

١ مطابيح الملوك (٦٨ وما بعدها) .

الفصل التاسع والثلاثون

ملكة كندة

كندة قبيلة قحطانية في عرف النسابين ، تنسب الى (ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) ، و (ثور) هو (كندة)^١ .
وقد عرفت عند الأخباريين بـ (كندة الملوك)^٢ ، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان^٣ . ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل . وكانوا يتعززون بنسبهم الى كندة ، والى (آكل المرار) ، لأنهم كانوا ملوكاً^٤ .
و (كندة) هي (كندت) القبيلة التي ورد اسمها في نصوص المستند ، مثل نص (أبرهة)^٥ . بل ورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير .

١ الاشتقاق (٢١٨/٢) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٢٩٩) ، الأكليل (٥٠٤/١٠) ، منتخبات (ص ٩٤) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) نهاية الأرب (٢٨٧/٢) ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، Enc. II, p. 1028.

٢ كندة هي من اليمن منهم كانت الملوك) ، منتخبات (ص ٩٤) ، (فالحيرلي عن كندة ، قال : ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد) ، مروج (٣٢٥/٢) ، (ذكر خلافة عمر) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الطبري (١٣٩/٢) (دار المعارف بمصر) .

٥ Glaser, Zeit Inschriften über den Dammbruch von Marib, B. 55, Gannar

Ölinder, The Kings of Kinda, 1927, P. 33.

وسيكون رمزه : Ölinder

اذ ورد في النص : (Jamme 635) ، المسدون في أيام الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذوي ريدان . وقد كانت قد انضمت الى حلف معاد للملك المذكور على نحو ما تحدثت عنه . وكان يحكم (كندة) كندة في ذلك الوقت ملك اسمه (ريعت) ، أي (ربيعة) ، وذكر انه من (ذ ثورم) (ذ الثورم) ، أي من (الثور) (آل ثور) ، وأنه كان ملكاً على (كندة) كندة وعلى (قحطان) أي (قحطان)^١ .

فنحن على هذا النص أمام مملكة كندية كانت قد تكونت في أيام (شعر أوتر) أي في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك فيما لو جازينا رأي (جامة) وسرنا مسراه في تقدير أيام (شعر أوتر)^٢ . وقبل هذا الوقت فيما لو ذهبنا مذهب غيره ممن يرجعون مبدأ تأريخ سبأ الى أقدم من تقديره ومن تقدير (ريكنسن) . ونحن أيضاً بموجبه أمام ملك من ملوك كندة اسمه (ريعت ذا الثورم) أي (ربيعة) من (الثور) ، أي من (آل ثور) ، فهو إذن من صميم كندة . وقد رأينا أن أهل الأخبار ينسبون كندة الى (ثور بن عفير) ، ويظهر أنهم أخذوا (ثور) القديم ، وهو اسم عائلة أو بيت أو عشيرة من كندة ، فصبروه الجدة الأكبر لكندة . وأعطوه النسب الطويل المذكور .

ويلاحظ أن الملك (ربيعة) كان يحكم إذ ذاك (كندة) ، كما كان يحكم (قحطان) . و (قحطان) في هذا الوقت قبيلة ، كانت متحالفة مع (كندة) . ومن هذا الاسم أخذ الأخباريون قحطانهم ، فصبروه جد العرب القحطانيين . وقد ورد اسم قحطان في نص آخر وسم به (REP. EPIG., 4304) . هنا نصه : (عبد شمس سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)^٣ . وهو نص سبق أن تحدثت عنه ، وقلت إنه في نظري مصنوع موضوع ، وأعتقد ان صالعه وضعه لغاية واضحة هي إثبات أن ما يذكره أهل الأخبار عن نسب سبأ ، هو صحيح ، وأنه وارد مذكور في المستند . وبين (صنعاء) و (زيد) مدينة تعرف به (قحطان)^٤ .

١ السطر ٢٧ من النص : (Jamme 635).

٢ Mahram, P. 391.

٣ REP. EPIG. 4304, Orientalia, V, 1936, P. 63.

٤ Mahram, P. 138.

وكانت كندة (كندت) مستقلة وعلى رأسها ملك، في أيام (الشرح بحضب) كذلك . وكان ملكها إذ ذاك من المناهضين للمعادين للملك (الشرح بحضب) ، فاشترك كما رأينا في أثناء بحثنا عن (الشرح) في الحلف الكبير الذي تألف ضد مملكة (سبأ وذى ريدان) ، والذي امتد من الجنوب نحو الشمال ، وشمل البر والبحر . وقد أصيبت (كندة) بهزيمة في القتال الذي نشب بينها وبين جيش (سبأ) ، ووقع ملكها واسمه إذ ذاك (ملكم) مع عدد من رؤسائها وكبرائها (مراس واكبرث) ، في الأسر . وسبقوا إلى (مأرب) ، وأبقوا في الأسر حتى وافقوا على وضع أولادهم رهائن عند ملك (سبأ وذى ريدان) وعلى إعطاء عهد بعدم التحرش مرة أخرى بمملكة (سبأ وذى ريدان) وبمساعدة أعدائها . وقد وافق (مالك) على إعطاء عهد بما طلب منه ووضع ابنه رهينة ، كما وضع رؤساء وكبراء كندة أولادهم رهائن لديه ، فأخرج بذلك عنهم^١ .

وقد قادت كندة بعد هذا العهد استقلالها في وقت لا نستطيع تحديد الآن ، لعدم ورود شيء عنه في النصوص، وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذى ريدان وحضرموت ومجنت) ، إذ ورد في النصين (Jamme 660) و (Jamme 665) أنها كانت تابعة إذ ذاك لحكم هذه الدولة . يغير النص : (Jamme 660) ، أن كندة كانت تحت حكم حاكم من حكام (شهر يهرش) ، سقط اسمه الثاني من النص وبقي اسمه الأول وهو : (وهب أوم) (وهب أوم) (وهب أوم) ، وإن ذلك الحاكم كان يدير بالإضافة إلى كندة قبائل حضرموت وملحج و (بهلم) (باهلة) و (حدان) و (رضوم) و (أظلم) ، ومعنى ذلك أنه كان يدير منطقة واسعة تسكنها قبائل متعددة ، في جعلتها كندة التي صارت تحت حكم ملوك سبأ^٢ .

ويغيرنا النص : (Jamme 665) ، أن رجلاً من (جدتم) (جدن) كان كبيراً (كبير) على (أعراب ملك سبأ) (أعراب ملك سبأ) وعلى (كندة) (كندت) و (ملحج) وعلى (حررم) (حريرم) (حرر) (حرار) (حرير) وعلى (بهلم) (باهلم) (باهل) (باهلة) وعلى (زيد ايل) ، وعلى كل

1 Jamme 576, MaMb 212, Mahram. PP. 67, Geukens 3.
2 السطر الثاني من النص : Jamme 660, MaMb 186, Mahram. P. 164.

أعراب سبأ (وكل أعراب سبأ) وعلى حبر وحضرموت وجمت^١ . وقد عبته بدرجة (كبر) أي (كبر) ، وهي من أعلى الوظائف في الدولة الملك (ياسر بنعم) وابنه (ذراً أمر أمين) . ومعنى هذا ان كندة كانت تابعة أيضاً في هذا العهد لحكم سبئين ، وان ذلك الكبير كان يدبر منطقة واسعة وضعها الملكان تحت تصرفه .

ويرى (جامة) ان أرض كندة يجب أن تكون في جنوب (قشقم) (قشم) (قشام) (قشقم) ، وذلك لأن النص : (Jamme 660) يضعها بين (حضرموت) و (ملحق) ، فبرى لذلك ان منازلها في ذلك الوقت كانت عند هذه المواضع^٢ . والمعروف اليوم ان أول من ذكر اسم (كندة) من المؤلفين الكلاسيكيين على وجه لا يقبل الشك أو الجدل ، هو (ثوتوسوس) ، وقد دعاها باسم (Kindynol) أي (كندة) ، وذكر أنها وقبيلة (مادينوى) (Maddynol) (معد) ، هما من أشهر القبائل العربية عدداً ومكانة ، يحكمها رجل واحد اسمه (Kaisos) أي (قيس)^٣ .

وعلى أخبار الأخباريين معولنا في تدوين تاريخ كندة . وفي مقدمة هؤلاء ابن الكلبي الأخباري المعروف ، وله مؤلف خصصه بتاريخ كندة ، سماه : (كتاب ملوك كندة) ومؤلفات أخرى لها علاقة بهذه القبيلة^٤ ، وأبو عبيدة والأصمعي ، وعمر بن شبة ، وأمثالهم ممن سترد اسمائهم في ثنايا صحائف هذا الفصل . وهي أخبار تمثل جملة نزعات وانجاسات تصور تحزب أولئك الأخباريين ومبولوجم الى هذه القبيلة او تلك ، فبينها أخبار تميل الى تأييد أهل اليمن ، وبينها أخبار ترجح كفة (كندة) ، وبينها أخبار ترجع الفضل الى كلب ، وبينها أخبار تؤيد بني أسد ، وطبيعتها على العموم من طبيعة ما يرويه لنا الأخباريون من روايات عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، فيها العصبية القبلية والتحزب ، فيجب ان ننظر اليها اذن بخلفية سليمة .

١ السطر الاول فما بعده حتى السطر الرابع من النص .

Māhram, P. 318, 372.

Olinder, PP. 114.

٢ راجع أيضاً مقدمة (أوليندر) (Olinder) عن الموارد التي يستعان بها في تدوين تاريخ كندة من الصفحة التاسعة فما بعد . الفهرست (٩٨) ، (طبعة خياط) .

وقد ذكر حمزة أنه نقل أخبار ملوك كتنة من (كتاب أخبار كتنة)^١، وأغلبه قصد كتاب ابن الكلبي ، الذي أشرت إليه . وفي استطاعة الباحث العثور على الموارد التي نفيدها في تسدين تأريخ كتنة ومعرفة اتجاهاتها وتعيين أسمائها . و (الفضليات) و (الأغاني) و (التفاضل) وأمثالها وبقية كتب الأدب ، هي خير أمثلة لتطبيق ما أقول .

وبذكر الأخباريون أن مواطن (كتنة) الأصلية كانت بجبال اليمن مما يسلي حضرموت^٢ . وقد أطلق (المحدثاني) عليها (بلد كتنة من أرض حضرموت)^٣ . وذكر ياقوت أن كتنة بخلاف باليمن ، هو باسم قبيلة كتنة^٤ ، وروى رواية لابن الكلبي تفيد أن هذه القبيلة كانت تضم في دهرها الأول في (غر ذي كتنة) أي في مواطن العدنانيين ، ومن هنا احتج القائلون في كتنة ما قالوا من نسبهم في عدنان، وهو يدل على وجود فريق كان يرى أن قبيلة كتنة من قبائل عدنان^٥ ويدل هذا الاختلاف على اختلاط كتنة بالقحطانيين والعدنانيين ، ومن أمثال هذا الاختلاط تتولد الأسباب .

ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كتنة قبل استقرارهم في (غر ذي كتنة) وكيف وصلوا إلى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم إلى حضرموت قبل الإسلام . وقد تحدث يعقوبي عن حرب وقعت بين كتنة وحضرموت . طال أمدها ، وهلك فيها جمع من الرؤساء ، منهم : (سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب) ، و (عمر بن زيد) وكان على (بني الحارث بن معاوية) و (شرحبيل ابن الحارث) وكان على السكون ، وهؤلاء من كتنة ، و (مسعر بن مشعر) و (سلامة بن حجر) و (شرحبيل بن مرة) ، وهؤلاء من حضرموت . فلما ملكت حضرموت (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذ غلام ، لانت كتنة بعض اللين ، وكرهت محاربه حضرموت ، وكان القتل قد كثُر فيها ، فصارت كتنة إلى أرض معد ، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع بن

١ حمزة (ص ٩٢) ، (كتنة) (السكون) (السكاسك) . الفهرست (٩٨/١) .
(طبعة فلوكل) .

٢ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٣ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢٨٤/٧) .

٥ البلدان (٣٠٤/٦) ، الأغاني (١٦٠/١١) ، الفضليات (ص ٤٢٧) .

معاوية بن ثور (فلك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ثور ، ثم ابنه معاوية بن ثور ، ثم الحارث بن معاوية ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، وملك بعده حجر بن عمرو المعروف بـ (آكل المرار) الشهير الذي حالف بين كندة وربيعة باللقاب وتولى الملك فهؤلاء إذن هم أسلاف (حجر بن عمرو) ، حكموا كندة ومعداً على رأي اليعقوبي قبل حجر بسنين .

وفي رواية لابن الكلبي أن « أول من أنشأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وذلك أن مالك بن كنانة فكح إلى معاوية بن ثور الكندي ، وهو يومئذ في كندة ، وكانت النسأة قبل ذلك في كندة ، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كندة من أرواف المقاول »^١ . وتدل هذه الرواية على أن هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة إلى معد ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان ، مع أن السابن يعدونها من قبائل قحطان . وأقدم رجل في كندة تحدث عنه الأخباريون بشيء من التفصيل والوضوح ، هو (حجر) الملقب بـ (آكل المرار)^٢ ، وهو ينسب إلى (عمرو بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية) على رواية^٣ ، وإلى (عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة) على رواية أخرى^٤ .

- ١ (الذئب) ، الصفة (ص ١٢٢ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٩) . البلدان (١٩٧/٤ وما بعدها) . اليعقوبي (١٧٦/١ وما بعدها) . (طبعة النجف) .
- ٢ الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١١٨/١) (المطبعة المأجدية بمكة سنة ١٣٥٢) .
- ٣ المرار : عشب من إذا أكلته الأبل قلصت عنها مشاقرها فبدت أسنانها . قيل سمي حجر آكل المرار لكثرة كان به ، وقيل لأن ابنة له سبها ملك من ملوك سليل يقال له (زياد بن هبولة) من الضجاعة ، فقالت له ابنة حجر : (كانك بأبي قد جاء كأنه جميل أكل المرار ، تعني كاشراً عن أتيابه ، وقيل : أنه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل المرار حتى شبع ، فعرف يأكل المرار . وهناك روايات أخرى في هذا المعنى . راجع : اليعقوبي (١٧٧/١) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) ، شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار الرافضة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام (ص ١) .
- ٤ الحسن السندوبي ، اللسان (١٧١/٤) .
- ٥ حمزة (ص ٩٢) .
- ٦ ابن خلدون (٢٧٣/٢) .

ورويت روايات أخرى تختلف عن هذه السلسلة بعض الاختلاف^١. وذكر أنه كان أخاً لـ (حسان بن تبع) لأمه. فلما دوت^٢ (حسان) بلاد العرب، وسار في الحجاز، وهم^٣ بالانصراف، ولّى أخاه (حجراً) عمل (معد بن عدنان) كلها، فدانوا له، وسار فيهم أحسن سيرة^٤.

وفي رواية أخرى من روايات الأخباريين أن التابعة كانوا يصاهرون (بني معاوية ابن عزة) من كندة، وكانوا يملكون في (دمون)، ويولونهم على (بني معد ابن عدنان) بالحجاز، فكان أول من ولي منهم (حجر آكل المرار)، ولأهـ (تبع بن كرب) الذي كسا الكعبة، وولي بعده ابنه (عمرو بن حجر)^٥. فيفهم من هذه الرواية أن (بني معد) كانوا أتباعاً للتابعة يعبتون عليهم من يشامون من الناس.

وفي رواية ترجع إلى ابن الكلبي، مفادها أن تبعاً المعروف بـ (أبي كرب) حين أقبل سائراً إلى العراق نزل بأرض معد، فاستعمل عليها (حجراً آكل المرار)، ومضى لوجهه. فلما هلك، بقي حجر لحسن سيرته مطاعاً في مملكته. وملك الشام يومئذ (زياد بن المهولة السبيعي) والملك الأعظم في بني جفنة، وزياد كالتغلب على بعض الأطراف، فقتله حجر، وقد بقي حجر حتى خرف، وله من الولد: عمرو ومعاوية^٦.

فيظهر من الرواية المتقدمة أن حجراً كان معاصراً لـ (زياد بن المهولة السبيعي) وهو ملك عرب الشام يومئذ، ويذكر حزة أن (حجراً) قتله^٧.

وفي رواية أخرى أن حجراً هو أول ملوك كندة. وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليها بغير ملك، فأكل القوي الضعيف، فلما ملك حجر سدّد أموالها وسانسها أحسن سياسة، وانتزع من الخصمين ما كان بأيديهم من أرض (يكسر ابن وائل). وبقي حجر كذلك حتى مات^٨. فـ (حجر) على هذه الرواية

- ١ الإغاني (٨٢/١٥) -
- ٢ ابن خلدون (٢٧٣/٢)، ابن قتيبة: المعارف (ص ٣٠٨) -
- ٣ ابن خلدون (٢٧٦/٢) -
- ٤ حمة (ص ٩٢)، ابن خلدون (٢٧٣/٢)، الإغاني (٨٢/١٥) الحبير (ص ٣٦٨ وما بعدها) -
- ٥ حمة (ص ٩٢) -
- ٦ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) (الطبعة الحسينية) -

أول ملك من ملوك كتنة ، وأول زعيم من زعمائها تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى ، ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لحم .

وذكر عدد من الأخباريين أن والد (حسان تبع) هو (أسعد أبو كرب) ، المعروف بـ (تبع الأوسط) ، وهو ابن (كل كرب بن تبع)^١ . وقد ذهب (هارتمن) (Hartmann) إلى أن (حسان تبع) هذا هو (شرجيل يعفر) المذكور في نص (Glaser 554) الذي يعود تأريخه إلى سنة (٤٥٠) للميلاد ، وهو ابن (أب كرب أسعد) الذي حكم على تقدير (هومل) من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠) للميلاد^٢ ، غير أننا يجب أن نأخذ أمثال هذه الأمور بحذر^٣ ، خاصة فيما يتعلق بفتوحات التبابعة واتساع ملكهم وغير ذلك مما يقتضيه علينا الأخباريون .

ونزل حجر على رواية بنجد بـ (بطن عاقل) ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد (بكر بن وائل) ، فنهض بهم وحارب اللخمين ، واستخلص أرض بكر منهم^٤ . ويقع (بطن عاقل) في جنوب (وادي الرمة) على الطريق بين مكة والبصرة^٥ .

وبعدنا بعض الرواة أن حجراً بينا كان يعزو عماناً ، بلغ ذلك (الحارث بن الأهميم) (الأهميم بن الحارث الغساني) ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً لحجر ، وقبيلة من أحب قيامه إليه ، وانصرف ، فقال للقبيلة : « ما ظنك بحجر؟ » فقالت : « لا أمره ينال إلا وعضو منه يفظان ، وليأتيتك فالغراً فاه كأنه يعبر أكل مراراً ، فإن رأيت أن تنجو بنفسك فافعل » ، فاعلمها الغساني فإلشوا أن لحقهم حجر كما وصفت ، فرد القبيلة والأموال ، وكان حجر قد رجع من غزاة عمان وهو يقول بعد أن بلغه غارة الغساني : « لا عزو إلا بالنعقيب »^٦ وذكر (الهمداني) في معرض تفسيره لـ (آكل المرار) مضمون هذه الرواية دون

١ المعارف (ص ٣٠٧) ، حمزة (ص ٨٥ وما بعدها) .

Handbuch, S. 104. Hartmann, Die Arabische Frage, S. 481.

Glinder, P. 40.

٢ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٦) .

٣ البلدان (٩٨/٦) ، Glinder, P. 42.

٤ منتخبات (ص ٩٧) .

أن يشير إلى اسم الغساني ، أو اسم الموضع الذي كان حجر يفرز فيه^١ . وذكرت بعض الروايات الحارث بن جبلة بدلاً من الحارث بن الأعم (الأبهم) بن الحارث الغساني^٢ .

وذكر الميداني القصة نفسها عن (الحارث بن متدة القسجمي) من (بني سليح) . أما (ابن هشام) ، فجعله (عمرو بن الهبولة الغساني)^٣ .

وفي رواية أخرى أن الغازي هو (زياد بن الهبولة) ملك الشام ، وكان من (سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، غزا ملك حجر في أثناء الغارة حجر في كندة وريعة على البحرين ، فأخذ الحرم والأموال ، وسبي (هنا) بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية (زوجة حجر . فلما سمع حجر وكندة وريعة ، عادوا من غزوهم في طلب (ابن الهبولة) ومع حجر أشراف ربيعة (عوف بن علم بن ذهل بن شيان) ، و (عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان) ، وغيرهما ، فأدركوا (زياداً) (عمراً ؟) ب (البردان) دون عين أباه ، وقد أمن الطلب ، فترل حجر في سفح جبل ، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصمصحان على غله يقال له (حنجر) ، ووقعت معركة تغلب فيها حجر على خصمه ، وأخذ زياد أسيراً ، ثم قتل ، واسترجعت منه هند في قصة معروفة مشهورة فيها شعر على الطريقة المألوفة عند الأخباريين^٤ . ونقول الرواية أنه بعد أن انتقم والتصر ، عاد إلى الحيرة^٥ . وقد عرفت هذه المعركة بـ (يوم البردان)^٦ .

ويلاحظ أن ابن الأثير أورد في روايته عمراً بدلاً من زياد أي زياد بن الهبولة ملك الشام كما هو مقتضى الكلام ، وأورد في نهاية القصة هذه الجملة : ثم عاد إلى الحيرة وهي تشير إلى موضع حجر كان في الحيرة ، ولم يذكر أحد أنه كان فيها .

- ١ الصفة (ص ٨٦) .
- ٢ الأغاني (٦٣/١٣) . Otinder, P. 44.
- ٣ Otinder, P. 45.
- ٤ ابن الأثير (٢٠٧/١) . الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة) . Otinder, P. 43.
- ٥ ابن الأثير (٢٠٨/١) . (البردان) . نأج العروس (٣٠٠/٢) . القاموس (٢٧٧/١) .
- ٦ ابن الأثير (٢٠٧/١) وما بعدها .

ويظهر أن المورد الذي نقل منه ابن الأثير أو أصحاب القصة ، لم يحسن حبكها ،
أو أنه غلط بين قصتين ، فظهرت في هذا الشكل .

وقد انتبه ابن الأثير إلى هذا الاضطراب ، فقال : « هكذا قال بعض العلماء :
أن زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجراً . وعلينا غير صحيح ، لأن
ملوك سليج كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى (قنسرين) ، والبلاد
للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم ، كما
كان ملوك الحيرة عمالاً لملوك القرس على البر والعرب ، ولم يكن سليج ولا
غسان مستقلين بملك الشام ، وقولهم ملك الشام غير صحيح .

وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام ، أقدم من حجر آكل المرار
بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة
والعرب بالعراق أيام قباذ أبي أنوشروان ، وبين ملك قباذ والمهجرة نحو ثلاثين
ومئة سنة . وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليج سبعمائة سنة ، وقبل خمسمائة
سنة ، وأقل ما سمعت فيه ست عشرة سنة وثلاثمئة سنة ، وكانوا بعد سليج ،
ولم يكن زياد آخر ملوك سليج ، فتزيد المدة زيادة أخرى ، وهذا تفاوت كثير ،
فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه ، وحيث طبقت
رواية العرب على هذه الغزاة ، فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن
زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم ، أو متغلباً على بعض أطراف
الشام . وبهذا يستقيم هذا القول والله أعلم .

وقولهم أيضاً أن حجراً عاد إلى الحيرة لا يستقيم أيضاً ، لأن ملوك الحيرة من
ولد عدي بن نصر اللخمي ، لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ ، فسلانه استعمل
الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، كما ذكرنا من قبل ، فلما ولي أنوشروان ،
عزل الحارث ، وأعاد اللخمين . ويشبه أن يكون بعض الكتبيين قد ذكر هذا
تعصياً ، والله أعلم .

إن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ، ولم يذكر أن ابن هبولة من سليج ، بل قال :
هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده إلى الحيرة ، فزال
هذا الوهم .^١

١ ابن الأثير (٢٠٨/٦) وما بعدها .

وبهذا التعليق أراد ابن الأثير اصلاح ما جاء في الرواية المذكورة من اوهام .
ولكن تعليقه نفسه فيه اوهام وأخطاء من حيث عدد السنين وتقدير المدة وما شاكل
ذلك من أمور ترد في روايات أهل الأخبار .

ولا تعرف متى توفي حجر ، وقد ذكر ابن الأثير انه توفي به (بطن عاقل)
وبه دفن^١ . ويرى (أوليندر) (Olinder) استناداً الى تقدير سنة وفاة الحارث
حفيد . (حجر) سنة (٥٢٨) للميلاد ، والى تقدير مدة حكم الفجاعة من
(بني سليح) ، انه حكم في الربع الأخير من القرن الخامس للميلاد^٢ .

ويرى بعض الباحثين ان (حجرأ) هو (Ogarus) المذكور في بعض النقاوم
في حوادث السنين ٤٩٧ و ٥٠١ و ٥٠٢ للميلاد . وقد ذكر معه اسم أخ له عرف
به (Badicharimus) أي (مديكرب) ، كما ذكر أحد أحفاده وهو (Aretha)
أي الحارث^٣ .

ونسب الأخباريون لـ (حجر) ثلاث زوجات ، هن : (هند) ابنة (ظالم
ابن وهب بن الحارث بن معاوية) ، وتعرف به (هند الخنود) ، و (أم
أناس بنت عوف بن عجم الشيباني) وهي أم (الحارث بن حجر)^٤ ، وأما الثالثة
فن حجر^٥ .

وفي ديوان الشاعر الجاهلي (بشر بن ابي خازم الأسدي) قصيدة يمدح فيها
(عمرو بن أم أناس) ، أو (أم أبياس)^٦ ، وهو من (كتلة) . وأم أناس
هي ابنة (عوف بن عجم الشيباني) الذي يضرب به المثل ، فيقال : لا حر
برادي عوف ، وهو من بيت شرف قديم ، لم قبة يقال لها (المعادة) من
لجأ إليها أعاقوه^٧ . ومما جاء في مدح هذا الشاعر له :

١ ابن الأثير (٢٠٩/١) .

Olinder, P. 44.

Provincia Arabia, III, S. 206.

٢ الاغانى (١٥٩/٩) (٨٢/١٥) ، جبهة ابن حزم (٢٢٢) ، الزوزني ، شرح
التصانيد العشر (٧) .

Olinder, P. 41.

٣ بالياء في ديوان بشر حسب تحقيق الناشر .

٤ الاشتقاق (٢١٥) .

والمناجح المنة المهجان بأسرها تُزجى مطالعها كجنة يثرب
ولرب زحف قد صحت بجمعه قلبته رهواً بأرهن مُطعِب
بالقوم مجتاهي الحديد كأنهم أسد على لحق الأباطيل شرباً

ويستفاد من هذه القصيدة أن المدح ، وهو عمرو ، كان كريماً سخياً يهب
المئات من الإبل المهجان الطيبة الأعراق ، وأنه كان صاحب جيش قوي . ويتعلق
هذا الوصف على (عمرو بن حجر) . أكثر من انطباعه على (عمرو بن الحارث)
جدة (امرئ القيس) ، وذلك على رواية من زعم أنه كان للحارث جد
الشاعر المذكور ولد اسمه (عمرو) من زوجة له دعوها (أم أناس) ابنة (عوف
ابن عظم الشيباني) . إذ لم يكن وضع أولاد الحارث وضعاً حسناً بعد النكبة التي
نزلت بمصيبة والدهم وبتعقب المنذر بن ماء السماء لهم ، وبثورة القبائل عليهم .
فليس من المعقول أن يهب (عمرو) تلك الهبات وأن يجمع له جيش لجب .
خاصة وأن الرواة لم يذكروا اسمه في جملة أسماء أبناء الحارث الذين ملكهم على
القبائل في حياته أو الذين ورثوا ملكه بعد مماته .

وقد نص (ابن قتيبة) في كتابه : (المعاني الكبير) على أن (عمرو بن
أم أناس) ، هو (عمرو بن حجر الكندي) ، الذي كان جده (عمرو بن
هند) ، وهند أم (عمرو بن هند) هي ابنة . وذكر أن (أم عمرو بن حجر)
هي (أم أناس بنت ذهل بن شيان بن ثعلبة) ، وأنه هو المذكور في شعر
الحارث بن حلزة ، إذ يقول :

وولدتنا عمرو بن أم أناس من قريب لما أئانا الحباء^١

وقد اختلف أهل الأخبار كما رأينا في السبب الذي حل الناس على تلقب
(حجر) بـ (آكل المرار) . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ذكروها في أثناء
حديثهم عنه^٢ .

- ١ ديوان بشر (٣٩) ، الأغاني (٨٢/١٥) وما بعدها .
- ٢ كتاب المعاني الكبير (٥٣١/١) وما بعدها .
- ٣ الأغاني (٦٠/٨) (مطبعة مطبعة التقدم) ، التبريزي ، القصائد العشر ، (ص ٤) ،
الجاسق ، البيان والتنبيه (٣٢٨/٣) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ،
الكامل ، لابن الأثير (٣٠١/١) ، (الطباعة النورية) ، دائرة المعارف ، للبستاني
(١٢٢/١) ، الأغاني (٨٢/١٥) .

وصار (عمرو بن حجر) المعروف بـ (المقصور) ملكاً بعد أبيه. ويقولون إنه إنما قيل له (المقصور) لأنه قصر على ملك أبيه ، أو لأن (ربيعة) قصرته عن ملك أبيه ، ولذلك سمي المقصور^١.

وكان له (عمرو) كما يقول الأخباريون الخ اسمه (معاوية) ، ويعرف بـ (الجون)^٢ (الجوف)^٣ ، كان نصيبه (الهامة) . ويظهر من هذا الخبر أنه اخذ من شقيقه هذه المنطقة وترك الأرضين الباقية لأخيه .

ويذكر أهل الأخبار أن (عمرو) و (معاوية) شقيقه هي (شعبة بن أبي معاصر بن حسان بن عمرو بن تبع)^٤ . ويظهر من هذا النسب أنها كانت من أسرة بمانية ربيعة ومن البيوت التي كانت تحكم بعض المقاطعات .

وورد في رواية أن (عمراً) غزا الشام ومعه ربيعة ، فلقبه الخارث بن أبي شمر الغساني قتلته . ولم يصف (يعقوبي) صاحب الرواية المذكورة إلى هذه الرواية شيئاً عن حياة (عمرو) المقصور^٥ . أما (حمزة) ، فلم يشر إليه بشيء^٦.

وفي رواية أن ربيعة حينما قصرت عمراً عن ملك أبيه ، استنجد عمرو المقصور (مرثد بن عبد بنكف الحميري) على ربيعة ، فأمدّه بجيش عظيم . فالتقوا بـ (القنان) ، فشد عامر الجون على عمرو المقصور قتلته^٧ . فهذه الرواية تنفي رواية من يقول أن الخارث بن شمر الغساني هو الذي قتلته .

وإذا صحت الرواية المتقدمة ، تكون (ربيعة) قد ثارت على (ابن حجر) لأنها أرادت التخلص من حكم كندة لها . وقد تمكنت من ذلك على الرغم من المساعدة الهامة التي قدمت له .

ويظهر من الروايات الواردة عن عمرو ومن تلقبه بلقب : (المقصور) ومن

-
- ١ ابن الأثير (٢٠٩/١) . الحبر (ص ٣٦٩) . الفضليات (ص ٤٢٩) . الأغانى (٦٠/٨) .
 - ٢ ابن الأثير (٢٠٩/١) . الأغانى (٨٢/١٥) . الحبر (ص ٣٦٩) .
 - ٣ (الجوف) . الأغانى (٦١/٨) . وهو تصنيف . والصحيح (الجون) . (٧٩/٩) (طبعة دار الكتب) .
 - ٤ الأغانى (٦٠/٨) .
 - ٥ يعقوبي (١٧٧/١) . الأغانى (٦٥/٨) .
 - ٦ حمزة (ص ٩٢) .
 - ٧ يوم القنان . الفضليات (ص ٤٢٩) . البلدان (١٦٥/٧) .

الشروح التي ذكرها الرواة في تفسير هذه الكلمة ، أن (عمرأ) لم يكن قوياً صاحب عزم وإرادة ، وأنه اكتفى بما وقع له من أليه ، فلم يسع في توسيعه وتقويمه ، وأن حكمه على ما يظهر لم يكن طويلاً ، وقد جعله ابن الكلبي في جملة من كان بخدم (حسان بن تبع) تبع حمير ، ولم يلقه بلقب ملك ، بل قال : إنه كان سيد كندة في زمانه . وذكر أن (حسان بن تبع) حين سار إلى جديس ، خلفه على بعض أموره . فلما قتل (عمرو بن حجر) أخاه (حسان بن تبع) ، وملك مكانه اصطنع (عمرو بن حجر) ، وكان ذا رأي ونبل ، وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصفير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة (حسان بن تبع) ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطمع في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة (حسان بن تبع) لعمرو بن حجر (الحارث) التي عينته (تبع بن حسان بن تبع بن ملكي كرب ابن تبع الأقرن) ، أي خال (الحارث) على بلاد معد^١ .

ويظهر من رواية مرجعها ابن الكلبي أن الأسود بن النضر ملك الحيرة ، كان قد تزوج ابنة لـ (عمرو بن حجر) ، فولدت له (التمان بن الأسود) الذي حكم في زمن (قباذ) أربع سنين ، ولذلك عرفت بـ (أم الملك)^٢ . وانتقل الملك على رأي أكثر الأخباريين من عمرو إلى ابنته الحارث : وهو المعروف بـ (الحارث الحرابي) على بعض الروايات^٣ . وقد ورد في شعر الشاعر (ليد) هذا البيت :

والحارث الحرابي عاقل عاقل^٤ داراً أقام بها ولم يتنقل

وقد ذهب الأصمعي إلى أن الشاعر المذكور قصد بـ (الحارث الحرابي) الحارث الذي تحدث عنه . وذلك لأن (عاقلًا) من ديار كندة . وهو جبل كان يسكنه (حجر أبو امرئ القيس)^٥ . وإذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا أن نقترض أنه كان قد أقام بموضع عاقل وحكم منه في أغلب الأوقات .

١ الطبري (٨٦/٢) .

٢ الطبري (٩٠٠/١) . حمزة (ص ٦٩) .

٣ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص ٥٥ . ٢٧٥) .

٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٧٥) .

وقد نعت (حمزة) الحارث بـ (المقصور)^١ . وقد رأينا ان جماعة من الأخباريين منحت هذا القالب (عمرو) .

وقد اختلف الرواة في ام (الحارث) ، فذهب بعض منهم الى انها ابنة (حسان بن تبع)^٢ ، وذهب بعض منهم الى انها (ام أناس)^٣ أو (ام اياس)^٤ بنت (عوف بن محم بن ذهل بن شيان) ، وامها (أمامة بنت كسر بن كعب ابن زهير بن جشم) من نعلب* .

وفي رواية اخرى ، ان (ام أناس) ، كانت زوجة لـ (حجر) وهي ام (الحارث بن حجر) و (هند بنت حجر) . ولذلك فهي ليست أما للحارث ابن عمرو المقصور ، كما جاء في الرواية المتقدمة . ويظهر ان مرد هذا الاختلاف يعود الى تشابه الاسمين ، والى عدم تمييز الرواة بينها . ويكون (الحارث بن حجر) المذكور اخن شقيقاً لعمرو بن حجر^٥ .

وقد ذكر (ثيوفانس) رئيساً عربياً دعاه (الحارث من بني ثعلبة) (Aretas O. Thalabaynys) ، بطن (أوليندر) انه (الحارث الكندي)^٦ ، ويرجع لذلك الرواية الثانية التي تجعل ام الحارث (ام أناس) (ام اياس) . ذلك لأن (ام أناس) من شيان ، وشيان هو ابن ثعلبة في عرف النسابين ، فيكون هذا الحارث على رأيه هو الحارث الكندي .

ولست أستطيع الجزم بهذا الرأي ، فان (الحارث) من الأسماء المعروفة الكثيرة . الاستعمال عند العرب في بادية الشام وفي بلاد الشام ، وشمال الحجاز ونجد ، وقد عرفنا أسماء عدد من الأمراء وسادات القبائل عرفوا بهذا الاسم ، ثم ان نسبة الحارث الى الثعلبية (ثعلبة) ، لا يدل على ان الحارث الذي ذكره (ثيوفانس) هو (الحارث الكندي) بل يدل على انه كان من قبيلة اسمها (ثعلبة) أو (ثعلبان) . وقد ذكر كتيبة اليونان والسرمان اسم قبيلة (ثعلبة) وكانت من القبائل الخاضعة

- | | |
|---|--|
| ١ | حمزة (ص ٩٢) . |
| ٢ | الطبري (٩٠٠ / ١) . حمزة (ص ٦٩) . |
| ٣ | التفصيلات (ص ١٢٩) . الأغانى (٦٢ / ٨) . |
| ٤ | Olinder, P. 48. |
| ٥ | التفصيلات (ص ١٢٩) . |
| ٦ | الأغانى (٨٢ / ١٥) . |
| ٧ | Olinder, P. 48. |

لروم . فورد (طابوي ربيث رومرين ديث ثعلبة) ، أي (العرب اللين في أرض الروم الملقبون ببني ثعلبة) ، وورد ذكرها في اخبار مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد^١ .

وفي (طيء) ثلاثة بطون عرفت به (بني ثعلبة) ، هي (ثعلبة بن ذهل) ، و (ثعلبة بن رومان) و (ثعلبة بن جدعاء) ، وتعرف به (ثعالب طيء) ، ويوجد أيضاً (بنو ثعلبة بن شيان) من بطون (تميم)^٢ . وقد عرف (بنو شيان) ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) و (بنو شيان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة) به (بني ثعلبة) في تواريخ الروم والسريان . ومن (شيان) كان (حارث بن عباد) سيد شيان في حرب البسوس . وقد عرفوا به (Thalabenes) عند الروم^٣ .

وتذكر رواية لابن الكلبي أن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن) ، اعان (الحارث بن عمرو) وساعده على تولي الملك . و (تبع بن حسان بن تبع) ، هو خاله على هذه الرواية . وتزعم انه بعث الى ابن أخيه بجيش عظيم سار معه الى بلاد معد والحيرة وما والآها ، فسار الى (النعمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، فقاتله ، فقتل النعمان وعلت من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلت المثلث بين النعمان الأكبر ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون^٤ .

ولا نعرف من الأصحاب المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية اسم ملك يدعى (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن) . ويرى (هارتمن) (Hartmann) أن الأخباريين ارادوا به (شرحيل بكف) ، وهو ابن شرحبيل يعف (المذكور اسمه في النص المؤرخ سنة ٤٦٧)^٥ .

يظهر من رواية (ابن الكلبي) المتقدمة ان الملك لم ينتقل الى الحارث من ابيه ارثاً، وانما جاءه بمساعدة خاله (تبع بن حسان بن تبع) . ولم تذكر الرواية

١ شيخو ، النصرانية (القسم الأول ص ٧٩) . Rothstein, S. 74.

٢ النصرانية (القسم الأول ص ١٢٧) . ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٩٧) .

٣ النصرانية (القسم الأول ص ١٣١ وما بعدها) . (القسم الثاني : ٤٢٢/٢) .

٤ الطبري (٨٦/٢) .

٥ Olinder, P. 54, Hartmann, S. 497.

الأسباب التي دعت إلى اعتداد الخارث على (تبع) في تولي الملك . ولو صحت هذه الرواية كان معناها أنه لم يتمكن من الحصول على حقه في الملك إما لامتناع القبائل من قبوله ملكاً عليها ، مما دعاه إلى الاستعانة بـ (تبع) أو بغيره ، وإما لأن ملك والده يوم توفي لم يكن واسعاً ، بل كان مقتصرأ على كتنة ومن في حلفها ، أو لأنه لقي مقاومة من أشقائه وأقربائه ، مما دفعه إلى الاستعانة بالقبائل في تنصيب نفسه ملكاً على كتنة وعلى القبائل الأخرى ، ثم على توسيع ملكه فيها بعد .

ولدينا رواية أخرى ، تذكر أن الذي ساعد (الخارث بن عمرو) على تولي الحكم على بلاده معد ، هو (صهبان بن ذي خرب) ، وذلك أن معداً لما انتشرت تباغث وتظالمات ، فبحث إلى صهبان تسأله أن يملك عليها رجلاً يأخذ للضعيفها من قوتها مخافة العددي في الحروب ، فوجده إليها الخارث بن عمرو الكتني ، واختاره لها ، لأن معداً أخواله ، أمه امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فصار الخارث إليها بأهله وولده . فلما استقر فيها ، ولّى ابنه حجر ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر على أسد وكتانة ، وولّى ابنه شرحبيل على قيس ونعيم ، وولّى ابنه معدني كرب ، وهو جد الأشعث بن قيس الكتني على ربيعة ، فكنوا كللك إلى أن مات الخارث ، فأقر صهبان كل واحد منهم في ملكه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا . ثم إن بني أسد ولّوا على ملكهم حجر بن عمرو ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك صهبان ، وجه إلى مضر عمرو بن نائل اللخمي ، وإلى ربيعة ليث بن النعمان الغساني ، وبعث برجل من حبر يسمى أوفى بن عتي الحية وأمره أن يقتل بني أسد أبرح القتل . فلما بلغ ذلك أسداً وكتانة ، استعدوا . فلما بلغ أوفى ذلك ، انصرف نحو صهبان ، واجتمعت قيس ونعيم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نائل عنهم فلقن بصهبان ، وبقي معدني كرب جد الأشعث ملكاً على ربيعة^١ .

أما صهبان ، فهو رجل لم يكن من أهل بيت الملك في حبر ، بل كان قد وثب على الملك واتخذ عنوة ، وذلك حينما تضعف أمر الحميرية بقتل (عمرو بن تبع) أخاه (حسان بن تبع) ، فالتهم صهبان هذه القرصة ، ووثب على (عمرو ابن تبع) فقتله واستولى على ملكه وصار الأمر إليه^٢ .

١ الديلمي : الاخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .

٢ الاخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .

وهناك رواية أخرى تذكر ان (صهيان بن محرت) هو الذي عين الحارث على معد . فهي تأييد للرواية المتقدمة ، سوى انها عينت اسم والد صهيان ، بأن نصت عليه ، فبعثته (محزناً) . اما الرواية المتقدمة فدعته (ذي حرب) . و (ذي حرب) لقب ، يعبر عن منصب وليس باسم علم .

وفي رواية يرجع سندها الى ابي عبيدة ، ان بكر بن وائل لما تسافهت ، وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤسائهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف . فزرى ان نمك علينا ملكاً نعطييه الشاة والبعر ، فيأخذ للضعيف من القوي . ويرد على المظلوم من الظالم . ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيتنا ، ولكننا نأتي تبعاً فتعطلكه علينا ، فأتوه ، فذكروا له امرهم ، فلك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فترل بطن عاقل^١ .

وبدرك من هذه الروايات انه كان للتيامة نفوذ على قبائل معد ، وان تلك القبائل كانت تستشيرهم في أمورهم ، وتحتكم اليهم فيما يحدث بينهم من خلاف . وانه كان لهم يد في تعيين الحارث وتنصيبه على تلك القبائل .

والشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الروايات المدونة عن تعيين الحارث ملكاً ، انه تولي الحكم على كتدة بعد وفاة أبيه ، وانه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة (تبع) ، فصار ملكاً على كتدة وبكر وعلى قبائل أخرى وانه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته . ويرى (أولندر) انه حكم حوالي سنة (٤٩٠) للميلاد^٢ .

وليس من السهل تعيين اسم (تبع) الذي عين الحارث ملكاً كما جاء ذلك في الروايات البائدة بالامتناد الى نصوص المسند ، وليس من السهل ايضاً تصور بلوغ نفوذ (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت وعمت واعرابها في الجبال وفي تهامة) الموضع التي ذكرها اخباريو اليمن . وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة ، بحيث لم تتمكن من مقاومة غزو الحبشة لها . وليس من السهل ايضاً تصور مجيء (بكر) والقبائل الأخرى غنارة طائفة الى الحارث لتلتصق منه ان

١ نهاية الارب (٤٠٦/١٥) . العقد الفريد (٧٨/٦) . (طبعة المريان) .
٢ Ölander, P. 58.

يفضل عليها بأن يكون ملكاً عليها ، وقد رأيناها كما يقول الأخباريون أنفسهم تنفض على البيت المالك من كندة وتثور عليه ، وتقتل امرأها منهم ، حال علمها بضعف ذلك البيت ، وبوفاة الرجل الذي جمع تلك القبائل بقوته ، ووحدها بشخصيته . والأقرب إلى المنطق هو أن هذه القبائل لم تعترف برئاسة الخارث عليها ، وبناجه عليها إلا لما رأته فيه من القوة ، وإلا بعد استعمال القوة والعنف مع عدد من القبائل ، فرضيت به ملكاً ما دام قوياً والأمر بيده ، وهو منطبق السياسة في الصحراء . وهذا التفسير نستطيع فهم تكون ممالك أو إمارات بسرعة عجيبة ، تظهر فجأة قوية تحتضن جملة قبائل ، ثم تسير بسرعة فتهدد حدود الدول الكبرى وتهاجمها كالفيضان ، فإذا أصيبت بهذه الدول تمزقت أوصالها وتجزأت كما تنجزأ الفقاعة وتلوب . هكذا حياة الممالك في البوادي ، ممالك تولد ، وأخرى تموت .

وبذكر الأخباريون أن الخارث اكتسب جمع إلى ملكه ملك الحيرة وآل لحم ، وذلك في زمن قباذ . ورووا في ذلك جملة روايات عن كيفية تولي الخارث ملك الحيرة ، وطرده لملكها الشرعي وتولى الحكم فونه . فرووا أن الزمن لم يكن مؤالياً لـ (قباذ) يوم أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والتفوذ في المملكة بيد الموابلة ، ولموبدان موبد الكلمة العليا ، إذ هو الرئيس الروحي الأعلى في المملكة ، كما كان للأغنياء وللأقطاعيين الشأن الأول في سياسة الدولة . فلم يعجب قباذ الوضع ، لأنه (ملك الملوك) (شاهنشاه) ومن حق (ملك الملوك) ألا ينسازع في الملك ، ففكر في طريقة لتقليص عقل الموابلة والتفولين في المملكة من كبار الأغنياء والملاكين ، ورأى أن خير ما يفعله في هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فإذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتفولين^١ . وكان مزدك وأصحابه يقولون إن الناس تقالوا في الأموال والأرزاق ، فاغتصبها بعضهم من بعض ، وإن الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء ، وأنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من الكثيرين على القليلين ، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترض السفلة ذلك ، واغتموه ، وكاتفوا مزدك وأصحابه وشابعوهم فابطل الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا

^١ Noldeke, Aufsätze zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887, S. 109.

يدخلون على الرجل في داره ، فيقبلونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم ^١ . هكذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكية جاءت مقوضة لرجال الدين والافطاحيين ومنزلة الأغنياء .

فلما شاع قباز المزدكية ، اجتمعت كلمة (موبدان موبد) والعظام على ازالته من ملكه ، فأزالوه عنه وحسوه ، وعينوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري ان ذلك كان في السنة العاشرة لملك قباز ، فيكون ذلك في سنة (٤٩٨ م) على رأي من جعل ابتداء ملكه في عام (٤٨٨ م) ^٢ . وقدّر حدوثه أيضاً في سنة (٤٩٦ م) ^٣ . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ثم أزاله عنه أخوه قباز الذي أفلت من السجن في قصة يروها الأخباريون ، واستعاد قباز بذلك ملكه ^٤ . فنكون استعادته ملكه في حوالي سنة (٥٠٤) أو (٥٠٢ م) . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة (٥٣١ م) .

ونذكر رواية الأخباريين هذه ، ان الملك قباز طلب من المنذر بن ماء السماء الدخول فيها دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع ، فاحتفظ قباز وانزعج منه ، ودعا (الحارث بن عمرو) الى ذلك ، فأجابته ، فاستعمله على الخيرة . وطرد المنذر من مملكته ، فعظم سلطان الحارث ، وفخم أمره ، وانتشر ولده ، فملكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد* . وكان من حلّ نجداً من أحياء نزار تحت سلطان الحارث دون من نأى منهم عن نجداً* . فتربط هذه الرواية كما ترى بين زندقة قباز وعزل المنذر وتنصيب الحارث ملكاً على الخيرة ، بقبوله مذهب قباز. وروى (حمزة) ان الحارث كان قد طمع في ملك (آل لحم) ، وكان قد وجد ان (قباز) ضعيف القوة فآثر العزم ، غير مبال الى القتال ، وانه سوف لا يساعد آل لحم ، إن هو هاجمهم ، لذلك ساق كندة ومن كان معه من بكر ابن وائل عليهم ، وبأغت سادة الخيرة ولم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، فهرب

١ الطبري (٨٨/٢)

٢ Ency. Brita., Vol. 17, P. 574, Ency., 4, P. 173.

٣ Noldeke, Aufs., S. 109.

٤ الطبري (٨٧/٢)

٥ ابن الأثير (٢٠٩/١) ، الطبري (٨٩/٢ وما بعدها) ، المنبر (ص ٣٦٩) .

٦ حمزة (ص ٩٢)

(المنذر) من دار مملكته بالحيرة ومضى حتى نزل الى (الجرساء الكلبي) وأقام عنده الى أن تغير الحال بوفاة قباذ ، وبذلك سياسة الحكومة بتولي (كسرى أنوشروان) الملك . فعاد الى ملكه وقهر الحارث وتغلب عليه واستعاد ما اغتصب منه^١ .

وذكر (حزة) ان سبب لجوء (بكر بن وائل) الى الحارث ، وخضوعها لحكمه واشراكها معه في مهاجمة (آل نهم) وانتزاع الحكم منهم ، هو أن (امرأ القيس البهه) كان يترؤ قبائل (ربيعة) ، فينكي فيهم ، ومنهم أصاب (ماء السماء) ، وكانت تحت (أبي حوط الخطاير) فثار به (بكر بن وائل) فهزموا رجاله ، وأسروه ، وكان الذي ولي أسره (سلمة بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان) ، فأخذ منه الفداء وأطلقه ، فبقيت تلك العداوة في نفوس (بكر بن وائل) الى أن ومن أمر الملك (قباذ) ، فقتلها أرسلت بكر الى الحارث بن عمرو فلكوه ، وحشدوا له ، ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب^٢ .

وهذه الكيفية شرح (حزة) كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، وسبب بغض (بكر بن وائل) لآل نهم ، بغضاً دعاها إلى تنصيب (الحارث) ملكاً عليها ، وعلى الانتقام من آل نهم .

ولابن الكلبي رواية عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، ذكره ان قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك ، فوثبت ربيعة على النعمان الأكبر أبي المنذر الأكبر ذي القرنين . وإنما سمي ذا القرنين لضفرين كانا له ، فهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتى مات في إباد ، وترك ابنه المنذر فيهم ، وكان أرجى ولده عنده . فتطلق ربيعة الى كتلة . وكان الناس في الزمن الأول يقولون ان كتلة من ربيعة . فجالوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، فلكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش . فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي ، وأنت أحق من ضممتي واكتنفتي ، وأنا متحول اليك . فحوكه اليه ، وزوجه

١ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها)
٢ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها)

ابنته هناء . ففرق الحارث بن عمرو بنه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن نعيم وبني أسد وطوائف من بني عمرو بن نعيم والرياب ، وصار غطفاء وهو معديكرب في قيس ، وصار سلمه بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن نعيم ... ومع معديكرب الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو ربيعة أم لهم ينسبون اليها . وكانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس . فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو ، نشأت أمرهم وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المفاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش ...^١ .

ولابن الكلبي رواية أخرى دوتها الطبري ، هذا نصها : « لما لقي الحارث ابن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان الأكبر ، ومك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك بعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي انه قد كان بيتنا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واتي احب أن ألقاك .

وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، ويداري أصداءه فيها يكره من سفك الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس . فخرج اليه الحارث ابن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى اتقوا بقطرة الغيوم ... فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف ، طمع في السواد ، فأمر أصحابه مساحه أن يقطعوا الفرات ، فيغفروا في السواد ، فأتى قباذ الصريح وهو بالمداين فقال : هذا من تحت كنف ملكهم . ثم أرسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وانه يجب لقائه ، فلقبه . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طاسيح . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طاسيح ،

١ الفضليات (ص ٤٢٧ وما بعدها) . النقاظ (ص ١٠٧٢ وما بعدها) . (طبعة ليست) .

فاجتمع الجنود ، وأقبل فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من القرات ، فآذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر إلى التجف ، وهو نهر الحيرة ، فنزل عليه ، ووجه ابن أخيه شمر ذي الجناح إلى قباد، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرّي . وقد ترك ابن الكلبي الإشارة إلى الحارث ومقر إلى الحديث عن فتوحات شمر الذي أوصل فتوحاته إلى القسطنطينية ، ثم إلى رومة (رومية) ، ثم إلى عودة (تبع) وتبوءه بتأثير أخبار يثرب ، ثم إلى علم (كعب الأحبار) الذي استمدّه على حد قوله من بقية ما أورثت أخبار يهود^١ .

ويرى (موسل) أن التقاء (الحارث) بـ (قباد) (٤٨٨ - ٥٣١ م) عند قطرة الفيوم ، كان سنة (٥٢٥) للميلاد^٢ . والقوم موضع لا يبعد كثيراً عن (هيت)^٣ .

يفهم من رواية ابن الكلبي هذه أن الحارث التقى بملك الحيرة (التمان بن المنذر) في معركة أسفرت عن مقتل (التمان) وقرار المنذر أبنته ، وعن انتصار حرب الحارث على حرب الحيرة، واستيلاء الحارث على ما كان ملكه التمان . قلنا حدث هذا ووقع ، اضطر (قباد) إلى ملاطفة الحارث واسترضائه . ولكن الحارث طمع في أكثر من ذلك ، طمع في السواد ، فأقطعه منه ما يلي جانب العرب من أسفل القرات ، أقطعه منه ستة طاسيح . فليس في هذه الرواية إشارة إلى قبول (الحارث) الدخول في المزدكية ، ولا إلى طرد التمان من ملكه نتيجة لرفضه اتباعه في دينه ، إنما هو ضعف قباد وعجزه عن مساعدة صاحبه التمان وانتهاز الحارث الذكي هذه الفرصة المواتية للاستيلاء على ما طمع فيه من ملك التمان . أما الشق الثاني ، وهو خبر (تبع) ، وحروبه ومساعدته له ، فهو على ما يظهر من هذا النحو الذي ألفناه في ربط تأريخ كندة باليمن ، والإشادة بماضي القحطانيين وانفرادهم بالملك دون خصومهم العدنانيين ، وإلى عدم تمكن كندة من العمل وحدها لولا مساعدة الباقين .

يستتج من كل هذه الروايات أن (الحارث بن عمرو) الكندي اقتصب عرش الحيرة أمداً ، اغتصبه من (التمان بن امرئ القيس بن الشقيقة) ، أو

١ الطبري (٨٩/٢ وما بعدها)
٢ Masti, Middle Euphrates, P. 350.
٣ البلدان (٤١٤/٦)

(المتلتر الأكبر بن ماء السماء) أو (النعمان الأكبر أبو المتلتر الأكبر ذو القرنين) ،
و (ذو القرنين) ، هو (ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة)^١ ، أو (النعمان
ابن المتلتر بن امرئ القيس بن الشقيقة)^٢ ، وذلك في زمن (قباذ) ملك الفرس .
ويقصد بـ (قباذ) هذا (قباذ) الأول الذي حكم ثلاثاً وأربعين سنة على مسا
جاء في الأخبار^٣ . ويقدر العلماء ذلك من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) بعد الميلاد^٤ .

ولنتمكن من تعيين اسم الملك الذي قصده الرواة ، علينا الرجوع الى أسماء من
حكم في أيام قباذ من ملوك الحيرة ، وذلك على نحو ما رواه لنا الأخباريون .

ان أول من حكم في عهد (قباذ) ، على ما يدعيه (حمزة) ، هو الملك
(الأسود بن المتلتر) ، وقد حكم في أيامه ست سنين . ثم المتلتر بن المتلتر ،
وأمه (هر) ، وقد حكم سبع سنين . ثم النعمان بن الأسود ، وأمه أم الملك
بت عمرو بن حجر أخت (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) ، أربع سنين .
ثم أبو يعفر بن علقمة اللميلي ، وقد حكم ثلاث سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان
ابن امرئ القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ
القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم المتلتر بن امرئ القيس المعروف بالمتلتر بن
ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، وقد حكم اثنين وثلاثين سنة من ذلك ست سنين
في زمن قباذ . ثم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ولم يذكر (حمزة) مدة
حكمه ، إنما قال : « ذكر هشام عن أبيه انه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب
أهل الحيرة من ملوك العرب . ثم قال : وظني أنهم إنما تركوه لأنه توثب على
الملك بغير إذن من ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار
الملكة ولم يعرف له مستقر وإنما كان سيرة في أرض العرب »^٥ . ولم يذكر
حمزة مدة حكم (قباذ)^٦ .

أما (الطبري) ، فجعل (النعمان بن المتلتر بن امرئ القيس بن الشقيقة)

١ التفضيلات (ص ٤٢٧) .

٢ Ollender, P. 58.

٣ الطبري (٨٩/٢) .

٤ Ency., IV, P. 178.

٥ حمزة (ص ٦٩ - ٧٢) .

٦ حمزة (ص ٢٩) .

الملك الذي كان قد حكم حينما تولى (قباذ) الحكم ، وجعل (الحارث بن عمرو ابن حجر) الذي قتل النعمان على روايته من بعده . وقد دام حكمه على ما يظهر من رواية الطبري حتى أيام (كسرى أنو شروان بن قباذ) . فلما قوي شأن (كسرى أنو شروان) ، بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء ، فلكه الخيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو بن حجر .

أما (ابن الأثير) ، وهو عيال على الطبري وتاقل منه ، فقد ذكر ما ذكره الطبري ، وأضاف إليه : أن المنذر بن ماء السماء لما بلغه هلاك قباذ ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه ، أقبل إلى (أنو شروان) فعرفه نفسه ، وأبلغه أنه سيئده إلى ملكه ، وطلب (الحارث بن عمرو) ، وهو بالأندلس ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فمر به (الثوبة) ، فبغته المنذر بالخيال من تغلب وإباد وبهراء ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، وانتهوا ماله وهجائه ، وأخذت بنتو تغلب ثمانية وأربعين نقساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر ، فغضب رقابهم به (جطر الأميال)^١ (جطر الأملاك) في ديار بني مرينا العباديين بين دبر بني هند والكوفة^٢ .

نرى مما تقدم اختلاف الروايات وتباينها وتعددتها ، حتى أن الراوية الواحدة مثل (ابن الكلبي) يروي لنا جملة روايات ، قد يناقض بعضها بعضاً . لقد وجدنا منها ما زعمت أن قباذ طرد المنذر من مملكته ، وأحل الحارث محله ، ومنها ما زعمت أن المنذر استرضى الحارث بعد أن رأى عجزه وعجز صاحبه ، فحوكه إليه ، وزوجه ابنته هند ، ومنها ما ذكرت أن الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة ، وأن المنذر بن النعمان الأكبر فرّ ونجا بنفسه ، وأن الحارث ملك بالقوة ما كان يملكه ملوك الخيرة وأن قباذ داراه واسترضاه لما وجد فيه من البأس . فإذا نتخلص من مجموع هذه الروايات ؟

كل ما يستخلص منها أن الحارث استبد بملك آل لحم ، في أيام قباذ ، وكان مركز هذا الملك صعباً يسبب ضعفه ، ويسبب العقيدة التي قبلها ، وهي عقيدة تناقض ما كان عليه الناس . وقد حكم أمناً : يظهر أنه امتد مدة حكم قباذ ، ثم

١ الطبري (٨٩/٢) وما بعده .

٢ ابن الأثير (١٧٥/١) .

٣ البلدان (١٢٧/٤) وما بعده .

تفرت به الأحوال ، فعاد أصحاب البيت الى بيوتهم ، وهرب هو الى من حيث جاء . ولا تعرف على وجه التحقيق متى ولي الحكم ، ولا متى غادره .

لقد ذكرت أسماء الملوك الذين حكموا في أيام (قباذ) على رواية حسنة ، وهي رواية تكاد تتفق مع القائمة التي دوّنها الطبري في آخر كلامه عن (كسرى أنوشروان) نقلاً عن هشام بن الكلبي لأسماء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ، وذلك قبل عهد (كسرى أنوشروان)^١ . قلبي ملك من هؤلاء يمكن أن يكون هو الملك المقصود ؟

لقد ذكر (يوشع العمودي) (Joshua the Stylite) ان ملك الحيرة (النعمان) اشترك مع (قباذ) في المعارك التي وقعت بينه وبين الروم ، فأصيب النعمان بجروح بليغة على مقربة من (قرقيسية) (Circesium) قضت عليه ، وذلك في سنة (٥٠٣) للميلاد . ولقد انتهز عرب الروم المسمون بالثعلبيين (بني ثعلبة) هذه الفرصة ، فغزوا الحيرة ، واضطرت القوة التي تركها النعمان في عاصمته الى الفرار للبادية . أفلا يجوز أن يكون هؤلاء الغزاة هم أعراب (الحارث الكندي) ، انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا على الحيرة واستولوا عليها ، فصارت في قبضة (الحارث) على نحو ما رواه بعض الأخباريين ؟ ثم ألا يجوز أن يكون بعض الرواة قد سمعوا بمقتل (النعمان) ، فظنوا أن القتلى هو (الحارث) ، أو تعمّدوا نسبة القتل اليه لرفع من شأن كندة ومن كان معها من قبائل ؟^٢

ولكن من يثبت لنا أن هؤلاء الأعراب الثعلبيين ، أي من (بني ثعلبة) ، وهم من عرب الروم على حدّ قول (يوشع العمودي) هم من أنبأ الحارث ، أو أنهم من (آل الحارث) أي من كندة ، وأن العائلة الكندية المذكورة كانت تعرف بـ (بني ثعلبة) . وليس في الذي بين أيدينا من موارد ، مورد واحد يذكر بأن (آل آكل المرار) هم من (بني ثعلبة) أو أنهم كانوا قد عرفوا بـ (بني ثعلبة) في يوم من الأيام ، أو أنهم كانوا قد خضعوا لسلطان الروم . لذلك ، لا أظن أن (يوشع العمودي) قصد بالثعلبيين عرب الروم ، كندة ،

١ الطبري (٩٤/٢) .

٢ (قرقيسية) ، البلدان (٥٩/٧) .

Ollender, P. 59, Ency., II. P. 765. Musil, Euphrates, P. 334.

وانما قصد أعراباً من اعراب الروم ، كانوا يعرفون به (بني ثعلبة) أو (آل ثعلبة) ، وكانوا يتمتعون باستقلالهم تحت حماية الروم . ولما وجدوا فرصة ما حل بالنعمان من جروح في الحرب التي خاضها مع الفرس على الروم ، هاجموا الحيرة فانهبوا ، وكانت حاميتها ضعيفة ففرت الى البادية ، ولم يذكر المؤرخ مدة مكوث هؤلاء الأعراب في الحيرة ، والظاهر أنها لم تكن سوى مدة قصيرة ، وأنها كانت من نوع غارات الأعراب على المدن : غزو خاطف ، يعقبه السحاب عاجل لتأمين سلامة ما يهبونه وابعاله الى ديارهم حتى لا تتمكن القوات السني ستاني لمقاتلتهم من أخذ ما حصلوا عليه من غنائم وأموال .

ويظهر أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، ويظن أنه كان بين سنة (٥٢٥) وسنة (٥٢٨) للميلاد ، وذلك في أثناء ظهور فتنة المزدكية في إيران^١ . وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد اتصل بالفرس قبل هذا الزمن ، في أثناء صلح سنة (٥٠٦) للميلاد ، أو على اثر الفتور الذي طرأ على علاقاته بالبيزنطيين ، لأنه وجد ان الاتفاق مع الفرس يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن أن يفتتها من الروم ، ووجد بكراً وتغلب قد زحطنا اذ ذلك من مواطنها القديمة في البصرة وتجد نحو الشمال تريدان النزول في العراق . وقد أقره الفرس على المناطق الصغيرة أو الواسعة التي استولى عليها لقاء جعل^٢ .

لم يكن من مصلحة ملك الحيرة ، بالطبع ، الرضى بنزول منافس قوي أو منافس أقوى في أرضه أو في أرض مجاورة له . فلما ظهر الحارث في العراق ، وعرف ملك الحيرة نيأه وتقربه الى الفرس ، وملك الحيرة ، هو باعتراف الفرس (ملك عرب العراق) ، لم يكن من المعقول سكوته انتظاراً للنتائج . ومن هنا وقع الاختلاف^٣ .

لم تكن العلاقات حسنة بين قباز والمنقر ملك الحيرة ، لسبب غير واضح لدينا وضوحاً تاماً ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث الى الفرس واقطاعهم اياه أرضاً وتودده الزائد الى قباز ، وقد يكون لأسباب أخرى

Olinder, P. 65.

O. Blas, Arabien in Sechsten Jahrhundert, in ZDMG, Bd. 33, (1889), S. 579.

حمزة (ص ٦٥) ، Olinder, P. 65.

مثل تردد ملك الفرس وضعه ، فلم تكن له خطة ثابتة مما أثر في وضع (ملك
عرب العراق) . على كل حال ، فقد أدى هذا القصور الى استفادة الحارث منه
واستغلاله ، فقترب الى الفرس وتودد اليهم حتى آل الأمر بأن يأخذ ملك الحيرة
أمداً حتى تغيرت الأحوال في فارس بموت (قباد) وتولى (كسرى أنوشروان)
الملك من بعده ، فعاد المنذر عندئذ الى عرش الحيرة وأبعد الحارث عن ملكه .
وآراء الأخباريين متباينة كذلك في المكان الذي اختاره الحارث للاقامة فيه بعد
اغتيابه ملك (آل لخم) ، فبينما يفهم من بعض الروايات انه استقر في الحيرة
وأقام فيها ، نرى بعضاً آخر يرى انه أقام في الأنبار^١ . وبينما يذكر (حمزة) أن
الحارث حيناً بلغه خبر قدوم المنذر عليه واقترابه من الحيرة ، هرب فقبضته خيل
المنذر ، مما يفهم انه كان في الحيرة ، نجد يقول في موضع آخر : « ان الحارث
كان بمزل عن الحيرة التي كانت دار الملكة ، ولم يعرف له مسطر ، انما كان
سيارة في أرض العرب »^٢ . ونجد صاحب الأغاني يذكر في موضع انه كان في
الأنبار ، ويشير في موضع آخر انه كان في الحيرة^٣ .

وتتفق روايات الأخباريين على ان مجيء (كسرى أنوشروان) كان شراً على
الحارث ، وخيراً لآل لخم ، فقد كانت سياسة (أنوشروان) مناقضة لسياسة قباد
بسبب المزدكية . وقد ظهر الاختلاف هنا في السنين الأخيرة من سني حكم قباد .
وقد أدى هذا الاختلاف الى محاربة المزدكية وسقوطها . ويحدثنا (مسالا)
(John Malalas) أن سقوطها كان بعد وفاة (الحارث) وقبل غارة المنذر على
بلاد الشام^٤ . وقد قام المنذر بها في شهر آذار من سنة (٥٢٨) للميلاد على رواية
(ثيوفانس) (Theophanes)^٥ . وكانت وفاة الحارث في أوائل سنة (٥٢٨)
للميلاد^٦ ، ومن رواية هذين الكاتبين يتبين ان الحارث كان قد قضى نحبه قبل

١ اليقوبي (١٧٧/١) . ابن الاثير (٢٠٩/١) . الاغاني (٦٢/٨) (طبعه الساسي) .

٢ حمزة (ص ٧٢ ، ٩٣) . Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 88 .

٣ الاغاني (٦٢/٨) .

٤ Nöldeke, Die Sasaniden, S. 482, Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I, et le Communisme Mazdaqite, PP. 124, Ollinder, P. 65.

٥ John Malalas, Chronographia, Lib. XVIII, Col. 653, Ollinder, P. 65.

٦ Ollinder, P. 54, 65.

٧ Ollinder, P. 54.

القضاء على المزدكية بمدة غير طويلة ، وإن المنز كان في آذار سنة (٥٢٨) للميلاد قد قام بغارته على بلاد الشام^١.

ويستدل من إشارة (ملالا) و (ثيوفانس) الى موت الحارث في سنة (٥٢٨ م) ومن تلقبه بلقب (فيلارخس) أي عامل ، على ان علاقات الحارث بالروم في أواخر أيام حياته كانت حسنة . ومعنى هذا ان خلافاً او فتوراً كان قد وقع فيما بينه وبين الفرس ، دفعه على التقرب نحو خصوم الساسانيين وهم الروم ، فالتصل بهم وذلك في أيام (قباد) ، او في أيام (كسرى انوشروان)^٢.

ويظهر ان تودد (الحارث) الى البيزنطيين لم يأت له نتيجة او بفائدة تذكر. اذ يحدثنا الكاتبان (ملالا) و (ثيوفانس) ان قائد فلسطين الرومي (ديوميديس) (Diomedes) أجبر سيد قبيلة يدعى (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) على التراجع في اتجاه الهند (Indica) ، ويقصد بذلك جهة الجنوب او الشرق، حيث كان يطلق البيزنطيون على العربية الجنوبية (الهند) . فلما سمع بذلك (الموندارس) (Alamoundaros) أي (المنذر) رئيس العرب (السرسيني) (Saracens) الحاضمين لنفوذ الفرس، هجم على الحارث فقتله، ونظم أمواله وما ملكه، وأسر اهله. فلما بلغ النبأ للقيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) ، أمر حكام (قيبقية) (Phenicia) و (العربية) (Arabia) والجزيرة وعامل الحدود بتعقب المنسدر ومهاجمته . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من القادة والحكام، وفي جملةهم سيد قبيلة اسمه (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) ، وهو الحارث بن جبيلة الغساني على ما يظهر^٣.

ولم يتعرض الأخباريون للخبر الذي ذكره الكاتبان عن كيفية قتل (الحارث) ولا عن الأمر الذي أصدره القيصر بتعقيب (المنذر) ، والظاهر انهم لم يقفوا عليه^٤.

غير ان للأخباريين رواياتهم الخاصة عن مصير صاحبنا (الحارث) الكندي . حدث صاحب (الأغاني) ان (أنوشروان) حينما ملك ، أمر بقتل الزنادقة ،

Olinder, P. 65. ١

Olinder, P. 66. ٢

Olinder, P. 63, Nöldeke, Sasaniden, S. 171. ٣

Olinder, P. 66. ٤

أي أتباع مزدك ، و قتل منهم ما بين جازر^١ الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق وصلبهم^٢ ، وأعاد المنذر الى مكانه ، وطلب و الحارث ابن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله ... فخرج هارباً في هجائه وماله وولده ، فرّ بالتوبة^٣ ، وتبعه المنذر بالتحيل من تغلب وجرهاء وإياد ، فلقى بأرض كلب ، فنجوا وانتهبوا ماله وهجائه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدمت بهم على المنذر ، فضرب رقابهم به (جفر الأملاك) (حضر الأملاك) في ديار بني مريتا العبادين بن دبر هند والكوفة^٤ ، وأضاف (ابن الأثير) الى هذا الخبر ان (تغلب) قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما : (عمرو) و (مالك) في جملة الثمانية والأربعين ، فجهزت بهما الى المنذر في (ديار بني مريتا) فقتلهم^٥ .

ويحدثنا (ابن قتيبة) أن (المنذر) لما أقبل و من الحيرة هرب الحارث ، وتبعته خيل فقتلت ابنه عمراً ، وقتلوا ابنه مالكاً بهيت ، وأصار الحارث بمسحلان فقتله كلب^٦ . وزعم غير ابن قتيبة انه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه^٧ . وذكر (حمزة) الروايات المدونة في كتاب (الأغاني) يحذف بعض كلماتها^٨ . ولم يشر اليعقوبي الى من قتل (الحارث) من ملوك الحيرة ، بل أوجز فقال : ... وكانوا يجاورون ملوك الحيرة ، فقتلوا الحارث ، وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر حتى كافؤوه^٩ . ويشعر على كل حال

- ١ (جازر) قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر - البلدان (٣٦/٣) . الأغاني (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) . (١٩٣٦) . الأغاني (٦٢/٨) (طبعة مطبعة التقدم) ، وفيها الغلط عديدة .
- ٢ الأغاني (٦٢/٨) . (مطبعة التقدم) . (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
- ٣ التوبة : موضع قريب من الكوفة . وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساحة منها . وقيل انه كان سجيناً للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله . البلدان (٢٨/٣) .
- ٤ الأغاني (٦٢/٨) . (٨٠/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) .
- ٥ ابن الأثير (٢٠٩/١) . (جفر الأملاك) . البلدان (١١٥/٣) . ابن الأثير (٣٠٤/١) وما بعدها (الطباعة المنيرية) .
- ٦ الأغاني (٦٢/٨) . Musil, Middle Euphrates, P. 359 .
- ٧ حمزة (ص ٩٣) . (مسحلان) . البلدان (٥١/٨) .
- ٨ اليعقوبي (١٧٨/١) .

من جملة « وصبروا على قتال المنذر » ومن روايات الأخباريين الأخرى أن القتل كان في أيام المنذر .

وفي رواية أخرى أن الحارث بقي في كلب حتى توفي فيها بينهم حتف أنفه^١. وقد أضافت الرواية التي تنسب إلى (أبي عبيدة) إلى هذا الخبر أنه دفن به (بطن عاقل)^٢ . والظاهر أن إضافة (بطن عاقل) إنما وقعت سهواً واشتباهاً، من باب عدم التمييز فسياً بين (حجر) الذي زعم أنه دفن به (بطن عاقل) وبين (الحارث)^٣ .

وجاء في رواية أن الحارث خرج بتصيده، فرأى جماعة من حر الوحش فشده عليها ، وانفرد منها حمار فتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كبده ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأني به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوي على النار وأطعم من كبده وهي حارة ، فأت^٤ .

ولا تخلو هذه الروايات المتعلقة بموت (الحارث) ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الأخبار التي يرويها الأخباريون بهذه الصيغة . فكلب تدعي أنها هي التي قتله ، وكندة تنكر ذلك مدعية أنه مات كما يموت سائر الناس ، وأهل الحيرة يقولون أنهم هم الذين قتلوه، فتلوه في حرب . وأبو الفرج الأصبهاني يقول : « فكلب يزعمون أنهم قتلوه ، وعطاء كندة زعم أنه خرج إلى الصيد فالظ بنيس من الظباء ، فأعجزه فأكل أن لا يأكل أولاً إلا من كبده ، فطلبته الخيل ثلاثاً ، فأثى بعد ثلاثة ، وقد هلك جوعاً ، فشوي له بطنه فتناول قلدة من كبده ، فأكلها حارة فات^٥ .

ولورود خبر مقتل (الحارث) مسجلاً تسجيلاً دقيقاً لدى الكاتبين المذكورين : (ملالا) و (ثيوفانس) ، ومطابقتها لرواية أهل الحيرة في النتيجة ، وهو أن مقتله كان على أيدي (المنذر) وجماعته ترجع هذه الرواية على غيرها من الروايات.

- ١ (وزعم ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه) ، الإغاني (٦٢/٨) ، أبو الفداء (٧٤/١) .
- ٢ العقد الفريد (٧٧/٣) ، نهاية الأرب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) وما بعدها (طبعة محمد سعيد العربيان) ، Olinder, P. 68.
- ٣ Olinder, P. 68.
- ٤ أيام العرب (٤٦) .
- ٥ الإغاني (٦٢/٨) ، ابن الأثير (٢١٠/١) .

ويظهر من غريفة الروايات التي رواها أهل الأخبار عن نهاية (الحارث) أنها قد اختلفت فيما بينها وتضاربت في موضوع نهايته ، فزعم بعض منها ، أنه قتل وإن قاتله هو (الثلث بن ماء السماء) ، وزعم بعض آخر أنه قتل ، ولكنه لم يصرح باسم قاتله ، وزعم بعض آخر أنه هلك ، وأنه لم يقتل ، وإنما مات حتف أنفه^١ . والذي أرجحه أنه قتل ، قتل في أثناء المعارك التي وقعت من جراء تعقب الثلث بن ماء السماء له .

ولا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعمال الحارث في أثناء توليه ملكية قبائل (معد) غير ما ذكره الرواة من أنه وزع أولاده عليها ، وجعلهم ملوكاً على تلك القبائل . كذلك لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعماله وهو ملك على الحيرة ، فأصحابنا الأخباريون سكوت عن هذه الأمور . ويفهم من كلام بعض الأخباريين عن (الحارث) أنه حينما نزل بهكر بن وائل ، أقام به (بطن عاقل) ، ومنه غزا بهم ملوك الحيرة القحطيين ، وملوك الشام الفسانيين ، وفيه كانت نهايته^٢ . ويفهم من بيت في ديوان (أمرئ القيس) أن ملك الحارث قد امتد من العراق إلى عمان . ولا تعني أمثال هذه الأقوال امتلاكاً فعلياً ، بل كانت تحدث في الواقع عن اتفاقات تعقد بين القبائل يعترف فيها بالرياسة لمن له النفوذ الأكبر والمكانة ، فإذا حدث حادث للرئيس الذي تمكن بمكانته ومزلقته من ضم هذه القبائل وتوحيدها ، أنه قد كيان ذلك الاتحاد وتشتت شمله ، كالذي حدث بعد وفاة الحارث كما سنرى فيما بعد . وقد لا تعني هذه الأقوال سوى المبالغات والقصر ، على نحو ما يرد في شعر غيره من الشعراء من امتلاكهم الدنيا ومن عليها ، ومن تدوينهم القبائل والناس ، وليس في الواقع أي شيء مما جاء في دعوى أولئك الشعراء المقتضرين .

وبعدنا (ابن الكلبي) أنه كان للحارث زوجات ثلاث ، هن : أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية ، وأسماء ، ورقية أمة أسماء . وقد زعم ابن الكلبي أن أم قطام وأسماء كانتا شقيقتين ، وأما رقية ، فكانت أمة لأسماء . وقيل أيضاً : « هن أخوات ، فجمعهن جميعاً »^٣ . وزوجه بعض

١ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٠٨/٢) .
٢ نهاية الأرب (٢٠٦/١٥) ، المقدم الفريد (٧٨/٦) (طبعة الريان) .
٣ الفضليات (ص ٤٢٩ ، ٤٣٢) .

الأخبارين بالمرأة أخرى هي : (أم أناس) بنت (عوف بن عظم بن ذهل بن شيبان) ، وهي والدة (عمرو بن الحارث) المعروف عندهم بـ (ابن أم أناس) (ابن أم إياس)^١ . وفي رواية (ابن السكيت) أن (أم قطام بنت سلمى) هي امرأة من (عترة)^٢ .

وقد دون لنا الرواة أسماء جملة أولاد من أبناء (الحارث) ، ذكروا منهم حجر وشرحبيل ومعديكرب وعبدالله وسلمة ، وعمرق ومالك وعمر^٣ . ولم (حجر) هي : (أم قطام)^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أنه كان للحارث ابن ، حج فقنقه ، فأتهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة . فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج ، وبنو أسد بها . فطلبهم ، فهربوا منه . فأمر متادياً فنادى من آوى أسدياً فدمه جبار . ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصا أماناً له . وبنو أسد يومئذ قليل . فأقبلوا إلى تهامة ومع كل رجل منهم عصا . فلم يزالوا بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة ، وسما عبيد العصا ، بالعصا التي أخذوها^٥ .

ويذكر أهل الأخبار أنه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند ، وقد تزوجها المنذر بن ماء السماء ، وهي والدة الملك (عمرو بن هند) وشقيقة (قابوس) وعمه الشاعر امرئ القيس^٦ .

وهم يذكرون أن ملك الحارث لما توسع واشتغل هو بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، تفاسدت القبائل وقشا بينها الشر ، فجاء أشراؤها فشكوا ما حل بهم من غلبة السفهاء ، وطلبوا إليه أن يملك عليهم أبناءه ، فلئلك ابنه حجرأ على بني أسد وعضفان ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأجمعها وعسل

١ ابن الأثير (٢٠٧/١) .

٢ الأغاني (٦١/٨) .

٣ الأغاني (٦٢/٨ وما بعدها) ، الفضليات (ص ٢٢٢) ، ابن الأثير (٢٠٩/١) .

٤ شرح القصائد العشر . للزوزني (ص ٧) .

٥ ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي (ص ١٢٥ وما بعدها) . مجمع الأمثال .

للبيهقي (١٩/٢ وما بعدها) .

٦ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، (ص ٢٣) ، (طبعة ليدن) .

بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بني تميم والرباب ،
وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف
من بني دارم بن حنظلة والصنائع ، وهم بنو رقية : قوم كانوا يكونون مع
الملوك من شذاذ العرب ، ومثلك ابنه عبد الله على عبد القيس ، ومثلك ابنه
سلمه على قيس عيلان^١ . وقيل إن شرحبيل بن الحارث ملك في بكر بن وائل
وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم
والرباب ، ومعديكرب في قيس والصنائع ، وهم بنو رقية ، وسلمه في بني
تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة^٢ .

وقد اكتفى (حزة) بقوله : « وانتشر ولده ، فلكنهم على بكر وتميم وقيس
وتغلب وأسد »^٣ . وهناك روايات أخرى تختلف في التفاصيل وفي الأمور الثانوية
عن هذه الروايات التي ذكرتها بعض الاختلاف^٤ ، سأشير إليها في أثناء البحث
عن هؤلاء الأولاد .

وذكر (ياقوت الحموي) رواية رجعها إلى (أبي زياد الكلابي) ، خلاصتها
أن (مضر) و (ربيعة) اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم ،
فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من (ربيعة) ملك ومن (مضر)
ملك ، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا على أن يتخذوا
ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك إلى (بني آكل المرار) من كندة ، فلكت بنو عامر
شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار ، وملك
بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملك وائل شراحيل بن الحارث . وتختلف
هذه الرواية كما ترى بعض الاختلاف عن رواية لـ (ابن الكلبي) ذكرها (ياقوت)
أيضاً ، هي أن سلمة بن الحارث ملك (بني تغلب) و (بكر بن وائل) ،
وأما (خلفاء) وهو (معديكرب) (معدي كرب) ، فقد ملك بقية (قيس) ،

١ الأمازي (٦٢/٨ وما بعدها) ، (٨٢/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، البلدان
(٤٧٢/٤) (كلاب) ، نقاطس جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (تحقيق بيلسان)
(لندن ١٩٠٧) .

٢ القضايات (ص ٤٢٨) ، Enay., II, P. 1018 .

٣ حمزة (ص ٩٢) .

٤ خزنة الادب (٥٠٠/٢) .

وأما (أسد) و (كنانة) ، فقد ملكت عليها (حجر بن الحارث) ، أي والد امرئ القيس^١ .

أما (حجر) ، فهو أكثر هؤلاء الأولاد ذكراً عند الأخباريين . وهو والد الشاعر الجاهلي المعروف (امرئ القيس) . وقد يعود الفضل إلى هذا الشاعر في ذبوع شهرة والده وانتشار خبره ، وحفظ أخبار هذه الأسرة من كنانة . وهو أكبر أولاد الحارث ، وإليه انتقلت عامة كنانة بعد وفاة والده^٢ . وهو ابن (أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية) من كنانة^٣ .

ملك (الحارث) ابنه (حجراً) كما ذكرت الأخبار على أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر . وتقع موطن (أسد) الرئيسية في القرن السادس للميلاد في جنوب جبل طيء (أجأ) و (سلمى) ، ويسميان جبل شهر في الزمن الحاضر على جانبي بطن الرمة (وادي الرمة) ، غير أن بطوناً متفرقة منتشرة في مناطق واسعة تمتد من المدينة إلى نهر الفرات^٤ . ولكنها لم تكن سيدة هذه الأرضين ، بل كانت تعيش مع غيرها من القبائل متفرقة^٥ . ويظن أنها (استينوى) (Asatynot) الساكنة في أرض تسمى بهذا الاسم في (جغرافيا) بطليموس^٦ . وتعد هذه القبيلة في عرف النسابين من نسل (أسد بن خزيمعة بن مدركة بن مضر) ، وهي شقيقة (لقون) و (كنانة)^٧ .

وروى المؤرخ (ثيوفانس) أن (رومانوس) (Romanus) حاكم فلسطين في أيام (أنطانيوس) (Anastasius) ، هزم في سنة (٤٩٠) للميلاد سيدي قبليتين ، هما : (جيلس) (Gabalas) و (اوكاروس) (Ogaros) ابن (ارتامس) (Aretas) ، أي الحارث من (آل ثعلبة) (Thalabanyas) ، ويظن أن (Gabalas) هو (جبلة) ، والد الحارث بن جبلة

- ١ البلدان (٤٢٩/٢) .
- ٢ Ollinder, P. 74.
- ٣ الفضليات (ص ١٢٩) .
- ٤ O. Blau, Arabien im Sechsten Jahrhundert, In ZDMG., Bd. 23, S. 578.
- ٥ Ollinder, P. 74.
- ٦ Ollinder, P. 74, Ency., I, P. 474.
- ٧ Ency., I, P. 474.
- ٨ Pauly-Wissowa, Ogaros, Ollinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

الغساني . وأما (Ogaros) ، فبرى بعض المشرقين أنه (حجر بن الحارث ابن عمرو الكتني) . وقد وقع أسيراً في قبضة (رومانوس) . وبرى (أوليتدر) أن في تقدير هذا المؤرخ بعض الخطأ وأن التاريخ الصحيح هو سنة (٤٩٧) للميلاد . ثم أشار هذا المؤرخ الى تحرش آخر قام به بعد أربع سنوات سيد قبيلة اسمه (Madikaripos) (Madicaripos) كان شقيقاً لـ (Ogaros) . أوغل في الغزو وأوقع الرعب في جند الروم . وقد قصد (ثيوفانس) بـ (Madikaripos) (مديكريب بن الحارث) شقيق حجر .

وكان من نتائج هذه الغارات كما يقول هذا المؤرخ أن عقد القيصر (أنطاسيوس) صلحاً مع (Aretas) أي الحارث ، والد الأخوين المذكورين ، فطمح الأمن بذلك على فلسطين والعربية وفينيقية . وقد أشار الى هذا الصلح المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، حيث ذكر ان القيصر (أنطاسيوس) أرسل جده الى (Aretas) لمفاوضته في عقد صلح . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة (Aretas) .

ولم يشر الأخباريون الى هذه الغزوات التي قام بها (حجر) و (مديكريب) على حدود سورية وفلسطين في عهد (أنطاسيوس) كما روى ذلك هذا المؤرخ . وورد أن حجراً أغار على اللخمين في أيام امرئ القيس والد المنذر بن ماء السماء . ويظن (نولدكه) أن هذه الحملة التي لا نعرف من أمرها شيئاً إنما وقعت بعد وفاة الحارث ، وقد قصد (حجر) منها استرجاع ما خسره أبوه ، وإعادة نفوذ كندة الى ما كان عليه .

لقد كانت نهاية (حجر) بأيدي (بني أسد) ، ويظهر أنهم قبلوه ملكاً عليهم مكرهين . فلما حالت الفرصة قاموا عليه وقتلوه . حدثت (ابن الكلبي) أنه كان لحجر على بني أسد ثلاثة في كل سنة مؤقنة . فلما كان بتهامة ، أرسل جايه الذي كان يجيهم ، فنعوه ذلك ، وضرخوا رسله وضرخواهم ضرخاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فصار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من

Pauly-Wissowa, Ogaros, Olander, P. 51, Ency., II, P. 1019.

Olander, P. 51, 74.

Olander, P. 75.

Olander, P. 76, Nöldeke, Fünf Mo'Allaqat, I, S. 80.

قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سرائهم ، فضربهم بالعصا وأباح الأموال وصيرهم إلى تهامة ، وحبس سيدهم (عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي) ، والشاعر (عبيد بن الأبرص) ، فأثر ذلك في نفوس بني أسد وأفسدوا له الانظام^١ . ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد ، فلما دنا منهم ، وقد بلغهم موت أبيه ، طمعوا فيه ، فلما أظلمهم وضربت قبايه ، اجتمعت بنو أسد إلى (نوفل بن ربيعة) ، فهاجم على (حجر) ومن معه ، فانهزم جيشه وأسر (حجر) وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهنهم : لا تعجلوا بقتله حتى أزيح لكم ، فلما رأى ذلك (علباء) خشي أن يتواكلوا في قتله ، فحرض غلاماً من بني كاهل على قتله ، وكان حجر قد قتل أباه ، فدخل الخيمة التي احبس حجر بها فطعن طعنة أصابت مقتلًا^٢ .

ويزعم أهل الأخبار أن (بني أسد) الذين عصوا حجراً عرفوا منذ ضربهم حجر بالعصا بـ (عبيد العصا) ، وقد أشير إلى هذه التسمية في الشعر ، ويذكرون أيضاً أن (عبيد بن الأبرص) ، وقف أمام الملك حجر ، فقال شعراً يستعطفه فيه على قومه ، فرق لهم ورحمهم وعفا عنهم ، وأرسل من يردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو (عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي) ، بأنهم سيقتلون حجراً ويستقيمون منه ومن أهله ، فصعدوا بنبوءته وعادوا إلى موضع حجر فوجدوه نائماً ، فذبحوه ، وشدوا على هجائه فاستاقوها . وفي رواية أخرى ، أنهم هجموا على عسكر حجر ودخلوا قبة ، فطعن علباء بن الحارث الكاهل ، فلما قتل ، استصلحت أسد كنانة وقبيلاً ، ونهبوا ما كان في عسكر حجر وسلبوه ، وأجاز (عمرو بن مسعود) عيال حجر . وقبل أجازهم غيره ، وبذلك تخلصت بنو أسد من حكم كندة^٣ .

- ١ - الأغانى (٦٣/٢) ، ابن خلدون (٢٧٤/٢ وما بعدها) ، ابن الأثير (٢١٠/١) .
- ٢ - الأغانى (٨١/٩) (طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧) ، ابن الأثير (٣٠٤/١) ، (الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٨/٢) (القاهرة ١٩٣٢) .
- ٣ - أيام العرب (١١٤ وما بعدها) .
- ٣ - ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، دار الثقافة بيروت .
- ١٩٦٤) ، الأغانى (٦/٨) (التكملة) ، البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ،
- غزاة الأدب (١٥٩/١ وما بعدها) .

وهناك روايات أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) والى غيره مثل (أبو عمرو الشيباني) و (المهيم بن عدي) و (يعقوب بن السكيت) وغيرهم تختلف فيها بينها بعض الاختلاف في كيفية قتل (حجر) . وقد زعمت بعض الروايات بأن (علباء بن الحرث الكاهلي) هو الذي قتله ، طعنه ، ففقت طعنته هذه عليه ، وكان (حجر) قد قتل أباه . وزعمت رواية أخرى أن الذي قتله هو ابن أخت (علباء) ، وكان حجر قد قتل أباه ، ضربه بحديدة كانت معه سبت وفاته^١ .

وتذكر رواية أن (حجراً) لما علم انه ميت أوصى ودفع كتابه الى رجل أمره ان ينطلق الى اكبر أولاده (نافع) ، فإن بكى وجزع ، فليذهب الى غيره حتى يصل الى أصغرهم وهو امرؤ القيس ، فأبهم لم يجزع يدفع اليه الكتاب . فكان ذلك الولد امرؤ القيس^٢ .

ونجد في شعر (بشر بن أبي خازم الأسدي) فخراً واعتزازاً بقتل أسد لحجر والد امرئ القيس . وقد دعاه به (ابن أم قطام) في إحدى قصائده ، وقال ان قومه علوه بالسيف البيض الذكور . وأم قطام هي بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية^٣ . ودعاه به (حجر) في قصيدة أخرى ، واقتخر بأن قومه ضربوا رأس حجر بأسياف مهشدة رفاق^٤ . وذكر في قصيدة أخرى أن قومه ضربوا خيل حجر بحطب الردة . والردة موضع في ديار قيس ، والظاهر أنهم قتلوا حجراً بحطب الردة^٥ .

وأما (شرحبيل) ، فقد ملكه أبوه علي (بكر بن وائل) و (حنظلة بن مالك) و (بني أسيد) و (الرباب) ، أي على عدد من قبائل ربيعة ومضر ، وكان نصيبه القسم الشرقي من مملكة كندة ما عدا البحرين^٦ . وليس بسين الذي

١ الكامل . لابن الأثير (٣٠١/١ وما بعدها) . الأغانى (٦٤/٨ وما بعدها) . ابن خلدون (٢٧٦/٢) . ابن حزم . جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السلام هارون) (دار المعارف بمصر ١٩٦٢) . (ص ٤٢٧) .

٢ أيام العرب (١١٥) .

٣ ديوان بشر بن أبي خازم . تحقيق الدكتور عزة حسن (ص ٩١) .

٤ ديوان بشر (ص ١٦٦) .

٥ ديوان بشر (ص ٢٢) .

٦ Ollender, p. 82 .

يروى الأخباريون عنه شيء ذو بال ، إلا ما ذكروه عن كفيته مقتلته ونهايته ، وهذا ملخصه :

لما هلك الخارث بن عمرو نشئت امر اولاده ، وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش . وقد بلغت العداوة أشدها بين (شرحبيل) وسلمة ، بسبب التسلل الذي عاد الى الحيرة وأخذ يشعل نار الفتنة بين الأخوين . فسار شرحبيل ببكر ابن وائل ومن معه من قبائل حنظلة ومن أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرياب ، فزلت (الكلاب) ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من الهامة ، وأقبل (سلمة) في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مائة من تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نهوهما عن القصاد والتحصن ، وحلروهما الحرب وعثرأها وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ، ولم يترجحا ، وأيا إلا التتابع . فلما تلاقى الجمعان ، اقتتلا قتالاً شديداً ، ثم عزلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرياب ببكر بن وائل ، وانصرفت وثبت بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وأحلافها عن بني تغلب ، وصبرت تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاء اليه من عرف موضعه وقتله .

ويذكر أهل الأخبار ان العداوة كانت شديدة بين الأخوين ، حتى ان كل واحد منها وضع جائزة لمن يأتي برأس أخيه ، فذهب (أبو حنشل) وهو عصم ابن التيمان بن مالك (عصم بن مالك الجشمي) ، فظعن (شرحبيل) ، واحتز رأسه وجاء به الى أخيه ، فطرحه أمامه . ويقال إن شرحبيل لما رأى (أبا حنشل) يريد توجيه طعنة اليه قال له : يا أبا حنشل اللبن اللبن ، فقال أبو حنشل : قد هزقت لنا لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنشل أملك بسوقه . وذلك ان دم الملوك

١ التفضيلات (ص ٤٢٨ وما بعدها . ١٠٧٢ وما بعدها) ، النويري ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥ وما بعدها) ، الكامل - لابن الاثير (٢٢٧/١) ، العقد الفريد (٧٨/٦) ، البلدان (٣٦٩/٣ وما بعدها) ، نفاثس جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (ليدن ١٩٠٧) ، (تحقيق بيفان) ، الكامل لابن الاثير (٢٢١/١) ، الطباعة التبرية . البكري : معجم (١١٣٢/٤) ، اليعقوبي (١٨٣/١ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢٢٢/٥) (لجنة) ، نفاثس (١٠٧٢/٢) ، الكامل لابن الاثير (٣٧٩/١) .

٢ نفاثس جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (بيفان) ، أيام العرب (٤٧) .

فوق دم العامة ، وهم السوق . وإن الملك لا يقتل بسبب قتله رجلاً من سواء الناس .

ويظن أن (يوم الكلاب) كان قد وقع سنة (٦١٢) للميلاد^١ .

ويقول الرواة أن (بني تغلب) أخرجت (سلمة) ، فلجأ إلى (بني بكر ابن وائل) ، فانضم إليهم ، ولحق تغلب بالملح بن امرئ القيس . وتذكر رواية من الروايات التي يقصها أهل الأخبار عن كيفية نهاية ملوك كندة . أن الأمر لما اشتد على أولاد الحارث ، جمع (سلمة) جموع اليمن ، فسار ليقتل نزاراً . وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع منهم (بنو عامر بن صعصعة) وبنو وائل : تغلب وبكر ، وقبل : بلغ ذلك كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو (خزاز)^٢ فيوقد عليه ناراً ليهتدي الجيش بها ، وقال له : إن غشيت العدو فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل ملحج ، وهجمت ملحج على خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة ، فالتقوا بخزاز ، فانتلوا قتلاً شديداً فانهزمت جموع اليمن . وفي رواية (أبي زياد الكلابي) ، أن الذي أوقد النار على خزاز (خزازا) هو الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكان على روايته هذه رئيساً على نزار كلها . ويذكر الكلابي أن أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له أنه كان على نزار (الأحوص بن جعفر) . ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر أن (كليباً) كان على نزار^٣ . أما (محمد بن حبيب) ، فيروي أن (كليب وائل) هو الذي قاد جموع (ربيعة) و (مضر) و (قضاة) في يوم خزاز إلى اليمن^٤ .

وقال بعض الأخباريين : كان كليب على ربيعة ، والأحوص على مضر^٥ .

Naval, P. 233.

- ١ ويعرف أيضاً بيوم خزازا . ويوم خزازي ، البلدان (٤٣٠/٣) النفاذ (ص ٨٨٧) ، البكري : معجم (١-٦ ، ٣٠٣ ، ٥٦٣) ، ابن الأثير (٣١٠/١) ، العقد الفريد (٩٧/٦) (العربيان) ، نهاية الارب (٤٢٠/١٥) وما بعدها (، طبعة دار الكتب) .
- ٢ البلدان (٤٣٠/٣) .
- ٣ المحير (ص ٢٤٩) .
- ٤ البلدان (٤٣٠/٣) .

وبعود سبب هذا الاختلاف في روايات الرواة الى التزعجات القليلة التي كان يعملها الرواة . ف (أبو زياد الكلابي) يتعصب كما ترى لـ (بني كلاب) ، فيرجع الرئاسة اليهم ، لأنه منهم ، وهذا مما يأباه رواية ربيعة وينكرونها عليه اذ يرون ان الرئاسة فيهم . وتوسط رواية بين رواية ربيعة ورواية مضر حسماً للتزاع على ما يظهر ، فقالوا بالرئاستين : رئاسة كليب على ربيعة ، ورئاسة الأحوص على مضر وبذلك أصلحوا ذات اليمن .

وقد ذكر (أبو زياد الكلابي) أن يوم (خزاز) أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وأنه أول يوم استنصفت فيه نزار من اليمن ، وأنها لم تزل منذ هذا اليوم بمنعة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه حتى جاء الاسلام .

وذكر (الأصمعي) أن يوم خزاز كان المنتشر بين ماء السماء ولبنى تغلب وقضاة على (بني آكل المرار) من كندة وعلى بكر بن وائل ، وأن المنتشر وأصحابه من بني تغلب أسروا في هذا اليوم حسين رجلاً من بني آكل المرار . ويفهم من شعر لـ (عمرو بن كلثوم) قبل إنه قاله متذكراً هذا اليوم ، أن رعبه وهم من بني تغلب آبوا بالنهاب وبالسبايا وباللوك مصفدين . ولم يشر الشاعر الى هوية هؤلاء الملوك السوريين ، ولكن (الأصمعي) يقول : إنه قصد بقوله : « وأبنا باللوك مصفدين » (بني آكل المرار) .

فيظهر من الرواية المشتقة ان يوم خزاز ، كان بين سلمة ومن جاء معه من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . ويظهر من رواية الأصمعي أن ذلك اليوم كان بين المنتشر بين ماء السماء وتغلب وقضاة من جهة وبين (بني آكل المرار) ، وبكر بن وائل من جهة أخرى . وهناك روايات أخرى تذكر ان هذا اليوم ، إنما كان قد وقع بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معد ، ولا علاقة له بسلمة وبين آكل المرار أو المنتشر بين ماء السماء في هذا اليوم ، الذي أدى الى انتصار بني معد على اولاد قحطان .

- ١ البلدان (٣ / ١٣٠ وما بعدها) .
- ٢ النفاذ (ص ٨٨٧) . من بيت عمرو بن كلثوم :
وآبوا بالنهاب وبالسبايا
وأبنا باللوك مصفدين
- ٣ ابن الأثير (١ / ٣٦٠) ، العقد الفريد (٣ / ٣٦٤) ، نفاذ جرير والفسرزدق (٢ / ١٩٣) ، البكري ، معجم (٢ / ٢٩٦) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أنه : « لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزازه .
وأم عمرو بن كلثوم ، هي ابنة (كليب بن ربيعة) ، المعروف بـ (كليب
والثقل)^١ . فذكره في شعره لذلك اليوم ساعد ولا شك في إبقاء اسمه في ذاكرة
الناس ، حتى دون خبره في الإسلام .

وليوم (أواراة) الأول علاقة وصلة بـ (سلمة بن الحارث) وبـ (المنذر
ابن ماء السماء) على ما يرويه بعض أهل الأخبار . فهم يذكرون أن تغلب لما
أخرجت (سلمة) عنها ، التجأ إلى (بكر بن وائل) ، فلما صار عند بكر
ابن وائل أذعن له ، وحشدت عليه ، وقالت : لا يملكنا خيرك . فبعث إليهم
المنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسر إليهم ، فإن غفر
بهم قليلاً بجنهم على قلة جبل أواراة . وسار إليهم في جموعه ، فالتقوا بأواراة ،
فأقتتلوا قتالاً شديداً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر (يزيد بن شرحبيل
الكندي) ، فأمر المنذر بقتله ويقتل عدد كبير من بكر^٢ .

وأما (شرحبيل بن الحارث) ، فقد قتله (بنو جعدة بن كعب بن ربيعة
ابن صعصعة)^٣ .

ويحدثنا (يعقوب بن السكيت) أنه كان لحجر والد امرئ القيس جملة أولاد
أكبرهم (نافع) وأصغرهم (امرئ القيس) ، وبين الأكبر والأصغر جملة
أولاد ، غير أنه لم يذكر أحداً منهم^٤ . وقد ورد اسم (نافع) في بيت شعر
لامرئ القيس^٥ .

وذكر (ياقوت) ولداً لـ (سلمة بن الحارث) سماه (قيساً) قال : أنه
أغار على (ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي)
فهزمه ، حتى أدخله الخورنق ومعه ابنه قابوس وعمرو . فكث ذو القرنين حولاً ،
ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) ، فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر
ابن عمرو وكانوا ينصبون ، وأفلت منهم امرئ القيس على فرس شقراء ، فطلبه

١ البكري . معجم (٢٩٦/٢) .

٢ ابن الألف (٢٢٨/١) .

٣ البلدان (٤٣٨/٣) وما بعدها .

٤ الأغاني (٦٥/٨) .

٥ الأغاني (٦٥/٨) . - Olinder, P. 94.

القوم فلم يقتلوا عليه . وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند (الظفر) ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (جفر الأملاك) ، وهو موضع (دير بني مرينا) . وقد أشير إلى مقتلهم في شعر لأمراء القيس^١ .

كننة تلحق بحضرموت:

وقد ذكر الرواة أن ملك كننة لما انخرق، وهلك من هلك منهم ، قام عمرو أقحل بن أبي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث ، الملك ، فقال : يا معشر كننة . إنكم قد أصبحتم بغير دار مقام . وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بحضرموت^٢ .

ويذكر الرواة أن الملك خرج من (بني آكل المرار) وساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم (قيس بن معديكرب) ، ثم ابنه الأشعث بن قيس ، وهو الذي انتهى النبي في سنين أو سبعين راكباً من أشراف كننة فأسلموا . أسلم الأشعث ، وكانت كننة قد توجهت عليها^٣ .

ويذكر (حمزة) ، أن المنذر بن ماء السماء تتبع غابريهم ، فقتل عامتهم ، وصارت رئاسة كننة في (بني جيلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين) ، ثم في (معديكرب بن جيلة) ، ثم في (قيس بن معديكرب) ، وعلى عهده قام الاسلام بمكة ، ثم في (الأشعث بن قيس)^٤ .

وقد ذكر (ابن جيب) ، (الأشعث بن قيس بن معديكرب) في جملة الجرارين من القيس^٥ . والجرارون من كان يرأس ألقاً ولا يعد الرجل جراراً

١ البلدان (١٢٧/٤) وما بعدها ، (٦٤٨/٢) (طبعة ومستنقد) ، الساج (٣٥٣/٩) .

٢ المجبر (ص ٣٧٠) .

٣ الطبري (١٣٩/٣) ، الفضليات (ص ٤٤١) ، حمزة (ص ٩٣) .

٤ حمزة (ص ٩٣) .

٥ المجبر (ص ٢٥١) .

٦ المجبر (ص ٢٤٦) .

حتى يقود ألفاً^١ . وذكره في باب (أغرق العرب في الغدر) . فقال عنه إنه غدر بـ (بني الحارث بن كعب) . وكان بينهم عهد وصلح ، فغزاهم فأسروه ، فقتل نفسه بمائتي قلووس ، فأدى مائة ، ولم يؤد البقية حتى جاء الاسلام ، فهزم ما كان في الجاهلية . وغدر الأشعث أيضاً فارتد عن الاسلام .

وقال عن والده (قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكتلي) ، انه كان من « أغرق العرب في الغدر » كذلك ، وكان بينه وبين مراد « ولث » إلى أجل ، فغزاهم في آخر يوم الأجل غادراً . « وكان ذلك اليوم يوم الجمعة . فقالوا له : انه قد بقي من الأجل اليوم . وكان يهودياً . فقال : انه لا يعمل لي القتال غداً . فقاتلهم ، فقتلوه وهزموا جيشه . وكان معديكرب عقد لمهرة صلحاً ، فغزاهم غادراً بالعهد . فقتلوه وشقوا بطنه ، فقتلوه حصي^٢ .

وقد لقب (قيس) بالأشج ، لأثر شج في وجهه ، وعرف بالأعشى كذلك وقيل له : (بطريق اليمن) . وذكر بعض الرواة ان كلمة (بطريق) تعني الحاذق في الحرب وأمورها^٣ .

وفي حق (قيس) هذا قال (الحارث بن حنظلة الشكري) في جملة ما قاله في قصيدته مفتخراً بقومه :

حول قيس مستلثين بكيش قرظي كأنه عبلاء

وقد قال الشراح إن قيساً جاء عمل رأس جيش لجب ومعه رايانه متحصن بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ اليمن ، كأنه في منته وشوكته هضبة من الغصاب ، قد لبسوا الدروع ، فردتهم (بشكر) قوم الشاعر ، وقتلوا منهم^٤ . ويذكر أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى كان ممن يقد على (قيس بن معديكرب)

١ المجسر (ص ٢٥٣) .

٢ المجسر (ص ٢٤٤ وما بعدها) .

٣ قيس أبو الأشعث بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه ابن من

اللسان (٢١/١٠) (طبعة بيروت) الاغانى (٧٨/٨) . البيان والتبيين

(١٨/١) . الاغانى (١٢٦/١١) . الامالي للقالبي (٩٢/١) .

٤ المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (طبعة صادر ، بيروت) ابن قتيبة ،

كتاب المعاني الكبير (ص ٩٤٢) .

من الشعراء . وقد رووا له شعراً قاله لقيس^١ . في جملة قوله :

وجلتداه في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت الميث^٢

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، أمر (قيس ابن سلمة الكندي) يوم الحرمان^٣ .

وذكر أهل الأخبار ان ملوك كندة جعلوا ردائهم في (بني سلوس)^٤ . وجاء ان (الأشعث بن قيس) ، كان قد ظب على أهل نجران وملك رقابهم وجعلهم (عبيداً لمملكة) . وذكر انه خاصهم عند (عمر) في أيام خلافته ، فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية ، فلما أسلموا سقطت تلك العبودية عنهم^٥ .

أمرؤ القيس الشاعر :

ويذكر الأخباريون ان (حجرأ) لم يكن راضياً عن ابنه (امرؤ القيس) فطرده من عنده وآل الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك . فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل . فإذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ، ثم عاد فأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهاهم وغتته قيسانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأناله خبر أبيه ومقتله وهو يد (دمتون) من ارض اليمن ، أنه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف . فلما أنهى بذلك ، قال :

تطاول الليل عليّ دمتون دمتون ، إنا معشر يمانون
وانسا لأهلها محبتون

- ١ الاغانى (٧٨/٢) . الامالى (٩٢/١) . الجهمي ، طبقات الشعراء (ص ١٢٢) .
- ٢ ديوان الاعشى (القصيدة ٦٣ . البيت ١٥) .
- ٣ المحير (ص ٢٥٢) .
- ٤ الاشتقاق (ص ٢١١) .
- ٥ اللسان (٢٩٣/١٠) .

ثم قال : ضيعني صغيراً وحلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ، ولا سكر
غداً ، اليوم غمر ، وغداً أمر . فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي ، لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعا فلما صحا آل ألا بأكل لحماً ولا يشرب خمرأ ولا يدهن بدهن
ولا يصيب امرأة ولا يقبل رأسه من جنازة حتى يدرك بثأره^١ .
وفي رواية أخرى أنه طرد لما صنع في الشعر بقاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقاً ،
فطلبها زماناً ، فلم يصل إليها ، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير ينادي
جلجل ما كان ، فقال قصيدته المشهورة : (قفا نيك من ذكرى حبيب ومترل) .
فلما بلغ ذلك والده غضب عليه ، وأوصى بقتله ثم طرده^٢ . وهناك من يزعم أنه
اتما طرد ، لأنه تغزل بامرأة من نساء أبيه^٣ .

هذا وصف موجز لأصغر أبناء (حجر) : (امرئ القيس بن حجر الكندي)
الشاعر الشهير و (الملك الضليل) و (ذي القروح)^٤ .
ولرواية أقوال في اسم (امرئ القيس) ، فقد سماه بعضهم (حنجر) ،
ودعاه آخرون (عدياً) ، ودعاه قوم (مليكاً) ، ودعاه نفر (سليمان) وهو
معروف عندهم بالاجماع بـ (امرئ القيس) ، وهو لقبه^٥ . ويكنى بأبي وهب
وأبي زيد وأبي الحارث وذي القروح^٦ .
ولا نعرف سنة ولادة هذا الأمير الشاعر . ويقطن (أوليندر) أنه ولد حوالي

- ١ الإغاني (٦٥/٨) ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار
الثقافة بيروت ١٩٦٤) خزائن الأدب (١٥٩/١ وما بعدها) ، شرح القصائد
العشر ، للتبريزي (ص ٦ وما بعدها) ، معجم الشعراء ، للبرزباني (ص ٩) ،
المحبر (ص ٣٥٢) ، نزعة الجليس (١٤٨/٢ وما بعدها) .
- ٢ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة مصطفى السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، (٣٢) .
- ٣ Olinder, P. 96.
- ٤ الإغاني (٦١/٨) ، الشعر والشعراء (ص ٣١) ، الخزائن ، للبغدادي
(٢٣٢/٣) ، شرح العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، العمدة ، لابن رشيقي
(١١/١ ، ٤٢ ، ٩٧) ، تقريب الإغاني ، لابن واصل (ص ١٠٠٦) .
- ٥ الزهر (٢١٤/٢) ، الأمدى : المؤلف والمختلف ، (ص ٩) ، جمهرة أشعار
العرب (ص ٢٩) ، (القاهرة ١٩٦٦) ، طبقات فحول الشعراء : (دار المعارف)
شرح المملكات السبع ، للزوزني (ص ١ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٣٣ ، ٢٤٩)
الاستغنى (٢٢٢/٢) ، القاموس المحيط (٥٤٦/١) ،
٦ Olinder, P. 96. (ص ٦ وما بعدها)

سنة (٥٠٠) للميلاد^١ . أما أمه فهي (فاطمة) بنت ربيعة بن الحارث بن زهير ،
 أخت (كليب) و (مهلهل) التغلبي^٢ . وورد في بيت شعر ينسب إلى هذا
 الشاعر : (امرئ القيس بن تمك)^٣ . وقد استنتج بعض العلماء منه أن أمه هي
 (تمك) ورجعوا نسبها إلى (عمرو بن زيد بن ملحج رهط عمرو بن معديكرب) ،
 ويرى بعض المشرقين أنه أدخل في ديوان هذا الشاعر ، وأنه يعود إلى شاعر
 آخر اسمه (امرئ القيس) ، وقد عد (آلوارت) (Ahlwardt) ، سنة عشر
 شاعراً أسماؤهم (امرؤ القيس)^٤ . ويلاحظ أن من زعم من الرواة أن أم امرئ
 القيس هي (تمك) جعل نسب (امرؤ القيس بن السط) بن امرئ القيس بن
 عمرو بن معاوية بن ثور) ، وهو (كتلة) ، وهم يخالفون بذلك سلسلة النسب
 المألوفة عند غالبية الرواة .

وذكر أنه ولد ببلاد بني أسد ، وأنه كان يتزل بالمشقر وهو موضع ذكر في
 شعره^٥ . وروى (ابن قتيبة) أن (امرؤ القيس) من أهل نجد ، وأن الديار
 التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد^٦ . وقد تنقل هذا الشاعر في مواضع
 متعددة من الجزيرة ، ووصل إلى القسطنطينية عاصمة الروم .

وكان امرؤ القيس يد (دمعون) حبلاً جاء إليه نأ مقتل والده على رواية^٧ .
 ودمعون من قرى حضرموت للصدف في رواية^٨ . وفي رواية أخرى مرجعها (الخليل
 ابن عدي) أن امرؤ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني

Olinder, P. 86.

١ ابن الأثير (٢١١/١) ، الأغاني (٦٠/٨) ، Ency. II, P. 477 .

٢ ألا هل أناها والحوادث جملة بأن امرؤ القيس بن تمك يبقرا

٣ ديوان امرئ القيس (٢٠ : ٣٧) ، الأغاني (٦١/٨) ، Olinder, P. 86 .

٤ Ahlwardt, Bemerkungen über die Echtheit der alten Arabischen Gedichte, 1

B. 73.

راجع أخبار المراقبة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام : تأليف حسين
 السنديوني ، القاهرة ١٩٣٩ ، وقد جمع فيه أشعار من كان شاعراً ويسمى

بـ (امرئ القيس) .

٥ الأغاني (٦١/٨) ، البلدان (٦٥/٨) ، معجم ما استعجم (٥٦١) .

٦ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ .

Olinder, P. 86.

Maritain, Arabien, B. 53.

٧ الأغاني (٦٥/٨) .

٨ الصفة (٨٥) ، البكري ، معجم (٣٤٨/١) ، (وساكن دمعون هو الحارث بن

عمرو بن حجر آكل المرار) ، البلدان (٨٥/٢) .

حفظلة مقبلاً ، لأن ظنوه كانت امرأة منهم ، وقد روت شعراً زعمت أنه قاله حيناً بلغه النبا ، وهو :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنما
فقلت لمجلى بعيد مآبة أين لي وبين لي الحديث المجمع
فقال : أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحا حتى حجر فأصبح مسلماً^١

ويفهم من هذا أن شاعرنا كان في صيلع حينما أبلغ خبر وفاة والده ، أثناء به رجل اسمه (عجل) ويعرف بطائر الأعور^٢ .
أما صيلع ، فوضع من شق اليمن ، كثير الوحش والقباء . ورد اسمه في خبر عجيء وفد همدان إلى الرسول^٣ . وقد صرح (باقوت الحموي) أن به ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حجر^٤ .

وهناك خبر يفيد أنه نزل في (بني دارم) وبقي صنعهم حتى قتل عمه (شرحبيل) ، وفي رواية تنسب إلى (الهيثم بن عدي) أنه كان مع والده (حجر) حين هاجمته بنو أسد ، وأنه هرب على فرس له وتمكن من النجاة^٥ . ويقول (ابن الكلبي) و (يعقوب بن السكيت) أن امرأ القيس ارتحل بعد أن بلغه نبأ مقتل والده حتى نزل بكرة وتغلب ، فسألم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فتلذذوا بالعبود ولجأوا إلى بني كنانة ، ثم أدركوا أن امرأ القيس يتعقبهم ، وتصحهم (عباء بن الحارث) بالرحيل بليل ، وألا يعلموا بني كنانة ، ففعلوا وتركوا (بني كنانة) وارتحلوا عنهم ليلاً دون أن يشعروا . فلما وصل امرؤ القيس إلى بني كنانة طائفاً بني أسد بينهم ، نادى : يا ثلثات الملك . يا ثلثات الملك . فأخبروه أنهم قد تركوهم وارتحلوا عنهم . فتعقبهم مع بكر وتغلب حتى لحق بهم ، فقاتلهم ، فكثرت فيهم الجرحى والقتل حتى جاء الليل فحجز بينهم ، وهرت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثارك . قال : والله ، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل

١ (أباحوا حتى حجر فأصبح مسلماً) ، السننوي (١٨١) ، الأغانى (٦٦/٨) .
٢ الأغانى (٦٥/٨) .
٣ البكري ، معجم (٦١٤/٢) .
٤ البلدان (٤٠٦/٥) .
٥ Ollender, P. ٩٥.

ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ،
وكرهوا قتالهم بني كنانة ، وانصرفوا عنه ، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بمجير^١ .
ولما أقبل امرؤ القيس من الحرب على قومه الشقران ، لجأ ابن عمته (عمرو
ابن اللثري) وأمه (هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار) ، وذلك بعد قتل
أبيه وأعمامه ، وتفرق ملك أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر
بـ (بقة) ، فلدحه وذكر صهره ورجله ، وانه قد نلقى بحباله ، ولجأ إليه فأرجاه
ومكث عنده زمناً . ثم بلغ اللثري مكانه عنده ، وأنذره عمرو ، فهرب حتى
أتى جبر^٢ .

وفي رواية يرجعها الرواة إلى (ابن الكلبي) و (المهدي بن عدي) و (عمر
ابن شبة) و (ابن قتيبة) : ان (امرؤ القيس) خرج فوراً بعد امتناع بكر
ابن وائل وتغلب من أتباع بني أسد إلى اليمن ، فاستنصر أزد شنومة ، فأبوا أن
ينصروه وقالوا : اخواننا وجيراننا ، فنزل بقبيل يدهي (مرثد الحبر بن ذي جند
الحميري) ، وكانت بينها قرابة ، فاستنصره واستمسده على بني أسد ، فأمدته
بخمسة رجل من جبر ، ومات مرثد قبل رجول امرؤ القيس بهم ، وقام بالملكة
بعده رجل من جبر يقال له : قمرل بن الحميم ، وكانت أمه سوداء ، فردد
امرؤ القيس ، وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف ... فألفس له ذلك الجيش ،
وتبعه شلّاح من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فدار بهم إلى بني
أسد ، ومرّ بـ (بالة) ، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة) ،
فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الأمر والنهي والرهص ، فأجابه فخرج
النهي ، ثم أجابه فخرج النأي ، ثم أجابه فخرج التام ، فجمعها وكسرهما
وضرب بها وجه الصنم ، وقال : نصصت بقر أمك لو أبوك قل ما عشتي ،
ثم خرج فلفق بـ (بني أسد)^٣ .

فلما عقر بهم ، فقال هذه الأبيات :

قولاً للدودان عيّد المعاص ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
قد قوت العيسان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

١ - الأغانى (٦٧/٨) - ابن الأثير ، الكامل (٣٠٦/١) وما بعدها .

٢ - الأغانى (٦٧/٨) .

٣ - الأغانى (٦٧/٨) وما بعدها . البداية والنهاية . لابن كثير (٢١٩/٢) .

ومن بني غم بن دودان إذ تقلد أعلام على السافل

• • •

حلت لي الخمر وكنت امراً عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحب لأنما من الله ولا واغل

وهي آيات يفهم منها انه أوقع في (بني دودان) و (بني مالك) و (بني عمرو) و (بني كاهل) و (بني غم بن دودان) ، وهي بطون من بني أسد، هي التي قتلت أباه حجراً ، قالها بعد أن أنجده (قمرل بن الحميم الحميري) وأنه ألبسهم الدروع للحماية ، وكمحلهم بالنار ، فبر يمينه ، وحل له شرب الخمر^١ .

وبنو دودان ، هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، وإلى ثعلبة ههنا تنسب الثعلبية التي بن الكوفة ومكة . وهم جملة بطون ذكرها أهل الأنساب^٢ .
والى (قمرل) أشار (امرؤ القيس) في شعره :

وكنّا أناساً قبل غزوة قمرل ورثنا الفنى والمجد أكبر أكبرا

وهو من (السحول) من (ذي الكلاع)^٣ .

وفي رواية تنسب الى (الخليل بن أحمد القرايدي) أن رجلاً من قبائل (بني أسد) فيهم (قبيصة بن نعيم) وكان في بني أسد مقيماً ، قنعوا على امرئ القيس بعد مقتل أبيه ، ليعتدروا اليه وليسوا قضية قتل والده ، فرفض إلا الانتقام من (بني أسد) قائلاً : « لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، وإنني لن أغتاض به جملأ أو ناقة » ، فاكسب بذلك سبة الأبد وفوت العفد . وأما النظرة ، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لمطبخها سيأ وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تعمل القلوب حنفاً وفوق الأسمنة علفاً^٤ . وتذكر الرواية أنه خرج اليهم بعد ابطاء دام ثلاثة أيام ، وهو في قباء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعن بالسواد إلا بالثارات ، فلما نظروا اليه ، وبلد اليه قبيصة ، يتكلم باسمهم معتزلاً ، ملأياً الصفيح عنهم ، ودفع الذبة عن

١ السندوبي (ص ١٥١) ، السمر والشمراء (٤٣ وما بعدها) Olinder, P. 102.

٢ جبهة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ١٨٢) .

٣ الاشتقاق (ص ٣٠٧ - ٣٠٩) .

٤ الاغانى (٧٢/٨ وما بعدها) .

حجر ، أخرهم ، أن دم حجر لا يمتلئ بمجمل أو ناقة ، وأنه لا بد من أخذه بالثار ، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كتنة ، فيهمج عليهم .
وهناك رواية أخرى تسب إلى (أبي عبيدة) في هذا المعنى المتقدم مآلها أن (بني أسد) اجتمعت بعد قتلهم حجر بن عمرو إلى ابنه امرئ القيس على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ، أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد ، أو يمهلهم حولاً . فقال : أما الدية ، فما ظننت أنكم تعوضونها على مثلي . وأما القود ، فلو قيد لي ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتم كفواً لحجر . وأما النظرة فلکم ، ثم سترقوني في فرسان قحطان أحكم فيكم قلبا السيوف وشبا الأمت حتى اشفي نفسي وأنال ثأري .^١

ولم نشر رواية (الخليل) و (أبي عبيدة) إلى ما فعله (امرؤ القيس) بعد ذلك في (بني أسد) ، ولكننا إذا ما أردنا ربط هذه الروايات بعضها ببعض وبحسب التسلسل الطبيعي المنطقي ، نستطيع أن نجعلها مقدمة لرواية (ابن الكلبي) و (ابن السكيت) و (خالد الكلابي) وملحقها ، وهي رواية (محمد بن سلام) عن نزول (امرئ القيس) بـ (بكر) و (ثعلب) ، وطلبه النجدة منهم والنصرة على بني أسد ، واقتصاصه منهم بعد تركهم له (بني كنانة) كما ذكرت ذلك سابقاً . وإن ربطها كذلك برواية (ابن الكلبي) (والحسين بن عدي) و (عمرو بن شبة) وابن (قتيبة) الملحق بهذه الرواية ، والرواية القائلة بذهاب (امرئ القيس) إلى اليمن واستنصاره بـ (أزد شنوة) و (مرثد الخير بن ذي جلدن الحميري) بعد أن امتنع بكر بن وائل وثلث وتغلب عن ملاحقة بني أسد . وقد أشار (ابن قتيبة) إشارة مختصرة إلى هجوم (امرئ القيس) على بني أسد حينما كانوا في (بني كنانة) ، وذكر أنه أوقع بـ (بني كنانة) ، ونجت (بنو كاهل) من بني أسد ، فقال :

يا خلف تقسي إذ خطن كاهلا القاتلين الملك الخلاصلا
ثاقه لا ينهب شيخي بأمللا^٢

- ١ الاغانى (٧٢/٨ وما بعدها) .
- ٢ الاغانى (٨٥/١٩) .
- ٣ الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢١٨/٢) ، شرح القصائد السبع الطوال ، للأنباري (ص ٤ وما بعدها) (دار المعارف ١٩٦٣) ديوان امرئ القيس (ص ٣٤) (دار المعارف) (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، الحيوان ، للجاحظ (٥٧٨/٥) .

وأما (اليعقوبي) فذكر ان (امرأ القيس) حين بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً
 وقصد (بني أسد) ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صيحتها ،
 نزل بجمعه ذلك ، فذبح القطا ، فطار عن بجانبه فسرّ بني أسد ، فقالت بنت
 (علباء بن الحارث) أحد (بني ثعلبة) ، وكان القائم بأمر بني أسد :
 ما رأيت كالبيلة قطاً أكثر . فقال علباء : لو ترك القطا لغنا ونام ، فأرسلها
 مثلاً . وعرف ان جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع
 بكثافته ، فأصاب فيهم ، وجعل يقول : يا ثارات حجر ! فقالوا : والله ما نحن
 الا كثة . فتركهم وهو يقول :

ألا يالغ نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
 وقاهم جدهم بني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
 وأفلتتهن علباء جريضا ولو أدركته صغر الوطاب

ولم يشر اليعقوبي الى محاولة (امرؤ القيس) تعقيب (بني أسد) وامتناع
 من كان معه عن التعاقب معه كما رأينا ذلك في الرواية السابقة بل قال : ومضى
 امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس ،
 فأقام زماناً ، وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً ، فاذا براكب مقبل ،
 فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ، فسأله مما كان يشرب ، فلما أخذت
 منه الخمرة ، رفع عقبرته وقال :

سقىنا امرأ القيس بن حجر بن حارث كؤوس الشجا حتى تعود بالقهر
 وألهاه شرب ناعم وقرافر وأعياء ثار كان يطلب في حجر
 وذالك لعمرى كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففرغ امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا أبا أهل الحجاز ، من قاتل هذا الشعر؟
 قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستجد قومه ، فأملوه
 بخمسة من مذبح ، فخرج الى أرض (معد) ، فأوقع بقاتل معد ، وقتل
 الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه ، وقال امرؤ القيس
 في شعره :

قولا لدودان عبيد العصا : ما غرركم بالأسد الباسل ؟
يا أيها السائل عن شأننا ليس الذي يعلم كالجاهل
حلت لي الحمر وكنت امرأة عن شربها في شغل شاغل

وطلبت قبائل معد امرأة القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه ان المنذر ملك
الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبت بنو
أسد وقيائل معد ، فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على
طلبه ولم يمكنه الرجوع ، سار الى (سعد بن الضباب الإيادي ، وكان عاملاً
لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب) ،
فخرج امرؤ القيس الى جبل (طيء) ونزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل في طيء
مرة وفي جديلة مرة وفي نهبان مرة حتى صار الى (نهبان) فترق بالسؤال بين
عاديات فأودعه أدراعه وانصرف عنه الى قيصر^١ .

وذكر (ابن خلدون) ان (امرؤ القيس) سار صريحاً الى (بني بكر)
و (تغلب) فنصروه ، وأقبل بهم ، فأجفل (بنو أسد) وساروا الى (المنذر
ابن امرئ القيس) ملك الحيرة ، وأوقع (امرؤ القيس) في (كثانة) ، فأنقذ
فيهم ، ثم سار في ملاحقة (بني أسد) الى أن أعياء ولم يظفر منهم بشيء ،
ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار الى (مؤثر الخير بن ذي جند) من ملوك
حير صريحاً بنصره بخمسة من حير ، وجميع من العرب سواهم . وجمع المنذر
لامرئ القيس ومن معه ، وأمد كسرى أنوشروان بجيش من الأساورة ، والتفوا ،
فأنهزم امرؤ القيس ، وفرت حير ومن كان معه ، ونجا بشيء ، وما زال ينتقل
في القبائل والشلو في طلبه ، وسار الى قيصر صريحاً فأمدته ، ثم سعى به
(الطمّاح) عند قيصر انه يشب بينه ، فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه
ودفن بأقرة^٢ .

و (أبو الفداء) من الذين نقوا كذلك خبر ايقاع (امرئ القيس) به (بني
أسد) . فهو يرى انه لم يظفر بهم ، وان (بني أسد) هربت حينما علمت
بمجيء (بكر) و (تغلب) . فلما أعجز القبيلتين الطلب ، تحاذلتا عن (امرئ
القيس) .

١ اليعاقبة (١٨٠ / ١)

٢ ابن خلدون (٢٧٤ / ٢) وما بعدها .

القيس) ، وتركته . ولما عرفت جموع (امرئ القيس) بتطلب (المنذر بن ماء السماء) له ، تفرقت خوفاً من المنذر ، وخاف (امرؤ القيس) ، وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من أناس إلى أناس حتى قصد (السمؤال بن عاديا) اليهودي ، فأكرمه وأثله ، وأقام عنده ما شاء الله ، ثم سار إلى قيصر مستنجداً به^١ .

ينفي خبر (ابن خلدون) المتقدم ، غير انتقام امرئ القيس من بني اسد ، وهو يتفق بذلك مع رواية مؤسدة لبني اسد تنكر اخذ امرئ القيس بثأره من بني اسد ، وتروي في ذلك آياتاً نسبها اسد إلى (عبيد بن الأبرص) شاعر بني اسد . قال ابن قتيبة : « وقد ذكر امرؤ القيس في شعوه انه ظفر بهم ، فتأبى عليه ذلك الشعراء » . قال عبيد :

إذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحشياً
أزمت انك قد قتلنا سراتنا كليباً وميتاً^٢

وعبيد هذا هو الذي زعم (ابن الكلبي) وأضرابه انه قال آياتاً يتوسل فيها إلى (حجر) ان يترفق بقبائل بني اسد ، وان يعفو عنها ، ويقبل ندامتها ، فيسمح لها بالعودة إلى موطنها . وكان قد أمر باجلائها إلى تهامة ، لأنها أبت دفع الأثالة إلى جاسي (حجر) ، وضربته ، وضربته ضرباً شديداً ، ومطلعها :

يا عين فابكي ما بني أسد ، فهم أهل الندامة

ويقول ويقولون : انه لما سمعها رقى على (بني اسد) ، فبعث في أثرهم وسمح لهم بالعودة من تهامة^٣ . وهو قول فيه تحيز على بني اسد .
وفهم من هذه الآيات :

كأنني إذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام
فأملك العراق على المعلى بمقتدر ولا الملك النامي

- ١ أبو الفداء (٧٥/١) ، خزانة الادب ، (٥٣٢/٣) ، الكامل لابن الاثير (٣٠٨/١) وما بعدها .
- ٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ، الشعر والشعراء (٥٠/١) وما بعدها (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤) ، خزانة الادب (١٥٨/١) وما بعدها (تاريخ اليعقوبي (١٨٩/٢) (طبعة النجف) ، الشعر والشعراء (ص ٣٩) ، (طبعة لبنان) .
- ٣ الانباري (٦٣/٨) .

أصد نشاط ذي القرنين حتى تولى عارض الملك المهام
أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصاييح الفللم

أن امرأ القيس نزل على (الملقى) أحد (بني تيم بن ثعلبة) فأجاره ومنعه .
ولم يكن للملكين : ملك العراق وهو المنذر ولا ملك الشام أي ملك الغساسنة ،
اقتدار عليه . وقد بقي لديه زماناً ، ثم اضطر إلى الارتحال عنه ^١ . فذهب ونزل
عند (بني نيهان) من طيء ، ثم خرج ، فنزل به (عامر بن جوين الطائي)
وهو أحد الخلاء والفدك ، فبقي عنده زماناً ، ثم أحس منه ماراً به ، فقتله ،
وانتقل إلى رجل من (بني ثعل) فاستجار به ، فوَقعت الحرب بين (عامر) وبين
(الثعلبي) ، فخرج ونزل برجل من (بني قزارة) اسمه (عمرو بن جابر بن مازن)
فأشار هذا عليه بالذهاب إلى (السموأل بن عدياء) بتياء ، فوافق فأرسله في صحبة
رجل من (قزارة) اسمه (الربيع بن ضبع القزاري) كان يأتي السموأل ، فيحمله ويعطيه .
فنزل عنده وأكرمه ، ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى (الحارث بن أبي شمر)
الغساني ، ليوصله إلى قبصر . ثم أودعه امرؤ القيس ابنته وأدراعه وأمواله ، وأقام
ابنته مع (يزيد بن الحارث بن معاوية) ابن عمه وخرج ^٢ . وكان السلي أشار
على (امرئ القيس) بالتوجه إلى قبصر هو ذلك الرجل القزاري ^٣ .

ويظهر من تجربة كل هذه الروايات ، أن مطاردة (المنذر بن ماء السماء)
لامرئ القيس كانت أصعب شيء أصاب هذا الشاعر بعد مقتل والده . لقد أخافته
وجعلته ينتقل من قوم إلى قوم . فرَّ عنه من انضم إليه من عصبة جبر ، ونجا في
جهاة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة
ومعه أدراعه الخمسة : القضاة ، والضايقة ، والمحضنة ، والحريق ، وأم
الدهول ، كن لبني مرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، فظلوا لبثوا عند الحارث بن
شهاب حتى بعث إليه المنذر مئة من أصحابه يوعدة بالحرب أن يسلم بني آكل
المرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث
وبنت هند ، والأدراع والسلاح ، ومال كان بقي عنده ، ومضى إلى أرض طيء .

١ الاغانى (٦٨/٨) . السندوبي (ص ١٧٩) . - Olinder, P. 108.

٢ الاغانى (٧٠/٨) .

٣ الاغانى (٦٨/٨) وما بعدها .

ونزل عند المعتلي بن تيم الذي مدحه شاعرنا ، فأقام عنده ، واتخذ إبلاً ، ثم خرج فترى بعامر بن جوين على نحو ما ذكرت^١ .

ويذكر الأخباريون أن (عمرو بن قبيصة) كان قد رافق (امرأ القيس) في سفره إلى (القسطنطينية) . وقد أشير إليه في شعر (امرئ القيس) كذلك . ويذكرون أنه كان من قدماء الشعراء في الجاهلية ، وأنه أول من قال الشعر من قزاق ، وهو أقدم من امرئ القيس . ولقبه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجته معه إلى قيصر لما توجه إليه ، فبات معه في طريقه . وسمنه العرب : عمرأ الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب^٢ . بل روى أنه كان من أشعر الناس . وأنه كان من خدم والد امرئ القيس ، وأنه بكى وقال لامرئ القيس غررت بنا ، فأنشأ امرؤ القيس شعراً فيه^٣ .

أما غير (امرئ القيس) مع الغساسنة في طريقه إلى قيصر ، فلا نعلم منه شيئاً ، وليس في شعره ما يشير إلى أنه ذهب إليهم رجاء التوسط في الوصول إليه . ويظهر من شعر لامرئ القيس ، أنه سلك طريق الشام في طريقه إلى (قيصر) وأنه مر بـ (حوران)^٤ وبعلبك وحمص وحماة وشيزر^٥ . أما ما بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف من أمره شيئاً .

ويقول الرواة أن قيصر أكرم امرأ القيس ، وصارت له مترلة عنده ، وأنه دخل معه الحمام ، وأن ابنته نظرت إليه فعشفته ، فكان يأتيها وتأتيه ، والنسب

- ١ الاغانى (٦٨/٨) .
- ٢ الاغانى (١٥٨/١٦) وما بعدها .
- ٣ الاغانى (١٥٩/١٦) .
- ٤ (ثم سار معه عمرو بن قبيصة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه) . فيكن ابن قبيصة . وقال : غررت بنا . فأنشأ امرؤ القيس يقول :
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقسان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فلعنرا)
- ٥ الشعر والشعراء (ص ٤٥ وما بعدها) . (طبعة لندن) ، عمالي الشريف المترضى (٦٢٩/١) .
- ٦ فلما بدت حوران والأل دولها نظرت فلم تنتظر بعينيك منظرها
سندوبي (ص ٧٠)
لقد أنكرتني بعينك وأهلها ولاين جريح في فرى حمص انكرا
سندوبي (ص ٧٠)
(ابن جريج) . Ollnder, P. 110.

نادمه ، واستمده فوعده ذلك وفي هذه القصة يقول :

ونادمتُ قيصراً في ملكه فأوجهني وركبتُ البريدا^١

ويذكرون أن (القيصر) أنجد (امرأ القيس) وأمدّه بجند كثيف فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن رجلاً من بني أسد اسمه (الطماح) كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له ، لحق بامرئ القيس ، وأقام مستخفياً ، فلما ارتحل (امرؤ القيس) اتصل بجماعة من أصحابه ، اتصلوا بقيصر ، وقالوا له : « إن العرب قوم غلّو ولا تأمن أن يظفر بمسا يريد ، ثم يتركك بمن يموت معه » . وفي رواية لابن الكلبي أنه ذهب إلى قيصر ، وقال له : « إن امرأ القيس غوي عاهر ، وأنه لما التصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرسل إليك ويوصلها ، وهو قاتل في ذلك أشعاراً يشهر بها في العرب فيفضحها ويغضبك . فبعث إليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : « اتى أرسلت إليك بهلتي التي كنت ألبسها تكرمه لك ، فإذا وصلت إليك قالها باليمن والبركة » ، وأكتب إلى بغيرك من منزل منزل . فلما وصلت إليه لبسها ، واشتد مروه بها ، فأسرع فيه السم ، وسقط جلده ، فلذلك سمي (ذا القروح) . ويستشهدون على قوم هذا بشر امرئ القيس^٢ .

ويذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم ، وقد عاوده في ديار الروم ، وهو عائد إلى دياره ، فلما وصل إلى (أنقرة) ، اشتد عليه المرض ، فأت هناك . وأنه رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك ، فدغنت في سفح جبل يقال له (عسيب) ، فسال عنها فأخبر بقصتها ، فقال في ذلك شعراً .

١ الإغاثي (٧٠/٨) ، الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (٥٩١/١) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ،
Ollender, P. III, FR. Ruckert, Amriliaks der Dichter und König, Hannover, 1934.

الإغاثي (٧٠/٨ وما بعدها) ، (الطماح بن قيس الأسدي) ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤) ، (ص ٤٦) ، (ليدن) .
قوله :

وبدلت قرحاً دائماً بعد صفة نيا لك نعي قد تحول أيؤسا
الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) .

ثم مات قدفن في جنب المرأة ، فقبره هناك^١ .

ويرى بعض المستشرقين ان ذهاب (امرى القيس) الى (القيصر) (يوسطيانوس) كان حوالي سنة (٥٣٠) للميلاد ، وانه توفي في أثناء عودته بين سنتي (٥٣٠) و (٥٤٠) للميلاد^٢ .

وليس في كتب الروم او السريان الواصلة الينا اشارة الى هله الحوادث التي يرويها الأخباريون عن ذهاب امرى القيس الى القسطنطينية ، وطلبه النجدة من القيصر وموته في انقرة ، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر ، وفي حق القبر الذي شاهده ، وما الى ذلك مما يذكره الأخباريون .

وأما (المعلتي) الطائي احد بني تميم ، من (جديلة) والذي يعرف قومه بـ (مصاييح الظلام) ، فقد ذكره اهل الأخبار في عتاد الواقين من العرب . قيل ان (المعلتي) شخص في يوم لبعض امره ، وبلغ (المنذر بن ماء السماء) ان امرأ القيس عند المعلتي وقد أجساره ، فركب حتى اتى (ابن المعلتي) . فعمد ابن المعلتي حتى انتهى الى القبة التي هو فيها . فقال له : « إن فيها حرم المعلتي ولست واصلاً إليها » . وتنادى في قومه ، فتعوه ، فقال امرؤ القيس شعراً يمدح (بني تميم) وذكر نعتهم (مصاييح الظلام) ، وقال :

فما ملك العراقي على المعلتي بمقتدر ولا الملك الشامي^٣

وأما (عامر بن جوين الطائي) الذي نزل امرؤ القيس عنده ، فهو من

١ (ولما صار الى مدينة بالروم تدعى انقرة ثقل ، فاقام بها حتى مات وقبر هناك . وقال قبل موته :

رب خطبة مسخرة وطعنة متعجرة

وجعبة متحيرة تدفن غدا بانقرة

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بانقرة ، فسأل عن صاحبه فخير بخيرها . فقال :

اجارتنا ابن المزار قريب والي مقيم ما أقام عسيب

اجارتنا انا غريبان هاهنا وكسل غريب للغريب نسيب)

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (لينن) ، الاغانى (٧١ / ٨) .

Ency. II, P. 477.

Ency. II, P. 477.

٢ التحرير (ص ٣٥٣ وما بعدها) .

(علي) ثم من (بني جرم) . وقد أقام امرؤ القيس عنده ، حتى قبل عامر امرأة امرؤ القيس ، فأعلمته بذلك ، فسار امرؤ القيس إل (جارية بن مرّ الطائي) ثم (الثعلبي) المعروف بـ (أبي حنبل) ، فلم يصادفه ، وصادف ابنه . فقال له ابنه : « أنا أجبرك من الناس كلهم إلا من أبي حنبل » . فرفض بذلك وتحول إليه . فلما قدم أبو حنبل رأى كثرة أموال امرؤ القيس وأعلمه ابنه بما شرط له في الجوار . فاستشار في أكله نسائه . فكلهن أشرن عليه بملك ، وقلن له : « انه لا ذمة له عندك » . ولكنه عاقلهن بعد أن فكر في نفسه وفي سوء عاقبة الغدر ثم قرر الوفاء ، ففقد له جواراً ثم ركب في أسرته حتى نزل منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس ، ففصال له : « قبل امرأته كما قبل امرأتك . المفعول »^١ .

وذكر أهل الأخبار أن (المنذر بن النعمان الأكبر) ، ضمن عسل (عامر بن جوين الطائي) ، لما أجاز (امرؤ القيس) أيام كان مقيماً بالجبلين ، وقال كلمته التي يقول فيها :

هناك لا أعلى ملكاً ظلامه ولا سوقاً حتى يؤوب ابن مندلة

فلما وفد عليه ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك إل لهم . ودخل عليه ، أنبه على فعلته وهدده بغزو قومه ، وبإنزاله العقوبة الصارمة بهم . فخرج (عامر) من عنده ، بعد أن قال له : « إن البغي أباد تحمراً ، وصرع حجراً ، وكان أعز منك سلطاناً ، وأعظم شأناً ، وإن لقتينا لم تلق انكاساً ولا أفساساً ، فهبش وضائعك وصنائعك ، وهلم إذا بدا لك ، فنحن الألى تسطوا على الأملاك قبلك » ، ثم أتى راحته ، وأنشأ يقول أحياناً يتوعد فيها الملك^٢ .

ويشير أهل الأخبار إل ملك من ملوك كندة ، عرف بـ (أبي جبر) . قالوا عنه ، أنه كان ملكاً شديد اليأس ، خرج إل (كسرى) يستجيشه على قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) ونظروا إل بلاد العرب قالوا : أين يحضي بنا هذا الرجل ، وعمدوا إل سم^٣ ، فدفعوه إل طيأخه ،

١ المنبر (ص ٣٥٢ وما بعدها) .

٢ كتاب ذيل الامالي (١٧٧) ، (المجلس الاول : مطلب ما دار من الحديث بسين المنذر بن النعمان الأكبر و عامر بن جوين الطائي لما وفد عليه) .

فالتقاء في احب الألوان اليه ، فلما استقر في جوفه ، مرض وتوجع ، فجهاء الأساورة
اليه ، طالبين منه ان يكتب لهم انه قد أذن لهم بالرجوع ، فكتب لهم ، فرجعوا
وعنف ما به ، فخرج الى (الطائف) الى (الخارث بن كندة الثقفي) ،
ليداويه فداواه وبرى ، ثم ارتحل يريد اليمن ، فنكس ومات . وكانت له عمّة
اسمها (كبشة) فرثته^١ .

هذه قصة (كندة) ، وهذه حكاية شاعرها (امرئ القيس) الذي يعود
اليه الفضل في حفظ الأخباريين لتأريخ كندة .

أما شعر امرئ القيس وديوانه وصحبته وفاسده ، فقد تحدث العلماء فيه ،
ولم فيه كلام يخرجني التعرض له عن صلب هذا الموضوع . فقل مقالهم المعول
في هذه الأمور .

ينبني للقارىء بعد غربة الأخبار المتقدمة ، ان كندة كانت قد تمكنت من
المهيمنة على القبائل النازلة في أواسط جزيرة العرب ، ومن تكوين مملكة لها ، بلغت
أوج ملكها في القرن الخامس للميلاد . الا ان ملكها على عادة حكومات القبائل لم
يدم طويلاً ، فسرعان ما أخذ بنيانه يتآكل ويتداعى ، فأخذت اجزائه تتناقص ،
وعادت القبائل التي اضطرت بقانون القوة المتحكم في البادية إلى الانفصال عنها
ولدى استعادة حريتها بذلك القانون ايضاً . فخرست كندة ملكها الذي شمل نجداً
ووصل العراق ، وبقي رؤساء منها يتحكمون في حضرموت ، ثم أخذوا يتعاملون
مع قبائل عربية جنوبية اخرى لتوسيع ملكهم لا سيما بعد تركهم نجداً ولجؤهم الى
حضرموت ، ويقلد بعض الباحثين عدد من جاء الى حضرموت من كندة بحوالي
ثلاثين ألف رجل ، نزل أكثرهم في (دمون)^٢ .

السؤال :

ولا بد من الإشارة باختصار الى (السؤال) الذي مر اسمه في أثناء كلامنا
على (امرئ القيس) ، وقصته هي في الواقع جزء من قصة هذا الشاعر ،

١ نزعة الجليس (١ / ٢٨٤) .

٢ Beitrüge, B. 121.

وذيل لها . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي ثري ، شاعر ، مفرد (الأبلق) بـ (تبا) يعرف بـ (السموأل بن عاديّا) وبـ (السموأل بن قريش بن عاديّا) (عاديّا) اليهودي^١ . وبـ (السموأل بن حبان (حسان) ابن عاديّا^٢) وبـ (السموأل بن عاديّا بن حيا)^٣ ، وبـ (السموأل بن حيا ابن عاديّا بن رفاعه بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)^٤ ، وبـ (السموأل بن أوفى بن عاديّا)^٥ . ويظهر من بيّتين من قصيدة للأعشى ، هما :

كن كالسموأل إذ سار المهام له في جحظ كسواد الليل جرّار
جار ابن حيا لمن نالته ذمته أوفى وأمنع من جار ابن عكر
أن المراد بـ (ابن حيا) السموأل ، أي أن اسم والد السموأل هو (حيا) .
واختلفوا في نسب (عاديّا) (عاديّا) ، فقالوا : (عاديّا بن حياء)
وقالوا (عاديّا بن رفاعه بن جفنة) ، وقالوا : إنه من ولد (الكاهن بن هارون ابن عمران)^٦ ، وقالوا عن قبيلة إنه كان من (بني لحيان)^٧ . ونسب (دارم ابن عقّال) إلى (رفاعه بن كعب بن عمرو مزنيّا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكروه (أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل ، وأدرك الإسلام وعمرو مزنيّا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ... وقد قيل إن أمه كانت من لحيان »^٨ . ونسب السموأل إلى الأزدي^٩ .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) .

- ١ (عاديّا) ، الأغاني (٩٨/١٩) ، ابن سلام الجهمي ، طبقات فحول الشعراء (ص ٢٣٥) ، (طبعة دار المعارف) ، Encyc., IV, P. 133.
- ٢ الميداني ، الامثال (٢٧٦/٢) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ م العدد ٢ آذار ص ١٦٢ ، (حسان) ، مروج (١٧٦/٢) ، (طبعة دار الاندلس) .
- ٣ المغرب ، للجواليقي (ص ١٨٨) .
- ٤ الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٥ المشرق ، العدد المذكور (ص ١٦٢) .
- ٦ المشرق ، العدد المذكور ، معاهد التنصيص (١٣١/١) .
- ٧ الاشتقاق (٢٥٩) ، المحبر (٣٤٩) .
- ٨ الأغاني (٩٨/١٩) ، المشرق ، العدد المذكور .
- ٩ المغرب (ص ١٨٨) .

وقد ورد فيه اسم ولدتين للسموأل ، هما : (حوط) و (منثر)^١ . ولم يذكر
الأخباريون اسم الولد الذي زعم أن (الحارث بن أبي شمر) أو (الحارث بن
ظالم) قتله لرفض (السموأل) دفع أدرع الكندي إليه ، على نحو ما يذكره
الرواة في قصة الوفاء . ولجند مفسون هذه القصة في قصيدة الأعشى الرائية الموجودة
في ديوانه . وهي قصيدة تألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة أنه قالها
مستجيراً بـ (شريح بن السموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله
الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، ففكر به الكلبي وأسرّه ، وهو لا يعرفه ،
فنزّل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه
القصيدة ، فجاء شريح إلى (الكلبي) ، وتوسّل إليه بأن يبيّنه ، فوجه إليه ،
فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له (الأعشى) :
« إن تمام احسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة
ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ (الكلبي) أن الذي وجهه لشريح
(الأعشى) ، فأرسل إلى شريح ابعت ليّ الأسير الذي وهبت لك حتى أحيوه ،
فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه »^٢ .

وروى (ابن قتيبة) القصة المتقدمة على هذا النحو : « قال أبو عبيدة :
أسر رجل من كلب الأعشى فكتمه نفسه وجهه ، واجتمع عند (الكلبي) شرب
فيهم (شريح بن عمرو الكلبي) ، فعرف الأعشى . فقال للكلبي : من هذا ؟
فقال غشاش التفتة . قال : ما أترجو به ولا فساد له ! خلّ عنه . فخلّى
عنه . فأطعمه شريح وسقاه . فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي ، فأراد
استرجاعه . فقال الأعشى :

شريح لا تركني بعد ما علقك حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل إذ طاف المهام به في جمهل كتهزيع الليل جرّار
بالأبلى الفرد من تباء منزله حصن حصين وجار غير غدار^٣

- ١ المشرق . السنة الثانية عشرة . ١٩٠٩ م . العدد ٣ آذار . (ص ١٦٣) .
- ٢ الأغانى (٩٩/١٩ وما بعدها) . ديوان الأعشى (ص ١٢٦ وما بعدها) . (تحقيق
رودلف كابر) . (لندن ١٩٢٨ م) . ديوان الأعشى الكبير (ص ١٧٩) .
(تحقيق الدكتور م . محمد حسني) .
- ٣ الشعر والشعراء (ص ١٣٩) . (الأعشى ميمون بن قيس) .

فجعل الرجل المجبر (شريح بن عمرو الكلبي) ، أي من العشيرة التي أسر أحد رجالها الأعشى ، ولم يجعله ابناً من أبناء السموأل .

وجاء نسب (شريح) في شرح (أبي العباس ثعلب) على ديوان الأعشى على هذا الشكل : (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن حيان بن عاديا)^١ ، فصار (السموأل) جدّاً من أجداد (شريح) لا والدّاً له .

وقد اختلف الأخباريون في الرجل الذي طالب السموأل بتأدية سلاح (امرئ القيس) إليه ، فزعم بعضهم أنه (الحارث بن أبي شمر الغساني)^٢ ، وزعم بعض آخري أنه (الحارث بن ظالم) في بعض غاراته بالأهلي ، وزعم آخرون أنه (المنذر) ملك الحيرة ، وجهه به (الحارث بن ظالم) في غيل ، وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل ، وزعم أنه (الأبرد) وهو الملك الغساني . وكان الحارث بن أبي شمس لما قتل المنذر يعين أبياغ ، وجه ابن عمه الأبرد ، فجعله بين العراق والشام . فلما سمع الأبرد بهلاك امرئ القيس ، طالب السموأل بدفع الدروع إليه ، فامتنع ، فلبح ابنه وهو يراه . ولم يصرح بعضهم باسم الملك الذي طالب بتأدية الدروع ، إنما ذكروا أنه كان بعض ملوك الشام^٣ .

وإذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، نجد أنها ترجع إلى موردين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى . ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (تناء اليهودي) ، وهذه ملاحظة تستحق الترس^٤ . ويفهم منه أن الأعشى كان ممن يرددون حصن السموأل . أما (دارم بن عقال) ، فهو من ولد السموأل . وهو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة إلى امرئ القيس المتعلقة بهذا الموضوع . وقد أشار إلى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني) في أثناء كلامه على قصيدة نسبت إلى (امرئ القيس) ، ابتناؤها :

مطرقك هند بعد طول تحجب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

- ١ ديوان الأعشى (١٢٥) ، (تحقيق كابر) .
- ٢ طبقات فحول الشعراء (٢٣٥) ، الأغاني (٩٩ / ١٩) .
- ٣ الأغاني (٩٩ / ١٩) ، ديوان الأعشى (١٢٦) ، (كابر) ، المجبر (٣٤٩) .
- ٤ البلدان (٤٤٢ / ٣) ، الحيوان للجاحظ (١٨٨ / ٦) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٦٣) .

قال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها يبين ، وما دوتها في ديوانه أحد من اللغات ، وأحبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكب هنا ... »^١ . ولا أستبعد أن تكون هذه القصة ، قصة الوفاء من صنع هؤلاء الصنّاع .

ويرى (ونكلر) (Winckler) أن قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : السموأل وامرق القيس^٢ .

ولا بد لي وقد انتهيت من البحث عن اشارة كندة ، من الاشارة الى (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، فقد نسيه أهل الأخبار الى (كندة) . وقد ذكروا انه من السكون ، والسكون هم من كندة . ومعنى هذا ان عائلة تنتمي الى كندة كانت تحكم هذا الموضع المهم في البادية ، لأنه ملتقى طرق قوافل وسوق معروف من أسواق الجاهليين .

كندة في العربية الجنوبية :

وقفنا على أخبار كندة بتجدد وفي العربية الشرقية الى العراق . ثم رأينا ما حل بتلك الامارة وكيف نشأت شملها . ونريد الآن أن نتحدث عن دور هذه القبيلة في العربية الجنوبية .

يرى بعض الباحثين ان الحصومات التي وقعت في امارة كندة ، وتعقب ملوك الحيرة ولا سب (المنذر) لساداتها ، وانقضاء القبائل التي كانت تخضع لها عنها ثم سقوط امارة كندة ، دفعت بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب نحو العربية الجنوبية ، ولا سبيا حضرموت ، وهي موطنها القديم ، فترحت اليها واستوطنت بها . وكونت لها امارة كندية بحضرموت .

١ الاغناسي (٧٠/٨)
 ٢ H. Winckler, Arabisch-Semitisch-Orientalisch, in Mitt. der Vorder Asia. Gesel, 1901, B. 112. 6 Jahrgang.

وهذا القول يجب ألا يفسر على أن عبيد كتنة إلى العربية الجنوبية إنما كان بعد سقوط حكومتهم ونشئت أمرهم ، فقد أشرت فيها سلف في مواضع إلى وجود كتنة في العربية الجنوبية قبل هذا العهد بزمان طويل ، وأشرت إلى ورود اسمها في نصوص المستد وأن الأدوار التي لعبتها في أيام ملوك سبأ وذو ريدان ، قبل الإسلام بمئات السنين ، بل ربما كان ذلك قبل الميلاد .

وقد رأينا فيها سلف ورود اسم (كتنة) (كندت) في نص أمر بتدوينه الملك (معديكرب يعفر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وبخت وأعرابها في النجاشد وفي المنخفضات) . وهو من النصوص التي عُثر عليها في (وادي مأسل) (وادي ماسل) (مأسل الجمح)^١ . وقد دون ووضع في موضع (مأسل الجمح)^٢ مناسبة إرسال الحملة العسكرية إلى موضع (كتنا) لحارثة (ملر) أي (المنلر) الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحسير و (رحبت) (رجة) وحضرموت و (يمنست) (اليمن) والأعراب و (كندت) أي (كتنة) و (منلحج) . واشترك مع المنلر (ملر) بنو ثعلبة (بن ثعلبت) و (شيع)^٣ . وقد أرخ النص بشهر (ذ قيسن) (ذو قيس) (ذو القيس) من سنة (٦٣١) من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد^٤ .

ويظهر من هذا النص أن (المنلر) كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة عن قاعدته ملكه ، وأنه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح (ما سلم جمحن) . ولعله كان يصعب عشائر كتنة ومن كان يؤازرها ويعادي ملك الحيرة ، حتى بلغ هذا المكان الذي كان خطأ أمامياً من خطوط الدفاع لحكومة سبأ وذو ريدان وحضرموت وبخت وأعرابها في الأطوار والمنخفضات ، . ولعلنا السبب هب الملك (معديكرب) لمساعدة (كتنة) على نحو ما ورد في النص .

وقد ذكرت (كندت) كتنة مع مراد ومنحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك (يوسف اسار) (يوسف أسار) على الأجاش في مدينة (ظفار) ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

١ كتابك من أم الحويرث قبلها وجاراتها أم الرباب بمائل

٢ (ما سلم جمحن)^{*}
Le Muséon, LXVI, 1953, P. 307, 310, Ryckmans 510-446.

٣

نص سجله القيل (شرح ابل يقبل بن شرح ابل يكمل) من (آل يز)
(آل يز) (آل يز) بالاشتراك مع (جدن) (جدم) و (حم) (حب)
و (نأ) (نان) (نسن) و (جبا) (جبا) لهذه المناسبة .

ويتبين من هذا النص ان الملك (يوسف اسار) (يوسف اسار) هاجم
(ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على الكنيسة (قلنس) (القليس) ، ثم
سار بعد ذلك على (أشعرن) (الأشعر) ، وعين القيل على رأس جيش ،
ثم سار الى (عون) (عا) فقتل سكانها واستولى على كنيتها ، وهزم جميع
حصون (شمر) ومعقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على (أشعرن) .
وقد قُتل في هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر ألف قتل ،
وأخذ تسعة آلاف وخمسة اسير ، واستولى على (٢٨٠) ألف من الإبل والبقرة
والعز . وأخذت غنائم عديدة أخرى .

وأمر الملك بعد هذه المعارك القيل (شرح ابل يقبل) (شرح ال يقبل)
بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفي صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء
(بني لز) (آل يز) (بن يز) وقبائل همدان وكندة ومراد وملحج
وأعرابها . فغلبت جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة
في الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال في ايدي الأسرى ، وقتل من وجد
هناك من الأحباش . وكان مع الملك في جيشه من الرؤساء : (لحيت برعم)
و (سبيغ أشوع) و (شرح ابل اسعد) . وقد دون هذا النص في شهر
(ذ قيس) (ذو القيس) من شهور صيف سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري
الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد .

وقد لعبت (كندة) (كدت) دوراً خطيراً في الأوضاع السياسية والعسكرية
في أيام استيلاء الحبش على العرية الجنوبية ، كما يتبين ذلك من الفصل الخامس
المتعلق بهذا الموضوع . وقد دخل رؤساؤها في الاسلام ، فنبعهم أنباهم ، كما
يورد ذلك في كتب التواريخ والسير .

ويذكر أهل السير والتواريخ ، أن وفداً من وفود (كندة) ، كان في جملة

الوفود التي قدمت المدينة لمبايعة الرسول في السنة العاشرة من الهجرة . وكان قد رأسه (الأشعث بن قيس الكندي) . « دخلوا على رسول الله مسجده ، وقد رجّلوا أجسامهم ، وثكّلوا ، عليهم جيب الحبرة ، قد كَفَقُوها بالحرير » ، ثم قال الأشعث : « يا رسول الله ، نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار » ، يفخر بمجده (آكل المرار) ، ويدّعي أن كندة كانت ملوكاً ^١ . وقد عرف جد (الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية) ، بمعاوية الأكرمين ، وإنما سمي معاوية الأكرمين لأنه ليس في آباءه إلا ملك أو رئيس . وكان تكريم الطرفين . وقد ذكره (الأعشى) في شعر له . وكان أحد ملوك كندة بحضرموت ^٢ .

وكان (مخوص) (مخوس) ومشرح وجسد وأبضعة بنو معديكرب بن ولبة بن شرحبيل بن معاوية من سادات كندة عند ظهور الإسلام . وقد لقب كل واحد منهم نفسه بلقب (ملك) . واختص كل واحد منهم بوادٍ ملكه . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحياء حومها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من (بني عمرو بن معاوية) ، وقد لعنهم النبي ^٣ . وقتلوا في الردة ^٤ .

ويرجع السابون نسب كندة إلى جدٍ أعلى قالوا له (عقيز بن عدي) وهو والد (ثور) . و (ثور) هو كندة ^٥ . وولد (كندة) معاوية بن كندة وأنشرس ، وأما هي رملة بنت اسد بن ربيعة بن غزار ^٦ . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معد ، وارتباط تاريخها بها ، وتملكها عليها قبل الإسلام بزمان . وهو تمك جعل (كندة) تفخر به ، حتى صارت تدعو نفسها : (كندة الملوك) . ويذكر (الحمصاني) ، أن الشاعر (امرؤ القيس) ، كان يفخر ويقول :

لا ينكر الناس منا يوم تملكهم كانوا عبيداً وكنا نحن أرباباً ^٧

- ١ الطبري (١٣٨/٣ وما بعدها) ، (قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة) .
- ٢ الأكليل (٩٠/١) .
- ٣ ابن الأثير (١٥٨/٢ وما بعدها) ، البلدان (٢٩٤/٣) ، (حضرموت) ، ابن خلدون (٥٦/٢) ، القسم الثاني : الوفود .
- ٤ الاستغاث (٢٢٠) .
- ٥ الأكليل (١٤٦/١) .
- ٦ الأكليل (١٤٥/١) .
- ٧ الأكليل (١٤٥/١) .

وان (تبعاً الآخر) ، وهو (عمرو بن حسان) ، حين حجراً آكل المزار
على معد كلها ، فالملك على (معد) لكننة . وان (كننة) كانت تقول :
« لم تزل لما نزار ومن نزل الحيرة والشام من العرب طعمة ورحمة » .
وقد نسب بعض النسابين (كننة) الى كننة ، وهو ثور بن مرثع بن معاوية
ابن كنتي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن عمرو بن
عريب بن زيد بن كهلان^١ . ونسبه بعض آخر الى (كننة بن عفير بن الحارث) ،
الى غير ذلك من آراء . وقد زعم بعض النسابين ان (الصدف) واسمه (مالك) ،
وهو جد (الصدف) ، هو شقيق كننة^٢ .
ومن بطون كننة معاوية بن كننة، ومته الملوكة بنو الحارث بن معاوية الأصغر
ابن ثور بن مرثع بن معاوية ، أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل
الأخرى من غير كننة ، ومنها قبائل من عدنان^٣ .
و (الأشرس بن مرثع) ، هو أخو (كننة) ، وهو ابو السكون والسكاسك^٤ .
ونسب السكاسك الى (حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كننة بن عفير)^٥ .
ومن السكون (نجيب) . وكان (أكيدر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل
من السكون . وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم
بها الخط ، ثم رجع الى مكة ف تزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان .
ومنه تعلم أهل مكة الكتابة^٦ .
ويذكر أهل الأخبار أن كننة لما خرجت من (الغمر) : غمر ذي كننة ،
نزلت بحضرموت وتآلفت مع الصدف تسكورت الأواصر والقرابات التي كانت
تربطها به (الصدف) فصارت تحارب معها^٧ ، وجعل (الحمداني) أهل حضرموت
من كننة والصدف وجبر .

- ١ . جبهة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الأكليل (٤/١٠) ، الأنبياء (١١٤) ،
الاشتقاق (٢١٨) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، صبح الأعشى (٢٢٨/١) ، نهاية
الارب (٣٠٣/٢) ، الروض الأنف (٣٤٥/٢) ، تاج العروس (٤٣/١) ،
(٢٨٧/٢) ، اللسان (٣٨٦/٤) .
- ٢ . الأكليل (٥/١٠) .
- ٣ . ابن خلدون (٢٥٧/٢) .
- ٤ . الأكليل (٣٥٨/١) .
- ٥ . الأنبياء (١١٥) ، الاشتقاق (٢٢١) ، تاج العروس (١٤١/٧) ، تاريخ العرب قبل
الإسلام (٢٨١/٤) .
- ٦ . جبهة (٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .
- ٧ . الأكليل (١٥/٢ فما بعدها) ، Beiträge, B. 133.

فلسطين الثالثة :

لقد ذهب (كوسان دي پرسفال) (Caussin de Perceval) الى أن (كبوسوس) (Kaisus) (Caistus) المذكور عند (بروكوبيوس) و(نونوسوس) (Nonnosus) هو (امرؤ القيس)^١ .

ذكر (بروكوبيوس) ، أن القيصر (يوستنيانوس) (Justinianus) أرسل رسولا هو (يوليانوس) (Julianus) الى (Estimphaaeus) (السيفع أشوع) ليطلب منه بحكم رابطة الدين والمصالح المشتركة تنصيب أحد أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه (Kaisus) (Calsus) على (معد) (Madden) ، وأن يرسل قوة كبيرة من رجاله يشتركون مع الـ (سرسين) والـ (Maddenin) في غزو مملكة الفرس^٢ . وكان (كبوسوس) هنا قد قتل أحد أقارب (Estimphaaeus) والتجأ الى البادية ، ولم يبق أي منها بالفرز ، ولم يذكر (بروكوبيوس) شيئاً آخر عن (كبوسوس) هنا ، أي (قيس) . وقد كانت سفارة (يوليانوس) الى الحميريين قبل موت (قباذ) أي قبل سنة (٥٣١ م)^٣ . وفي الخبر إشارة الى شجاعة (قيس) وكفائه وحزمه ، هذه الأسباب ولأسباب سياسية أخرى رغب القيصر في تعيينه رئيساً على معد .

وذكر (نونوسوس) أن القيصر (يوستنيانوس) كلفه الذهاب في سفارة الى (Kaisos) (قيس) حفيد (الخارث) (Aretas) ورئيس قبيلتين عظيمتين من أعظم قبائل الـ (سرسينوى) (Saracynoi) هما (Kindyot) كندة و (معد) (Maadynoi) لمواجهة ودعوته للذهاب الى الإمبراطور اذا أمكنه ذلك . فذهب اليه ، ونقل لأمر القيصر ، وعاد الى بلده سالماً . وكان القيصر (أنطاسيوس) (Anastasius) قد كلف جند (نونوسوس) أن يذهب الى الخارث ليعقد عهداً معه ، كما أن القيصر (يوسطينوس) ، كلف أبا (نونوسوس) وهو (ابراهيم) (ابراهيم) أن يذهب الى (الثلث) (Alamoundaros) رئيس الـ (سرسينوى) لمفاوضته في فك أسر قائدين كانا أسيرين لديه، هما (تيموستراتوس)

Olinder, P. 114, Caussin de Perceval, Estal., II, P. 317.

Procopius, History of the Wars, P. 193, I, XX, 9-13.

Olinder, P. 114.

و (يوحنا) . ثم كلف مرة ثانية في عهد (يوستنيانوس) (Justinianus) سفارة اخرى لدى قيس ، ل عقد معاهدة معه . وقد تمكن من ذلك ، وعاد معه أحد أبناء (قيس) واسمه (معاوية) (Mauias) ليكون رهينة في (بوزنطية) عند (يوستنيانوس) . وكلف (ابراهيم) مرة أخرى ان يذهب الى (قيس) بمهمة سياسية اخرى ، فذهب اليه وأقنعه بالقدوم الى (بوزنطية) ، فقسم ولايته على القبائل بين أخويه (يزيد) (Jezidos) و (أومروس) (Aumros) (عمرو) ، وقال من الإمبراطور ولاية (فلسطين) ، وجاء معه بعدد لا يحصى من رؤوسه^١ .

وقد ذكر (ملخوس القيلادقي) (Malchus of Philadelphia) اسم عامل عربي سمّاه (Amorkesos) أي (امرؤ القيس) . كان كما قال رئيساً على بطن من بطون الأعراب (Sarceni) هو بطن (Nokhalian) (Nokhalian) . وذكر ان (بطرس) (Peter) أسقف أهل الوبر (Saraceni) ذهب في عام (٤٧٣) للميلاد الى القسطنطينية ليطالب من القيصر (ليون) (Leo) أن يمنح هذا الرئيس درجة (عامل) (Phylarchus) (فيلارخ) على العرب المقيمين في العربية الحجرية.

وكان هذا الرئيس يقيم مع قبيلته في الأصل كما ذكر (ملخوس) في الأرضين الغاضضة لنفوذ الفرس ، ثم ارتحل عنها وترك في أرضين قريبة من حدود الفرس وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين ، والقبائل العربية المقيمة في الأرضين الغاضضة للروم . فتمكن بذلك من بسط نفوذه وسلطانه على القبائل حتى بلغ ساحل البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) (Iotabe) ، وهي جزيرة مهمة كان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الناهية الى المناطق الحارة أو الآية منها ، فنصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة، صار يجلبها لنفسه ، حتى صار غنياً جداً . كذلك حصل على ثروة عظيمة من الغنائم التي حصل عليها من غزوه للمواقع المجاورة لهذه الجزيرة الواقعة في العربية الحجرية وأعلى الحجاز^٢ .

١ المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ٢٦ ، ١ تشرين الثاني ، سنة ١٩٠٥ م . (ص ١٠٠٥) ، شيخو ، النصرانية وآدابها ، (القسم الثاني ، الجزء الثاني) (ص ٤٢٢ وما بعدها) .

Migne, Patrol. Gree., Phot., Bist. CHIL, 46-47, Ollinder, P. 114.

Musil, Hagar, P. 306.

ولراد (امرؤ القيس) (Amorkesos) ، بعد ان بلغ من النفوذ مبلغه ، الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم . ولذلك أرسل الأسقف (بطرس) أسقف قبلك ، ليكون رسوله الى القيص . وقد نجح هذا الأسقف في مهمته ، وتوسط في دعوة (امرؤ القيس) لزيارة القسطنطينية ، فلما وصل اليها استقبل بها استقبالاً لائقاً ورحب به ترحيباً حاراً ، ولا سيما بعد أن أعلن دخوله في النصرانية ، فسأعم عليه القيص بالهدايا والألطف وعينه (عاملاً) (Phylaeachus) على تلك الجزيرة وعلى مواضع أخرى وعلى أعراب العربية الحجرية . ثم عاد مكرماً ، بالرغم من أن معاهدة الصلح التي كانت بين الروم والفرس كانت قد حرمت دخول رؤساء الأعراب وقبائلهم التازحين من مناطق أحد الطرفين في أرضين الطرف الثاني^١ .

وبمقتضى رأي (الويس موسل) أن يكون هذا الشيخ قد هاجر من (الودبان) و (الحجرية) ، الى (دومة الجندل) ومنها صار يغزو أعراب (العربية الحجرية) ، والمناطق المجاورة لها من (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) ويشومع فيها حتى بلغ ساحل البحر ، فتحكم في جزيرة (Iotabe) المهمة التي كانت محطة تجارية خطيرة للتجار مع الهند ، وفي الطريق البري المهم الذي يربط ديار الشام بالعربية الجنوبية ، فحصل على سلطان واسع ونفوذ عظيم^٢ .

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة (Ainu) التي ذكرها (بطلموس) ، أخذ تسميته هذه من (جينو) (جايو) (Hainu) الاسم الذي كانت تعرف به عند الأنباط^٣ . ويظن أنها جزيرة (تاران) (تيران) . وذكر (ياقوت) أن سكانها قوم يعرفون به (بني جندان)^٤ .

وبعدنا (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في عام (٤٩٠) للميلاد في أيدي

Musil, Hegaz, P. 306. ١

Musil, Hegaz, P. 306. ٢

Musil, Hegaz, P. 307, Ptolemy, VI, 7, 43. ٣

Musil, Hegaz, P. 306. (٣٥٢/٢) البلدان ٤

الروم ، استولى عليها حاكمهم (Dux) على فلسطين بعد قتال شديد^١ . وبدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرئ القيس) أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء امرئ القيس عليها . ولعلهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع وقع بين أولاده وورثته أضعف مركز الإمارة ، فانتهر الروم هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك هذا الرئيس .

ويظن ان (Nokallan) هو (النخيلة) . و (النخيلة) موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام^٢ ، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره (ملخوس) من انه كان في أرض كانت تحت نفوذ الفرس .

وكان يحكم هذه المنطقة في أيام (يوسطنيانوس) (Justinianus) (Joustinianus) رئيس يدعى (أبو كرب) (Abochorabus) ، وكانت له واحة خصبة مزروعة بالنخيل ، وهبها الى القيصر . فقبلها منه ، وعينه رئيساً (Phylarchus) على أعراب (Saracens) فلسطين . فحمى له الحدود من غزو الأعراب، ومنع اعتداء القبائل في الداخل . وذكر (بروكوبيوس) ان هناك أعراباً آخرين كانوا يجاورون أعراب هذا الرئيس ، يدعون بـ (Madden) أي (معد) ، يحكمهم (Homeritae) أي الحميريون^٣ . ويظهر من كلام هذا المؤرخ ان قبائل معد كانت في أيامه تابعة للحمير . ومعنى هذا ان نفوذهم كان قد امتد في هذا العهد حتى بلغ أعالي الحجاز . وفي كلامه هذا تأكيد لروايات الأخباريين الذين يتحدثون عن بلوغ التبابعة هذه الأماكن ، وعن حروب وقعت بين العدنانيين والقحطانيين . وليس في الذي أورده (بروكوبيوس) أو (نونوسوس) ، ما يثبت ان (قبلاً) هو (امرئ القيس) . ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على انها لمسي واحد . ثم ان ما ذكره (نونوسوس) من ان (قبلاً) كان رئيساً على قبلي (كتنة) و (معد) لا يكون دليلاً على انه كان حتماً من (كتنة) أو انه كان حتماً (امرئ القيس) الشاعر الذي يعرفه الأخباريون . لذا فنحن لا نستطيع الجزم في الوقت الحاضر بتعيين هوية هذا الرئيس .

^١ Theophanes, Chronographia, P. 121, Müll. Hegaz, P. 307.

^٢ Hsu, in ZDMG., 22, 1868, S. 578. البلدان (٢٧٦/أ وما بعدها) .

^٣ Procopius, De Bello Persico, I, 19, Müll. Hegaz, P. 307.

الفصل الأربعون

ملكة الغساسنة

وحكم عرب بلاد الشام في دولة البيزنطيين ، عرب "عرفوا به (آل غسان) ، وبه (آل جفنة) وبه (الغساسنة) . وقد استمر ملكهم الى الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد الشام، زالت حكومتهم ، وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسهم في العراق .

وقد نقلت كلمة (غَسَّان) في زعم الأخباريين من اسم ماء يقال له (غسان) ، ببلاد (عك) بزييد وريح ، نزل عليه آل غسان ، وأصلهم من الأزد ، بعد خروجهم من اليمن قبل حادث سيل العرم أو بعده ، فلما أقاموا عليه وشربوا منه، أطلقوا اسمهم منه، فسموا (غسان)^١ ، وعرف نسلهم بالغساسنة وبه (آل غسان) . ولم يحدد أهل الأخبار زمان حدوث سيل العرم ، وتهدم السد . لذلك لا نستطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساسنة الى بلاد الشام . وحادث تصدع السد لم يكن حادثاً واحداً ، حتى نعتبره مبدأ لتأريخ هجرة الأزد وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال . فقد تصدع السد مراراً ورم

١ حمزة (ص ٧٦) ، المروج (٢ / ٣٠) ، القاموس (٤ / ٢٥٣) .
أما سألت فائداً معشر نجيب الأزد نسبتياء والمساء غسان
البرقوقي (ص ٤١٣) ، شرح ديوان كعب بن زهير لآبي سعيد السكري ، (ص ٣٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، الاستغراق (ص ٢٥٩) ديوان
حسان (ص) (هرشفلد) .

مراراً ، والذي يفهم من أقوال الأخباريين أن هذا التصديق كان قد وقع قبل الإسلام بزمان ، وقد بقيت ذكراؤه عالقة في الذاكرة الى أيام الاسلام .

وأما سبب تسميتهم بآل جفنة وبأولاد جفنة ، فلانتسابهم الى جدّهم أعلی يدعوناه (جفنة بن عمرو مزريقاه بن عامر) على رأي^١ ، أو الى (جفنة) قبيلة من غسان من اليمن^٢ . ويذكر (ابن دريد) أن (جفنة) إما من (الجفنة) المعروفة ، أو من (الجفن) ، وهو (الكرم) ، وجفن السيف وجفن الانسان . ويذكر أن مثل المشهور بين الناس : « وعند جهيئة الخبر اليقين » ، هو خطأ نقوله العامة ، وإن صوابه : « وعند جفنة الخبر اليقين »^٣ .

ولم نظفر حتى الآن باسم غسان في نصوص السند ، كذلك لم نظفر به في الأرضين التي عدّها الأخباريون في جملة ممتلكات هذه القبيلة .

ويزعم الأخباريون أن الذي قاد الفساسة في خروجهم من اليمن ، هو عمرو المعروف بـ (مزريقا) ، وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة القطريرف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث^٤ . ولم في نسبه على هذا النحو من ذكر الآباء والأجداد والألقاب أقوال وحكايات^٥ .

وروى (ابن قتيبة الدينوري) أن (عمرو بن عامر مزريقاه) لما خرج من اليمن في ولده وقراه ومن تبعه من الأزد ، أتوا بلاد عك ، وملكهم (سلمقة) (سلمقة) ، وسألوهم أن يأذنوا لهم في القسام حتى يبعثوا من يرتاد لهم المنازل ويرجعوا اليهم ، فأذنوا لهم . فوجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده : الحارث بن عمرو ، ومالك بن عمرو ، وحارثة بن عمرو ، ووجه غيرهم رواداً فات عمرو ابن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه ولده ورواده ، واستخلف ابنه ثعلبة بن عمرو، وإن رجلاً من الأزد يقال له جذع بن سنان احتال في قتل سلمقة (سلمقة) ،

- ١ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل شرح ديوان حسان بن ثابت . (الخراج البرقوقى) . (طبع الطبعة الرحمانية) ، القاهرة ١٩٢٩ م . (ص ٣٠٩) شمس العلوم (١٠ ق ١ ص ٣٤٢) . اللسان (٩١/١٣) . (جفن) .
- ٢ شمس العلوم ، (١٠ ق ١ ص ٣٤٢) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) . اللسان (٩١/١٣) . (صادر) . (جفن) .
- ٤ حمزة (ص ٧٧) .
- ٥ مروج (٣٠/٢) .

ووقعت الحرب بينهم ، فقتلت عك أبرح قتل وخرجوا هاربين ، فعظم ذلك على ثعلبة بن عمرو ، فحلف أن لا يقيم ، فسار ومن اتبعه حتى انتهوا الى مكة وأهلها يومئذ جرهم ، وهم ولاية البيت ، فترلوا بطن مر^١ وسألوه أن يأذنوا لهم في المقام معهم ، فقاتلهم جرهم ، فنصرت الأزد عليهم ، فأجلوه عن مكة ، ووليت خزاعة البيت ، فلم يزالوا ولاته حتى صار (قصي) الى مكة ، فحارب خزاعة بمن تبعه ، وأعانته قبصر عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشاً ، وكانت في الأطراف والجوانب ، فسمي جمعاً ، وأقامت الأزد زماناً^٢.

فلما رأوا ضيق العيش شخصوا ، فصار بعضهم الى السواد، فلكوا بها . منهم (جذعة بن مالك بن الأبرش) ومن تبعه . وصار قوم الى عمان، وصار قوم الى الشام ، فهم (آل جفنة) ملوك الشام . وصار جذع بن سنان قائل سلمة الى الشام أيضاً ، وبها سليح ، فكتب ملك سليح الى قبصر يستأذنه في انزالهم ، فأذن له على شروط شرطها لهم ، وأن عامل قبصر قدم عليهم ليجيهم فطالهم وفيهم جذع ، فقال له جذع خذ هذا السيف رهناً أن تعطيك . فقال له العامل : اجعله في كنفا وكسنا من أمك ، فاستل جذع السيف فضرب به عنقه . فقال بعض القوم : خذ من جذع ما أعطاك ، فذهبت مثلاً .

فرضي كاتب العامل الى قبصر فأعلمه ، فوجه اليهم ألف رجل وجمع له جذع من الأزد من أطاعه ، فقاتلوهم فهزموا الروم ، وأخذوا سلاحهم ، وثقوا بذلك ، ثم انتقلوا الى يثرب وأقام بنو جفنة بالشام وتنصروا . ولما صار جذع الى يثرب وبها اليهود ، جالفتهم ، وأقاموا بينهم على شروط فلما نفقت اليهود الشروط ، أتوا تبعاً الآخر ، فشكوا اليه ذلك ، فسار نحو اليهود حتى قتل منهم وأذلهم ، وصار الأمر في يثرب للأزد .

والأخباريين تفاسير في سبب تلقب عمرو بن عامر بمزقياء . وقد ذكر (حمزة) بعض الآراء الواردة في ذلك ، فقال : « وزعم الأزد أن عمراً إنما سمي مزقياء لأنه كان يمزق كسل يوم من سني ملكه حينئذ لئلا يلبسها غيره ، فسمي هو مزقياء . وسمي ولده المزقياء . فهذا قول وقيل : إنما سمي مزقياء ، لأن الأزد

١ المعارف (ص ٦٤٠) . (تحقيق ثروت عكاشة) .

٢ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) . (٦٤٠) . (تحقيق ثروت عكاشة) .

تمزقت على عهد كل ممزق عند مرهم من سيل العرم ، فانخذت العرب اقراق
الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم ، فقالوا : ذهبت بنو فلان أيادي سبأ^١ . ومال
(فولدكه) الى هذا التفسير الأخير ، فرأى أنه مأخوذ من الآية . « فجعلناهم
أحاديث ومزقناهم كل ممزق » ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور^٢ .

ويظهر أن الغساسنة اخترعوا أسطورة تمزيق الثياب ، للإشارة الى غنى جدتهم
(عمرو) واقتداره^٣ . وأما ما ذهب اليه (فولدكه) ، فهو في نظري نوع من
الظن ، استخرجه من هذا التفسير الثاني الذي رواه الأخباريون في تفسير الكلمة
الخاص بمزق الأزد عن أرض سبأ لحدوث السيل .

وقد زعم أنه نزع معهم من اليمن قومهم من الأزد ، فقتل المدينة رهط
« ثعلبة العقاء بن عمرو بن عامر ومنهم الأوس والخزرج ، ونزل مكة رهط حارثة
ابن عمرو بن عامر ، وهم خزاعة ، ونزل جفنة بن عمرو بن عامر بالشام ، وهم الغساسنة
ونزل تخم في العراق ومنهم المناذرة أو آل نصر^٤ . فوصل أهل الأخبار بذلك
تأريخ خزاعة والأوس والخزرج وآل تخم بآل غسان . وجعلوا ابتداء ظهورهم
في أماكنهم منذ ذلك العهد ، أي منذ وقوع حادث (سيل العرم) .

وقد روى الأخباريون في ذلك شعراً لغز من الانتصار ، ورد فيه انتساب أهل
يثرب الى (عمرو بن عامر) ، واتصال نسبهم بنسب غسان . من ذلك شعر
للشاعر الأنصاري المعروف (حسان بن ثابت) ، يقول فيه :

ألم ترنا أولاد عمرو بن عامر لنا شرف يعلو على كل مرتقى^٥

ومن ذلك شعر زعم ان قائله أحد الانتصار هو :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدني أبوه عامر ماء السماء^٦

١ حمزة (ص ٧٧) ، (وهو مزيقياء . كان ممزق كل يوم حلة لثلا يلبسها إحدى
بعائه) ، الاشتقاق (ص ٢٤٨) .

٢ سورة سبأ ، ٣٤ ، الآية ١٨ ، فولدكه : أمراء غسان ، (ص ٣) . ملحوظة
١ (الترجمة العربية) .

٣ أمراء غسان (ص ٣ وما بعدها) ، (ص ٥) من النص الألماني .

٤ شرح ديوان حسان ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

٥ البرقوقي (ص ٢٨٦) .

٦ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، للبرقوقي (ص ٢٨٦) .

فالأُنصار ، أي أهل يثرب ، وهم من الأوس والخزرج ، هم من الدوحة التي أخرجت الفساسة ، وقد ظهر تأريخهم في يثرب بعد حادث سبل العرم على نحو ما رأيت .

واختار أهل يثرب بآل جفنة يزيد كثيراً على افتخارهم بآل لحم ، مع أنهم على حد قولهم من أصل واحد ، وقد افرقوا جميعاً في وقت واحد ، وهم في درجة واحدة من القرابة . ويُجد لحسان بن ثابت شعراً في الفساسة ، هو أضعاف ما قاله في المناذرة . ويظهر أن لقرب الفساسة من يثرب ، وللمصالح الاقتصادية ، وللهبات والعطايا التي كان ينالها حسان وأمثاله من الفساسة يسر وسهولة ، لقربهم منهم ، أثر كبير في هذا المدح والتعصب لسان على آل لحم .

وأما عن نعت عامر بماء السماء ، فقال حمزة : « أنه إنما سمي ماء السماء لأنه أصابت الأزد غصصه ، فأنهم حتى مطروا ، فقالوا : عامر لنا يدل ماء السماء »^١ . وقد عرف أشخاص آخرون بـ (ماء السماء) من غير لسان ، منهم (المنذر بن امرئ القيس المخمي) و (ماء السماء بن عروة) من ملوك (الحيرة) على زعم (ابن الكلبي)^٢ . وقد نعت (حسان بن ثابت) الفساسة اللين جاءوا من بعده بـ (أولاد ماء الزن) . و (المزن = المطر) . يريد بذلك (أولاد ماء السماء) ، أي : (بني ماء السماء) ، وماء السماء هو المطر ، وذلك كناية عن الجود والكرم والإغاثة . والمطر هو غوث للناس ورحمة والجود هو غوث لمن يجاد عليه ، فهو بمنزلة المطر للأرضين . فقصده الشاعر بذلك أن (آل لسان) ، للناس بمنزلة المطر للأرض . وقد يكون جدّ الفساسة قد عرف بكرمه وسخائه ، فنتعت بهذا النعت السدال على السخاء والجود . ولا أستبعد أن تكون هذه النعوت من النعوت التي أطلقها الشعراء على المذكورين ، فلأزمتهم حتى اليوم^٣ .

ونسب آل لسان إلى جد آخر ، يعرف بـ (ثعلبة) . وقد أشير إلى (عرب الروم من آل ثعلبة)^٤ . وقد ذكر (محمد بن حبيب) ، أن رئيس لسان

١ حمزة (ص ٧٧) (ما نهم - أي احتمال مؤنثهم ، أي قولهم حتى يأتيهم الخصب)

البرقوقي (ص ٢٨٧)

٢ المحبسر (ص ٣٦٥)

٣ كحفلة والقمقام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابلي محرق

البرقوقي (ص ٢٨٧)

٤ لسان (ص ٤)

الذي قضى على (الضجاعة) ، وانزع الملك من (سليح) ، هو (ثعلبة) ابن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد^١ . ومن نسله كان ملوك غسان ، فهو إذن (ثعلبة) المذكور .

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أغلوا الحكم بالقوة من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ، ويدعون بـ (الضجاعة) ، وهم من (سليح ابن حلوان)^٢ .

وينو سليح ، هم عرب ينسبهم النسابون الى (سليح بن حلوان بن عمران ابن الحلاف بن قضاعة)^٣ . وقد نسبهم (ابن دريد) الى (سليح بن عمران ابن الحلاف) ، وجعل لـ (سليح) شقيقاً هو (يزيد) جد (التريدين)^٤ . ونسبهم (السكري) الى (سليح بن عمرو بن الحلاف بن قضاعة)^٥ ، ولكن اختلاف النسابين هذا في نسبهم ، يقف عند نهاية سلاسل النسب ، إذ تنتهي هذه النهاية في (قضاعة) حيث يتفق الكل أن (سليحاً) ، هم من قضاعة . أما صاحب كتاب المعارف ، فقد جعل سليحاً من غسان ، إلا أنه عاد فاستلزم على ذلك بقوله : « ويقال من قضاعة »^٦ .

وقد ذكر أهل الأخبار أن (بني سليح) بقوا في بلاد الشام ، إذ ذكروهم في أخبار الفتح ، وكانوا في جملة من أقام على النصرانية من عرب الشام . وقد أسلم قسم منهم ، وكانوا في (قنسرين) في أيام المهدي^٧ .

ومن ملوك سليح الذين ذكرهم الأخباريون زياد بن الهولة ملك الشام ، جعلوه من معاصري حجر بن معاوية بن الحارث الكندي آكل المزار ، وذكروا أنه سمع بغارة قام بها حجر على البحرين ، فسار الى أهل حجر ومن تركهم ، فأخذ الحرم والأموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية . فلما سمع

- ١) المجير (ص ٢٧١) .
- ٢) حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) .
- ٣) حمزة (ص ٧٦ وما بعدها) . الأكليل (١٨٢/١) .
- ٤) الاشتقاق (٢/ ٣١٤) .
- ٥) المجير (ص ٢٧٠) .
- ٦) المعارف (ص ٢٧٨) ، (أول من دخل الشام من العرب : سليح ، وهو من غسان ، ويقال من قضاعة) ، (ص ٦٤٠) ، (تحقيق ثروت عكاشة) .
- ٧) فتوح البلدان ، للبلاذري (ص ١٥٢) (طبعة القاهرة ١٩٠) .

حجر وكندة وريبعة بقارة زياد ، عادوا عن غزوهم في طلب ابن هبولة ، ومع حجر أشراف ربيعة : عوف بن علف بن ذهل بن شيان ، وعمرو بن أبي ربيعة ابن ذهل بن شيان وغيرهما . فأدركوا قوم زياد بـ (البردان) دون عين أباغ ، فحمل أباغ حجر على أباغ (ابن الهبولة) ، فانهزموا ، ووقع زياد أسيراً ثم قتل^١ .

ونذكر رواية أن (حجراً) أرسل (سدوس بن شيان) و (صليح بن عبد غم) إلى عسكر (زياد) يشجعان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر، ثم عادا فأخبراه بخبره ، فسار على جيش ابن الهبولة ، واقتلوا قتلاً عتياً، فشد (سدوس) على زياد واعتقه وصرعه ، وأعطاه أسيراً ، فلما رآه (عمرو بن أبي ربيعة) حمله فطعن زياداً فقتله ، فغضب سدوس لأنه قتل أسيراً ، وطالب بدية ، دية الملوك ، فثأركا إلى حجر ، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله^٢ .

ويقتضي على هذه الرواية أن يكون ملك (زياد بن الهبولة) في وقت متأخر إذ لا ينجم هذا القول مع ما يذكره أهل الأخبار من أن ملك (بني سليح) كان قبل الفساسة^٣ . ولو أخذنا بالخبر المتقدم ، وجب علينا القول بأن زياداً كان يحكم في أيام الفساسة لا قبل ذلك .

وقد ذكر (ابن الأثير) أن (زياد بن هبولة) لم يكن ملكاً على الشام ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قيسرين والبلاد للروم ، ولم تكن سليح ولا غسان مستظفين بملك الشام ولا بشيء واحد ، وزياد ابن هبولة السليحي أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل . ولم يكن زياد آخر ملوك سليح . ثم خلاص من قوله برأي توفيقى ، بأن الفرض أن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام ، فهو غير ذلك الملك المذكور^٤ .

- ١ ابن الأثير (٢٠٨/١) ، حصة (ص ٩٢) ، الاغانى (٨٢/١٥) ، أيام العرب (٤٢) .
- ٢ أيام العرب (٤٥) .
- ٣ ابن الأثير (٢٠٨/١) .
- ٤ أيام العرب (٤٥) .

وقد تحدث (أبو عبيدة) عن ذلك اليوم، ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان^١ .

وقد تحدثت بعض الروايات عن (زياد بن هبولة) على هذا النحو : منهم داوود الثقي بن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً ، ومنهم زياد ابن هبالة بن عمرو بن عوف بن ضجعم . كان ملكاً . وهو الذي أغار على حجر آكل المرار . وهو محرق ، وكان أول من حرق^٢ بالنار^٣ . فجعلت والد زياد رجلاً اسمه (هبالة) ، وجعلت (داوود الثقي) شقيقاً له . أما الروايات الثلاثة ، فتجعل (داوود الثقي) ابناً لـ (هبالة) أي انه أخو (هبولة ابن عمرو بن عوف) ، فهبولة على هذا وهبالة أخوان ، وزياد وداوود ابنا عم^٤ . وأما ملوك (سليح) على رواية (ابن قتيبة الدينوري) ، فهم : (النعمان ابن عمرو بن مالك) ، وقد عينه ملك الروم على قومه — على حد قوله — بعد ان داثوا بالنصرانية ، ثم مالك وهو ابنه ، ثم (عمرو) ، وهو ابن مالك . قال : ولم يملك منهم غير هؤلاء الثلاثة . اذ انتقل الملك من بعد (عمرو) الى الغسانية^٥ .

ونسب الأخباريون (الفسجاعة) الى (بني ضجعم بن حاطة بن سعد بن سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاة)^٦ . فهم على هذا النسب ، ومن (بني سليح) ومن قبائل قضاة ، وقد حكموا بعد حكم (بني سليح) . ونسب بعض الأخباريين (ضجعم) الى (سعد بن سليح) ، أي بإسقاط اسم (حاطة) من النسب ، بأن جعلوا (سعد بن سليح) والداً لضجعم . وقد ذكروا ان منهم (داوود الثقي بن هبولة بن عمرو) وهو شقيق (زياد بن هبولة) المذكور . وذكر بعض منهم ان (داوود بن هبولة) هو شقيق (هبالة بن عمرو ابن عوف بن ضجعم)^٧ .

- ١ أيام العرب (٤٥) .
- ٢ الاشتقاق (٣١٩/٢) .
- ٣ الاشتقاق (٣١٩/٢) .
- ٤ المعارف (ص ٢٧٨ وما بعدها) . (ص ٦٤٠) . (ثروت عكاشة) .
- ٥ الحبير (ص ٣٧٠) . الاشتقاق (٣١٩/٢) . ابن خلدون (٢٧٩/٢) . حصة (٧٦) . غسان (٦) . الأكليل (١٨٢/١) .
- ٦ الاشتقاق (٣١٩/٢) .

ويظهر ان (داوود اللقي) كان قد اعتنق النصرانية ، وكان قد عمل للروم .
واليه ينسب (دير داوود) (دير الداوود)^١ .

ويظهر من بعض الروايات ان (زياد بن هبولة) الذي حارب (حجيراً
آكل المرار) ، كان أخاً لـ (داوود) . ويظهر من روايات أخرى انه كان
ابن عم له^٢ . واذا اخذنا برواية من زعم ان (زياداً) هذا حارب (حجيراً
آكل المرار) ، فمعنى هذا ان (جفنة) ، وهو مؤسس إمارة آل جفنة ، أي
الساسنة ، قد حكم بعد (زياد) . وقد زعم (حمزة) ان ملكاً من ملوك الروم
اسمه (نسطورس) هو الذي ملك جفنة على عرب الشام^٣ . وذهب بعض أهل
الأخبار الى ان القيصر الذي عين (جفنة) على عرب بلاد الشام هو (أنطانيوس)
(Anastasius) الأول ، الذي حكم من سنة (٤٩١) حتى سنة (٥١٨) للميلاد .
فتكون نهاية حكم الضجاعة وبداية حكومة (آل جفنة) في هذا العهد^٤ .

و (ضجعم) هو (Zocomus) أحد (العمال) (Phylarch) الذين نصبهم
الروم على عرب بلاد الشام ، حرق اسمه فصار على الشكل المذكور . وقد حكم
في أواخر القرن الرابع للميلاد . وقد ذكره (ثيوفلاكوس) (Theophylactus)
على هذه الصورة : (Zeokomos)^٥ ، وذكر انه هو وقيته دخلوا في النصرانية
وان الله وجهه ولداً يقبل دعاء السالك الصاري^٦ .

وقد كان الضجاعم من القبائل العربية المعروفة عند ظهور الاسلام . وقد كانوا
مثل سائر القبائل المستعربة المنتصرة ضد الاسلام ، وقد وقفوا مع (دومة الجندل)
في عتادهم ومقاومتهم لخالد بن الوليد ، وكان رئيسهم اذذاك هو (ابن الحنجران)^٧ .
لقد أشار المؤرخون اليونان والسريريون الى ملكة عربية دعوها (ماوية) (Mawia)
(Mawia) (Mawia) ، حكمت القبائل العربية الصارية في بلاد الشام ، وهاجمت

١ Die Araber, II, 8. 331.

٢ الاشتقاق (٣١٩/٢) ، ابن الاثير (٣٧٢/١) ، ابن خلدون (٢٧٨/٢) .

٣ حمزة (ص ٧٧) .

٤ Die Araber, II, 8. 332.

٥ Zosomenus, VI, 38, Theophylactus, 2, 2, Die Araber, II, 8. 330.

٦ إسحاق (ص ٦) ، (ص ٨) من النص اليوناني .

٧ Zosimus, 6, 38, Socrates, 4, 20, Rufinus, II, 8, Theodoretus, 40, 21.

٨ الطبري (٢٧٨/٣) (غير دومة الجندل) .

فلسطين و (فينيقية) ، ويظهر ان هذا الهجوم كان قد حدث بعد ترك القيصر (والنس) (Valens) (٣٦٤ - ٣٧٨ م) انطاكية وذلك سنة (٣٧٨ م)^١ . وقد حاربت الروم مراراً ، وانتصرت غير مرة ، ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته عليهم أن يُسَكَّف على عربها راهب يدعى موسى كان يتعبد في بادية الشام ، فوافق القيصر على ذلك ، وكان هذا الراهب كاثوليكيّاً معارضاً لمذهب أريوس^٢ .

ويذكر المؤرخون أن غارات تلك الملكة على حدود الروم ، كانت عنيفة كاسحة ، أُنزلت الدمار والخراب بقرى ومدن عديدة ، وألحقت خسائر فادحة بالأرواح والمال . وقد شملت تلك الغارات أرض فلسطين و (الحدود العربية) (Arabici Limites) . ونذكر أن عربها كانوا من الـ (سارسين) (Sarsini) (Saracene)^٣ .

وقد وليت (ماوية) الحكم بعد وفاة زوجها ، ويظهر أن نزاعاً وقع بينها وبين الروم أدى الى توتر العلاقات بينها ، آل الى هجوم الملكة على حدود الروم . ولما عجز الروم من الانتصار عليها ، استعانوا ببعض سادات القبائل للتغلب عليها ، ولما وجدوا ان القبائل لم تفعل شيئاً ، اضطروا على التفاوض معها ، وعلى ترسيبها على نحو ما ذكرت^٤ .

وقد قام موسى (Moses) بنشاط كبير في نشر النصرانية بين العرب . وقد كان من مصلحة الروم تنصر الأعراب ، لأن في تنصرهم تأييداً لهم ، حتى وان خالف مذهبهم مذهب الروم^٥ .

وقد حكم قبل (ماوية) (عامل) عربي أشار اليه المؤرخ (أميانوس) (Ammianus) ، غير أنه لم يذكر اسمه ، قال إنه (Assanitarum) وإنه من (السرسين) (Phylarchus Saracenorum Assanitarum)^٦ ، وقد حكم

Provincia Arabia, III, S. 286, Theophanes, 64, (Ed. De Boor), Socrates, IV,

38, Sozomenus, VI, 38, Eusebius, 2, 2.

١ اشترق - السنة العاشرة - العدد ١١ - حزيران ١٩٠٧ - (ص ٥٢٤) ،

Theodoretus, 4, 21, Socrates, Hist. Eccl., 4, 36.

Die Araber, II, S. 328.

* Die Araber, II, S. 328.

Die Araber, II, S. 330.

Ammianus, 24, 4, 2, Provincia Arabia, III, S. 284.

في أيام (يولييان) (جوليان) (Julian) (٣٦١ - ٣٦٣ م) . ويظن البعض أن مراد المؤرخ بـ (اسانته) (Assanidae) الفاسانية ، أي ان الكلمة من أصل (غسان)^١ .

غير أن هذا الظن معناه أن حكم الملكة (ماوية) ، كان في أيام الفاسانية ، وأنها أزعجت الروم في وقت كان فيه (آل جفنة) على عرب بلاد الشام . وهذا ما لا تليده الموارد التاريخية المتوفرة لدينا الآن . لذلك أرى ان حكم (ماوية) كان قبل تولي (الفاسانية) الحكم رسمياً من الروم ، أو ان الملكة كانت تحكم في الأقسام الجنوبية من بادية الشام ، ومنها أخذت تهاجم حدود الروم المؤلفة لكورة فلسطين ، وتتوغل بها حتى بلغت (فينيقية) و (مصر) ، ولم يكن حكم الفاسانية متمكناً إذ ذاك ، فاستغلت هذا الضعف ، وأخذت تهاجم الحدود .

وزعم المسعودي أن ملك العرب بالشام يعود الى أيام (فاتح بن هور) (فاتح ابن يهور) . وقد صبره من صميم أهل اليمن ، ملك ثم ترك الحكم الى (يوتاب) (سومات) ، وهو (أيوب بن رزاح) . ثم انتقل ملك الشام على رأيه أيضاً الى الروم . وكانت قضاة من مالك بن حير أول من نزل الشام ، وانضافوا الى ملوك الروم، فلكوهم بعد أن دخلوا في النصرانية على من حوى الشام من العرب. وكان النعمان بن عمرو بن مالك أول من تولى من تنوخ بالشام . ثم ملك بعده عمرو ، ثم (الحواري بن النعمان) . ثم انتقل الملك الى سليح . وانتقل الملك منهم الى آل غسان^٢ .

وقد كانت سليح - كما يذكر الأخباريون - يجيئون من نزل بساحتهم من مضر وغيرها للروم. فأقبلت غسان في جمع عظيم يريدون الشام حتى نزلوا بهم ، فقالت سليح لهم: إن أقررتم بالخرج، وإلا قاتلتكم . فأبوا عليهم ، فقاتلهم سليح، فهزموا غسان . ورئيس غسان يومئذ (ثعلبة بن عمرو بن المجدالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد) . فرضيت غسان بأداء الخرج اليهم . فكانوا يجيئونهم لكل رأس ديناراً، وديناراً ونصفاً، ودينارين في كل سنة على أقدارهم قلبشوا يجيئونهم حتى قتل (جلدع بن عمرو الغساني) جابي سليح، وهو سبط بن المنذر بن عمرو

1. Meisl, Kusejr 'Amra, Wien, 1907, P. 130.

٢ مروج (٢٩/٢ وما بعدها) ، (٨٢/٢ وما بعدها) ، (طبعة دار الاندلس) .

ابن عوف بن ضجعم بن حطاطة . فتنادت سليح بشعارها وتنادت غسان بشعارها . فالتفوا بموضع يقال له (المحف) ، فأبارتهم غسان . وخاف ملك الروم أن يميلوا مع فارس عليه ، فأرسل إلى ثعلبة ، فقال : أنتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير . وقد قلتم هذا الحمي ، وكانوا أشد حمي في العرب وأكثرهم علة ولاني جاعلكم مكانهم ، وكان يني وبينكم كتاباً : إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الروم بأدائهم ، وإن دهمنا دهم من العرب فعلبكم عشرون ألف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس . فقبل ذلك ثعلبة ، وكتب الكتاب بينهم . فلذلك ثعلبة وتوجه^١ . وكان ملك الروم يقال له (ديقوس)^٢ .

وقد تحدث الأخباريون وأصحاب كتب الأمثال عن هذا الحادث في معرض كلامهم عن المثل : « غل من جلدع ما أعطاك » . وقد اتفقوا كلهم في اسم القاتل ، وهو منصور عليه في المثل ، ولكنهم اختلفوا في اسم المقتول ، فقال بعضهم انه سبط ، وقال آخرون : انه سبطة^٣ ، ويقول بعض آخر : انه كان رجلاً من الروم^٤ .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ، ان اليوم الذي انتصر فيه الغسان على الفساجية هو (يوم حليلة) . وذلك أن الحرب لما ثارت بين الفساجية والغسان سبب الذي ذكرته ، وقالوا « غل من جلدع ما أعطاك » ، كان لرئيس غسان ابنة جميلة يقال لها (حليلة) ، فأعطاهم خلوقاً لتخلق به قومها ، وانتصر الغسان بذلك اليوم على الفساجية . فقالوا : « ما يوم حليلة بسر »^٥ .

ونسب ابن خلدون (سبطة) القتل إلى المنذر بن داود^٦ ، ويظهر أنه قصد (داود الملقب) . وإلى داود ينسب دير داود ، وذلك يسدل على أنه كان نصرانياً^٧ ، كما أشرت إلى ذلك قبل قليل .

وعندي أن (سبطة) هو (Aspehetos) (Aspehbet) (Aspatylatos) ،

١ الحبر (ص ٣٧٠ وما بعدها) . حمزة (ص ٧٦) .

٢ ابن خلدون (٢٧٩/٢) .

٣ اليعقوبي (١٦٧/١) (طبعة النجف) .

٤ البلدان (٢٢٥/٢ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) .

٥ ابن خلدون (٢٧٩/٢) .

٦ غسان (ص ٧) . الاصل الألماني (ص ٨) .

الذي قيل إنه كان عاملاً (فيلارك) (Phylarch) حريباً من عمال القرس ، فأغار على (الكورة العربية) (Arabia Provincia) ، وذلك في أواسط القرن الخامس للميلاد ، وأعلن نفسه عاملاً على الأرضين التي استول عليها ، واعترف به وبأبنائه عمالاً عليها^١ .

وزعم المؤرخ حمزة أن أول ملك ملك من غسان هو جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد بن الغوث . وقد زعم أنه ملك في أيام نسطورس ، وهو الذي ملكه على عرب الشام . فلما ملك ، قتل قضاة من سليج الذين يدعون الضجاعة ، ودانت له قضاة ومن بالشام من الروم ، وبني جثن والقرية وعدة مصانع ، ثم هلك . وكان ملكه لحساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر^٢ .

وقد ابتدأ (حسان بن ثابت) بجفنة هذا في قصيدته التي افتخر فيها بنسبه^٣ . وبجفنة هذا سمي ملوك الغساسنة (آل جفنة) ، كما سُمي خصومهم (المناقرة) بـ (آل لحم) . وإلى هذا الرأي ذهب (الأصمعي) ، حيث قال : « وجفنة أول ملك ملك من غسان ، وإلى نسب ملوك غسان التي ذكرها حسان بن ثابت الأنصاري في شعره »^٤ . وقد نسب الأصمعي له وصية زعم أنه ألوصى بها بنسبه في كيفية السير بالناس ، وتسير الملك^٥ .

وعند السعدي أن أول من ملك من بني غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، ومن بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وهو ابن مارية

Provincia Arabia. III, B. 286, Euthymii Vita, Ed : Cotelierius, Ecclesiae Graeca Monumenta, II, P. 221.

١ حمزة (ص ٧٦) ، (جفنة بن علي بن عمرو بن عامر) ، اليعقوبي (١٦٧/١)

(طبعة النجف) (جفنة بن مزيقيا) ، ابن خلدون (٢٨١/٢) ، شرح ديوان النابغة الذبياني ، لبطلبيوسي (ص ٦) ، التنبيه (ص ١٥٨) .

٢ أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم الفضل

الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولى ، (ص ١٠٢) ، (محمد حسن آل ياسين)

جفنة والقمام عمرو بن عامر وأولاد ماء المزن وابني محرق .

البرقوقي (ص ٢٨٧) .

٤ الأصمعي ، تاريخ ملوك العرب الاولى (ص ١٠٢) .

٥ المصدر نفسه (ص ١٠١) .

ذات القرنين^١ . أما ابن قتيبة ، فذهب الى ان أول من ملك منهم هو الحارث ابن عمرو المعروف بـ (محرق) . وسمي بمحرق لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ويكنى بأبي شمر^٢ .

وقد ذكر ابن دريد ان الحارث بن عمرو بن عامر ، (هو محرق) وهو أول من عذب بالنار^٣ . فأيد بذلك رواية من يرى انه أول من عذب وحرق الناس بالنار .

وذهب (محمد بن حبيب) الى أن أول من ملك من الغساسنة بالشام هو (ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) ، وذلك بعد قتله (جذع) بالضجاعة فعهد اليه ملك الروم (ديقوس) أمر تولى رئاسة حرب بلاد الشام ، وملكه وتوحيه ، فصار بذلك أول ملك من ملوك لحيان^٤ ، على نحو ما ذكرته قبل قليل .

و (جفنة) الذي صيرته حمزة أول من ملك من غسان ، هو (جفنة بن عمرو ، وهو مزقبيا بن عامر ماء السماء) . وقد نجل عمرو بن عامر على رواية ابن خلدون ، جملة أولاد ، منهم : جفنة ، والحارث وهو محرق ، وثعلبة وهو العتقاء (العتقاء) ، وحارثة ، وأبو حارثة ، ومالك ، وكعب ، ووادة ، وعوف ، وذهل ، وواكل^٥ . فيكون جفنة على هذه الرواية أعماً للحارث بن عمرو الذي عدّه السعدي وابن قتيبة أول من تملك من الغساسنة في ديار الشام . وتولى الحكم بعد جفنة على رواية حمزة ابنه عمرو بن جفنة ، وكان ملكه لحس سنين . ونسب حمزة اليه بناء عدة أديرة ، منها : دير حالي ، ودير أيوب ، ودير هند^٦ .

أما (الأصمعي) فقد أورد اسم (الحارث بن جفنة بن ثعلبة بن عمرو) ، بعد اسم (جفنة) . وقال عنه (وهو الحارث الأكبر) ثم ذكر له وصية وصي

- ١ مروج (٢٩٨/١) (طبع المطبعة البهية) .
- ٢ المعارف (ص ٢٨٠) ، (ولد عمرو بن عامر الحارث . وهو محرق . وهو أول من عذب بالنار) ، الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
- ٣ الاشتقاق (ص ٢٥٩) .
- ٤ الحبير (ص ٣٧١ وما بعدها) .
- ٥ ابن خلدون (٢٧٩/٢) ، الاشتقاق (٢٥٩) .
- ٦ حمزة (ص ٧٧) .

بها ابنة (عمرو بن الحارث) وهي وصية نظمها شعراً . وقد قال له فيها إن هذه الوصية هي وصية أبيي لي ، وبها يا عمر أوصي وفيها الملك مرسوم^١ .

وأما (محمد بن حبيب) ، الذي جعل ثعلبة أول من ملك من الغساسنة ، فقد جعل الحكم للحارث بن ثعلبة من بعده ، ثم لابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة ، ثم لابنه الحارث ، وهو ابن مارية ذات القرطين ، ثم للنعمان بن الحارث ثم للمنفور ابن الحارث ثم للمنفور بن الحارث ، ثم لجبلة بن الحارث^٢ .

وأما (ابن قتيبة) ، الذي جعل (الحارث بن عمرو بن عمرو) أول ملوك آل لسان ، فقد وضع (الحارث بن أبي شمر) من بعده . وقال : إنه الحارث الأصمج بن الحارث الأكبر ، وأمه مارية ذات القرطين . وكان خير ملوكهم ، وأجملهم طائراً ، وأبعدهم مقاماً . وكان لغزا (خير) ، فسي من أهلها ، ثم اعتنقهم بعد ما قدم الشام . وكان سار إليه المنذر بن ماء السماء في مئة ألف ، فوجه اليهم مئة رجل ، فبهم ليد الشاعر وهو غلام ، وأظهر أنه إنما يبعث بهم لمصالحته ، فأحاطلوا يروا فقتلوه ، وقتلوا من معه في الرواق ، وركبوا خيلهم فنجوا بعضهم وقتل بعض وحملت خيل الغسانيين على صكر المنذر فهزموهم ، وكانت له بنت يقال لها (حليلة) كانت تطيب أولئك الفتيان يومئذ وتلبسهم الأكفان والدروع وفيها جرى المثل : « ما يوم حليلة يسر » . وكان فيمن أسر يومئذ أسارى من بني أسد ، فأناه النابغة ، فسأله إطلاقهم ، فأطلقهم ، وأناه علقمة ابن عبدة في أسارى من بني نجيم ، فأطلقهم اكراماً لشأنه . وفي جملة من أطلق حريتهم شأس بن عبدة شقيق علقمة^٣ .

وروى (ابن قتيبة) أيضاً أن (علقمة بن عبدة) قال في (الحارث بن أبي شمر) هذه الأبيات :

إلى الحارث الوهاب أعلمت ناقتي بكلكلها ، والقُصْرَيْنِ وجيب^٤
وفي كل شيء قد حَبِطت بنعمة فحقّ للشأس من نذالك ذنوب

فقال الحارث : نعم وأذنبة^٥ .

١ الاصمعي ، تاريخ (١٠٣ وما بعدها) .

٢ الحبير (ص ٢٧٢) .

٣ المعارف (ص ٢٨٠) . (ص ٦٤١ وما بعدها) . (طبعة ثروت عكاشة) .

٤ المعارف (ص ٢٨٠) . (ص ٦٤١ وما بعدها) . (ثروت عكاشة) .

وزعم (ابن قتيبة) ان الذي ولي الملك بعد (الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر) ، هو ابنه (الحارث بن الحارث بن الحارث) ويسميه بالحارث الأصغر ابن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر . وكان له اخوة ، منهم : النعمان بن الحارث ، يقول ، وهو الذي قال فيه النابغة :

هنا غلام حسن وجهه مستقبل الحسير سريع التمام
لحارث الأكبر والحارث الأصغر والحارث الأعرج خير الأنام

وله يقول النابغة أيضاً ، وكان يخرج غازياً :

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتي معاً ملكها وريبعها
ويرجع الى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو أننا نستطيعها

وقد وهم (ابن قتيبة) في (الحارث بن أبي شمر) إذ صيّرته الملك الثاني ، وجعله ابناً للحارث الأكبر ، في حين أنه (الحارث بن جبلة) الذي حارب المنذر بن ماء السماء ، وهو صاحب يوم حليمة . وهم في (الحارث الأصغر) أيضاً حين صيّرته في هذا المكان ، وجعله على هذا النسب ، ولابن قتيبة أوهام أخرى من هذا القبيل .

وتولى بعد عمرو بن جفنة ابنه ثعلبة على رواية حمزة ، وكان ملكه سبع عشرة سنة . ونسب اليه بناء عقة وصرح الغدير في أطراف حوران مما يسلي البلقاء^١ . وقد نسب البطليوسي اليه بناء صرح السدير في أطراف حوران مما يسلي البلقاء . وذكر مثل حمزة أنه حكم سبع عشرة سنة^٢ .

ثم تولى من بعده (الحارث) ، وهو ابنه ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وذكر حمزة أنه لم يبن شيئاً . ثم ذكر من بعده (جبلة بن الحارث) ، وهو ابنه ، وحكم على روايته عشر سنين^٣ . وجعل (البطليوسي) مدة حكمه عشر سنين أيضاً^٤ .

- ١ المصنف (ص ٢٨٠) .
- ٢ حمزة (ص ٧٧) .
- ٣ البطليوسي (ص ٦) .
- ٤ حمزة (ص ٧٧) .
- ٥ البطليوسي (ص ٦) .

وجبله هو أول من يمكن أن نطمئن الى وجوده من ملوك الغساسنة كل الاطمئنان وهو (جيلس) (Jabala) عند ثيوفانس . وقد ذكر عنه أنه غزا فلسطين حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد^١ . ولا نعرف من أمر هذا الرجل شيئاً يستحق الذكر . وقد نسب حمزة والبطلوسي اليه بناء القناطر وأدرج والقسطل . وقالوا إنه حكم عشر سنين^٢ . وذكره (ابن دريد) على هذا النحو : « ومنهم جبله بن الحارث الملك . وهو ابن مارية التي يقال لها قرطاً مارية »^٣ .

وجاء بعد (جبله) ابنه (الحارث بن جبله) ، الذي يمكن عدّه أول ملك نعرف من أمره شيئاً واضحاً يذكر من ملوك آل جفنة . وهو في نظر (نولدكه) (اريناس) (Aretas) (Arethas) السلي ذكره المؤرخ السرياني (ملالا) (Malalas) . وقد ذكر انه كان عاملاً للروم^٤ . ويظن أن حكمه كان من حوالي سنة (٥٢٩) حتى سنة (٥٦٩) للميلاد تقريباً^٥ . وأرى ان حكمه كان قبل سنة (٥٢٩) للميلاد بقليل ، اذ ذكر أنه حارب (المنذر) (Alamundarus) في حوالي السنة (٥٢٨) للميلاد^٦ . ومعنى ذلك أنه ولي الحكم في هذه السنة ، أو قبلها بقليل .

وقد عرف الحارث هنا عند أهل الأخبار بـ (الحارث الأعرج) وبـ (الحارث الأكبر) .

وذكر حمزة والبطلوسي وآخرون أن والدة الحارث هي (مارية ذات القرطين ، بنت عمرو بن جفنة)^٧ . وذكر المسعودي ومحمد بن حبيب أنها (مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة) . واستدرك (محمد بن حبيب) على ذلك بقوله : « ويقال : بل هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية ابن ثور ، من كتلة »^٨ . وهي أخت هند الفتود امرأة حجر الكندي ، وقد

١. نيسان (ص ٨) . Theophanes, 218, O'Leary, P. 164.
٢. حمزة (ص ٧٧) . البطلوسي (ص ٦) .
٣. الاستغاثي (ص ٢٥٩) .
٤. نيسان (ص ٩) . Malalas, (Malalas), 2, 169.
٥. Provincia Arabia, II, S. 174, III, S. 285.
٦. Provincia Arabia, III, S. 352.
٧. حمزة (ص ٧٨) . البطلوسي (ص ٦) .
٨. المعجم (ص ٢٧٢) .

ضرب المثل بحسبها ، قتل : « غلوه ولو بقرطي مارية » . وقالو : وكان في قرطيا مثنا دينار^١ .

وذكر البطليموسي ان الحارث كان يسكن البلقاء ، وبها بنى (الحفير) ومصنعة بين (دحجان) وقصر أبير ومعان^٢ . وكان حكمه على رأيه عشرين سنة^٣ . وهو دون العدد الذي يقدره الباحثون لحكمه ، حيث قدر بأربعين سنة . إذ حكم على تقديرهم من حوالي السنة (٥٢٩) حتى السنة (٥٦٩) للميلاد^٤ .

ويشك بعض الباحثين في صحة نسبة الأبيّة المذكورة الى الحارث ، اذ يرون أنها من عمل شخص آخر . غير أنهم يرون احتمال بانه لتقصر الأبيض في (الرحبة) . ولتقصر الطوبة^٥ .

وجعل (ابن دزيد) للحارث بن جبلة من الولد : النعمان والمنذر والميسلر وجبلة وأبا شمر ، ذكر أنهم ملوك كلهم^٦ .

وذكر الأخباريون ان الحارث بن مارية القسائي ، كان قد اجتبي أخوين من بني نهد اسمها جزن وسهل ، وهما ابنا رزاح ، فحسدهما زهير بن جنداب الكلبي وسعى بهما لدى الحارث ، وأظهر له أنهما عين للمنذر ذي القرنين عليه حتى قتلها ، ثم تبين له فيما بعد بطلان قول زهير ، فطرده من عنده . واسترضى الحارث والد القتييلين رزاح ، وأبقاه عنده ، فلم يطق زهير على ذلك صبراً ، حتى تخلى عنه بمكيدة انتهت بقتل الحارث له ويرجع زهير الى ما كان عليه^٧ . وهي قصة من هذه القصص التي يرويها الأخباريون تشير الى معاصرة زهير للحارث وللمنذر الأكبر ذي القرنين ، أي المنذر بن ماء السماء .

وقد ذكر ملالا ان الحارث بن جبلة حارث (المنداروس) (Alamundarus) (Alamoundros) أمير عرب القرم ، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة (٥٢٨ م)^٨ ، وذكر معه اسم أميرين ، هما : (جنوفاس) (Jnophas) ،

- ١ الحفير (ص ٣٧٢) ، البرتوقي (ص ٣٠٩) .
- ٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطليموسي (ص ٧) ، Provincia Arabia, II, B. 8.
- ٣ البطليموسي (ص ٧) ، حمزة (ص ٧٨) .
- ٤ Provincia Arabia, II, B. 174.
- ٥ Provincia Arabia, II, B. 174.
- ٦ الاستغاثي (٢٥٩) .
- ٧ الأثاني (١١٨/٥ وما بعدها) .
- ٨ نسان (ص ١٠) ، Melalas, 2, 166.

و (نيمان) (Naaman) . ويرى (نولدكه) ان (جنوقاس) هو (جفنة) وهو اسم أحد الأمراء الجفنيين ، سمي باسم جفنة مؤسس تلك الأسرة . وأما نيمان فهو أيضاً اسم أمير من أولئك الأمراء الجفنيين^١ .

وقد تحدث الطبري عن الحرب التي وقعت بين المنذر بن النيمان ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة ، إلا أنه وهم في اسمه فصيره (خالد بن جبلة) . وقال عن الحرب : « وقع بين رجل من العرب كان ملكه بختيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لحم ، كان ملكه كسرى على ما بين عمان والبحرين واليامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ، يقال له المنذر بن النيمان ثائرة ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله ، فشكا المنذر الى كسرى ، وسأله الكتاب الى ملك الروم في انصافه من خالد . فكتب كسرى الى بختيانوس^٢ ، إلا أنه لم يحفل بكتاباته فغزا كسرى بلاده ، وتوغل فيها واضطر (بختيانوس) عندئذ الى عقد صلح معه ، وإلى ارضائه .

ويرى (نولدكه) أيضاً ان هذا الحارث هو الحارث الذي ذكر عنه المؤرخ ملالا انه أخذ ثورة السامريين الذين ثاروا في فلسطين في سنة (٥٢٩)^٣ .

وقد ورد في تأريخ (بروكوبيوس) (Procopius) ان المنذر ملك العرب (سركنوى) (Sarakynou) اللذين كانوا في مملكة الفرس ، لما أكثر من الغارات على حدود انباطورية الروم ، وعجز قواد الروم من أرباب لقب (Dux) (Duce) (Dux) وسادات القباب من أرباب لقب (Phylarchus) (فيلارخ) المحالفين للروم عن صدّه والوقوف أمامه ، رأى القيصر (يسطانوس) (Justinianus) ان يمنح الحارث بن جبلة الذي كان يحكم عرب العربية (Arabia) لقب (ملك) ليوقف بوجه (المنذر) (Alamoundaros) . وقد ذكر ان هذا القب لم يمنح لأحد من قبل . ولكن المنذر لم يرضه مع ذلك عن غزو الحدود الشرقية لبلاد الشام والبيت بها مدة طويلة من الزمن^٤ . وقد ذهب (نولدكه) الى أن هذه الحوادث

١ نيسان (ص ١٠) .

٢ الطبري (١٤٩/٢ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .

٣ نيسان (ص ١٠) . O'Leary, P. 164, Malala, 2, 180 .

٤ Procopius, I, XVII, 43-48. J. B. Bury, II, P. 67.

كانت في سنة (٥٢٩ م)^١ .

وقد بلغ المثلث في هجومه على بلاد الشام أسوار (انطاكية) ، ولكنه تراجع بسرعة حينما سمع بمجيء قوات كبيرة من قوات الروم ، تراجع بسرعة أعجزت الروم عن اللحاق به^٢ . ويشك تولدكه في رواية بروكوبيوس بشأن منح الحارث لقب ملك ، ذلك لأن لقب ملك كان خاصاً بقياصرة الروم ، فلا يمنح لغيرهم^٣ . ويلاحظ أن بعض كتبة اليونان أطلقوا أيضاً لقب ملك على الأمراء العرب ، مثل (ماوية) ، فقد لُقبت به (ملكة) . ولم يستعملوا كلمة (فيلارخوس) (Phylarke) (Phylarkos) (Phylarcos) التي تعني العامل أو سيد قبيلة . وأما الكتبة السريان ، فقد لقبوا رؤساء القبائل العربية بلقب (ملك) في بعض الأحيان على نحو ما نجده في الشعر العربي^٤ . ولكن تولدكه يرى أن هذا الاستعمال لا يمكن أن يكون سنداً لا لبس أن الروم أطلقوا لقب ملك على الحارث أو على خلفائه رسمياً ، لأن الوثائق الرسمية لم تطلق هذا اللقب عليهم .

والذي صح إطلاقه من الألقاب على أمراء الفساسنة ، وثبت وجوده في الوثائق الرسمية ، هو لقب (بطريق) (Patrius) ، ولقب (عامل) أو سيد قبيلة (فيلارخوس) (Phylarchus) (Phylarkos) (Phylarcos) مقرونًا بنعت من النعوت التابعة له ، أو مجرداً منه ، كالذي جاء عن المثلث الذي حكم بعد الحارث بن جبلة البطريق الفائق المديح ، ورئيس القبيلة (فلارخوس المثلث) ، و (المثلث البطريق الفائق المديح) ، وما ورد عن الحارث (الحارث البطريق ورئيس القبيلة)^٥ .

ولقب (البطريق) من الألقاب الشرف الفخمة عند الروم ، ولذلك فلم يكن يمنح إلا لعدد قليل من الخاصة ، ولصاحبه امتيازات ومترلة في النبوة حتى أن بعض الملوك كانوا يحذون الحصول على هذا اللقب من القيصر^٦ . وقد منح القيصر

١ - لسان (ص ١١) .

٢ - J. B. Bury, I, P. 81.

٣ - لسان (ص ١٢) ، المشرق - السنة الأولى - الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٢٨٥) .

٤ - لسان (ص ١٢) .

٥ - لسان (ص ١٢ وما بعدها) .

٦ - المشرق - السنة الأولى - الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ (ص ٢٨٥) .

(يُستُبانوس) (Justinianus) (الحارث) هذا القبط ، وكذلك لقب (فيلارخ) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة يمنح هذين اللقبين اللذين انتظلا منه الى أبنائه لها بعد^١ .

وبلاحظ ان نص أبرهة الذي ذكر في جملة مسا ذكره ان الحارث بن جبلة أرسل رسولاً عنه الى مدينة مأرب ليهته بترميمه سد مأرب ، لم يدون كلمة (ملك) مع اسم الحارث ، ولكن ذكر (ورسل حرثم بن جبلة) ، أي : (ورسل الحارث بن جبلة)^٢ . فلم يلقه بلقب (ملك) ، وبدل عدم اطلاق أبرهة لقب ملك على الحارث على انه اتبع الأصول الدبلوماسية المقررة عند البيزنطيين وان لقب ملك لم يكن لقباً رسمياً له مقررأ دولياً. وقد كان وصول رسول الحارث أو رسله في سنة (٥١٢ م) .

ويبين من رواية المؤرخين بروكوبيوس وملا ان الحارث بن جبلة كان قد اشترك في المعركة التي نشبت بين الفرس والروم في ١٩ نيسان سنة (٥٣١ م) ، وانتهت بانتصار الروم ، وكان قائدهم (بليزاريوس)^٣ . وذكر ان الفرس أسروا رجلاً اسمه (عمرو) (Amros) ، وكان حائزاً على درجة (قائد) (Dux)^٤ .

وقد أثار تصرف الحارث في الحرب التي نشبت في سنة (٥٤١ م) بين الفرس والروم ، شك الروم في إخلاصه لهم ، والحل لم يأت ، اذ ما كان يعبر هذا الأمير نهر دجلة مع القائد بليزاريوس حتى بدا له فرجع الى مواضعه بعد أن سلك طريقاً آخر غير الطريق الذي اتبعه معظم الجيش دون أن يقوم بعمل يذكر في هذه الحرب^٥ . وهذا مما حل الروم على الشك في صداقته لهم ، وجعلهم يحذرون منه ويراقبون حركاته ، خوفاً من انقلابه عليهم وإخاذه الأذى بهم وانقلابه سراً مع الفرس .

وقد عاد النزاع فتجدد بين الحارث والمنذر حوالي سنة (٥٤٤ م) ، وانتهى

Provincia Arabia, II, B. 174.

٢ راجع النص الموسوم Glaser 618.

٣ Musil, Palmyrena, P. 274, Procopius, I, 8.

٤ Malalas, 2, 199.

٥ Malalas, 2, 202. - (ص ١٨)

٥ Malalas, 2, 203, Procopius 2, 5, 16, 18. - (ص ١٨)

Musil, Palmyrena, 266.

يسقط ملك الحيرة قتيلاً في معركة حدثت في سنة (٥٥٤ م) ، على مقربة من (قسرين) بالقرب من الحليار . وهذه المعركة هي معركة يوم حليمة على رأي تولدكه^١ . ويظهر أن المثلث كان قد هاجم بلاد الشام ، وتوغل فيها حتى وصل إلى حدود قسرين ، فصرع هناك . حدث ذلك في السنة السابعة والعشرين من حكم (يوستينيانوس) (Justinianus) على رواية ابن العبري .

وقد كان سبب اختلاف الحارث مع المثلث ، تنازعها على أرض يطلق الروم عليها اسم (Strata) جنوب تدمر ، تمر بها الطرق البرية الموصلة إلى بلاد الشام وهي من الطرق العسكرية المهمة ومرعى مهم للأعراب ، يرعى فيها أعراب العراق وأعراب بلاد الشام . وقد ألف (جثنيان) لجنة تحكيم ، لم تتمكن من فض النزاع . وقد اتهم الفرس أعداءهم الروم بأنهم يريدون الاتصال سرّاً بالمثلث ورشوته لتحريضه على القيام على القرمس^٢ .

وقد ذكر ابن العبري في أثناء كلامه على هذه الحرب أن (برجيرت) ، (Bar-Herath) أي (ابن الحارث) سقط قتيلاً في الحرب^٣ . وكان قد ذكر قبل كلمات أن المثلث بن النعمان ، لما هاجم منطقة (Rhomaye) وتوغل فيها ، نازله (الحارث بن جبلة) (Herath bar Gebala) بهجوم مقابل ، فهزمه وقتله في قسرين . ثم ذكر أن ابن الحارث سقط قتيلاً في هذا الموضع . ويعرف هذا الولد باسم جبلة^٤ .

ونجد في شعر (حسان بن ثابت) إشارة إلى (زمين حليمة) أي زمن حليمة^٥ . كما نجد في الأمثال (ما يوم حليمة يسر)^٦ ، دلالة على شهرة ذلك اليوم .

وكان الحارث من أنصار (المونوفسيتين) (Monophysites) ، أي القائلين بوجود طبيعة واحدة في المسيح ، ويقال أنه سعى لدى الإمبراطورة (ثيودورة)

١ غسان (ص ٦٠)

٢ J. B. Dury, II, P. 92.

٣ Bar Hebraeus, Vol. I, P. 76.

٤ Michael the Syrian, Chronicle, (ED : Chabot), Vol. 4, PP. 323, Musil, Palmyrena, P. 144.

٥ البرقوقى (ص ١٤٦)

٦ كذلك (ص ١٤٦)

في تعيين (يعقوب البرادعي) ورفيقه (ثيودورس) ، أسقفين للمقاطعات السورية العربية . فنجح في مسعاه هذا في سنة (٥٤٢ - ٥٤٣ م) ، ويلتصق وطد هذا المذهب في بلاده^١ .

ونسب المؤرخ السرياني (ميخائيل الكبير) الى الحارث محاولة جرت بينه وبين البطريق (افرام) (٥٢٦ - ٥٤٥ م) في السريانية أو اليونانية في طيعة المسيح وفي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فيه . وهو مذهب (يعقوب البرادعي) المتوفي سنة (٥٧٨ م) . وقد صبغت الحكاية بأسلوب يفهم منه انه تغلب بأدب ولطف على خصمه البطريق^٢ .

ولمعارضة مذهب اليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي لمذهب الكنيسة الرسمي للباطرطورية عند الروم هذا المذهب من المذاهب المنشقة المعارضة فقارموه وناضلوا أصحابه ولا سيما في أيام القيصر يوستنيانوس ، باعتباره مذهباً من المذاهب المناهضة لسياسة الملوك والدولة ، كمعارضة الأحزاب السياسية في الزمن الحاضر^٣ ، الا ان الحارث سعى جهده امكانه في تخفيف حدة غضب الحكومة على رجال هذا المذهب ، ومن الضريب ما أمكن بين آراء رجال الكنيستين . ولجهود الحارث ومسعاه في حماية هذا المذهب ، فضل كبير ولا شك في بقاءه ، وفي انتشاره بين السريان وعرب الشام^٤ .

وقد زار الحارث القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣ م) ، فاستقبل استقبالاً حافلاً . وأثر أثراً عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال القصر والحاشية ، ويقال ان رجال البلاط كانوا يخوفون القيصر (يوستينوس) (Justinus) بعد خرقه بالحارث ، فكان يهدأ ويسكت روعه حين سمعه اسمه^٥ . والظاهر ان الغاية التي من أجلها ذهب الحارث الى القسطنطينية هي مفاوضة رجال الحكم فيمن سيخلفه على عرشه بعد وفاته من أولاده ، وفي السياسة التي يجب سلوكها تجاه عمرو

1. François Nau, Les Arabes Chrétiens, PP. 52.

2. المشرق ، المجلد ٢٤ (السنة ١٩٣٦) ، الجزء الاول (ص ٦٦ وما بعدها) .

3. E. Gibbon, Der Heg. 8. 69.

4. المشرق ، السنة الاولى ، الجزء ١١ ، حزيران ١٨٩٨ ، (ص ٤٨٦) .

5. نسان (ص ٢٠) .

J. of Ephesus Eccl., 3, 2, O'Leary, P. 165, Huard, I, 60, Les Arabes Chrétiens,

PP. 58, Michel the Syrer, Chronique, I, II, P. 314.

ملك الحيرة^١ .

والى هذا الحارث قصد امرؤ القيس الكندي الشاعر ، ليوصله الى القيصر ليشكو له قلامته ، ويطلب منه مساعدته في استرجاع حقه وأخذه بالثار حسب رواية الأخباريين . واليه تسب أيضاً قصة مطالبة السموأل بن عاديا بإعادة دروع امرئ القيس التي أودعها لديه في القصة الشهيرة التي يحكيها الأخباريون في معرض كلامهم على امرئ القيس وقصة السموأل والوفاء . وهناك جماعة من الأخباريين ترى ان الحارث الذي طالب بتسليم دروع امرئ القيس اليه ، هو شخص آخر اسمه الحارث بن عظام^٢ . ولكنها لم تذكر الصلة التي كانت بين الحارث بن عظام وامرئ القيس ، وحلته على المطالبة بتلك الدروع .

وقد ذكر (الجهمي) أن (الحارث بن أبي شمر الغساني) هو الذي طلب الى (السموأل بن عاديا) أن يدفع اليه سلاح (امرئ القيس) الذي استودعه عنده ، فأبى السموأل أن يسلمه اليه^٣ . وقد ذكر (أبو زيد الطائي) أنه زاره ونعته بأنه (الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام) . وقد كان (أبو زيد) هذا « من زوكر الملوك ، والملوك المعجم خاصة . وكان عالماً بسيرها »^٤ .

وقد تعرض (ابن قتيبة) لموضوع (امرئ القيس) ، فقال : « وكان امرؤ القيس في زمان أئو شروان ملك المعجم ، لأئو وجدت الباعث في طلب سلاحه الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، والحارث هو قاتل المثلج بن امرئ القيس الذي نصبه أئو شروان بالحيرة . ووجدت بين أول ولاية أئو شروان وبسبن مولد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أربعين سنة »^٥ . وذكر أيضاً ان « الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأكبر ، لما بلغه ما خلّف امرؤ القيس عند السموأل ، بعث اليه رجلاً من أهل بيته يقال له (الحارث بن مالك) وأمره ان يأخذ منه سلاح امرئ القيس ووداعه فلما انتهى الى حصن السموأل أغلقه دونه ، وكان السموأل ابن خارج الحصن يتصيد فأخذه

- ١ - فسان (ص ٢٠) .
- ٢ - الأغانى (٣٣١/٦) وما بعدها .
- ٣ - طبقات الشعراء (ص ٧٠) .
- ٤ - طبقات الشعراء (ص ١٣٢) .
- ٥ - الشعر والشعراء (ص ٥٠) .

الحارث ، وقال للسؤال : إن انت دفعت إليّ السلاح وإلا قتله ، فأبى ان يدفع اليه ذلك . وقال له : اقتل أسيرك ، فإني لا ادفع اليك شيئاً ، فقتله ، وضربت العرب المثل بالسؤال في الواقع^١ .

وذكر الأخباريون أن الحارث الأعرج - وهو في روايتهم هذه الحارث بن أبي شمر الغساني - غزا قبيلة تغلب ، وكان السبب الذي حمله على هذا الغزو مروره بجبهات منها لم تتم به كما كان يجب ان يكون . وقد نصحه الشاعر (عمرو بن كلثوم) - على حد قولهم - بعدم غزوهم ، واعتذر عنهم اليه . ولكنه لم يأخذ بنصيحته ، فلما تقابل معهم ، انهزم مع قومه من غسان ، وقتل منهم عدد كثير كان في جملتهم أحد إخوة الحارث^٢ .

ويظن بعض الباحثين ان الحارث هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافة الكبرى لا الملك يوسيفانوس ، ذلك لأن المؤرخ (بروكوبيوس) لم يشر في أثناء كلامه على هذا القصر الى أي أثر له في هذه المدينة، على حين أشار الى تسوير الحارث لها والى احترامه العظيم للقدس (سرجيوس) المدفون بها ، وهو قدس له منزلة كبرى في نقوس نصارى عرب الشام^٣ .

وينسب الى الحارث اصلاح ذات البين فيما بين قبائل طيء ، وكانت متخاصمة متحاربة ، فلما هلك عادت الى حوزها، ووقع بينها يوم البجائم حيث دارت الدائرة فيه على جديلة من طيء ، ويعرف أيضاً بقارات حوق^٤ .

ومن الأمراء العرب الذين عاصروا الحارث بن جبلة ، أمير اسمه (أبو كرب ابن جبلة) ، لعله شقيق الحارث . وقد ورد اسمه في نص (أبرهة) ، حيث كان (أبو كرب) قد أرسل اليه رسولا لتهنته بترميمه سد مأرب . والأمير (قيس) (Kalans) وكان عاملاً على (فلسطين الثالثة) في حوالي سنة ٥٣٠ م . والأسود ، ويظهر انه كان قد تحارب مع الحارث^٥ .

١ الشعر والشعراء (ص ٤٦) . (طبعة ليدن) .

٢ ابن الأثير (١٢٢/١) .

٣ Rusafah, P. 12, Hertzfeld., I, B. 187.

٤ أيام العرب (٦٠) .

٥ لفسان (ص ١٧ ملحوظة ٤٨) .

وعثر في إحدى الكتابات في حرّان على اسم أمير يدعى (شرحيل بن ظالم) يرى نولدكه أنه أمير كندي ، لأن هذين الاسمين من الأسماء الشائعة في كنسنة ويرجع تاريخ هذه الكتابة المدونة باليونانية والعربية إلى حوالي سنة (٥٦٨ م) . وقد دُوِّنت عند تدشين هذا العامل بناءً أقامه للقديس يوحنا المعمدان ، فيكون (شرحيل) شرحيل أذن من المعاصرين للحارث بن جبلة^١ . ويستتج نولدكه من ذلك أن عدداً من المشايخ ظلوا يتمتعون بسلطانهم حتى بعد تألق نجم آل غسان . ويرى أن ذلك مما يوافق سياسة الروم الذين لم يكن من مصلحتهم ظهور أمير واحد قوي وإنما كان من مصلحتهم وجود جملة أمراء متنافسين ، ليتمكنوا بذلك من السيطرة عليهم جميعاً بضرب بعضهم ببعض^٢ .

وقد دعي الأمير المذكور بـ (Asaraelus) ودعي أبوه بـ (Talemus) وكان يحكم (النجاة) ، فيظهر من ذلك أن إمارات كانت تنافس إمارة الغساسنة في هذا العهد^٣ .

وقد توفي الحارث في سنة (٥٦٩ م) أو (٥٧٠ م) على رأي نولدكه ، استتج ذلك من ورود اسمه في الوثائق الكنسية التي يعود تأريخها إلى سنتي (٥٦٨ و ٥٦٩) ، وإلى ربيع سنة (٥٧٠ م) حيث حل اسم ابنه المنذر في محله ، فاستدل من هذا التغيير على أنه توفي في هذا الزمن^٤ .

وقد حكم (المنذر) من سنة (٥٦٩ - ٥٧٠ م) حتى سنة (٥٨١ م) ، على تقدير بعض الباحثين^٥ .

وقد عرف المنذر بـ (Alamoundaros) (Alamundaros) عند اليونان والسرمان وقد استهل حكمه بالحرب مع ملك الحيرة قابوس . والظاهر أن حرب الحيرة كانوا هم الباطنيين بها ، فانتصر عليهم في يوم ٢٠ أيار (مايس) من سنة ٥٧٠م^٦ .

١ غسان (ص ١٧) .

Waddington, Inscriptions Grecques, 3, P. 583, ZDMG., 38, 53.

٢ غسان (ص ١٦) ، النص الإغريقي (ص ١٦) .

٣ Provincia Arabia, III, B. 268, Waddington 2464, Nöldeke, B. 13, Ann. : 2.

٤ غسان (ص ٢٥) .

Die Araber, I, B. 10.

٥ غسان (ص ٢٥) . Land : I, 13.

ثم انتصر عليهم في معركة أخرى فيها بعد^١ . ويرى تولدكه ان المعركة الأولى هي عين أباغ^٢ .

والمسلر هو أبوكرب الذي ذكر اسمه في نص سرياني عثر عليه في إحدى ضواحي تلعر ، وهو نص ديني ورد فيه اسم الأسقفين يعقوب وثيودور ، وهما : يعقوب البرادعي وصاحبه^٣ .

لقد حدث سوء تفاهم بين القيصر (يسطينوس) (Justinus) وبين المتلور نظور حتى صار قطعة . ولما أحس المتلور بأن القيصر قد دبر له مؤامرة ، وأنه أمر عامله البطريق (مرقيانوس) (Marcianus) بأن يعتال عليه ليقطعه ، تمرد على الروم ، وغادر أرضهم الى البادية . فانتهاز عرب الحيرة هذه الفرصة المواتية فأمعنوا في غزو بلاد الشام ، وإيقاع العرب في نفوس سكان القرى المجاورة لهذه الحدود مما حل الروم على مراسلة المتلور والتودد اليه لاسترضائه ، حتى اذا ما تلطف الجو أرسلوا اليه البطريق (يوستنيانوس) ليجتمع به في مدينة الرصافة عند قبر القديس (سرجيوس) لاقتناعه بترك موقفه والموافقة على العودة الى محله . وعند القبر المقدس عقد الصلح بينها في صيف سنة (٥٧٨ م) . فعساد المتلور الى أرضه ، ليقوم بالدفاع عن حدود الشام^٤ .

وقد أشار ابن العربي الى هذا الحادث ، فذكر أن العرب (طباية) كانوا منقسمين الى جماعتين : جماعة المتلور بن الحارث (متلور برجيت) (Mundar bar Herath) ، وكان نصرانياً وكذلك كان جنوده وجماعة قابوس ، فهاجم قابوس وجنوده العرب النصارى ، وقصد بذلك الغناسة ، واستاق ما وجدته أمامه من ماشية ، ثم قفل الى بلاده . فلما رأى المتلور ما حدث ، جمع جيشاً هجم به على قابوس ، فغلب عليه ، ورجع بغنائم عديدة وعدد كبير من الابل . وعاد قابوس فهاجم المتلور ، غير أنه مني بهزيمة ثانية اضطرته الى طلب النجدة من الفرس . فأخبر القيصر يسطينوس بذلك ، وطلب منه امداده بالمال ليؤلف به جيشاً يقف أمام الفرس ، فاستاء القيصر منه ، وقرر التخلص منه بقطعه ، فقتله

J. of Ephesus, 6, 2. ١
 نيسان (ص ٢٧ وما بعدها) . Provincia Arabia, III, 8. 388. ٢
 نيسان (ص ٢٧) . Provincia Arabia, II, 8. 174. ٣
 نيسان (ص ٢٦) . J. of Ephesus, 6, 2-46, Provincia Arabia, II, 8. 174. ٤

أنه كان السبب في غزو القرمس لـ (Rhomye) وكتب الى عامله مرقيانوس وكان معسكراً يومئذ في منطقة (نصيبين) (Nisibis) أن يربص بالمنذر فيقبض عليه، ويقطع رأسه . وقد أخطأ كاتب الرسالة، فأرسل الرسالة الخاصة بالطريق مرقيانوس الى المنذر، وأرسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى الطريق . فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف بما أراد القيصر أن يفعله به، غضب غضباً شديداً، وتصلح مع قابوس، وصاروا يهاجمان بلاد الشام. فظن يسطينوس ان مرقيانوس قد خائنه، وأنه أخبر المنذر بالمؤامرة، فأمر بالقبض عليه ، وحجسه ولما صار (طياريوس) (Tiberius) قيصراً ، ذهب المنذر الى القسطنطينية ، فلامه القيصر على ما صنع ، ولكنه قدره واحترمه كثيراً حينما أراه رسالة يسطينوس التي أراد توجيهها الى عامله لاغتياال المنذر ، وأنعم عليه بهدايا كثيرة ، وألطف سنيته ، ثم عاد مكرماً الى مركزه السابق^١ .

لقد قام المنذر بالزيارة المذكورة للقسطنطينية في اليوم الثامن من شباط سنة ٥٨٠م مصطحباً معه ابنتين من أبنائه . فلما بلغها ، استقبل بكل احترام وتبجيل ، وأنعم القيصر (طياريوس) (Tiberius) عليه بلقب (Rex) وبالنسج وهو لقب كان له شأن كبير في انبراطورية الروم . ويرى نولدكه ان الروم لم يمنحوا عمالهم العرب على بلاد الشام من قبل الا (الاكليل) ، ودرجته دون درجة (التاج)^٢ . وقد أهدى القيصر عليه بالهدايا الثمينة النفيسة ومن بينها مصوغات من ذهب وقضة ، مما لم ينعم به على أي ملك عربي من قبل . كما ألعم على ولديه بدرجات عسكرية^٣ .

وكان المنذر مثل والده من القائلين بمذهب (الطيبة الواحدة) والمدافعين عنه، ولذلك انتهز فرصة وجوده في القسطنطينية ، فسمى في اقناع رجال القصر بالتسامح مع رجال مذهبه والصفح عنهم . ويظهر انه عقد هناك مجعماً في اليوم الثاني من شهر آذار سنة (٥٨٠ م) لمعاينة هذا الملعب والدفاع عنه، كما اتصل بالبطارقة للتوفيق بين رجال الكنيستين ، غير انه خابت مساعيه بالرغم من اظهار البطارقة رغبتهم في ذلك وعدم مماعتهم فيه^٤ .

Bar Hebraeus, Vol. I, P. 80, 82.

J. of Ephesus, 4, 39, 42, P. 265, 271. (ص ٢٦)

J. of Ephesus, 4, 39, P. 265, 4, 43, P. 271, Provincia Arabia, II, P. 174, Die Araber, I, S. 10.

١ غسان (ص ٢٧) ، المشرق ، السنة ٣٤ = ١ (ص ٦١) ، السنة ١٩٣٦ ،
J. of Ephesus, 4, 40, Les Arabes Chrestiens, P. 63, Die Araber, I, S. 10.

وقد ذكر ان المنذر بنى صهاريج لا يصلح لايصال الماء الى الرصافة مدينة القديس (سرجيوس) ذي المكانة العظيمة عند حرب الشام . وظهر من كتابة عمر عليها في أنقاض كنيسة في الرصافة ان المنذر بنى أو جدد بناء تلك الكنيسة . ولما بناؤها فهو على الطراز البيزنطي^١ .

ولم تمنع قسسية مدينة الرصافة الأعراب ، ولا سبياً أعراب العراق من التحرش بها ، فغزتها مراراً ، وأخذت قبيلة تغلب صورة القديس بعد عودتها من غسزو المدينة^٢ ، وهدم أهل الحيرة صهاريج المدينة مراراً ، ولجأتها من الحجرات أحاطها القيصر (يوستنيانوس) بسور قوي ، بدلاً من سورها القديم^٣ .

وذكر ان المنذر لما كان في القسطنطينية طلب من البيزنطيين مساعدته في بناء قصر يكون أعظم قصر غساني بُني حتى أيامه ، وذلك بأن يرسلوا إليه أحسن المعمارين والبنائين الحاذقين . فلبى البيزنطيون طلبه فأمدوه بما يحتاج إليه من معمارين ومن مواد بناء. ومن أبنيتهم الخربة المعروفة اليوم ببناء يعرف باسم (البرج). وقد عمر على اسمه مدوناً على حجارة من ذلك البناء^٤ .

ولما حاول الروم غزو حدود القرس في سنة (٥٨٠ م) ، وجعلوا الجسر المنسوب على نهر القرات مهدماً ، فاضطروا الى الرجوع وتركوا الغزو . وكان المنذر معهم في هذه الحملة ، فذهبوا الى ان المنذر كان على اتفاق سري مع القرس ، وانه هو الذي أوعز بهم للجسر ، ليكتب للحملة الانخفاق ، وقرروا القبض عليه والابقاع به ، انتقاماً منه للخيانة التي منوا بها . ولما عاد المنذر فغزا أرض الحيرة بنفسه فيها بعد ملحقاً بالمدينة أذى كثيراً ، جاعلاً أياها طعمة للبران ، اتخذ الروم هذه الغزوة دليلاً على تخلي المنذر لهم ، ورفضه في الخروج على طاعتهم ، فقرروا الانتقام منه بقتله ، فأصدروا الى حاكم بلاد الشام (ماركوس) (Magnus) صديق

Kirchengeschichte., V, S. 315. H. Gelzer, in Byzantinischer Zeitschrift, I, 1892, S. 245. Les Arabes Chrétiens, P. 69, Musil, Palmyrena, PP. 165, 264.

323.

ديوان الإختل (ص ٢٠٩) ، (طبعة الصالحاني) ،

Musil, Palmyrena, PP. 263, 267.

Musil, Palmyrena, P. 264, Ruzafah, P. 12.

Provincia Arabia, II, P. 175.

Weiststein, NO : 173, Waddington 2562C, Provincia Arabia III, S. 200.

المنزل أمراً سرياً بالعمل على قتله . وصادف ان الروم كانوا قد انتهوا من بناء كنيسة في (حوارين) ، وقد عزم (ماركوس) على تدميرها ، فكتب يدعو صديقه الى الاحتفال بذلك . فلما كان على مقربة منه ، قبض عليه وأرسله مخفوراً الى العاصمة حيث أجبر على الإقامة فيها مع إحدى نساؤه وبعض أولاده وبناته ، وذلك في أيام القيصر طباريوس وفي ابتداء السنة (٥٨٢) للميلاد . ولما انتقل العرش الى موريقيوس ، وكان يكرهه ويعاديه ، أمر بنفيها الى صقلية وبقطع المعونة التي كان الروم يدفعونها الى الغساسنة في كل عام^١ .

وقد لقب حمزة المنذر بلقب الأكبر ، وجعل مدة حكمه ثلاث سنين ، ونسب اليه بناء (حربا) وموضع (زرقا) على مقربة من الغدير^٢ . وقد أخطأ (حمزة) في مدة حكم المنذر ، إذ هي تزيد على تلك اللفة ، فقد حكم على رأي الباحثين من سنة (٥٦٩) حتى سنة (٥٨٢) للميلاد^٣ .

أثار عمل الروم هذا ثائرة أبناء المنذر ، فتركوا ديارهم ، وتحصنوا بالبادية ، وأخلوا بها جموع منها حدود الروم ملحقين بها أذى شديداً ، فاضطر القيصر على أثره أن يوعز إلى القائد (ماركوس) بتجهيز حملة من أبناء المنذر ألحق بها أحد إخوة المنذر . وكان قد أعد ليتولى مقام أخيه ، غير أنه توفي بعد أيام . ولما كان من الصعب على الروم مهاجمة أبناء المنذر في البادية ، عمد القائد الى المكيدة فأرسل الى النعمان كبير أبناء المنذر انه يريد مقابلته للاتفاق معه على وضع شروط للصلح . وقد ظن الأمير أن القائد صادق فيما دعا اليه فذهب لمقابلته ، فقبض الروم عليه ، وأرسلوه مخفوراً الى العاصمة حيث حجروا فيها عليه^٤ .

وكان موضع (حوارين) في جملة المواضع التي هاجمها النعمان بعد ارتحال (ماركوس) عنها ، وقد استولت عساكره عليها ، وقتلوا بعض أهلها، وأسروا قسماً من الباقين، ثم عادوا يفتلن كثيرة الى البادية للاحتفاء بها من هجمات الروم^٥ .

١ - نسان (ص ٣٠ وما بعدها)
Evagrius, 6, 2, *Har Hebraeus*, Vol. 1, P. 82, *J. J. of Ephesus*, Eccl. Hia, III, PP. 40, 42, 54, *Provincia Arabia*, II, P. 175.
٢ - حمزة (ص ٧٨) ، البطلانيوسي (ص ٧)
Provincia Arabia, II, S. 174.
٣ - نسان (ص ٢٢ وما بعدها)
Evagrius, 6-2, *Musl. Palmyrena*, P. 32.
٤

وذكر ابن العربي ان النعمان لما بلغته رسالة القائد ماركوس لم يذهب اليه ، وإنما أرسل اليه بعض الشبان وأمره أن يتظاهر له بأنه هو النعمان . فلما وصل الشاب الى القائد ، سأله : أنت النعمان ؟ فقال له : نعم ، جئتك بحسب أمرك ، فقال القائد لمن معه : أقبضوا على عدو الملك ، وقيده بالحديد . ولما تبين للقائد أنه لم يكن النعمان ، همّ بقتله ، ثم أمر بإخراجه ، فعاد الى أهله . وتوفي ماركوس بعد ذلك بأمد قصير^١ .

ويدعي ابن العربي أن النعمان ذهب بعد ذلك الى (موريقيوس) (Mauricius) واعتذر اليه ، وبين له أنه إنما حارب مع القوس ليتمكن بذلك من إقراض والده من الأسر . ولما طلب منه (موريقيوس) أن يدخل في المذهب الخلقيدوني ، أجابه ان جميع القبائل العربية (طباية) هي على المذهب الخفيف (الأرثوذكس) (Orthodox) ، وأنه اذا بدل مذهبه لا يأمن على نفسه من القتل . ولما تفصل راجعاً ، قبض عليه ونفي^٢ .

لقد تصدّع بناء الفساسة وتفككت ، وانقسم الأمراء على أنفسهم ، وذلك حوالي سنة (٥٨٣) أو (٥٨٤ م) على تقدير تولدكه . ويشير ميخائيل السوري وابن العربي الى أنهم انقسموا بعد القبض على النعمان الى خمس عشرة فرقة تركت بعضها ديارها فهاجرت الى العراق ونشئت الباقون ، ولم يبق لهم شأن يذكر . ولم يشر الكتبة السريان أو البيزنطيون الى ملك الفساسة بعد هذا الحادث^٣ ، وهو أمر يؤسف له غاية الأسف . اذ حرمتنا بذلك من الحصول على وثائق مهمة تساعدنا في معرفة تاريخ عرب الشام .

وقد عقب هذا التصدع حدوث اضطراب في الأمن وفوضى بين القبائل التي أعطت تنافس بينها للحصول على الرئاسة والسيادة ، وتخطورة مثل هذه الأحوال بالنسبة الى الروم وسلامة الحدود ، كان هذا مما حل البيزنطيين على التفكير في اختيار رئيس قوي من سادات القبائل المتنافسين ليقوم بضبط هذه القبائل وإعادة الأمن الى نصابه وحماية الحدود من هجمات عرب الحيرة^٤ .

Bar Hebraeus, Vol. I, P. 82.

Bar Hebraeus, I, P. 82.

عسك (ص ٢٢ ، ٢٤) .

Nöldeke, S. 31, Ency., II, P. 143.

ولم يشر الأخباريون الى هذا الحادث ، ويظهر انهم لم يعرفوه . وقد ذكر
حزاة ان الذي حكم بعد المتلخر هو شقيقه النعمان . وقد جعل مدة حكمه خمس عشرة
سنة وستة أشهر .

وزاد في ربك وضع الفساسة وفي انقسامهم على أنفسهم ، غزو الفرس لبلاد
الشام سنة (٦١٣ - ٦١٤ م) ، فقد اكتسح الفرس كل بلاد الشام ، وصار
عرب بلاد الشام أمام حكام جدد ، لم يألفوا حكمهم من قبل ، ولكن ألفوهم
دائماً في جانب عرب الحيرة أعداء الفساسة ومنافسيهم .

وقد تمكن الفساسة من رؤية وجوه البيزنطيين مرة أخرى وذلك في حوالي سنة
(٦٢٩ م) ، فقد تمكن البيزنطيون من طرد الفرس من الأرضين التي استولوا
عليها ومن إجلالهم نهائياً عنها ، وإعادة فرض حكمهم عليها ، غير أن الأقدار
أبت ان تبقىهم هذه المرة مدة طويلة في بلاد الشام ، فأكرهتهم على فتح أبوابها
للإسلام ، فساقت مدنها في أيدي المسلمين تساقط ورق الشجر في أيام الحريف .
وصارت دمشق حرة بلاد الشام من أهم حواضر الاسلام . أما ملك الفساسة ،
فقد ولي ، ولم يبق للفستانيين حكم في هذه البلاد منذ هذا الزمن .

وقد خد اسم رؤساء غسان في الموارد اليونانية والسريانية منذ قبض على النعمان ،
فعدنا لا نجد في تلك الموارد شيئاً يذكر عنهم . وفي سكوت هذه الموارد عن
ايراد أخبارهم ، دليل على زوال شوكتهم وهيبتهم وعدم اهتمام الروم بأمرهم ،
حيث ضعف أمرهم بسبب تفرق كلمتهم ونازعهم بينهم . أما الموارد الاسلامية ،
فإنها بقيت تذكر أسماء رجال منهم زعمت انهم ملكوا وحكموا ، بل زعمت أن
بعضهم حكموا دمشق ، وبقيت تذكر أسماءهم الى أيام الفتح الاسلامي . ومن
هذه الموارد تاريخ حزاة الاصفهاني ، الذي استمر يذكر أسماء من ملك من آل غسان
حتى انتهى بأخبرهم وهو جيلة بن الأيهم . وفي هذه الأسماء تكرار وزيادات ،
لذلك زاد عدد من ذكرهم من ملوك غسان على عدد ما ورد عند سواه من
المؤرخين .

وأنا لا أستطيع أن أوافق حزاة على العدد المذكور ، واخالفه في مدد حكمهم

١ - حزاة (ص ٧٨) ، البطلاني (ص ٧) .

وفي ترتيبهم على النحو المذكور في تأريخه . فالذين ذكرهم على أنهم ملوك لم يكن مجال حكمهم كبيراً واسعاً، وهم لم يكونوا في الواقع إلا سادات بيوت أو سادات عشائر منشقة ، تحسكت باللقب القديم الموروث : لقب ملك . وقد كان بعضهم يعاصر بعضاً ، ويدعي الرئاسة لنفسه ، وذلك بسبب تخصصهم ، ولهذا كثرت أمثالهم في قائمة حمزة . وقد انحسر مد حكمهم وانكمش فانتصر على البوادي ، ولا يتعارض ذلك بالطبع مع ورود أخبار بسكتهم في قصورهم عند أطراف المدن ومشارف القرى ، فإن سادات القبائل في هذا اليوم أيضاً يحكمون القبائل ويعيشون في قصور في المدن ، وهم لا يحكمون المدن بالطبع .

والذي يظهر من روايات أخرى من روايات أهل الأخبار من غير حمزة أن أبين رجل من غسان ظهر بعد النعمان ، هو (الحارث) المعروف بـ (الأصغر) ثم (عمرو بن الحارث) ، وهو الذي مدحه (التابغة) ، ثم (النعمان بن الحارث) وهو شقيق (عمرو) ، وقد مات مقتولاً كما يظهر ذلك من شعر للتابغة الذي ياتي ، ثم (شريحيل بن عمرو الغساني) ، و (جبلة بن الأيهم) .

ولما كنا قد سرنا على قائمة حمزة في ترتيب الملوك ، فإنا تجاريه في ترتيبهم فنذكر أسماء من حكم الغساسنة بعد النعمان على وفق هذه القائمة ، فنقول :

حكم بعد النعمان على رواية حمزة وآخرين (المنذر بن الحارث) أي شقيق المنذر والنعمان ، وجعل حمزة مدة حكمه ثلاث عشرة سنة ، ولقبه بلقب (الأصغر) وكناه بـ (أبي شمر)^١ .

وتولى بعده على رواية حمزة أخوه جبلة ، وجعل منزله بـ (حارب) ونسب إليه بناء (قصر حارب) و (محارب) و (صنيعة) ، وكانت مدة حكمه على رأيه أربعاً وثلاثين سنة^٢ .

وحكم بعد جبلة على رواية حمزة أخوه الأيهم . وقد حكم على رأيه ثلاث سنين ونسب إليه بناء (دير ضخم) و (دير النبوة) و (دير سعف)^٣ .

ثم انتقل الحكم على رواية حمزة أيضاً إلى عمرو ، وهو أيضاً على رأيه أحد

١ حمزة (ص ٧٨) ، للخبير (ص ٢٧٢)
٢ حمزة (ص ٧٨) ، البطلينوسي (ص ٧)
٣ حمزة (ص ٨٧)

أبناء الحارث بن جبلة . وقد حكم ستاً وعشرين سنة وشهرين ، وذكر انه نزل
السدير ، وبني قصر (القضا) (قصر القضة) و (صفاء العجالات) و (قصر
منار)^١ .

وعمره هذا هو الذي مدحه النابغة الذبياني ، وقد كان متكبراً دميماً قبيح السيرة
أنشأ في دمشق وضواحيها - على حد قول أهل الأخبار - عدة قصور شائعات ،
منها : قصر القضة ، وقصر (صفات العجالات) ، وقصر منار . وقد صور
في بعض هذه القصور بحاله وجلسه ورؤساء دولته ، وأشكال صورته .
ثم انعط وتغير على أثر شعر قاله له عمرو بن الصق العدواني ، وكان قد أسر
الأمير أخته ، وحسنت سيرته ومات بعد أن حكم ستاً وعشرين سنة^٢ .
ويقول أهل الأخبار إن من قديم الشعر الذي قاله النابغة في مدح عمرو بن
الحارث ، قصيدته البائية التي يقول في جملة ما يقول فيها :

عليّ لعمره نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذاك عطارب

وقد أوغل فيها في مدح الغسانة وفي ذكر ملوكهم ، وهي من عبود شعره .
وقد قال هذا الشعر حينما اختطف مع النعمان بن المنذر في موضوع الشعر الذي
وصف به زوجة النعمان (المتجردة) ، وصفاً استغله أعداؤه ، فوشوا به إلى
النعمان ، فهرب منه ، وانحاز إلى خصومه آل غسان . ولجأ إلى زعيمهم في تلك
الأيام ، وهو (عمرو بن الحارث)^٣ .

وللنابغة أشعار أخرى في مدح (عمرو بن الحارث بن أبي شمر الغساني) ،
في جملتها أبيات يعتلر النابغة فيها إليه من وشاية أثارت حق عمرو عليه ، فنقلها
في استرضائه ، وقد ذكر فيها انه أكرمه وحياه بمئة من الليل ، وانه يرش قوماً
ويبري آخرين ، وانه يجزي الناس على أفعالهم^٤ .
ونجد في قصيدة للنابغة مطلعها :

أهاجك من أسماء رسم المنازل بروضة نعي فذاث الأجلول

١ حمزة (ص ٨٧) .

٢ البطلوسي (ص ٧) .

٣ ديوان النابغة الذبياني (ص ٩ وما بعدها) ، (بيروت ١٩٢٩) .

٤ ديوان النابغة (ص ٤٦) (بيروت ١٩٢٩) .

خبر غزو قام به (عمرو بن الحارث) لبني مرة ، وقد أوجعهم فيها على ما يظهر من هذه القصيدة^١ .

هؤلاء الستة الذين ذكرهم حمزة بعد الحارث بن جبلة ، هم أبناءه إذن ، وقد حكموا على زعمه بالتعاقب دون فترة . ثم نقل الحكم من عمرو إلى رجل دعاه جفنة الأصغر ، وهو على رأيه ابن المنذر بن الحارث . ولم يذكر أي منلر قصد . وذكر أنه كان سيطرة جتوياً . ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثين سنة^٢ .

وحكم بعد جفنة الأصغر على رواية حمزة النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر . حكم ستة واحدة ، ولم ينسب إليه بناء ما^٣ .

ثم انتقل الحكم على زعم حمزة إلى النعمان بن عمرو بن المنذر ولم يكن أبوه عمرو على رأي حمزة ملكاً ، وإنما كان غازياً يغزو بها بالجبوش ، وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة ، ونسب إليه بناء (السويداء) و (قصر حارب)^٤ .

وذكر حمزة أن (عمرو) المذكور ، أي والد النعمان على زعمه ، هو الذي مدحه النابغة بقوله :

على لعمرؤ نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

وذكر أنه ، أي النابغة (ذكر أباه المنذر بقوله)^٥ :

وقصر يصيداء إلي عند حارب

وقد أخطأ حمزة في ذهابه إلى أن الشخص المملوح هو (النعمان بن عمرو) ، فإن رواية هذا الشعر يذكرون أن الملك المملوح الذي قصده النابغة بمدححه ، هو (عمرو بن الحارث بن أبي شمر) المتقدم ذكره ، وهو شقيق (النعمان بن الحارث ابن أبي شمر) الذي مدحه النابغة كذلك ، وكانت له صلات حسنة وثيقة به^٦ .

١ ديوان النابغة (ص ٨٥) (بيروت ١٩٢٩ م) .

٢ حمزة (ص ٧٨) .

٣ حمزة (ص ٧٩) .

٤ حمزة (ص ٧٩) .

٥ حمزة (ص ٧٩) .

٦ ديوان النابغة (ص ٩ وما بعدها) .

وجعل حمزة بعد النعمان ابنه جبلة وزعم ان مترله بـ (صفين) ، وانه صاحب (عين أباغ) ، وقاتل المنذر بن ماء السماء ، وكان ملكه ست عشرة سنة^١ .

ثم ملك - بعد جبلة - النعمان بن الأبهم بن الحارث بن مارية ، وكان ملكه إحدى وعشرين سنة لم يحدث خلالها على حد قول حمزة شيء ، فتولى من بعده النعمان بن الحارث ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة ، وكان بعض ملوك لحم حربها ، وكان ملكه ثمانى عشرة سنة^٢ .

ويرى (الويس موسل) ان النعمان هذا كان قد حارب الفرس من حوالي سنة (٦٠٤) حتى سنة (٦١٦م) ، وانه قد احتسب مراراً بأسوار الرصافة . وبهذه المناسبات على ما يظهر قام بترميم صهاريج المدينة لحزن الماء^٣ .

وذكر حمزة اسم (المنذر بن النعمان) بعد النعمان بن الحارث ، وهو ابنه . قال : ولم يحدث شيء في أيامه ، ثم هلك وكان ملكه تسع عشرة سنة^٤ .

ثم صار الحكم من بعده - على رأي حمزة - الى عمرو بن النعمان . وهو شقيقه ولم يحدث شيئاً في أيامه ، ثم هلك ، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر^٥ . ثم انتقل الحكم الى حجر بن النعمان ، وهو شقيق عمرو ، وجعل حمزة ملكه اثني عشرة سنة . ثم صير الملك الى ابنه من بعده ، وهو الحارث بن حجر . وجعل ملكه ستاً وعشرين سنة^٦ .

وصير حمزة الملك الى جبلة بن الحارث ، بعد وفاة والده (الحارث بن حجر) . وجعل مدة حكمه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً^٧ .

ثم صير حمزة الحكم الى (الحارث بن جبلة) ، وهو على رأسه ابن الملك المتوفى (جبلة بن الحارث) . وذكر حمزة أنه يسمى أيضاً بـ (الحارث بن أبي شمر) ، وهو الذي أوقع بيتي كنانة ، وكان يسكن الجابية . وكان ملكه

- | | |
|---|---------------------------|
| ١ | حمزة (ص ٧٩) |
| ٢ | حمزة (ص ٧٩) |
| ٣ | Musil, Palmyrena, P. 287. |
| ٤ | حمزة (ص ٧٩) |
| ٥ | حمزة (ص ٧٩) |
| ٦ | حمزة (ص ٧٩ وما بعدها) |
| ٧ | حمزة (ص ٨٠) |

إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر^١ . ويجب أن يكون هذا الحارث هو (الحارث ابن أبي شمر الضائي) ، الذي ذكر أن الرسول وجه كتاباً إليه ، حمله إليه : شجاع بن وهب كما سيأتي فيما بعد .

وذكر حمزة أن الذي حكم بعد (الحارث بن جبلة) ، هو ابنه (النعمان بن الحارث) ، وكنيته (أبو كرب) ، ولقبه (قطام) ، وهو الذي بنى ما أشرف على (الغور الأقصى) . وكان ملكه سبعا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر^٢ . وقد أعطى حمزة في إضافة لقب (قطام) إلى النعمان بن الحارث ، ولا تعرف أن أحداً أضاف هذا اللقب إليه .

ونجد للناطقة النيباني أشعاراً في مدح (النعمان) المذكور، وكان يزوره ويتوسط لديه في فك أسرى قومه الذين كانوا يقعون في أسر الغساسنة ، وذلك بسبب غاراتهم المتوالية على بني غسان وأعراسهم . وكان قومه (بنو ذبيان) وحلفائهم (بنو أسد) إلى جانب عرب الحيرة ، وكانوا يقعون على الغساسنة ويقبضون دوماً على أرضهم ، فيتدخل الناطقة لدى الغساسنة للصفح عن قومه ، ويتوسل إليهم في فك أسرىهم . ولما أغار قومه على وادي (ذي أقر) ، نهام الناطقة عن هذه الغارة ، وحذرهم من عواقبها ، وهو لهم بكثرة ما لدى (النعمان بن الحارث) ، من جموع وحشود، غير أنهم لم يهتموا بتصحح الناطقة ، ولم يحفلوا بتخويفه لهم ، بل عدوا نصيحته هذه لهم من إمارات الخوف والجبن ، فتصدت لهم أعراب (النعمان) بقيادة (النعمان بن الجلاح الكلبي) ، وأوقعت بهم خسائر فادحة ، ويذكر بعض الرواة أن (ابن الجلاح) سبي ستين أسيراً وأهداهم إلى قبصر الروم^٣ . ولم ينظروا لبيان الأسباب التي أدت بالغساسنة إلى الهداء هؤلاء الأسرى إلى الروم . واعتقد أن اقتحام (قبصر الروم) في هذا الهداء ، هو من مبالغات الرواة ، وقد عودونا أمثال هذه المبالغات . إلا أن يكون أولئك الأعراب قد غزوا حدود الروم ، فأوجعوا أهلها ، فقدم (ابن الجلاح) الذي تعقبهم ، من وقع في أمره إلى حاكم من حكام الروم لتأديبهم .

١ حمزة (ص ٨٠) .

٢ حمزة (ص ٨٠) .

٣ ديوان الناطقة (ص ٥١) (بيروت ١٩٢٩ م) .

وقد طلب (النابغة) في شعره في وصف هذه الغارة من (حصن بن حذيفة) سيد (ذبيان) ومن (ابن سيار) فك من وقع أسيراً من النساء دفعاً للحرى والعار من وقوعهن أسيرات في أيدي المضارب من الأقباع والأجراء .

وتجد النابغة يحذر (النعمان) من غزو (بني حن بن حرام) ، وينصحه بعدم التورط في قتالهم ، لأنهم أناس محاربون صعب . فلما أبى إلا قتالهم ، بحث النابغة إلى قومه يخبرهم بغزو النعمان لهم ، ويأمرهم أن يمدوا بني حن ، قتلوا . فلما غزاهم النعمان ، هزم بنو حن وبني ذبيان جمعه ، وحازوا ما معهم من الغنائم ، فقال النابغة في ذلك شعراً منه :

لقد قلت للنعمان يوم لقيته يريد بني حن بركة صادرة
تجنب بني حن فإن لقاءهم كره ، وإن لم تلق إلا بصاير

فهو يعاتب بذلك النعمان ، ويذكره بعدم اهتمامه بنصحه له ، وتخويقه إياه من عاقبة هذه الغارة^١ .

وكان في جملة ما قاله النابغة عن بني حن بن حرام ، وهم من غزوة ، أنهم كانوا قد منعوا (وادي القرى) عن عدوهم ومن أهله وحومه منهم ، وهو كثير النخل ، فتمشعوا بشمره ، وطرّدوا (بكياً) ، وهم من (بني القين) وهم أصحابه من هذا الوادي ، واستولوا على نخيلهم ، ونفّوهم إلى غير بلادهم ، وهم اللين ضربوا أنف القزاري ، وهم الذين منعوها من قضاة كلها ومن (مضرّ الحمراء) ، وقتلوا الطائي بالحجر عنوة ، ويريد به (أبا جابر الجعفي) ابن وهب بن قيس بن عبيد ، وكان ممن اجتمع عليه جديلة طيء . ومثل هؤلاء قوم لا يغلبون^٢ .

ويظهر من شعر النابغة أن (النعمان) كان قد غزا تميماً وقيس واليل ، وأنه أوجعهم ، وقد غزاهم في الربيع^٣ .
وللنابغة أشعار أخرى في مدح (النعمان) هنا ، منها أبيات استهلها بقوله :

١ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) (بيروت ١٩٢٩ م) .

٢ ديوان النابغة (ص ٦٠ وما بعدها) .

٣ ديوان النابغة (ص ٨٢) .

واقفٍ والله لنعم الفقى إذ أخرج^١، لا الشكس^٢ ولا الخامل^٣

وقد أدرك النابغة أجل (النعمان بن الحارث بن أبي شمر) ، إذ مات مقتولاً^٤
فرثاه بقصيدة ، يظهر منها أنه كان يكنى بـ (أبي حجر) ، وأنه قبر في موضع
يقع بين (بصرى) و (جاسم)^٥ .

وقد غزا (النعمان) العراق ، ولا يستبعد (تولد كنه) أن يكون هو الذي
قصده المؤرخ (ثيوفليكوس) حين تحدث عن غزوه قام به عرب الروم على العراق
في زمن الصلح أي حوالي سنة (٦٠٠ م)^٦ .

وقد مدح النابغة (النعمان بن الحارث الأصغر) في القصيدة التي تبدأ بقوله :

إن يرجع النعمان نفرح ونهتج ويأت معداً ملكها وريمها
ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد وتلك التي لو اتنا نستطيعها^٧

ورثي (النابغة) النعمان في قصيدة جاء فيها أن شيان وذعلاً^٨ وقيس بني ثعلبة
ونجماً^٩ سراً بوفاته ، لأنهم آمنوا بملك على أنفسهم من غاراته ومن غزوه لهم* .
ويظهر من شعر النابغة فيه أنه كان محارباً يبرز القاتل ، وللك هابته . وقد بكاه
بقوله :

بكي حارث الجولان من قدره وجوران من خاشع مقاتل^{١٠}

وذكر (ابن قتبية) أن النابغة لما صار إلى غسان ، انقطع إلى (عمرو بن
الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر الغساني)
والى أخيه (النعمان بن الحارث) ، فأقام النابغة فيهم فامتدحهم ، فقم ذلك
النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وبلغه أن الذي قُتل به عنده باطل ، فبعث إليه
من يسأله أن يعود ، فاعتذر النابغة في شعر ، وقدم عليه مع زياد بن سيار^{١١}
ومنظور بن سيار القيزاريين ، وقبل عثره ورحب به^{١٢} .

١ ديوان النابغة (ص ٩٠) .

٢ ديوان النابغة (ص ٨١) .

٣ غسان (ص ١٢) ، Theophylactus, Historiae, 8, 2 .

٤ البطليوسي (ص ٥٧) .

٥ البطليوسي (ص ٦٠ وما بعدها) .

٦ حمزة (ص ٨٠) .

٧ الشعر والشعراء (ص ٧٧) (النابغة الذبياني) .

ثم ملك بعده - على رأي حمزة - الأيهم بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر، وهو على حد تعبيره صاحب (تدمر) و (قصر بركة) و (ذات أنمار) وغير ذلك^١.

ثم ملك بعد الأيهم بن جبلة شقيقه المنذر بن جبلة ، وكان ملكه على رواية حمزة ثلاث عشرة سنة^٢.

ثم صار الملك إلى شقيقه (شراحيل بن جبلة) على رواية حمزة . وكان ملكه لحماً وعشرين سنة وثلاثة أشهر^٣.

ثم انتقل الحكم إلى (عمرو بن جبلة) بعد وفاة (شراحيل) وهو على رأي حمزة شقيقه ، وقد حكم عشر سنين وشهرين^٤.

ثم حوّل حمزة الحكم إلى (جبلة بن الحارث) ، بعد وفاة (عمرو بن جبلة)، وهو على رأي ابن أبي عمير . وجعل حكمه أربع سنين^٥.

ثم صبّر حمزة الملك إلى (جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مازة)، وهو على رأي آخر ملوك غسان . وكان ملكه ثلاث سنين . وهو الذي كان أسلم

ثم تنصر ، ولجأ إلى الروم^٦ . وقد سرد المسعودي نبيه على هذه الصورة :

(جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم ابن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة)^٧، وسرده على هذه الصورة :

(جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن مازن) في مكان آخر^٨ . وذكره (ابن عبد ربه) على هذه الصورة : (جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني)^٩ . وذكر (اللغبي) أن الأصل هو (الأيهم) ، لا (الأيهم) ،

وكتابه بـ (أبي المنذر) ، وقال إنه كان يترى (الجولان)^{١٠}.

- ١ حمزة (ص ٨٠)
- ٢ حمزة (ص ٨٠)
- ٣ حمزة (ص ٨٠)
- ٤ حمزة (ص ٨٠)
- ٥ حمزة (ص ٨١)
- ٦ حمزة (ص ٨١) ، المسعودي (ص ٣٧٢) ، لسان العرب (٩٦/١١)
- ٧ القتيبي (ص ١٥٨)
- ٨ مروج (١٠٨/٢) ، (٣٠/٢) ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد
- ٩ العقد الفريد (١٨٧/١) وما بعدها (القاهرة ١٩٣٥ م)
- ١٠ تاريخ الإسلام ، للذهبي (٢١٤/٢) (نسخة دار الكتب المصرية)

وقد وُصف بأنه كان طويلاً ، طوله اثني عشر شبراً ، وكان إذا ركب مسحت قدمه الأرض^١ .

وقد ورد اسم (جبلة بن الأيهم) في أخبار الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ، إذ ذكر في (فتوح البلدان) للبلخاري : أن (هرقل) لما سمع بتجمع المسلمين ومقدمهم (يوم اليرموك) ، بعث على مقدمته (جبلة بن الأيهم القسائي) في مستعرة الشام من نخم وجرام وغيرهم لمقاتلة المسلمين ، غير أن (جبلة) الحارثي في القتال إلى الانتصار قائلاً : « أنتم إخواننا وبنو آينا ، وأظهر الإسلام »^٢ . أما الطبري فقد ذكر : أن خالداً لما صار إلى (مرج الصفر) ، لقي عليه غسان ، وعليهم (الحارث بن الأيهم)^٣ . ولم يشر إلى جبلة . فيظهر أن وهماً في الاسم قد وقع للرواة ، فقصار (جبلة) عند بعض ، وقصار (الحارث) عند بعض آخر ، ولعل مرده إلى سهو وقع من النساخ .

ولحسن بن ثابت شعر في مدح (جبلة بن الأيهم) ، وفي ذكر ملكه وملك (آل جفنة) ، يظهر منه شدة تعاطفه بهم على بعله عنهم وزوال ملكهم وابتعاده عنهم بالإسلام^٤ . وقد أورد المسعودي بعض الأشعار التي مدح حسان بها (جبلة ابن الأيهم) منها :

أشهرنسا قلن ملكك بالشام إلى الروم فخر كل عاني^٥

وقد ورد في رواية من روايات أهل الأخبار أن حسان بن ثابت زار (جبلة ابن الأيهم) ، وعنده (ثابتة) و (علقمة بن عبدة) فأنشده شعراً ، فأعطاه ثلاثين ديناراً عشرة أقمصة لها جيب واحد ، في كل عام مثلاً . وتذكر رواية أخرى أن الشخص الذي زاره (حسان) هو (عمرو بن الحارث الأحمري) ، وأنه مدحه فأعطاه ألف دينار مرجوحة ، وهي التي في كل دينار عشرة دنائير^٦ .

- ١ المعارف (ص ٢٨١) .
- ٢ فتوح البلدان (١٤١ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٠٦ م) .
- ٣ الطبري (٤١٠/٢) (دار المعارف بصر) .
- ٤ مروج (١٢/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، البرقوق (٢١٤ وما بعدها) .
- ٥ مروج (٣١/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .
- ٦ الألفاني (٢/١٤) وما بعدها .

وذكر ان (جيلة بن الأيهم) لما سمع ، وهو ببلاد الروم ، أن حسناً قد صار مضروباً بالبصر كبير السن ، أرسل إليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية إليه ، نظم شعراً في مدحه أوله :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يسلمهم آباؤهم بالسوم
لم ينسني بالشام إذ هو ربها كسلاً ولا متنعراً بالروم

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضاها معه ومع بقية آل حسان . وقد انفتحت روايات أهل الأخبار في موضوع دخول جيلة في الاسلام ، ثم في ارتداده ، إلا رواية واحدة ذهبت الى انه لم يسلم . وقد ذهب أكثرهم في سبب رده الى ان أعرابياً من قزارة وطىء فضل لإزار جيلة وهو يسحب في الأرض بمكة ، فلفظه جيلة ، فتأمله الأعرابي الى عمر ، فحكم عمر له بالنقصان ، فعدت جيلة النقصان اعانة له وهو ملك ، فقرر الى بلاد الروم وارتد بها ، وبقي بها مرتدًا حتى وافته منته . ولكن رواية (ابن قتيبة) ، تختلف عن رواية أكثر أهل الأخبار في موضوع المكان الذي كان السبب في ارتداده عن الاسلام ، اذ جعلته مدينة (دمشق) ، قالت : « وكان سبب تنصره انه مر في سوق دمشق ، فأولم رجلًا قرسه ، فوثب الرجل فلفظه ، فأخذته الغصابون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا اعلم سيدنا . فقال أبو عبيدة بن الجراح : ائنه ان هذا لعلمك . قال : وما تصنع بالينة ؟ قال : إن كان لعلمك لطفته بلعلمك . قال : ولا يقتل ؟ قال : لا . قال : ولا تقطع يده . قال : لا . انما أمر الله بالنقصان ، فهي لطفة بلطفة . فخرج جيلة ولحق بأرض الروم وتنصر » .^١

ونجد خبر (ابن قتيبة) المذكور مدوناً في كتاب (الطبقات) لابن سعد ، حيث جاء : « وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى جيلة بن الأيهم ملك حسان يدعو الى الاسلام ، فأسلم وكتب بإسلامه الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأعدى له هدية ولم يزل مسلماً حتى كان في زمان عمر بن الخطاب ،

١ البرقوقي (ص ٣٩١ وما بعدها) .
٢ مروج (٣١/٢ وما بعدها) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) إيسن خلدون (٥٨٦/٢) تاريخ الخميس (٦١/٢) - الاغانى (٢/١٤) وما بعدها .
٣ المعارف (ص ٢٨١) .

فبينما هو في سوق دمشق اذ وطئ رجلاً من مزينة ، فوثب المزني فطعمه ، فأخذ وانطلق به الى أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم جبيلة ، قال : فليطعمه ، قالوا : وما يقتل ؟ قال : لا ، قالوا : فما تقطع يده ؟ قال : انما أمر الله ، تبارك وتعالى بالقود . قال جبيلة : أو ترون اني جاعل وجهي ندأ لوجه جدي جاء من عمي ! بشس الدين هذا ! ثم ارتد نصرانياً ! وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم ، فبلغ ذلك عمر ، فشق عليه ، وقال لحسان بن ثابت : أيا الوليد ، أما علمت أن صديقك جبيلة بن الأيهم ارتد نصرانياً ؟ قال : وحق له ، فقام اليه عمر بالدرة ففصر به بها ^١ .

وذكر بعض أهل السير والأخبار ، أن الرسول كتب الى جبيلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، كتاباً دعاه فيه الى الاسلام . فلما وصل الكتاب أسلم ، وكتب الى الرسول يعلمه باسلامه ^٢ . وذكر أن (شجاع بن وهب) انما بعثه رسول الله الى جبيلة ، فأسلم ^٣ ، وأرسل الى رسول الله هدية . وكان ينزل بالجلولان ^٤ .

وترجم بعض الروايات أنه زار المدينة في خلافة (عمر) . وقد عدّ يوم مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاء اليها في موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلاً من قبل ، وخرج الناس الى الطرق لرؤية موكبه . وفرح عمر بمجيئه ، وعدّ ذلك توفيقاً من الله للاسلام ، وأكرمه غاية الأكرام . وبعد أن قابل الخليفة ، استأذن منه بالنعاب الى الحج ، فوقع له عندئذ حادث الإزار مع الأعرابي ، ففرّ الى بلاد الروم ، ويقال : أنه توفي بالقسطنطينية سنة عشرين من الهجرة ^٥ . وذكر أنه لما قدم المدينة كان في خمسة فارس من عك وجفنة . فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشي المتسوج بالذهب والفضة ، ولبس تاجه وفيه قرط مارية وهي جدته ، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا يخرج ينظر اليه ^٦ .

وقد ذكر (البلاذري) أن (جبيلة بن الأيهم) حكم بعد (الحارث بن أبي شمر) . وروى أنه لما قدم (عمر) الشام سنة (١٧) للهجرة ، حدث أن لطم

- ١ طبقات (٢٦٥/١) .
- ٢ تاريخ الخميس (٦١/٢) .
- ٣ ابن خلطون (٢٨١/٢) .
- ٤ تاريخ الاسلام . للذهبي (٢١٤/٢) . (نسخة دار الكتب المصرية) .
- ٥ ابن خلطون (٢٨١/٢) .
- ٦ العقد الفريد (١٨٧/١) وما بعدها (القاهرة ١٩٣٥ م) .

(جبلة) رجلاً من مزينة على عينه ، فأمره عمر بالانقصاص منه ، فقال : أو عينه مثل عيني ! والله لا أقوم ببلد عليّ به سلطان . فدخل بلاد الروم مرتداً . وروى رواية أخرى خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عمر عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر . فلما قال له عمر : ما عندي لك الا واحدة من ثلاث : إما الاسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب الى حيث شئت . فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم^١ .

وتذكر رواية أن (جبلة بن الأيهم) عاش في القسطنطينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة^٢ .

فنحن أمام روايتين بشأن مكان ردة جبلة ، وتجاه رواية عن إسلامه . رواية تجعل ارتداده في مكة ، ورواية تجعل ارتداده بدمشق ، ورواية تذكر أنه لم يدخل مطلقاً في الاسلام . ويظهر أن رواية دمشق هي أقرب الى المنطق ، اذ لا يعقل فرار جبلة من مكة الى بلاد الروم بمثل هذه السهولة التي تخيلها أهل الأخبار ، وبين بلاد الروم مسافات شاسعة ما كان في امكانه قطعها قطع والنجاة من تعقب المسلمين له ، لو كان موضع هربه هو مكة . أما دمشق ، فإنها قرية من حدود الروم ، ولدى جبلة فيها وسائل كبيرة تساعد على الهرب .

والرأي عندي أن جبلة ، لم يدخل أبداً في الاسلام ، وانما بقي مع الروم . وغادر بلاد الشام معهم ، وكان يحارب المسلمين الى جانبهم ، وانتقل بأنواعه ممن بقوا على دينهم الى بلاد الروم فأقاموا بها ، وقد مات هناك ودفن في تلك البلاد . وما هذا الذي روي عن إسلامه وعن زيارته ليثرب ولككة إلا من قصص القصص وضعوه فيها بعد .

إن ما يذكره أهل الأخبار من ملك (جبلة) ، لا يتخلو من مبالغة . وما يقال عن ملكه وعن استقبال (هرقل) له ، ذلك الاستقبال العظيم ، لا يتخلو من مبالغة أيضاً . نعم من الجائز أن الروم قبلوه لاجئاً ، ورحبوا به وساعدوه على أمل استخدامه لمهاجمة المسلمين ، واسترداد بلاد الشام منهم . غير أننا لا نستطيع أن نوافق على ما ورد في روايات أهل الأخبار من ذلك الوصف الذي ذكروه من احتفال الروم في القسطنطينية ومن المعيشة التي كان يعيشها في عاصمتهم

١ فتوح البلدان (ص ١٤٢ وما بعدها) .

٢ ابن خلدون (٢ / ٢٨١) .

الى حين وفاته^١ . بل لقد شك بعض المشرقين مثل (فولدكه) حتى في موضوع
تخلكه وتولية الحكم له على عرب الشام^٢ .
ونجد في غير فتح دومة الجندل ، رجلاً من غسان كان قد ترعم قومه وجاء
في (طواف من غسان وتوخ) لتجسدة أهل (دومة الجندل) . وقد دعاه
(الطبري) ، (ابن الأثير) . ولم يشر الى اسمه^٣ .
ونجد في (العقد القريد) وصفاً لمجلس (جبلة) ولمسكنه في القسطنطينية
لا يحلو من مبالغة ، وقد نسب وصفه الى رسول ذكر أن الخليفة عمر كان قد
أرسله الى (هرقل) ليدعوه الى الاسلام . ويذكر الرسول الوفاء أن (هرقل)
هو الذي أشار عليه بزيارة قصر (جبلة) فلما ذهب اليه ، وجد على بابه من
القهارمة والحجاب وكثرة الجمع مثل الذي على باب (هرقل) ، ثم وصف
مجلسه وأرائكه المصعة بالجواهر ، وغناه الجوازي في مجلسه بغناء حسان بن ثابت
مما يجعله في ثراء الملوك الحاكمين لا الملوك القارين^٤ .
واسم الرسول المذكور هو (جثامة بن مسحق الكتاني)^٥ . وسذكر بعض
أهل الأخبار أن الخليفة معاوية أرسل (عبدالله بن مسعود القرظي) الى ملك
الروم فوجد عنده (جبلة بن الأثير) ، فوصف مجلسه وما كان عليه من فاخر الملابس
والمأكّل والسكن ، وهو كلام فيه مبالغات وغلوّ في الكلام ، على نخط ما رأيناه
في وصف (جثامة)^٦ . وهو يتفق معه في الخبر . والظاهر أن الرواة قد أخطأوا
في هذا الخبر ، فتنبه مرة الى رسول عمر ، ونسبه مرة أخرى الى رسول معاوية.

ملوك الغساسنة

وعدة ملوك الغساسنة على رواية حمزة الثمالون ملكاً ، ملكوا ستاً وست
عشرة سنة^٧ . أما (السعدي) ، فجعل عددهم أحد عشر ملكاً^٨ .

- ١ العقد القريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
- ٢ غسان (ص ٤٥) من النص الألماني . Provincia Arabia II, B. 174.
- ٣ الطبري (٣٧٨/٣) خير دومة الجندل .
- ٤ راجع الوصف في العقد القريد (١٨٨/١ وما بعدها) .
- ٥ الألماني (٢/١٤) وما بعدها .
- ٦ الألماني (٢/١٤) وما بعدها . اليرقوتي (٢٣٤) وما بعدها . ابن قتيبة ،
الشعر (٢٢٣) .
- ٧ حمزة (ص ٨١) .
- ٨ مروج (٣٢/٢) طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد . ابن خلدون (٢٨١/٢)

وقد رتب السعدي أسماء الملوك على هذا النحو : (الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس) ، ثم (الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو) ثم (النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة) ، ثم (المنذر أبو شمر بن جبلة بن ثعلبة) ، ثم (عوف بن أبي شمر) ، ثم (الحارث بن أبي شمر) ، وكان ملكه حين بعث رسول الله ، ثم جبلة بن الأيهم^١ . والأسماء المذكورة هي أقل من الرقم المذكور كما نرى بكثير ، إذ هي سبعة فقط ، على حين يجب أن تكون بحسب روايته أحد عشر اسماً .

وفي الذي ذكره حمزة عن مدة حكم الفساسنة ، مبالغة . فلو أخذنا بالعدد الذي ذكره لمجموع حكم ملوكهم ، وهو ست عشرة وسبعمائة سنة ، لوجب علينا القول بأن ابتداء حكمهم كان حوالي الميلاد . وهو قول لم يقله أحد ، ولا يؤيده أي سند أو دليل . والذي نعرفه أن مدة حكمهم هي دون المدة المذكورة بكثير ، كما أن في الترتيب الذي ذكره حمزة لملوكهم تكراراً وزيادات . وهو يخالف ما نراه عند المؤرخين الآخرين الذين تعرضوا لآل غسان .

وتختلف قائمة (ابن قتيبة الدينوري) بأسماء ملوك غسان اختلافاً كبيراً عن قائمة (حمزة) وعن قائمة (السعدي) . وقد ذكرت فيما مضى أنه جعل (الحارث بن عمرو) المعروف بمحرق أول ملك من ملوك غسان ، ثم جعل من بعده الحارث الأعرج ، ثم الحارث الأصغر ، ثم النعمان ، وهو شقيق الحارث الأصغر . وقد ذكر أنه كان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين هم : حجر بن النعمان وبسه كان يكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان . وقال إن فيهم يقول حسان ابن ثابت :

من بغر الدهر أو يأمته من قبل بعد عمرو وحجر
ملكا من جبل الثلج الى جاتي أيلة من عيد وحر^٢

وقال (ابن قتيبة الدينوري) : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، الذي كان التابعة صار إليه حين فارق النعمان بن المنذر ، ولديه يقول التابعة :

١ مروج (٢٠/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، (٨٢/٢ وما بعدها) .
(طبعة دار الاندلس) .
٢ المعارف (ص ٢٨٦) .

علي* لعمر و نعمة* بعد نعمة لوالده ليست بذات العقارب

قال : وكان يقال لعمر و أبو شمر الأصغر ، ومن ولده المنسلر بن الحارث ، والأبهم بن الحارث ، وهو والد جبلة بن الأبهم آخر ملوك غساني . وقد ذكر في كتب السبر والتواريخ اسم أمير غساني ، هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الذي أرسل الرسول إليه شجاع بن وهب ليطلب إليه الدخول في الإسلام ، وكان ملكه على ما يذكره الأخباريون في الشام ، وكان له قصر منيف وحجاب* . وذكر الطبري أنه كان (صاحب دمشق)^١ . وقد أدخله (محمد بن حبيب) في جملة (العرجان الأشراف)^٢ . وقد عرف به (الحارث الأصغر) في شعر حسان بن ثابت* . وأرى ان الحارث بن أبي شمر هذا هو (الحارث) معاصر (جبلة بن الأبهم) الذي أشار حسان إليه .

وقد كان (حسان بن ثابت) زار الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان النعمان بن المنذر اللخمي يسميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن القريرة ، لقد نشت أهلك بفضل النعمان علي* فقال : وكيف أفضله عليك ثم أخذ يشرح تفضيله له على النعمان حتى سر الحارث ، ثم عاد حسان فنظم ما قاله ثراً فيه في أبيات زادت من سروره ، وحصل على جوائز وعطايا^٣ .

وذكر أن حسان بن ثابت كان يقد على جبلة بن الأبهم سنة ، ويقم سنة في أهله . فقال : لو وفدت على الحارث أبي شمر الغساني فإن له قرابة ورحماً بصاحبي ، وهو أهل الناس المعروف ، وقد يشن مني أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعي الى جبلة . فخرج في السنة التي كان يقيم فيها بالمدينة ، حتى قدم على الحارث ، وقد هباً له مدحاً . فقال له حاجبه وكان له ناصحاً : وإن الملك قد سرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة . فإياك أن تقع فيه ،

- ١ المعارف (ص ٢٨١) .
- ٢ السيرة الحلبية (٢٥٥/٣) ، (طبعة مصر) ابن خلدون (٣٦/٢) .
- ٣ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
- ٤ المنبر (ص ٣٠٤) .
- ٥ البرقوقي (ص ١٨٢) .
- ٦ البرقوقي (ص ١٨١ وما بعدها) ، مروج (٣١/٢) (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) .

فإنما يريد أن يخبرك ، وإن رأك قد وقعت فيه زهد فبك ، وإن رأك تذكر
محاسن ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ، وإن سألك عنه ، فلا تطب في النساء
عليه ولا تعيبه ، امسح ذكره مسحاً وجاوزه الى غيره . ثم نصحه بنصائح
أخرى ثم عن سلوك الحارث ، وقد أفادته كثيراً . فلما دخل عليه ، حسنت منزلته
عنده وصار يدعوهم ، ثم جاء وأعطاه خمسة دينار وكسيه والطلافاً وعاد الى أهله .

ولو صح هذا الخبر ، فإنه يدل على أن أمر الفساسة في هذا الوقت لم يكن
واحداً ، وإن حكمهم كان قد تبدد ونشت . وإن جيلة بن جيلة كان يحكم على
جماعة من غسان ، والحارث بن أبي شمر كان يحكم في الوقت نفسه على جماعة
أخرى ، وكل منهما كان يحلّي نفسه بجيلة الملك ، ومن يدري فلعل أشخاصاً
آخرين كانوا ينازعونها الحكم أيضاً ، ويحلّون أنفسهم بلقب (ملك) ، اللقب
الحبيب الذي لم يكن يرتفع في الواقع عن درجة سيد قبيلة أو (شيخ) عشيرة في
اصطلاحنا في الوقت الحاضر .

وقد ذكر أهل الأخبار اسم رجل قالوا أنه كان قائداً من قواد (الحارث بن
أبي شمر) ، ودعوه بـ (النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي) ، وذكروا أنه
أغار على بني فزارة وبني ذبيان ، فاستباحهم ، وسبي سبياً من غطفان . وأخذ
(عقرب) بنت النابغة الذبياني . فلما سألتها ، فالتصبت الى أبيها ، من عليها ثم
أطلق له سبي غطفان . فلما سمع بذلك النابغة ، مدحه بقصيدة . وسبق أن تحدثت
عن (النعمان بن الجلاح الكلبي) في أثناء كلامي على الملك (النعمان بن الحارث)
حين أغار قوم النابغة على أعراب (النعمان بن الحارث) بوادي أقر ، وكان النابغة
قد نهى قومه وحلّهم من التحرش بهم ، فخالفوا رأيه ، فأوقع بهم (ابن الجلاح)
غنائراً قاتلة .

وفي ديوان حسان قصيدة ، مطلعها :

إني خلقت يميناً غير كاذبة لو كان للحارث الجفني أصحاب

يذكر شراحها أنه نظمها في رثاء (الحارث الجفني) ، وقالوا إن الحارث

١ الإغاني (٢/١٤) وما بعدها .

٢ الاشتقاق (٣١٦/٢) ، ديوان النابغة (ص ٣٢ ، ٤٠) .

الجفني المذكور هو الحارث بن أبي شمر الغساني . وقد ذكروا أنه دافع فيها عن
هزيمة أدركت الحارث في إحدى حروبه ، فعاد ومن معه بغير أسلاب ولا أسرى
بل يظهر من أبياتها أن العدو أوقع به قتل من جمعه ، وقد اعتذر الحارث بأن
من معه لم يَكُونُوا من (جند حسان) وإنما كانوا من (مائشة الناس) أي جماعة
أوشاب الناس وأوياسهم أي الأخطا التي تجتمع من كل أوب . ومثل هؤلاء
لا تكثرهم الفرقة ، ولا يسألون بذلك ، إذ لا أحساب لهم ولا شرف ، فلا
حجب أن أصيب بخيبة في هذه المعركة ومعه مثل هؤلاء الناس^١ .

ويظهر من القصيدة المذكورة ، أن الحارث بن أبي شمر ، كان قد توفي قبل
(جيلة بن الأيهم) . وذلك لثراء حسان له ولاجماع أهل الأخبار على أن جيلة
عاش أمداً بعد ظهور الإسلام ، وأنه مات في بلاد الروم بعيداً عن بلاد الشام
وعن أرض آباءه وأجداده . وبدليل ما ورد في تأريخ الطبري من أن الرسول
أرسل شجاعاً بن وهب إلى رجل من غسان اسمه (المنذر بن الحارث بن أبي شمر
الغساني) . يدعوهم إلى الإسلام^٢ . وهذا الرجل هو أحد أبناء الحارث المذكور .
وذكر الأخباريون رجلاً آخر من غسان ، دعوه (عدياً) ، وقالوا إنه ابن
أخت الحارث بن أبي شمر الغساني ، وأنه أغار على بني أسد ، فلقبته (بنو سعد
ابن ثعلبة بن دودان) بالفرات ، ورئيسهم (ربيعة بن حنظل الأسدي) ، فاقتتلوا
قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعد عدياً^٣ . وقد سمي (محمد بن حبيب) هذا
اليوم الذي وقع فيه القتال (يوم الفرات)^٤ .

وأشار الواقدي إلى ملك غساني اسمه (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، وذكر
أنه قتل رسول رسول الله إلى ملك بصرى في مؤنة^٥ . ويشك (تولدكه) في نسبة هذا
الأمير إلى الغسانيين ، وحجته في ذلك أن الواقدي ذكره في موضع آخر مع أخويه
(سدوس) و (بر) ، ونسبه في هذا الموضع إلى الأزد . ثم انه لم يكن من
عادة الغساسنة على رأيه ذكر لقب الغساني بعد الاسم^٦ .

- ١ البرقوقي (ص ٢٩) .
- ٢ الطبري (٦٥٢/٢) (دار المعارف) .
- ٣ الأغاني (١٩٩/١١) (طبعة دار الكتب المصرية) .
- ٤ المحير (ص ٢٤٧) .
- ٥ الواقدي (ص ٣٠٩) . (طبعة ولهوزن) . السيرة الحلبية (٦٦/٣) .
- ٦ غسان (ص ٤٨) .

وأشير في كتب الأدب الى اسم ملك من ملوك (غسان) قالوا له (قرص)،
لم يذكروا عنه شيئاً ذكروه في حديثهم عن (عدي) قالوا : انه ابن (أخي
قرص الغساني) ، وكان (عدي) هذا قد غزا (بني أسد) فقتلوه، وأوردوا
في ذلك شعراً نسبوه الى الغساني :

لعمرك ما خشيت على عدي^١ رماح بني مقبضة الحمار
ولكفي خشيت على عدي^٢ رماح الجن أوابك حار^٣

ولم يرد اسم هذا الملك في القوائم التي وضعها المؤرخون أمثال العنبري والطبري
والمسعودي وابن خلدون وأمثالهم لملوك غسان . وعدي المذكور في خبر (قرص)،
هو (عدي) المتقدم ولا شك .

وقد وفد (حسان بن ثابت) على (عمرو بن الحارث) ، فاعتاص الوصول
اليه ، فلما طال انتظاره ، قال للحاجب : « إن أذنت لي عليه ، وإلا هجوت
اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم » . فأذن له ودخل عليه ، فوجد عنده (الثابتة)
وهو جالس عن يمينه ، و (علقمة بن عبدة) وهو جالس عن يساره ، فقال
له (عمرو) : « يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان فارجع ،
فالله يا عث اليك بصلة سنية ، ولا احتاج الى الشعر ، فإني أخاف عليك هذين
السبعين : الثابتة وعلقمة ، أن يفضحك ، وفضحكك ففضحتي » ثم تلا عليه
شعراً بما قاله الشاعران في مدحه . فأبى إلا أن يقول شعراً فيه ، وطلب من
الشاعرين أن يسمحا له بالقول ، فقال قيه قصيدته التي تبدأ بقوله :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل^٤ بين الجوابي فالبضيع فحومل^٥

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع ، منها : (الجوابي) ، أي (جابية
الجولان) ، و (البضيع) أو (البصيع) ، وهو جبل قصير أسود على تل
بأرض البسة فيما بين (سيل) و (ذات الصنمين) و (حومل) و (مرج
الصقيرين) ، وهو موضع بغوطة دمشق ، و (جاسم) ، وهي قرية بينها وبين
دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق الى طبرية . وكل هذه الأماكن التي ذكرها

١ ديوان حسان - (ص ٢١٩) ، (البرقوقى) ، (ص ٧٩) (مرشغله) .

٢ ديوان حسان (ص ٣٠٥) ، (البرقوقى) .

هي منازل كانت لآل جفنة ، الا انها عحرت ، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح^١ .

ثم تطرق الى ذكر من كان يتادبهم به (جلق) ، وهو موضع قبل انه بقرب دمشق ، وقيل انه (دمشق) : كيف كانوا كرماء أجواداً يهودون على من يقد عليهم ، لا فرق عندهم بين غني وفقير ، يمشون في الخلل القشيشة المضاعف نسجها ، ويمجرون من يستجير بقبر أبيهم (ابن مارية الكرم المفضل) ، فلا يخاف من عدو ولا يخشى من اعتداء يقع عليه . كلاهم لا تهر ، لأنها ألفت الضيوف وأنت بهم من كثرة تدفقهم عليهم ، يسقون ماءً بارداً من (البريقي) ، ومن (بردا) ، وهما نهرا بدمشق ، ممزوجاً بالرحيق . ثم تذكر (قصر دومة) أي دومة الجندل ، وكيف شرب الخمر في حانوتها من ساق منتطف، أي مسقط وضع القرط في أذنه ، والمنطقة في وسطه^٢ .

وجلق كما ذكرت موضع من مواضع الغساسة ، ويظهر أن سلطان البيزنطين لم يكن كبيراً عليه . وقد اشتهر بيسانة وبكثرة أشجار الزيتون به ، وبوفرة مياهه وقد تغنى به الشعراء في الاسلام ، فورد ذكره في شعر أبي نواس^٣ . وكان الغساسة يدفنون فيه موتاهم . ولهم ضريح ضم رفات ملوكهم . ومع شهرة المكان فقد اختلف الناس في تثبيت موضعه وتعيينه . والرأي الغالب انه ليس من أطراف دمشق كما ذهب الى ذلك بعض أهل الأخبار^٤ .

وقد ترك الروم سابقهم به (ثنية جلق) ، وعليها صاحب الساقة ، وذلك ليراقب المسلمين حينما تقدموا لطردهم من بلاد الشام . ولم يرد للغساسة أي ذكر في الدفاع عن هذا المكان^٥ .

ويظهر من نظم هذه القصيدة ، ومن أسلوبها ونقشها ، ومن تذكر (حسان) لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن ، ان هذا الشعر هو من الشعر المتأخر ،

- ١ ديوان حسان (ص ٣٠٧) ، (البرقوقى) ، (ص ٢٢) ، (مرشغله) .
- ٢ البرقوقى (ص ٣٠٨ وما بعدها) .
- ٣ اللسان ، مادة (جلق) ، البليدان ، (جلق) .
- ٤ الموسوعة الاسلامية (٨٦/٧) ، الاغانى (٢/١٤) اللسان (٣٦/١٠) .
- ٥ الطبري (٣٩٢/٣) .

ولا استبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك (الفسانة) ، وقد أنشده أمام أحد الفساسة المتأخرين ، ولم يكن ملكاً بالمعنى المفهوم من الملك .

وقد رثى حسان بن ثابت رجلاً من غسان قتلته كسرى ، ولم يذكر اسمه ، ولا الأسباب التي حلت كسرى على قتله ، ولا الأحوال التي قتل فيها^١ . ويظهر من سياق الشعر الذي رثى به ذلك القتيل أن هذا القتيل قد وقع بعد أنول نجم آل غسان وادبار الدنيا عنهم . ولعله كان قد قتل بعد احتلال الفرس لبلاد الشام . فكان هذا الغساني من المعارضين للفرس المتأولين لهم ، وللملك قتلوه في فترة احتلالهم لها .

وقد أشار (أبو الفرج الأصبهاني) إلى أمير غساني سمّاه : (يزيد بن عمرو الغساني) ، ذكر أنه قتل الحارث بن ظالم^٢ . ولا نعرف من أمر هذا الأمير شيئاً يذكر . وهناك روايات أخرى تنسب قتل الحارث إلى (النعمان الغساني) ، على حين تنسب روايات ثالثة إلى آل نخع ويرجح تولدكه الرأي الأخير^٣ .

وقد ورد في شعر لحسان بن ثابت هجاء لـ (سلامة بن روح بن ذئباع الجذامي) ، وكان يلي العشور للروم . ولا يد أن يكون ذلك في أيام الفساسة المتأخرين . وقد شبهه بـ (دمية في لوح باب) ، أي كأنه صورة مصورة ، أو صنماً معطفاً على لوح باب^٤ .

ومن الأماكن التي وردت في شعر (حسان بن ثابت) على أنها من مواضع الفساسة (الجواء) و (عذراء) ، وهما موضعان بالشام باكتاف دمشق . وإلى (عذراء) هذه يضاف (مرج عذراء) ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ، لذلك ذكرهما (حصان) في شعره^٥ . وذكر كذلك (بطن جلتى) و (البلقاء) ، و (المحبس) و (السند) و (بُصْرَى) و (جبل الثلج)^٦ . أما ما يفهم من شعر (حسان) وغير حسان من شمول ملك الفساسة مدينة

- ١ البرقوقى (ص ٢٨٧ وما بعدها) .
- ٢ الانبائي (١٠ / ٢٨ وما بعدها) .
- ٣ غسان (ص ٤٨) .
- ٤ البرقوقى (ص ٢٦٩) .
- ٥ البرقوقى (ص ١ وما بعدها) .
- ٦ البرقوقى (ص ١١٠) .

(دمشق) أو تجاوزها ومن وصوله مواضع قريبة منها أو ملتصقة بها ، فيجب أن تحمله حمل المجاز أو حمل مبالغات الشعراء في التفاخر والتباهي والمدح . فإذا استثنينا هذا الشعر لا نجد أي مورد تاريخي يقول باستيلاء الغساسنة على (دمشق) أو على مواضع متصلة بها . وكل ما نعرفه من الموارد التاريخية أن سلطانهم كان على أطراف بلاد الشام ، أي على المواضع التي رأى الروم أن من الأفضل لهم تركها إلى أمراء غسان ، لصعوبة ضبطها من الوجهة العسكرية بالنسبة إليهم . ولعل ما يذكره أولئك الشعراء هو تعبير عن قصور وأمالك اشترأها ملوك الغساسنة وأمراؤهم في (دمشق) وفي مواضع حضرية أخرى لقضاء بعض الوقت فيها كما يفعل الأمراء في الزمن الحاضر من شراء بيوت وقصور في لبنان وفي أوروبا يقيمون فيها بعض الوقت للتسوية والراحة . فزارهم فيها أولئك الشعراء ، ووصفوها وصفاً شاعرياً ، صور الشام وما حولها كأنها ملك من أملاك الغساسنة .

لقد كان (آل جفنة) كلهم على النصرانية عند ظهور الاسلام ، وكانوا أصحاب دين وعقيدة ، يدافعون عن مذهبهم كما رأينا . وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرحبتهم . وقد أشير إلى رجل عرف به (أرطبان المروني) ، قيل أنه كان (شماشاً) في (بيعة غسان)^١ ، مما يدل على أنها كانت بيعة خاصة بآل غسان .

وقد نسب بعض أهل الأخبار أماكن أخرى إلى الغساسنة ، وذلك بالإضافة إلى الأماكن التي سبق أن تحدثت عنها . ومن هذه الأماكن : صفين . وقد زعموا أن منزل (جبل بن النعمان) كان به . وقد كان في الوقت نفسه صاحب عين أباغ^٢ . ومن الأماكن المنسوبة إلى الغساسنة موضع (حارب) . وقد ورد اسمه في شعر ينسب إلى النابغة حيث يقول :

لئن كان للقبرين قبر يخلق وقبر بصيداء التي عند حارب^٣

وورد (قصر حارب) . وقد نسب (حمزة) إلى النعمان بن عمرو بن المنذر^٤ .

- ١ الإصابة (١٠٢/١) .
- ٢ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الأول ، (ص ٥٨٦) .
- ٣ البلدان (١٨٣/٢) . البكري . معجم (٤١٧/١) . المعالي الكبير (١٠١٥/٢) .
- ٤ حمزة (ص ٧٩) . الهمداني . صفة (ص ١٧٩) .

ويذكر أهل الأخبار (السويدي) في جملة الأماكن التابعة للفسانة . وقد رجع (حزة) بناءها الى (النعمان بن عمرو بن المنذر)^١ . وتقع في (حوران)^٢ . والرصافة من المواضع المهمة عند الفسانة ، ففيها مشهد القديس (سرجيوس) وهو من القديسين الجليلين عند الفسانة ، وكانوا يتركون بزيارة قبره ، ويتقربون اليه بالهدايا والتذوق . وكان لآل جفنة مساكن فيها ، وقد قاموا بإصلاح ما كان يتهدم منها ، فقام (النعمان بن الحارث بن الأهم) بإصلاح وترميم صهاريج المدينة . وكان (النعمان بن جبلة) فيمن أقام بها^٣ .

أما حدود مملكة الفسانة ، فلم تكن على وجه العموم ثابتة ، بل كانت تتبدل وتتغير بحسب تبدل سلطة الملوك ، وتغيرها ، وهي عادة نجدها لدى جميع الممالك والأمارات التي تكونت في البادية أو على أطراف البوادي ، حيث تكون معرضة لغزو القبائل ، ولغزو القبائل الفتية القوية التي تطمع في ملك الإمارات التي تجد فيها شيئاً من الوهن والضعف ، وفي رؤسائها دعة أو حزمياً . ولما نجد ملك الفسانة يتوسع ويتغلب بحسب الظروف فيصل الى مفرية من دمشق ، وإلى فلسطين الثانية و (الكورة العربية) و (فلسطين الثالثة) و (فينيقية لبنان) . وإلى ولايات سوريا الشمالية في بعض الأحيان^٤ . وفي مساحات شاسعة من البادية الى المدى الذي يصل اليه سلاحهم . ثم نجد نارة أخرى أقل من ذلك بكثير ، لضعف الأمير المالك ولطمع القبائل فيه واختلافه مع السلطات . ويظهر من شعر حسان ابن ثابت ان ملك الفسانة كان يجند من حوران الى (خليج العقبة)^٥ .

وتعد منطقة الجولان من أشهر مناطق الفسانة . وقد ورد ذكرها في الشعر العربي ، وفيها قبر بعض الأمراء الفسانيين . وهي من الأرضين التابعة لولاية فلسطين الثانية في التقسيم الإداري عند الروم ، وبها كان في الغالب مقر آل حسان^٦ . وقد اشتهرت (الجابية) بأنها كانت مقر الملوك ، ولذلك عرفت بجابية الملوك ،

- ١ حزة (ص ٧٩) .
- ٢ الحموي ، المشترك (ص ٢١١) . مرصد الاطلاع (٧٠/٢ وما بعدها) .
- ٣ البلدان ، مادة الرصافة ، البكري ، معجم ، الرصافة .
- ٤ فسان (ص ٥١) .
- ٥ المشرق ، السنة الأولى ، حزيران ١٨٩٨ م (١٨٥) .
- ٦ حسان (ص ٥١ وما بعدها) . John of Ephesus, 4, 22 .

كما عرفت أيضاً بجاية الجولان^١ .

وقد ذهب بعض المستشرقين الى أن قصر الشقي الذي نقلت بعض أحجار جدران المحفورة بالصور الجميلة الى متحف برلين ، هو من القصور التي أنشأها الفساسة ، وكذلك بعض الآثار الأخرى الواقعة في البادية .

وفي (البرج) عثر على كتابة يونانية جاء فيها : « الطريق الشريف والأمير المنذر » . ويدل ذلك على أنه من آثار (المنذر) . أما بقية المواضع ، وهي عديدة منتشرة في أماكن واسعة ، فللعلماء في أصلها نظريات وآراء .

أمراء غساسة :

وذكر الأخباريون أميراً جظينياً دعوه (جظنة بن النعمان الجفني) ، قالوا إنه غزا الحيرة في أثناء ذهاب النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى الى البحرين ، فأصاب في الحيرة ما أحب . وذكروا أنه هو الذي عناهُ علي بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

سما صقر^٢ فأشعل جانبيها وألفاك المروح والغريب^٣

وذكر (أبو حنيفة الديوري) اسم رجل من غسان ، دعاه (خالد بن جبلة الغساني) ، قال عنه : « قالوا : وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ، وكانا متذوين ، وتعبتين ، فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى أنو شروان ، وكان عمال كسرى على تخوم أرض العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ، فكتب المنذر الى كسرى أنو شروان يخبره بما ارتكبه منه خالد بن جبلة^٤ » . وقد ذكره في موضع آخر ، في أثناء كلامه على ذهاب (كسرى) الى قيصر ، إذ قال : « وسار كسرى حتى انتهى الى البرموك ، فخرج اليه خالد بن جبلة الغساني فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر^٥ » .

Ency. I. P. 1029.

١ الإغاثي (١١٧/٢) وما بعدها . (طبعة دار الكتب) .

٢ الأخبار الطوال (ص ٦٨) .

٣ الأخبار الطوال (ص ٩١) .

وقد مدح حسان بن ثابت الأنصاري أميرين من أمراء غسان ، هما : عمرو وحجر . وقد ذكر أنهما ملكا من (جبل الثلج) حتى جاني (أيلة) ، وأنهما غزوا أرض فارس^١ . ويرى (تولدكه) احتمال كون حجر هذا هو أحد أبناء النعمان الذي كُتبي بأبي حجر^٢ .

وقد ذهب بعض الأخباريين إلى أن عمراً المذكور في هذه الآيات هو عمرو بن عدي بن حجر بن الحارث . وأما حجر ، فهو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر^٣ . والذي يتبين من هذه القصيدة أن الملكيين المذكورين حكما في زمن واحد ، وغزوا مشتركين أرض فارس ، ويفتضي ذلك أن يكونا قريبين ، كأن يكونا أباً أو ابناً ، أو أخوين ، أو أن كل واحد منهما كان يحكم فرعاً من فروع غسان ، وذلك بعد تصدع أمر غسان وانقسامهم إلى جملة (مشيخات) .

ويرى (ابن الأثير) أن : أبا جيلة عبيد بن مالك بن سالم ، وهو ملك من ملوك غسان على رواية بعض الأخباريين ، لم يكن من آل غسان ، وإنما كان من (بني غضب بن جشم بن الخزرج) ، ذهب إلى غسان فصار عظيماً عند ملوكهم ، مطاعاً بينهم ، وإليه ذهب (مالك بن العجلان الخزرجي) مستجيراً به من يهود يثرب ، فأمنه وسار معه حتى أوقع في اليهود ، ثم رجع عائداً إلى غسان^٤ . ولعل (أبا جيلة الغساني) ، الذي ذهب إليه الشاعر الجاهلي (الرمي بن زيد ابن غنم)^٥ ، هو هذا الملك الذي نتحدث عنه .

ويتبين من شعر الأعشى ميمون بن قيس أنه زار الغصاة ، وصحب ملوكهم في ديار الشام^٦ ، واتصل بهم ، وقد خاطب أحدهم بقوله : «إليك ابن جفنة»^٧ ،

- ١ من يغر الدهر أو يامنسه ملكاً من جبل الثلج إلى الأمان (١٦/٢) ، (طبعة دار الكتب المصرية) ، البرقوقى (ص ٢٠٥) .
- ٢ غسان (ص ٤٤) .
- ٣ الأمانى (١٦/٣) ، (طبعة دار الكتب المصرية) .
- ٤ الكامل . لابن الأثير (٢٧٦/١) .
- ٥ البيان (٢٣٨/١) .
- ٦ وصحبنا من آل جفنة أملاكاً ديوان الأمانى (ص ٣١٥) ، (طبعة الدكتور م . محمد حسين) . (ص ٢١١) (طبعة كابر) (Geyer) ، القصيدة رقم ٦٣ ، البيت ١٣ .
- ٧ إليك ابن جفنة من شقة القصيدة ٣١ ، البيت العاشر ، ديوان الأمانى (ص ٢٠٧) . (طبعة م . محمد حسين) . (١٣٩) ، (طبعة كابر) (Geyer) .

غير أنه لم يذكر اسمه .

ووصل البتا اسم أمير من غسان ، هو (الشيطم بن الحارث الغساني) ، قتل رجلاً من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلقى بالعراق أو بالحيرة متنكراً ، وكان من أهل بيت الملك ، ومكث أمداً متنكراً ، حتى وافق غيرة من القوم ، فركب فرساً جواداً من خيل المنذر وخرج من الحيرة يتعصف الأرض ، حتى نزل بمحي من (بهراء) فأخبرهم بشأنه ، فأعطوه زاداً ورمحاً وسيفاً وخرج حتى أتى الشام فصادف الملك متبدلاً ، فأتى قبه ، وقص قصته ، فبعث إلى أولياء المقتول فأرضاهم عن صاحبهم .

قوائم ملوك الغساسنة :

ولا بد لي ، وقد انتهيت من الكلام على الغساسنة ، من الإشارة إلى ضعف مادة الأخباريين عنهم ، وقلة معرفتهم بهم ، فأنت إذا درست هذا الذي روي عنهم ، وحصلته تحليلاً علمياً لا تخرج منه إلا نتائج تاريخية محدودة ضيقة تترك انهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم إلا القليل ، وانهم لم يحفظوا من أسماء أفراد الأسرة الحاكمة غير أسماء قليلة ، وما عداها فتكرار وإعادة لهذه الأسماء القليلة ، أو أوهام . وأنت إذا راجعت التواريخ مثل تاريخ الطبري لا تكاد تجد فيها شيئاً يذكر عن هذه الأسرة . وقد تفوق كتب الأدب كتب التاريخ في هذا الباب . ويعود الفضل في ذلك إلى الشعر ، فلعدد من شعراء الجاهلية أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم ، ولم معهم ذكريات حفظت بفضل هذا الشعر الذي يرويه الرواة ويروون المناسبات التي قبل فيها . فلولا ضاع أيضاً هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة .

وحسني القوائم ، وهي جافة في الغالب ، لا تستند أيضاً إلى علم بالوضع من هذا الترتيب الذي يحاول أصحابه إظهاره لنا بمظهر الواقع والحس . ولن تكسب سنوات الحكم المذكورة مع كل ملك ثقتنا بها . ولا أعادنا عليها . وقد اعتد

١ التوادر ، للقالبي (ص ١٧٩) ، (خبر الشيطم الغساني ونزوله بملك الشام مستجيماً) .

أكثر من رتب أسماء أمراء الفساسة على رواية (ابن الكلبي) ، غير أنهم كما يظهر من مدوناتهم لم يرووها عنه رواية تامة ، بل تصرفوا فيها ، فزادوا عليها أو نقصوا منها وحرّفوا فيها بعض التحريف . وأخذ آخرون من موارد أخرى ، واستعان بعض آخر بما رواه (ابن الكلبي) وبما رواه غيره وأضافوا إليه ما عرفوا من أسماء المذكورين في الشعر ، وهم من سادات قبيلة (غسان) ، ولم يكتفوا كلهم ملوكاً ، فجاءت النتيجة قوائم متعددة بتعدد مشارب أصحابها ، وهي على العموم شاهد عدل على ضعف الأخباريين في المحاكات وفي منطلق التاريخ . وقد درس (نولدكه) معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الفساسة ، ونقلها وغرّبها ، وقارن الحاصل بما وجدته في الموارد السريانية والبيزنطية ، واستخلص من تلك الدراسة هذه القائمة :

أبو شمر جبلة . حكم حوالي سنة ٥٠٠ م تقريباً .

الحارث بن جبلة . استمر حكمه من حوالي سنة ٥٢٩ حتى سنة ٥٦٩ م .

أبو كرب المنذر بن الحارث . حكم من سنة ٥٦٩ حتى سنة ٥٨٢ م .

التميم بن المنذر . وكان حكمه من سنة ٥٨٢ حتى سنة ٥٨٣ م .

الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر .

الحارث الأخرج بن الحارث الأصغر .

أبو حجر التميم . بين سنة ٥٨٣ وسنة ٦١٤ م .

عمرو .

حجر بن التميم .

٩ ٩ ٩ ٩

جبلة بن الأهم . حوالي سنة ٦٣٥ م .

ورث (ابن قتيبة الدينوري) ، أسماء ملوك الفساسة على هذا النحو :

الحارث بن عمرو بن محرق ، وهو (الحارث الأكبر) ، ويكنى (أبا شمر) .

الحارث بن أبي شمر ، وهو (الحارث الأخرج بن الحارث الأكبر) . وأمه

(مارية ذات القرطين) .

الحارث بن الحارث بن الحارث . وهو الحارث الأصغر بن الحارث الأخرج

ابن الحارث الأكبر .

وكان له أخوة ، منهم : النعمان بن الحارث . وهو والد ثلاثة بنين : حجر
ابن النعمان ، وبه كان يُكنى ، والنعمان بن النعمان ، وعمرو بن النعمان .
ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر
الأصغر . ومن ولده : المنذر بن المنذر والأبهم بن الحارث . وهو أبو (جبلة
ابن الأبهم) ، وجبلة آخر ملوك غسان^١ .
وأما السعدي ، فيرى أن عدة من ملوك آل غسان أحد عشر ملكاً ،
ذكر منهم :

- ١ - الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن
ماس (مازن) ، وهو غسان بن الأزد بن الغوث .
 - ٢ - الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة ، وأمه مارية
ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن جفنة بن عمر .
 - ٣ - النعمان بن الحارث بن ثعلبة بن جبلة بن جفنة بن عمرو .
 - ٤ - المنذر أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو .
 - ٥ - عوف بن أبي شمر .
 - ٦ - الحارث بن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث رسول الله .
 - ٧ - جبلة بن الأبهم^٢ .
- وذكر السعدي ، أن جميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً .
ولم يذكرهم في قائمته كلهم^٣ .

أما ملوك (الغساسنة) ، على ما جاء في (كتاب المحبر) ، فإنهم على هذا
النحو : (ثعلبة) ، قابنه (الحارث) ، قابنه (جبلة) ، قابنه (الحارث)
وهو المعروف به (ابن مارية ذات القرطين) ، و (النعمان بن الحارث) ،
و (المنذر) ابنه ، و (المنذر بن الحارث) ، و (جبلة بن الحارث) ،
و (أبو شمر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن عمرو بن
جفنة) ، و (الحارث الأعرج بن أبي شمر بن عمرو بن الحارث بن عوف بن

١ المعارف (٦٤٢ وما بعدها) ، (طبعة ثروت عكاشة) .
٢ مروج (٨٢/٢ وما بعدها) ، (دار الاندلس) .
٣ مروج (٨٦/٢) ، (دار الاندلس) .

عمرو بن عدي بن عمرو بن الحساس (وهو (حارثة بن بكر بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد) وليس بجفني ، ولكن أمه جفنية ، فلم يزل الملك فيهم حتى كان آخرهم (جبلة بن الأيهم بن جبلة) ، وهو الذي اتصل ملكه بخلافة عمر بن الخطاب^١ .

وجاء ترتيب ملوك الغساسنة في التعليقات التي طبعها (هرشفلد) مع ديوان (حسان) على هذا النحو : « كان أول من ملك من غسان : الحارث بن عمرو ابن عدي بن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو ، وهو أبو شمر الأكبر ثم الحارث بن الحارث بن أبي شمر ، فالخارث الأصغر بن الحارث الأوسط وهو الأعرج ، فالنعمان بن الحارث ، فجبلة بن الأيهم ، وهو الذي أدرك الإسلام^٢ . »

قائمة حمزة :

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غسان، القائمة التي ذكرها حمزة الأصبهاني وتآلف من :

- ١ - جفنة بن عمرو المعروف بمزقياء .
- ٢ - عمرو بن جفنة .
- ٣ - ثعلبة بن عمرو .
- ٤ - الحارث بن ثعلبة .
- ٥ - جبلة بن الحارث .
- ٦ - الحارث بن جبلة .
- ٧ - المنذر بن الحارث .
- ٨ - النعمان بن الحارث .
- ٩ - المنذر بن الحارث .
- ١٠ - جبلة بن الحارث .
- ١١ - الأيهم بن الحارث .

١ - المنير (ص ٣٧٢) .

٢ - ديوان حسان (ص ٩٦) ، (هرشفلد) .

- ١٢ - عمرو بن الحارث .
 - ١٣ - جفنة بن المنذر الأكبر .
 - ١٤ - النعمان بن المنذر الأكبر .
 - ١٥ - النعمان بن عمرو .
 - ١٦ - جبلة بن النعمان .
 - ١٧ - النعمان بن الأيهم .
 - ١٨ - الحارث بن الأيهم .
 - ١٩ - النعمان بن الحارث .
 - ٢٠ - المنذر بن النعمان .
 - ٢١ - عمرو بن النعمان .
 - ٢٢ - حجر بن النعمان .
 - ٢٣ - الحارث بن حجر .
 - ٢٤ - جبلة بن الحارث .
 - ٢٥ - الحارث بن جبلة (ابن أبي شمر) .
 - ٢٦ - النعمان بن الحارث (أبو كرب) .
 - ٢٧ - الأيهم بن جبلة بن الحارث .
 - ٢٨ - المنذر بن جبلة .
 - ٢٩ - شراحيل بن جبلة .
 - ٣٠ - عمرو بن جبلة .
 - ٣١ - جبلة بن الحارث .
 - ٣٢ - جبلة بن الأيهم .
- وقد نقل ابن خلدون من جملة كتب ألف منها الفصل الذي كتبه عن تأريخ آل غسان ، وكذلك الفصل الذي دونه عن تأريخ الحيرة . أما الموارد التي نقل منها فصل آل غسان ، فتواريخ ابن سعيد والمسعودي وابن الكلبي والجرجاني . وأما الموارد التي نقل منها ابن خلدون مادة فصله عن تأريخ الحيرة ، فتواريخ السهيلي وأبي عبيدة والطبري وابن اسحاق والمسعودي وابن سعيد والجرجاني والبيهقي^١ . وأكثر اعتماده في النقل على الطبري .

١ ابن خلدون (٢/٢٥٩ وما بعدها) .

وقد اكتفى ابن خلدون بالتبذ التي أدخلها من هذه الموارد ولم يُبدِ رأيه فيها ولم يرتبها ترتيباً زمنياً مع ذكر أهم الأعمال التي قام بها كل ملك من أولئك الملوك كما فعل حمزة مثلاً ، فأورد أسماء ملوك الغساسة ، كما ذكرتها الموارد التي أخذ منها ، أو نقلها في شيء من الاختصار ، فنقل قائمة المسعودي ، والمسعودي نفسه لا يتخذ بالترتيب والتدقيق ، ونقل قائمة الجرجاني وتبدأ بشعبة بن عمرو شقيق جذع بن عمرو قاتل ملك سليج . وتنقل بالملك من شعبة إلى ابنه الحارث ابن ثعلبة ، وهو ابن مارية عند بعضهم ، يليه ابنه المنذر ، ثم ابنه النعمان ، ثم أبي بشر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة على رواية بعض السابئين أو أبي بشر بن عوف بن الحارث بن عوف بن عمرو بن عدي بن عمرو بن مازن ، ثم الحارث الأعرج ، ثم ابن أبي شجر ، ثم عمرو ابن الحارث الأعرج ، ثم المنذر بن الحارث الأعرج ، ثم الأيهم بن جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ثم ابنه جبلة .

وقد ناقش تولدكه في كتابه عن آل غسان هذه القوائم التي نقلها ابن خلدون كما ناقش غيرها من القوائم التي وجدها في التواريخ المخطوطة أو المطبوعة التي تمكن من الحصول عليها، وأظهر ما فيها من غلط ونقص في نهاية ذلك البحث .

١ ابن خلدون (٢٨٠/٢) .
٢ (ص ٥٨ وما بعدها) من النص العربي ، (وصيغة ٥٣) من النص اللاتيني .

الفصل الحادي والأربعون

العرب والحبش

صلات العرب بالحبشة صلات قديمة معروفة ترجع الى ما قبل الميلاد . فبين السواحل الافريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصال وثيق قديم ، وتبادل بين السكان . اذ هاجر العرب الجنوبيون الى السواحل الافريقية وكونوا لهم مستوطنات هناك ، وهاجر الأفارقة الى العربية الجنوبية ، وحكموها مراراً ، وقد كان آخر حكم لهم عليها قبل الاسلام بأمد قصير .

ويرى بعض الباحثين ان أصل الحبش من غرب اليمن من سفوح الجبال، وفي اليمن جبل يسمى جبل (حبش) ، قد يكون لاسمه صلة بالحبش اللين هاجروا الى افريقية وأطلقوا اسمهم على الأرض التي عرفت باسمهم، أي (حبشت) أو الحبشة^١ .

ويرون أيضاً ان (الجز) أو (جيزان) كما يدعون كذلك ، هم Cesari الذين وضع (بليني) منازلهم على مقربة من (عدن) . فهم من أصل عربي جنوبي ، هاجر الى الحبشة وكون مملكة هناك^٢ . والى هؤلاء نسبت لغة الحبش، حيث عرفت بالجزرية ، أي لغة الجز^٣ .

Beilage, S. 75, 119, Conti Rossini, in Expéditions et Possessions
des Habasat en Arabie, Journal Asiatique, 1921, P. 5, Dte Araber, I, S. 114,
E. Littmann, in : Handbuch der Orientalistik, III, 2-3, 350, 378.

Die Araber, II, S. 374.

Die Araber, I, S. 114.

ويظن ان العرب الجنوبيين هم الذين موثوا السواحل الافريقية المقابلة بالعناصر السامية . وكانوا قد هاجروا مراراً اليها، ومن بين تلك الهجرات القديمة ، هجرة قام بها السبيون في القرن الخامس قبل الميلاد . وقد هاجر معهم (الحبش) في ذلك الوقت أيضاً . وقد توقف سيل الهجرات هذه حين تدخل (البطالة) في البحر الأحمر، وصار لهم نفوذ سياسي وعسكري على جانبي هذا البحر . غير أنها لم تقطع انقطاعاً تاماً ، إذ يرى بعض الباحثين أن العرب كانوا قد دخلوا الحبشة والسواحل الإفريقية المقابلة لها بعد الميلاد أيضاً ، فترحوا اليها فيما بين السنة (٢٣٢) والسنة (٢٥٠) بعد الميلاد مثلاً ، حيث ركبوا البحر ونزلوا هناك^١ .

وقد تبين أن السبيين كانوا قد استوطنوا في القرن السادس قبل الميلاد المناطق التي عرفت باسم (تعزية) Ta'izziya من أرض (أريتريا) ونجد الحبشة ، وكونوا لهم حكومة هناك . وأمدوا الأرضين التي استولوا عليها بالثقافة العريسة الجنوبية^٢ . ولم يقطع هؤلاء السبيون صلاتهم بوطنهم القديم ، بل ظلت أنظارهم متجهة نحوه في تدخلهم وهم في هذا الوطن بشؤونهم وإرسالهم حملات عليه واحتلالهم له في فترات من الزمن . ولعل ما جاء في أحد النصوص من (مصر) الحبشة ، قصد به هؤلاء الذين كانوا قد استوطنوا تلك المنطقة من إفريقيا^٣ .

وفي القرن السادس قبل الميلاد، كان الأوسانيون قد ترحوا الى السواحل الافريقية الشرقية ، فاستوطنوا الأرضين المقابلة لـ Pemba و (زنبار) Zanzibar وهي (عزانيا) Azania ، وتوسعوا منها نحو الجنوب . وقد عرف هذا الساحل في كتاب الطواف حول البحر الأريتري ، باسم Ausaniteae ، وهو اسم يذكرنا بـ (أوسان) . وقد ذكر مؤلف الكتاب ، أنه كان خاضعاً في أيامه (القرن الأول بعد الميلاد) ، لحكام Mapharitis^٤ . ويريد بهم حكام دولة (سبا وذو ريدان)^٥ .

وقد عثر الباحثون على حجر مكتوب في حائط كنيسة قديمة بالقرب من

Die Araber, I, S. 128. ١
 Arabien, S. 25. ٢
 Glaser 1976, Arabien, S. 26. ٣
 Periplus Maris Erythraei, 22, Arabien, S. 25. ٤
 Arabien, S. 25. ٥

(أكسوم) ، وإذا به كتب بالسبئية ، وفيها اسم الإلهة السبئية (ذات بعدن)
(ذات بعدن) (ذات البعد) وعثر على بقايا أعمدة في موضع (بعا) الواقع
شمال شرقي (عدوة) Adua ، تدل على وجود معبد سبئي في هذا المكان ،
كما عثر على مذبح سبئيخصص بالإله (سن) (سين) . وعثر على كتابات
وأشياء أخرى تشير كلها الى وجود السبئيين في هذه الأرضين^١ .

وعرف ملك الحبش بـ (النجاشي) عند العرب . والقفلة لقب تطلقه العربية
على كل من ملك الحبشة ، فهي بمنزلة (قبصر) ، القفلة التي يطلقها العرب
على ملوك الروم ، و (كسرى) التي يطلقونها على من حكم القرم ، و (تبع)
التي يطلقونها على من يحكم اليمن . أما في العربية الجنوبية ، فقد أطلقت لقفلة
(ملك) على من ملك الحبشة . وقد ورد (ملك اكسم) ، أي (ملك اكسوم)
وورد (ملك حبشت) ، أي ملك الحبشة . فأخذ العرب القفلة من الحبش .
وهي في الحبشة بمعنى جامع الضريبة ، والذي يستخرج الضريبة ، فهي وظيفة من
الوظائف في الأصل ، ثم صارت لقباً^٢ . وورد في بعض النصوص العربية الجنوبية
اذ لقب به (جذرة) مثلاً^٣ .

ويظن ان مملكة (أكسوم) التي ظهرت في أوائل أيام التصراية ، قد كانت
دولة أقامها العرب الجنوبيون في تلك البلاد . وقد استطاع الباحثون من العثور على
عدد من الكتابات تعود الى ملوك هذه المملكة ، دون بعض منها باليونانية مما
يشد على تأثير ملوك هذه المملكة بالثقافة اليونانية وعلى وجود جاليات يونانية هناك
نشرت لغاتها في الحبشة . وقد عرفت هذه المملكة بمملكة (أكسوم) (اكسم)
نسبة الى عاصمتها مدينة (اكسم) (أكسوم)^٤ .

وقد كان ملوك أكسوم وثنيين . بقوا على وثنتهم الى القرن الرابع أو ما بعد
ذلك للميلاد . ويظن ان الملك (عزانا) Ezana وهو ابن الملك (الاعبيدا)
Ela-Amida ، هو أول ملك تنصر من ملوك هذه المملكة وذلك لعثور الباحثين
على آثار تعود الى عهده ، ثريتنا القديمة منها أنه كان وثنياً ، وثريتنا الحديثة منها

Handbuch, I, S. 34.

Die Araber, II, S. 293.

Die Araber, I, S. 115, II, S. 295.

Die Araber, I, S. 114.

أنه كان نصرانياً ، مما يدل على أنه كان وثنياً في أوائل أيام حكمه ، ثم اعتنق النصرانية ، فأدخل شعارها في مملكته ، وذلك بتأثير المبشرين عليه^١ .

وفي جملة ما يستدل به على تأثير العرب الجنوبيين في الحبش ، هو الأبنجدية الحبشية المشتقة من الخط العربي الجنوبي . وقرب لغة الكتابة والتسويين عندهم من اللهجات العربية الجنوبية . وبعض الخصائص اللغوية والنحوية التي تشير إلى أنها قد أخذت من تلك اللهجات . ثم عثر العلماء على أسماء آلهة عربية جنوبية ومعروفة في كتابات عثر عليها في الحبشة والصومال . ووجودها في هذه الأرضين هو دليل على تأثير الأفريقيين بالثقافة العربية الجنوبية، أو على وجود جاليات عربية جنوبية في تلك الجهات .

وكما تدخل العرب في شؤون السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، فقد تدخل الأفريقيون في شؤون السواحل العربية المقابلة لهم . لقد تدخلوا في أمورها مراراً . وحكموا مواضع من ساحل العربية الغربية ومن السواحل الجنوبية وتوغلوا منها إلى مسافات بعيدة في الداخل حتى بلغوا حدود نجران .

ويظهر من الكتابات الحبشية ، أن الحبش كانوا في العربية الجنوبية في القرن الأول للميلاد . وقد كانوا فيها في القرن الثاني أيضاً . ويظهر أنهم كانوا قد استولوا على السواحل الغربية ، وهي سواحل قرية من الساحل الأفريقي ومن الممكن للسفن الوصول إليها وإتزال الجنود بها . كما استولوا على الأرضين المسماة بـ Kinaidokolpita في جغرافية (بطلميوس)^٢ .

وورد في نص من النصوص الحبشية ، أن ملك (أكسوم) ، كان قد أخضع السواحل المقابلة لساحل مملكته ، وذلك بإرساله قوات برية وبحرية تغلبت على ملوك تلك السواحل من الـ (Arrhabite) (الأرحب) (الأرحية) (أرحب)^٣ والـ Kinaidokolpita ، وأجبرتهم على دفع الجزية ، وعلى العيش بسلام في البر

Handbuch, S. 34, D.H. Müller, Epigraph., S. 37.

44. Aksum Expedition, 1913, BD., IV, S. 32.

Le Muséon, 1904, 3-4, P. 422.

(أرحب : حي أو مكان . وفي المجمع : أنه مخلاف باليمن يسمى بقبيلة كبيرة من همدان) ، (أرحب : بلد على ساحل البحر بينه وبين ظفار نحو عشرين فراسخ) ، تاج العروس (٤٩٢/٢) ، (طبعة الكويت) ، (رحب) .

وفي البحر ، ويرى بعض الباحثين أن المراد به (Arrhabite) بدو الحجاز . وأن Kinaldokolpita ، هم (كتانة) . وأن السواحل التي استول الأحياس عليها تمتد من موضع (لوبيكه كومه) Leuke Kome (القرية البيضاء) الى أرض السنين^١ .

ويرى (فون وزمن) أن احتلال الحبش لأرض Kinaldokolpita ، الأرض المسماة باسم قبيلة لا تعرف من أمرها شيئاً ، والتي ورد اسمها في كتابة Monumentum Adulitanum فقط وفي جغرافية (بطليموس) ، كان قبل تدوين تلك الكتابة وربما في حوالي السنة (١٠٠) بعد الميلاد . ويراد بها ساحل الحجاز وعبر من ينبع Iambia في الشمال الى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي شمال (وادي بيش) ، فشملت الأرض المذكورة والنهائم والساحل كله^٢ .

غير اننا نجد أن مؤلف كتاب (الطواف حول البحر الأبيض) يشير من جهة أخرى الى أن الساحل الأفريقي المسمى به (تنجانيقا) في الوقت الحاضر كان في أيدي الحبشيين في ذلك الوقت^٣ . ومعنى ذلك ان ملك حبر استطاع في أيام ذلك المؤلف من الاستيلاء على ذلك الساحل ومن ضمنه الى ملوكه . كما فعل أهل حضرموت وعمان لها بعد .

ووردت جملة (احزاب حبش) في النص الموسوم به (CIH 314 + 954) . وهي تشير الى وجود (احزاب) أي جماعات من الحبش في العربية الجنوبية . وقد يراد بها مستوطنات حبشة وقوات عسكرية كانت قد استقرت في تلك البلاد^٤ . كما وردت في النص الموسوم به Ryckmans 525 الذي يتحدث عن حرب أعلنها (الشرح بحضب) على (احزاب حبش) ، و (ذى سهرتن) و (شمر ذى ريدان)^٥ .

وأشار (اصطفيان البيزنطي) الى قوم دعاهم Abasynoi ، بظهر من قوله ان مواطنهم كانت في شرق حضرموت . ويفهم من كلامه أن هؤلاء كانوا حبشاً

Beitrage, S. 119. ١
Le Muséon, 1964, 3-4, P. 472. ٢
Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480. ٣
Die Araber, II, S. 275. ٤
Le Muséon, 1966, P. 154. Die Araber, II, S. 275. ٥

يقسمون في هذه الأرضين . وقد يكونون قد استولوا عليها بالقوة وألحقوا ما استولوا عليه بمملكة أكسوم^١ .

وورد في كتابات تعود إلى أيام (علهان نهقان) ، بأن هذا الملك كان قد تفاوض مع (جدرت) (جدر) ملك (أكسوم) والحيشة لعقد صلح معه . ويظهر من جملة « واقول وقدمن واشعب ملك حبشت » ، أي « وأقبال وسادات وقبائل ملك الحبشة » ، الواردة فيها ، أن ملك الحبشة كان يحكم جزءاً من العربية الجنوبية في ذلك الوقت ، وأن الملك (علهان نهقان) تفاوض معه لتحسين العلاقات السياسية فيما بينه وبين الحيش ولضمان مساعدتهم في حروبه مع منافيه وعصومه^٢ . ويرى (قون وزمن) أن تلك المفاوضات كانت قد جرت في حوالي السنة (١٨٠) بعد الميلاد^٣ .

وقد عقد (علهان) حلفاً مع الحيش ، ويظهر أنه عقده بعد انتهاء من الحرب التي أعلنها على حير . تلك الحرب التي اشترك الحيش فيها أيضاً وكذلك أهل حضرموت . ولما عقد (علهان) الحلف مع الحيش ، كان ابنه (شر أوتر) قد اشترك معه في الحكم^٤ .

ولم يدم الحلف الذي عقد بين (علهان) وابنه (شر أوتر) من جهة والحيش من جهة أخرى ، إذ سرعان ما نقض ووقعت الحرب بين (شر أوتر) وبين (الحيش) على نحو ما ذكرت في أثناء حديثي عن حكم (شر أوتر) . إلا أنه لم يتمكن من القضاء عليهم ، ولم يزعجهم عن اليمن . بل بقوا في الأرضين التي كانت خاضعة لهم والتي تقع في الجزء الغربي من اليمن^٥ .

وقد جساء اسم (جدرت) (جدر) على هذه الصورة : (جدر نجش اكسم) في النصوص . وورد على هذه الصورة : (جدرت ملك حبشت واكسم) في النص الذي وسم به Jamme 631^٦ . ومعنى الجملة الأولى (جدر نجاشي أكسوم) .

Die Araber, II, S. 275.
Nami 71 + 73, CIH 308.
Le Muséon, 1964, 3-4, P. 47, f.
CIH 308, 308a, Le Muséon, 1964, 3-4, P. 471.
Le Muséon, 1964, 3-4, P. 475.
Die Araber, II, S. 284, IV, S. 274.

ومعنى الحملة الثانية (جندة ملك الحبشة وأكسوم) . وقد قدر بعض الباحثين زمان حكم هذا النجاشي بحوالي السنة (٢٥٠) بعد الميلاد^١ .

ويظهر أن الحبش كانوا قد تمكنوا من دخول (عفار) عاصمة حير ، وذلك فيما بين السنة (١٩٠) و (٢٠٠) بعد الميلاد . وذلك في أيام (لعز زيهنت يهنتق)^٢ . ولا ندرى إلى متى بقوا فيها . والظاهر أن حكمهم فيها كان قصيراً .

وقد كان نزول الحبش في أرض اليمن في أيام حكم الملك الحبشي (عذبة) على ما بظن . وكان هذا الملك على صلوات حسنة بالرومان ، ففتح بلاده للمصنوعات الرومانية الثمينة ، وظل الحبش في اليمن في أيامه حتى وفاته ، فلما توفي أو عزل تولى ملك آخر مكانه هو (زوسكالس) Zoskales وقد أدى هذا التغيير إلى تبدل الحال ، إذ اضططر الحبش إلى التزوج من الأماكن التي كانوا قد استولوا عليها . ويرى بعض الباحثين أن ثورة قامت في الحبشة على حكم (عذبة) وأحلت (زوسكالس) محله . فانتفض أهل اليمن فرصة انشغال الحكومة بالاضطرابات التي وقعت بهذه الثورة ، ونهضوا على الحبش فأخرجوهم عن ديارهم ، وأخرج الحبش من السواحل التي كانوا قد استولوا عليها ، المعروفة بـ Kinaidokolptae ، ويراد بها ساحل الحجاز وصبر^٣ .

ووردت في النص الموسوم بـ (Ryckmans 535) ، لفظة (وذب هـ) (وذبه) ثم ذكرت بعدها جملة : (ملك أكسم) ، أي (ملك أكسوم) ، أو (ملك الأكسوميين) . وهو الملك الذي استعان به (شهر ذو ريدان) . وقد قرأ بعض الباحثين لفظة (وذبه) على هذه الصورة (عذبة) أو (وزيه) . وذهبوا إلى أنه ملك الحبشة الذي استعان به (شهر ذو ريدان)^٤ ، والذي تدخل في شؤون اليمن فيما بين السنة (٣٠٠) و (٣٢٠) بعد الميلاد^٥ .

ويظهر من القبط الطويل الذي تلقب به ملك (أكسوم)، أي الحبشة Ethiopia وهو الملك (عيزانا) Ezana ، أن اليمن وما جاورها من أرضين كانت خاضعة

١ Le Muséon, 1968, 141, Die Araber, II, S. 285.

٢ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 498.

٣ Le Muséon, 1964, 3-4, P. 480.

٤ Die Araber, II, S. 288.

٥ Die Araber, II, S. 296.

حكم الحبش في أيامه أيضاً . أما لقبه الذي تلقب به فهو : (ملك أكسوم وحمير وريدان وسبأ و سلحين) ، ويذكر بعد هذا القب أسماء ثلاثة مناطق إفريقية كانت تحت حكمه ، ثم عثم هذا القب بتمته ، وهي جملة : (ملك الملوك)^١ . و (سلحين) (سلحين) ، هو قصر ملوك سبأ وذو ريدان بمأرب .

وكان الملك (عيزانا) (عزانا) ، قد دخل في النصرانية بتأثير المبشر (فرومتيوس) ، الذي أرسله إليه الملك (قسطنطين) ملك البيزنطيين عام (٣٥٠) للميلاد أو (٣٥٦) . وقد فرض هذا الملك النصرانية على شعبه وأعلنها ديانة رسمية لمملكته كما جعلها الديانة الرسمية للعربية الجنوبية^٢ .

وكانت العربية الجنوبية خاضعة لحكم أبيه ، ولعله هو الذي أدخلها في حكمه . إذ كان أبوه وهو (الاميدا) Eila 'Amida ، قد لقب نفسه باللقب المذكور^٣ . ويرى بعض الباحثين أن حكم (عيزانا) لم يكن فيها بين السنة (٣٣٠) و (٣٥٠) بعد الميلاد أو بعد ذلك كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين ، بل كان في حوالي السنة (٤٥٠) للميلاد . ويرى أن ملكاً آخر كان قد تدخل في شؤون اليمن واستولى على ساحل Kinaldokopitae ، هو الملك (سمبروتس) Sembruthes وقد حكم على رأيهم في حوالي السنة (٤٠٠) بعد الميلاد^٤ .

ويرى بعض الباحثين أن الحبش استولوا على العربية الجنوبية بعد وفاة (شمر يهرعش) ، وأن ذلك كان في حوالي السنة (٣٣٥ م) . وأن (ليوفيلس) نصر عرب اليمن في حوالي السنة (٣٥٤ م) ، إذ أنشأ كنيسة في (ظفار) . وقد صار رئيس أساقفة (ظفار) يشرف على الكنائس التي أنشئت في اليمن وفي ضمن ذلك كنيسة (نجران) والكنائس الأخرى التي بنيت في العربية الجنوبية إلى الخليج^٥ .

وأعرف تدخل الحبش في العربية الجنوبية ، تدخلهم في شؤون اليمن في النصف الأول للقرن السادس واحتلالهم اليمن ، إذ بقوا فيها أمداً حتى ثار أهل اليمن

Le Muston, 1964, 3-4, P. 448.

Handbuch, I, S. 35, 36.

Handbuch, I, S. 36, 104, E. Littmann, Deutsche Aksum Expedition.

Altheim-Stiehl, Geschichte der Hunnen, 5, 175, Die Araber, II, S. 295.

Grohmann, S. 29.

عليهم ، فتمكنوا من انقاذ بلادهم من الحبش بمعونة من الفرس . وتركوا بذلك اليمن أبداً .

ويظهر من بعض الكتابات أن حصن (شحر) والسهل المحيط به كان في أيدي الحبش ، وقد ورد فيها اسم موضع (نخون) ، وهو (نخا) . ويرد اسم هذه المدينة لأول مرة . وتتناول هذه الكتابات حوادث وقعت سنة (٥٢٨) بعد الميلاد .

وتبدأ قصة دخول الحبش الى اليمن على هذا النحو : لما قتل ذو نواس من أهل لحيان قريباً من عشرين ألفاً ، أقلت منهم رجل يقال له (دوس ذو ثعلبان) أو رجل آخر اسمه (جبار بن فيض) أو غير ذلك ، ففسر على فرس له ، فأعجزهم حتى خرج فوصل الحبشة ، وجاء الى ملكها ، فأعلمه ما فعل (ذو نواس) بنصاري لحيان ، وأناه بالانجيل قد أحرقت النار بعقه ، فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست عندي سفن . وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث إليّ سفن أحمل فيها الرجال ، فكتب الى قيصر في ذلك وبعث اليه بالانجيل المحرق . فبعث اليه قيصر سفن كثيرة عبر فيها البحر ودخل اليمن .

وفي رواية أخرى أن (دوس ذو ثعلبان) قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على (ذي نواس) وجنوده وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا وثأت عتاً ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود . ولكني سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على هذا الدين ، وهو أقرب الى بلادك منا ، فينصرك ويمنعك ويطلب لك بئارك ممن ظلمك . فكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره وطلب ثأره ممن يغي عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دوس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي ، بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة ، وأمر عليهم رجلاً من أهل الحبشة يقال له أرياط ، وعهد اليه إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسايتهم وأبنائهم . فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دوس ذو ثعلبان حتى نزلوا بساحل اليمن . وسمع بهم ذو نواس ، فجمع اليه حير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا اليه على

اختلاف وتفرق لانقطاع المدة وحلول البلاء والنقمة ، فلم تكن له حرب ، غير أنه نأوش ذا نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ودخلها أرباط بمجموعه . فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه ، وجهه فرسه الى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه ، فكان آخر العهد به . ووطئ (أرباط) اليمن بالحيشة ، فقتل ثلث رجالها وأخرب ثلث بلادها وبعث الى النجاشي بثلاث سباياها ، ثم أقام بها^١ .

ويظهر من دراسة هذا المروي ، أن الرواة كانوا على اختلاف بينهم في حديثهم عن (أصحاب الأخدود) . وقد أشار العلماء الى هذا الاختلاف^٢ . وقد اختلفوا في زمانهم أيضاً ، واكتفى بعضهم بقولهم : « وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد »^٣ . وقال بعضهم : انهم كانوا باليمن قبل مبعث الرسول بأربعين سنة ، أظلمهم « يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري ، وكانوا ثبغاً وثمالين رجلاً ، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه^٤ . وجعل بعضهم عدد من قتل من نصارى نجران عشرين ألفاً ، وجعله بعضهم اثني عشر ألفاً ، وذكر بعض آخر ان أصحاب الأخدود سبعون ألفاً . وقد قتلهم (ذو نواس اليهودي) واسمه (زرعة بن ثبان أسعد الحميري) ، واسمه أيضاً (يوسف) . وجعله بعضهم (يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري)^٥ . وجعلوا زعيم نصارى نجران ، والذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران ، اسمه (عبدالله بن ثامر) . وكان قد أخذ النصرانية عن راهب ، رآه فلأزمه وتعلق به ، وأثر في قومه ، بشفاؤه الأمراض بالدعاء لهم الى الله لشفاؤهم ، فدخل كثير ممن شفاؤهم وبرؤوا بدينه ، وبذلك انتشرت النصرانية في نجران^٦ .

ولم يبين رواية الخبر المتقدم الأسباب التي دعت لنجاشي الحيشة الى الطلب من قائده (أرباط) بأن يقتل ثلث رجال اليمن ، ويخرب ثلث البلاد ، ويسبي

- ١ الطبري (١٠٥/٢ وما بعدها) . ابن قتيبة (ص ٣١١) ، الكشاف للزمخشري (١٥٩٤/٢) . تفسير البهصاصي (٣٩٥/٢) .
- ٢ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .
- ٣ تفسير القرطبي (٢٨٧/١٩) .
- ٤ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩) .
- ٥ تفسير القرطبي (٢٩٠/١٩) .
- ٦ تفسير القرطبي (٢٨٩/١٩ وما بعدها) .

ثلث النساء وأبنائهم وأن يتبع هذا النظام الثلاثي في العقوبة . ولم يذكروا الموارد التي أخلوا منها خبرهم على طريقتهم في أخذ الأخبار من غير تمحيص .
 وزعم (ابن الكلبي) أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر ، حل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المندب . فلما سمع بهم ذو نواس ، كتب إلى المقاول بدعوتهم إلى مظهرته ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً . فأبوا ، وقالوا : يقال كل رجل عن مقوله وناحيته . فلما رأى ذلك ، صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عدة من الأبل ، وخرج حسي لقي جمعهم فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها . فلما وجه الحبشة ثقات أصحابهم في قبض الخزائن ، كتب (ذو نواس) إلى كل فاحية أن اذبحوا كل من يريد اليكم منهم . ففعلوا . فلما بلغ النجاشي ما كان من ذي نواس : جهز سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة . فلما صار الحبشة إلى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ، ركب فرسه واعترض البحر فاقنصه ، فكان آخر العهد به^١ .

هذا مجمل ما ورد في كتب المؤرخين الإسلاميين والأخباريين عن ذي نواس . وقد أخذ بعضه مما علق في أذهان أهل اليمن عن ذلك الحادث ، وأخذ بعض آخر مما علق بأذهان أهل الكتاب عنه ، ويعود الفضل في تدوينه وجمعه إلى القرآن الكريم ، إذ أشار بإيجاز إليه : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٢ . فكانت إشارته هذه إلى أصحاب الأخدود حافزاً دفع بالمفسرين وأصحاب التاريخ والأخبار على جمع ما علق بالأذهان من هذا الحادث ، فجاء على الصورة المذكورة^٣ .

ولم يرد إلنا شيء من هذا القصص الذي رواه الأخباريون عن ذي نواس مكتوباً في المصنف . وكل ما ورد مما له علاقة بحادث دخول الحبشة اليمن ، هو ما جاء في النص المهم المعروف بنص حصن غراب والموسوم بـ REP. EPIGR. 2633 من أن الأحباش فتحوا أرض حبر وقتلوا ملكها وأقياه الحبيريين والأرحبيين .

١ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف بمصر) ، الحبر (ص ٣٦٨)

٢ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ٤ وما بعدها .

٣ Loth, Tabari's Korancommentar, Die « Leute der Grube ».

In ZDMG., 1881, II. 610.

ولم يذكر في النص اسم هذا الملك . ويعود تأريخه الى سنة (٦٤٠) من الفجر
الحميري الموافقة لسنة (٥٢٥) للميلاد^١ .

ويرى ونكلر مستنداً الى نص (حصن غراب) أن (ذا نواس) كان هو
البادئ بالحرب ، وأن السيفع أشوع وأولاده أصحاب النص كانوا في معية الملك
ذي نواس في حركته على الحبشة ، غير أنه لم يكتب له التوفيق ، وأصيب بهزيمة
اذ سقط فهزم جمعه . وعندئذ غزا الحبش أرض اليمن واستولوا عليها . فأُسرع
السيفع أشوع وأولاده في الذهاب الى حصن (ماوية) لتحصن فيه ولتقوية وسائل
دفاعه ، ولم تكن قلوب هؤلاء مع ذي نواس ، وإنما أكرهوا على الذهاب معه .
وبقوا في حصنهم هذا الى أن دخل الحبش أرض اليمن ، فغلبهم معهم^٢ .

وقد أشرت الى ملخص ما جاء في التواريخ الاسلامية عن ذي نواس وعن
حادث تغلب نصارى نجران ، وهو حادث لم يكن بعد العهد عن الاسلام . فقد
أشير اليه بإيجاز في القرآن الكريم : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود .
اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^٣ . فجمع المقسرون
والأخباريون ما علق بالأذهان من هذا الحادث ورووا أخباراً متناقضة متباينة في
أصحاب الأخدود .

أما رأي اليهود - وهم طرف من أطراف هذا النزاع - عن حادث نجران
فلا علم لنا برأي رجاله المعاصرين في الحادث . إذ لم يصل إلينا شيء مقنون بقلم
مؤلف يهودي معاصر له . وقد أخذ الأخباريون - كما قلت - ما كان علق عن
ذلك الحادث بأذهان يهود اليمن ويثرب ، على لسان وهب بن منبه ، وأضرابه ،
أخذوه عن طريق الرواية والحفظ ، فهذا المتن في كتب أهل الأخبار والمنصوص
على سنته هو كل ما نعرفه من رأي اليهود المتأخرين في حادث نجران .

وأما ما رواه نصارى عنه ، وهم الطرف الثاني في النزاع ، فإنه أطيب
جداً وأوضح مما ورد في الموارد الاسلامية وفي الرواية اليهودية الشفوية اذ اعتمدت

١ REP. EPIGR. V, I, P. 5, Glaser, Die Abessinier, S. 131-132.

Mordtmann, in ZDMG., XLIV, 1890, S. 176.

Winckler, AOF., IV, 1896.

٢ « Zur Alten Geschichte Yemens und Abessinien », S. 321.

٣ سورة البروج : رقم ٨٥ ، الآية ١ وما بعدها .

المواد الإسلامية واليهودية على منابع شفهية ، هي السماع والرواية ، فجاء وصفها للحادث مزوفاً . أما الموارد النصرانية فقد اعتمدت على السماع والشافهة أيضاً ، ولكنها أخذت من موارد ووثائق مسجلة دون بعضها بعد وقوع الحادث بفنيل ، وكان لتدوينها الحادث أهمية كبيرة بالنسبة لمن يريد تأريخه والوقوف على كيفية حدوثه ، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المبالغات والتهويل ، والمواطف ، لأنها كتبت في ظروف عاطفية حامية . وتقلت من محيط للمبالغة فيه مكانة كبيرة ومن أفواه أناس ليس لهم علم بمنطق المحافظة على صدق الواقع . وقد دوت لبث حية التصاري على اقتاد أبناء دينهم المضطهدين في اليمن .

وقد أدرك بعضها زمن الحادث وأخذ سماعاً من رجال شهوده ، أو من رجال نقلوا رواياتهم من شهود العيان . فلهذه الوثائق إذن شأن عظيم في نظر المؤرخ . ومن هؤلاء الرحالة : (قزما) ، والمؤرخ (بروكوبوس) الشوفي في حوالي السنة (٥٦٠) للميلاد^١ . ومن الآخرين : المؤرخ (ملالا) Johannes Malala^٢ . وقد نقل من كتابه بعض المؤرخين الآخرين عنه ، مثل (ثيوفانس) Theophanes (٧٥٨ - ٨١٨)^٣ و (سستريوس) Georg Cedrenus ، و (نيقفورس كالستي) Nicephorus Callisti^٤ .

وكان (قزما) المعروف بـ Cosmas Indicopleutes أي (قزمابحار البحر الهندي) ، وصاحب كتاب (الطبوغرافية النصرانية) Christian Cosmography وكتاب (البحار الهندية) (بحار البحر الهندي) Indicopleutes في مدينة (أدولس) Adulis ، الواقعة على ساحل الحبشة على المحيط الهندي بنقل كتابة (بطليموس) Ptolemaeus اليونانية بأمر التجاشي (Etesboas) (Etesboan) في العهد الذي كان فيه التجاشي يتهايم لغزو أرض حير^٥ . فكتب في جملة ما كتبه

^١ Procopius, History of the Wars, Musil, Palmyrena, P. 336.

^٢ Johannes Malala, Chron., ED : Bonn.

^٣ Theophanes, Chronographia, ZDMG., 1881.

^٤ Nicephorus Callisti, Hist. Eccl., 11th, XVII, Cap. 32.

^٥ Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, II, P. 625.

ED : Montfaucon, P. 143, ZDMG., 1881, B. 3.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد الثالث والعشرون : الجزء الأول ، ١٩٤٨ ، (ص ١٨ وما بعدها) .

قصة غزو الحبشة ليمن بعد ٢٥ عاماً من وقوعه^١ . فروايته عن الحملة شأن كبير لأنها غير بعيدة عهد عن الحادث ، ثم ان صاحبها نفسه كان قد أدركها وقد سمع أخبارها من شهود عيان . ولعله كان نفسه من جملة أولئك الشهود ، شاهد السفن وهي تحمل الجنود لنقلهم الى اليمن ، واتصل بالرسامين الحبش واستفسر منهم عن الحملة .

ويظهر من رواية (قرما) ، ان الحملة كانت في أوائل أيام حكم القيصر (بيطينوس) Justinus (٥١٨ - ٥٢٧ م)^٢ . أما (ثيوفانس) Theophanes و (سترينوس) Cedrenus ومن اعتمد عليها ، فقد جعلوا الحملة في السنة الخامسة من حكم هذا القيصر ، وذكروا ان الليلى حل النجاشي على هذا الغزو هو تعذيب ملك حير لتصارى نجران ، وقد قتل هذا الملك^٣ .

ويعتدنا (ثيوفانس) و (سترينوس) عن غزو ثان قام به الحبش على حير لاعتدائهم على تجار الروم ، وذلك في السنة الخامسة عشرة من حكم (يوستينيانوس) Justinianus (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، وفي عهد النجاشي (أداد) Adad . أما ملك حير ، فاسمه (دميانوس) Damianus . وقد ذكر (ملالا) هذا الحديث محرّفاً بعض التحريف ، فجعل اسم النجاشي (أندس) Andas بدلاً من اداد ، وصير اسم ملك حير (دمنوس) Damnus عوضاً عن (دميانوس) Damianus ، وذكر حلة (أندس) هذه قبل جملة Elesbaas . وأشار الى أن النصرانية كانت قد انتشرت في الحبشة قبل أيام (أندس) . وذكر المؤرخان الآخران ان (أداد) تنصر على أثر احرازه النصر على الحميريين^٤ .

واعتدنا رواية سريانية ان النجاشي المسمى (ابدوك) Aldog حارب الملك (اكينودون) Xenodon ملك الحنود . ثم حارب (دميون) Dimion ملك حير لاعتدائه على تجار الروم واسيلائه على أموالهم . فانتصر (ابدوك) على ملك حير ، ثم تنصر ، وعين على حير ملكاً نصرانياً . فلما مات هذا الملك ،

J.B. Bury, History of the Roman Empire, II, P. 323.

Cosmas, P. 141, ZDMG., 31, 1877, 66.

ZDMG., 31, 1877, 66, Theophanes, I, 260.

Mordmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Theophanes,

I, 346, Cedrenus, I, 656.

عذب خلفه نصارى نجران ، ففزا (ايدوك) حير وانتصر عليها . وأقام عليها
 (ابرهام) (ابراهيم) Abraham^١ . ولا يشك المستشرق (فيل) Fell في
 أن المراد بـ (Adad) (Andas) (Aidog) رجل واحد هو التجاشي (كالب) ، وهو
 Eliesbaas (كلب الا أصبح) (كالب الا أصبح) . وأما Dimian و
 Xenodon ، فيراد بها (ذو نواس) . وقد تحدث (قل)
 Fell باطنا ب عن مختلف الروايات الواردة عن التجاشي (كالب) (كلب الا أصبح)
 و (الأعمدة) (عيلاميه) وعن انتشار النصرانية في الحبشة ، وأمثال ذلك ،
 فإليه يرجع من يطلب المزيد .

وفي الروايات اليونانية عن الشهداء أن الذي قام بتعذيب نصارى نجران هو الملك
 (ذو نواس) Dunaan ملك حير ، وإن ذلك كان في السنة الخامسة من حكم
 (يوستينوس) Justinus ، أن الذي غزا اليمن هو التجاشي Ela Atabehn
 Eliesbas . فلما دخلت جيوشه أرض حير ، فر Dunaan إلى الجبال فحصن
 فيها ، حتى إذا سمحت له الفرصة خرج فقتل من بقي من جيش التجاشي في
 اليمن واحتل مدينة (نجران) فقام عندئذ Eliesbas بحملة ثانية فانتصر بها على
 (Dunaan) وعين Abrames في مكانه^٢ .

وفي جملة ما لحق بقصص الشهداء الحيريين ، المناظرة التي جرت بين أسقف
 (ظفار) السبي (كريكتيوس) Gregentius وبين Herban اليهودي ،
 والظاهر أنها من القصص التي وضع في السريانية ولبت لها قيمة تأريخية بالغة^٣ .
 وقد دون (يوحنا الأفي) John of Ephesus المتوفي في حوالي سنة (٥٨٥)
 للميلاد في تأريخه الكنسي وثيقة مهمة جداً عن حادث تعذيب نصارى نجران ،
 هي رسالة وجهها (مار شمعون) أسقف (بيت أرشام) Simon of Beth Arsham
 المعاصر لهذا الحادث إلى (رئيس دير جبلة) Abt von Gabula يصف فيها
 ما سمعه وما قصه عليه شهود عيان من أهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Assemani, Bibl. Orient., I,

359, Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 19.

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 67, Anecdota Graeca,

Vol., V, P. I. (Holssomade Ed.).

Mordtmann, in ZDMG., 31, 1877, S. 69, Bury, II, P. 327.

وما لا فوه هناك من أصناف العذاب^١. ومنه أدخلها البطريق (ديوثيسوس) Patriarch Dionysius ، فأدخلها في تاريخه المؤلف بالسرانية . وقد نشرها (السمعاني) في مؤلفه (المكتبة الشرقية) . وتجد هذه الرسالة أيضاً في تاريخ (زكريا) Zacharias von Mitylene المتوفى في حوالي سنة (٥٦٨) للميلاد ، وهو بالسرانية أيضاً^٢ . وفي الرسالة اختلافات عن نسخ الرسالة الأخرى ، ولكنها غير مهمة على كل حال ولا تغير من جوهرها شيئاً^٣ .

وقد ذكر (شمعون) في رسالته أنه كان قد رافق (ابراهيم) (ابراهيم) Abraham والد (توتوسوس) Nonnosus الشهير في رسالة خاصة أمر بها القيصر (يوسطينوس) Justinus الأول إلى ملك الحيرة (المنذر الثالث) . وكان ذلك في العشرين من كانون الثاني من سنة (٨٣٥) من التاريخ السلوقي، وتقابل هذه السنة سنة (٥٢٤) للميلاد. فلما بلغا قصر الملك ، سمعا بأخبار استشهاد نصارى نجران . وعلم به (شمعون) من كتاب وجته ملك حبر إلى ملك الحيرة ، يطلب منه أن يفعل بنصاري مملكته ما فعله هو بنصاري نجران . وقد قرىء الكتاب أمامه ، فوقف على ما جاء فيه ، وعلم به أيضاً من رسول أرسله في الحال إلى نجران ليأتيه بالخبر اليقين عن هذه الأعمال المحزنة التي حلت بالمؤمنين^٤ .

وقد وجه شمعون في نهاية الرسالة نداءً إلى الأساقفة خاصة أساقفة الروم ليعلمهم بهذه القاجعة التي نزلت بأخوتهم في الدين ، وإلى بطريق الاسكندرية ليتوسط لدى

١ مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، المجلد الثالث والعشرون الجزء الأول السنة ١٩٤٨ (كتاب الشهداء الحميريين) ، غار أنطاكيوس أفرام ، النصرانية (٦١/١) .

Fell, « Die Christenverfolgung, in Sedarabien und Himjarisch Athiopischen Kriege nach Abessinischer Überlieferung », in ZDMG., 35, 1881, S. 2, Assemani, Bibl. Orient., I, P. 364. Bury, II, P. 323.

٢ النصرانية (٦١/١) ، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ، الجزء المذكور (ص ١٨) . القول المنشور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥١) ، حصص سنة ١٩٤٣ .

Assemani, Bibl. Orient., I, 369, ZDMG., 35, 1881, S. 3.

Zacharias, Historia Miscellanea, by J.P.N. Land, Entitled Zacharias Episcopi Mitylenes Allicumque Scripta Historica Graeca Pierumque Deperdita, Constituting, Land, Anecdota Syriaca, vol. 3, Leiden, 1896.

ZDMG., 35, 1881, S. 3, Bury, II, P. 323, Fragmenta Histori. Graeca, IV, P. 177.

تجاشي الحبشة في مساعدة نصارى اليمن ، كما وجه نداءه الى أحبار (طبرية)
للتأثير على ملك حبر ، والتوسط لديه بالكف عن الاضطهاد والتعذيب^١ .
وقد درس عدد من الباحثين هذه الرسالة ، ونقدوها ، وهي في الجملة صحيحة
ووثيقة مهمة لا شك في ذلك بالنسبة الى من يريد الوقوف على موضوع استشهاد
نصارى نجران . أما ما جاء فيها على لسان ملك حبر من جمل وعبارات استخلصت
على حد قول (شععون) من الرسالة التي وجهها ملك حبر إلى المنذر ، فسألة فيها
نظر ، وقضية لا يمكن التسليم بها ، فلا يعقل أن يكون ما قيل فيها على لسانه
قد صدر منه . وما دون فيها من عبارات يحق الشهيد (حارثة) (Aretbias) ونصارى نجران
لا يعقل أن يكون قد صدر من ملك يهودي . ولكننا لا نستطيع
أن ننكر أو نتجاهل أمر الرسالة التي أرسلها الملك إلى المنذر لحثه على اضطهاد
نصارى مملكته مقابل مبلغ يقدمه ملك حبر إليه . ولا داعي بدخول تكرارها
والشك فيها . وكل ما نستطيع أن نقوله إن الرسالة صحيحة ، ولكن ما دونه
شععون من جمل وعبارات على أنها من كلام ملك حبر ، هو من انشائه وكلامه ،
لا ترجمة حرفية للكتاب . وخلاصة ما يقال في الرسالة أنها وثيقة مهمة ، ولها
قيمة تاريخية في الجملة بغض النظر عن التفاصيل الواردة فيها وعن عواطف كاتبها
وعن المبالغات التي وردت فيها . وفي مركز صاحبها والمكانة التي كان فيها ما يسوغ
صدور مثل هذه الأمور منه ووقفه عليها^٢ .
ومن الوثائق التاريخية التي تتعلق بشهداء نجران كتاب ينسب إلى (يعقوب
السروجي) في السريانية في نصارى نجران ، وقصيدة في رثاء الشهداء لـ (بولس)
Paulus Bishop of Eddessa أسقف (الرها) Eddessa = Edessa ومدحه
اياهم ، وتشييد كنسي سرياني لـ (يوحنا بالطس) Johannes Psaltes رئيس
دير قسرين المتوفى سنة (٦٠٠) للميلاد^٣ ، وميمر ليعقوب الرهاوي^٤ .

١ EDMG., 35, 1881, B. 3.

٢ EDMG., 35, 1881, B. 4.

٣ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٨) ، المجلد المنشور في
تاريخ الآداب والعلوم السريانية (٢٥٤) ، وفي رواية أنه توفي في ٣٠ أكتوبر
٥٢٦ للميلاد راجع :
Bury, II, P. 324. EDMG., XXXI, 324, 363, 400, XXXV,
1881, B. 4.

٤ النصرانية (٦١/١) ، Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, I, 372, 397.

ويظهر مما ورد في (كتاب الشهداء الحميريين)^١ وفي رسالة (شمعون الأرشامي) أن (بعلبوس السروجي) أسقف (سرجيوبولس) Sergiopolis ، أي (الرصافة) كان من رجال البعثة المذكورة التي أوفدها القيصر (يوسطين الأول) (يسطونوس) Justin I إلى الملك (المنذر) . و (الرصافة) Sergiopolis هي (متروبولية منطقة القرات) Metropolis of Euphratensis بالنسبة إلى نصارى العرب . ويذكر مؤلف الكتاب المذكور أنه عَمِدَ وهو في (حيرة التمان) (حبرنا دي نعمان) Hirtha Dhe' Na'mana أحد سادات حمير ، واسمه (أفمو) ٩٣٨ ، وكان أحد الوثنيين الذين جاؤوا من اليمن إلى الحيرة ، وقد شاهد بنفسه تعذيب نصارى (نجران)^٢ . وقد كلفه ملكه ، أي ملك حمير، السفارة عند ملك الحيرة . ولكنه كان رقيق القلب ، فرق قلبه وهو في الحيرة على النصرانية ، فتنصر على يديه^٣ .

وقد نقل مؤلف كتاب الشهداء الحميريين صورة الكتاب الذي أرسله ملك حمير ، وقد دعاه (مسروقاً) Masruq ، إلى (المنذر بن الشقيقة) (منذر بر شقيقة) Mundhar bar Zaqlqa وهو يحرضه فيه على النصارى^٤ . ولا بد من الإشارة إلى الأثر المهم المنشور باليونانية لـ (يوحنا بولند) Johann Bolland وجماعته في عشرات المجلدات ، وإلى أثر آخر نشره (بوسونا) Boissona في اليونانية كذلك في خمسة مجلدات^٥ . فقد دونت في الكتاب الأول قصة الشهيد القديس (الحارث) Arethas وبقية شهداء نجران ، وقصة الحرب التي وقعت بين النجاشي وذوي نواس . ودونت في الأثر الثاني مضامين رسالة (مار شمعون) . وقد بين (فيندفل) Winand Fell رأيه فيما جاء في مجموعة (بولند) Bolland^٦ .

١ Axel Moberg. The Book of the Himyarites, Lund, 1924.

٢ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 349.

٣ Shahid, The Book of the Himyarites, in, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 354.

٤ Le Muséon, 1963, 3-4, P. 352.

٥ The Book of Himyarites, Chapter XXV.

٦ النصرانية (٦١/١) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين نسخة عربية من هذه الأعمال : (أعمال البولنديين) .

Acta Sanctorum Oct. Tom. X, 721, Antwerp, 1643.

٧ ZDMG., 35, 1881, B. 5.

ولنصوص الحبشة ولا شك أهمية عظيمة عند من يريد تدوين غزو الأحباش لليمن وتأريخ شهداء نجران إذ كانوا الطرف الرئيسي في هذا الحادث، وهم الذين أغاروا على اليمن فقتلوا ملك حير . لهذا وجه الباحثون أنظارهم نحوها وفتشوا عنها ، غير أنهم لم يعثروا على نصوص فيها أمور جديدة عن الحادث تنفرد بها . وما عثر عليه ليس بكثير . ومن ذلك كتابة عثر عليها (يوسف سايتو) Sapeto ، أشير فيها باختصار إلى القديس الحارث (حبروت) Herut وبقية الشهداء ، وجملة مخطوطات حبشية محفوظة في المتحف البريطاني وردت فيها أخبار الشهداء وغزو الحبشة لليمن ، وأمر (ذو نواس) المسمى فيها بـ (فتحاس) ، وهي لا تختلف في الجملة اختلافاً كبيراً عما جاء في أعمال (البولنديين) وأعمال القديس (أزقيز) التي نشرها (روسيني) ، وهو الذي استشهد بأمر ملك حير (شرحيل بن يشكف) مع (٣٨) آخرين^١ .

ينبني من بعض الموارد الإغريقية والحبشية أن الأحباش كانوا قد نزلوا بأرض حير قبل قيام ذي نواس بتعذيب نصارى حير بنين ، وأنهم انتصروا على ذي نواس ، فاضطروا إلى التقهقر إلى الجبال للاختباء بها ، وأنهم تركوا في اليمن جيشاً لحماية النصارى والدفاع عنهم . فلما مات قائد الجيش ونائب الملك ، انتهز ذو نواس هذه الفرصة فأغار على الجيش فتمكن منهم ، وعذب من وجد في بلاده من النصارى واضطهدهم ، وأغار على نجران ، وحاصرها مدة طويلة بلغت سبعة أشهر على زعم الرواية الحبشية . فلما طال الحصار، عمد ذو نواس إلى الخداع والغش ، ففاوض النجرانيين على التسليم له ، وتعهد إن فتحوا له المدينة ، ألا يتعرض لهم بسوء . فلما صدقوه وفتحوا المدينة له ، أعمل فيهم السيف ، فحمل ذلك الجيش على غزو اليمن^٢ .

وورد في كتاب الشهداء الحميريين ، ما يفيد بأن الجيش بعد أن نزلوا أرض حير ، عارضهم رجل اسمه (مسروق) وحاربهم وقاومهم ، وهاجم مدينته

١ النصرانية (٦١/١ وما بعدها) ، Sapeto, Viaggio e Mission e Cattolica fra i Mensa i Bogos etc., Roma, 1887, P. 412, ZDMG., 35, 1881, S. 9, Conti Rossini, Rendic. d. Reale Accad. d. Lincei, 1910, Ser. V, Vol., XIX, P. 795.
٢ ZDMG., 35, 1881, s. 13, Bury, II, P. 323.

(ظفار) عاصمة حير ، وكان الحبش قد استولوا عليها وتحصنوا بها ، ولما رأى (مسروق) أنه لا يتمكن من التغلب على الحبش الذين كانوا يحاربونه في مدينة (ظفار) ، أوفد إليهم كهاناً ويهوداً من طبرية ورجلين من الحيرة كانا نصرانيين في الاسم ، يحملون معهم كتاباً يهدم فيه أنهم إن سلموا له (ظفار) فلن يؤذيهم ، بل يعيدهم إلى الحبشة سالمين . فوثقوا بكلامه وصدقوه ، وخرجوا إليه وكانوا ثلاث مئة محارب على رأسهم القائد (أبابوت) ، فقبض عليهم وغدر بهم ، إذ سلمهم إلى اليهود فقتلوه . ثم أرسل من حرق بيعة ظفار بمن كان فيها من الحبش ، عددهم مئتان وثمانون رجلاً ، وكتب إلى الحبشيين أمراً بقتل النصارى قاطبة إن لم يكفروا بالمسيح ويتهودوا . وكتب إلى الحارث من أشرف مدينة نجران أن يأتيه مع من عتده من حملة السلاح لحاجته الشديدة إليهم . فلما بلغ الحارث مدينة ظفار ، وسمع بما حدث ، رجع إلى نجران . فحاصر مسروق المدينة ، وطال الحصار ، فراسل أهلها على الأمان . فلما فتحوا له مدينتهم ، غدر بهم ، وأحرق بيعتهم وأحرق خلقاً منهم بالنار رجالاً ونساءً وأطفالاً . وكان بعض قسيسهم من حيرة النعمان ومن الروم والفرس والحبشة .

فلما تمادى مسروق في غيه وفي قتل النصارى في نجران وغير نجران من مدن اليمن وقراها ، سار سيد من سادات القوم اسمه (أمية) إلى الحبشة فأخبر مطرانها (أوبروبيوس) و (كالب) النجاشي بما حل بنصارى اليمن ، فأمر (كالب) جيوشه بغزو حير ، فغزتها وقلقى على (مسروق) اليهودي ، وهو (ذو نواس) في كتب الإسلاميين .

هذه رواية في السبب المباشر لغزو اليمن . وفي رواية أخرى أن الملك (دميون) Dimion (دميانوس) Dīmianos ، ملك حير Homeritae ، كان قد أمر بقتل التجار الروم الذين كانوا في بلاده وينهب أموالهم انتقاماً من الروم الذين أساءوا في بلادهم معاملة اليهود واضطهدوهم ، فتنجب التجار الروم الذهاب إلى اليمن أو إلى الحبشة وإلى المناطق القريبة من حير ، فتأثرت التجارة مع الحبشة ، وتضرر الأحباش . فعرض النجاشي على ملك حير عروضاً لم يوافق عليها ، فوقع

١ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١١ وما بعدها) ،
Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 48.

٢ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

الحرب . وترجم الرواية أن النجاشي لم يكن نصرانياً ، فقبل له : إن كتب لك النصر فادخل في دين المسيح . فوافق على ذلك . فلما انتصر ، تنصّر ، وانتقم من حبر . ثم أرسل رجلين من ذوي قرابته إلى القيصر يطلب من إرسال أسقف وعدد من رجال الدين . وبعد بحث واستقصاء وقع الاختيار على Johannes Paramonaris من كنيسة القديس يوحنا ، فلعب مع عدد من الكهان ، فعمد النجاشي وأتباعه ، وأقام الكنائس ، وأرشد الناس إلى الدين الصحيح^١.

وقد عرف ذو نواس في النصوص النصرانية باسم Dimnus = Damian و Dimianus = Damiānos (مسروق)^٢ . ونرى تشابهاً كبيراً بين Dimnus و Damian و Damnus وكلمة (ذو نواس) العربية . فالظاهر أنها تحريف نشأ عن هذا الأصل . وأما النصوص الحبشية فقد دعت (فنحاس) Phn'has ، وهو اسم من أسماء يهود^٣ .

أما النجاشي الذي حارب حبر وغزا أرضها ، فقد دعاه (بروكوبيوس) باسم Hellesthenus^٤ . ودعاه غيره بأسماء قرية منه مثل Elsbawan = Elsbahan و Elsbawan = Elsbahan = Elsbahan و Elsbahan = Elsbahan . ويظهر أنها أخذت من (إبلا أصباح) Ela-Asbah أو (إبلاصباح) Ela-Sebah في الحبشة^٥ . ودعي أيضاً باسم آخر ، هو Aldug ، دعاه به (يوحنا الأعمى) Johannes von Ephesus^٦ و (أندس) Andas وقد دعاه (ملالا) بلنك^٧ . و Adad ودعاه به (ثيوفانس) و (سترينوس) Cedrenus^٨ . أما في الروايات الحبشية ، فقد سمي (كالب)

Glaser, Die Abessinier, S. 175, Bury, II, P. 322.

Dillmann, in ZDMG., VII, 357, Noldeke, Tabari, S. 188.

Glaser, Die Abessinier, S. 177, Fell, in ZDMG., 35, S. 17.

1881, Ludolf, Comm. Ad. Hist. Aeth., P. 233.

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء المذكور (١٥) .

Fell, in ZDMG., 35, 1881, S. 17, Ludolf, Comm., P. 233.

Procopius, History of the Wars, P. 189.

ZDMG., 35, 1881, S. 18.

Glaser, Die Abessinier, S. 176, ZDMG., 35, 1881, S. 19.

Assemani, Bibl. Orient. I, 359.

ZDMG., 35, 1881, S. 19, Malala, P. 434, Glaser,

Die Abessinier, S. 176.

Theophanes, I. P. 246, Cedrenus, I. P. 654.

Kaleb^١ . فهو إذن (الا أصبحت كالب) Elle 'Asbeha Kaleb وتعني (الا) Elle = Ella (ذو) أو من (آل) . وأما (أصبحت) ، فاسم أجداده وعشيرته التي انحدر منها . كما أن (ذا نواس) ، لا يعني اسم الملك ، بل لقب أسرته . فاسمه هو (يوسف) . ويكون التجاشي ، أي ملك الحبشة الذي جهز الجيش وفتح اليمن هو (كالب) من (آل أصبحت) أو (الا أصبحت كالب) كما عرف بذلك^٢ .

وقد تحول اسم التجاشي Ela Sebah = Elesbass إلى (أصبحت) في العربية . فقد ذكر بعض العلماء أن (أبرهة ملك اليمن من قبل أصبحت التجاشي)^٣ ، ف (أصبحت) إذن هو التجاشي المذكور .

والتجاشي Ela Atybeba = Elesboas ، وهو ابن التجاشي Tayena الذي كان على النصرانية . وقد خلف هذا التجاشي^٤ ، التجاشي Andas الذي كان قد أقسم أنه إذا انتصر في الحرب ينتصر . فانتصر ، فدخل في النصرانية . وصارت النصرانية ديانة رسمية للحبشة . وقد لقب Tayena بلقب (ملك اكسوم وحبر Homer وريدان وسياً وسلحين) في كتابة من كتاباته ، مما يدل على أنه كان قد حكم اليمن^٥ .

وقد عثر في خرائب مدينة (مأرب) القديمة ، على نص مصاب بتلف في مواضع عديدة منه ، تبين من دراسة ما بقي منه أنه مدون بلغة أهل الحبشة ، وأنه يتحدث عن غزو بحري لبيضاء لم يذكر اسمه في النص ، وقد يكون ذلك بسبب التلف الذي أصاب النص ، قام بذلك الغزو مدون النص ، وقد كان في سفينة تحمل إحدى عشرة سفينة أخرى ، فترل بذلك الميناء وتقلب عليه وتزل المحاربون من سفنهم ودخلوا الميناء ، فالتعدوا لخاتم وأمرى . ثم تلت هذه السفن دفعة ثانية من سفن جاءت محملة بالمحاربين ، نزلوا في موضع يقع جنوب الموضع الذي نزل هو فيه . لم يذكر اسمه في النص كذلك . وقد انتصر الغزاة على الأماكن

ZDMG., 35, 1881, S. 20.

Die Araber, III, S. 28.

تفسير النيسابوري (١٦٢/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) .

Dellmann, in ZDMG., VII, 357. Nöldeke, Tabari, S. 188.

Bury, II, P. 222.

التي هاجموها ، لأنهم كانوا مع الحق والشرع ، فكان الله معهم ، وكان أهل
الميناء على الباطل وضد الشريعة الحققة فموقبوا بالهزيمة^١ .

والنص المذكور - وإن كان مخلوفاً من كل إشارة إلى (ذي نواس) ، أو
إلى اسم (نجاشي) الحبشة ، أو إلى زمن وقوع الغزو والأماكن التي وقع عليها -
يشير إلى غزو الحبش لليمن في حكم (ذي نواس) ، وإلى تغلب الحبش عليه .
ويظهر منه أن القافلة الأولى تركت ساحل الحبشة من موضع (اندولس) (عدولس)
(عدولي) Adulla على ما يظهر وكانت بإمرة (الاصبحة) ، فعبرت باب
المنذب ، حتى وصلت إلى ساحل اليمن . وقد اختارت ميناء (عفا) موضعاً
للزول ، فتركت به وتغلبت على أصحابه . ثم جاءت قافلة أخرى نزلت في موضع
يقع جنوب هذا الميناء ، وتغلبت على أصحابه كذلك . ويلتصق ثم النصر للحبش .
ولم يشير النص إلى أسماء الموانئ التي تحرك منها الحبش ، أو الموانئ التي نزل
بها في ساحل اليمن .

وقد عالج الباحثون هذه الأسماء ، فرأى قسم منهم أنها تعني شخصاً واحداً
هو ملك الحبشة الذي حارب ذا نواس . ورأى آخرون أن المراد بـ Aldug
و Adad و Andas شخص واحد هو نجاشي حكم قبل هذا العهد ، أي في
القرن الرابع للميلاد ، وهو (الأعاميدة) (علاعاميدة) Eln Amida ، المعاصر
للقيصر قسطنطين ، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة على بعض الروايات .
وذلك لعدم انسجام هذه الرواية التي تنص على تنصر Aldug بعد انتصاره على
حبر ، كما أشرت إلى ذلك ، مع روايات أخرى تشير إلى تنصر ملوك الحبشة
قبل غزو اليمن هذا بكثير^٢ .

وترى الروايات العربية أن ذا نواس لما غلب على أمره ورأى مصيره السيء ،
ركب فرسه وسار إلى البحر فدخله فغرق فيه . أما الروايات الحبشية والإغريقية ،
فلأنها ترى أنه سقط حياً في أيدي الأحباش فقتلوه^٣ .

Die Araber, III, S. 24. ff., Journ. of Semit. Stud., 9,
(1944), P. 58. ١
ZDMG., 35, 1881, S. 20. ٢
ZDMG., 35, 1881, S. 16, Procopius, I, XX, I, Malala
S. 433. ٣

وهناك شعر نسب إلى علقمة ذي جدن زعم انه قاله ، هو :

لو ما سمعت بقتل حبر يوسف أكل الثعالب لحمه لم يقتبر ؟

وقد استدل منه (فون كيرمر) على أن ذا نواس لم يفرق في البحر كما في الروايات العربية الأخرى ، بل قتل قتلاً كما ورد في روايات الروم .

حكم السبع اشوع :

وذكر (بروكوبيوس) ان الذي حكم حبر بعد مقتل ملكهم هو رجل اسمه *Estralphatos = Estmiphaeus* اختاره النجاشي من نصارى حبر ليكون ملكاً على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية فرضي بذلك وحكم . غير أن من تبقى من جنود الحبشة في أرض حبر ثاروا عليه وحصلوه في قلعة ، وعينوا مكانه عبداً نصرانياً اسمه (ابراهيم) *Abraham* كان مملوكاً في مدينة (أدولس) (*Adulis*) لتاجر يوناني . فغضب النجاشي وأرسل قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتذيب من انضم إليه . فلما وصلت إلى اليمن ، التحقت بالنوار ، وقطعت الدعا وهو من ذوي قرابة النجاشي . فغضب *Hellestheaeus* عندئذ غضباً شديداً ، وسهر إليه قوة جديدة لم تتمكن من الوقوف أمام أنبا *Abram* فانهمزمت ولم يفكر النجاشي بعد هذه الخزيمة في إرسال قوة أخرى . فلما مات ، صالح *Abraham* خلفته على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك على اليمن ، فعين نائباً عنه .

وذكر (بروكوبيوس) أيضاً أن القيصر (يوستينيانوس) أرسل رسولا عنه إلى النجاشي *Hellestheaeus* *Ela Atzeba* وإلى *Estmiphaeus* اسمه (جوليانوس) *Julianus* ليرجو منها اعلان الحرب على القرس وقطع العلاقات التجارية معهم ، لأنها والقيصر على دين واحد ، فعليها مساعدة أبناء دينهم الروم والاشترائك معهم في قضيتهم ، وهي قضية عامة مشتركة ، على النصارى جميعاً الدفاع عنها .

ZDMG., 35, 1881, S. 16, Von Kremer, *Bédarabische Sage*, 82, 127.

Procopius, I, XX. 1-2, Bury, II, P. 324, John Malalas, XVIII, 452.

وطلب من ملك حير *Homeritae* خاصة أن يوافق على تعيين (قيس) *Kaisos* = *Caisus* (Phylarch) سيداً على قبيلة معد *Maddeni*، وأن يجهز جيشاً كبيراً يشترك مع قبيلة معد في غزو أرض القفرس. وكان قيس كما يقول (بروكوبيوس) من أبناء سادات القبائل، وكان شجاعاً قديراً وكفؤاً جداً وحازماً، قتل بعض ذوي قرابة *Estmiphaeus* فانهزم إلى البادية هائماً. وقد وعد الملك خيراً، غير أنه لم ينجز وعده، إذ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من قومه في الحرب.

وقد وصل رسول (جستيان) (يوسطنيان) *Justinian* سنة (٥٣١ م) إلى ميناء (اندولس) من البحر، ثم ذهب منه إلى (اكسوم) حيث وجد النجاشي *Ela Atybeba* واقفاً على عربة ذات أربع عجلات، وقد ربطت بها أربعة فيلة، وكان عازياً إلا من مترد كنان مربوط بذهب، وقد ربط صلى بطنه وذراعيه حلياً من ذهب. وبعد أداء هذا الرسول رسالته، ثار (ابرام) *Abram* على *Estmiphos*، وقضى على حكمه.

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بتجاح مهمته، معتمداً على الوعود التي أخذها من الملكين. غير أنها لم يفعلوا شيئاً، ولم ينفذوا شيئاً مما تعهدوا به للسفير. فلم يغزوا القفرس، ولم يعين (السميع أنشوع) (قيساً) (فيلارخساً) على قبيلة معد. وقد تحرش *Abramos* = *Abram* بالقفرس، غير أنه لم يستمر في تحرشه بهم، فإلّا لبث أن كفت قواته عنهم.

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة، له عند قومه مكانة ومترلة، وعند القيصر أهمية وحظوة. ولشخصيته وملكانة أسرته، أرسل رسوله إلى (السميع) لاقناعه بالموافقة على إقامته رئيساً على قومه. وبهذا يكتب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيد في خطته السياسية الرامية إلى بسط سلطان الروم على العرب، ومكافحة الساسانيين.

وقد زار (ابرام) *Abram* والد (نونوسوس) *Nonnosus* الذي أرسله

Procopius, I, XX, 9-13. ١

Bury, II, P. 326, f. ٢

Procopius, I, XX, 9-13. ٣

(جستبان) Justinian إلى النجاشي وإلى اليمن وإلى معد Caisos = Kaisos (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) ، وزاره (نونوسوس) نفسه في أثناء حكمه ، فأرسل (قيس) ابنه (معاوية) معه إلى القسطنطينية إلى (يوستنيان) ، ثم استقال (قيس) ، وصار أخوه رئيساً على معد ، وزار القسطنطينية ، فعيّن (قيلارخاً) على فلسطين^١ .

ويظهر من دراسة خبر المؤرخ (يروكوبيوس) أن قيصر الروم المذكور كان قد أرسل رسولاً عنه إلى (النجاشي) وإلى (السميع) ، إبان حكم السميع لليمن ، أي قبل ثورة (أبرام) (أبرهة) عليه . ولهذا كلفه الرسول في أمر (قيس) ، ولكنه أخفق في إقناعه بالعفو عنه وبالإعتراف به رئيساً على معد ، فلم يترف به إلى مقتله . فلما توفي ، جاء رسول القيصر ثانية إلى النجاشي وإلى أبرهة وإلى (قيس) بجملة تحريضهم لمعارضة الفرس ، وتوحيد كلمتهم . وكان (أبرهة) على عكس (السميع) على علاقة طيبة بـ (قيس) ، وقد قرر تنصيبه رئيساً على معد .

وقد أشار المؤرخ (ملالا) إلى خبر الرسول الذي أرسله القيصر إلى النجاشي لإقناعه بالاشتراك مع الروم في محاربة الفرس ، غير أنه لم يذكر اسم الرسول الذي أوفده القيصر إلى بلاط (أكسوم) . وقد ذكر أن النجاشي بعد أن تغلب على ملك حير عيتن أحد ذوي قرابته ويدعى Anganes = Aggan على الحميريين^٢ . وأما (يوحنا الأفندي) ، فقد دعاه Abramios ، ودعاه (ثيوفانس) (الحارث) Arethas^٣ .

و Esimiphaeus الذي نصبه النجاشي ملكاً على حير بعد مقتل ملكهم اليهودي ،

١ تاريخ العرب قبل الإسلام ، لجواد علي (٢٦١/٢) .
Bury, II, P. 328, Fragmenta Historicorum Graecorum, IV, P. 179,
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University
of London, Vol. XVI, Part : 3, P. 435.
٢ Malala, P. 456, Feil in ZDMG., 35, 1881, S. 34. ZDMG., 7. 473.
Bury, II, 324, Malala, XVIII. 457.
٣ Theophanes, I, P. 377, Feil, in ZDMG., 35, 1881, S. 35, Glaser,
Mitt., S. 428, S. 69, Seper.

هو (السمينع أشوع) ، صاحب النص الموسوم بـ CIH 621 بين العلماء . وقد
دونه مع أولاده : (شرحيل) يكمل) و (معديكرب يعفر) ، وسباعسة
من سادات القبائل منهم : أبناء ملحم (ملحم) ، وكبراء (كيور) قبائل
مخرج سيبان ذونف . وقد كان السمينع أشوع من (بني لحيت يرخم) ، وكان
هو وأولاده سادة (الهت) على : (كلن) (كلعان) أي الكلاع (وذيون)
(ذي يزان) (ذي يزأن) و (ذي جدن) و (ملن) (ملان) (مطلقن)
(مطلقان) و (شرفن) (شرقان) (شرقان) و (حب) (حيم) ويشعن
(يشعان) و (يشر) يشرم ويزر ومكرب (مكربم) و (عفت) (عفتة)
و (يزاي) (يزايان) ويلجب (يلجم) وغيم (غيمان) (جيان) ويسب
وجيح وجدوى (جدويان) و (كزر) (كزران) و (رخيث) وجردان
(الجرد) وقيل (قبلان) و شرجي (شرجا)^١ .

أما أبناء ملحم ، فقد كانوا على وحظت (وحظة) و (الهان) (الهن)
و (سلفن) (سلقان) (السلف) ، و (ضيقن) (ضيقت) (الضيقة)
و (ريان) (رثاج) و (رياح) و (ربحن) و (ركب) (ركبن)
و (مطلقن) (مطلقان) و (مطلقن) (مطلقان) و (ساكلن) (ساكلان) ،
و (زكرد)^٢ .

وقد دونوا النص المذكور ، لمناسبة ترميمهم وأصلاحهم أسوار ودروب ومناقل
وصهاريج حصن (موي) (عرمويت) ، (ماويت) (ماوية) ، وتحصنهم
فيه بعد أن جاء الحبش إلى أرض حير ففتحوها ، وقتلوا ملكها وأتباعه الحميريين
والأرحيين ، وذلك في شهر (ذو حجت) (ذي الحجة) من سنة (٦٤٠) من

CIH 621, CIH. IV, III, I, P. 54, REP. EPIG. 2633.

REP. EPIG. V, I, P. 5, Mlaker, in Zeitschrift für Semitistik, VII,

I. 1928, S. 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 271.

Glaser, Die Abessinier, 132.

التاريخ الحميري الموافق لسنة (٥٢٥) للميلاد^١.

ويظهر أن (السيفع أشوع) ، كان من أهل (نصاب) ، وكان قد هاجر لبب لا نعرفه هو وأولاده إلى الحبشة فأقام بها ، ثم عاد فاستقر في (عرمويت) أي في (حصن ماوية) ، وأخذ يوسع من هذا الحصن أرضه ويقتسح أراضي جديدة ويتقدم نحو الأراضي التي حكمها (ذو نواس) . فلما جاهر (ذو نواس) بمناصبة النصرانية والخيش والروم العداء ، كلفه الخيش والروم بمهاجمة (ذي نواس) وقدّموا له المساعدات المادية من عون عسكري ومالي ، ليستعين بها في تنقيله مشروعه هذا . وأخذ يشتري القبائل ويفرض نفوذه عليها بالقوة وبالمال حتى انتهى الأمر بزوال ملك (ذي نواس) ، فغيب (السيفع) حاكماً على اليمن ونائباً عن ملك الحبشة عليها ، إلا أن ثورة وقعت فيها ، قفّضت على حكمه ، فولى الأحباش شخصاً آخر في مكانه . وذلك بعد السنة (٥٣١) للميلاد^٢.

و (شرحب ال لخمى عت يرخم) (شرحبيل لحيمت يرخم) ، هو والد (السيفع أشوع) ، ولم يكن ملكاً ، غير أنه لم يكن من العامة ، بل كان من (القول) الأقيال . وذلك لعدم ذكر لقب الملك بعد اسمه ، وعدم نص ابنه (السيفع) على أن والده كان ملكاً . ويجوز أن يكون للسيفع أشوع أبناء آخرون ، غير الولدين : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (معديكرب يعفر) المذكورين في النص^٣.

وفي متحف استانبول نص وسم بـ Osm. Mus. No: 281 نشره وترجمه العالم

١ (سطرودن مزندن يعرن مويث) ، السطران السادس والسابع من النص ، (عرن) الحصن في الحميرية ، العرب قبل الإسلام لزبدان (١٢٥) ، وقد اختلف الباحثون بعض الاختلاف في قراءة أسماء الاعلام الواردة في هذا النص . السطر الحادي عشر من النص .

G. Hunt, Himyaric Inscriptions of Hism Ghurab, Translated and Elucidated, 1848, Praetorius, Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXVI, 1872, S. 436, J.H. Mordtmann, Neue Himjarische Inschriften, in ZDMG., XXXIX, 1885, S. 230, Von Maltzen, Reise nach Sudarabien, 1873, S. 225, REP. EPIG. 2833, REP. EPIG., V, I, P. 5, Glaser, Zwei Inschriften, S. 86, M. Hartmann, Die Arabische Frage, 1909, S. 387, J. Raymond Wellsted, Travels to the City of the Calipha, P. 21 Rodiger, Versuch, S. 13.

Beitrage, S. 92, 120.

Le Muséon, LXIII, 3-4, 1960, P. 273.

البلجيكي (ريكمنس) G. Ryckmans في مجلة Le Muséon ، وردت في مطلقه جملة : « نفس قدس سميع أشوع ملك سبا » ، وفي آخره عبارة : « بسم الرحمن وبهوه كرشش غلبن » ، ومعناها « بسم الرحمن وابنه المسيح الغالب »^١ . وفي هاتين الجملتين دلالة صريحة على أن السميع أشوع كان ملكاً على سبا وأنه كان على دين النصارى . وقد استعمل النص كلمة (كرشش) بمعنى المسيح واستعملها أهل الحبشة كذلك . وقد أدخلوها ، ولا شك من الروم . ويؤيد كون (السميع أشوع) نصرانياً ، ما ذكره المؤرخ (بروكويوس) من أن الحبشة عثت رجلاً نصرانياً من حبر اسمه Ezimiphaeus ملكاً على حبر ، وذلك بعد قتل الملك الحبيري الذي عذب النصارى في بلاده ، ويقصد به ذو نواس .

ولم يكن (السميع أشوع) ملكاً مستقلاً كل الاستقلال بتصرف بملكه كيف يشاء ، بل كان في الواقع تابعاً لحكومة (أكسوم) . يُفهم ذلك صراحة من هذا النص الذي أتحدث عنه . جاء في السطر الثالث منه : (امرامو نجشت اكسن يرو وهورن) ، أي (في أيام أميرهم نجاشي أكسوم بنوا وأسوا) . وجاء في السطر السادس : (الملكن الابحه ملك حبشت) ، أي (الملك الابحه ملك الحبشة) ، ويقصد به (الابحه) نجاشي الحبشة (الا أصبحت) Elle 'Asbeha الذي كان ملك الحبشة في ذلك العهد ، وعاصمته مدينة (أكسوم)^٢ .

وتعني كلمة (نجشت) الواردة في النص ملكاً أو أميراً في العربية ، وقد أخذها العرب من الحبش ، وأطلقوها على ملوك الحبشة ، وهي (نجاشي) و (النجاشي) في عربيتنا ، كما أطلقوا كلمة (قيصر) على أباطرة الروم^٣ .

وقد ذكرت في النص أسماء (ذوزان) (ذو يزن) و (حسن) (حسان) و (شرحيل) (شرحيل) قيل (ذو معفرن) ، أي قيل المعافر . و (اسودن) أي الأسود (وسيفع) قيل (ذو بعدان) (ذ بعدن) ، وزرعة قيل مرجيم ، أي مريح (المراحب) و (حارث) و (مرثد) أمراء (شعبان) و (شرحيل)

Handbuch, S. 106, Note : 4, Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 165, REP. EP2G, 3904, REP. EP2G., VI, II, P. 376, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Istanbul, 7600, Bta, Conti Rossini, Storia D'Etiopia, Milano, 1925, Vol. I, P. 186.

Le Muséon, LIX, 1-4, 1964, P. 167.

Enty., III, P. 817.

يكمل) ^١ . وجاء بعض هذه الأسماء في نصوص أخرى ، ومنها نص (حصن غراب) المتقدم وقد اشتهر بعض هذه القبائل في الإسلام .

ولدينا نص غفل من التأريخ وسمه العلماء بـ REP. EPIG. 4089 ، وردت فيه جملة أسماء ، هي : (شرحب ال يكمل) (شرحبيل يكمل) و (شرحب ال يقبل) (شرحبيل يقبل) ، و (مرثد علن احسن) (مرثد علن احسن) (مرثد علان احسن) ، و (سميع أشوع) أبناء (شرحب ال لحي عت برخم) (شرحبيل لحيعت برخم) أقبال (اقول) (ذو بزآن) (ذو بزآن) و (جدنم) (ذو جدن) و (يلجب) و (بصر) ^٢ . ويظن أن (السميع أشوع) المذكور هنا ، هو الملك الذي تحدث عنه ^٣ . ولم يلقب في هذا النص بلقب ملك ، كما لم يلقب به والده كذلك . والظاهر أنه كتب قبل عهد توليه الملك . وأنه لم يكن من الأسرة المالكة ، ولكن من أبناء اللوات والأعيان .

ووردت في نهاية النص جملة « الرحمن رب السماء والأرض » ، وهي عبارة تختلف عن العبارات المألوفة التي نعهدا في النصوص الوثنية القديمة ، نظهر منها عقيدة التوحيد والابتعاد عن الآلهة القديمة بكل جلاء ^٤ . غير أننا لا نستطيع أن نستخرج منها أن صاحبها كان يهودياً كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، أو أنه كان نصرانياً ^٥ . انما نستطيع أن نقول ان أصحاب هذا النص كانوا على دين التوحيد وكفى .

ومن الأسماء الواردة في هذا النص : (ضيفتن) (ضيفت) (ضيفة) و (ريعم) (ريج) (رباح) و (مهوت) (مهرة) و قبيلة (سبين) (سبان) ^٦ . وقد تكون مهوت (مهرة) ، هي مهرة التي نسب الى (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) في اصطلاح النسابين ^٧ .

ويقع (عرمويت) ، أي حصن (مويت) (ماوية) في جزيرة بركانية

١ Le Muséon, LIX, 1-4, 1946, PP. 161, 171.

٢ REP. EPIG., VII, I, P. 66, Boscawen, 13.

٣ Ryckmans 63, Le Muséon, LXIII, 3-4, 1950, P. 272, Beiträge, S. 92.

٤ السطر الحادي عشر من النص .

٥ Le Muséon, LXIII, 1950, PP. 272, 274.

٦ السطران الرابع والخامس من النص .

٧ منشآت (١٠٠) .

نسى (حصن الغراب) وهو الآن غراب . وقد عثر الباحثون في أنقاضه على كتابة وصحت به CIH 728 دوتها (صيد ايرد بن مشن) (صيد ايرد بن مشن) ، أحد أقبال (بدش) (باداش) . وورد فيها اسم (قنا) . وقد كان لهذا الحصن شأن كبير في تلك الأيام لحماية الجزيرة والميناء من الأعداء المهاجمين ومن لصوص البحر . وللدفاع عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع أفريقية والمند . ولهذا اهتم (السيفع أشوع) وأولاده بترميمه وإصلاحه وتقويته¹ .

وأما ميناء (قنا) الذي ذكرته في مواضع من هذا الكتاب ، وهو في الموضع المسمى بـ (بير علي) في الوقت الحاضر على رأي بعض الباحثين ، فقد كان من الموانئ المهمة على البحر العربي . وقد كان مرفأً للتجارة الآتية من الشمال ، أو من البحر لارسالها الى (شبة) ومواقع أخرى في شمال هذا الميناء² .

ومما يلاحظ أن المواضع الأثرية التي على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب قليلة معدودة . وتكاد تنحصر في أرض عدن وأيسن* وحصن الغراب وفي مواضع من أطراف (ظفار) وحول (المكلا) و (الشحر) وساحل مهرة . مع أن السواحل هي من المواضع التي يجب أن تكون في العادة عامرة بالمدن والموانئ بسبب سهولة اتصالها بالعالم الخارجي ، ووقوعها على طرق مائية تجلب اليها السفن والناس . والظاهر أن غلبة الجو في هذه السواحل وصعوبة حماية الساحل من لصوص البحر ، وتفشي الأمراض ، وملوحة المياه الجوفية ، وأسباباً أخرى ، كانت في جملة ما حال بين الناس وبين بناء المدن على هذه السواحل³ .

وقد اشتهرت (ظفار) بأنها المرفأً المعد لتصدير البان والمر* وحاصلات البلاد العربية الجنوبية الأخرى . وكان محاطاً بسور . أما المواضع الأخرى ، فلم تكن مسورة في الغالب . وقد أشار (كروب ايل ونر) في أخباره عن حروبه في السواحل الجنوبية أنه خرب مدينة (نفص) في (أبين) ، وأحرق مواضع أخرى على البحر ، يظهر أنها لم تكن مسورة . ويظهر أن هذه السواحل لم تكن مأهولة مثل الأرضين الشمالية العالية ، فلم يعثر الباحثون على كتابات كثيرة فيها

Beitrage, B. 91. 1
Beitrage, B. 93. 2
Beitrage, B. 87. 3

حتى الآن . وصارت مدينة (عدن) ومدينة (قنا) من أهم المرافئ على الساحل الجنوبي^١ .

هذا ولا بد لي هنا من الإشارة إلى كتابة حبشية ناقصة عثر عليها (أحمد فخري) سنة (١٩٤٧م) بمأرب ، فيها إشارة إلى دخول الحبشة إلى اليمن ، وإن لم ينص على ذلك نصاً ، ويظن أنها تشير إلى استيلاء (الأصبحة) النجاشي على اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وانتصاره على (ذي نواس)^٢ .

ويظهر من هذه الكتابة أن حملة الحبش على اليمن نقلت في قافلتين من السفن : تحركت القافلة الأولى بقيادة النجاشي الذي كان قد احتجز سفينة خاصة به ، فعبرت به باب المندب ورسّت عند ساحل اليمن . وكانت سفينة النجاشي أول سفينة بلغت ، ثم تلتها بقية السفن . وقد سقط من الكتابة اسم الموضع الذي رسّت السفن فيه ، ولعلّه (محّا) . ف وقعت معارك بين الحبش وبين الحميريين ، انتصر فيها الأحباش فأخذوا أسرى وغنائم . ولما كان النص ناقصاً وقد طلست من الكتابة الباقية منه كلمات ، فقد صار غامضاً مقتضباً ، إلا بإشارات^٣ .

أبرهة :

و Abraham و Ahrāmīos ، هما اسمان لمسي واحد ، أريد به (أبرهة) المشهور عند أهل الأخبار الذي اغتصب الملك باليمن ، ونصب نفسه حاكماً عليها ، ولقب نفسه بالقباب الملوك ، وإن اعترف اسمياً بأنه (عزلي ملكن اجعزين) ، أي (نائب ملك الأجاعة) على اليمن^٤ . وحكم اليمن أمداً ، وترك في نفوس اليابانيين أثراً قوياً .

ويرى بعض الباحثين أن (كالب ايلا أصيحة) ، كان قد أرسل حملة سنة (٥٢٣) للميلاد على اليمن ، حملتها إليها سفن ييزنطية ، نزلت في البلاد ونعلبت على (ذي نواس) فهرب (ذو نواس) من (ظفار) ، ثم عاد فهاجت

١ Beiträge, S. 88.

٢ Die Araber, III, S. 24.

٣ Die Araber, III, S. 24.

٤ راجع السطر الخامس من النص .

الحبش وأزّل بهم خسائر كبيرة ، واضطهد النصارى وعلّتهم . فحمل النجاشي على إرسال حملة جديدة عليه نزلت اليمن سنة (٥٢٥) للميلاد . وصارت في أيدي الحبش حتى سنة (٥٣٠) للميلاد . إذ قامت ثورة على الحبشة ، وانتهر (أبرهة) الفرصة ، فأخذ الأمر بيديه ، وبقي حاكماً على اليمن منذ هذا الوقت تقريباً حتى سنة (٥٧٥) للميلاد . وكان قد انتزع الحكم من (السيفع أشوع) ، الذي نصبه الحبش ملكاً على اليمن حين دخلهم إليها وعينوا رجلين من الحبش يحكماه معه ويراقبان أعماله لئلا يقوم بعمل يضر مصالحهم^١ .

ولأهل الأخبار روايات عن كيفية استئثار (أبرهة) بالحكم والخصايه له . لهم رواية تقول : إنه جاء الى اليمن جندياً من جنود القائد الحبش (أرياط) الذي كلفه نجاشي الحبشة بفتح اليمن ، فلما أقام باليمن سنين ، تازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ، حتى تفرقت الحبشة ، وخرج أبرهة على طاعة قائده ، ثم غدر به وأخذ مكانه^٢ . ورواية أخرى ، تقول إن النجاشي أرسل جيشاً قوامه سبعون ألفاً ، جعل عليه قائدين ، أحدهما : أبرهة الأشرم^٣ . فلما ركب ذو نواس قرصه وأعرض البحر فاتحهم وهلك به ، نصب أبرهة نفسه ملكاً على اليمن ، ولم يرسل له شيئاً ، فغضب النجاشي ووجه اليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرياط ، فلما حل بساحته ، بعث اليه أبرهة : « إنه يجتمعني وإياك البلاد والدين ، والواجب عليّ وعليك أن تنظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني ، فأينا ظفر بصاحبه كان الملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضي بذلك أرياط ، وأجمع أبرهة على المكر به . فأتعنا موضعاً يلتقيان به ، واكمن أبرهة لأرياط عبداً يقال له : « أرنبجده » ، في وهدنة قريب من الموضع الذي التقيا فيه ، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحرته ، فزالت الحرية عن رأسه وشرمت ألفه ، فسي الأشرم ، ونهض أرنبجده من الحفرة ، فزرق أرياط فأنقذه ، فقتله^٤ . وأخذ أبرهة الحكم لنفسه ، واستأثر به .

١ J. Ryckmans, L'Inst., P. 320, Grohmann, B. 31.

٢ الطبري (١٢٥/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٢٧/٢) (دار المعارف) .

٤ وذكر الطبري في خبر آخر أن اسم العبد الذي قتل أرياط (عثودة) الطبري (١٢٩ ، ١٢٨/٢) .

وتذكر رواية أخرى ، أن النجاشي كان قد وجه أرباط أباصمهم (ضلم) في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأداعها وغلّب عليها ، فأعطى الملوك ، واستلّق الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكموم ، فدعا إلى طاعته . فأجابوه ، فقتل أرباط ، وغلّب على اليمن^١ .

وتذكر رواية أن (أرباط) أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبنون وعمدان ، حصوناً لم يكن في الناس مثلها . ونسبوا في ذلك شعراً إلى (ذي جلدن) ، زعموا أنه قاله في هذه المناسبة^٢ . ويظهر من روايات أخرى أن تلك الحصون بقيت إلى ما بعد أيامه . وذكر أن (أرباط) كان فوق أبرهة ، أقام باليمن سنتين في سلطاته لا يتنازعه أحد ، ثم تنازعه أبرهة الحبشي الملك^٣ . وتجمع روايات أهل الأخبار على أن النجاشي غضب على أبرهة لما فعله باليمن ولما أقدم عليه من قتل أرباط ، وأنه حلف ألا يدع أبرهة حتى يبطأ بلاده ، ويجز ناصبه ، ويهرق دمه . فلما بلغ ذلك أبرهة ، كتب إلى النجاشي كتاباً فيه تودد واعتذار وتوسل واسترضاء ، فرضي النجاشي عنه ، وبث على عمله بأرض اليمن^٤ .

ولما استقام الأمر لأبرهة باليمن ، بعث إلى (أبي مسرة بن ذي يزن) ، فترج منه امرأته (ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) ، و (علقمة) هو ذو جلدن . وكانت ولدت لأبي مسرة معديكرب بن أبي مسرة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مسرة مسروق بن أبرهة ، وبساسة ابنة أبرهة . وهرب منه أبو مسرة^٥ .

ولأبرهة ذكر وشهرة في كتب أهل الأخبار والتاريخ . وقد ورد اسمه في الشعر الجاهلي ، وضرب به المثل في القوة والصيت والسلطان ، حتى لتجد أهل الأخبار يذكرون أسماء جملة أشخاص دعوهم (أبرهة) ذكروا أنهم حكموا اليمن .

- ١ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) ، أخبار مكة ، للأزرقي (٨١/١) وما بعدها ، (٨٨/١) ، (طبعة خياط) .
- ٢ الطبري (١٢٥/٢) ، (دار المعارف) .
- ٣ أخبار مكة ، للأزرقي (٨٧/١) ، (خياط) ، الطبري (١٢٨/٢) (سنين) ، (دار المعارف) .
- ٤ الطبري (١٢٨/٢) وما بعدها ، (دار المعارف) .
- ٥ الطبري (١٣٠/٢) (دار المعارف) .

والظاهر أن الشهرة التي بلغها في أيامه وغزوه القبائل العربية واستعماله القسوة معها، أحاطت بهالة في أيامه تضخمت فيما بعد ، فأحيط بقصص وأساطير وصير من اسمه جملة حكام حكموا باسم (أبرهة) .

فقد ذكروا اسم (أبرهة نبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صليبي بن سبأ) . وكان يقال له (الرائد)^١ . وجعلوا لأبرهة هذا ولدين ، هما : إفريقس ، والعبد ذو الأذعار . وأولد إفريقس شمر برعش^٢ . وذكروا (أبرهة) آخر ، قالوا له : (أبرهة بن شرحيل بن أبرهة) . وسمى (المحدثي) جملة رجال (أبرهة) ، وأدخلهم في (الأصاح)^٣ . ويظهر من دراسة اسم (أبرهة) ولعته في الحبشة أن الأخباريين أخذوها فصيروا منها أسماء عربية ربطوا بينها وبين تأريخ اليمن كما فعلوا مع أشخاص آخرين .

وقد ضرب (ليد بن ربيعة العامري) المثل بـ (أبي يكسوم) وهو أبرهة في وجوب الانعاطف بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد ، فقال :

لو كان حي في الحياة "مخلداً" في الدهر ألقاه أبريكسوم^٤
والثبّان كلامها ومحرّقي وأبو قيس فارس اليعسوم^٥

وقد ترك أبرهة وثيقة مهمة على جانب خطير من الأهمية ، وهي النص الذي وسم به Glaser 618 وبـ CIH 541 عند الباحثين في العريبات الجنوبية^٦ . وهي ثاني نص طويل يصل إلينا من اليمن ، يتألف من (١٣٦) سطراً ومن حوالي (٤٧٠) كلمة^٧ . وتبحث عن ترميم سد مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص

١ الطبري (٥٦٦/٢) (دار المعارف) ، (١١١/٢) .

٢ الأكليل (٥٣/٢) .

٣ الأكليل (١٤٣/٢) .

٤ ديوان لبيد (ص ١٠٨) ، (الكويت ١٩٦٢ م) .

٥ الأكليل (١٥٩/٢) .

٦ Glaser 618, (+ 553 + 555 + 556), CIH 541, CIH, IV, II, III, P. 278, Glaser, Zwei Inschriften über den Dammsbruch von Mareb, in Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1897, S. 391, Seper., S. 31-126, Ryckmans, 508, Jamme 546, A. J. Drewes, Inscriptions de L'Éthiopie Antique, 1982, 71, 1983, 65.

Handbuch, S. 106, Die Araber, I, S. 587, v

Le Muséon, 66, 1933, P. 340, Beeston, in BSOAS, 16, 1954.

العربي وتجلده مرتين ، وذلك في أيام أبرهة . المرة الأولى في شهر (ذو المذرج) من سنة (٦٥٧) من التأريخ الحميري المقابلة لسنة (٥١٢) للميلاد ، والثانية في شهر (ذو معان) (ذمعن) من سنة (٦٥٨) من التأريخ الحميري ، أي في سنة (٥١٣) من الميلاد^١ .

وقد افصح النص بالعبرة الآتية : « بحيل وردا ورحمت رحمن ومسحو وروح قدس سطرودن مزندن . ان ابره عزلى ملكن الجعزين رحمر زيمن ملك سبا وذو ريدن وحضرموت ويحتت واعربهمو طودم ونهت »^٢ أي : بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطرودا هذه الكتابة . إن أبرهة نائب ملك الجعزين رحمر زيمان ملك سبا وذو ريدان وحضرموت وأعرابها في النجداد وفي تهامة ، ويلاحظ أن أبرهة قد لقب نفسه في هذا النص باللقب الرسمي الذي كان يتلقب به ملوك حير قبل سقوط دولتهم ، مع أنه كان (عزلى ملكن الجعزين) ، أي نائب ملك الجعزين . والواقع أنه كان قد استأثر بالحكم في اليمن ، وحصر السلطة في يديه ، وصار الحاكم المطلق ، ولم يترك لنجاشي أكسوم غير الاسم ، حتى أنه دعاه في هذا النص بـ (ملك الجعز) حسب^٣ .

وفي النص حديث عن ثورة قام بها (يزد بن كبث) (يزيد بن كبشة) من السادات البارزين في اليمن . وكان أبرهة قد أنابه عنه ، وجعله خليفته على قبيلتي (كندت) و (دا)^٤ ، غير أنه ثار عليه لسبب لم يذكر في النص ، وأعلن العصيان . وانضم إليه أقبال (اقول) سبا و (اسحرون) ، وهم : (ذوسحر) و (مرة) و (نمكت) (ثماسة) و (حتش) (حتشم) و (مرند) و (حتف) (حتقم) (حتيف) و (ذخلل) (ذو خليل) و (ازاتن) (الأزان) والقبل (معلبكرب بن سميع) ، و (همن) (همان) والحوته أبناء أسلم . فلما بلغ نأ هذه الثورة مسمع (أبرهة) ، سار إليه جيشاً بقيادة (جرح فزير) (جراح ذو زبنور) ، فلم يتمكن أن يفعل شيئاً ، وهزمه

١ F. Praetorius, Bemerkungen zur den beiden grossen Inschriften vom

Dammbruch zu Marib, in ZDMG., 1899, S. 15.

٢ GH 541, Glaser 618. السطور الأولى من النص :

٣ Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib, II, 1897, S. 421.

٤ (خلفتهود ستخلفو على كندت ردا) . السطر الحادي عشر من النص .

Glaser, Zwei, S. 401, 413, Beper., 42, 54.

(يزيد) ، واستولى على حصن (كندر) (كندر) ، وجميع من أطاعه من (كندت) (كندة) ومن (حريب) حضرموت وهاجم (هجن اذمرين) (هجان الذماري) وهزمه واستولى على أملاكه ، وحاصر موضع (عبرن) (عبران) (العبر) . عندئذ قرر أبرهة معالجة الموقف بإرسال قوات كبيرة لرتق الخرق قبل اتساعه ، فجهز في شهر (ذ قيسن) (ذو القيس) (ذو قيسان) من سنة (٦٥٧) من التقويم الحميري أي سنة (٥٤٢) للميلاد جيشاً لجياً من الأحباش والحميريين ، وجهه نحو أودية (سأ) و (صرواح) ثم (نبط) على مقربة من (الوادي) (عبرن) (عبران) (العبر) . وفي (نبط) جعل أهل (الو) (الوي) و (لد) والحميريين في المقدمة . أما القيادة ، فكانت بأيدي القائدين : (وطح) (وطاح) و (عوده) (ذو جدن) . وبينما كان الجيش في طريقه لحرب (يزيد بن كشة) إذا به يظهر مع عدد من أنبائه أمام (أبرهة) يطلب منه العفو والصفح . أما الباقون ، فقد تحصنوا في مواضعهم ، وأبى الخضوع والاستسلام .

وبينما كان أبرهة يفكر في أمر بقية الثائرين إذا به يسمع بخبر سيء جداً ، هو تصدع سد (مأرب) ونهزم بعض توابعه ، وذلك في شهر (ذملرن) (ذو ملران) (ذو الملري) من سنة (٦٥٧) من تقويم حبر ، أي سنة (٥٤٢) للميلاد . فأمر مسرعاً بتحضير مواد البناء والحجارة ، وحدد أجل ذلك شهر (ذ صرين) (ذو الصرب) من السنة نفسها . وفي أثناء مدة التحضير هذه ، افتتح أبرهة كنيسة في مدينة مأرب يظهر أنه هو الذي أمر ببنائها ، ورتب لخدمتها جماعة من متصرة سبأ . ولما انتهى من ذلك عاد إلى موضع السد لوضع أسسه وأقامته مستعيناً بحمبر وبجنوده الجيش ، ولكنه اضطر بعد مدة إلى السماح لهم بإجازة ، ليهيئوا لأنفسهم الطعام وما يحتاجون إليه ، وليرجعهم مدة من هذا العمل المضني الذي تبرموا منه ، وليقضي بذلك على تلزم العاثرة السي لم تعود مثل هذه الأعمال الطويلة الشاقة . ورجع أبرهة في أثناءها إلى مأرب ، ففقد معاهدة مع أقبال سبأ وتحسنت الأحوال ، وأرسلت إليه الغلات والمواد اللازمة للبناء ، ووصلت إليه جموع من القعدة وأبناء العاثرة ، فعاد إلى العمل بهمة وجد ، فأجزه على نحو ما أراد ، فبلغ طوله خمسة وأربعين (أماً) ، أي ذراعاً ، وبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين (أماً) . أما عرضه ، فكان أربع عشرة ذراعاً ، بني بحجارة حر من (البلق) . والجزت أعمال قنواته وأحواضه والمشروعات الفرعية

المتعلقة به في (خيشم) (خبش) وفي (مفلم) (مفلل) (مقلول) .
وقد دون أبرهة في نهاية النص ما أنفق على بناء هذا السد من أموال، وما قدمه
إلى العمال والجيش الذي اشترك في العمل من طعام وأعاشة من اليوم الذي بدأ
فيه بالإنشاء حتى يوم الانتهاء منه في شهر (ذو معن) (ذو معان) من سنة
(٦٥٨) الواقعة لسنة (٥١٣) للميلاد .



مدينة مأرب ، وتقع على أنقاض مأرب القديمة
من كتاب : (Qataban and Bheba)

ويظهر من النص أن ثورة (يزيد بن كبشة) (يزد بن كبشت) كانت
ثورة عنيفة قوية، وأنها شملت حضرموت و (حريب) و (ذو جدن) و (حباب)
عند (صرواح) . ولكنها فشلت وتغلب أبرهة عليها بمساعدة قبائل يمانية ذكرها
في النص^١ .

أما (يزيد بن كبشة) فلا نعرف من أمره في الزمن الحاضر إلا شيئاً يسيراً،
وهو ما ذكره أبرهة في نصه عنه ، من أنه عيَّنه عاملاً ووكيلاً عنه على قبيلة
(كدت) (كدة) . وهي كندة على رأي أكثر العلماء^٢ .

١ Beiträge, II, 121.
٢ Glaser, Mitt., II, 434.

وأما الأقبال الذين انضموا إليه وساعلوه ، وهم : (ذو سحر) و (مرة) و (ثمامة) و (حنش) و (مرثد) و (حنيف) وآل ذو خليل وذو يزان (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (معد بكرب بن صبيح) و (همن) (هعمان) وانحوت أبناء أسلم . فهم يمثلون على الجسلة الطبقات الأرستقراطية القديمة في سبأ . فآل ذو خليل وذو سحر ، من الأسر التي ذكرت أسماؤها في النصوص المدونة قبل الميلاد . وقد أُرِخ بأسرة (ذي خليل) في نصوص المسند ، وذكروا في كتابات السبيين العتيقة التي تعود إلى أيام المكربين . وكان لهم في أيامهم شأن يذكر في تأريخ سبأ ، إذ كان منهم المكربون^١ . وذكر (الحمداي) اسم جماعة يقال لهم (البحر يون) ، قال : أنهم من ولد ذي خليل من حمير^٢ .

وليس من السهل تشخيص (مرة) و (ثمامة) ، فهما من الأسماء المتعددة المذكورة في الكتب العربية . وقد أُشير إلى (ثمامة بن حجير) ملك (قصر الحمعاد) في (عمران)^٣ . وذكر الحمداي (بني ثمامة) وقال : إن جباً مدينة الحافر ، وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الأصغر^٤ ، فهل يكون لخولاء صلة بـ (ثمامة) النص ؟

وذكر بعض الأخباريين اسم ملك من ملوك اليمن سموه (مرثداً) زعموا أنه كان آخر الملوك ، وزعم قسم منهم أنه حكم مدة قصيرة بعد (ذي نواس) ، فهل صاحب هذا الاسم هو (مرثد) المذكور في النص ؟ ولا عبرة بالطبع بما ذكر من أنه كان ملكاً ، فقد كان من عادة الأقبال والأذواء التلقب بلقب ملك^٥ .

وورد (ذو مرثد بن ذو سحر) ، في الموارد العربية^٦ ، فجمعت بين (مرثد) و (سحر) ، وورد اسم (سحر) واسم مرثد في النص ، فهل هنالك صلة بين هذه الأسماء ؟

ويرى (كلاسز) أن (ازان) ، هم (يزن) ، ومنهم (سيف بن

Glaser, Mitt., S. 456.	١
الصفة (١١٢)	٢
Glaser, Mitt., S. 456.	٣
الصفة (٥٤)	٤
Glaser, Mitt., S. 100.	٥
Glaser, Mitt., S. 100.	٦

ذى يزن) الذي ثار على الحبش، واستعان بالفرس لانقاذ بلاده من أيدي الأعداء.
وأما معديكروب بن سميع ، فيرى الباحثون أنه ابن (السميع أشوع)^١.
جاء اسمه بين أسماء الأقبال الذين ثاروا على أبرهة ، وانضموا الى ثورة (ابن كبشة) . فهو من الأقبال الخاضعين على أبرهة لاغتصاب أبرهة الملك
والده . ولما انقم الى (يزين بن كبشة) سيد (كدت) (كندة) وح
معه الحبش^٢ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب قضى على عصيان الأقبال الذين انضموا
ثورة (يزيد) ، وأبوا الخضوع لحكم أبرهة بعد استلام يزيد وخضوعه، وك
استلمت قبيلة كندار (كندار) (كندر)^٣ ، وتحسن موقفه بسلك كثير
وأصبح سيد اليمن وصاحب الأمر . أما الذين ساعدوه وآزروه وعاونوه وأ
حواله ، فهم : ذو معاهر^٤ و (بن ملكن) ابن الملك ومرجرف وذو ذر
وعدل (عادل) و ذو فيش ، وذو شولان (ذو الشولم)^٥ و (ذو شعبان
(ذو الشعب) وذو رعين (ذرعن) ، و (ذو همدان)^٦ و (ذو الكلاع)^٧
و (ذو مهلم) (ذو مهد) و (ذو ثت) (ذو ثت) (ذو ثات) و (ذو
و (ذو يزان) (ذو يزن) (ذو يزن) ، و (ذو ذيين) (ذو ذيلال
و (كبير حضرموت) كبير حضرموت ، وذو طرنة (ذو طرنة) . وقد ذ
النص أنهم كانوا إلى جانب الملك ، وأنهم كانوا على ود وصداقة معه . و
بالطبع من أسر عريقة ، ومن كباراء القوم ، وقد وردت أسماء بعض أسرهم
النصوص المدونة قبل الميلاد .

Glaser, Mittl., S. 181. ١

Handbuch, S. 106. ٢

Beilage, S. 91. ٣

(كندر) في النص ، السطر ٣٤ من النص . ٤

(ذو معهر) في النص السطر ٨٢ . ٥

(بن ملكن) السطر ٨٣ . ٦

(ذو ذرعن) ، السطر ٨٣ من النص . ٧

(ذو شولان) ، السطر ٨٤ من النص . ٨

(ذو شعبين) ، السطر ٨٤ من النص . ٩

(ذو همدان) ، السطر ٨٥ من النص . ١٠

(ذو كلعن) ، السطر ٨٥ من النص . ١١

ولم يذكر في هذا النص اسم (كبير حضرموت) ، أي كبير حضرموت
الذي كان يحكم حضرموت في أيام أبرهة ، ويظهر من ذكره مع الرجال الذين
حضروا إلى مأرب أنه كان تابعاً لأبرهة ، أو أنه كان حليفاً له^١ .

وتدل جملة (بن ملكن) ، على أن المراد بها (ابن الملك) ، أي (ابن
أبرهة) ، ولم يشر النص إلى اسمه . فلعله قصد أكبر أولاده . ويرى البعض أنه
كان يحكم (وعلان) (ذو ردمان) ، وأنه كان يلقب بـ (ذمهر) (ذو معاهر)
(ذو معهر) . وقد أشار (الحمداني) إلى (ذي المعاهر) . وذكر أنه قصر
(وعلان) بـ (ردمان)^٢ .

وفي أثناء وجود أبرهة في مأرب ، وفدت إليه وفود من النجاشي ومن ملك
الروم (ملك رمن) ومن ملك القرس (ملك فرسن) ، ورسل من (المنذر)
(رسل منون) ومن (الحارث بن جبلة) (رسل جرهم بن جبلة) ومن
(أب كرب بن جبلة) (أبكرب بن جبلة) (رسل أبكرب بن جبلة) ومن
رؤساء القبائل^٣ . ويلاحظ أن النص قد قدم النجاشي على ملك الروم ، كما قدم
ملك الروم على ملك القرس ، ثم ذكر من بعد ملك القرس اسم المنذر والحارث
ابن جبلة وأبي كرب بن جبلة (أبكرب بن جبلة) . أما تقديم النجاشي على
غيره فأمراً لا بد منه ، وذلك لسيادة الحبشة ولو بالاسم على اليمن ، واعتراف
أبرهة بسيادة مملكة اكسوم عليه . وفي إرسال مندوب عن النجاشي إلى أبرهة في
مهمة سياسية ، دليل ضمني على انفرد أبرهة بالحكم ، واستقلاله في إدارة اليمن
حتى صار في حكم ملك مستقل ، يستقبل وفود الدول ورسولهم ومن بينهم وفد
من ملك قامت حكومته بغزو اليمن والاستيلاء عليها . وأما تقديم ملك الروم على
ملك القرس ، فلصلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن ، فلروم الأسبقية
والأفضلية إذن على القرس .

ويلاحظ أيضاً أن النص قد استعمل كلمة (عشتك) لوفد أو الرسل الذين
جاءوا إلى أبرهة من النجاشي ومن ملك الروم ، فكتب (عشتك نجشني)

Glaser, Mitt., B. 487.

Beitrage, B. 33.

السطر ٨٨ من النص . وما بعده إلى السطر ٩٣ .

و (محشكت ملك رمن) أي (رسل النجاشي) (سفراء النجاشي) (سفير النجاشي) و (رسل ملك الروم) . وتعني كلمة (محشكت) في اللغة البشارة (الزوجة) ، فعبّر في هذا النص بهذه الكلمة عن معنى (سفير) (سفراء) و (رسل حكومة صديفة مقربة) ، فلها إذن هنا معنى دبلوماسي خاص^١ .
 أما بالنسبة إلى رسل (ملك الفرس) ، فقد أطلق عليهم كلمة (تنبئت) ، فكعب (تنبئت ملك فرس) ، أي (وفد ملك الفرس) وذلك يشير إلى أن لهذه الكلمة معنى خاصاً في العرف السياسي يختلف عن معنى (محشكت) ، وأن الوفد لم يكن في منزلة وفدي الحبشة والروم ودرجتها .

ولقد أحدثت مجيء متلوب النجاشي (ربحيز زيبين) ومتلوب ملك الروم ومبعوث ملك الفرس، ورسول المنذر ملك الحيرة ، والحارث بن جبلة وأبني كروب ابن جبلة ، أنراً كبيراً ولا شك في نفوس العرب الجنوبيين ، وفي نفوس الأقبال وقبائلهم ، فجاء هؤلاء إلى اليمن ، وقطعهم المسافات الشاسعة ، ليس بأمر يسير ، وفيه أهمية سياسية كبيرة . وفيه تقدير لأبرهة ولكائلته في هذه البقعة الخطيرة المسيطرة على البحر الأحمر وقه عند باب المنذب ، وعلى المحيط الهندي . كما أحدثت الأبهة التي اصطنعها أبرهة لنفسه في اليمن . والقوة التي جمعها في يديه أنراً كبيراً ولا شك أيضاً في نفوس المبعوثين الذين قطعوا تلك المسافات للوصول إلى عاصمة سيا ذات الأثر الخالد في النفوس^٢ .

ولم يكن مجيء هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة لمجرد التهنئة أو التلبية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات السياسة . ولكن لأمر آخر أبعد من هذه وأهم ، هي جرّ أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذلك ، وترجيح كفة على أخرى ، وخلق التجارة في البحر الأحمر ، أو توسيعها ، ومن وراء ذلك أمة نكية تحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، وأما ربح وافر يصيبهم بما لا يقدر . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، جبهتين : جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية : الروم والفرس . ولكسل طباؤون ومزمرّون من الممالك الصغيرة وسادات القبائل يطبلون وبزمرّون ، ويرضون أو يغضبون ، ويشيون أو يعاقبون لإرضاء

Glaser, Mitt., S. 408, Praescetus, in ZDMG., 48, S. 660.

Glaser, Mitt., S. 421.

الجهة التي هم فيها ، وزلّقى اليها وتقرّباً . لقد سحر الروم كل قواهم السياسية الهيمنة على جزيرة العرب ، أو إبعادها عن الفرس وعن الميادين البهم على الأقل . وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جهة تميل إلى الروم وتؤيد وجهة نظرهم وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب . وعمل العسكريون بكل جد وحزم على نشر وسائل الدعاية واكتساب معركة الدعاية والفكر ، ومن ذلك التأثير على العقول . فسمى الروم لنشر النصرانية في الجزيرة ، فأرسلوا المبشرين وساعدوهم ، وحرضوا الحبشة على نصرها ونشرها ، وسمى الفرس لنشر المذاهب النصرانية المعارضة للذهب الروم والحبشة ولتأييد اليهودية أيضاً ، وهي معارضة لسياسة الروم أيضاً . ولم يكن دين الفرس كما نعلم نصرانياً ولا يهودياً ، وإنما هو دين بغض إلى أصحاب الديانتين . ولم يكن غرض السروم من بث النصرانية أيضاً خالصاً لوجه الله بريئاً من كل شائبة .

أما النجاشي الذي أرسل الوفد إلى أبرهة فاسمه (ربحيز زيبان) (ربحيز زيبان) كما ذكر ذلك أبرهة نفسه . ولا يعرف من أمر هذا النجاشي شيء كثير ، ولا يعرف كذلك أكان قد خلف النجاشي (كالب إبلأصبحة) Kaleb Ela Asbeha الذي بأمره كان الفتح ، أم كان خطأاً للحليفة . وقد أشرت من قبل إلى ما ذكره (بروكويوس) وأهل الأخبار عن التوتر الذي كان بين نجاشي الحبشة وأبرهة ، وعن امتناع أبرهة عن دفع جزيرة سنوية إليه . ويظهر أن أبرهة رأى أن من الخير له مصالحة النجاشي والاعتراف بسلطانه اسمياً ، وفي ذلك كسب سياسي عظيم ، كما هو كسب للنجاشي ولو صورياً ، فدفع الجزيرة له ، وتحسنت العلاقات .

وأما (ملك رمن) ملك الروم ، فلم يذكر (أبرهة) اسمه في نصه . ولكن يجب أن يكون هو القيصر (يوستنيانوس) Justinian الذي حكم من سنة (٥٢٧) حتى سنة (٥٦٦) للميلاد ، وكان حكمه بعد حكم (يسطين) السني ولي الحكم من سنة (٥١٨) حتى سنة (٥٢٧) للميلاد . وكان (يوستنيانوس) (يوستنيان) قد وضع خطة لتحالف مع الحبش ومع حبر الإضرار بالفرس . وراسل (السميعع أشوع) Esmiphæus للاتحاد معه ومحاربة الفرس . فلما تولى (أبرهة) الحكم عاد القيصر فاقصده ، وتودد إليه لتنفيذ ما عرضه على (السميعع أشوع)

من مهاجمة القوس . فوافق أبرهة على ذلك ، وأغار عليهم ، غير أنه ترجع بسرعة^١ .

وأما (حرثم بن جبلة) ، فهو الحارث بن جبلة ملك الغساسنة ، وأما (ابكر بن جبلة) ، فإنه Abochorabus المذكور في تاريخ (بروكوبيوس) . وقد ذكر هذا المؤرخ أن القيصر (يوسطيانوس) (يوسطيان) Justinian كان عينه عاملاً (فيلارخا) Phylarch على عرب السريين Saracens بفلسطين ، وأنه كان رجلاً صاحب قابليات وكفاية ، تمكن من تأمين الحدود ومن منع الأعراب من التعرض لها ، وكان هو نفسه يحكم قسماً منهم ، كما كان شديداً على المخالفين له . وذكر أيضاً أنه كان يحكم أرض غابات النخيل جنوب فلسطين ، ويجاور عرباً آخرين يسون (معيني) (معد) Maddeni هم أتباع له (حبر) Homeritae^٢ .

أراد هذا الرئيس أن يضرب إلى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه إليه وفي إكرامه له ، فقتل له عن أرض ذات ثقل كثير ، هزقت عند الروم بـ Phoinikon (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) وهي أرض بعيدة ، لا تبلى إلا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، إذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم قائدها له ، وأصلها إلى أملاكه ، وعين هذا الرئيس عاملاً (فيلارخاً) على عرب فلسطين^٣ .

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسنة بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) Amorkesos الذي سبق أن تحدثت عنه في كلامي على علاقة العرب بالبيزنطيين .

و (غابة النخيل) التي ذكرناها ، تجاور أرض قبيلة (معد) Maddenol ، وكانت معد كما يظهر من أحوال المؤرخ (بروكوبيوس) خاضعة في عهده لحكم الحبريين . وقد ذكرت كيف أن القيصر توسط لدى (السيفع أشوع) ليوافق

EDMG, 35, 1883, S. 36.

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 189, Glaser, Mitt., S. 437.

Procopius, I, XIX, 2-16, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, P. 428.

Musil, Hegay, P. 397.

على تعيين (قيس) رئيساً على معد . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) ، فسبّر إليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة . أدّبها بقوة سبّرها إليها في شهر (ذو ثين) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها عسائر فادحة . وبعد أن تأديبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرو بن ملو) عليها ، وتراجعت القوة عنها^١ .

و Maddenol ، هي قبيلة Ma'addaya التي ذكرها (يوحنا الأفسوسي) John of Ephesus مع (طاية) Talyaye في كتابه الذي وجهه إلى أسقف (بيت أورشام) Beth Araham ، ويظهر من هذا الكتاب أن عسائر منها كانت مقيمة في فلسطين .

وفي القرآن الكريم سورة ، أشارت إلى سبل العرم ، هي سورة سبأ ، ورد فيها : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنات عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سبل العرم ويدكتاهم بحببتهم جنتين ذواتي أكل غصطن وأثلر وشيء من سدر قليل^٢ . ولم يحصد القسرون الوقت الذي تهدم فيه السدر^٣ .

ول (أبرهة) نص آخر ، كتبه بعد النص المتقدم ، بمناسبة غزوه (غزبو) (معلأ) ، في شهر (ذ ثين) (ذى ثبت) (ذى الثبت) (ذى الثبات) من شهور سنة (٦٦٢) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥٤٧) أو (٥٣٥) للميلاد . وهذا النص عثر عليه بعثة (ريكمنس) مدفوناً على صخرة بالقرب من بشر (مريخان) . فوسم به Ryckmans 506 . وقد ترجمه (ريكمنس) G. Ryckmans إلى الفرنسية ، ثم إلى لغات أخرى^٤ .

١ Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4, P. 277, Ryckmans, No. 506.

٢ سورة سبأ ، الآية ١٥ وما بعدها .

٣ تفسير الطبري (٥٢/٢٢ وما بعدها) ، تفسير النيسابوري (٥٠/٢٢ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري) تفسير الألوسي (١١٥/٢٢) .

٤ تاريخ العرب قبل الإسلام (٣٦٦/٤ وما بعدها) .

Le Muséon, 66, 1953, P. 275, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, Vol. XVI, Part, 2, P. 435, W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, B. 27, Sidney Smith, Events in Arabia in the 6th Century A. D. BSOAS, 1954, P. 433, A. F. L. Beeston, Notes on the Muralgham Inscriptions, in BSOAS, 1954, P. 329.

وفي النص مواضع طلست فيها معالم بعض الحروف ، عزّرت بلغاتها فهم المعنى وضبط الأعلام . كما أن فيها بعض تعابير معقدة ، عقدت على من عاجله فهم المعنى قهراً واضحاً ، ثم هو نص قصير لا يتجاوز عشرة أسطر ، واختصر وصف الحوادث حتى صيره وكأنه برقية من برقيات (التلغراف) ، ولكنه مع كل هذا ذو خطر بالغ ، لأنه يتحدث عن حوادث لم تكن نعرف عنها شيئاً ، ويصف الأوضاع السياسية في ذلك العهد ، ويشير إلى اتصال ملوك الحيرة بالحيش وإلى سلطان حكام اليمن على القبائل العربية ، مثل معد ، مع أنها قبائل قوية وكثيرة العدد . وهو مما يؤيد رواية أهل الأخبار في أنه كان لليمن نفوذ على قبائل معد وأن تباعة اليمن كانوا ينصبون الملوك والحكام على تلك القبائل .

وقد تلقب (أبرهة) في هذا النص كما تلقب في نص سد مأرب بلقب الملك الذي كان يتلقب به ملوك اليمن ، وهو : (ملك سبأ وذئ ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في النجساد (طودم) وفي المنخفضات (تهمم) ، (تامة) ، كما افتتحه بجملة : (بخيل رحمن ومسحور) ، أي (بحول الرحمن ومسيحه) ، وقد سبق له (أبرهة) أن افتتح نصه الذي دونه على (سد مأرب) بجملة : (بخيل ودا ورحمت رحمن ومسحور وروح قدس) ، ومعناها : (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس) ، والجملة من الجمل التي ترد في نصوص اليمن لأول مرة ، وذلك بسبب كون أبرهة نصرانياً ، وقد صارت النصرانية في أيام احتلال الحبش لليمن ديانة رسمية للحكومة ، باعتبار أنها ديانة الحاكمين . وعرف (أبرهة) في النصين بـ (ابره زيمم) ، أي (أبرهة زيمان) ، ولقطة (زي ب م ن) (زيمم) من ألقاب الملك في لغة الأحباش .
واليك هذا النص كما دونه (ريكنس) عن النص الأصلي :

« بخيل رحمن ومسحور ملكن ابره زيمم ملك سبأ وذئ ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودم وتهمت سطور ذن سطورن كغريو معدم غزوتن ريعتن بورخن ذئتن كفسدو كل بنيعمرم وذكى ملكن ايجبر بعم كدنت وعل وبشرم بنحصنم بعم سعلم وم . خ . ض . و وضرو قديمي جيشن على بنيعمرم كدنت وعل ود . ع . ز . ون . مردم وسعلم بود بمنهج تربن وهرجو وازرو ومنمو ذعسم ونحش ملكن

عجلين ودنو كقتل معتم ورهنو وبعدهو وزعمهو عسرم بن ملون ورهنهو بنهو
وستخلفهو على معتم معتم وقفلو بن حلين بجبل رحمن ورهنهو ذلني وسني
وست ماتم^١ .

وانصه في عربيتنا :

١ بحول الرحمن ومسيحه . الملك أبرهة زيبان ملك سبا وذو ريدان وحضرموت
وعنت (اليمن) وأعرابها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات) . سطرخوا
هذه الأسطر لما غزت معد : الغزوة الربيعية بشهر ذو القعدة (ذلّين) (ذوالقعدة) .
ولما غلظ (ثار) كل (بنو عامر) . أرسل الملك (أبا جبر) بقبيلة (كندت)
كندة وقبيلة (عل) و (بشر بن حصن) (بشر بن حصن) بقبيلة (سعد)
لحرب (بني عامر) فتحرّكا بسرعة^٢ وقدّما جيشها نحو العدو : فحاربت (كندت)
كندة وقبيلة (عل) بني عامر ومراداً ، وحاربت (سعد) بواد (يمنهج)
يمنهج (يؤدني) لئلا (ترين) (العرب) . فقتلوا من بني عامر وأسروا وكسبوا
غنائم^٣ . وأما الملك ، فحارب به (حلين) (حليان) ، وهزمت معد ، فرهنت
رهائن عنده .

وبعدئذ ، فإوض (عمرو بن المثلث) (عمرو بن ملون) ، وقدّم رهائن
من أبنائه . فاستخلفه (أقره) على معد . وقفل (أبرهة) راجعاً من (حلين)
(حليان) . بحول الرحمن . بتاريخ اثنين وستين سنة^٤ .

وقد درس بعض الباحثين هذا النص ، فذهب بعضهم الى أنه يشير الى حملة
أبرهة على مكة في العام الذي عرف عند أهل الأخبار به (عام الفيل) وأشير
اليها في القرآن الكريم^٥ . وذهب بعض آخر الى أنه يشير الى غزو قام به أبرهة
تمهيداً لحملة كان عزم القيام بها نحو أعالي جزيرة العرب ، فتوقفت عند مكة^٦ .

Le Muséon, 1963, 3-4, P. 377.

١ (ومخطو) . (وفي الحديث : أنه مر عليه بجنازة تمخض مخضاً ، أي تحرك

تحريكاً سريعاً) . اللسان (٢٣١/٧) . (صادر) . (م/خ/ط) .

٢ (نعيم) (المصمم : الاكتساب ، والاغتنام : الاكتساب) . اللسان

(٤٠٢/١٢) . (صادر) . (ع/س/م) .

٣ سورة الفيل . الآية ١ فما بعدها .

F. Altheim — R. Stiehl, Araber und Sassaniden, Berlin, 1964, S. 300-307.

Finanzgeschichte der Spätantike, S. 145, 353, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 426.

W. Caskel, Entdeckungen in Arabien, S. 30, Le Muséon, 1963, 3-4, P. 426.

وذهب آخرون الى أن ما جاء في هذا النص لا علاقة له بحملة الفيل ، ذلك لأن هذه الحملة كانت في سنة (٥٤٧) للميلاد على تقديرهم ، على حين كانت حملة الفيل سنة (٥٦٣) على تقديرهم أيضاً^١ .

وذهب (يسن) الى أن هذا النص يتحدث عن معركتين : معركة قسام بها (أبرهة) في (حلبان) : ومعركة كندة وسعد - مراد بموضع (ترين) (الرب) (تربة) ، وقد حاربت فيها جماعة من القبائل^٢ .

ويظهر من النص ان (أبرهة) غزا نفسه معداً في شهر (ذي ثين) من ربيع سنة (٦٦٢) من التقويم السبئي ، وانتهى بها في موضع (حلبان) (حلبان) ، فهزمها وانتصر عليها ، فاضطرت عندئذ الى الخضوع له ومهادنته ، والى وضع رهائن عنده تكون ضماناً لديه بعدم خروجها مرة ثانية عليه . فوافق على ذلك . وفيما كان في (حلبان) بعد انفلاقه مع معد ، جاءه (عمرو بن المنذر) (عمرو ابن مليرن) ، وكان أبوه (المنذر) عبته أميراً على معد ، ليفاوضه في أمر (معد) فقابلته بـ (حلبان) ، وأظهر له استعداد أبيه (المنذر) على وضع رهائن عنده لئلا يتكرر ما حدث ، وبحصول اعترافه على تولي عمرو حكم (معد) فوافق أبرهة على ذلك ، وقفل (وقفلوا) أبرهة راجعاً الى اليمن ، وسوى بذلك خلافه مع معد . وصار (عمرو بن المنذر) رئيساً على معد بتعيين أبيه له عليها وبثبیت (أبرهة) هذا التعيين^٣ .

و (حلبان) موضع في اليمن في أرض (حضور) ، وذكر انه موضع في اليمن على مقربة من (نجران) ، وانه موضع ماء في أرض (بني قشير) . وقد وعث ذاكرة أهل الأخبار على ما يظهر شيئاً عن المعركة التي نشبت في هذا الموضع إذ رووا شعراً للمطيل السعدي يفخر بنصرة قومه (أبرهة بن الصباح) ملك اليمن^٤ . وكانت (يحنف) حاشيته . ذكروا أنه قال :

١ A. G. Lundin, Yujnaya Arabia W VI Weke (Palestynski Sbornik, 1961,

PP. 73, 82), Le Muséon, 1965, 3-4, P. 427.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 428, BSOAS, 1964, P. 391.

٣ في النص ثغرات والفاظ تجعل من الصعب على الباحث ضبط الترجمة الحرفية والمبنى للنص .

٤ البكري ، معجم (٤٦١/٢) ، (حلبان) (حلبان من أرض الأخرى بين حضور وحدان) ، الأكليل (١٥٨/٢) ، (حاشية ١) .

صرموا لأبرهة الأمور محلها حلبان فانطلقوا مع الأقوال
وهرق والحارثان كلاهما شركاؤنا في الصهر والأموال^١

وأورد (الممداني) ألياً فيها اسم موضع (حلبان) واسم (أبي بكرم) ،
وهي قوله :

ويوم أبي بكرم والناس حضر^٢ على حلبان إذ تنضي محامله
فتحنا له باب الحضير وريته عزيز يمشي بالسيوف أراجله

وقد روى هذان البيتان وهما من شعر (المخلبل المدي) في هذا الشكل :

ويوم أبي بكرم والناس حضر^٣ على حلبان إذ تنضي محامله
طويتا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالخراب مقاوله^٤

ويظهر من هذا الشعر أن (أبرهة) لما جاء بجيشه إلى موضع (حلبان) ،
وجد مقاومة ، ووجد أبواب الحصن متفلة ، وقد تحصن فيه المقاومون له ودافعوا
عنه ، فهجم قوم الشاعر عليه ، ففتحوا باب الحصن ، ودخلوه .

أما تأديب (بني عامر) ، فلم يلق به (أبرهة) بنفسه ، بل قام به قائد
اسمه (انجبر) (أبو جبر) ، قائد قبيلتي (كدت) ، أي (كتلة) و (عل) ،
وقائد آخر اسمه (بشرم بن حصم) ، أي (بشر بن حصن) ، قائد قبيلة
(سعد) ، أي (سعد) (بنو سعد) . وسار القائدان بجيشهما وتقدما بهما
إلى (بني عامر) ، وحاربا على هذا النحو : حاربت (كتلة) و (عل)
قبائل سقطت بعض الحروف من اسم كل واحدة منها ، فبقي من أحدهما (ودع)
وبقي من الأخرى (زرن) (ز. رن) وقبيلة (مردم) ، أي (مراد) .
وحاربت (سعد) بوادي يؤدي إلى (نرين) (السرب)^٥ ، فقتلوا وأسروا
(لزرو) وأصابوا غنائم^٦ . ولم يسم النص الوادي الذي يؤدي إلى (السرب) .

١ اللسان (٣٣٤/١) ، (صادر) ، تاج العروس (٣١٤/٢) ، (طبعة الكويت) ،
(غربوا) بدلا من (صرموا) ، البكري (٤٦١/٢) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P 430.

٣ (بود بمتهج نرين) ، السطران الخامس والسادس من النص .

٤ السطر السادس من النص .

ويظهر أن موضع (ترين) الذي يؤدي إليه الوادي الذي جرت فيه المعركة ، هو موضع (تربة) ، مكان في بلاد بني عامر ، ومن مخاليف مكة النجدية ، على مسافة ثمانين ميلاً تقريباً إلى الجنوب الشرقي من الطائف^١ . وذكر أنه وادٍ بقرب مكة على يومين منها ، يصب في بستان ابن عامر ، حوله جبال السراة ، وقبل انه وادٍ ضخم ، مسيرته عشرون يوماً أسفل بنجد وأعلى بالسراة ، وقبل : يأخذ من السراة ويفرخ في نجران ، وقبل : موضع من بلاد بني عامر بن كلاب واسم موضع من بلاد بني عامر بن مالك^٢ .

و (عمر بن مذن) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة ، وكان أبوه (المنذر) حليفاً للساسانيين . فيكون قد عاصر (ابرهة) إذن ، ويكون (عمرو) ابنه من المعاصرين له أيضاً .

وقصد بـ (بنعمرم) ، (بني عامر) . وهم (بنو عامر بن صعصعة) من (هوازن)^٣ .

ومراد ، هي قبيلة مراد التي منها (غطفان) . وفي أيام الرسول وفد عليه (فروة بن مسيك المرادي) مفارفاً للولك كتنة . وقد كانت بين مراد وهمدان قبيل الاسلام وقعة ظفرت فيها همدان ، وكثر فيها القتل في مراد . وعرفت تلك الوقعة يوم الروم . ورئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق^٤ .

وأما (سعد) أي قبيلة (سعد) ، التي قادها (بشر بن حصن) في هذه المعركة ، فلم يذكر النص هويتها . غير أننا إذا ما أخذنا بشعر (المخبل السعدي) الذي افتخر به بتصرة قومه لأبرهة في يوم (حلبان) وبانضمامهم إليه ، ففي استطاعتنا أن نقول حيثل : إن قومه هم (سعد) أي (القبيلة المذكورة في النص) .

و (النجر) اسم قد يقرأ (أبو جبر) ، وقد يكون (أبو جابر) وقد

١ البكري (٣٠٩/١) ، (مادة تربة) .
Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, VOL., XVI, Part 3, 1954, P. 430.

٢ تاج العروس ٦٨/٢ وما بعدها (طبعة الكويت) ، اللسان (٢٣١/١) ، (صادر) .

٣ الاستغاثي (١٧٧/٢ ، ١٧٨) ، Le Muséon, 3-4, 1953, P. 341.

٤ ابن الأثير (١٢٣/٢) .

يكون (أنجير) وقد يكون (أبو جبار) . وكل هذه الأسماء هي أسماء معروفة عند الجاهليين . وقد ذهب (كستر) (M. J. Kister) إلى احتمال كونه (يزيد ابن شرحبيل الكندي) أو (أبو الجبر بن عمرو) ، وهو من كتلة أيضاً^١ . وهو من (آل الجون) من بطون كتلة^٢ .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار إلى أمير من أمراء كتلة عرف بـ (أبي الجبر) وقد ذكر في مقصورة (ابن دريد)^٣ . وروى أنه زار (كسرى) ليعاينه على قومه ، فأعطاه جعاجة من (الأساورة) ألحظهم معه ليعاينوه ، فلما وصل إلى (كالظمة) شتموا منه ، وأرادوا التخلص منه فلدسوا السم له في طعامه . ولكنه لم يمت منه ، بل شعر بألم منه ، فأكرهه الأساورة على أن يكتب كتاباً لهم يعملونه معهم إلى (كسرى) يذكر فيه أنه سمح لهم بالعودة ، فكتب لهم كتاباً ثم سافر إلى (الطائف) ، فعالجه (الحارث بن كسلبة الثقفي) ، حتى شفي ، فوجهه جارية كانت له اسمها (سميرة) أهداها له (كسرى) ، ثم ذهب إلى اليمن ، ولكن عاوده مرضه في طريقه إليها فمات . وقد رأى (كستر) أنه هو (أبو جبر) المذكور في النص^٤ .

وأما (بشر بن حصن) ، أي (بشر بن حصن) ، أو (بشر بن حصين) أو (بشار بن حصن) أو (بشار بن حصين) أو (بشير بن حصن) ، فقد ذهب (لندن) (Ludin) ، إلى أنه أحد سادات (كتلة)^٥ .

لقد أشرت إلى رأي بعض الباحثين في هذه الحملة ، وإلى ذهاب بعضهم إلى أنها كانت حملة القليل ، أي حملة أبرهة المذكورة في القرآن الكريم على مكة . كما أشرت إلى رأي آخر ، ذكر أن هذه الحملة كانت مقدمة لحملة القليل ، أي حملة

١ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 436.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

مقصورة ابن دريد ، (ص ٨٢) (طبعة الجوانب) ، القاهرة ١٣٠٠ هـ ، ترجمة الجليسي (٤٨٢/١) .

٤ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 434.

٥ Le Muséon, 1965, 3-4, P. 435, A. G. Ludin, Yujnaya Arabia W VI Weks Palestynski Sbornik 1961, PP. 73-84.

تجريبية سبقت تلك الحملة . وحجة الفريق الأول ما ورد في بعض الروايات من أن مولد الرسول كان بعد عام القيل بثلاث وعشرين سنة^١ . أي في حوالي السنة (٥٤٧) للميلاد . وهو تأريخ ينطبق مع السنة المذكورة في النص ، إذا أخذنا برأي من يجعل مبدأ التقويم الحميري سنة (١١٥) قبل الميلاد^٢ . ومن ورود رواية أخرى في حساب السنين عند قريش ، تظهر بنتيجة حسابها وتحويلها أن عام القيل كان في سنة (٥٥٢) بعد الميلاد ، وهو تأريخ ينطبق مع تأريخ النص أيضاً إذا أخذنا برأي (ريكنس) في مبدأ التقويم الحميري من أنه كان سنة (١٠٩) لا (١١٥) قبل الميلاد^٣ .

وأبرهة هذا هو (صاحب القيل) الذي قصد بفيك وجنده هدم الكعبة وإكراه الناس على الحج الى (القُلَيْس) الكنيسة التي بناها بمدينة (صنعاء) في روايات الأخباريين . وهي كنيسة قال عنها أهل الأخبار ، أنها كانت صعبة في عقلمتها وضخامتها وتزويقها من الداخل والخارج ، حتى ان (أبرهة) لما انتهى من بنائها كتب الى النجاشي : « إني قد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم ين العرب ولا العجم مثله »^٤ . أو « إني قد بنيت لك أنها الملك كنيسة لم ين مثلاً ملك كان قبلك »^٥ . ويبالغ أهل الأخبار في وصفها فيذكر (الأزرقي) ، انه بناها بجانب قصر غمدان ، وأنه أقامها بمجارة قصر بلقيس بمأرب ، نقلها الهال والقلة والمسحرون من مأرب الى صنعاء . فهدموا ذلك القصر وأحلوا حجره وما يصلح للبناء من مادة ، ثم نقلوه الى صنعاء لاستعماله في بناء تلك الكنيسة التي بنوها بناءً ضخماً عالياً ، وجعلوا جدرانها من طبقات من حجر ذي ألوان مختلفة . لون كل طبقة يختلف عن الطبقة التي تحتها أو التي فوقها . وزينوا الجدران بأفاريز من الرخام والخشب المنقوش . وجعلوا الرخام ناتئاً عن البناء ، وجعلوا فوق الرخام

١ البدء والتاريخ (١٣٦/٤ وما بعدها) . تاريخ العرب في الاسلام (٩١/١) .

٢ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 426, 427.

٣ Le Muséon, 1965, 3-4, PP. 427, 428.

٤ الأزرقي (٨٢/١ وما بعدها) . تفسير الطبري (١٦٣/٣٠) . تفسير القرطبي (١٨٧/٢٠) .

٥ ابن هشام (٤٣/١) ، ابن كثير ، البداية (١٦٩/٢) . (١٧٠/٢ وما بعدها . مطبعة السعادة ، سنة ١٩٣٢ م) . (القاهرة . تفسير ابن كثير (٤٨/٤) وما بعدها) . (عيسى البابي الحلبي) .

حجارة سوداً لها بريق ، وفوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس . وكان عرضه ست أذرع . وكان للقليس باب من نحاس عشر أذرع طولاً في أربع أذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه ، طوله ثمانون ذراعاً في أربعين ذراعاً معلق العمود بالسياج المشوش ومسامير الذهب والفضة ، ثم يدخل من البيت الى إيوان طوله أربعون ذراعاً ، عن يمينه وعن يساره ، وعقوده مضروبة بالفسيفساء مشجرة ، بين أضعافها كواكب الذهب والفضة ، ثم يدخل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً ، جدرانها بالفسيفساء ، فيها صلب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضة ، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشر أذرع في عشر أذرع ، تغطي عين من ينظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة ، وكان تحت القبة منبر من خشب اللبخ ، وهو عندئذ الأبنوس ، مفصّل بالعاج الأبيض . ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وكان في القبة سلاسل فضة . وفي القبة أو في البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعب ، وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها : امرأة كعب كانوا يتبركون بها في الجاهلية . وكان يقال لكعب الأحوزي ، والأحوزي بلسانهم الحر .

وكان أبرهة قد أخذ العمال بالعمل أخلاً شديداً ، وأمر بالعمل في بناء الكنيسة ليل نهار . وإذا تراخى عامل أو تباطأ عن عمله أنزل وكلاؤه به عقاباً شديداً ، يصل الى قطع اليد . وبقي هذا شأنه ودأبه حتى أكمل بنائها وسر من رؤيتها ، فأصبحت هجة للفاخرين .

وتجد في وصف (الأزرق) ومن تقدم عليه من أهل الأخبار للقليس شيئاً من المبالغة ، ولكنه على الأجمال وصف يظهر أنه أخذ من موارد وعته وشاهدته وأدركته . لذلك جاء وصفاً حياً نابضاً بالحياة ، ينطبق على الكنائس الفخمة التي أنشئت في تلك الأيام في القسطنطينية أو في القسوس أو في دمشق ، أو في المدن الأخرى . والظاهر من هذا الوصف ، أن فن العمارة الباني القديم قد أثر في شكل بناء هذه الكنيسة ، التي تأثرت بالفن البيزنطي النصراني في بناء الكنائس .

١ نهاية الأرب (٢٨٢/١) .

٢ الأزرق (٨٤/١ وما بعدها) ، (٩٠/١) ، (غياط) .

ويذكر (الأزرقى) ان القليس بقي في صنعاء على ما كان عليه حتى ولى أبو جعفر المنصور الخلافة ، فولى (العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي) (العباس بن الربيع بن عبيد الله العامري) اليمن ، فذكر له ما في القليس من ذخائر ، وقيل له انك تصيب فيه مالاً كثيراً وكثيراً فتأثرت نفسه الى هدمه . ثم امتسار أحد أبناء وهب بن منبه وأحد يهود صنعاء فألحا عليه بهدمه ، ويمن اليهودي له أنه اذا هدمه فإنه سيلب اليمن أربعين سنة ، فأمر بهدمه ، واستخرج ما فيه من أموال وذهب وفضة . وحاصف الناس من لمس الخشبة المنقوشة التي كانوا يتبركون بها ، ثم اشتراها رجل من أهل العراق كان تاجراً بصنعاء وقطعها لدار له . وغرب القليس حتى عفى رسمه وانقطع خبره^١ .

واذا كان ما يقوله الأزرقى نقلاً عن رواية أدركوا تلك الكنيسة من أن أبرهة أقامها بأحجار قصر بقليس باليمن ، فإنه يكون بذلك قد قوض أثراً مهماً من آثار مدينة مأرب ، وأزال عملاً من الأعمال البنائية التي أقامها السبئون في عاصمتهم قبله . وهو عمل مؤسف .

وفي صنعاء اليوم موضع يعرف بـ (غرفة القليس) ، يظن أنه موضع تلك الكنيسة ، وهو موضع حَقِير صغير ترمى فيه القمامات وعليه حائط ويقع أعلى صنعاء في حارة القطيع بقرب مسجد نصير^٢ .

وذكر (المحدثي) اسم قصر دعاه (القليس) نسب بئاه الى (القليس بن عمرو) ، وهو في زعمه من أبناء (شرحبيل بن عمرو بن ذي غمدان بن الى شرح يحضب) . وقال : انه بناء بصنعاء ، وهو بناء قديم . وذكر أيضاً أن (عمرو بنار ذو غمدان ابن الى شرح يحضب بن الصوار) هو أول من شرع في تشييد (غمدان) بعد بنائه القديم^٣ .

١ الأزرقى (٨٦/١) ، نهاية الارب (٢٨٣/١) ، وفي رواية أخرى ، أن السفاح أول خلفاء بني العباس ، هو الذي أمر بهدمها . البداية ، لابن كثير (١٧٠/٢) وما بعدها) . (السعادة) .

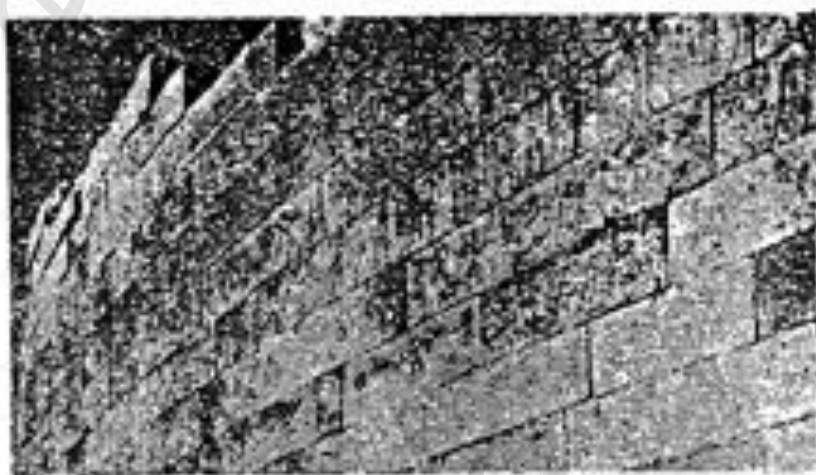
٢ البلدان (١٥٦/٧) (القليس) .

٣ الأكليل (٨٧/٢) ، حاشية لـ (لحد بن علي الاكوع الحوالي) ، رحلة في بلاد العرب .

٤ الأكليل (٨٦/٢) وما بعدها) .

السعيدة ، لتزيه مؤيد العظم ، (١٦٥/١) ، مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٥/١) .

وقد أمر (أبرهة) ببناء كنيسة في (مأرب) أشار الى بنائها في نصه الشهير ، أقامها في سنة (٥٤٢ م) ، ورتب لخدمتها جماعة من متصرة سبأ ، واحتفل هو نفسه بافتتاحها ، ولعله استعان ببنائها بحجارة قصور مأرب ومبعتها الكبير ، ذلك لأن حجارتها منحوتة نحتاً جيداً ، يجعل من السهل استعمالها في البناء على حين يتطلب الحجر الجديد وقتاً طويلاً وأموالاً باهظة . ولهذا السبب ذهب أهل الأنحبار الى أنه أمر بنقل حجارة قصر مأرب الى صنعاء .



جدار معبد (أوم) (أوم) بمأرب ، وهو معبد إله سبأ
من كتاب (Qataban and Sheba)

لقد أصيب مشروع أبرهة الرامي الى هدم الكعبة والاستيلاء على مكة باخفاق ذريع ، يذكرنا بذلك الاخفاق الذي مني به مشروع (أوليوس غالوس) . لقد كان في الواقع مشروعاً خطيراً ، لو تمّ إذن لانتصل ملك الروم بملك خلفائهم وأنصارهم الحبش في اليمن ، ولتحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الإستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدما ، وتغير الوضع السياسي في الجزيرة من غير شك . لكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حدث أن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن ، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن ، وملك البيزنطيين في بلاد الشام وملك الفرس في العراق وفي

كل مكان^١ .

ويظهر من الرواية العربية أن نهاية (أبرهة) كانت بعد عودته من مكة بقليل إذ لازمه الوباء الذي نزل برجال حمله أثناء محاصرتهم لها ، ولم يتركه حتى بلغ صنعاء وهو مريض متعب ، فهلك بها عند وصوله^٢ . ويجب أن يكون ذلك سنة (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد . أما المصادر اليونانية ، فلم تشر إلى سنة وفاته .

ويذكر الأخباريون أن الذي حكم بعد (أبرهة) ، هو ابنه (يكوم) . وبه كان أبرهة يكنى . فدلّت خبر وقبائل اليمن ووطنهم الحبشة ، وهم أذاهم وقتلوا خلقاً من رجالهم ، وأخذوا نساءهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب^٣ . ويذكر (السعدي) أن (يكوم) كان مقيم البصرة في أهل اليمن فعلم أذاه سائر الناس ، إلى أن هلك بعد عشرين سنة من الحكم^٤ .

وذكر (أبو حنيفة الدينوري) ، أن (التجاشي) أقر (أبرهة) على سلطان اليمن ، فكث على ذلك أربعين عاماً^٥ . أما ابنه (يكوم) ، فكث على اليمن تسع عشرة سنة^٦ . وصير (حمزة) مدة حكم أبرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، مذ قتل (أرياماً) ، الذي حكم على زعمه عشرين سنة . وجعل حكم (يكوم) سبع عشرة سنة ، وملك مسروق اثني عشرة سنة ، ومدة حكم الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة^٧ .

ويرى (كلاسر) أن أبرهة كان قد عين ابنه (أكوم) (يكوم) على أرض (معاهر) (معهرن) ، وكانت له (ذي معاهر) ، فعرف (يكوم) بـ (ذي معاهر) . وفي معاهر (عر وعطن) ، أي حصن وعطن^٨ .

١ Wüdeke, Geschichte der Perser, S. 188, Paullys — Wissowa,

Supplementband, VII, 1950, S. 75.

٢ الطبري (١٣٧/٢) (دار المعارف) .

٣ الطبري (١٣٩/٢) ، مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) ، المعارف (٢٧٨) .

٤ مروج (٨/٢ وما بعدها) (محيي الدين) .

٥ الاختيار الطوال (ص ٦٢) .

٦ المصدر نفسه (ص ٦٢) .

٧ حمزة (ص ٨٩) .

٨ Glaser, Mitt., S. 420, 461.

وانتقل الحكم من بعد هلاك (يكسوم) الى شقيقه (مسروق) . وهو من أم عربية هي (ربحالة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان) وهو (ذو جلدن) . وكانت تحت (أبا مرة القيثاس ذا يزن) فانتزعتها منه أبرهة ، وأولدها مسروقاً . ففرَّ (ذو يزن) من اليمن ، ولحق ببعض ملوك بني المنذر ، وبطن (الطبري) بأنه (عمرو بن هند) وأقام هناك^١ . وقد كان أسوأ سيرة من (يكسوم) ، ويذكر (السعدي) أنه حكم ثلاث سنين^٢ . وقد قتل الفرس مسروقاً ، وذلك حين دخولهم اليمن ، وأخرجوا الحبشة عن اليمن^٣ .

وقد ذكر المؤرخ (ثيوفانس) ملكاً من ملوك حبر قال ان الفرس أسروه ، وذلك في حوالي السنة (٥٧٠) للميلاد ، دعاه باسم (منطرق) (منطرقس) (Sanaturces . وهو فيما يرى (كلاس) تحريف (شاتر) ، والأصل (ذو شاتر) . و (شاتر) اسم موضع ، والمراد به (مسروق بن أبرهة) ، وكان والده قد عينه على هذا الموضع فعرف به . وقد ذكر (ابن قتيبة) أن (ذا شاتر) ، هو الابن الثاني لأبرهة ، ولهذا يرى (كلاس) أن Sanaturces هو (مسروق)^٤ .

وبهلاك (مسروق) هلك حكم الحبش لليمن . إذ أخرجوا بعد انتصار الفرس وأهل اليمن عليهم . ويذكر الطبري ، أن حكم الحبشة لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة^٥ .

وجاء في شعر الشاعر (ليبد بن ربيعة العامري) انه دخل على ملك من ملوك الحبش ، اسمه (خير) ، أتاه فكلّمه في فداء قوم ، فأجازته ، وأحسن إليه ، وحمله على خيل ، (ويلدقه)^٦ ، أي : أرسل معه من يجرمه ، وأجازته ، وأعطاه (طيرساً) ، أي كتاباً ، كتبه له لأن يعطى ، وغلاماً أطلّس أي حبشاً^٧ . ولم يذكر كيف

- ١ الطبري (١٤٢/٢)
- ٢ مروج (٨/٢) (محبي الدين)
- ٣ الطبري (١٣٩/٢)
- ٤ Glaser, Zwei Inschriften, S. 486.
- ٥ الطبري (١٣٩/٢)
- ٦ (يدرته : فارسي معرب) ، شرح ديوان ليبد (ص ١٥٥)
- ٧ (والأطلّس : الحبشي) ، شرح ديوان ليبد (ص ١٥٥)

وصل الى (حبر) ، ولا في أي مكان كان يحكم . وما علاقة ذلك الملك الحبشي
بجزيرة العرب إن صح أنه ملك الحبش حقاً ؟ وإذا أخذنا بقول هذا الشاعر
وصدقناه ، فقد يكون ذهب ليتوصل الى الحبش لملك أسر جماعة من قومه أو
من أصحابه قد يكونون ذهبوا للتجار أو لشراء الرقيق ، فقبض عليهم لسبب من
الأسباب واحتجزوا ، فلذهب لالتماسهم فنجح في وساطته وقد يكون (حبر) هذا
أحد الحكام أو القضاة ، لا التجاني ملك الأحباش .

ويظهر من كتاب (الإشتقاق) أنه كان لأبرهة حفيد اسمه (ابن شمر) إذ
ذكر مؤلفه (ابن دريد) اسم رجل سماه (ابن شمر بن أبرهة بن الصباح) ،
قال : إنه قتل مع (علي بن أبي طالب) بصفيين^١ . ومعنى هذا أنه كان لأبرهة
ولد اسمه (شمر) . ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء رجال كانوا من حفدة
(أبرهة) .

وقد سمي الأحباش ، مدة مكثهم في اليمن ، في نشر النصرانية بين الناس ،
وبناء الكنائس . وبمحدثنا (قرما الرحالة) Cosmas Indicopleustes في نحو
سنة (٥٣٥ م) ، أي بعد اندحار (ذي نواس) ، عن كثرة الكنائس في العربية
السعيدة ، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين الذين بشروا بين الحميريين والبط وبي
جرم^٢ . وقد اشتهرت كنيسة (نجران) ، وكذلك كنيسة صنعاء ، وكنيسة
(ظفار) التي بناها الحبش ، وقد أشرف عليها الأسقف (جرجسيوس) صاحب
(كتاب شرائع الحميريين) ، وكان مقرباً لدى التجاني ومستشاره ومساعدته في
تنصير الحميريين^٣ .

وورد أن القيصر (يوسطين) (جستن) كان قد أرسل (كريكنتيوس)
Gregentius of Ulpiana من الاسكندرية الى (ظفار) ليكون (أسقفاً) على
نصارها . وقد تناظر مع (حبر) من أحيار يهود فيها ، فغلبه . وقدّم قانون
الشرعة الى (أبرام) (Abram) ملك حبر^٤ .

١ الإشتقاق (٣٦١/٢) . جمهرة أنساب العرب ، (لابن حزم) (٤٢٥) .
٢ النصرانية (٦٥/١) . Migne, Patrolog. Gre., Vol., LXXX, Col., 169.
٣ النصرانية (٦٤/١) ، الأغانى (٧٥/٢) .
Migne, Patrolog. Gre., Vol., 86, col. 567-529.
٤ Bury, II, P. 323.

حملة أبرهة :

وفي أيام عبد المطلب كانت حملة أبرهة على مكة ، وهي حملة روعت قريشاً وأزعجتهم ، لما عرفوه من قساوة أبرهة ومن شدته في أهل اليمن ، ومن انفراده بالحكم ، واستبداده في الأمور ، حتى أنه لما مات وذهب مع اللاهئين لم تحت ذكراه كما ماتت ذكوى غيره من الحكام ، بل تركت أثراً عريضاً في ذاكرة أهل اليمن ، انتقل منهم إلى أهل الأخبار ، فرووا عنه أفاضيل ، ونسجوا حوله نسجاً من أساطير وخرافات ، على عادتهم عند تحدثهم عن الشخصيات الجاهلية القوية التي تركت أثراً في أهل تلك الأيام ، حتى أنهم لم يكتفوا بكل ما قالوه فيه ، وكأنه لم يكن كافياً ، فجعلوا منه جملة رجال سموهم (أبرهة) نصبوهم ملوكاً وتبابعة على مملكة سبأ وحبر .

والرأي الغالب بين الناس أن حملة أبرهة على مكة ، كانت قبل المبعث بزهاء أربعين سنة ، وميلاد الرسول كان في عام هذه الحملة ، وهو العام الذي عرف به (عام الفيل) . وهو يوافق سنة (٥٧٠) أو (٥٧١ م) . وإنما عرف بعام الفيل ، لأن الحبش كما يزعم أهل الأخبار جاءوا إلى مكة ومعهم فيل سموه (محموداً) ، وقد جاءوا به من الحبشة . وفي بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلاً ، أو اثني عشر ، أو دون ذلك ، أو أكثر ، وأوصلوا العدد إلى ألف فيل . ولوجود الفيل أو الفيلة في الحملة ، عرفت بحملة الفيل ، وحبر عن الحبش في التوراة الكريم به (أصحاب الفيل)^١ .

وقد ذهب بعض الرواة إلى أن عام الفيل إنما كان قبل مولد النبي بثلاث وعشرين سنة ، وذكر بعضهم أنه كان في السنة الثانية عشرة من ملك (هرمز ابن انوشروان) . ولما كان ابتداء حكم (هرمز بن انوشروان) سنة (٥٧٩) فعام الفيل يكون في حوالى السنة (٥٨١) للميلاد لاسمى (٥٧٠) أو (٥٧١) للميلاد

١ سورة الفيل . الطبري (١٣٠ / ٢) وما بعدها (دار المعارف) ، الكامل (٢٦٠ / ٢) ، تفسير ابن كثير (٥٤٨ / ٤) وما بعدها ، مروج (٧١ / ٢) ، وفتح العانس (٢٢٣ / ٢٨) ، الطبرسي ، مجمع (١٩١ / ٣٠) ، الأذرقى (٨٢ / ١٦) وما بعدها ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٧٠ / ٢) ، تفسير الطبري (١٦٦ / ٣٠) ، (الطبعة اليمنية) ، دائرة المعارف الإسلامية (٦١ / ١) وما بعدها ، ترجمة التستراوي .

كما يذهب الأكثرون الى ذلك . وأما إذا اختلفنا برواية من قال من الرواة وأهل الأخبار من أن عام القيل قد كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك (انو شروان) ، فيكون هذا العام قد وقع في حوالى السنة (٥٧٣) للميلاد وهو رقم قريب من الرقم الذي ذهب اليه أكثر المستشرقين حين حوّلوا ما ذكره أهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول الى التقويم الميلادي .

وقد ورد ذكر هذا الحادث في القرآن الكريم : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب القيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول » ١ . وقد خاطبت هذه الآيات الرسول بأن قريباً سوف تحب وتعل بها الهزيمة ، كما حلت بأصحاب القيل ، وأصحاب القيل اعظم منهم قوة واشد بطشاً ، وهم لا يغيّب نجاحهم ، وفيها تذكير لقريش بما حل بالحش ، وما كان عهد الحش عنهم بعيد .

وينسب الأخباريون حلة أبرهة على مكة الى ثنديس رجل من كنانة (القيس) التي بناها أبرهة في اليمن ، لتكون محطة للناس . فلما بلغ أبرهة خبر الثنديس كما يقولون ، عزم على السير الى مكة لحلم الكعبة ، فسار ومعه جيش كبير من الحش وأهل اليمن ، وهو مصمم على دكها دكاً ، وصرف الناس عن الحج إليها الى الأبد . فلما وصل ، هلك معظم جيشه ، فاضطر الى العودة الى اليمن خائلاً مدحوراً ٢ .

ويذكر أهل الأخبار أن الرجل الذي دنس القيس ، هو من النساة أحد بني قيس ، ثم أحد بني مالك من كنانة . وقد غضب لما رآه من شأن تلك الكنيسة ، ومن عزم أبرهة على صرف حاج العرب إليها ، ومن مبالته في الدعاية لها ، ففعل ما فعل ٣ .

- ١ تفسير القرطبي (١٩٤/٢٠) .
- ٢ سورة الفيل . الرقم ١٠٥ ، تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) ، (بدلاق) ، القرطبي (١٨٧/٢٠ وما بعدها) .
- ٣ الروض الأنف (٤٠/١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) ، الأذرقى (٩٠/١ وما بعدها) ، (خياط) .
- ٤ الطبري (١٣٠/٢) ، تاج العروس (١٤/٩) ، الكشف (٢٣٣/٤) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) ، تفسير النيسابوري (١٩٣/٣٠) ، حاشية على تفسير الطبري .



أحد القصور ، وهو يمثل الطراز اليمني في البناء
من كتاب : (Günter Pawelke) (JEMEN)

وقبل ان الرجل المذكور كان من النساك ، من نساك بسني فقيم ، غافله
ما كان من عزم ابرهة على صرف العرب عن الحج الى مكة ، فأحدث في القليس
للحط من شأنها في نظر العرب ، ولطخ قلبتها بدمه ، فشاع خبره بين الناس ،
وهزىء القوم من (قليس) حدث به ما حدث. وغضب أبرهة من عمله المشين
هذا الموجه اليه وان كل اخيش ، فعزم على هدم البيت الذي يقدمه ذلك الكثناني

ومن يحج إليه .

وينسب أخياريون آخرون عزم (أبرهة) على ذلك الكعبة وهدمها إلى عامل آخر ، فهم يذكرون ان فتية من قريش دخلوا القليس فأججوا فيها نارا ، وكان يوماً فيه ريح شديدة ، فاحترقت وسقطت إلى الأرض ، فغضب أبرهة ، وأقسم لينتقم من قريش بهدم معبدهم ، كما تسبوا في هدم معبده الذي بابه النجاشي به^١ .

وذكر أن (أبرهة) بنى القليس بصنعاء ، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكان نصرانياً ، ثم كتب إلى النجاشي : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لك كان قبلك ، ولست بعنته حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من السَّاءة ، فخرج حتى أتى الكنيسة ، فأحدث فيها ، ثم خرج فلقى بأرضه ، فأعبر بذلك أبرهة ، فغضب عند ذلك ، وحلف ليعبر البيت حتى يهدمه . وبعث رجلاً كان عنده إلى بني كنانة يدعوهم إلى حج تلك الكنيسة ، ففعلت بنو كنانة ذلك الرجل ، فراد أبرهة ذلك غضباً وحقاً ، ثم أمر الحبشة فنهيات وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالليل^٢ .

وذكر (السيوطي) سبباً آخر في فرار أبرهة غزو مكة ، زعم أن أبرهة الأشرم كان ملك اليمن ، وأن ابن أخته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً ، فلما انصرف من مكة ، نزل في كنيسة بنجران ، فعدا عليها ناس من أهل مكة ، فأخذوا ما فيها من الحل وأخذوا قناع أكسوم ، فانصرف إلى جده مقضياً ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له (شهر بن معقود) على عشرين ألفاً من غولان

١ الكامل (٢٦٠/١) وما بعدها . - تفسير البضاوي (٢٦٩/٣٠) . - روح المعاني (٢٢٢/٣٠) وما بعدها . - الكشف (٢٨٨/٣) (يولاق) (٣٥٨/٣) وما بعدها (٣٩٤٨ م) .

٢ الكشف (٢٢٢/٤) . - روح المعاني (٢٢٢/٢٨) . - تفسير الفخر السرازي (٩٦/٣١) . - تفسير ابن كثير (٥١٩/٤) . - تفسير أبي السعود (٢٨٥/٥) . - تفسير النيسابوري (١٦٣/٣٠) وهو حاشية على تفسير الطبري (يولاق) . - التيجان في ملوك حمير ، لوهب بن منبه (ص ٢٠٣) . - حيدر آباد الدكن (بالهند) . - تفسير الطبرسي ، مجمع (٥٣٩/١٠) . (طهران) . - ابن حنبل السيرة (٤٤/١) وما بعدها . - روح المعاني . - لالوسي (٢٢٢/٣٠) وما بعدها . - تفسير البضاوي (٢٦٩/٣٠) .

٣ تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) . - تفسير الطبري (١٩٣/٣٠) وما بعدها .

والأشعرين ، هساروا حتى نزلوا بأرض خثعم فثبثت خثعم عن طريقهم . فلما دنا من الطائف خرج اليه ناس من بني خثعم ونصر وقفيق ، فقالوا : ما حاجتك الى طائفنا ، وإنها هي قرية صغيرة ؟ ولكننا ندلك على بيت بمكة بعد فيه ، ثم له ملك العرب ، فعليك به ، ودعنا منك ، فأتاه حتى إذا بلغ المنس ، وجد إبلاً لعبد المطلب مئة ناقة مثقلة ، فأنهبها بين أصحابه . فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه ، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له : ذو عمرو ، فسأله أن يرد عليه ابله ، فقال : إني لا أطيع ذلك ، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك . فقال عبد المطلب : افعل . فأدعاه عليه ، فقال له : إن لي اليك حاجة . قال قضيت كل حاجة تغلبها ، ثم قص عليه قصة ابله التي انتهبها جيشه . فالتفت الى ذي عمرو ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى صجاً ، فقال : لو سألتني كل شيء أحوزه ، أعطيته إياه ، ثم أمر بإرجاع ابله عليه . وأمر بالرحيل نحو مكة لحدها . وتوجه ألف شهر وأصحاب القبل ، وقد اجتمعوا ما اجتمعوا نحو مكة ، فلما بلغوها ، خرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم كأنها البلس ، فرمتهم بحجارة مدرجة كالبتادق ، فشلتهم ، ونزل الملاك بهم فأنصرف شهر هارباً وحده ، ولكنه ما كاد يسير ، حتى تساقطت أعضاء جسده فهلك في طريقه الى اليمن وهم ينظرون إليه .

ويتفق غير (السيوطي) هذا في جوهره وفي شكله مع الروايات الأخرى التي وصلت إلينا عن حلة (أبرهة) ، ولا يختلف عنها الا في أمرين : في السبب الذي من أجله قرر أبرهة هدم الكعبة ، وفي الشخص الذي سار على مكة . أما السبب الذي أورده السيوطي ، فهو غير معقول ، لبس بسيط واضح ، هو أن ابن أبرهة ، وهو أكسوم بن الصباح الحميري ، هو رجل نصراني ، والنصارى لا تحج إلى مكة ، لأنها حجة الوثنيين ، وقد عزم جدّه أبرهة على صرف العرب من الحج إليها ، فكيف يحج إليها ابن ابنته ، وهو على دين جدّه ؟ وأما ما زعمه من أن (شهر بن معقود) (مقصود) هو الذي سار على مكة لحدها ، وذلك بأمر من أبرهة ، فإنه يخالف إجماع أهل الأخبار والمفسرين من أن أبرهة هو نفسه

١ السيوطي . المد المنثور في التفسير بالمأثور (٣٩٤/٦) ، الاصبهاني ، دلائل النبوة (٢٠٠) وما بعدها ، الكشف (٢٨٨/٣) .

قاد تلك الحملة ، وانه هو الذي اخذ القيل او القبلة معه، وسار على رأس جيش كبير من الحبش ومن قبائل من اهل اليمن كانت تخضع له . ثم إن السيوطي يشير الى وجود (الملك) في الحبش ، ولم يكن شهر بن معقود ملكاً ولم يلقبه اهل الأخبار بلقب (ملك) ، وانما أنعموا بهذا اللقب على ابرهة وحده . أضف الى ذلك ان ما ذكره السيوطي من حوار وقع بين عبد المطلب وبين الملك هو حوار يذكر اهل الأخبار انه جرى بين عبد المطلب وبين ابرهة . لذلك ارى ان الأمر قد التبس على السيوطي، فخلط بين ابرهة وبين شهر احد قادته من العرب ، وانه قصد بالملك ابرهة لا القائد ، وإن لم يشر اليه ، بل جعل الفعل كلى الفعل للقائد المذكور .

وأورد (القرطبي) رواية اخرى نسبها الى مقاتل بن سليمان وابن الكلبي ، خلاصتها : ان سبب القيل هو ما روى ان فتية من قريش خرجوا نجساراً الى ارض النجاشي ، فزلوا على ساحل البحر الى بيعة للتصاري ، تسميها النصاري : الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم ، وتركوها واتحلوا ، فهبت ريح عاصفة على النار فأضمرت البيعة تاراً واحترقت ، فأني الصريخ الى النجاشي ، فأخبره ، فاستشاط غضباً ، فأناه ابرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو يكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبة . وكان النجاشي هو الملك ، وابرهة صاحب الجيش ، وابو يكسوم نديم الملك ، وقيل وزيره ، وحجر بن شرحبيل من قواده . فساروا معهم القيل ، وقيل ثمانية قيلة ، ونزلوا بلدي المجاز ، واستاقوا سرح مكة^١ . وتنطق هذه الرواية مع الروايات السابقة من حيث الجوهر ، ولا تختلف عنها الا في جعل الكنية المحترقة بيعة في ارض النجاشي ، اي في ساحل الحبش ، لا في ارض اليمن ، والا في جعل الأمر بالحملة النجاشي ، لا ابرهة نفسه . أما المفلدون لما ، فهم ابرهة ومن معه .

وهناك سبب آخر سأعرض له فيما بعد ، يذكره اهل الأخبار في جملة الأسباب التي زعموا انها حلت ابرهة على السير نحو مكة لتهديتها . وهو سبب ارجحه وأقدمه على السببين المذكورين ، لما فيه من مساس بالياسة ، ولأنه مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها اقدم ساسة العالم للسيطرة على

١ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ١٨٧ ، ١٩٢ وما بعدها) .

الطرق الموصلة الى المياه الدافئة والى الأرضين المنتجة لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد .

وتذكر روايات أهل الأخبار أن أبرهة لما رتب كل شيء وجهز نفسه للسفر من اليمن نحو مكة ، خرج له رجل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له : (ذو نقر) وعرض له قتاله ، فهزم (ذو نقر) واصحابه ، وانخذ له ذو نقر اسيراً . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى اذا كان بأرض غثم ، عرض له (ثقيف بن حبيب الخثعمي) في قبيل غثم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له ثقيف اسيراً وخرج معه يده على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج اليه (مسعود بن معتب) في رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، انما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعني اللات - انما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله الغمس ، فهلك أبو رغال به . فرجست العرب قبره ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس^١ .

وكان ثقيف بن حبيب الخثعمي من سادات غثم ، ولما أخذه أبرهة اسيراً واحببه عنده ، جعله دليلاً إلى مكة ، وهو الذي أوصله إلى الطائف ، حيث سلم أبرهة الدليل الآخر من ثقيف ، وهو أبو رغال^٢ . وذكر بعضهم أن (ثقيف ابن حبيب) كان دليل أبرهة على الكعبة ، وأنه عرف به (ذي الدين)^٣ .

ولأهل الأخبار قصص عن (أبي رغال) ، صبره أسطورة ، حتى صبره بعضهم من رجال ثمود ومن رجال (صالح) النبي . فزعموا ان النبي كان قد وجهه على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساء السيرة ، فوب عليه (ثقيف) وهو قسي^٤ بن منبه ، فقتله قتلة شنيعة . وهو خير وضعه أناس من ثقيف ولا

١ الطبري (١٣١/٢ وما بعدها) ، تفسير الطبري (١٦٧/٣٠) . (١٦٤/٣٠)
 (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٨/٢٠) .
 ٢ الاشتقاق (٣٠٦) ، تفسير الطبري (١٦٤/٣٠) (بولاق) .
 وأرجم قبره في كسلي عام كرجم الناس قبر أبي رغال
 ٣ نوادر المخطوطات (القاب الشعراء) (ص ٢٢٧) .

شك ، للدفاع عن أنفسهم ، إذ اتهموا بأن (أبا رغال) منهم ، وقد جاءوا
بشعر ، زعموا أن (أمية بن أبي الصلت) قاله في حقه ، منه :

وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بمكة إذ يسوق بها الوضيئاً^١

فصبروا القاتل جداً ثقيف ، ونسبوا له فضل مساعدة نبي من أنبياء الله .

وقد أشار (جرير بن الحظفي) في شعر قاله في الفرزدق إلى رجم الناس
لقبر أبي رغال ، إذ قال :

إذا مات الفرزدق فارجموه كترجمكم لقبر أبي رغال^٢

وذكر (المسعودي) ، أن العرب ترجم قبراً آخر ، يعرف بينهم بقبر العبادي
في طريق العراق إلى مكة . بن الثعلبية والحير نحو البطان . ولم يذكر شيئاً عن
سببه ، إذ أحال القارئ على مؤلفاته الأخرى^٣ .

وذكر (الهذلي) أن قبر أبي رغال عند (الزيمة) . و (الزيمة) موضع
معروف حتى هذا اليوم^٤ .

ولما نزل أبرهة الغفسي ، بمكة رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود
على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة : فساق إليه أموال أهل مكة من قریش
وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير
قریش وسيلها ، فهبت قریش وكثافة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس
يقناله ، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . ثم قرروا على أن يرسلوا
سيدهم (عبد المطلب) لمواجهة أبرهة والتحدث إليه ، فذهب وقابله ، وتذكر
رواية أهل الأخبار أن أبرهة لما سأله عن حاجته وعما معه من أبناء ، قال له :
حاجتي إلى الملك أن يرده علي مئتي بعير أصابها لي ، فعجب أبرهة من هذا القول
وقال له : أتكلمني في مئتي بعير قد أصيبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك
قد جئت لخدمه لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الأهل ، وإن

١ مروج (٥٣/٢) .

٢ إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

٣ مروج (٥٣/٢) . (دار الاندلس) . البداية (١٧٠/٢) وما بعدها .

٤ مروج (٥٤/٢) .

٥ الأكليل (٢٧٣/١) .

لبيت رباً سيمعنه^١ .

ولذكر هذه الرواية أن أبرهة ردّ على عبد المطلب ابله ، فرجع الى قومه ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تحوفاً عليهم من معرفة الجيش . فلما وصل جيش الحبش ، لم يجد أحداً بمكة ، ونفسي الوفاء فيه ، واضطر الى الرجوع بسرعة . فلما وصل أبرهة الى اليمن ، هلك فيها بعد مدة قليلة من هذا الحادث^٢ .

ويذكر (الطبري) ان الأسود بن مقصود لما ساق أموال اهل مكة من قريش وغيرهم ، وفي ضمنها ابل عبد المطلب ، وأوصلها الى أبرهة ، وأن قريشاً وكتانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس عزمت على ترك القتال ، إذ تأكدوا أنهم لا طاقة لهم به . بعث أبرهة (حنظلة الحميري) الى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يرد حربي فأتني به ، فلما دخل حنظلة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقليل له : عبد المطلب ، فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ، فإن يمنعه فهو بينه وحرمة ، وإن يغفل بينه وبينه ، فوالله ما عتدنا له من دافع عنه . ثم انطلق معه الى أبرهة . فلما وصل المعسكر ، سأل عن (ذي نجر) ، وكان له صديقاً ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه ، فكلّمه ، ثم توصل بوساطته إلى سائق قبل أبرهة وهو أنيس ، وأوصاه خبيراً بعبد المطلب ، وكلّمه في إيصاله الى أبرهة ، وإن يتكلّم فيه عند أبرهة بخير . ونقل أنيس طلب (ذو نجر) ، وأدخله عليه ، فكان ما كان من حديث^٣ .

وذكر الطبري : أن بعض أهل الأخبار زعموا ان نفراً من سادات قريش رافقوا عبد المطلب في ذهابه مع حنظلة الى أبرهة ، ذكروا منهم : يعمر (عمرو)

- ١ الطبري (١٢٢/٢ وما بعدها) (دار المعارف) . ابن الأثير (٣٢١/١) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠) .
- ٢ الطبري (١٣٧/٢ وما بعدها) .
- ٣ تفسير الطبري (١٩٤/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير القرطبي (١٨٩/٢٠ وما بعدها) .

ابن قنانة بن عدي^١ بن الدؤل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيد بني كنانة ، وعويذ بن وائلة الملقب ، وهو يومئذ سيد هذيل ، فمرسوا على أبرهة ثلث أموال أهل تهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم^٢ .

ويذكر أهل الأخبار أن جيوش (أبرهة) حين دلت من مكة، توسل عبد المطلب إلى ربه وقابله بأن ينصر بيته وببذل (آل الصليب) وأنه أخذ بحلقته باب الكعبة وقال :

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع منهم حياتك
إن عدو البيت من عاداك امنعهم أن يغيروا قراكا

وقال :

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم وعالمهم عدوا محالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آتاك^٣

وقد بلغ أبرهة مكة ، غير أنه لم يتمكن من دكها ومن هدمها ، وخاب ظنه ، إذ تفشى المرض بجيشه وقتك الوباء به ، فهلك أكثره ، واضطر إلى الإسراع في العودة ، وكان صكره يتساقطون موتى على الطريق ، وهم في عودتهم إلى اليمن . وذكرت بعض الروايات أن أبرهة نفسه أصيب بهذا المرض . ولم يبلغ صنعاء إلا بعد جهد جهيد . فلما بلغها ، مات إثر وصوله إليها^٤ .
وعلى هذه الصورة أنهى أهل الأخبار أخبار حملة أبرهة ، فقالوا أنها انتهت

- ١ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) ، الطبري (١٣٤/٢) (دار المعارف) ، تفسير القرطبي (١٩٠/٢٠) .
- ٢ السيرة الحلبية (٢٤/١ وما بعدها) ، يرد البيت الثاني بشكل آخر في كتاب أخبار مكة للأزرقي (٢٨٢/١) ، تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) .
- ٣ تفسير الطبري (١٩٥/٣٠ وما بعدها) (بولاق) ، تفسير البخاري (٢٦٩/١) ، مروج (٤٦/٢) ، روح المعاني (٢٣٣/٣٠) ، تفسير القرطبي ، (١٨٧/٢٠) ، تفسير الخطيب الشربيني ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٥٦٣/٤) ، تفسير الرازي (٩٦/٣١) ، البداية والنهاية (١٦٩/٢) ، ابن هشام (٢٨/١) ، الكامل (٢٥٤/١) ، الطبرسي (١٩١/٢٥) حمزة (٩٤، ٨٩) .

بإخفاق فريخ ، انتهت بإصابة أبرهة بوباء خطير ، وإصابة عسكره بذلك المرض نفسه : مرض جلدي ، أصاب جلود أكثر جيشه ، فزقها ، وأصابها بقروح وقبح في الأيدي خاصة ، وفي الأقدام ، أو بمرض وبائي هو الحصبة والجُدري ، فذكر أهل الأخبار في تفسير سورة القيل ، وفي أثناء تحدثهم عن هذه الحملة وبعد شرحهم لمعنى (طير أباييل) : مباشرة ، هذين المرضين ويقولون : وإن أول ما رثت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام ^١ . وتفسير ذلك بعبارة أخرى إن ما أصاب الحبش ، هو وباء من تلك الأوبئة التي كانت تكتسح البشرية فيها مضي ، فلا تذهب حتى تكون قد أكلت آفاقاً من الرؤوس .

وكان لرجوع الأحباش إلى اليمن وهم على هذه الصورة من مرض يقتلكهم ، وتعب ألم بهم ، أثر كبير أثر فيهم وفي قريش ، ثم ما لبث أبرهة أن مات بعد مدة غير طويلة ، فازداد اعتقاد قريش به (رب البيت) وبأصنامها ، وهابت العرب مكة ، فكانت نكسة الحبش نصراً لقريش ولأهل مكة قوتى من معنوياتها . ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في سورة القيل ، وهي من السور المكتبة القديمة : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب القيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) ^٢ .

وقصة تدنيس (القليس) ، قد تكون حقيقة وقعت وحدثت ، وقد تكون أسطورة حكيت ووضعت ، على كل حال ، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير إلى مكة لهدم البيت وتقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً ، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم ، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسعو على فكرة تدمير البيت وتخريبه ، خطة ترمي إلى ربط اليمن ببلاد الشام ، لجعل العربية القرية والعربية الجنوبية تحت حكم الصراية ، وبذلك يستفيد الروم والحبش

١ - تفسير الطبري (١٩٦/٣٠) (يولاق) ، (وهو أول جدري ظهر في الأرض) .
تفسير النيسابوري (١٦٥/٣٠) ، (حاشية على تفسير الطبري) ، (أول ما رثت الحصبة والجُدري بأرض العرب ذلك العام ، وأول ما دعى من مراضو الشجر : الحرمل والحنظل والمشر ، ذلك العام) . - الأزرقي (٩٧/١) وما بعدها) ، (خياط) .
٢ - السورة رقم ١٠٥ .

وهم نصارى ، وان اختطفوا ملهياً ، ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً ، فينخلص السروم بذلك من انخفاض الأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية القادمة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم ، إذ سترد اليهم من سيلان والمند رأساً عن طريق بلاد العرب ، فنخفض الأسعار ويكون في امكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والمند وما وراءهما من بحر .

وآية ذلك خبر^١ يرويه أهل الأخبار يقولون فيه إن (أبرهة) نوح (محمد ابن خزاعي بن حزاية اللذكواني) ، ثم السلمي ، وكان قد جاءه في نفس من قومه ، مع أخ له ، يقال له (قيس بن خزاعي) ، يلتصقون فقتله ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس ، فيدعوهم في جملة ما يدعوهم اليه الى حج (القليس) ، فسار محمد بن خزاعي ، حتى اذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاءه له ، بعثوا اليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قتل أخوه ، فلتحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فغضب وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمن البيت^٢ .

فقتل (محمد بن خزاعي) ، هو الذي هاج أبرهة وحله على ركوب ذلك المركب الحشن . ولم يكن هياجه هذا بالطبع بسبب أن القنيل كان صاحبه وصديقه بل لأن من قتله عاكس رأيه ومخالف سياسته ومراميه التوسعية القاضية بفرض ارادته وازادة الحبش وحلفائهم على أهل مكة وبقيّة كنانة ومضر ، وتعيين ملك أو أمير عليهم ، هو الشخص المقتول ، فقتلوه . ومثل هذا الحادث يؤثر في السياسة وفي الساسة ، ويدفع إلى اتخاذ اجراءات قاسية شديدة ، مثل ارسال جيش للقضاء على المتجاسرين حتى لا يتجاسر غيرهم ، ففعلت من السياسي الأمور .

ومن يدري ؟ قلل الروم كانوا هم المحرضين لأبرهة على فتح مكة وغزير مكة حتى تكون العربية الغربية كلها تحت سلطان النصرانية ، فتتحقق لهم مآربهم في طرد سلطان الفرس من بلاد العرب . وقد حاولوا مراراً القضاء على الحبش بتفصيل

١ الطبري (١٣١/٢) . تفسير الطبري (١٩٤/٣٠) ، (بولاق) . الازرقسي (٨٦/١ وما بعدها) .

هذه الخطة والاشترك في محاربة القرس ، وهم الذين حرضوا الحبشة وساعدوهم
بفسخهم وبمساعدهات مادية أخرى في فتح اليمن . وهم الذين أرسلوا رسولا^١ اسمه
(جوليانوس) Julianus ، وذلك في أيام القيصر (يوستنيان) Justinian
لاقتناع التجاشي Hellestheaeus و (السميع أشوع) Estmiphaeus بالتحالف
مع الروم ، وتكوين جبهة واحدة ضد الفرس والاشترك مع الروم في اعلان الحرب
على الفرس بسبب الرابطة التي تجمع بينهم ، وهي رابطة الدين^٢ . وكان في جملة
ما رجاء القيصر من (السميع أشوع) ، هو أن يوافق على تنصيب (قيس)
Castus رئيساً على (Maddeni) معد^٣ .

وقد ذكر (المُسَكَّرِي) ، أن (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب
ابن مرة بن هلال بن قالح بن ذكوان السلمي) كان في جيش أبرهة مع الفيل ،
أي أنه لم يقتل كما جاء في الرواية السابقة^٤ .

وقد ورد في بعض الأخبار أن عائشة أدركت قائد الفيل وسائه ، وكانوا
أعمىين مقعدين يستسلمان . وقد رأتهما^٥ .

وقد كان من أشرف مكة في هذا العهد غير عبد المطلب ، الملقب بن عدي ،
وعمر بن خالد بن عمران بن مخزوم ، ومسعود بن عمرو الثقفي ، وقد صعدوا
على حيراء ينظرون ما سيفعل أبرهة بمكة^٦ .

وذكر بعض أهل الأخبار ، أن فلانا من الحبش من جيش أبرهة وعفاه
وبعض من ضمت العسكر ، أقاموا بمكة ، فكانوا يعملون ويرعون لأهل مكة^٧ .
وليس في كتب أهل الأخبار أسماء القبائل العربية التي جاءت مع (أبرهة)
للاستيلاء على مكة بتفصيل . وكل ما نعرفه أنه كان قد ضم إلى جيشه قوات
عربية قد يكون بينها قوم من كندة ، وقد أشير إلى اشترك غولان والأشعرين
فيها ، وذكر أن (نحيثدا) كانوا ممن اشترك في جيش أبرهة ، وكذلك (حبس بن أد)^٨ .

Procopius, I, XIX, 8-16, P. 189, Glaser, Mitt., S. 437.

Procopius, I, XX, 9-12, P. 193.

المحبر (١٣٠) .

الكشاف (١٢٢/٤) .

تفسير ابن كثير (٥١٨/٤) وما بعدها .

الأزدي (٩٧/١) وما بعدها . (غياث) .

Le Muséon, 1925, 3-4, P. 433.

وقد أشير إلى أبرهة الأشرم وإلى القيل في شعر شعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين . وقد ورد في شعر (عبدالله بن الزبير) أنه كان مع (أمير الحبش) ستون ألف مقاتل^١ . وورد في شعر (أمية بن أبي الصلت) أن القيل ظل يحبو به (المغص) ولم يتحرك ، وحوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صفور^٢ . ومعنى هذا أن سادات كندة كانوا مع الحبش في زحفهم على مكة ، وذكر (عبدالله بن قيس الرقيبات) : أن (الأشرم) جاء بالقيل يريد الكعبة ، فولى جيشه مهزوماً ، فأمرتهم الطير بالجنود ، حتى صاروا وكائبهم مرجومون يمحطون بحصى الرجم^٣ .

وذكر أن (عمر بن الخطاب) كان في جملة من ذكر (أبا بكوم أبرهة) في شعره ، واتخذ مثلاً على من يحاول التطاول على بيت الله وعلى (آل الله) سكان مكة . وذكر أهل الأخبار أنه قال ذلك الشعر في هجاء (زباج بن روح ابن سلامة بن حذاف بن حذيفة) وكان عشيراً ، أساء إلى (عمر بن الخطاب) وكان قد خرج في الجاهلية تاجراً وذلك في اجتيازه وأخذ مكة ، فهجاه عمر ، فبلغ ذلك الهجاء (زباجاً) ، فجهز جيشاً لغزو مكة . فقال عمر شعراً آخر يتحدث فيه بأن ينقل تهديده أن كان صادقاً ، لأن من يريد البيت بسوء يكون مصيره مصير أبرهة الأشرم ، وقد كف زباج عن تنفيذ ما عزم عليه ولم يقم به^٤ .

لقد تركت حلة (القيل) أثراً كبيراً في أهل مكة ، حتى اعتبرت مبدأ تقويم عتدهم ، فصار أهل مكة يؤرخون بعام القيل (في كتبهم وديونهم من سنة القيل) . فلم تزل قريش والعرب بمكة جميعاً تؤرخ بعام القيل ، ثم أرخت ببيتان الكعبة^٥ .

لقد كان لأهل مكة صلات باليمن مثينة ، إذ كانت لهم تجارة معها ، تفصلها قوافلها في كل وقت ، وخاصة في موسم الشتاء ، حيث تجهز قريش قافلة كبيرة يساهم فيها أكثرهم ، والبها أشير في القرآن الكريم في سورة قريش : « لإيلاف

- ١ - بلوغ الأرب (٢٥٨/١) ، روح المعاني (٢٢٣/٢٨) .
- ٢ - بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
- ٣ - بلوغ الأرب (٢٦٠/١) .
- ٤ - بلوغ الأرب (٢٦١/١) وما بعدها ، الاشتقاق (٢٢٥) .
- ٥ - الأزدقي (١٠٢/١) .

قريش . إبلافيهم رحلة الشتاء والصيف ^١ . ولعلنا قد كان من سياستهم مداراة
 حكام اليمن وأرضائهم ، ومنع من قد يعتدي منهم على أحد من أهل اليمن أو
 الحبش ممن قد يقصد مكة للتجارة أو للاستراحة بها في أثناء سيره إلى بلاد الشام ،
 خوفاً من منع تجارهم من دخول أسواق اليمن . فلما وثب أحدكم على تجار من
 اليمن كانوا قد دخلوا مكة ، وانتهبوا ما كان معهم ، مضت صلة من وجوه
 قريش إلى (أبي يكسوم) ، أي أبرهة وصالحوه أن لا يقطع تجار أهل مكة
 عنهم . وضماناً لوفائهم بما اتفقوا عليه وضعوا (الحارث بن علقمة بن كلفة بن
 عبد مناف بن عبد الدار) وغيره رهينة ، فكان (أبرهة) يكرمهم ويصلهم ،
 وكانوا يضمنون البضائع إلى مكة لأنفسهم ^٢ .
 وقد وضع أهل الطائف رهائن عند أبي يكسوم كذلك ، ضماناً لحسن معاملتهم
 للحبش ولأن قد يقصد الطائف للتجارة من الحبش أو من أهل اليمن ^٣ .

طرد الحبشة :

لقد جعل الحبش في نهايتهم في اليمن ، وعملوا بأيديهم في هدم ما أقاموه
 بأنفسهم من حكومة ، باعتدائهم على أعراض الناس وأموالهم ، وأخذهم عتوة
 كل ما كانوا يجدونه أمامهم ، حتى ضج أهل اليمن وضجروا ، فهبوا يريدون
 تغيير الحال ، وطرد الحبشة عن أرضهم ، وإن أدى الأمر بهم إلى تبديلهم بأناس
 أعاجم أيضاً مثل الروم أو الفرس ، إذا عجزوا هم عن طردهم ، فلعل من
 الحكام الجدد من قد يكون أهون شراً من الحبش ، وإن كان كلاهما شراً ،
 ولكن إذا كان لا بد من أحد الشرين فإن أهونها هو الخيار ولا شك .

وهب البانون على الحبش ، وثار عليهم ساداتهم في مواضع متعددة غير أن
 ثورتهم لم تنفعهم شيئاً ، إذ أخذت ، وقتل القاتلون بها . ومن أهم أسباب
 إغضاقيها أنها لم تكن ثورة عارمة عامة مادتها كل الجماهير والسادات ، بل كانت
 ثورات سادات ، مادة كل ثورة مؤججها ومن وراءه من تبع . هنا ثورة وهناك

١ الآية الأولى وما بعدها .

٢ Le Mission, 1905, 3-4, P. 432.

٣ Le Mission, 1905, 3-4, P. 431.

ثورة ، ولم تكن بقيادة واحدة ، أو بإمرة قائد غير أو قادة متكاتفين حبراء بأمور الحرب والقتال ، فصار من السهل على الحبش ، الانتفاض عليها وإخادها ، أضف الى ذلك أنها لم تؤقت بصورة تجعلها ثورات جماعية ، وكأنها نيران تلتهب في وقت واحد ، يعصر على عضدي التيران إلخادها ، أو إلخادها على الأقل بسهولة .

ولتحاسد الأقبال وتنافسهم على السيادة والزعامة نصيب كبير في هذا الإخفاق ، لذلك وجه بعض السادة أنظارهم نحو الخارج في أمل الحصول على معونة عسكرية أجنبية خارجية ، تأتيهم من وراء الحدود ، لشكره الحبش على ترك اليمن . وكان صاحب هذا الرأي والمفكر فيه (سيف بن ذي يزن) ، من أبناء الأقباء ومن أسرة شهيرة . وقد نجح في مشروعه ، فاكسب صفة البطولة وانتشر اسمه بين الباطنيين ، حتى صير أسطورة من الأساطير ، وصارت حياته قصة من القصص أمثال قصة أبي زيد اللطلي وعنزة وغيرها ممن تحولوا الى أبطال تقص حياتهم على الناس في المجالس وفي المقاهي وحفلات السر والترقب ، أو تقرأ للتسلية واللهو .

و (سيف بن ذي يزن) ، هو (معديكرب بن أبي مرة) ، وقد عرف أبوه أيضاً بـ (أبي مرة القباض) ، وكان من أشرف حبر ، ومن الأقباء . وأمه (ربحانة ابنة علقمة) ، وهي من نسل (ذي جندن) على نحو ما ذكرت . يقال إن أبرهة لما انتزع ربحانة من بعلها (أبي مرة) ، فرز زوجها الى العراق فالتجأ الى ملك الحيرة (عمرو بن هند) على ما يقطن ، وبقي (معديكرب) مع امه في بيت (أبرهة) على ذلك مدة ، حتى وقع شجار بينه وبين شقيقه من امه (مسروق) الذي ولي الملك بعد موت اخيه (يكسوم) فأنز ذلك في نفسه وحقد على (مسروق) ، فلما مات يكسوم ، خرج من اليمن ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب اليه ان يخرجهم عنه ، ويلبهم هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه ولم يحمده عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فأسكنه عنده ثم أوصله بكسرى ، وحدثه في شأنه وفي خطاطره في قومه ، فأمدته بثماني مئة محارب ، وبـ (وهرز) أمره عليهم ، وبثالي سفن جعل في كل سفينة مئة

١ الطبري (٢ / ١٣٠ ، ١٤٣) ، (معديكرب بن سيف) ، مروج (٥٥ / ٢) ، (دار الاندلس) .

رجل وما يصلحهم في البحر ، فخرجوا ، حتى اذا لجؤا في البحر غرقت من السفن مئتان بما فيها ، فخلص الى ساحل اليمن من ارض عدن ست سفائن فيهن مئتان رجل فيهم وهرز وسيف بن ذي يزن ، فزلوا ارض اليمن ، فلما سمع بهم مسروق بن أبرهة ، جمع اليه جنده من الحبشة ، ثم سار اليهم ، فلما التقوا رمى (وهرز) مسروقاً بهم ، فقتله ، وانهمزت الحبشة ، فقتلوا ، وهرب شريدهم ، ودخل (وهرز) مدينة صنعاء ، وملك اليمن ونفى عنها الحبشة ، وكتب بذلك الى كسرى . فكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن على اليمن وارضها وان يرجع وهرز الى بلاده ، فرجع اليها . ورضي سيف بدفع جزيرة وخرج يؤديه في كل عام^١ .

وذكر (الطبري) في رواية له اخبرى عن (سيف بن ذي يزن) وعن مساعدة القرس له ، فقال : « فخرج ابن ذي يزن قاصداً الى ملك الروم ، وتجنب كسرى لابطاله عن نصر ابيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجده يحامي عن الحبشة لمواقفتهم اياه على الدين ، فانكفاً راجعاً الى كسرى^٢ . فقابلته وحياه وقال لكسرى : « انا ابن الشيخ الياني ذي يزن ، الذي وعدته ان تنصره فما يياك وحضرتك ، فلك العدة حتى لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرق^٣ له كسرى ، وامر له بمال . فخرج ، فجعل ينشر الدراهم ، فالتفتها الناس . فارسل اليه كسرى : « ما الذي حلك على ما صنعت : قال : « اني لم آتكم لئال ، انما جئتكم لرجال ، ولتضعني من الذل ، فأعجب ذلك كسرى ، فبعث اليه : ان أقم حتى انظر في امرك . ثم إن كسرى استشار وزرائه في توجيه الجند معه ، فقال له المويدان : إن لهذا الغلام حقاً بتروعه وموت ابيه يباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عدته اياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو ان الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وان هلكوا كان قد استراح وأراح اهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك بعيد الصواب . قال كسرى : هذا الرأي . وعمل به^٤ .

١ الطبري (١٣٦/٢) (دار المعارف) ابن خلدون (٦٣/٢) . المعارف (٢٧٨) .
٢ الاختيار الطوال (ص ٦٣ وما بعدها) . مروج (٥٥/٢) . (دار الاندلس) .
٣ الطبري (١٤٤/٢) . (دار المعارف) .
٤ الطبري (١٤٤/٢) . (دار المعارف) .

ويظهر من هذه الرواية ، أن (ابامرة) ، والد (معديكرب) ، كان قد فر من اليمن الى العراق ، وقد حاول عبثاً حث كسرى على تقديم العون العسكري له لطرد ابرهة وقومه الحبش عن اليمن ، وبقي يسمى ومحاول حتى مات بالعراق ، مات بالمقائن على حد زعم هذه الرواية . ويظهر منها أيضاً ، أن سيف بن ذي يزن ، أي ولد ابي مرة ، كان قد أسس هــو من كسرى بعد أن رأى ما رأى من موقفه مع ابيه ، فذهب أولاً الى ملك الروم ، عمل أمل مساعدته ومعاونته في طرد الحبش عن بلاده ، حتى وإن أدى الأمر الى استيلاء الروم على اليمن ، فلما خاب ظنه ذهب الى الفرس ، فساعدوه .

ويذكر (الطبري) أن وهرز لما انصرف الى كسرى ، مثلك سيفاً على اليمن ، فـ « عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقتل النساء عما في بطونها ، حتى اذا أنشأها الا بقايا ذليلة قليلة ، فالتخدهم خوفاً » ، واتخذ منهم جماعة يسعون بين يديه بحراهم ، حتى اذا كان في وسط منهم وجاءوه بالخراب حتى قتلوه ، ووثب بهم رجل من الحبشة ، قتل باليمن وأوعث ، فأفسد ، فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم (وهرز) في أربعة آلاف من الفرس ، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا ولد عربية من اسود الا قتله ، صغيراً كان او كبيراً. فأقبل وهرز ، حتى دخل اليمن ففعل ذلك . ثم كتب الى كسرى بذلك ، فأمره كسرى عليها . فكان عليها ، وكان يجيئها الى كسرى حتى هلك^١ .

لقد كان استيلاء الحبشة على اليمن بأسرها سنة (٥٢٥) للميلاد . أما القضاء على حكمهم فكان قريباً من سنة (٥٧٥) للميلاد^٢ . ولكن الحبش كانوا في اليمن قبل هذا العهد ، اذ كانوا احتلوا بعض الأرضين قبل السنة (٥٢٥) للميلاد ، وكانوا يحكمونها باسم ملك الحبشة .

وجاء في تاريخ الطبري وفي موارد اخرى أن حكم الحبش لليمن دام اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم اربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة^٣ . وهو رقم فيه زيادة ، اذا اعتبرنا أن نهاية

١ الطبري (١٤٨/٢) (دار المعارف) ، المعارف (٢٧٨) .

٢ W. Phillips, P. 223.

٣ الطبري (١٣٩/٢) .

حكم الحبش في اليمن ، كانت في حوالى السنة (٥٧٥ م) . اما اخلفنا برواية اهل الأخبار مثل حمزة ، الذي ذكر كما سبق ان بيثت ان حكم (أرباط) دام عشرين سنة ، وان حكم ابرهة ثلاثاً وعشرين سنة ، وان حكم (بكوم) سبع عشرة ، وان حكم مسروق اثني عشرة سنة ، فيكون ما ذكره (الطبري) وحمزة صحيحاً من حيث المجموع ، لأن مجموعه (٧٢) سنة . ولكني أشك في ان حكم (أرباط) كان (٢٠) سنة . إذ يعني هذا ان حكمه استمر الى سنة (٥٤٥) للميلاد ، والمعروف من نص (ابرهة) المذكور على جدار سد مأرب ، ان ابرهة رُم السد وقوى جنواته سنة (٥٤٢) للميلاد . ومعنى هذا انه كان قد استبد بأمر اليمن قبل هذا الزمن .

وقد تعرضت (حمزة) لهذا البحث ، ولقت النظر الى تفاوت الرواة في مدة لبث الحبشة باليمن وفي تأريخ اليمن كله . فقال : « وليس في جميع التواريخ تأريخ أسفم ولا أخلف من تأريخ الأقبال ملوك حير ، لما قد ذكر فيه من كثرة عدد سني من ملك منهم ، مع قلة عدد ملوكهم » ، و « قد اختلف رواة الأخبار في مدة لبث الحبشة باليمن اختلافاً متفاوتاً »^١ . والواقع اننا نجد اختلافاً كبيراً بين اهل الأخبار في تأريخ اليمن ، حتى في المتأخر منه القريب من الاسلام . ويذكر (ابو حنيفة الدينوري) ، ان (وهرز) كان شيخاً كبيراً ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان العجم وابطالها ، ومن اهل البيوتات والشرف ، وكان اخلف السيل ، فحبسه كسرى . ويقال له (وهرز بن الكاسجار) ، قسار بأصحابه الى (الأبله) فركب منها البحر . وذكر ان (كسرى) لما رده الى اليمن ، بعد وثوب الحبش به (سيف بن ذي يزن) ، وبقي هناك الى ان وافاه اجله ، فُبر في مكان سمي (مقبرة وهرز) ، وراء الكنيسة ، ولم يشر الى اسم الكنيسة^٢ ، ولعله قصد موضع (القليس) .

أما (السعدي) ، فصير (وهرز) موطئاً كبيراً بدرجة (اصبهيد) ، ودعاه به (وهرز اصبهيد الديلم) . اي انه كان اصبهيداً على الديلم اذ ذاك . وذكر انه ركب ومن كان معه من اهل السجون البحر في السفن في دجلة ومعهم

١ حمزة (ص ٨٩)
٢ الاخبار الطوال (ص ٦٤)

خيولهم وعددهم وأموالهم حتى أتوا (الأبله) ، فركبوا في سفن البحر، وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت في موضع يقال له (مشوب) ، فخرجوا من السفن فأمرهم (وهرز) أن يحرقوا السفن ، ليعلموا أنه الموت . ثم ساروا من هناك براً حتى التقوا بـ (مسروق)^١ .

وذكر (المسعودي) ، أن (كسرى أبو شروان) ، اشترط على (معديكرب) شروطاً : منها أن القرس تتزوج باليمن ولا تتزوج اليمن منها ، وخراج يحمله إليه . فتزوج (وهرز) معديكرب بتاج كان معه وبدقة من الفضة ألبيه أياها ، ورتبه بالملك على اليمن ، وكتب إلى (أبو شروان) بالفتح^٢ .

قال (المسعودي) ولما ثبت (معديكرب) في ملك اليمن ، أنه الوفود من العرب تهتبه بعود الملك إليه ، وفيها وفد مكة وعليهم عبد المطلب ، وأميرة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وخويلد بن أسد بن عبد العزى ، وأبو زمعة جد أمية بن أبي الصلت ، فدخلوا إليه ، وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء المعروف بفمدان ، وهناؤه ، وارتحل عبد المطلب خطاباً ، ذكر المسعودي وغيره نصه ، وأنشد (أبو زمعة) شعراً ، فيه ثناء على الملك وحمد للقرس (بنو الأحرار) الذين ساعدوا أهل اليمن ، على (سود الكلاب)^٣ .

وإذا أخذنا برواية (المسعودي) عن وفد مكة ، وبما يذكره أهل الأخبار عن مدة حكم الحيش على اليمن ، وهي اثنتان وسبعين سنة ، وجب أن يكون ذهاب الوفد إلى صنعاء بعد سنة (٥٩٧) للميلاد ، وهذا مستحيل . فقد كانت وفاة (عبد المطلب) في السنة الثامنة من عام الفيل ، والرسول في الثامنة اذذاك فتكون وفاة (عبد المطلب) اذن في حوالي السنة (٥٧٨) أو (٥٧٩) للميلاد ، أي في أيام وجود الحيش في اليمن ، وقيل طردهم من بلاد العرب . أما لو أخذنا برواية الباحثين المحدثين التي تجعل زمن طرد الحيش عن اليمن سنة (٥٧٥) للميلاد ، أو قبلها بقليل ، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب (عبد المطلب) إلى اليمن ، على نحو ما يرويه (المسعودي) .

١ مروج (٥٥/٢) وما بعدها .

٢ مروج (٥٦/٢) وما بعدها . دبر الاندلس .

٣ مروج (٥٨/٢) وما بعدها .

لم يذكر أهل الأخبار السنة التي تول فيها (سيف بن ذي يزن) الحكم على اليمن بعد طرد الحبش عنها ، ويرى بعض الباحثين أنها كانت في حوالي السنة (٥٧٥) للميلاد . وأن حكمه لم يكن قد شمل كل اليمن ، بسبب جزءاً منها ، ويظهر أن الفرس استأثروا بحكم اليمن لأنفسهم ، إذ نجد أن رجلاً منها تحكمها منذ حوالي السنة (٥٩٨) للميلاد تقريباً ، وكان أحدهم بدرجة (ستراب) (ستراب)^١ Satrapie .

وذكر (ابن دريد) أن من ذرية (سيف بن ذي يزن) ، (عفير بن زرعة بن عفير بن الحارث بن النعمان بن قيس بن عبيد بن سيف) . وكان سيد حير بالشام في أيام عبد الملك بن مروان^٢ .

وروا أن (وهرز) كان يبعث العير إلى كسرى بالطيوب والأموال فتتمر على طريق البحرين ثارة وعلى طريق الحجاز أخرى ، فعلى بنو تميم في بعض الأيام على عبدة بطريق البحرين ، فكتب إلى عامله بالانضمام منهم ، فسار عليهم وقتل منهم خلفاً ، وذلك يوم (الصفقة)^٣ . وعدا بنو كنانة على عبدة بطريق الحجاز حين مرت بهم ، وكانت في جوار رجل من أشراف العرب من قيس ، فكانت حرب القجار بين قيس وكنانة^٤ .

وامر كسرى بتولي ابن وهرز ، وهو (المرزبان بن وهرز) منصب أبيه ، لما توفي والده . فكان عليها أن هلك^٥ .

ثم امر كسرى (الينجان بن المرزبان) أي حفيد (وهرز) بتولي منصب أبيه حين دأبته منيته . فأمر كسرى بعده (خنوخرة بن الينجان) ، فكان عليها ، ثم غضب كسرى عليه . واستدعاه إلى عاصمته ، فذهب إليها ، فخلعه كسرى وعين باذان (باذام) في مكانه ، فلم يزل على اليمن حتى بعث الرسول^٦ . وذكر بعض أهل الأخبار أن (عدا خسرو بن السبحان بن المرزبان) هو الذي

Beltrage, S. 121, W. Phillips, P. 221.

١ الاستغاث (٢٦٠/٢)
٢ ابن خلدون (٦٥/٢) . الأغانى (١٢١/١١)
٣ ابن خلدون (٦٥/٢) . اللسان (٣٥١/٦) . القاموس (١٠٨/٢)
٤ الطبري (١٤٨/٢) . صبح الأعشى (٢٥/٥)
٥ الطبري (١٤٨/٢)

حكم بعد (المرزبان بن وهرز) ، وهو الذي عزله كسرى ، وولى (باذان)
(باذام) بعده على اليمن^١ .

لقد كانت السنة السادسة من الهجرة ، سنة مهمة جداً في تاريخ اليمن . فيها
دخل (باذان) (باذام) في الاسلام ، وفيها قضى الاسلام على الوثنية واليهودية
والنصرانية وعلى الحكم الأجنبي في البلاد ، فلم يبق حكم حبشي ولا حكم فارسي^٢ .
ويرى بعض المستشرقين ان دخول باذان في الاسلام كان بين سنة (٦٢٨) و (٦٣٠)
للميلاد^٣ . ويذكر (الطبري) ، ان اسلام (باذان) ، كان بعد قتل (شبرويه)
لأبيه (كسرى أبريز) ، وتولية الحكم في موضع والده . فلما جاء كتاب شبرويه
إليه يبلغه بالخبر ، ويطلب منه الطاعة ، أعلن اسلامه ، وأسلم من كان معه من
الفرس والأبناء^٤ . وقد ولى (شبرويه) الحكم في سنة (٦٢٨) للميلاد ، ولم يتم
حكمه أكثر من ثمانية اشهر . وقد عرف به (قياذ)^٥ .

وقد ذكر ان (باذان) (باذام) كان من (الأبناء) ، أي من الفرس
الذين ولدوا في اليمن ، وأن الرسول استعمل ابنه (شهر بن باذان) مكانه ،
أي بعد وفاة والده^٦ .

ويذكر أهل الأخبار ان الفرس الذين عاشوا في اليمن وولدوا همسا واحتلوا
بأهلها ، عرفوا به (الأبناء) ، وبـ (بني الأحرار)^٧ .

ولما قتل (الأسود العنسي) (شهر بن باذام) (شهر بن باذان) ، واستبد
(العنسي) بأمر اليمن ، خرج عمال الرسول عن اليمن . فلما قتل (العنسي)
ورجع عمال النبي إلى اليمن ، استبد بصنعاء (قيس بن حيد يغوث المرادي) ،
وتوفي الرسول والأمر على ذلك . ثم كانت خلافة أبي بكر ، فولى على اليمن
(قبيروز الديلمي)^٨ .

١ صبح الاعشى (٢٥/٥) .

٢ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها .

٣ W. Phillips, P. 223.

٤ الطبري (٦٥٥/٢) وما بعدها . (دار المعارف) .

٥ Enzy. 4, P. 178.

٦ الإصابة (١٧٠/١) .

٧ الألفاني (٧٣/١٦) .

٨ صبح الاعشى (٢٦/٥ ، ٢٦) .

وقد تطرق (ابن قتيبة) الى (ملوك الحبشة في اليمن) ، فذكر اسم (أبرهة الأشرم) ، ثم (يكموم بن أبرهة) ، ثم (سيف بن ذي يزن) ، فقال عنه : انه (أنى كسرى أنو شروان بن قباذ) في آخر أيام ملكه - هكذا تقول الأعاجم في سيرها، وأنا احبه هرمز بن أنو شروان على ما وجدت في التاريخ^١ مما يدل على أنه نقل أخباره عن حملة الفرس على اليمن من كتب سير ملوك العجم ، المؤلفات بلغتهم ، كما نقل من موارد أخرى غير أصحمية . وقد ذكر أيضاً أن المؤرخين اختلفوا اختلافاً متفاوتاً في مكث الحبشة في اليمن^٢ .

وتكون الأبناء طبقة خاصة في اليمن ، ولما قدم (وبر بن محبتس) على الأبناء باليمن ، يدعوهم الى الاسلام ، نزل على بنات النعمان بن يزرج فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، وال (مركبود) وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه ، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه^٣ .

ونجد عهد استيلاء الحبشة الأخير على اليمن عهداً كريماً من ناحيته التاريخية ، اذ دون جملة نصوص ، تحدثت عنها فيما سلف . أما عهد استيلاء الفرس على اليمن الى دخولها في الاسلام ، فلم يترك شيئاً مدوناً ولا أثراً يمكن أن يفيدنا في الكشف عن اليمن في هذا العهد . لم يترك لنا كتابة ما، لا بالسند ولا بقلم الساسانيين الرسمي يشرح الأوضاع السياسية أو أي وضع آخر في هذا العهد .

وحالنا في النصوص الكتابية في أول عهد دخول اليمن في الاسلام ، مثل حالنا في استيلاء الفرس عليها ، فمن فيه معدومون لا نملك ولا نصاً واحداً مدوناً من ذلك العهد . وهو أمر مؤسف كثيراً ، وكيف لا وهو والعهد الذي قبله المتصل به ، من أهم العهود الخطيرة في تاريخ اليمن وجزيرة العرب ، ونص واحد من هذين العهدين ثروة لا تقدر بشئ لمن يريد الوقوف على التطورات التاريخية التي مرت بالعرب قبيل الاسلام وعند ظهوره .

١ - الحارثي (ص ٦٣٨) . (ثروت عكاشة) .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - الطبري (١٥٨/٣) .



بشر من آبار صنعاء
 من كتاب : Jemen, das Verbotene Land
 مؤلفه : Günther Pawelke

هكذا ولا بد لي من الإشارة الى أن حكم القرمس لليمن لم يكن حكماً فعلياً
 واقعياً ، فلم يكن ولاهم يحكمون اليمن كلها ، وإنما كان حكمهم حكماً اسمياً
 صورياً ، اقتصر على صنعاء وما والاها ، أما المواضع الأخرى ، فكان حكمها
 لأبناء الملوك من بقايا الأسر المالكة القديمة والأحقاب والأدواء . ذلك أن أهل كل

تأخية ملكوا عليهم رجلاً من حير ، فكانوا (ملوك الطوائف)^١ فكان عسلى حير عند مبعث رسول الله سادات نعتوا أنفسهم بنعوت الملوك ، من بينهم (الحارث ابن عبد كلال ، وتعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبل ذي رعين وهمدان ومعافر وزرعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوي) . وقد أرسلوا الى الرسول مبعوثاً عنهم يخبره برغبتهم في الدخول في الاسلام ، وصل اليه مقله من أرض الروم ، ثم لقيه بالمدينة وأخبره باسلامهم وتفارقتهم الشرك ، فكتب اليهم رسول الله كتاباً يشرح فيه ما لهم وما عليهم من واجبات وحقوق^٢ .

همدان وصنعاء ومارب :

وكانت همدان عند مبعث الرسول ، مستقلة في ادارة شؤونها ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد على يد علي بن أبي طالب^٣ .
ولقد صارت (صنعاء) عاصمة لحكام اليمن منذ عهد الحبش حتى هذا اليوم ، أما (مارب) فقد صارت مدينة ثانوية ، بل دون هذه الدرجة ، وأقل كذلك شأن ظفار ، وسائر المواضع التي كان لها شأن يذكر في عهد استقلال اليمن وفي عهد الوثنية . ويرجع بعض أهل الأخبار بناء صنعاء الى (سام بن نوح) ، وزعموا أنها أول مدينة بنيت باليمن ، وأن قصر (غمدان) كان أحد البيوت السبعة التي بنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناء (الضحاك) على اسم الزهرة . وكان الناس يقصدونه الى أيام (عثمان) فهدمه ، فصار موضعاً تلاً عظيماً^٤ .

- ١ المعارف (٢٧٨) .
- ٢ (قدوم رسول الملوك حسير على رسول الله بكتابتهم) . الطبري (١٢٠/٢) (دار المعارف) .
- ٣ الطبري (١٢٢/٢) . (دار المعارف) .
- ٤ صبح الأعشى (٢٩/٥ وما بعدها) . (وكان الضحاك بناء على اسم الزهرة ، وخبره عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فهو في وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً ، وقد كان الوزير علي بن عيسى الجراح ، حين تولى الى اليمن وصار الى صنعاء ، بنى فيه سقاية وحفر فيه بئراً - ورأيت غمدان ردماً وتلاً عظيماً قد تهدم بنيانه . وصار جبل تراب كأنه لم يكن) . (وقد قيل ان ملوك اليمن كانوا اذا قعدوا في أهل اليمن بالليل واشتعلت النجوم ، رأى الناس ذلك من مسيرة ثلاثة أيام) . مروج (٢٢٩/٢) وما بعدها) . (والبناء القائم مكانه يدعى باسمه ويختصر في صنعاء ، فيقولون : القصر ، وفيه معمل للخرطوش) . مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية (٢٨٤/١) .

وقد ورد اسم (صنعاء) لأول مرة على ما نعلم في نص يعود عهده الى أيام الملك (الشرح يحضب) (ملك سبأ وذو ريدان) ، ودعيت فيه بـ (صنعو)^١ . وذكر الأخباريون أنها كانت تعرف بـ (أزال) وبـ (أوال)^٢ . أخذوا ذلك على ما يظهر من (أزال) في التوراة بواسطة أهل الكتاب مثل (كعب الأخبار) ووهب بن منبه^٣ . وذكروا أن قصر غمدان الذي هو بها قصر (سام بن نوح) ، أو قصر (الشرح يحضب) (لشرح يحضب)^٤ . وذكروا أيضاً أنها أول مدينة اختطت باليمن بنتها (عاد)^٥ . ورووا قصصاً عن (غمدان) ، فزعم بعضهم أن بانيه (سليمان) أمر الشياطين ، فبنوا لبقيس ثلاثة قصور : غمدان وسليح وبنون . وزعم بعضهم أن بانيه هو : (لشرح يحضب) أراد اقتاذ قصر بين صنعاء و (طيبة) ، فانتخب موضع (غمدان)^٦ . وقد وصف (الحمصاني) ما تبقى منه في أيامه ، وأشار الى ما كان يرويه أهل الأخبار عنه^٧ .

نجران :

وأما (نجران) ، فقد كانت مستقلة بشؤونها ، يديرها ساداتها وأشرافها ، ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له ، ولم يكن للفرس عليها سلطان . وكان أهلها من (بني الحارث بن كعب) ، وهم من (ملحج) و (كهلان) ،

١ Glaser 424.

٢ (وكانت تسمى أوائل من الأولية بلغتهم) ، مختصر تاريخ اليمن الثقلول حسن

كتاب العمير لابن خلدون ، (ص ١٢٥) ، تحقيق (H. G. Kay) (لندن

١٨٩٢ م ، Ency., IV, P. 144, Glaser, Skimms, II, S. 310, 424.

٣ الإكليل (ص ١٨) .

٤ الإكليل (ص ٤) ، القزويني ، آثار البلاد (٥١) .

٥ مختصر تاريخ اليمن (١٢٥) .

٦ البلدان (٣٠١/٦) وما بعدها ،

Ency., II, P. 100, Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabien,

I, S. 418, 421.

٧ الإكليل (١٢/٨) وما بعدها .

وكانوا نصارى . ومن أشهرهم (بنو عبد اللذان بن الديان) ، أصحاب كعبة نجران^١ وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاؤوا الى النبي ودعاهم الى المباحلة ، مع وفد مؤلف من ستين أو سبعين رجلاً راجياً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشهرهم ، منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول أمرهم . العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصعدون إلا عن رأيهم ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ثمالهم وصاحب رحلتهم ومجتمعهم واسمه الأهم (وهب) ، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب ميثاقهم^٢ . ويذكر الأخباريون ، أن أبا حارثة كان قد شرف في أهل نجران ودرس الكتب حتى حسن علمه في دينهم ، وصار مرجعهم الأكبر فيه . وكانت له حظوة عند ملك الروم ، حتى أنه كان يرسل له الأموال والفضة ليشتوا له الكتانس ، لما كانت له من منزلة في الدين وفي الدنيا عند قومه . وكان له أخ اسمه (كوز بن علقمة) . وقد أسلم مع من أسلم من الناس بعد السنة العاشرة من الهجرة^٣ .

ويظهر من الخبر المتقدم أن ملوك الروم كانوا على اتصال بنصارى اليمن ، وأنهم كانوا يساعدون أساقفتهم ويمولونهم ، ويرسلون اليهم العطايا والهباء . وقد أمدوهم بالبنائين والفعلة والمواد اللازمة لبناء الكتانس في نجران وفي غيرها من مواضع اليمن . وقد كان من مصلحة الروم مساعدة النصرانية في اليمن وانتشارها ، لأن في ذلك كسباً عظيماً لهم . فانتشارها يستطيعون تحقيق ما عجز عنه (أوليوس غالوس) حينما كلفه الإمبراطور روما اقتحام العربية السعيدة والاستيلاء عليها .

وذكر أهل الأخبار أيضاً ، أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرسالة الى غيره ، انتقلت الكتب اليه . وقد عرفت

١ الطبري (١٢٢/٣) (دار المعارف) . صبح الأعشى (٢٩/٥ وما بعدها) .
٢ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) . ابن الأثير (١٢٢/٢) . ابن خلدون (٥٧/٢) (الوفود) . البلدان (٢٥٨/٨ وما بعدها) . الطبري (١٢٩/٣) .
٣ تاج العروس (٢٨٩/١) . Raccolla, III, P. 128 .
٤ ابن هشام (٢٢٢/٢ وما بعدها) .

تلك الكتب بـ (الوضائع) . وكانوا يهتمونها ، فكلمنا تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخوازم السابقة غنى^١ . وذكر علماء اللغة ان الوضائع هي كتب يكتب فيها الحكمة . وفي الحديث : أنه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع^٢ .

ونجران أرض في نجد اليمن خصبة غنية ، وفيها مدينة نجران من المدن الباقية القديمة المعروفة قبل الميلاد . وقد ذكرها (سترابون) في جغرافيته ، وسمّاها Negrana = Negrani في معرض كلامه على حلة (أوليوس غالوس) على العربية ، كما ذكرها المؤرخ (بلينيوس) في جملة المدن التي أصابها يد التخريب في هذه الحملة^٣ . كما ذكرها (بطليموس) ، فسمّاها Negera Metropolis = Nagera Mytropolis^٤ .

وفي ذكر (بطليموس) لها على أنها (مدينة) دلالة على أنها كانت معروفة أيضاً بعد الميلاد . وأن صيتها بلغ مسامع اليونان .

وبعد النص الموسوم بـ Glaser 418, 419 ، من أقدم النصوص التي ورد فيها اسم مدينة نجران . إذ يرتفع زمنه الى أيام (المكربين) . وقد ذكر كما سبق في أثناء كلامي على دور المكربين ، في مناسبة تسجيل أعمال ذلك (المكرب) وتأريخ حروبه وما قام به من فتوح . وورد ذكرها في النص : (Glaser 1000) ، الذي يرتقي زمنه الى أيام المكرب والملك (كرب ايل وتر) آخر (مكربي) سبأ ، وأول من تلقب بلقب (ملك سبأ)^{*} . فورد اسم (نجران) في النصين المذكورين يدل على أنها كانت من المدن القديمة العامرة قبل الميلاد ، وأنها كانت من المواضع الثابتة في أول أيام سبأ .

وورد اسمها في نصوص أخرى . كما ذكرت في جملة المواضع التي دخلها رجال

١ ابن هشام (٢٢٢/٢) وما بعدها .

٢ اللسان (٢٩٩/٨) ، (و/ض/ع) .

٣ Strabo, XVI, IV, 24, vol., III, P. 212, Pliny, Nat. Histo., II, P. 458, VI, 160.

٤ Ptolemy, VI, 7, 37.

٥ Beitrage, S. 9.

حملة (أوليوس غالوس) على اليمن . وذكرها نص (التاج) الذي يرتقي زمنه الى سنة (٣٢٨) بعد الميلاد . وقد كانت في أيدي الملك (شهر بهروش) إذ ذاك على رأي أكسر الباحثين . اذ كان قد وسع رقعة حكمه (سبأ وذئ ريدان وحضرموت) وأضاف إليها أرضين جديدة منها أرض (نجران)^١ ، وأشار الى تدمير ذلك الملك لـ (تيطو) ، أي النبط^٢ .

وقد ذهب (ريسر) الى أن Negara Mytropolis هو الموضع المسمى بـ (القابل) على الضفة الغربية لوادي نجران^٣ . أما (هالفي) ، فذهب الى أنها الخراب المسماة (الأخدود)^٤ . وذهب (كلاسر) الى أنها الأخدود أو (رجلة) ، أو موضع آخر في (وادي الدواسر)^٥ .

وقد ذكر (الغمشتي) ان موضع (حجر نجران) أي مدينة نجران ، هو الأخدود . ومدح غصب أرض نجران . ولم يكن (نجران) اسم مدينة في الأصل كما يتبين من النص CIH 363 ، بل كان اسم أرض بدليل ورود أسماء مواقع ذكرتها في (نجران) نجران . ويرى بعض الباحثين أن مدينة (رجعت) كانت من المدن الكبرى في هذه الأرض ، ثم تخصص اسم نجران فصار علماً على المدينة التي عرفت بنجران^٦ .

وذهب بعض الباحثين الى أن (رجعت) (رجمة) هي (رجمة) المذكورة في التوراة . وقد تحدثت فيها سلف عن (رجمة) وعن انجار أهلها وتجار (شبا) Sheba مع (صور) Tyrus^٧ .

- | | |
|---|---|
| Beiträge. S. 11. | ١ |
| Beiträge. S. 11. | ٢ |
| Paulys-Wissowa, 12ter Halbband, 1934. | ٣ |
| Halevy, Rapport sur une Mission Archéologique dans le Yemen, in Journal Asia, VI, XIX, 1872, 39, 99. | ٤ |
| Glaser, Skizze, II. | ٥ |
| Beiträge. S. 10. | ٦ |
| أخبار الامم ، الأول ، الإصحاح الأول ، الآية ٩ ، التكوين الإصحاح العاشر ، الآية ٧ ، حزقيال ، الإصحاح ٢٧ ، الآية ٢٢ . | ٧ |

ويذكر الأخباريون أن قوماً من (جرهم) نزلوا بنجران ، ثم غلبهم عليها بنو حير ، وصاروا ولاية للتيابعة ، وكان كل من ملك منهم يلقب (الأفعى) . ومنهم (أفعى نجران) واسمه (القلس بن عمرو بن همدان بن مالك بن مئاب ابن زيد بن وائل بن حير) ، وكان كاهناً . وهو الذي حكم على حد قوطم بن أولاد نزار . وكان والياً على نجران لبليقيس ، فبعثه إلى سليمان ، وآمن ، وبث دين اليهودية في قومه ، وطال عمره ، وزعموا أنه ملك البحرين والمثلل . ثم استولى (بنو مذحج) على نجران . ثم (بنو الحارث بن كعب) ، وانتهت رئاسة بني الحارث فيها إلى بني الديكان ، ثم صارت إلى بني عبد المدان ، وكان منهم (يزيد) على عهد الرسول^١ .

ويرى بعض أهل الأخبار أن (السيد) والعاقب أسقفي نجران اللذين أرادوا مهاجمة رسول الله هما من ولد الأفعى بن الحصين بن غسليم بن رهم بن الحارث الجرهمي ، الذي حكم بين بني نزار بن معد في مبرأهم ، وكان منزله بنجران^٢ . وقد سميت (نجران) بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان حل رأي بعض أهم الأخبار . وقد اشتهرت بالأدم^٣ .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد إلى (بني الحارث بن كعب) بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فإن استجابوا إليه قبل منهم ، وإن لم يفعلوا قاتلهم . فلما دعاهم إلى الإسلام أجابوه ، ورجع خالد مع وفد منهم إلى رسول الله ، فأعلنوا إسلامهم أمامه ، ثم رجعوا وقد عين الرسول (عمرو ابن حزم) عاملاً على نجران . فبقي بنجران حتى توفي رسول الله^٤ . ولا عاد خالد بن الوليد من نجران إلى المدينة ، أقبل معه وفد (بلحارث بن

١ (مختصر تاريخ اليمن المنقول من كتاب العبر لابن خلدون (١٣٣) وما بعدها) ، مطبوع مع كتاب تاريخ اليمن لعمارة اليمنى ، سنة ١٨٩٢ . بلندن ، بمناية : Henry Cissels Kay . صبح الأعشى (١٥/٥) .

٢ المعبر (١٣٢) .

٣ صبح الأعشى (٢٠/٥) وما بعدها . الأكليل (١١/١) .

٤ الطبري (٣/١٢٦) وما بعدها (سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم) .

كعب) ، فهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي النصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن الحُجَل ، وعبد الله بن قريظ الزياتي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي . قلنا رأعم الرسول ، قال : من هؤلاء القوم الذين كانوا رجال الهند ؟ ثم كلمهم ، وأمر (قيس بن الحصين) عليهم ، ورجعوا ، وكان ذلك قبل وفاة الرسول بأربعة أشهر .

وقد اشتهرت نجران بشبابها ، ولما توفي الرسول ، كُفِّنَ في ثلاثة أبواب نجرانية* .

وقد زار (فلي) وادي نجران ، وعثر على خرائب قديمة ، يرجع عهدها إلى ما قبل الإسلام ، كما تعرف على موضع (كعبة نجران) . ووجد صوراً قديمة محفورة في الصخر على مقربة من (أم غرق) ، وكتابات مدونة بالمسند . وعلى موضع يعرف بـ (قصر ابن ثامر) ، وخراب ينسب إلى ذلك القديس الشهيد الذي يرد اسمه في قصص الأخباريين عن شهداء نجران . ويرى (فلي) أن مدينة (رجمت) (رجمة) هي (الأخلود) ، وأن الخرائب التي لا تزال تشاهد فيها اليوم تعود إلى أيام المنيين^٢ . ويقع (قصر الأخلود) الأثري بين (القابل) و (رجلة) ، وهو من المواضع الغنية بالآثار . وقد تبسط (فلي) في وصف موضع الأخلود ، ووضع مخططاً بالمواضع الأثرية التي رآها في ذلك المكان* .

ويتضح من مخطط (فلي) لمدينة (نجران) أنها كانت مدينة كبيرة مفتوحة ، وعندها أبنية محصنة على هيئة مدينة مربعة الشكل ، وذلك للدفاع عنها ، وبها مساكن وملاجئ للاحتباء بها ولتمكين المدافعين من صد هجمات المهاجمين لها* .

١ الطبري (١٢٨/٣) - سيرة ابن هشام (٢٤٧/٢ وما بعدها) .

٢ النسان (١٩٥/٥) ، (ن/ج/ر) .

٣ Philby, Arabian Highlands, PP. 221, 238, 252, 257.

٤ فؤاد حمزة ، في بلاد عسير (١٩٠) (القاهرة ١٩٥٩ م) .

٥ Philby, Arabian Highlands, P. 237.

٦ Bedrège, S. 11. Bedrège, S. 12.

أثر الحبش في أهل اليمن :

ولا بد أن يكون فتح الحبش لليمن قد ترك أثراً في لهجات أهلها ، ولا سيما بين النصارى منهم ، ممن دخلوا في النصرانية بتأثير الحبش من ساسة واداريين ومبشرين ، فاستعملوا المصطلحات الدينية التي كان يستعملها الأحباش لعدم وجود ما يقابلها عندهم في لهجاتهم لوثنتهم . ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أقول إن تلك المصطلحات كانت كلها حبشية الأصل والأرومة ، لأن الكثير منها لم يكن حبشياً في المنشأ والوطن ، وإنما كان دخيلاً مستورداً ، جاءت به النصرانية من لغة بني إرم ، أو من اللغات الأخرى المنتشرة ، فأدخلتها إلى الحبشة ، فاستعملها الأحباش وحرّفوا بعضها على وفق لسانهم ، ومنهم من نقلت بالقنوح وبالاتصال إلى اليمن .

وقد عرض علماء اللغة المسلمون والمشرقون لعدد من الألفاظ العربية ، ذكروا أنها من أصل حبشي ، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة معروفة قبل الإسلام ، وقد ورد بعضها في القرآن الكريم وفي الشعر المنسوب إلى الجاهليين . ومثل هذه الألفاظ تستحق أن تكون موضع درس وتمحيص لمعرفة صحة أصلها ونسبها ودرجة أرومتها في الحبشة ، لمعرفة أثر الأحباش في العرب ، وأثر العرب في الأحباش ، لأن بعض ما نسب إلى الأحباش من كالم هو من أصل عربي جنوبي ، هاجر من اليمن بطرق متعددة إلى أفريقيا ، واستعمل هناك ، فمن أنه حبشي الأصل ، وإن العرب أدخلوه من الأحباش .

وقد أثر فتح الحبش لليمن على سحن الناس أيضاً . فظهر السواد على ألوانهم عند غلبة الحبشة على بلادهم . وقد تأثروا بأخلاق الحبش كذلك .

الفهرست

٥	٣٤. مملكة النبط
٥٣	مدن النبط
٥٥	الحجر
٥٧	الكورة العربية
٧٢	أهل الكهف والرقيم
٧٦	٣٥. مملكة تدمر
١٠٣	الزباء
١٣١	حصن (زنوبية)
١٣٨	عانة
١٤٢	٣٦. الصفويون
١٥٥	٣٧. مملكة الحيرة
١٧٦	ملوك الحيرة
٢٣٩	٣٨. عمرو بن هند
٢٩٣	ذو قار
٣٠٤	قوائم ملوك الحيرة
٣٠٨	ملوك الحيرة بحسب رواية (ابن قتيبة)
٣٠٩	ملوك الحيرة بحسب رواية اليعقوبي
٣٠٩	ملوك الحيرة بحسب رواية المسعودي
٣١٠	قائمة حزة ملوك الحيرة
٣١٣	ملوك الحيرة بحسب رواية الخوارزمي

٣١٥	٣٩. مملكة كتنة
٣٥٧	كتنة تلحق بحضرموت
٣٥٩	امرؤ القيس الشاعر
٣٧٤	السموأل
٣٧٨	كتنة في العربة الجنوبية
٣٨٣	فلسطين الثالثة
٣٨٧	٤٠. مملكة الغساسنة
٤٤١	امراء غساسنة
٤٤٣	قوائم ملوك الغساسنة
٤٤٦	قائمة حزة
٤٤٩	العرب والحيش
٤٧٢	حكم السميع أشوع
٤٨٠	أبرهة
٥٠٧	حلة أبرهة
٥٢١	طرد الحبشة
٥٣١	همدان وصنعاء ومأرب
٥٣٢	نجران
٥٣٨	أثر الحيش في أهل اليمن